ريبيكا غولدشتاين

أفلاطون في حضرة غوغل

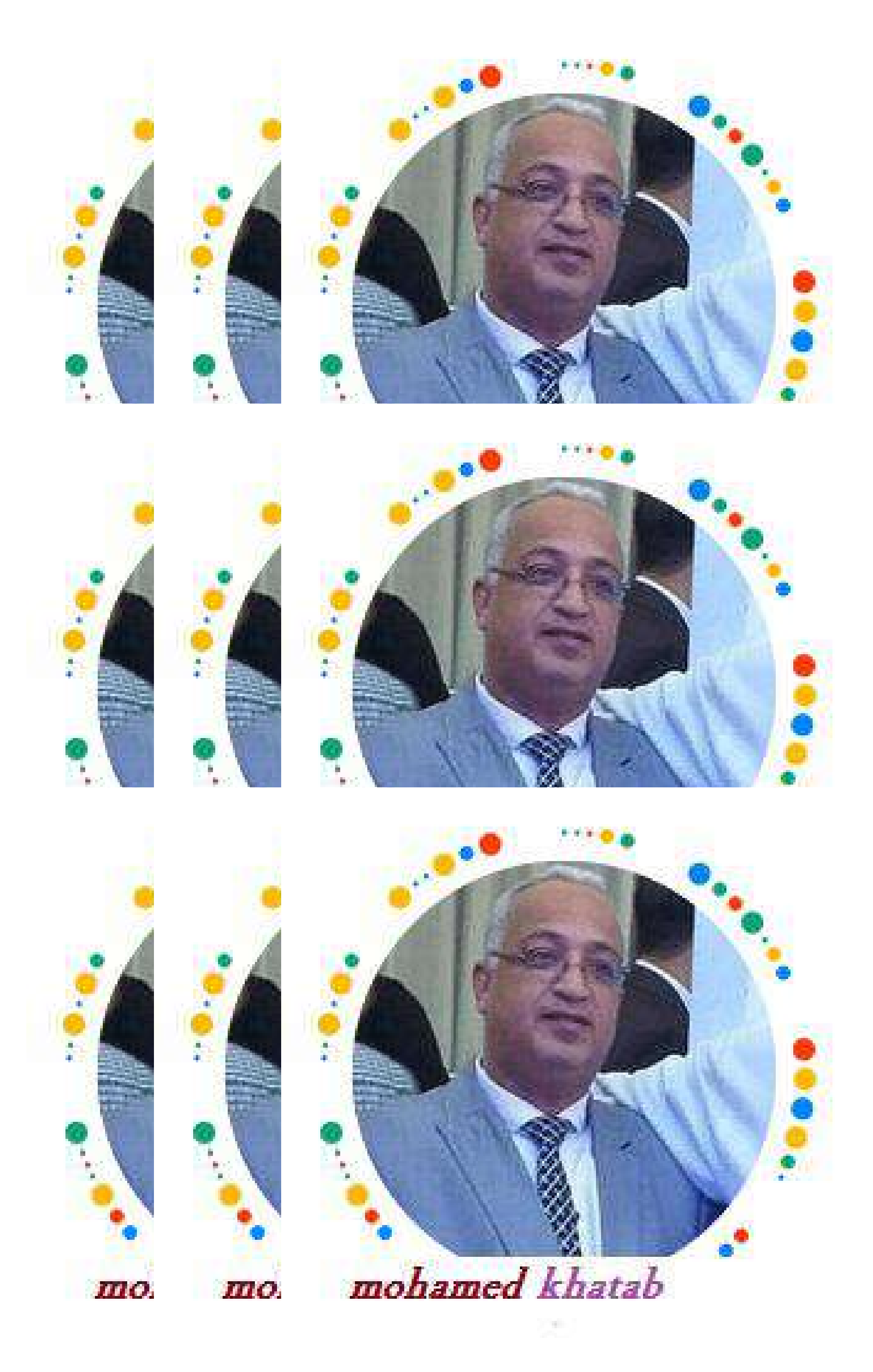
plato in the googleplex

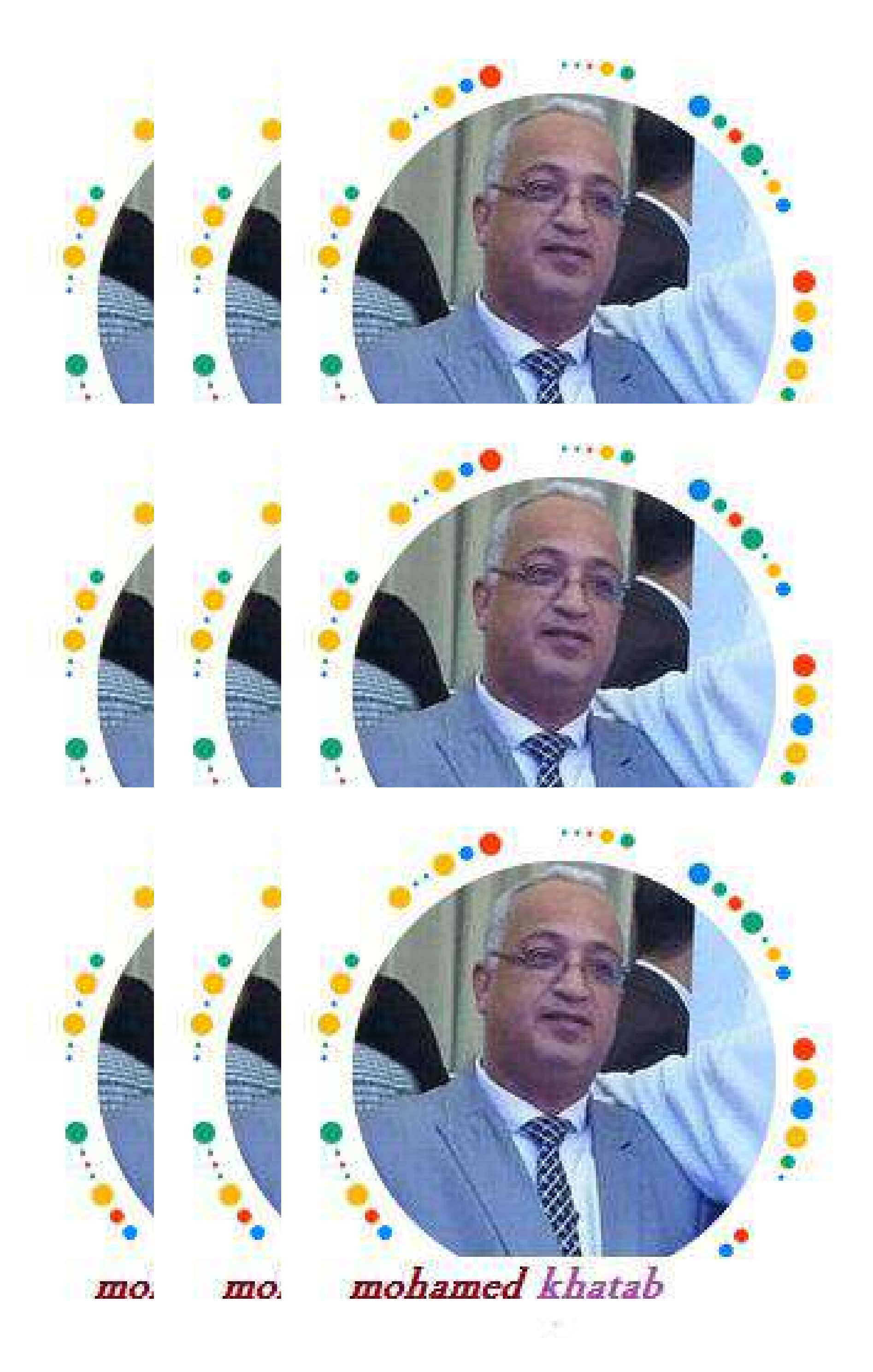
لماذا لا تنقضي الفلسفة؟

WHY PHILOSOPHY WON'T GO AWAY ?

ترجمة: محمد صلاح السيد




mohamed khatab


mohamed khatab

Plato At the Googleplex

Rebecca Goldstein

مكتبة|1726

أفلاطون في حضرة غوغل

«لماذا لا تنقضي الفلسفة؟»

تأليف

ريبيكا جولدشتاين

ترجمة: محمد صلاح السيد



الفهرس

تمهيد 7

α (ألفا) : أفلاطون على طاولة النقاش الفلسفي 23

β(بيتا): أفلاطون في غوغلبلكس 73

γ (جاما): في ظلال الأكروبوليس 151

δ (دلتا) : أفلاطون في مركز شارع Y92 201

ε (إبسيلون) : أنا لا أعرف كيف أحبه 275

ζ (زيتا): سقراط يجب أن يموت 341

η (إتا): أفلاطون في قناة الأخبار 401

θ (ثيتا): دع الشمس تدخل 433

ι (إيوتا): أفلاطون في جهاز الرنين المغناطيسي 473

الملحق أ: المصادر السقراطية 505

الملحق ب: خطبتا بريكليس من كتاب ثوقيديدس 509

تاريخ الحرب البيلوبونيسية 509

قائمة المصطلحات 519

تمهيد



عندما يخصص كتاب بالكامل لمفكر بعينه، يَفترض الكتاب عادةً أن ذلك المفكر كان مصيبًا في كل شيء. لكنني لا أعتقد أن ذلك ينطبق على أفلاطون. لقد أخطأ أفلاطون بقدر ما نتوقع من فيلسوفٍ عاش قبل 2400 عام. ولو لم تكن الحال كذلك، لما كانت هناك فائدةٌ للفلسفة التي لن تكون قد قدمت جديدًا لمعارفنا. وأنا لا أعتقد أن الفلسفة عديمة الفائدة، لذلك أنا سعيدة جدًا بالاعتراف بمدى الخطأ أو الارتباك الذي قد يبدو لنا عليه أفلاطون في كثيرٍ من الأحيان.

مما يثير الدهشة أن أفلاطون لايزال حاضرًا في العديد من نقاشاتنا المعاصرة، وليس ذلك لأنه كان يعرف ما نعرفه الآن. من الواضح أنه لم يكن يعرف العلوم التي نعرفها. لكنه أيضًا، ربما بدرجة أقل وضوحًا؛ لم يكن يعرف الفلسفة التي نعرفها، بما في ذلك الفلسفة التي رشحت من الدوائر الأكاديمية إلى الحياة العامة. فالاستنتاجات التي يؤسس لها الفلاسفة بدايةً عن طريق المنطق المتعرج تجد طريقها -بمرور الوقت- فتتسرب إلى المعارف المشتركة. ربما يكون هذا التسرب أكثر شيوعًا فيما يتعلق بمسائل الأخلاق من الفروع الأخرى للفلسفة، لأنها الأسئلة التي تضعنا باستمرار تحت الاختبار. بالكاد نجتاز حياتنا - في الواقع من الصعب أن نجتاز أسبوعا - دون التفكير فيما يجعل بعض أفعالنا صحيحة والبعض الآخر خاطئًا، والجدال مع أنفسنا فيما إذا كان هذا يمثل فارقًا يُفترض أن يدفعنا إلى اختيار أفعال بعينها. (حسنًا، هذا خطأ! أفهم ذلك! لكن لماذا عليّ أن أشغل نفسي؟)

تأملات أفلاطون، على قدر عمقها، قلّما تمثل الكلمة الأخيرة في مثل هذه الأمور. كان لدى المفكرين الأوروبيين في عصر العقل والتنوير، الذين جاؤوا بعد ألفي عام

من أفلاطون، الكثير ليضيفوه إلى مفاهيمنا المشتركة عن الأخلاق، لا سيما فيما يتعلق بحقوق الفرد، وقد تعلمنا منهم ولا زلنا[1]. لهذا من المستحيل أن نقرأ أفلاطون اليوم دون أن نعترض على بعض ما قاله. وهذا تحديدًا لأنه دلنا على طريق قطعنا فيه شوطًا أبعد منه.

لذلك، لا يمكن القول أن أفلاطون قد أنجز كل الفلسفة. لكنه أنجز شيئًا استثنائيًا جعل من فكره بمثابة إحدى المراحل المحورية في تطور البشرية. ما فعله أفلاطون هو أنه شكَّل مجالَ الفلسفة نفسه. كان أفلاطون هو أول من صاغ غالبية الأسئلة الفلسفية الأساسية. لقد أدرك جوهر نوعٍ خاصٍّ من الأسئلة، السؤال الفلسفي، الذي كانت بعض عيناته طافية بالفعل في أثينا في عصره، كما وسَّع نطاق تطبيقه. لقد طبق السؤالَ الفلسفيَّ ليس فقط على معايير السلوك البشريّ، كما فعل سقراط، ولكن على اللغة والسياسة والفن والرياضيات والدين والحب والصداقة والعقل والهوية الشخصية ومعنى الحياة ومعنى الموت، وطبائع التفسير، والعقلانية، والمعرفة ذاتها. يمكن صوغ الأسئلة الفلسفية في كل هذه المجالات الشاسعة من اهتمامات البشر وتساؤلاتهم، وقد صاغها أفلاطون بالفعل، غالبًا في شكلها النهائي. كيف تمكن من ذلك؟ لماذا هو من فعل ذلك؟ هذا لغز لطالما أردت كشفه. لكن كيف تقترب بما يكفي من أفلاطون لتحاول فهمه حتى؟ إن التوصل إلى استنتاجات حول التعاليم التي كان يقصد تأكيدها – أو حتى ما إذا كان يقصد تأكيد أية تعاليم على الإطلاق – أمرٌ من الصعوبة بمكان، فما بالك بالحصول على لمحة تسبر أغوار روح الرجل.

على الرغم من أنه يسهل (على الأقل بالنسبة إلى الكثيرين منا) الوقوع في حب فيلسوف مثل أفلاطون، إلا أنه أيضًا فيلسوف يصعب جدًا الاقتراب منه. ورغم تأثيره الهائل، فهو أحد أكثر الشخصيات نأيًا في تاريخ الفكر. ونأيهُ هذا ليس فقط

(1)ناقش ستيفن داروال نقطة مهمة - وهي أن الفلاسفة اليونانيين كانوا يفتقرون إلى فكرة الحقوق الفردية كما طورها مفكرو القرنين السابع عشر والثامن عشر. طالع كتابه
"Grotius at the Creation of Modern Moral Philosophy," in *Honor, History, and Relationship: Essays in Second-Personal Ethics II* (Oxford: Oxford University Press, 2013).

بسبب قِدَمه، لكن أيضًا بسبب الطريقة التي قدم بها نفسه إلينا من خلال كتاباته. لم يكتب أطروحات أو مقالات أو تحقيقات تطرح مواقفًا، إنما كتب المحاورات التي لم تكن أعمالًا فلسفية عظيمة فحسب، بل أعمالًا أدبية عظيمة أيضًا.

لغته هي لغة فنان بارع، يؤكد علماء الكلاسيكيات أن لغته اليونانية هي أنقى وأرقى الكتابات القديمة التي وصلت إلينا. كتب أحد الباحثين في مقدمته لترجمة **بيرسي بيش شيلي** الرائعة لندوة أفلاطون التي صب فيها الرومانسي العظيم مواهبه الغنائية على النص: «لم يكن ثمة نظير لنثر أفلاطون الغنائي في العالم القديم»[2]. الأهم هو أن شخصيات أفلاطون الحية تناقش المشكلات الفلسفية بطريقة حيوية وطبيعية بحيث يصعب التعرف على وجهة نظر المؤلف من خلال تفاعل العديد من الأصوات مع بعضها. تسمح لنا محاوراته بالاقتراب قليلًا من العديد من معاصريه - بما في ذلك سقراط - بينما يُبقي أفلاطون نفسه على مسافة منهم. يفسر بعض قراء المحاورات شخصية سقراط، الذي غالبًا ما يكون الشخصية ذات النصيب الأوفر من الكلام، كبديل لأفلاطون، مثلما يتحدث سالفياتي نيابة عن جاليليو في كتابه حوار حول النظامين الرئيسيين للكون وكما يتحدث فيلو نيابة عن ديفيد هيوم في كتابه محاورات في الدين الطبيعي؛ لكن ذلك يمثل تبسيطًا مخلًا لتفسير مخاتل.[3] وعلى نفس القدر من السذاجة اختزال سقراط المحاور إلى مجرد دمية يحركها الفيلسوف أفلاطون كما هو الحال بالنسبة لاختزال أفلاطون إلى مجرد مدون ملاحظات للفيلسوف سقراط. يأبى أفلاطون أن ينضوي تحت أي من هذين الاختزالين.

واستعصاؤه ذاك على التفسير يشبه استعصاء كاتب آخر مراوغ يصعب الحصول على لمحة لشخصيته من خلال عبقرية عمله، ويليام شكسبير. في كلتا الحالتين، يكون شسوع وجهات النظر التي تحرك النص وحيويتها هي ما يدفع المؤلف إلى الظل. في

---

(2) ندوة أفلاطون: ترجمة شيلي، تحرير وتقديم ديفيد ك. أوكونور،
(South Bend, IN: St. Augustine's Press, 2002).

(3) انظر من يتكلم باسم أفلاطون: دراسات في مجهولية الهوية الأفلاطونية، تحرير جيرالد أ. برس (لانهام، م د: رومان ولتلفيلد، 2000). يجادل المساهمون الأحد عشر في الكتاب جميعهم ضد الرأي القائل بأن سقراط، أو أي شخصية أخرى في المحاورات، تتحدث بلسان أفلاطون.

حالة شكسبير، دفع بُعد المؤلف بعض العقلاء، في مواضع أخرى، إلى التأكيد على أن ذلك الممثل المولود في شارع هينلي في ستراتفورد أبون أفون، الذي ترك المدرسة في الرابعة عشرة ولم يلتحق مطلقًا بالجامعة والذي تزوج من آن هاثاواي الحامل بالفعل، والتي أوصى لها بـ «ثاني أفضل» سرير لديه(4)، كان مجرد واجهة يستتر خلفها المؤلف الحقيقي - وربما جمعٌ كاملٌ من المؤلفين.(5) في حالة أفلاطون، يصبح نأيه محسوسًا ليس فقط في صعوبات فك ارتباط أفلاطون من سقراط، لكن، بصورة أكثر دراماتيكية، في التوصيفات المتضاربة التي أُلصقت به.

لقد زُعم أن أفلاطون كان مساواتيًا؛ وزُعم أنه كان شموليًا. لقد زُعم أنه كان طوباويًا، اقترح نموذجًا عالميًا للدولة المثالية؛ وزُعم أنه كان معاديًا لليوتوبيا، وبيَّنَ على أن كل مثالية سياسية هي حماقة. قيل أنه كان شعبويًا يهتم بما فيه أفضل مصلحة لجميع المواطنين؛ وقيل إنه كان نخبويًا ذا ميول مزعجة لفكرة تحسين النسل. زُعم أنه من عالم آخر؛ وزُعم أنه من هذا العالم. قيل أنه كان رومانسيًّا؛ وقيل أنه كان مُتزمتًا. زُعم أنه كان منظِّرًا، له مذاهب ميتافيزيقية كاسحة؛ وزُعم أنه كان متشككًا مناهضًا للتنظير، يحمل دائمًا قناعاتٍ مقلقة. قيل أنه كان مفعمًا بالفكاهة واللعب؛ وقيل أنه كان مهيبًا مثل خُطبة تبكي عذابات الملعونين. قيل أنه أحب صديقه، قيل أنه مقت صديقه. قيل أنه كان فيلسوفًا استخدم مواهبه الفنية في خدمة الفلسفة، وقيل أنه كان فنانًا استخدم الفلسفة في خدمة فنه.

أليس من الغريب أن يكون لشخص ما كل هذا التأثير على الحضارة الغربية على مدار تاريخها ثم يراوغ الإجماع حول ماذا كان يمثل تحديدًا؟ وكيف يمكن للمرء أن يأمل في الاقتراب من مثل هذه الشخصية المراوغة؟

كان أفلاطون يونانيًا قديمًا، وكان مواطِنًا في مدينة أثينا خلال عصرها

---

(4) جرت العادة وقتها أن يترك المتوفي أفضل الأثاث للأبناء، وأن يترك الباقي للزوجة. وقد يكون ذلك السرير هو سرير الزوجية بالفعل، حيث كان أفضل سرير يترك لزيارات الضيوف. (المترجم)

(5) شملت الأسماء المرشحة المقترحة كريستوفر مارلو الذي زيف وفاته؛ فرانسيس باكون؛ والتر رالي؛ إدموند سبنسر؛ اللورد بكهيرست؛ إدوارد دي فير، إيرل أكسفورد السابع عشر؛ ووليام ستانلي، إيرل ديربي السادس.

الكلاسيكي. إلى أية درجة يمكن تفسير إنجازه المتمثل في إقامته صرح الفلسفة وحده تقريبًا بكونه يونانيًا؟ لقد أذهلنا الإغريق لوقت طويل. حتى الرومان، الذين هزموهم عسكريًا، هُزموا من الداخل على يد الإغريق المذهلين. والآن بعد آلاف السنين من الهوس بهم، هل هناك جديد يمكن أن نضيفه؟ أعتقد أن الإجابة هي نعم، وهو هذا: خُلقت البيئة الحاضنة للفلسفة هناك في اليونان القديمة، وخاصة في أثينا. هذه البيئة لم تتمثل فقط في الانشغال بمسألة ما الذي يجعل الحياة تستحق أن تُعاش ولكن في الطريقة المتميزة في تناول هذا السؤال.

لم يكن اليونانيون وحدهم المنشغلين بمسألة قيمة الإنسان وهموم وجوده. عبر البحر الأبيض المتوسط كانت هناك قبيلة لا تزال مجهولة تسمى إيفريم، **العبرانيون**، من كلمة «عبر»، لأنهم كانوا على الجانب الآخر من نهر الأردن. هناك وضعوا مفهومهم للعلاقة العهدية مع إلهٍ قَبلي ارتقوا به في النهاية إلى مرتبة الإله الواحد الأحد، سيد الكون الذي يمثل أساس العالم المادي في الخارج والعالم الأخلاقي في النفس. العمل بمقتضى أوامره يعني أن تحيا حياة تستحق أن تُعاش. لا تزال ثقافتنا الغربية مزيجًا مضطربًا من نظرة هذين الشعبين المتوسطيين لمسألة قيمة الإنسان، الإغريق والعبرانيين. لكن حتى هم لم يكونوا وحدهم في اهتماماتهم الوجودية. في بلاد فارس، قدمت الزرادشتية نسخةً لازدواجية قوى الخير والشر. في الصين، كان هناك كونفوشيوس ولاو تزو وتشوانغ تزو، وفي الهند كان هناك بوذا. كلٌّ مِن هذه الرؤى تضيف إلى مجموعة الخيارات المتاحة أمامنا لتصور الحياة التي تستحق أن نحياها.

أطلق الفيلسوف كارل جاسبرز على هذه الفترة الخصبة معياريًا[6] في تاريخ

(6) يستخدم الفلاسفة كلمة "معياري" للإشارة إلى أي افتراضات تحتوي على كلمة "ينبغي". كما في "ينبغي أن تأخذ في الاعتبار مصالح الآخرين ومصالحك على حدٍ سواء" و "ينبغي أن تكون عقلانيًا وتفكر في كل الحقائق، وليس فقط تلك التي تدعم فرضيتك المفضلة". على الرغم من أن العديد من الافتراضات المعيارية تتعامل مع المسائل الأخلاقية، إلا أنها ليست كلها كذلك، كما يوضح المثال الثاني الذي أوردته. على وجه الخصوص، تثير نظرية المعرفة، التي تبحث في ظروف حيازة المعرفة، قضايا معيارية. الدين، بالطبع، يعالج القضايا المعيارية، لكن أيضًا الفلسفة العلمانية.

البشرية – والتي امتدت تقريبًا من عام 800 إلى 200 قبل الميلاد – اسم «العصر المحوري»، لأن الرؤى التي وضعت خلال تلك الفترة تمتد إلى يومنا هذا، مثل محاور العجلة. لا تزال تلك الطرق المعيارية في تشكيل حياتنا تلقى صدى لدى ملايين الناس، بمن فيهم العلمانيون، الذين ورثوا التقليد اليوناني.

يصعب القول أن اليونانيين أنفسهم كانوا علمانيين. كانت حياتهم مشبعة بطقوسهم الدينية، كانت آلهتهم وإلهاتهم منتشرة في كل مكان وكان لابدَّ من استرضائهم خشية وقوع الأهوال. وكانت طقوسهم، إلى حدٍّ كبير، محصِّنةً، تهدف إلى درء الشر. كانت هناك طقوس عامة مرتبطة بدويلات المدن الفردية وأخرى تنتشر في كل المدن، وكانت هناك طقوس سرية تمارسها الطوائف الغامضة. لكن ما يميز الإغريق – حتى قبل الفلسفة – هو أنه على الرغم من ذيوع الطقوس الدينية في حياتهم، إلا أنهم عندما يتعلق الأمر بمسألة ما الذي يجعل حياة الإنسان الفردية تستحق أن تُعاش، لم يتطلعوا إلى الخالدين من آلهتهم إنما ناقشوا السؤال من وجهة نظر البشر الفانين. إن مقاربتهم لمسألة أهمية الإنسان من منظور إنساني هو التفرد الذي خلق الظروف المؤاتية للفلسفة في اليونان القديمة، خاصة وأن تلك الظروف قد تحققت في مدينة أثينا.

إن مقاربتهم الإنسانية لمسألة أهمية الإنسان تعني أن وجهة النظر المأساوية تلك – بل في الواقع، الصيغ العديدة لوجهة النظر المأساوية تلك – كانت احتمالات متمايزة غاية التمايز. ليس من قبيل المصادفة أن أثينا كانت موطنًا ليس فقط لسقراط وأفلاطون وأرسطو[7]، ولكن أيضًا موطن إسخيليوس، وسوفوكليس، ويوريبيديس. لم تمهد مقاربتهم لمسألة «ما الذي يجعل حياة الإنسان جديرة بالعيش؟» الظروف لكبار المسرحيين المأساويين فقط ولكن أيضًا جمعت حولهم الجماهير. تلك الجماهير لم تجفل عن مواجهة الاحتمالية المأساوية المتمثلة في أن الحياة البشرية قد لا تستحق أن تعاش. ربما لا أهمية لنا في الواقع، ولا شيء يمكن فعله لإضفاء الأهمية

(7) ولد أرسطو في ستاجيرا، بالقرب من مقدونيا، لكنه جاء إلى أثينا للدراسة في أكاديمية أفلاطون. ومكث ليؤسس في النهاية مدرسته الأثينية، الليسيوم.

على وجودنا. أو ربما ومما يقلل من مأساوية الأمر، أن ثمة شيء يمكن القيام به من أجل تحقيق حياة تستحق أن تُعاش، شيء من شأنه أن يفتدي تلك الحياة ويميزها عن غيرها كحياة متفردة استثنائية، وعندها فقط ستكتسب أهمية. وحدها الحياة العادية – التي ليس فيها ما يميزها عن حيوات الجماهير الغفيرة المجهولة الأخرى التي سبقتنا والتي ستأتي بعدنا – هي التي لا تحمل أية أهمية. ثمة قسوة واضحة في هذا الطرح، وكانت ثمة قسوة واضحة في الإغريق. يجب على المرء أن يبذل نفسه من أجل تحقيق حياة ذات معنى. إذا لم تبذل من نفسك، أو لم تبذل ما يرقى إلى مستوى الشيء الكبير، فربما لا حاجة بك إلى معاناة الوجود من الأساس.

كم منا يحملون مثل ذلك الاعتقاد، سواء واضحًا أو غامضًا، أن الأرواح العادية بيننا – الغالبية العظمى منا، بحكم التعريف – لا تمثل ذات الأهمية التي تمثلها الأرواح الاستثنائية؟ كان ذلك اعتقاد الكثير من اليونانيين، على الأقل من بينهم أولئك الذين كانت لديهم رفاهية القلق بشأن مثل هذه المآزق الوجودية، اليونانيون الذين لم يكتبوا التراجيديات فحسب، بل تأثروا لها وأثارت فيهم الشفقة والرعب[8]. وأنا أُسمي موقفهم هذا روح «الاستثنائي» فقط من خلال جعل نفسه استثنائيًا يمكن للمرء أن يحفظ نفسه من التلاشي دون أثر، مثل البائس الذي تبتلعه أمواج المحيط – وهي الصورة التي كانت تستحضر الرعب الشديد في مخيلة اليونانيين الذين جابوا البحار[9]. يجب على المرء أن يحيا حياة يتحدث عنها أكبر عدد ممكنٍ من الناس ولأطول فترة ممكنة. إنه، في النهاية، النوع الوحيد من الخلود الذي يمكن أن يطمح إليه المرء. بالطبع، ما زلنا نتحدث عن اليونانيين القدماء، وخاصة الاستثنائيين منهم، وقد كان هناك الكثير من اليونانيين الاستثنائيين.

---

(8) صاغ أرسطو عبارة "تنفيس الشفقة والرعب" كوصف لقيمة الدراما اليونانية الكلاسيكية. (المترجم)

(9) تليماخوس، الذي لم ترد أخبار عن والده، أوديسيوس، منذ أن أبحر بعد نهب طروادة، ينعى مصير أباه واصفًا إياه بأنه أسوأ بكثير من الموت. "غيبته الآلهة. ولو أنه مات، لما حزنت عليه حزني هذا – ولئن كان قتل في طروادة، أو مات على أذرع أصدقاءه بعد الحرب. إذًا، لأقام له الإغريق ضريحًا، وكان سيفوز بالمجد العظيم لي أنا، ابنه، ولنفسه من قبلي. غير أن شياطين العاصفة اختطفته ولم تبق منه أثرًا. لقد هلك غير مرئي ولا مسموع" (الإلياذة الكتاب الأول 235). هذه العبارة "غير مرئي ولا مسموع" تصف كل الرعب من حياة ترق في النهاية إلى لا شيء.

كان لأفلاطون إسهامه، بتعديلات جذرية، في تشكيل روح الاستثنائي، وهو ما قاده إلى خلق الفلسفة التي نعرفها. الفلسفة كما فهمها أفلاطون هي نوع البذل المطلوب لتحقيق حياة ذات معنى. إن مجهوداتنا في إعلاء العقل هي ما تجعلنا مهمِّين - هي ما تجعلنا، إلى حدود استطاعتنا، أشباه آلهة، وإذا لم تلق هذه المجهودات استحسان الجماهير، فالعيب، إذًا، على الجماهير. فالاستثنائي المهم حقًا يرجح أن يمر عليهم دون أن يدركوه - لذا، بمعنى من المعاني، وإن لم يكن بكل المعاني، هم غير مهمين. وهذا كلام قاسٍ، لكن، وكما هو ملاحظ بالفعل، لم تزعج القسوة اليونانيين كثيرًا، وأفلاطون ليس استثناءً هنا.

فتح أفلاطون محاوراته للعديد من الأنواع المختلفة من الناس، بمن فيهم من لم يُحسب لهم كبير حساب في المجتمع الأثيني. وقد فعل ذات الشيء في الأكاديمية التي أنشأها في بستان على أطراف وسط المدينة، والتي أصبحت نموذجًا للجامعة الأوروبية. يُذكر أنه حتى النساء أمكنهن الدراسة هناك، وهو ما يتفق مع ما قاله حول الإمكانات الفكرية للإناث في كتابيه الجمهورية والقوانين. ومع ذلك، نبذت نسخته الفلسفية من «روح الاستثنائي» العديدين الذين تقطعت بهم السبل خارج تصنيفات الأهمية، أي كل أولئك الذين لم يكونوا قادرين، أو راغبين، في ممارسة الفلسفة، في ممارسة المنطق. عندما أعلن في محاورة الدفاع، التي عرض فيها محاكمة سقراط في 399 قبل الميلاد، على لسان سقراط أن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تُعاش، فهو يؤيد روح الاستثنائي التي يتقاسمها الكثيرون في ثقافته، وفي ذات الوقت عدلها بما يكفي لإثارة غضب مواطنيه الأثينيين. (لم تنته تلك المحاكمة نهاية حسنة بالنسبة إلى سقراط.) وهنا ينزلق افتراض يوناني شائع إلى تفكيره دون أن يعرضه على التساؤل. سوف يعود هذا الافتراض إلى السطح عندما يعود الفلاسفة الأوروبيون، الذين حصروا مسألة القيمة الإنسانية في التفكير الديني لقرون طويلة، للنظر مرة أخرى في مسألة ما الذي يجعل حياة الإنسان ذات قيمة من منظور علماني، كما فعل اليونانيون.

وهاكم مفارقةً: ذلك الافتراض غير المدروس الذي قاد أفلاطون إلى إنشاء

الفلسفة التي نعرفها، ستبطله الفلسفة فيما بعد. وهذا ما يُعد تقدمًا. كثيرًا ما يكون التقدم في الفلسفة عبارة عن اكتشاف الافتراضات التي تنزلق دون فحص إلى التفكير، فلماذا لا يُفحص أيضًا الافتراض غير المدروس الذي بدأ تلك العملية ذاتية النقد بأكملها؟ أعتقد أن أفلاطون لا يمكنه إلا أن يذعن.

لكن محاولة فهم أفلاطون من هذا المنظور لا تقربنا منه إلا بدرجة معينة فقط. نعم، لقد كان أثينيًا، وكأثيني فقد استقدم بعض الشواغل والمفاهيم المسبقة إلى تفكيره. وذلك ليس سوى جانب من السعي لفهم شخصية أفلاطون النائية. الجانب الآخر هو علاقته بسقراط.

نحن نعرف أقل القليل عن حياة أفلاطون الشخصية، لكن ما نعرفه جيدًا هو أن دراما حياة سقراط - التي تكلل معناها الحقيقي عند أفلاطون وغيره بموته - كانت تحولًا شخصيًا لأفلاطون. أقنعته بتكريس حياته للفلسفة - أخبرنا بذلك بنفسه في رسالته السابعة[10] - وهو ما فعله بتفانٍ تام. كانت استجابته لصدمة إعدام سقراط على يد مَجمع أثينا الديمقراطي، عندما كان سقراط يبلغ من العمر سبعين عامًا وأفلاطون في أواخر العشرينات، هي إنشاء الفلسفة كما نعرفها، وصياغة أسئلتها المركزية، الأسئلة التي تتجاوز كثيرًا، في أغلب الظن، أية أسئلة جالت ببال سقراط نفسه.[11]

لكن حتى نهاية حياته تقريبًا، احتفظ بشخصية سقراط في قلب عمله. كتب

---

(10) يعتقد عدد كبير من الباحثين الآن فيما يبدو أن الرسالة السابعة صحيحة النسب إلى أفلاطون؛ لكن حتى لو لم تكن كذلك، يتفق الباحثون على أن من كتبها كان على دراية جيدة بتفاصيل حياة أفلاطون الخاصة.

(11) تنقسم محاورات أفلاطون تقليديًا إلى المبكرة، والوسطى، والمتأخرة، لكن تستمر الخلافات حول تسلسلها الزمني، وهناك من الباحثين من يعارض فكرة التسلسل الزمني بأكملها. ربما عاد أفلاطون إلى المحاورات وأعاد تحريرها حتى وقت قريب من وفاته، مثل هنري جيمس الذي أعاد كتابة أعماله السابقة بأسلوبه المتأخر. تقليديًا، تعد المحاورات المبكرة الأكثر تمثيلًا لممارسات وشواغل سقراط، وهي تقتصر على الأسئلة الأخلاقية وغالبًا ما تنتهي إلى مأزق يسمى أبوريا، وهو طريق مسدود فلسفيًا. فقط في المحاورات الوسطى يثير أفلاطون أسئلة حول الميتافيزيقيا، ونظرية المعرفة، والفلسفة السياسية، وعلم الكونيات، وفلسفة اللغة، وما إلى ذلك.

أفلاطون عن الفلسفة بنوع من القلق. لقد كان قلقًا، على الأخص، من أن تحل الكتابة الفلسفية محل المحاورات الحية، والتي لا بديل عنها في الفلسفة. (لا تزال الفلسفة موضوعًا اجتماعيًا بصورة واضحة.) بعد أن عنّى نفسه طويلًا من التفكير في أفضل طريقة ممكنة لكتابة (وتعليم) الفلسفة أكثر من معاناته مع الفلسفة ذاتها، وضع أفلاطون محاوراته، وكلها وصلت إلينا. (لم يذكر أي من المفسرين أبدًا عملًا لأفلاطون ليس لدينا، على عكس أعمال أرسطو). خمس وعشرون من محاوراته الست والعشرين تظهر فيها شخصية سقراط، الذي كان، سواء كان هو من يدفع زخم الحُجة إلى الأمام أم لا - وغالبًا لا - محوريًا في مفهوم أفلاطون للفلسفة. يَغيب سقراط تمامًا في **القوانين** فقط، التي كُتبت عندما كان أفلاطون رجلًا عجوزًا، أكبر بما يقرب من عقد من سقراط عندما توفي. لكن حتى في غيابه، يبقى سقراط مهمًا.

هذه الحيلة الأدبية التي استخدمها أفلاطون تجعل من الصعب استخلاص ما هو صحيح تاريخيًا عن سقراط، الرجل الذي تجول حافي القدمين في أجورا[12] أثينا في عباءته غير ناصعة النظافة وطرح باستمرار أسئلة يصعب فهم مقاصدها، فيجمع حوله حشدًا من المتفرجين ويقتل كل إجابة يقدمها أحد منهم في مهدها، سقراط المتجول الذي كان الديالكتيك بضاعته، مقاتل الشوارع الفلسفي. لم يكن أفلاطون الأثيني الوحيد الذي كتب المحاورات السقراطية بعد إعدام سقراط[13]. لكنه الكاتب الوحيد للمحاورات السقراطية الذي يعد أيضًا عبقرية فلسفية. لا يظل موقف أفلاطون تجاه «سقراطه» ثابتًا على مدار حياته الطويلة، ولا تبقى مواقفه الفلسفية ذاتية النقد جامدة. ربما يمثل تتبع التحولات في موقفه تجاه الفيلسوف الذي دفعته وفاته إلى اعتناق الفلسفة محاولةً لتقريب شخصية أفلاطون النائية إلينا كإنسان.

من الصعب، كي لا أقول من الصلف، محاولة الاقتراب من أفلاطون كشخص. ليس ثمة فيلسوف آخر يُثبط مثل هذا النهج مثله. إذ يبدو أنه لم يكن يملك الكثير

(12) المكان الفسيح المفتوح الذي يتجمع فيه الناس، وتقام فيه الأسواق. (المترجم)
(13) يتحدث أرسطو في كتابه فن الشعر (1447b) عن نوع راسخ من الأدب السقراطي Sōkratikoi Logoi، وكله وُضع بعد وفاة سقراط. انظر الملحق أ.

من التعاطف مع ما هو شخصي بحت. تزداد قيمتنا كلما عدلنا بعقولنا صوب اللاشخصي. نصبح أفضل عندما نعي الكون، ونتأمل أكثر وأكثر في الهول الذي هو عليه وأقل وأقل في الضآلة التي هي نحن. كثيرًا ما يبدي أفلاطون رعبًا من الطبيعة البشرية، إذ يراها وحشية أكثر من كونها أشبه بالآلهة[14]. الطبيعة البشرية هي مشكلة أخلاقية وسياسية تنتظر حلها، أما الكون فهو فقط الوعاء الملائم للمهمة الهائلة[15]. محاورة **القوانين**، التي يتحدث فيها ثلاثة شيوخ، تُشبِّه البشر مرتين -دون مواربة- بالدمى، «لكن مع مسحة من الواقعية تميزهم، كذلك» كما يقول الرجل الأثيني. يرد العجوز الإسبرطي، «يجب أن أقول، سيدي، إنك تضعُ من شأن عرقنا»، لكن الأثيني لا يكلف نفسه عناء الإنكار.

قد يكون يأس أفلاطون الكئيب من «عرقنا» قد نما فأصبح أكثر وضوحًا في شيخوخته، لكنني أظن أن أفلاطون تبنى نظرة قاتمة للإنسانية حتى عندما كان في سن أصغر. مصير سقراط على يد الديمقراطية - عقوبة الإعدام التي طالته، ومن قبلها حكم الإدانة، جاءا نتيجة تصويت شعبي - ربما كان له علاقة بنظرته القاتمة للإنسانية كما كان سببًا في تحوله إلى الفلسفة في المقام الأول. وفي حين أن سقراط ربما ضحك بصوت عالٍ على النكات المبتذلة للكتاب الهزليين، حتى عندما يكون هو

(14) في فيدون، يتحدث باستفاضة حول الأشكال اللاإنسانية التي يتخذها معظم الناس بعد موتهم - يصبحون حميرًا "وحيوانات فاسدة أخرى"، أو مفترسات، "مثل الذئاب والصقور والحِداء"، بينما "المواطنون العاديون،" البرجوازيون المتغطرسون المتزمتون فسيتحولون إلى نحل ونمل صغير دائم الحركة (81e–82b). إنه مقطع ممتع، ومعبر أيضًا.

(15) مثل هذه النظرة - التي توكل إلى الكون نفسه مهمة جعلنا بشرًا أفضل - تميل إلى خلط الموضوعات التي نفصل بينها عادة فصلًا حاسمًا. لذلك من المستحيل الحديث عن أخلاق أفلاطون أو نظرياته السياسية أو الجمالية دون الحديث أيضًا عن علم الكونيات والميتافيزيقيا ونظرية المعرفة وعلم النفس. تقسيم المجالات لدينا غريب على فكر أفلاطون. "الميتافيزيقيا والأخلاق وعلم النفس كانت ستبدو لأفلاطون تصنيفات لا معنى له وكان سيحتج بالتأكيد على تطبيقها على نفسه. كان سيقول إن كلًا من هذه المصطلحات يشمل كل المصطلحات الأخرى". جي إم إيه جروبي، فكر أفلاطون: ثماني نقاط أساسية في فلسفة أفلاطون كما طرحت في كامل أعماله،

(Boston: Beacon Press, 1958), p. viii.



موضوع سخريتها[16]، فإن رد فعل أفلاطون الأكثر تميزًا تجاه الجوانب الفوضوية والسخيفة في الطبيعة البشرية كان، في ظني، هو أن يرتجف. ساعده حبه لسقراط على قمع ارتجافه. كان سقراط، بالنسبة له، وسيلةً للتصالح مع الحياة البشرية، بتشوهاتها الناتجة من تناقضاتها القبيحة. سقراط، الذي كان إنسانًا جدًا - كما ناضل أفلاطون ليُبيّن لنا - هو نفسه جسّد هذه التناقضات. بسبب وجود رجل مثل سقراط، تمكن أفلاطون من إقناع نفسه بأن حياة الإنسان تستحق الاهتمام. لكنني أشك أنه كان في حاجة إلى إقناع.

من خلال أسلوبه في الكتابة، خلق أفلاطون مخاضه من الارتباك التأويلي. لكنه أنشأ الفلسفة كذلك كنصب حي لسقراط. كلمة «فلسفة» تتضمن بداخلها كلمة الحب. إذ تُترجم إلى حب الحكمة، حب الحكمة هو نوع من الحب اللاشخصي. لذلك من الجدير بالذكر أن الحبّ الشخصي للغاية - حب أفلاطون لسقراط - كان يجد لنفسه تصريفًا في نفس الرجل الذي ابتكر الفلسفة التي نعرفها.

يضيف كل هذا عنصرًا من التناقض إلى الأسلوب الذي كتب به أفلاطون، خاصة عند الأخذ بالاعتبار ما قاله عن الحب الفلسفي الذي يحل محل الحب الشخصي (مصدر المفهوم المغلوط لدينا عن «الحبِ الأفلاطوني»). لكن حتى هذا التوتر يُوظَّف فلسفيًا. يُبدي أفلاطون قلقه من الكثير من الأخطار التي قد تزلُّ بتفكيرنا، وأحد هذه الأخطار هو أن تفكيرنا قد يصبح انعكاسيًا للغاية وراضيًا عن ذاته. كان يهدف إلى منع تفكيرنا من أن ينزلق إلى النزق، ولهذه الغاية فهو لا ينفر أبدًا من الآثار

(16) ظهر سقراط كثيرًا في الأعمال الدرامية لمعاصريه الأثينيين، وعلى الأخص في أعمال الكاتب المسرحي الكوميدي أريستوفانيس، لكن أيضًا عند الكتاب الهزليين الآخرين الذين لم تنج أعمالهم. أظهر أريستوفانيس شخصية سقراط في ثلاث من مسرحياته الباقية: **الغيوم والضفادع والطيور**. احتلت **الغيوم** المرتبة الثالثة في المهرجان الأدبي الأثيني عام 423 قبل الميلاد، خلف مسرحية أخرى ظهر فيها سقراط حافي القدمين. على الرغم من تعرض شخصيته للسخرية بلا رحمة - في **الغيوم** يتدلى من سلة معلقة في الهواء ويلقي خطبًا مدهشة الغرابة، وسخافات حول كيفية تجنب المرء سداد ديونه ويحث الشباب على ضرب آبائهم الجهلة حتى يخضعوا للفلسفة - يقال إن سقراط نفسه كان يعد سوء سمعته ذلك متعة حسنة. في كتابه الأخلاق أو الموراليا، نقل بلوتارخ، الفيلسوف والمؤرخ الذي عاش القرن الأول بعد الميلاد، عن سقراط قوله: "عندما يلقون نكتة عني على المسرح، أشعر كما لو كنت في جمع من الأصدقاء الجيدين".

المزعزعة التي ينتجها التناقض.

تتناوب الفصول التفسيرية في هذا الكتاب مع المحاورات المستقدمة من الماضي والتي يكون أفلاطون حاضرًا فيها، وتتناول أسئلتنا المعاصرة التي تعد امتدادًا للأسئلة التي أثارها هو نفسه لأول مرة. ترتبط الأسئلة في كل حوار بالأسئلة التي نثيرها في الفصل التفسيري السابق مباشرة.

وهي محاورات، بالمعنى الحرفي للكلمة، منبتّةٌ عن زمانها. ولكن هناك طريقة يمكن النظر بها إلى المحاورات التي كتبها أفلاطون على أنها هي أيضًا محاورات مُنبتَّة عن زمانها. فهي تنتزع الإنسان من الزمن، الأمر الذي يعتقد أفلاطون أنه من واجبات الفلسفة. في **فيدون**، التي تعرض موت سقراط، يُعبّر أفلاطون عن انفصال الفيلسوف عن زمانه بهذه الطريقة الدراماتيكية: **أن تتفلسف هو أن تستعد للموت.** (من الغريب أن أقسام الفلسفة قد توانت عن تحويل تلك الجملة إلى شعار يحفز الطلبة على الالتحاق بها).

عندما كنت طفلةً كنت مدمنةً على كتب الخيال العلمي، وكانت أفضل الكتب لدي هي التي تطلب من القارئ قبول فرضية واحدة غير معقولة، ومن ثم يصبح كل شيء بعدها منطقيًا. وهذا ما تطلبه المحاورات في هذا الكتاب من القارئ. ما عليك سوى قبول الفرضية غير المنطقية بأن أفلاطون يمكن أن يظهر في أمريكا في القرن الحادي والعشرين، ككاتب في جولة يروج لكتابه، ومن ثم يصبح كل شيء بعدها، كما آمل، منطقيًا. لذا، ها هو في المقر الرئيسي لشركة غوغل، في ماونتن فيو، كاليفورنيا، يناقش مع مرافقته الإعلامية ومهندس برمجيات ما إذا كان التعهيد الجماعي قادرًا على الإجابة على جميع الأسئلة الأخلاقية المثارة بشأنه. وها هو عضو في لجنة من خبراء التربية في مانهاتن، تضم محللًا نفسيًا و «أمًا نَمِرة»[17]، يناقشون مسألة كيفية تربية الطفل حتى يصبح إنسانًا لامعًا. وها هو يساعد كاتبة عمود نصائح حول بعض الأسئلة المخاتلة المتعلقة بالحب والجنس ويكشف عن ضحالة مفهومنا

(17) النموذج النمطي للأم النمرة هو أم صينية تدفع طفلها بلا هوادة إلى الدراسة بجدية، مما يضر بالنمو الاجتماعي والبدني للطفل وسلامته النفسية. (المترجم)

عن «الحب الأفلاطوني». وها هو يظهر على قناة إخبارية ويناقش مع المحاور الهجومي ما إذا كان للمنطق أي دور مفيد يلعبه في حياتنا الأخلاقية والسياسية. وها هو في مختبر علم الأعصاب الإدراكي في جامعة مرموقة، يتطوع لتصوير مخه، ويناقش مع اثنين من العلماء ما إذا كان بالإمكان حل مسائل الإرادة الحرة والهوية الشخصية عن طريق التصوير الدماغي.

بقدر ما أستطيع، أنسج فقرات من كتاباته في المحاورات التي أجراها مع معاصرينا، مع ذكر الاستشهادات. تبدو كلماته طبيعية في الحوارات التي تكون مألوفة للقارئ، وهذا شهادة على الأهمية المدهشة التي لا يزال يتمتع بها - ولكن ليس لأن حدسه دائمًا ما يبدو صادقًا بالنسبة لنا. تنبع أهميته بصورة كبيرة من الأسئلة التي طرحها ومن إصراره على أنه لا يمكن حلها بسهولة بالطرق التي يفكر بها الناس عادةً. إحدى السمات الغريبة للأسئلة الفلسفية هي مدى حرص الناس على تقديم حلول لها لا تدرك المغزى من الأسئلة بالأساس. أحيانًا تكون هذه الحلول الفاشلة علميةً، وأحيانًا تكون دينيةً، وأحيانًا تستند إلى ما يسمى الحس العام. وضع أفلاطون مجموعة من التفنيدات الأكثر حسمًا للإجابات غير الواعية على الأسئلة الفلسفية، ويمكن للمرء (وأنا أفعل ذلك) أن يضمنها بسلاسة في الحوارات التي أجراها مع علماء الأعصاب ومهندسي البرمجيات، ناهيك عن مذيع أخبار متعجرف. لكنني نادرًا ما أُجري الإجابات على لسانه، وأعتقد أن هذا ينطبق على الرجل. الشيء الذي يميز أفلاطون هو أنه نادرًا ما يُقدِّم نفسه كشخصٍ بوسعه إعطاءنا الإجابات النهائية. لقد أصر على تمرد الأسئلة في مواجهة المحاولات السطحية لتنحيتها. عبقريته في صياغة الحجج المضادة للاختزال هي ذاتها العبقرية التي مكنته من إقامة مجال الفلسفة كما نعرفه.

أُقدم شخصيته في هذا الكتاب كمتعلمٍ سريع، لأنَّ لديه الكثير ليستوعبه، في الأخلاق - ماذا، ألم يعد هناك عبيد؟ - وكذلك في العلوم والتكنولوجيا. وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الحال إذا كان المجال الذي أنشأه قد أحرز تقدمًا من بعده. أحد الادعاءات الكبيرة في هذا الكتاب - وهي نقطةٌ محل خلاف - هي أن الفلسفة قد

أحرزت تقدمًا، وأن تقدمها يتجاوز طاولة النقاش. في حواره في مقر غوغل، تمطره مرافقته الإعلامية، وهي امرأة ذات عقلية عملية لا تهتم لقيمة الحياة القائمة على التساؤل، بعدد من البديهيات الأخلاقية التي تعتبرها من المسلمات - والتي لم يحلم بها أبدًا - رغم أنه يفهم مغزاها على الفور.

إذا كان هناك شيء من قبيل التقدم الفلسفي، فلماذا - على عكس التقدم العلمي - هو غير مرئي؟ وهذا سؤال يلازمنا طوال الكتاب، في الفصول التفسيرية وكذلك في المحاورات. تقدم دراسة أفلاطون - المسائل التي لا يزال فيها معنا والمسائل التي تركناه فيها خلفنا - إجابة عن هذا السؤال. التقدم الفلسفي غير مرئي لأنه منسوج في وجهات نظرنا. ما توصلت إليه الفلسفة بالحجة المعقدة المتعرجة يصبح حدسًا مشتركًا ينتشر على نطاق واسع، يصبح من البداهة بحيث ننسى من أين جاءنا، لا نراه، لأننا نرى به.

α (ألفا)

أفلاطون على طاولة النقاش الفلسفي

وُلد أفلاطون في أثينا القديمة في شهر ثارجليون (مايو - يونيو) من السنة الأولى من الأولمبياد الثامن والثمانين، ما يجعلها، في تقديرنا، سنة 428 أو 427 قبل الميلاد، وتوفي بعدها بثمانين أو واحد وثمانين سنة. ينفيه قِدَمه إلى زمنٍ وإحساسٍ جادل البعض أنه لا سبيل إلى استعادتها. لكن، رغم هذه المسافة التاريخية، يمكن لأفلاطون أن يدخل إلى أية محاضرة تقريبًا للدراسات العليا في الفلسفة، وأن يجد لنفسه مكانًا على الطاولة البيضاوية التي تُلقى حولها التجريدات والاختلافات جزافًا، وأن يفهم ما يقال سريعًا.

أولًا، لن يجد أفلاطون صعوبة كبيرة في التعرف على التقنيات المستخدمة: عملية إنشاء الحجج الشاقة ومن ثم تفكيكها، التدقيق المكثّف في البديهيات، واستنباط تبعاتها وهمزِها وجسها بحثًا عن التناقضات وغيرها من النتائج غير المرحب بها، طرح الأمثلة المضادة في مواجهة التعميمات المقترحة، المحاولات اللانهائية لفهم المصطلحات المراوغة لفصل المفاهيم المتعددة التي تختلط تحت التعبيرات الواحدة.

ثم هناك التجارب الفكرية التي كثيرًا ما تُصاغ بمصطلحات خيالية جامحة: لنفترض أنه في مكان ما من الكون يوجد كوكب يشبه كوكبنا تمامًا - ولنسمِّه توأم الأرض - وهو نسخة لكل شيء وكل شخص على الأرض جزيئًا فجزيئًا، مع استثناء واحد فقط. لديهم شيء يشبه الماء ويتصرف مثله تمامًا، لكنه ليس H_2O. إنه شيء ذا تركيب كيميائي مختلف تمامًا؛ ولنسمِّهِ XYZ. ونحن نتحدث هنا عن بضع مئات من

السنين مضت، لذلك لا يمكن للعلماء على الأرض وتوأم الأرض معرفة التراكيب الكيميائية. يستخدم كل من أبناء الأرض وتوأم الأرض كلمة «ماء»، وعلى حد علمهم، كل ما يدور في رؤوسهم عندما يستخدمون كلمة «ماء»، فإنها تعني ذات الشيء على الأرض وعلى توأم الأرض. لكن هل تعني الكلمة *بالفعل* ذات الشيء، وإذا لم تكن كذلك، ألا يثبت ذلك أن المعاني ليست في عقولنا؟[18]

أو ربما تكون أخلاقيات الإجهاض هي القضية المطروحة، ويقترح شخص ما، يريد أن يجد حلًا نهائيًا لكامل السؤال العصيّ حول ما إذا كان الجنين إنسانًا أم لا، التجربة الفكرية التالية: تستيقظ في سريرٍ في المستشفى وتجد نفسك متصلًا جراحيًا بعازف كمانٍ مشهور. يخبرونك أنك، وحدك، بسبب التطابق المثاليّ بينكما، القادر على إبقائه حيًا لمدة تسعة أشهر يحتاجها حتى يكون قادرًا على الحياة بمفرده. ليس هناك شك في أنكما كلاكما إنسانين، وأنه شخص مهم. لكن مع ذلك، هل عليك التزام أخلاقي بتعليق حياتك والبقاء مرتبطًا به جراحيًا؟[19] .

أذكرُ هذه التجارب الفكرية المعاصرة الشهيرة ليس من أجل تأييدها بطريقة أو بأخرى، لكن ببساطة كأمثلة لما يحدث غالبًا حول طاولة النقاشات في الفلسفة. النقطة التي أريد أن أصل إليها هي أنه على الرغم من أن السيناريوهات ستكون غريبة على أفلاطون، فإن الأساليب التي يستخدمها المتنازعون حول الطاولة ستكون مألوفة لديه إلى حد كبير. كان أفلاطون نفسه خبيرًا في تأليف تجارب فكرية مضادة متقنة[20]، ويمكننا أن نتوقع أن يدخل أفلاطون سريعًا في المعركة الفلسفية، ولا شك

(18) طُرحت هذه التجربة الفكرية لأول مرة في ورقة قدمتها هيلاري بوتنام، "معنى المعنى" (1975)، في *Philosophical Papers,* vol. 2, *Mind, Language and Reality* (Cambridge: Cambridge University Press, 1975).

استخدمت بوتنام هذه التجربة الفكرية للدفاع عن أطروحة تسمى "الخارجية الدلالية"، ونعني أن المعاني ليست فقط مسألة ما يدور في العقل، الاستنتاج الذي يُرجح جدًا أن يتعاطف معه أفلاطون.

(19) قدمت جوديث جارفيس طومسون هذه التجربة الفكرية لأول مرة في "دفاع عن الإجهاض،"
Philosophy and Public Affairs 1, no. 1 (Autumn 1971): 47–66.

(20) انظر، على سبيل المثال، تجربة خاتم جايجس، التي نناقشها في الفصل جاما γ. يمكن اعتبار حتى أسطورة الكهف الشهيرة تجربةً فكريةً، مصممة لاستكشاف الالتزامات الأخلاقية على الشخص الذي

أنه سيسيطر على الطاولة قبل أن تتواصل الحلقة الدراسية.

وليست التقنيات وحدها هي التي ستمنح أفلاطون هذا الشعور المميز بالألفة. تعود الكثير من الأسئلة التي تُطرح حول الطاولة إلى أفلاطون. النسبية الاخلاقية؟ هل تريد أن تخبرني أن الناس ما زالوا يتجادلون حول ما إذا كانت هناك أية حقائق موضوعية تخص الصواب والخطأ أو ما إذا كانت كلها نسبية في ثقافات معينة، لذلك، مثلًا، في مدينة إسبرطة المنظمة عسكريًا، المجتمع الذي أُعجبت به من نواحٍ عدة بالفعل، فإن قتل الرضّع السقام غير الواعدين، الذين لن يؤدي بقاؤهم إلا إلى استنزاف موارد الدولة دون رد الإسهام لها، هو التزام أخلاقي، بينما في المجتمعات الأخرى، ربما الأقل في صرامتها العقلانية والأكثر إذعانًا للعاطفة، قتل الأطفال مجرّم أخلاقيًا؟ بحق زيوس!، لقد قتلنا تلك النسبية الأخلاقية بحثًا مع السفسطائيين حتى تعفنت قبل حتى أن يكون الإسكندر الأكبر بريقًا في عيون فيليب وأوليمبياس![21]

أو لنفرض أن السؤال المطروح على الطاولة هو «ما هو مستوى الوصف المناسب لتفسير فعل شخص ما؟» ودعونا نقول- لشحن المحادثة الدائرة حول الطاولة أكثر- أن الفعل قيد المناقشة، من النوع الذي يجعل ذلك الشخص إما مذنبًا أو بريئًا حيال ارتكاب جريمة من نوع ما. هل المستوى الصحيح من الوصف هو حالة الدماغ قبل وأثناء الفعل؟ أم أن الوصف المناسب هو الذي يعرِضُ الفعل كتعبير عن شخصية الإنسان، ويُضمّن الفعل في سرد أكثرِ شمولًا لمن هو هذا الشخص؟ وعلى الرغم من أن المصطلحات الجسدية المهمة ستكون جديدة على أفلاطون - الفص

يمتلك معرفة قد تكون مفيدة للآخرين على الرغم من وجود أسباب تجعله يظن أنهم سيرفضونه ويرفضونها بعنف. انظر الفصل ثيتا θ.

(21) انظر، على سبيل المثال، تفكيك أفلاطون لإعلان بروتاغوراس أن "الإنسان هو مقياس كل الأشياء،" في: *Theaetetus,* 152a–172d and 177c–179b; and *Protagoras* 320c–327c, 329c–d, and 356c–357b.

تقوض محاورة بروتاغوراس النسبية الأخلاقية لبروتاغوراس، في حين تنتقد ثياتيتوس الأسس المعرفية للنسبية.

الجبهي والتقاطع الصدغي الجداري الأيمن، واللوزة والدوبامين[22] - فإن الفكرة الفلسفية العامة لن تكون غريبة عليه، إذ يركز الحديث حول الطاولة على «الفجوة التفسيرية» بين الوصفين العصبي والسردي. في النهاية، بوسع أفلاطون أن يدعي أنه هو من صاغ لأول مرة شيئًا من قَبيل هذه الفجوة التفسيرية عندما ناقش تفسير قرار سقراط بالبقاء في السجن بدلًا من الفرار لإنقاذ حياته.[23]

أو لنفترض أن موضوع المحادثة حول طاولة الدرس يتعلق بها إذا كانت الكيانات المجردة، مثل الأرقام، موجودة بالفعل. يثبت علماء الرياضيات جميع أنواع الحقائق التي تتعلق بالأرقام؛ الحقائق التي كثيرًا ما تؤكد وجود أرقام معينة (على سبيل المثال، بين أي رقمين منطقيين، يوجد رقم منطقي) وأحيانًا عدم وجود أرقام معينة (على سبيل المثال، لا يوجد رقم هو أكبر عدد أولي). لكن إلى ماذا يرقى هذا الحديث عن الوجود الرياضي؟ هل حقًا تتعامل هذه البراهين مع الوجود بنفس الطريقة التي توجد بها الطاولات والكراسي، والقمر والشمس، وأنت وأنا؟ أو أن الوجود الرياضي شيء مثل القول بأن حركة معينة توجد في لعبة الشطرنج - مثلًا، عندما يتحرك بيدق إلى الجهة الأخرى عبر الرقعة إلى مربع في الصف الخلفي للخصم ويمكن استبداله بأية قطعة، وليس فقط قطعة أسرها خصمك، ما يمكن أن يؤدي إلى وجود ملكتين معك على الرقعة مثلًا؟ هل هذا ما يرقى إليه الوجود الرياضي، كونه ببساطة النتيجة المنطقية للقواعد المنصوصة؟ أم أن الوجود المؤكد عليه في هذه البراهين يشبه الوجود في العوالم الخيالية، حيث لا تقل صحة حقيقة أن هاملت ولد في الدنمارك عن صحة حقيقة أن هاملت، الشخصية الخيالية بالكامل، لم يولد مطلقًا؟

عندما يكون الموضوع هو الوجود الرياضي، سيكون أفلاطون مسرورًا (أو ربما محرجًا) بمدى أهمية اسمه في الجدل الدائر حول طاولة النقاش. سوف تكون

---

(22) اللوزة العصبية في الدماغ، ذات وظائف عدة تتعلق بالذاكرة والسلوك. الدوبامين هو ناقل كيميائي في المخ. (المترجم)

(23) فيدون (98c–99b). انظر الفصل إيوتا ι، "أفلاطون في جهاز الرنين المغناطيسي،" حيث يناقش أفلاطون هذه الفكرة مع عالمي أعصاب.

المصطلحات الدقيقة لهذه الحجج غير مألوفة عنده - وستسرد النتائج الرياضية الجديدة تأييدًا ومعارضةً - لكن مسألة «الأفلاطونية الرياضية» ستكون في المقدمة وفي المركز. في الأسبوع الماضي فقط، أرسل لي أحد المعارف رسالة بريد إلكتروني يطلعني على المستجدات وأضاف هذا التذييل: «هذا الخريف جلست في حلقة نقاش حول النماذج ذات القيمة البوليانية التي تفرض امتداداتٍ للمجتمعات في نظرية المجموعات.» ثم سرد أسماء علماء الرياضيات والمنطق الحاضرين، كوكبة لامعة، وتابع: «أشياء صعبة للغاية، لكنها جميلة جدًا. كان الجدل محتدمًا حول الأفلاطونية طوال الوقت.»

نعم هذا صحيح. لا تزال نسبة معينة من تلك الأسئلة التي تدور في ندوة الفلسفة العابرة للألفيات، والتي لا يزال المشاركون يبذلون فيها كل ما لديهم، كان أفلاطون هو أول من طرحها - وكثيرًا ما كان أفلاطون هو أول من وصل إلى «كل ما لديهم»، أيضًا. سيشعر أفلاطون براحة كبيرة وهو جالس على طاولة النقاش الفلسفية ما مكن **ألفريد نورث وايتهيد** من كتابة جملته الشهيرة، «التوصيف العام الأسلم للتقاليد الفلسفية الأوروبية هو أنها عبارة عن سلسلة من الهوامش على أفلاطون».[24]

من يميلون إلى رفض الفلسفة - ومنهم بعض أفضل أصدقائي - قد يرون في مدح وايتهيد لأفلاطون سخرية مصوّبةً بعناية نحو الفلسفة. فكرة أن يونانيًا قديمًا لا يزال بإمكانه أن يحظى بأهمية معاصرة، ناهيك عن التفوق الذي ادعاه له وايتهيد، لا تعد ثناءً على معدل التقدم في هذا المجال. بالطبع، لن يوافق جميع الفلاسفة على «التوصيف العام الأسلم للتقاليد الفلسفية الأوروبية» لوايتهيد. لكن هذا الافتقار إلى الاتفاق في حد ذاته يعزز اتهام الساخرين من الفلسفة بأن الفلسفة لا يمكنها أبدًا

(24) ألفريد نورث وايتهيد (1861–1947) هو فيلسوف وعالم رياضيات بريطاني بارز، تعاون مع برتراند راسل في كتاب مبادئ الرياضيات الضخم، وهو عمل يهدف إلى تفسير الأسس المنطقية الصارمة للرياضيات، ونجح جدًا في ذلك لدرجة أنه احتاج إلى مجلدين عظيمين للوصول إلى نقطة القدرة على إثبات أن 1 + 1 = 2. تُرك المشروع بعد المجلد الثالث، عندما كان كيرت جودل قد أثبت أنه لا يمكن، من حيث المبدأ، أن يكتمل. الاقتباس أعلاه من Whitehead's Process and Reality) New York: Free Press، 1979)، p. 39.

أن تصل إلى أي شيء.

السبب في أن بعض أصدقائي المقربين هم من الساخرين بالفلسفة هو أن العديد من أصدقائي المقربين علماء. ولا أقصد التأكيد هنا على أن غالبية العلماء مُعادون للفلسفة. لقد عرفتُ علماء متميزين في الفلسفة. لكن ثمة، في جزء كبير من الثقافة العلمية، تحيز راسخ ضد الفلسفة يجعل الناس، مثلما إلى حد كبير في التحيزات الأخرى، يعبرون عرضيًا عن تحيزهم دون حتى أن يدركوا أنهم يفعلون ذلك. أقتبس هنا من مثال عشوائي لا يزال حاضرًا في ذهني، كنت قرأته هذا الصباح في مادة قصيرة في مجلة ساينس يتحدث عن البحث عن «الكواكب المعتدلة»، تلك التي ليست شديدة الحرارة ولا شديدة البرودة لتناسب الحياة: «فقط قبل عقدين، كان معظم الناس يعتبرون مسألة الحياة في أي مكان آخر من الكون موضوعًا هامشيًا، يلائم الفلسفة أكثر من البحث العلمي.»[25]

إن المساواة العرضية بين الفلسفة والموضوعات الهامشية، والتي يجري تأملها تأملًا فارغًا، يمكن أن تمر دون ملاحظة في الأوساط العلمية. مثل معظم التحيزات، لا يجري تبرير هذا التحيز عادةً، على الرغم من أن ذلك يحدث في بعض الأحيان. أحيانًا يكون العالِمُ على استعداد للوقوف والدفاع بشجاعة عن الادعاء بأن الفلسفة لا قيمة لها. يقول لورانس كراوس، عالم الكونيات ومؤلف كتب العلوم الشعبية، في مقابلة معه: «كانت الفلسفة يومًا مجالًا ذا محتوىً، ثم أصبحت ' الفلسفة الطبيعية 'فيزياء، ووحدها الفيزياء واصلت تحقيق التقدم. الفلسفة مجال يذكرني، للأسف، بنكتة وودي ألن القديمة، ' من لا يستطيعون الفعل يدرّسون، ومن لا يستطيعون التدريس، يدرّسون الألعاب الرياضية'. وأسوأ جزء في الفلسفة هو فلسفة العلم؛ لا يقرأ أعمال فلاسفة العلم، على حد علمي، إلا فلاسفة علم آخرون. ليس لها أي تأثير على الفيزياء على الإطلاق، وأشك في أن الفلاسفة الآخرين يقرأونها

(25) Yudhijit Bhattacharjee, "A Distant Glimpse of Alien Life?" *Science* 333, no. 6045, (August 19, 2011): 930–932.

لأنها تقنية جدًا. ولذا من الصعب حقًا فهم ما يبرر وجودها. ولذا أقول إن هذا التوتر بين الفلسفة والعلم يحدث لأن الفلاسفة يشعرون بالتهديد، ولهم كل الحق في الشعور بالتهديد، لأن العلم يتقدم والفلسفة لا تتقدم.»[26]

هناك أشياءُ كثيرة يمكن للمرء أن يقولها ردًا على هذا الموقف. في البداية، بوسع المرء أن يشير إلى أن هذا الموقف يفترض مسبقًا أن لدينا معيارًا واضحًا للتمييز بين النظرتين العلمية وغير العلمية للعالم. عند الضغط عليهم لذكر المعيار اللازم، يعود العلماء أوتوماتيكيًا إلى فكرة «القابلية للتكذيب»[27] التي قدمها لأول مرة **كارل بوبر**. وماذا كانت مهنة كارل بوبر؟ فيلسوف. يَفترض موقف كروس المسبق أيضًا أن مجالات مثل نظرية المجال الكمي النسبي (النظرية ذاتها، التي يقول كروس، إنها تساعد في جعل الفلسفة شيئًا من الماضي) تقدم لنا وصفًا للواقع المادي، على الرغم من أنها تستخدم المفاهيم التي تشير (إذا كانت تشير) إلى حالات وكيانات غير قابلة للرصد، مثل، على سبيل المثال غير العشوائي؛ الحقول الكمية النسبية. وجهة النظر القائلة بأن الكيانات الغريبة المتخيلة في نماذج الفيزياء النظرية، على الرغم من كونها غير قابلة للملاحظة، هي مع ذلك حقيقية (إذا كانت النظرية المعنية صحيحة) تُعرف باسم «الواقعية العلمية» – وهي ادعاء فلسفي جوهري، تقابله وجهة نظر تُعرف باسم «الذرائعية العلمية،» وفقًا لها تعد نظريات مثل نظرية المجال الكمي النسبي هي مجرد أدوات للتنبؤ بالملاحظات وليست تمثل أية أشياء حقيقية موجودة في العالم. من وجهة النظر هذه، لا يقدم نجاح نظرية المجال الكمي النسبي أي سبب للاعتقاد بوجود شيء من قَبيل مجال الكم النسبي.

يُفترض أن الفيزيائيين يهتمون بالسؤال «الفلسفي» حول ما إذا كانوا يتحدثون بالفعل عن أي شيء آخر غير الملاحظات عندما ينتجون علومهم. وبالفعل، الذرائعية العلمية ليست بأي حال من الأحوال لعبة مفاهيمية أُنشئت من أجل أن

(26) Ross Anderson, "Has Physics Made Philosophy and Religion Obsolete?" interview with Lawrence Krauss, *The Atlantic*, April 23, 2012.

(27) أو قاعدة الدحض. (المترجم)

يتلهى بها الفلاسفة. وجهة النظر هذه ذاتها صاغها الفيزيائي **بيير دوهيم** لأول مرة في شكلها الكامل[28]، وقد ناصر العديد من الفيزيائيين، بما في ذلك **نيلز بور**، أحد رواد منظري ميكانيكا الكم، الذرائعية، ودافِعهم في ذلك غالبًا هو غرابة ميكانيكا الكم، والتي تضع حواجز صعبة أمام التفسيرات الواقعية المباشرة[29]؛ (يمكن للتفسير الواقعي أن ينتج نسخًا من الواقع أكثر بكثير مما كان يراهن عليه المرء – ما يسمى بالأكوان المتعددة مثلًا.)[30] كانت الغرابة «الكمومية» هي سبب **بور** للدفاع عن الذرائعية. ربما ليس من المستغرب أن يختلف علماء الفيزياء الآخرون، وعندما يختلفون، فإنهم يتخطون مجال العلوم النظرية ويغوصون مباشرةً في فلسفة العلم. ما يختلفون بشأنه هو السؤال عما يفعلونه بالضبط عندما ينتجون علومهم. هل يشحذون أدواتهم للمراقبة أو أنهم يكتشفون وجوهًا جديدة للواقع؟

كل هذا لقول إنه لا يمكن للمرء أن ينسب للعلم تلك الادعاءات التي يقول بها العديد من المتهكمين بالفلسفة دون الاعتماد بشدة على ادعاءاتٍ – مثل معيارِ قابلية البيانات العلمية للتكذيب، أو افتراض الواقعية العلمية – لا تنتمي للفلسفة

(28) Pierre Duhem, *The Aim and Structure of Physical Theory* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1954).

(29) Jan Faye, "Copenhagen Interpretation of Quantum Mechanics," *Stanford Encyclopedia of Philosophy*, ed. Edward N. Zalta (Fall 2008 edition). http://plato.stanford.edu/archives/fall2008/entries/qm-copenhagen/.

(30) طالع تفسير العوالم المتعددة لميكانيكا الكم الذي اقترحه لأول مرة هيو إيفريت في أطروحته عام 1957 لنيل درجة الدكتوراه في جامعة برينستون. ويعد الآن، في أشكاله المتعددة، واحدًا من التفسيرات السائدة لميكانيكا الكم، جنبًا إلى جنب مع تفسير بور. وفقًا لتفسير العوالم المتعددة، فإن كل الاحتمالات المتمثلة في فضاء تكوين الأحداث الكمومية تتحقق في عوالم أخرى غير عالمنا. يتألف الواقع إذًا من "كونٍ متعدد" تتحقق فيه كل الاحتمالات. دافيد دويتش، وهو من المؤيدين، يقول إنه فيما يتعلق بالكون المتعدد، فإن التمييز بين الحقيقة والخيال يعد شيئًا وهميًا. انظر كتابه بداية اللانهاية: التفسيرات التي تغير العالم (نيويورك: بينجوين، 2012)، ص. 294. هيو إيفريت، الذي توفي في هذا العالم في عام 1982، زُعم أنه يعتقد، على أساس تفسيره لميكانيكا الكم، في خلوده. للأسف، كتبت ابنته، التي انتحرت في سن التاسعة والثلاثين، في الرسالة التي تركتها أنها ذاهبة إلى والدها في عالم موازٍ. انظر:

Eugene Shikhovtsev, Biographical Sketch of Hugh Everett, III (2003), http://space.mit.edu/home/tegmark/everett/everett.html.

فحسب، بل لذلك «الجزء الأسوأ من الفلسفة»، فلسفة العلم.[31] لذلك إذا كانت الفلسفة لا تمثل إلا القليل من الأهمية كما يدعي كراوس، إذا لم تكن هناك طريقة لإحراز تقدمٍ في المعرفة الفلسفية، إذًا فهذه مشكلة خطيرة بالنسبة لفيزيائي مثل كراوس مثلما هي مشكلة لمن يسمون أنفسهم فلاسفة.

يذكر كراوس نكتة وودي آلن القديمة، لكنني أتذكر نكتة أخرى:

بعد عمر من العمل الشاق والحظ السيئ، يربح جيك صفقة كبيرة في سوق الأوراق المالية ويشتري فيلا لنفسه ولزوجته لأربعين عام، ميمي، في منطقة عقارات ممتازة على شاطئ ميامي. في الليلة الأولى التي استقروا فيها، خرج هو وميمي إلى الفناء للاستمتاع بمنظر المحيط الأطلسي، لكن يكتشف جيك أنه محجوب بأشجار جيرانهم. تقول ميمي، لا بأس، في محاولة لتهدئة زوجها سريع الانفعال، لكنّ جيك يتصل مباشرة بالجيران، وبعد جدال مكثف، اتفقوا على أنه إذا دفع التكاليف، فسوف يقصون رؤوس الأشجار. بعد الانتهاء من التشذيب، اتخذ جيك وميمي موقعهما في ذلك المساء في الشرفة. لكن للأسف، لا تزال الأشجار المشذبة تعترض الرؤية. اتصل جيك بالجيران، مطالبًا بضرورة قطع الأشجار، حتى الجذور، لكن هذه المرة يرفض الجيران. هذا كافٍ!، سُمعت ميمي وهي تتوسل حزينة في الخلفية، لكن جيك المصمم أنه وميمي سيحصلان على الإطلالة التي يستحقانها على سنواتها في التقتير والادّخار، يعرض شراء الفيلا المجاورة بسعرٍ مبالغ. يوافق الجيران على

(31) هذا لا يعني الزعم بأن علماء الفيزياء، عندما يقصرون أنفسهم على ممارسة الفيزياء، يحتاجون إلى معرفة أي شيء عن فلسفة العلم، أكثر مما يحتاجون إليه لمعرفة تاريخ العلم. يقول ريتشارد فاينمان ساخرًا: "فلسفة العلم مفيدة للعلماء بقدر فائدة علم الطيور للطيور". ومع ذلك، وجنبًا إلى سخرية فاينمان، يمكننا أن نضع وجهة نظر أينشتاين المخالفة في رده على روبرت ثورنتون، الأستاذ الشاب الذي أراد تقديم "أكبر قدر ممكن من فلسفة العلم" في دورة الفيزياء الحديثة التي كان يدرّسها وكتب إلى أينشتاين للحصول على الدعم: "أنا أتفق معك تمامًا. الكثير من الناس اليوم - وحتى العلماء المحترفين - يبدون لي مثل شخص رأى آلاف الأشجار ولكنه لم يرَ غابة من قبل. تمنح المعرفة بالخلفية التاريخية والفلسفية العالِم ذلك النوع من الاستقلال عن تحيزات جيله التي يعاني منها معظم العلماء. هذا الاستقلال الذي تخلقه البصيرة الفلسفية هو - في رأيي - علامة على التمييز بين مجرد الحِرفي أو الاختصاصي والباحث الحقيقي عن الحقيقة". أينشتاين إلى ثورنتون، 7 ديسمبر 1944؛
Einstein Archive control index 61-573.

الفور، وبمجرد توقيع الأوراق، يقطع جيك الأشجار المتعدّية. يقول جيك لميمي في ذلك المساء، وهما يجلسان في الشرفة يشربان أمام إطلالة على المحيط الأطلسي لا يعوقها شيء، «أتعلمين، هناك بعض الأشياء التي لا يمكن شراؤها بالمال.» مثلُ جيك، لا يضع بعض المتهكمين بالفلسفة في اعتبارهم كل الأموال الفلسفية التي يتعين عليهم إنفاقها من أجل إثبات وجهة نظرهم.

لكن مع ذلك، حتى لو لم يستطع أكثر الساخرين من الفلسفة تطرفًا تجنب الاعتماد على القليل من الفلسفة، فلسفة بوبر أو غيرها، أليست هناك بعض المصداقية في تهمة أن «العلم يتقدم ولا تتقدم الفلسفة»؟ في النهاية، إذا كان أفلاطون، الرجل الذي أعرب عن مخاوفَ بشأن تلك التكنولوجيا الجديدة المتمثلة في التدوين[32]، لا يزال يجد لنفسه مكانًا على طاولة الفلسفة، ألا يُلقي هذا بظلال غير تقدمية للغاية على المجال ككل؟

لن يعلن أيّ فيزيائيّ يحترِمُ نفسه أن الفيزياء كلها تتكون من سلسلة من الهوامش لديموقريطس، على الرغم من أن ذلك اليوناني، الأقدم قليلًا حتى من أفلاطون، لم يتمكن من تصور الذرة فحسب، بل وضع لها اسمًا.[33] ولن يصف أي عالم أحياءٍ مجاله بأنه مجرد هوامش لأرسطو، على الرغم من أن أرسطو، ببصيرةٍ ما قبل علمية، وضع أول تصنيف لمملكة الحيوان. لماذا لا يتمتع هؤلاء القدماء الآخرون في تلك

---

(32) طالع محاورة فيدروس، 274d–276b. كان أفلاطون قلقًا من أن التدوين سيحل محلّ التعلم الحقيقي. كانت المعرفة المفاهيمية هي التي ركز عليها، وكان قلقًا من أن الكتابة ستقوض الإحساس بما يعنيه حقًا إتقان هذه المعرفة. يعني إتقانها تغيير جوهر عقل المرء؛ لذلك، ما الحاجة إلى كتابتها؟ أخبرني بعض الأساتذة أنهم يتذكرون شكوك أفلاطون بشأن الكتابة عندما يسألهم أحد الطلاب عن الهدف من تعلم فكرة ما عندما يمكن الوصول إليها من على الإنترنت متى دعت الحاجة.

(33) كلمة "ذرة" تعني "غير قابل للتجزئة" في اليونانية القديمة. قال ديموقريطس، الذي تأثر بمعلمه لوسيبوس إلى الحد الذي يصعب معه التمييز بينهما، إن الواقع، بما في ذلك نحن، يتكون من ذرات تدور في الفراغ اللامتناهي. "قالوا إن العناصر الأولية لا حصر لها في العدد، واعتقدوا أنها ذرات غير قابلة للتجزئة ولا يمكن المرور من خلالها بسبب كثافتها، وبدون أي فراغ فيها؛ تأتي القابلية للتجزئة بسبب الفراغات في الأجسام المركبة". هذا من كلام سمبلسيوس القلقيلي (242، 18). عاش سمبليسيوس في أوائل القرن السادس بعد الميلاد وكان أحد آخر الفلاسفة الوثنيين. نحن ندين بقدر كبير من معرفتنا بكتابات القدماء المفقودة إلى سمبلسيوس، وجميع كتاباته هي تعليقات على هؤلاء الكتاب السابقين، ومعظمهم من العصر الكلاسيكي.

المجالات العلمية بذات الرصيد الذي لا يزال يتمتع به أفلاطون في الفلسفة؟

الجواب، الذي تقدمه بإجماع جوقةُ الساخرين من الفلسفة، هو أن العلوم التجريبية، على عكس الفلسفة، تحقق تقدمًا ملموسًا. بامتلاكهم وسائل التصحيح الذاتي للاختبار والتنظيم، فإنهم يستحثون العالم المادي ليحصل على فرصة للرد عن نفسه في شكل دليلٍ تجريبي. إذا انطلق العلم في اتجاه خاطئ تمامًا كما حدث في كثيرٍ من الأحيان، معتقدًا، على سبيل المثال، أنه يمكن تفسير النار من خلال وجود مادة نارية، أو «فلوجستون»، أو أن الحياة يمكن تفسيرها من خلال وجود مادة للحياة، «قوة الخلق»[34]، عندها سيُخَلّص الاختبار التجريبي -عاجلًا أم آجلًا[35]- العلمَ من مثل هذه الخيالات. كل البشر عرضةٌ للخطأ، حتى الأذكى من بيننا، بما في ذلك العلماء. نحن فريسة للهفوات المعرفية، وبعضها مدمج في آلية التفكير ذاتها، مثل المغالطات الإحصائية التي نميل إلى ارتكابها. (وقد اتخذ علماء الإدراك مؤخرًا تلك الهفوات والتحيزات المعرفية كموضوعٍ للتفسير العلمي.[36] وبالنظر إلى نقاط الضعف الإدراكية هذه، سيكون من المناسب وجود نظام يمكن للواقع من خلاله أن يشجبنا، وهذا هو بالضبط ما يمثله العلم. المنهجية العلمية هي النظام الذي يسمح للواقع بالرد علينا. كان هذا النظام هو بالضبط ما جال في ذهن كارل بوبر

---

(34) مصطلح صاغه الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون. (المترجم)

(35) المقصود من "عاجلًا أم آجلًا" هو تذكيرنا بأن المراجعات العلمية تستغرق أحيانًا وقتًا أطول بكثير مما تتطلبه الأدلة التجريبية. العلماء تمامًا مثل غيرهم من البشر عرضة للعناد بسبب حقيقة *أنهم بشر*؛ وعلى هذا النحو فهم غالبًا ما يتمسكون بالنظريات الخاطئة، التي تعتمد عليها سمعتهم ونظرتهم للعالم، لفترة أطول مما يحتاجه "منطق الاكتشاف العلمي"، وهو عنوان أحد كتب كارل بوبر، لثنيهم عنها. لتعقيد الأمور أكثر، هناك أيضًا شأن صغير آخر يعرف بتحميل النظرية على الملاحظات. الشخص الذي يعتقد في صحة نظرية ما يكيف الطريقة التي تُرى بها الأدلة؛ لن تدخل الأدلة المعارضة في وعيه، ما يجعل دحض النظريات أكثر صعوبة. لكن، وعلى الرغم من أن منطق الاكتشاف العلمي ليس واضحًا ومباشرًا كما يقدمه أحيانًا العلماء المتفقون مع بوبر، فإن الاختبار والتجربة المتقنة توفر بالفعل وسائل لترد الطبيعة على العلماء، وأحيانًا يكون الرد من القوة والحسم ما يجعل الفرضيات والنظريات العزيزة، عاجلًا أم آجلًا، منبوذة. إن حقيقة "عاجلًا أم آجلًا"، مع التركيز على آجلًا، تبدو لي خلاصة ما نجا من كتاب توماس كون المهيج، بنية الثورات العلمية.

(36) انظر، على سبيل المثال:

A. Tversky and D. Kahneman ."Judgment Under Uncertainty Heuristics and Biases" Science 185 (1974): 1124-1131.

عندما جعل القابلية للدحض معيارًا للفصل بين العلمي وغير العلمي، ذات الجزء من فلسفة العلم الذي يلجأ إليه العديد من العلماء تلقائيًا عندما يُطلب منهم الدفاع عن وجهة نظرهم بأن العلم وحده يحرز تقدمًا. [37] يكون ادعاء ما عن الواقع علميًا، إذا كان، من حيث المبدأ، قابلًا للتكذيب، وهو ما لا يعني أكثر أو أقل من إتاحة الفرصة للواقع للرد علينا. «آه، إذًا أنت تعتقد أنه من الواضح تمامًا أن حدثين إما أن يكونا متزامنين أو أنهما غير متزامنين، بغض النظر عن الإطار المرجعي القصوري الذي قيسا فيه، أليس كذلك؟ حسنًا، سوف نرى!» وها هي، نظرية النسبية الخاصة تحل محل ميكانيكا نيوتن.

الفلسفة، على النقيض من ذلك، تشبه أحد أولئك المتحدثين المخيفين الذين تتمثل فكرتهم في النقاش معك في التحدث إليك إلى ما لا نهاية، ولا يطلب - في الواقع، يثبّط عامدًا - أية استجابة منك، فكرة تولد أخرى في نظام مغلق متجدد ذاتيًا (كما في التعريف الكلاسيكي لـ «المِمل»: شخص لن يغير رأيه ولن يغير الموضوع). وبنفس الطريقة بالضبط يتدخل العالم الحقيقي - أي أنه لا يتدخل على الإطلاق - عندما تكون الفلسفة هي التي تتحدث. وهذا بالضبط لأن الفلسفة مجرد نقاش من جانبٍ واحد لذلك فمعدل تقدمها هو ما هو عليه - باختصار، صفر. (مرة أخرى، ما زلت أقتبس هنا من المستهزئين بالفلسفة).

وليست العلوم التجريبية فقط هي التي تتحدث بهذا السوء عن حماقة جدوى الفلسفة. حتى الرياضيات، على الرغم من أنها على ذات الدرجة من التجريد وأنها غير تجريبية [38] مثل الفلسفة، فإنه يصعب القول إنها تتكون من مجرد سلسلة من

(37) تحدثت في مكان آخر عن شكوكي بشأن مبدأ بوبر الخاص بالقابلية للدحض كمعيار مطلق للتمييز بين العلم واللاعلم. انظر:

"The Popperian Sound Bite," in *What Have You Changed Your Mind About? Today's Leading Minds Rethink Everything*, ed. John Brockman (New York: HarperPerennial, 2008).

(38) تُستخدم الرياضيات، بالطبع، في العلوم التجريبية، لكنها في حد ذاتها تتقدم من خلال طرق إثبات استنتاجية، وهذا هو السبب في أن أقسام الرياضيات أرخص بكثير بالنسبة للجامعات في تشغيلها من أقسام الفيزياء أو الأحياء أو الكيمياء، بكل تخصصاتها الدقيقة والهجينة مع الأقسام الأخرى، وكلها تتطلب نفقات ضخمة من التمويل للمختبرات والمراصد ومصادِمات الجسيمات وما إلى ذلك. علماء

الهوامش لفيثاغورس، العرّاف المفتون بالأرقام الذي توفي قبل ستين عامًا من ولادة أفلاطون وكان لنظرته المحكومة رياضيًا للكون تأثير عميق على الفيلسوف الشاب. لا يمكن القول بأن الرياضيات هي مجرد سلسلة من الهوامش لأيٍ من اليونانيين، بما في ذلك إقليدس، الذي وُلد بعد اثنين وعشرين عامًا من وفاة أفلاطون، ودوّن العديد من البراهين عن أسلافه.[39]

لقد ترَكَت حقول الفيزياء والبيولوجيا والرياضيات المفكرين القدامى من أمثال ديموقريطس وأرسطو وفيثاغورس في غبار الزمن القديم. لن يذهب ديموقريطوس بعيدًا بنهجه التأملي الحر، إن هو اعتزم التخصص الآن في الفيزياء، وقد يُفاجأ بالكم الهائل من الرياضيات - التفاضل والتكامل في الميكانيكا الكلاسيكية، كبداية - التي سيُطلب منه إتقانها إذا أراد أن يعي المفاهيم الحديثة للمادة والطاقة والمكان والزمان. كان دمج التقنيات التجريبية مع الوصف الرياضي بمثابة قفزة كبيرة، تحققت في القرن السابع عشر، والتي أوصلتنا إلى النقطة التي قال عنها كراوس، «أصبحت عندها 'الفلسفة الطبيعية' فيزياءً».[40] كان ديموقريطس سيقضي ساعات طويلة في المختبر، يبتكر تجارب في ظل ظروف مضبوطة بعناية، ويأخذ القياسات باستخدام أدوات مصممة لاستخراج المعلومات الصحيحة بدقة. أما أرسطو، إن كان ينوي

الرياضيات، على العكس من ذلك، لا يطلبون سوى السبورة والطباشير والمحَايات، فضلًا عن كميات كبيرة من الكافيين. تقول نكتة بالية إن عالم الرياضيات هو آلة لتحويل القهوة إلى نظريات. نكتة أخرى: الفلاسفة أرخص في توظيفهم من علماء الرياضيات، لأنك لن تحتاج إلى إعطائهم محّايات.

(39) أنجز الكثير من العمل الذي بَنى عليه إقليدس في أكاديمية أفلاطون. يذكر اقليدس ثياتيتوس بالاسم.

(40) لمناقشة رائعة لهذا الدمج، انظر كتاب إي.أ. بيرت الأسس الميتافيزيقية للعلوم الفيزيائية الحديثة. نُشر كتاب بيرت لأول مرة في عام 1924، وظل، بصورة مريعة، نافذ الطبعات لعدة عقود، وأعادت دار دوفر إصداره في عام 2004. لا يزال هذا العمل غير المشهور حافلًا بالبصيرة اليوم كما كان عندما نُشر لأول مرة، حتى في حين أن بعض الكتب الأكثر بريقًا التي اعتمدت عليه لم تصمد أمام الزمن. يبدو أن توماس كون لم يكن على دراية بأن بيرت كان يؤثر عليه عن طريق ألكسندر كويري، الذي ينسب إليه الفضل. لمناقشة تأثير بيرت على كويري، انظر:

Diane Davis Villemaire, *E. A. Burtt, Historian and Philosopher: A Study of the Author of "The Metaphysical Foundations of Modern Physical Science"* Boston Sudies in the Philosophy of Science (Book 226) (Dordrecht, The Netherlands: Kluwer Academic Publishers, 2002).

التخصص في علم الأحياء، فستكون مهمته الأولى هي إتقان نظرية الانتخاب الطبيعي، وكذلك علم الوراثة، اللذان بدونهما لن يكون قادرًا على البدء في فهم أية تفسيرات معاصرة للبِنى والوظائف البيولوجية. ثم هناك فيثاغورس. تقول الأسطورة إن مؤسس الرياضيات النظرية كان غاضبًا للغاية عندما اكتشف أحدُ تلاميذه، الموهوب سيء الحظ هيبياسي، الأرقامَ غير المنطقية[41]، لدرجة أنه أرسل الرجل البائس على طوف ليغرق، مستهلًا تقليدًا مبجلًا يسيء فيه الأساتذة معاملة طلابهم الخريجين. إذا أراد فيثاغورس الاستمرار في الحصول على درجة علمية في الرياضيات الحديثة، فعليه أن يتعلم القبول بنتائج تفوق في غرابتها كثيرًا الأرقام التي لا يمكن كتابتها كنسب بين الأعداد الصحيحة. من الجذر التربيعي لـ -1، إلى كشف جورج كانتور عن المجالات اللانهائية الأكثر لانهائية بصورة لانهائية من المجالات اللانهائية الأخرى، إلى نظريات عدم الاكتمال لكيرت جودل، أزاحت الرياضيات باستمرار الحدود بين ما يمكن تصوره وما لا يمكن تصوره، سيستمتع فيثاغورس بساعات طويلة من العصف الذهني الرائع.

وطوال الوقت الذي كان فيه ديموقريطس وأرسطو وفيثاغورس يتلقون دروسًا تعليمية إصلاحية في مجالات تخصصهم، كان رجلنا أفلاطون يتحدث مطولًا على طاولة النقاش الفلسفي. أليس هذا دليلًا وافيًا على شيء شديد الانحراف في مجال الفلسفة بأكمله؟

لكن انتظر ثانية هنا. نظرًا لأن ديموقريطس وأرسطو وفيثاغورس مصنفون رسميا على أنهم فلاسفة، ألا يجب أن يحصل مجال الفلسفة على بعض الفضل، بعد كل شيء، على تلك المجالات التي تحرز التقدم وتقطع الأشواط والتي خلفت أولئك القدماء بعيدًا وراءها؟ لا على الإطلاق، سترد جوقة الساخرين من الفلسفة. أوه، بالتأكيد، تمكنت الفلسفة على مدار تاريخها الطويل للغاية، من خلال طرح الأسئلة

---

(41) باستخدام نظرية فيثاغورس، فإن المربع الذي تكون أطوال أضلاعه وحدة واحدة له قطر يساوي الجذر التربيعي لـ 2، وهو عدد غير نسبي. إذا حاول المرء كتابته في صورة كسر من عددين صحيحين، فسيصل إلى اشتقاق تناقض. كان هذا، تقريبًا، استنتاج هيبياسي (أو هكذا نعتقد).

في كل اتجاه، مثل طفل صغير اكتشف للتو القوة المثيرة للأعصاب المتمثلة في إلحاق «لماذا؟» بكل إجابة يتلقاها، من طرح بعض الأسئلة الجيدة من حين لآخر، ويقصد بها الأسئلة التي لها إجابات فعلية، وليست أشكالًا مختلفة من معضلة إذا سقطت شجرة في الغابة ولم يتواجد أحد ليسمعها فهل أصدرت صوتًا أم لا؟ والتي لا يرجى حلها ولا يمكن اعتبار أية حقيقة قابلة للاكتشاف بمثابة حل لها. الفلاسفة، وهم يسألون ويسألون دون أن يمتلكوا أبدًا وسائل الإجابة، يطرحون أحيانًا أسئلة، إذا جاز التعبير، *ما قبل علمية*، أسئلة طُرحت قبل أن يوجد العلم الذي يستطيع بحثها بصورة فعالة، أي بحثها تجريبيًا. لكن على الرغم من أن الفلاسفة هم من يطرحون الأسئلة، فإن العلماء دائمًا هم من يجيبون عليها. دور الفلسفة في الأمر برمته هو أن ترسل إشارة تقول «نحتاج بشدة إلى العلم هنا». أو، بتشبيه آخر، الفلسفة مثل غرفة تخزين باردة توضع فيها الأسئلة على الرفوف حتى يأتي العلم للتعامل معها. أو، لنغير التشبيه مرة أخرى، الفلاسفة مثل رجال مصابون بسرعة القذف يطرحون الأسئلة بسرعة محرجة للغاية، فيريقون عبقريتهم الخلاقة دون طائل.

هذه هي وجهة النظر - واختر ما تشاء من التشبيهات - التي اقترحها كراوس عندما شخَّص سبب شعور الفلاسفة بالتهديد، على حد تعبيره، بسبب القوة المتزايدة للعلوم، والفيزياء على وجه الخصوص، فتعاملوا مع إجابته المقترحة على السؤال الفلسفي الكلاسيكي **لماذا يوجد شيء بدلا من لا شيء؟** بحفاوة ليست بالكبيرة، مع إصرارهم على أنه، على الرغم من أن الفيزياء التي استشهد بها رائعة، إلا أنها لا تتناول السؤال الفلسفي المحدد[42]. وسواء كان الفلاسفة محقين بشأن إجابة كراوس المقترحة على هذا السؤال الفلسفي المحدد أم لا، فلا تزال هناك فكرته الأكبر وهي أن مساهمة الفلسفة الرئيسية في نمو المعرفة تكمن في أنها بمثابة المخزن البارد. فتاريخ

(42) جاء هجوم كراوس على الفلسفة نتيجة لمراجعة لكتابه كون من لا شيء: لماذا يوجد شيء بدلًا من لا شيء (New York: Free Press, 2012) المراجعة التي كتبها الفيلسوف ديفيد ألبرت (والذي يصادف أيضًا أنه حاصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء النظرية) في مجلة *New York Times Book Review,* March 23, 2012.

الفلسفة، رغم كل شيء، حافل بالفلاسفة الذين يبحثون أسئلة ستأتي إجاباتها في النهاية من طريق العلم.

لذا خذ أول فلاسفة تجدهم مدرجين في تاريخ للفلسفة الغربية. يقال إن الفلسفة بدأت، قرابة الجزء الأخير من القرن السابع قبل الميلاد، ليس في اليونان ذاتها، ولكن على ساحل آسيا الصغرى -تركيا الآن- في المستوطنات اليونانية التي شكلت إيونيا، في المدن التجارية الغنية التي كانت لها روابط ليس فقط مع بقية اليونان ولكن مع الحضارات الأقدم والأكثر رسوخًا في مصر والشرق الأدنى. كان الفلاسفة الأوائل - رجال مثل طاليس وأناكسيماندر، وكلاهما من سكان مدينة ميليتوس الأيونية، والتي عرفت بشكل صحيح بكونها مسقط رأس الفلسفة الرسمي - علماءً بدائيين، يطرحون الأسئلة، ويخمنون في بعض الأحيان إجابات شبه دقيقة، الأسئلة والأجوبة التي سيتسلمها في النهاية الفيزيائيون وعلماء الكونيات، الذين قللوا من الافتراضات الحدسية، وعملوا على إشراك الواقع في تجارب تتيح له الرد.[43]

هؤلاء الفلاسفة الأيونيون الأوائل هم أنفسهم كانوا سيغدون علماء ممتازين. كانوا متفجرين بالنوع الصحيح من الفضول تجاه العالم المادي، وكانت ميولهم **مادية** بالكامل - لقد حدسوا أن هناك نوعًا أساسيًا موحدًا من المادة خلف كل الظواهر الغريبة العديدة التي نتصورها - كما كانت طبيعية - فقد خمنوا أن عددًا قليلًا من القوانين الأساسية يكمن وراء كل التغييرات المستمرة. في الحقيقة، نحن نسميه الآن بأثر رجعي «حدسًا» (فعل يسميه الفلاسفة «مصطلح نجاح[44]» ويسميه اللغويون «فعل تحقيق»)، وليس مجرد «تخيل»، لأنه تبين أن هؤلاء الأيونيين كانوا على حق في حدسهم بأن هناك بعض المبادئ المادية الأساسية تشكل كل شيء في الكون (= E

(43) لم يهمل الفلاسفة الأيونيون الملاحظة. فمثلًا، لا بد أن تنبؤ طاليس الناجح بالكسوف كان مبنيًا على الملاحظة الدقيقة، بالإضافة إلى اطلاعه على سجلات الرصد التي جمعها البابليون. لكن الطريقة التجريبية الكاملة المتمثلة في تهيئة الظروف لكشف الطبيعة كان عليها انتظار مؤسسي العلم الحديث، وعلى الأخص جاليليو.

(44) مصطلحات النجاح في الفلسفة هي كلمات أو جمل تفترض أنك نجحت في فعل شيء ما، كأن "تنفد" نظرية، يعني أنك نجحت في تفنيد تلك النظرية. (المترجم)

mc^2 هو مبدأ مادي.) وكانوا محقين في حدسهم بأن هناك انتظامًا مفهومًا مضمرًا في الطبيعة. كانوا على حق في أن الأحداث الطبيعية ليست نتيجة السلوكيات الغريبة المتقلبة للآلهة الأسطورية، بل إنها تتناسب مع أنماط تشبه القانون، أو كما يسميها فلاسفة العلم المعاصرون، أنماط نومولوجية nomological [45]، من كلمة نوموس nomos اليونانية، أي القانون. من بين جميع المفاهيم التي جعلت العلم ممكنًا، ليس هناك ما هو أكثر أهمية مما أسماه الفيزيائي ومؤرخ العلم جيرالد هولتون «التعويذة الأيونية»: الحدس بأن الطبيعة يحكمها عدد صغير من القوانين التي تفسر كل التعقيدات الهائلة التي نلاحظها في الكون المادي.[46] هذه التعويذة، إن كانت تعويذةً حقًا، فقد سحرت العلم بأكمله. بمجرد أن طرح الأيونيون هذه المعقولية[47]، أصبح السؤال التالي ما هو الشكل المناسب لتصور هذه المعقولية، واستمر هذا السؤال باعتباره سؤالًا مثيرًا للانقسام طوال العصر الكلاسيكي اليوناني. هذا السؤال تحديدًا هو ما يشكل جوهر التعارض بين أفلاطون وأرسطو، حيث اختار أفلاطون البنية الرياضية كهيئة لهذه المعقولية واختار أرسطو الغائية.

لا يمكن ببساطة للعلم أن يُخضع الحدسَ القانوني الأيوني للشك ويظل علمًا. إذا تعارضت الملاحظة مع ما اعتقد العلماء حتى الآن أنه قانون للطبيعة، فإن الاستجابة العلمية لن تفكر أبدًا في احتمالية أن نكون قد أخطأنا في فهم الحدس الأيوني؛ إنما، سيكون الرد العلمي هو أننا أخطأنا في هذا القانون الطبيعي بعينه، أو في مجموعة القوانين تلك. قد يقرر العلماء، كما يبدو أنهم فعلوا قبل ذلك، أن القوانين التي تحكم حركات الجسيمات دون الذرية للمادة إحصائية بشكل غير قابل للاختزال. وهذه إعادة تفكير جذرية في طبيعة القوانين الطبيعية، لكنها ليست جذرية بقدر نفي الحدس الأيوني؛ هذا الاحتمال لا يمكن تصوره علميًا. إنه لشرط أساسي لممارسة

---

(45) أي قانونية. (المترجم)

(46) انظر كتاب هولتون:

Einstein, History, and Other Passions: The Rebellion Against Science at the End of the Twentieth Century (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2000), chapter 7, "Einstein and the Goal of Science."

(47) قابلية الطبيعة للفهم والتفسير العقلاني. (المترجم)

العلم ألا يوجد شيء يمكن أن نلاحظه يمكن اعتباره انتهاكًا للتعويذة الأيونية، على الأقل ذلك الجزء من التعويذة الأيونية الذي يفترض الطابع القانوني للواقع المادي. لا شيء يمكن اعتباره دليلًا على أن واقعنا المادي غير محكوم بالقوانين الفيزيائية. بل الرد العلمي هو أننا لم نَصُغ القوانين صياغة صحيحة. [48]

عثر الأيونيون على جوانب مهمة أخرى لما سيصبح فيما بعد جزءًا من المنهج العلمي. أناكسيماندر، الذي كتب قصيدة طويلة مفقودة بعنوان عن الطبيعة، وصلت إلينا أجزاء صغيرة منها، افترض وجود ما يمكن أن يصنفه فلاسفة العلم المعاصرون ككيان نظري أو بناء نظري: شيء لا يستطيع المرء أن يرصده مباشرةً، مثلما لا يمكن رصد الحقول الكمية مباشرةً، لكنه يُتصور في سياق نظرية شاملة تهدف إلى شرح أكبر عدد ممكن من الملاحظات. صيغت العديد من الأبنية النظرية وأُهمل العديد منها على طول طريق التقدم العلمي. [49] لا تزال أكثر المجالات غموضًا في الفيزياء النظرية تفعل ذات الشيء الذي حاول أناكسيماندر فعله أولًا، والفرق الكبير هو أن هذه النظريات يجب أن تكون بطريقة ما مرتبطة بالنتائج أو التنبؤات القابلة للرصد والتي يمكن من خلالها اختبارها. الجينات هي بناء نظري سمح للقوة التفسيرية للبيولوجيا

(48) تخلص حجة ديفيد هيوم بشأن "مبدأ وحدة الطبيعة" إلى حجة مفادها أنه بما أن العلم يفترض خضوع الطبيعة للقوانين، فلا يمكن للعلم تقديم دليل غير دائري على ذلك. "لأن جميع الاستنباطات من التجربة تفترض، كأساس لها، أن المستقبل سوف يشبه الماضي وأن القوة المماثلة سوف تكون مرتبطة بصفات معقولة مماثلة. إذا كان هناك أي شك في أن مسار الطبيعة قد يتغير، وأن الماضي قد لا يكون أساسًا للمستقبل، فإن كل التجارب تصبح عديمة الفائدة ولا يمكن أن تؤدي إلى استنباط أو استنتاج. لذلك من المستحيل أن تثبت أي حجج من التجربة هذا التشابه بين الماضي والمستقبل، لأن كل هذه الحجج تقوم على افتراض هذا التشابه ... ستقول إن عملي يدحض شكوكي. لكنك تخطئ في مضمون سؤالي. بصفتي وكيلًا، أنا راضٍ تمامًا عن هذه النقطة: لكن بصفتي فيلسوفًا لدي بعض الفضول، ولن أقول الشك، أريد أن أعلم ما هو أساس هذا الاستنتاج".

Inquiry Concerning Human Understanding, chapter 4, "Skeptical Doubts Concerning the Operations of the Understanding."

(49) من بين ما أُهمل، على سبيل المثال، كان الفلوجستون، مادة النار. العناصر التي تحترق تحتوي على الفلوجستون في تكوينها، والذي يتحرر في صورة النار، ولهذا غالبًا لا يبقى، بعد الحريق، سوى كومة من الرماد. أُلغي الفلوجستون، كفرضية تفسيرية، من خلال نظرية الأكسدة، التي أسسها لافوازييه الذي وزن الأجسام بعناية قبل وبعد الاحتراق. السيال الحراري، الذي كان من المفترض أن يفسر الحرارة، كان كيانًا نظريًا آخر من بين ما أُهمل: جاء إلغاؤه من خلال اكتشاف تولد الحرارة مع الحركة الجزيئية.

أن تزداد أضعافًا مضاعفة، وهو نجاح يجب أن يذكرنا بأن تسمية كيانٍ ما بناءً نظريًا لا يعني أننا نعلم بعدم وجوده (على الأقل الواقعيين العلميين من بيننا). إنه يشرح فقط كيف توصلنا إلى معرفة وجود الشيء موضع البحث، المعرفة التي لم تأتِ من خلال الملاحظة المباشرة ولكن من خلال كيفية عمله في التفسير العلمي.

أطلق أناكسيماندر على بنائه النظري اسم الأبيرون، أو اللامحدود، شيء أساسي أو غير شيء غير محدد في ذاته، ويضم كل الصفات الممكنة، ويوفق في لامحدوديته بين جميع الأضداد، ومنه تنتج كل الوفرة العظيمة في العالم. أبيرون أناكسيماندر هو أول اقتراب من مفهومنا الحديث للمادة.

كان تصور أناكسيماندر لمبدأ المادة الأساسي بمثابة قفزة عظيمة إلى الأمام في التنظير التخيلي، لا سيما عند مقارنته مع معلمه طاليس، الذي يحمل لقب «الفيلسوف الغربي الأول» الرسمي. طاليس الذي انطلق هو أيضًا من حدس ممتاز بأن ثمة وحدة مادية وراء التنوع، اختار الماء، على الرغم من أن البعض يجادل بأن إشارة طاليس إلى الماء كانت مجازًا. إن كانت كذلك، فقد فات أرسطو [50] فهمها، وكذلك برتراند راسل، الذي كتب:

في كل تواريخ الفلسفة للطلاب، أول ما يرد ذكره هو أن الفلسفة بدأت بطاليس، الذي قال إن كل شيء ماء. وهذا أمر محبط للمبتدئ الذي يكافح - ربما ليس بالجدية الكافية - ليستشعر احترام الفلسفة الذي يبدو أن المنهج يتوقعه منه. ومع ذلك، هناك سبب كاف للشعور بالاحترام لطاليس، ربما بالأحرى كرجل علم أكثر منه فيلسوفًا بالمعنى الحديث للكلمة.[51]

كان من حسن حظي أن أستاذي كلفني بدراسة كتاب راسل عن تاريخ الفلسفة

(50) لم يصل إلينا سوى شذرات من هؤلاء الفلاسفة الأوائل، الذين يبدو أنهم كتبوا قطعًا نثرية قصيرة أو، في بعض الحالات، شعرًا نبوئيًا، يوضحون وجهات نظرهم. تأتي معرفتنا بهؤلاء الفلاسفة الأوائل إلى حد كبير من الروايات التي قدمها عنهم معلقون ثانويون ربما كان لديهم اطلاع مباشر على كتاباتهم أو لا. من بين أبرز هؤلاء المعلقين كان أرسطو، الذي كتب عن فلاسفة آخرين في كتابه الميتافيزيقيا.
(51) برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية، (New York: Simon & Schuster, 1967) p.24.

الغربية في أول مقرر دراسي لي في الفلسفة، ولم يتبدد أبدًا إعجابي بحيويته ووضوحه. حاول وكيلي الأدبي ذات مرة إقناعي بأن أواصل عمل برتراند راسل وأكتب تاريخًا جديدًا للفلسفة الغربية، وأن أوسعه ليشمل الفلاسفة الذين جاءوا بعد جون ديوي، آخر من كتب عنهم راسل. رفضت الاقتراح لسببين واضحين، يتضمن كلاهما مقارنات بين اللورد راسل وبيني. المقارنة الأولى هي المقارنة الواضحة، إذ كان اللورد راسل أحد المفكرين المبرزين في عصره، والثاني هو أن المدة الزمنية الطويلة التي سمحت لراسل بالاضطلاع بهذا الكتاب الكبير أُهديت له من خلال الإقامة في السجن. [52] ولقد كان من أهدافي مدى الحياة أن أبقى خارج السجن. لذلك عرضت على وكيل أعمالي اقتراحًا بديلًا: تاريخ الفلسفة الغربية في قصائد فكاهية، وهي مهمة قد أكون مؤهلةً لها أفضل حتى من اللورد راسل، وستكون أسرع على أية حال. وهذه أولى قصائدي، التي ستنجح نجاحًا أفضل، إذا نجحت على الإطلاق، عند قراءتها بلكنة نيويوركية:

من البداية سعت الفلسفة

إلى كشف النظام الكامن وراء اللانظام

ارتشف طاليس نبيذًا رخيصًا

ثم خلّص المعنى تخليصًا:

«إنه مجرد ماء نقي!»

سيشعر القارئ بالارتياح عندما يعلم أنني تركت المشروع.

أناكسيماندر، على الرغم من خفضه رتبة الماء ميتافيزيقيًا، أبقى العنصر بارزًا من خلال اقتراح أنه كان يغطي سطح الأرض ذات يوم، حيث نشأت كل أشكال الحياة من طين بدائي، ثم جاء البشر – أو تطوروا، بوسعنا أن نقول – من السمك. (ربما

(52) كانت جريمته هي توزيع أدب السلم خلال الحرب العالمية الأولى. دفعه هتلر لاحقًا إلى نبذ سلميته، لدرجة أنه تمنى لو كان أصغر سنًا حتى يرتدي الزي العسكري بنفسه. انظر راسل، السيرة الذاتية لبرتراند راسل (London:Routledge, 2000), pp. 438ff.

استعان أناكسيماندر بالحفريات في فرضياته الناجحة هذه؛ نحن لا نعرف حقًا.)

فيلسوف آخر من القرن الخامس يناسب أيضًا قالب العالم الأولي الذي يبحث عن منهجية تجريبية كان إمبيدوكليس من أكراغاس، وهي مدينة ليست في إيونيا ولكن في صقلية التي استوطنها اليونان. [53] وزاد في تعداد عناصر المادة الأولية إلى أربع - التراب والهواء والنار والماء - وتكهن بأن جميع التغييرات تنظمها قوتان جوهريتان، أطلق عليهما اسم الحب والبغض، واللتان يمكننا الارتقاء بهما إلى درجة الاحترام العلمي من خلال إزالة التجسيد عنهما فنسميهما الجذب والتنافر. من بين هذه العناصر الأربعة وهاتين القوتين، تكوَّن الكون، بما في ذلك الأشكال الحية، وإن لم تكن كما نعرفها، بل في شكل أعضاء منفصلة، هذه الأعضاء مدفوعة بقوة الحب الجاذبة، دمجت نفسها مع أعضاء أخرى لتشكيل كائنات حية كاملة، بعضها كان مشوهًا وغير صالح للحياة، سلسلة من التفكير جعلت إيمبيدوكليس من أكراغاس قريبًا بشكل مثير للفضول من طرح نظرية علمية أولية عن الانتخاب الطبيعي. [54]

ثم ديموقريطس، الفيلسوف الذي صاغ البناء النظري (الذرة) الذي سيثبت أنه المحور الأساسي للمفاهيم الحديثة للمادة،[55] وينضوي تحت تقليد أعمق في الفلسفة،

(53) استوطن الإغريق جميع أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط ، وكانت "هيسبيريا"، أو أرض الغرب، تُعرف باسم Magna Graecia، اليونان الكبرى. فيثاغورس أيضًا، على الرغم من ولادته في جزيرة ساموس في بحر إيجة، استقر في النهاية على الساحل الشرقي لإيطاليا في مدينة كروتونا. قضى أفلاطون بعض الوقت في إيطاليا بين أتباع فيثاغورس، وتغلغل تصوفهم المشبع بالرياضيات بعمق في تفكيره.

(54) الفكرة الإغريقية العلمية الأولية المتمثلة في ارتباط الكائنات الحية بكائنات أخرى لخلق أشكال حياة جديدة، بعضها مناسب للبقاء أكثر من غيرها، لها نظير في البيولوجيا الجزيئية الحديثة. أذكر لك الميتوكوندريا مثلًا، وهي عضيات موجودة في خلايا جميع الحيوانات التي تستخدم الجلوكوز لتوليد الأدينوسين ثلاثيُّ الفوسفات، مصدر الوقود لدينا. كانت الميتوكوندريا، وهي أحد أهم أجزاء الكائنات الحية، كائنات تعيش حرة. ثم ابتلعها وحيد الخلية سلف جميع الحيوانات لكنها قاومت هضمها وحافظت على سلامتها، مما جعل الحياة المعقدة ممكنة. للبلاستيدات الخضراء التي تجعل النباتات خضراء وتسمح لها بالبناء الضوئي تاريخ مشابه.

(55) إلى جانب ليوكيبوس وديموقريطس، كان من بين القدماء الذين تمسكوا بنظرية جسيمية للمادة أبيقور ولوكريتيوس، الذي صاغ هذه الفلسفة في شعر رائع في كتابه De Rerum Natura ، أو في طبيعة الأشياء. كانت نجاة قصيدة لوكريتيوس بالصدفة موضوعًا لكتاب ستيفن جرينبلات، الانحراف: كيف أصبح العالم حديثًا *The Swerve: How the World Became Modern* (New York: W.W. Norton,

من المفكرين الذين طرحوا أنواع الأسئلة التي سيتبناها في مرحلة لاحقة من تاريخ أوروبا أشخاص مثل فرانسيس بيكون وجاليليو جاليلي وإسحاق نيوتن. لكنهم هذه المرة، سيطبقون منهجية للاختبار التجريبي في ظل الظروف المضبوطة بعناية، تكملها أدوات مصممة خصيصًا للمهمة، هذه المنهجية ستستأصل بشكل حاسم هذه الأسئلة من مجال الفلسفة التأملية وتسلمها إلى نطاق العلوم التجريبية، ذلك الترتيب العبقري الذي بموجبه يُمنح الواقع الفرصة للرد علينا.[56]

يمكن سَوق هذا التاريخ المصغر لأصول الفلسفة كدليل على النقطة الأكبر التي يحاول بعض الساخرين من الفلسفة إيصالها، وهي أن نشاط طرح الأسئلة العلمية قبل الأوان هو الشيء الأكثر فائدة الذي يمكن نسبته إلى الفلسفة. لكن بمجرد أن تتطور النظرية العلمية المناسبة، والتي تشتمل في الأساس على وسائل اختبار نفسها، تنتهي فائدة الفلسفة، وتنتهي الأسئلة التي خضعت لنخر الفلسفة وتذمرها وسفسفاتها العقيمة لفترات زمنية بالغة السرف، دون إحراز أي تقدم، وفجأة تدفعنا إلى الأمام نحو المعرفة، الشيء المهم في النهاية. تعني استفهامية الفلسفة غير القابلة للقمع أن الفلاسفة يطرحون بانتظام أسئلة تذهب في النهاية إلى تخصصات العلوم عند ظهورها: الفيزياء وعلم الكونيات والكيمياء وعلم الأحياء، وتخصصات علم النفس والمنطق واللغويات (التي ظهرت متأخرًا إلى حد ما)، وتخصصات (ظهرت لاحقًا) علوم الكمبيوتر والعلوم المعرفية وعلم الأعصاب. مع ظهور التخصصات العلمية، يتقلص عدد الأسئلة الفلسفية - المتخلفة عن الركب. إذا كان التخزين البارد هو كل ما يمكن أن توفره الفلسفة، فإن المسار الطبيعي للتقدم العلمي سيؤدي في النهاية إلى إفراغ حجرة التخزين حتى يصبح كل ما تبقى هو تلك الأسئلة التي لا يرجى حلها من شاكلة إذا سقطت شجرة في الغابة ولم يوجد أحد ليسمعها فهل أصدرت صوتًا أم لا؟

(2011، والذي، كما يظهر من العنوان، يحاول أن يعطي لهذه القصيدة دورًا محوريًا في عودة أوروبا مرة أخرى إلى المسار العلماني الإنساني الذي أُسس لأول مرة في العصور القديمة.

(56) عُرفت العلوم بالفلسفة الطبيعية حتى القرن التاسع عشر، عندما دخلت كلمة "علم" المشتقة من الأصل اللاتيني الذي يعني المعرفة إلى معجم المفردات.

يمكن صياغة هذا التنبؤ رياضيًا (فكتاب يدور حول أفلاطون يجب أن يحتوي على معادلة واحدة على الأقل):

معادلة مصير الفلسفة:

$$\phi_{t \to \infty} = \emptyset$$

وتعني أنه مع اقتراب الوقت t من اللانهاية ∞، فإن مجموعة المشكلات الفلسفية ϕ تساوي المجموعة الصفرية $\emptyset$.

كان كراوس، في الواقع، يقترح معادلة مصير الفلسفة، لكن، كما تقول نكتة جيك، نحتاج قدرًا معينًا من الفلسفة – الفلسفة التي تنتمي إلى «الجزء الأسوأ من الفلسفة»، فلسفة العلم – لتوضيح المعادلة. لكن إذا استطاع الساخر من الفلسفة أن يحتمل هذا الجزء الصغير من الفلسفة، فمن المحتمل أن تكون معادلة مصير الفلسفة صحيحة.

مسألة ما إذا كانت معادلة مصير الفلسفة صحيحة هي أحد الشواغل الرئيسية لهذا الكتاب. مرت ألفية ونصف منذ أن ورث أفلاطون جزءًا من الأسئلة الفلسفية من شخصية غير عادية من معارفه ويُدعى سقراط، وهو رجل كان يهيم حول أجورا أثينا ويدخل مع كل من يستطيع – من رجال الدولة إلى السفسطائيين (معلمي الخطابة) والشعراء والحرفيين وتلاميذ المدارس والعبيد – في مناقشة فلسفية. حرفة سقراط، على قدر ما تبدو غير ضارة، أوقعته في النهاية في مشاكل خطيرة، فحوكم وأُدين وأُعدم لارتكاب جريمة استمراره في طرح أسئلته الغريبة؛ الاتهامات الرسمية كانت الإلحاد وإفساد الشباب. أوضح سقراط في محاكمته، على الأقل وفقًا لأفلاطون، أنه لم يكن مهتمًا بنوع الأسئلة التي طرحها طاليس وشُركاؤه – وبالتحديد الأسئلة التي يمكننا الآن، عند النظر إلى الماضي، أن ندعوها أسئلة «علمية أولية» – بل كان مهتمًا فقط بالأسئلة التي تساعد الإنسان في تحديد نوع الحياة التي تستحق أن

يحياها.[57] دعا سقراط مجال هذا الاهتمام epimeleia heauto، الاهتمام بالنفس.[58] عند سقراط، كانت تلك هي الأسئلة الفلسفية الرئيسية. كما أكد أن إجابات هذه الأسئلة لن تأتي من خلال استفسارات طاليس وشركاه، رغم جزمه أن لها أيضًا إجابات موضوعية وقابلة للاكتشاف.

بعد أن تلقى من سقراط القليل من هذه الأسئلة الغريبة، استمر أفلاطون في تضخيم مجال الأسئلة الفلسفية بما يتجاوز تلك التي طرحها سقراط، وصاغ أسئلة ليس فقط في الأخلاق ولكن في الميتافيزيقيا، ونظرية المعرفة، والفلسفة السياسية، وفلسفة اللغة، وفلسفة العقل، فلسفة العلم وفلسفة الرياضيات وفلسفة الفن وفلسفة القانون وفلسفة الدين وفلسفة التربية وفلسفة التاريخ. من خلال استيعابه للخصوصية الحقيقة لأسئلة سقراط الغريبة، كان قادرًا على رفع قارة الفلسفة بأكملها، مثل قارة أطْلَنْتِس المفقودة التي رُفعت من الأعماق، وهو تشبيه مناسب نظرًا لأن أول إشارة مسجلة إلى أطْلَنْتِس جاءت من أفلاطون نفسه. [59]

ولكن، كما قلت، لقد مر ألفان وأربعمائة عام. جالت فيها تساؤلات طاليس

(57) لرفض سقراط لما يمكننا تسميته الآن بالأسئلة العلمية الأولية، انظر محاورة الدفاع 19c، 26d وفيدون 96a،100a. انظر أيضا التذكارات لزينوفون 16–1.1.12.I. أما فيما يتعلق بمصادرنا عن سقراط، الذي لم ينشر شيئًا بنفسه، انظر الملحق أ.

(58) الدفاع 29d.

(59) وصف أفلاطون الحضارة المتقدمة، التي دمرتها كارثة طبيعية وابتلعها البحر، في محاورة طِيمَاوُس. "بعد بعض الوقت، حدثت فيضانات وزلازل شديدة العنف، وبعد بداية يوم وليلة لا تطاق، غرقت قوتك المحاربة بأكملها تحت الأرض دفعة واحدة، وغرقت جزيرة أطْلَنْتِس بالمثل تحت سطح البحر واختفت" (25 ج-د). هناك أدلة جيولوجية ومعمارية على أن أفلاطون كان يعتمد، فيما يتعلق بما سماه "قصة العالم القديم" (21 أ)، على ذاكرة ثقافية عمرها ألف عام للمجتمع المينوسي المفقود الذي كان موجودًا في جزيرة كريت والجزر الأخرى، بما في ذلك ثيرا القديمة، التي قامت حضارتها الرائعة (التي استطاعت إيصال المياه إلى المنازل!) على بركان ثار حوالي سنة 1500 قبل الميلاد. أرخبيل سانتوريني، ورواسبه الضخمة من الحجر الإسفنجي، هو ما تبقى مما كان في يوم من الأيام جزيرة ثيرا الواحدة. قد تكون موجات التسونامي التي أطلقها البركان - والتي يُعتقد الآن أنها تأتي من حيث الشدة بعد ثوران بركان تامبورا عام 1815 بإندونيسيا - مسؤولة عن تدمير الثقافة المينوسية الغنية والمتقدمة في جزيرة كريت. راجع رينشارد إيه لوفيت، "ثوران ´ أطْلَنْتِس´بضعف ما كان يُعتقد سابقًا، تقول الدراسات"، أخبار ناشيونال جيوغرافيك، 23 أغسطس 2006. ربما تكون ثيمة الحضارة المنتهية في دمار كارثي قد تناغمت مع تشاؤم أفلاطون التاريخي، وربما اشتد مع تقدمه في العمر. (تُصنف طِيمَاوُس عادةً كواحدة من محاوراته المتأخرة.)

وشركاه، التي أصبحت الآن علومًا طبيعية ناضجة، في مجالات لم يحلم بها العلماء قبل خمسين عامًا، ناهيك عن رجل تحدث اللهجة الأيونية في اليونان القديمة. وليست فقط الفيزياء وعلم الكونيات هي العلوم التي يمكن أن يدعي الساحر من الفلسفة باسمهما أنهما أجابا أخيرًا على الأسئلة الفلسفية القديمة التي صارعها الفلاسفة لفترة طويلة. ربما تكون علوم العقل الجديدة وعلم النفس التطوري وعلم الأعصاب المعرفي والاجتماعي والعاطفي ذات صلة أكثر إلحاحًا، وهي التي عززت معًا القوى التفسيرية لكيفية عمل العقل بحيث بقيت الأخلاق وفلسفة العقل في أعقاب العلوم، بما في ذلك أعقاب التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي.[60] ثم هناك التكنولوجيا التي يمثلها الكمبيوتر، والتي لا تسمح فقط بالوصول غير المحدود إلى المعلومات، لكن أيضًا تجبرنا على إعادة التفكير في طبيعة المعرفة ذاتها، وبالتالي في نظرية المعرفة، والكيان الذي يَعرف، أي العقل، والدراسة الفلسفية لذلك الكيان، فلسفة العقل. علم الكونيات يفلس الميتافيزيقيا، علم الأعصاب يفلس الأخلاق وفلسفة العقل، تكنولوجيا الكمبيوتر تفلس نظرية المعرفة وفلسفة العقل: ماذا سيقول أفلاطون عن أي من هذا؟ هل لا تزال لأي مما سيقوله أهمية فلسفية؟ وإذا كان، ألن يكون ذلك دليلًا مذهلًا على أن الفلسفة - الأجزاء الصلبة المتجمدة منها التي لا تزال باقية في المخزن البارد - لا تحقق أي تقدم؟

قد يكون إصرار أفلاطون جيدًا جدًا لأفلاطون ولسمعته، لكن لا يبدو أنه يفيد قضية الفلسفة بأي شكل. لتوضيح هذه النقطة بصراحة: إذا كانت الفلسفة في حالة تقدم، فلماذا لا يتراجع أفلاطون بعد كل تلك الفترة؟

ومع ذلك، هناك جانب واحد مما يحدث حول طاولة النقاش الفلسفي سيكون مختلفًا بالنسبة لأفلاطون. الأرجح أنه لن يجد أي شخص هناك يكتب محاوراتٍ. لا تفعل أي من الأوراق البحثية المقدمة في النقاش ما فعله أفلاطون، ألا وهو تغليف وجهات النظر الفلسفية بشخصيات. لماذا ينبغي على المرء أن يضيع الوقت في مثل

(60) طالع فصل إيوتا ι أدناه.

هذا المشروع، مجرد زخرفة حول الحجة، في حين أن الحجة هي الجزء المهم في الفلسفة، والحجة صعبة بما يكفي على الفهم؟ أليست الحاجة إلى توضيح الحجة هي مقصد أفلاطون، ثم أليس مقصده هو الذي أملى أسلوب الكتابة الذي تبنته الفلسفة والذي يعرض أساسيات الحجة مجردةً، في دقة وموضوعية؟

أوه، بالتأكيد سيكون هناك الكثير من الحوار الحماسي حول طاولة النقاش، صخب حقيقي من الحوار. «عدة اعتراضات تتبادر إلى الذهن.» «يبدو أن هناك تفسيران محتملان لما قلته توًا. هل يمكن أن تخبرني أيهما تقصد؟» «صحيح أنك إذا افترضت أ، فسيتبعها ب. لكن ألا يعتمد افتراضك لـ أ على الحالة ج، ثم ألا يمكننا تخيل الظروف التي لا تصمد فيها ج؟ على سبيل المثال، د.» هذا النوع من الأخذ والرد اللانهائي - الذي يبذل أفلاطون قصارى جهده لإضفاء التأثير الدرامي عليه في محاوراته - ما زال حيًا وبصحة جيدة، تمامًا كما يريد أفلاطون. لكن يبقى أسلوب الكتابة الفلسفية مختلفًا تمامًا، بالمعنى التالي: لا توجد شخصيات يمكن العثور عليها - ليس في أسلوب الكتابة، للدقة. إنما هناك الكثير من الشخصيات الجالسة حول طاولة النقاش. لكن الصوت المنشود لاشخصي ودقيق، حتى في التعليقات المتدفقة حول طاولة النقاش، وهناك سبب وجيه لذلك، يمكن إرجاعه مرة أخرى إلى أفلاطون وآرائه التكوينية حول طبيعة المجال.

دائمًا ما تكون هناك وجهات نظر مختلفة مجتمعة حول طاولة النقاش، كل منها تناقش نفس الحجج، وتحللها، وتنتقدها، وتصل إلى أرضية جيدة تُلزم القبول بغض النظر عن الاختلافات الشخصية. يتمثل التقدم في الفلسفة، جزئيًا على الأقل، في تسليط الضوء باستمرار على الافتراضات الخفية التي تحفر طريقها في أعماق تفكيرنا، عميقًا جدًا حتى على إدراكنا بوجودها. بعض هذه الافتراضات مجتمعية، تنتشر بيننا من خلال الميمات الناجحة. (إحدى أنجح الميمات الحديثة هي فكرة الميمات نفسها.) سينحرف البعض نحو الشخصي والغريب، المتجذر في تاريخ المرء وسيكولوجيته. لكن مهما يكن مصدر هذه الافتراضات التي نحن غافلون عنها، يجب كشفها وإخضاعها للاستجواب. هذا الكشف هو ما يتكون منه التقدم الفلسفي عادةً، كما

يؤكد أفلاطون نفسه فيما قد تكون أشهر فقرة في جميع كتاباته، إن لم تكن في كل الأدب الغربي. الفقرة من محاورة الجمهورية التي يصف فيها سقراط مجموعة من السجناء المقيدين بالسلاسل يسكنون كهفًا، تتحرك على جداره الخلفي ظلال تأتي من نار تشتعل من خلفهم. يحرر أحد السجناء نفسه ويتمكن من الخروج إلى النور. سنعود إلى استعارة أو أسطورة الكهف (يسميها أفلاطون muthos، خرافة) في فصل لاحق. يقدم أفلاطون الرحلة إلى النور على أنها رحلة فردية إلى حد كبير، على الرغم من أن شخصًا غير مرئي ينتزع السجين من الكهف؛ لكن شكل الحوارات (بالإضافة إلى تأسيسه للأكاديمية) يشجع الرأي القائل بأن أفلاطون، على النقيض من ذلك، تصور الفلسفة كنشاط اجتماعي بالضرورة وليس فرديًا. من الأفضل أن تُكشف الافتراضات في جمع، وكلما زاد الجدل كلما كان ذلك أفضل. هذا هو السبب في أن النقاش حول طاولة ضروري للغاية. وهو السبب في أن الفلسفة يجب أن تكون جدالية. إنها تتقدم عن طريق الحُجج، وهذه الحُجج يُحاجَج فيها. كل شيء معرض لرياح الديالكتيك المنعشة التي تثيرها العديد من وجهات النظر المتضاربة. بهذه الطريقة فقط تنكشف البديهيات التي تنبع من الخصوصيات المجتمعية أو الشخصية ويمكن التشكيك فيها. عندما يتعلق الأمر بالديمقراطية السياسية، لم يكن أفلاطون من كبار المعجبين – على الأقل ليس بالديمقراطية التي رآها تمارس في أثينا – لكن المجال الذي أنشأه يحترم نوعًا من الديمقراطية. إنها ديمقراطية معرفية تستبعد اللجوء إلى الامتياز الخاص.[61] لا يمكن أن يكون هناك شيء من قبيل «حسنًا، هذا ما نشأت على الاعتقاد به»، أو «أشعر فقط أنه صحيح»، أو «لدي مصدر خاص في السلطة يهمس في أذني» أو «من الواضح أنني أذكى منكم جميعًا، لذا تقبلوا فقط أنني أفضلكم معرفةً هنا.» تُشجع المناقشة حول الطاولة فقط أنواع الحجج والاعتبارات التي يمكنها، من حيث المبدأ، الحديث باسم الملتزمين بمشروع العقل: الذين

---

(61) يستخدم جوسيا أوبر مفهوم "الديمقراطية المعرفية"، لكن بمعنى مختلف: فيقول بأن الديمقراطية الأثينية كانت قائمة على المعرفة، وأن مبادئها للتنظيم السياسي والاجتماعي كانت حساسة للأدلة. انظر كتابه *Democracy and Knowledge: Innovation and Learning in Classical Athens* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2010).

ينشدون ويقيمون ويقتنعون بالأسباب، أسلوب التفلسف بأكمله أملته نظرة أفلاطون الخاصة حول إمكانات استخدام مشروع العقل لنجد طريقنا للخروج من الكهف المسكون بالأوهام.

ومع ذلك، اختار أفلاطون الكتابة بأسلوب مختلف تمامًا. لقد كتب المحاورات، وأولى عناية كبيرة للخصائص المميزة لشخصياته الحوارية، وكثير منها مبني على أناس حقيقيين، [62] وأوضح لنا كيف توظف شخصياتهم بالكامل في مواقفهم الفلسفية والطريقة التي يحاجّون بها عنها. بعض شخصياته حية لدرجة أن بعض الباحثين قالوا إن أفلاطون كتب المحاورات وفي نيته أن تُمثل، وأنها مُثلت بالفعل في أكاديميته. [63]

اختياره للشكل الذي يضفي شخصية على المواقف الفلسفية أمر جدير بالملاحظة، لأنه لا يقصد باختياره هذا الأسلوب أن الحقيقة نفسها شخصية. إنه لا يقول إن أقصى ما يمكننا قوله، في مواجهة رأي حول مسألة فلسفية، أن هذه هي الطريقة التي يفكر بها هذا الشخص بعينه، هذه هي «فلسفته»، نهاية القصة. كان ذلك موقف العديد من السفسطائيين في عصره، معلمي الخطابة الذين درّسوا فنهم في الإقناع دون اعتبار للحقيقة، كان أفلاطون يحتقر السفسطائيين. في الواقع، اكتسبت كلمة «سفسطة» المشتقة من الكلمة اليونانية للمعرفة - صوفيّا، Σοφια - معناها

(62) انظر: Debra Nails, *The People of Plato: A Prosopography of Plato and Other Socratics* (Indianapolis, IN: Hackett, 2002).

يقدم هذا الكتاب تاريخًا مصغرًا للعديد من الشخصيات الحقيقية التي عمرت كتابات أفلاطون.

(63) للمزيد حول الحجة القائلة بأن المحاورات كتبت بهدف أن تؤدى بجدية، انظر:

Nikos G. Charalabopoulos, *Platonic Drama and Its Ancient Reception* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

انظر أيضًا مراجعة إيميلي ويلسون لكتاب شارالابوبولوس في:

Bryn Mawr Classical Review (December 2012), http://www.bmcreview.org/2012/12/20121262.html.

وانظر أيضًا:

Ruby Blondell, *The Play of Character in Plato's Dialogues* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002).

الازدرائي بسبب عدائه معهم في الغالب.

بالنسبة لأفلاطون، أثارت الكتابة عن الفلسفة نفسها أسئلة فلسفية. في الرسالة السابعة، يؤكد بصورة مفاجئة أنه لم يُدوّن أبدًا بالكتابة آرائه الفلسفية الخاصة: «تعليق واحد يمكنني أن أقوله على أي حال فيما يتعلق بكل الذين كتبوا أو قد يكتبون ويدعون معرفةً بالمواضيع التي كرست نفسي لها - بغض النظر عن الطريقة التي يدعون أنهم حصلوا بها عليها، سواء من تدريسي أو من الآخرين أو من اكتشافهم بأنفسهم. في رأيي لا يمكن أن يكون لمثل هؤلاء الكتاب معرفة حقيقية بالموضوع. أنا بالتأكيد لم أكتب أية أعمال تتعلق به، ولن أفعل ذلك أبدًا في المستقبل، لأنه لا توجد طريقة للتعبير عنه بالكلمات مثل الدراسات الأخرى. يجب أن تأتي المعرفة به بعد فترة طويلة من الالتزام في حضور الدروس في الموضوع نفسه والرفقة الوثيقة، عندها يتولد فجأة في الروح، مثل النيران التي أشعلتها شرارة قافزة، ويصبح في الحال مكتفيًا ذاتيًا.» (341d–b)[64] لم يعتقد أفلاطون أن الكلمة المكتوبة يمكن أن تنصف ما يفترض أن تفعله الفلسفة. ومع ذلك فقد كتب؛ كتب الكثير. أما الشكل الأدبي الذي اخترعه لكتاباته فيجب أن يعطينا إشارة إلى ما كان يعتقد أنه ينبغي على الفلسفة أن تفعله.

وما هو الذي ينبغي، وفقًا لأفلاطون، أن تفعله الفلسفة؟ ليس أقل من إضرام إحساسنا بأنفسنا وعالمنا، وإحساسنا بأنفسنا في العالم.

قرب نهاية محاورة **الندوة**، يعلن أفلاطون على لسان الشخصية التاريخية الحقيقية وغير العادية ألسبيادس[65]، أن الأسئلة الفلسفية، بمجرد أن تستحوذ على الحياة الداخلية للفرد، تمارس قوة محمومة مربكة تشبه انتشاء النبيذ والشبق على حد سواء. يقول ألسبيادس «إنني أنظر إلى كل الآخرين»، وبوسعك أن تشعر بنظراته الجميلة الخطيرة تدور في الغرفة المضاءة بالمصباح، تطفو الفتائل في برك من الزيت لتلقي

(64) يدعى هذا بنظام ترقيم ستيفانوس لمحاورات أفلاطون. ويستخدم في الطبعات الحديثة. (المترجم)
(65) طالع الفصل إبسيلون للمزيد حول شخصية ألسبيادس الاستثنائية، الذي أوقع الكثير من الدمار على أثينا والعالم اليوناني الأكبر.

وهجها الناعم على الأرائك المستقرة في نصف دائرة، على كل منها رجلان متكئين. لقد امتنعوا عن الشرب تلك الليلة، على الأقل حتى تلك اللحظة التي يدخل فيها ألسيادس السكران الضاحك، يدور حول الغرفة ويلقي خطبًا في مديح إله الحب، إيروس. لقد سمعوا للتو سقراط يلقي خطبة نتجت عنها فيما بعد عبارة «الحب الأفلاطوني»، خطبة حثهم فيها بشغف على تحويل الشوق الإيروسي الذي يميل إلى التركيز على صبية بعينهم إلى توق شغوف بنفس القدر إلى الحقيقة المجردة. يجول ألسيادس ببصره من واحد لآخر من المجتمعين. «إنني أنظر إلى فايدروس، أجاثون، إريكسيماخوس، بوسانيوس، أريستوديموس، أريستوفانس وجميع الآخرين – وهل يجب أن أذكر سقراط نفسه؟ لقد شارك كل واحد منكم في جنون الفلسفة وسعارها الباخنالي.[66]» (a-b218)

الفلسفة سعار باخنالي؟ قد يبدو هذا مفاجئًا للقراء الذين درسوا مقررًا أو اثنين في الفلسفة، فوجدوا في تعقيد التقنيات بالغة الدقة القليل الثمين الذي يشبه ذلك النوع من الاستهتار النزق الذي وصفه أفلاطون على لسان ألسيادس، العنف الذي تندفع به هذه الأسئلة الغريبة خلال افتراضات الفرد ويقينه – تقوض وتقلب وتزعزع وتربك. تلك كانت الطريقة التي واجه بها أفلاطون ذاته الأسئلة الغريبة التي ساعده سقراط على إدراكها، وتلك كانت الطريقة التي أراد أن يواجهها بها الآخرون. من المفترض أن يؤدي مجرد استيعابها إلى تفعيل دراما جُوانيّة، مرعبة ومبهجة على حد سواء، لا يمكن مقارنتها إلا بالتحولات التي يسببها الإلهام الإيروسي أو الديني أو الفني – المقارنة التي أجراها أفلاطون في محاورة أخرى من محاوراته المخصصة للحب الإيروسي، فيدروس (انظر خصوصًا الصفحات 244e–245c). مكتبة سُر مَن قرأ

عند أفلاطون، هذه الدراما الجوانية هي جوهر عمل الفلسفة، وربما هي أهم الأسباب التي جعلت أفلاطون يختار تقديم أفكاره الفلسفية في شكل دراما عقلية.

---

(66) الباخناليا أو نشوة الخمر، عيد باخوس إله الخمر. (المترجم)

كانت الدراما اليونانية، بالطبع، عامرة بالعنف، وهناك نوع من العنف الهادئ في عمل الفلسفة. التفكير الفلسفي الذي لا يمارس العنف على أفكار المرء الراسخة ليس تفكيرًا فلسفيًا على الإطلاق. أفلاطون نفسه دائمًا ما مارس العنف ضد أفكاره الراسخة، من محاورة إلى أخرى. (من المفيد مقارنة الاستقرار السياسي الذي ارتآه مثاليًا، على الرغم من كونه غير محتمل، مع الاضطراب الفلسفي الذي أثاره باستمرار. حافظ على صلابة الحكومة، حتى يتجول العقل بحرية). كان لأفلاطون قراؤه المعاصرون الذين كانوا على اطلاع دائم على ما بدا أن مؤسس الأكاديمية المحترم قد قاله في محاوراته السابقة، وبالتالي أمكنهم أن يشهدوا بأنفسهم التحديات المستمرة للاستقرار الفلسفي التي أثارها أفلاطون. ربما اقتنع هؤلاء القراء اليقظون، من خلال قراءة **الجمهورية وفيدون**، بما كان قد ألح عليه بشأن الوجود الحقيقي للمُثل، تلك النماذج التي هي مراجع للمسلمات المجردة مثل العدالة والحقيقة والجمال، وربما حتى الحدة والرداءة والقذارة (ما إذا كان لهذه المسلمات الدنيئة مراجعًا هو أحد المخاوف المثارة في محاورة بارمنيدس). وربما شعر قراء أفلاطون المعاصرون له كما لو أن الأرض قد انشقت من تحت أقدامهم عندما قرأوا محاورة بارمنيدس، التي تستعرض سقراط المتراجع في العمر غير قادر على الرد على التحديات الموجهة لنظرية المُثل التي طرحها الميتافيزيقي الأكبر بارمنيدس. يظل أفلاطون صامتًا بشأن النتيجة التي يريد من القراء أن يخلصوا إليها. هل ينبغي أن يؤمنوا بالمثل، التي حاجج عنها جيدًا في الجمهورية، أم لا ينبغي لهم، بالنظر إلى ما يكتبه الآن في بارمنيدس؟ يُترك القارئ في البحر دون طوف نجاة من الكاتب. فكر أفلاطون طويلًا في كيفية إلهام الدراما الفلسفية فينا جميعًا نحن الذين لن نحصل أبدًا على الفرصة الفريدة التي تمتع بها والتي بدونها ربما لم يكن ليتخيل نفسه الفيلسوف الذي صاره: التعرض لعنفوان شخصية سقراط.

يخبرنا كاتب سيرته القديم، أوليمبيودوروس [67]، أن أفلاطون كان قد عقد العزم

(67) عاش أوليمبيودوروس الأصغر قريبًا من أعوام ٤٩٥-٥٧٠ م وكان من فلاسفة الأفلاطونية المحدثة. درّس بعد مرسوم الإمبراطور جستنيان لعام 529 م، والذي أغلق أكاديمية أفلاطون في أثينا وجميع

في الأصل على أن يصبح كاتبًا مسرحيًا، سواء مأساويًا أو كوميديًا. وسواء كان لهذا الكلام نصيب من الحقيقة أم لا، فقد أصبح بالفعل كاتبًا دراميًا من نوع ما، فأبدع محاوراته كدراما للفكر الفلسفي. ليُلهم الدراما الجوانية التي هي التفكير الفلسفي فيمن حرموا منّا من رؤية سقراط حيًا، حوّل أفلاطون فنه بعيدًا عن كتابة المسرحيات التي يضعها كتاب الدراما، وابتكر بدلًا منها شكلًا فنيًا جديدًا، أي الدراما الفلسفية، التي تمثلها محاوراته.

في بعض هذه المحاورات، قد تشعر أن أفلاطون يخبرنا بما يجب أن نفكر فيه. لكن في الغالبية العظمى من محاوراته، يكون حاسمًا في عدم إخبارنا بما يجب أن نفكر فيه. وكثيرًا ما يدفعنا إلى المعضلة، وهي طريق مسدود، غير قادرين على المضي قُدمًا خطوة أخرى. غالبًا ما يكون سقراط موجودًا عندها، لكن حتى هو يكون مجرد شخصية ثانوية. أما دور البطولة فهو للسؤال الفلسفي. السؤال الفلسفي هو ما يُفترض أن يحتل مركز الصدارة، فيكسر قشرتنا ويجعلنا منفتحين على مجموعة متنوعة جديدة تمامًا من التجارب.

ولأنه يعلم إلى أيّ مدىً يمكن أن تكون هذه الدراما الداخلية مقلقة، وكم هو مربك أن نشعر بقناعاتنا تتداعى من تحتنا، فإنه يغرينا بوفرة من المسرات الجمالية، بالاستعارات والحكايات والتلاعب بالألفاظ والنكات. (هناك أسباب أخرى، أيضًا، لتلك الازدهارات الجمالية، كما سنرى قريبًا.) هناك شخصيات يعيق كبرياؤها وتحيزها طريق تقدمها؛ قد يكون خداعهم مسليًا، لكن لا يفترض بنا أبدًا أن ندع التسلية بالآخرين تتجاوز النقد الذاتي. وعندما نشاهدهم يتعثرون أمام تحركات العقل البارعة، ينبغي علينا أن نطبق الدرس الواضح على أنفسنا. إذا قرأت هذه الحجج دون استيعابها بداخلك، وتحويلها ضد نفسك فيما يعارض راحتك، فلا عليك بها من البداية. هذا هو موقف أفلاطون. وعلى الرغم من أن الحجة الفلسفية

المدارس الوثنية الأخرى. كان أوليمبيودوروس آخر من ثبت على التقليد الأفلاطوني في الإسكندرية. بعد وفاته تحولت مدرسة الإسكندرية إلى المسيحية الأرسطية وانتقلت إلى القسطنطينية. من بين كتابات أولمبيودوروس الأفلاطونية كتابه حياة أفلاطون.

تكتسب شخصية من خلال عرضها في شكل الحوار، إلا أن الشخصيات تتشكل من خلال العمل الفلسفي الذي يجب عليهم القيام به. لا يُسمح أبدًا لتقنية السرد والازدهارات الفنية بأن تعيق الحجة الفلسفية كلية الأهمية. يُشار غالبًا إلى أن أفلاطون فنان ذو مهارة بارعة، على الرغم من الكلمات العدائية التي يلقيها أحيانًا ضد الفنانين، وخاصة المسرحيين. لكن على عكس الرواية أو القصة القصيرة أو المسرحية، لا يُسمح للشخصيات باكتساب حياتها الخاصة. إذا ظهرت الشخصيات في بعض الأحيان مسطحة أو ممطوطة إلى الحد الذي يجعلها إمّعات أو قوالب نمطية، فإن النقطة التي يجب وضعها في الاعتبار هي أن هذا فلسفة فنية وليست فنًا فلسفيًا. هذا تمييز – وتبرير – أود أن أدعيه في الفصول بيتا ودلتا وإيتا وأيوتا. الشخصيات التي ستتحاور مع أفلاطون تُخلق لخدمة الحوار، بدلًا من خلق الحوار لخدمة الشخصيات، كما هو الحال في الأدب الحقيقي. حرية الشخصيات في الحوار الفلسفي مقيدة. لا يمكنهم أبدًا تجاوز النقاشات، وإن كنت آمل أن يشعر القارئ ببعض التطور في شخصياتي وهي تتفاعل مع أفلاطون. ربما سيبدو للقارئ أن الشخصيات تصبح أقل من حيث كونها أحادية البعد وأكثر شبهًا بالشخصيات الحقيقة. أتمنى ذلك، وأعتقد أن القارئ سيكون قادرًا على تخمين لماذا آمل ذلك. فقبول الأسئلة التي يلح بها علينا أفلاطون وفهمها يضيف إلى أبعادنا الداخلية.

جانب آخر من محاورات أفلاطون، والذي يجب أن أستميح من أجله صبر القارئ، إلى الحد الذي أعيد به إنتاجه، هو استطرادها. إن رؤية أفلاطون لمعيارية الواقع – أي، أننا نصبح أفضل أخلاقيًا عندما نعرف ما تنبغي معرفته – من نتيجتها دمج المجالات التي نفصل بينها بحزم. الأسئلة الكبيرة تتطلب إجابات لأسئلة كبيرة أخرى، والمحاورات الناتجة ليست دروسًا في الإيجاز. بل تصبح محاوراته استطرادية بكل حزم، كما يشير هو نفسه أحيانًا، فيستصوب الأسلوب الحر باعتباره في حد ذاته معبرًا عن حرية الفلاسفة، فهم قد يستغرقون كل الوقت الذي يحتاجون لمتابعة مسارات الأسئلة المتداخلة. وإذا كنتُ قد حاولت في الحوارات التالية توضيح شيء بسيط من توسع أفلاطون، فآمل ألا أبالغ في اختبار صبر القارئ. أحيانًا، في محاوراته،

يطلق أفلاطون العنان لغنائيته الساعية إلى السعادة، على الرغم من أن السعادة تأتي في أشكال عده، يتشكك أفلاطون فيها جميعًا تقريبًا (ربما لأنه عرضة لها جميعًا تقريبًا). لكن عندما يطلق أفلاطون العنان، يمكنه أن يشققنا من النشوة. تهدف براعة الكتابة إلى تحريك شخصنا بالكامل، لأن كامل هذا الشخص هو من يجب أن يشعر بقوة الفلسفة ويتغير نتيجة لذلك.

قبل بضع سنوات، نشر الفيلسوف بول بوغوسيان مقالًا بعنوان «متاهة النسبية الأخلاقية» في صحيفة نيويورك تايمز في سلسلتها المستمرة «The Stone». هاجم بوغوسيان النسبية الأخلاقية باعتبارها غير متسقة داخليًا.[68] كتب ستانلي فيش، أستاذ اللغة الإنجليزية الذي أولاه بوغوسيان اهتمامًا خاصًا لكونه، كما زعم، أخلاقيًا نسبيًا غير متسق، ردًا مثيرًا بعنوان «هل الفلسفة مهمة؟» [69] في عرضه لحجته بأنها لا تهم، كتب فيش: «الفلسفة ليست اسمًا أو موقعًا للفكر بشكل عام؛ إنها شكل خاص معزول من الفكر، قضاياها لها وزن وقيمة فقط في حدود لعبتها. تُمنح النقاط في تلك اللعبة للاعب صاحب أفضل حجة («الأفضل» هو حكم نظامي).... والاستنتاجات التي يُتوصل إليها في الاكتشافات الفلسفية لا تنتقل. لا تنتقل إلى سياقات ليست فلسفية صراحةً (مثل الندوات والمجلات الأكاديمية والمؤتمرات)، ولا تجد لنفسها طريقًا حتى في الحياة غير الفلسفية لمن يعقدونها.»

هذه السطور التي كتبها فيش قد تكون جاءت مباشرة من أحد كوابيس أفلاطون. تخيل أفلاطون يستيقظ فجأة وقلبه يخفق في ليلة صيف أثيني ساكنة الهواء، وهذه الكلمات تدوي في رأسه: الفلسفة لا تنتقل. هل كانت تلك كلمات عرافة تنذر بالهلاك أم شظايا من شكوكه الداخلية؟ ربما كانت هذه الهواجس تلازم أفلاطون وهو يكتب لأن ما ادعى ستانلي فيش أنه صحيح في السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين هو بالضبط ما كان يخشاه أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد. كان يخشى أن الاستنتاجات التي يُتوصل إليها حول طاولة نقاش الفلسفة قد تبقى

(68) http://opinionator.blogs.nytimes.com/2011/07/24/the-maze-of-moral-relativism/.
(69) http://opinionator.blogs.nytimes.com/2011/08/01/does-philosophy-matter/.

حول طاولة نقاش الفلسفة. [70] وقد حاول ابتكار صيغة مكتوبة ربما تمنع حدوث ذلك. (وربما نتج تأسيسه للأكاديمية عن جهد مماثل).

إنها هذه الدراما الفلسفية، المحاورات، التي يقدمها كبديل عن الشعر النبوئي الذي استخدمه العديد من أسلافه - بمن فيهم بارمنيدس، الذي كان يحظى بمكانة كبيرة عنده، بالحكم من المحاورة التي تحمل اسمه - لنقل رؤاهم، والوسيط جزئيًا على الأقل هو الرسالة. لا يمكن أن تنتقل الحقيقة من عقل إلى آخر، كانسكاب عقل المعلم مثل القارورة في الوعاء الخامل للطالب. يأتي البحث الحقيقة من النشاط العنيف للفلسفة، دراما تعتمل عميقًا داخل كل واحد منا وتتمكن، في عنفوانها، من تجريدنا من المواقف التي قد تكون شخصية في أعماقنا وجوهرنا لدرجة أننا لا نستطيع الدفاع عنها أمام الاخرين. هذا النشاط العنيف شخصي حتى وهو يقود المرء في اتجاه غير شخصي، حيث يصبح الاتفاق البَينشخصيّ ممكنًا. [71] تهدف المحاورات إلى إثارة النشاط المتقد للعديد من وجهات النظر التي تتعارض مع بعضها بحيث يمكن استئصال ما هو شخصي أو ثقافي - وغير قادر على توفير أية أرضية مستقلة لنفسه خارج الشخصي أو الثقافي - وهي الطريقة التي تصور بها أفلاطون الفلسفة وكيف استمرت الفلسفة في تصور نفسها، على الرغم من أنها تكتب نفسها بشكل مختلف تمامًا الآن. لا يمكن لأي شكل من أشكال الكتابة أن يحل محل النشاط المحموم الذي يحدث عندما تحاول وجهات النظر المختلفة إقناع بعضها. وأفضل طريقة لبحثها هي المحادثة الحية، العقول تعاشر العقول، علاقة في غاية الحميمية لدرجة أن العلاقات الجنسية هي استعارة لها، وليس العكس، كما يعتقد بعض الفرويديين. [72]

---

(70) في الواقع، يقدم أفلاطون نفسه شخصية أديمانتوس الذي يقترح شيئًا مشابهًا لشكوى فيش في محاورة الجمهورية 487a–e.

(71) بالطبع، الافتراض المسبق الذي يقف وراء هذه العملية هو أن هناك شيء من قبيل الإجابة الصحيحة، على الأقل للعديد من الأسئلة. وهو الافتراض الذي ينفيه فيش بحماسة، وهو من قادة مشجعي للنسبية.

(72) بعض الفرويديين، لكن ليس بالضرورة فرويد. "ما يسمى في التحليل النفسي بالجنس لم يكن بأي حال من الأحوال مطابقًا للاندفاع نحو الاتحاد بين الجنسين أو نحو إنتاج إحساس ممتع في الأعضاء

لكن إذا كان أفلاطون قد كتب محاوراته كطريقة لدفعنا إلى الفلسفة من خلال عدم إخبارنا بما يجب أن نفكر فيه، فماذا يجب أن نفعل تجاه ما يحمل اسمه؟ إذا كان أفلاطون يحجب عامدًا «الموضوعات التي أكرس نفسي لها»، فكيف يمكن للفلاسفة التمسك بمحتوى ومزايا «الأفلاطونية»؟

ومع ذلك يتحدث الفلاسفة عن وجهة نظر يسمونها الأفلاطونية، حيث الجدالات الشرسة حول ادعاءاتها قابلة للانفجار خاصة عندما يتعلق النقاش حول الطاولة بطبيعة الحقائق الرياضية. ثمة موقف في فلسفة الرياضيات يحتاج إلى تسمية، موقف يتبناه العديد من الفلاسفة وربما المزيد من علماء الرياضيات، تاريخيًا قدمت «الأفلاطونية» ذلك الاسم. كما قال أحد معارفي الذي اقتبست كلامه في المقدمة: «احتدم النقاش حول الأفلاطونية طوال الوقت». يرتبط هذا الموقف في فلسفة الرياضيات بقضايا أوسع أثارها أفلاطون فيما يتعلق بحالة الحقيقة المجردة.

فيما يلي ما يمكن اعتباره ثلاث عبارات كلاسيكية للموقف الأفلاطوني في فلسفة الرياضيات، الأولى لعالم الرياضيات جي إتش هاردي، والثانية لعالم المنطق الرياضي كورت جودل، والثالثة لعالم الرياضيات والفيزيائي روجر بِنروز، ثلاثة مفكرين مشهورين بنبوغهم:

أعتقد أن الواقع الرياضي يقع خارجنا، وأن وظيفتنا هي اكتشافه أو مراقبته، وأن النظريات التي نثبتها، والتي نبالغ فنصفها على أنها «إبداعاتنا»، هي مجرد ما ندونه عن ملاحظاتنا. هذا الرأي اعتنقه، في صورة أو أخرى، العديد من الفلاسفة المشهورين منذ أفلاطون وما بعده، وسأستخدم اللغة التي تعد طبيعية عند الرجل الذي يعتنقها. [73]

التناسلية: إنه يشبه إلى حد كبير إيروس الشاملة والحافظة التي ذكرها أفلاطون في ندوته". سيغموند فرويد، "مقاومة التحليل النفسي،" 1925.

Reprinted in *Collected Papers: Character and Culture* (New York: Collier Books, 1965), p. 258.

(73) G. H. Hardy, A Mathematician's Apology (1940; Cambridge: Cambridge University Press, 2012), pp. 123–124.

لكن، ورغم بُعدها عن تجربة الحس، لدينا شيء يشبه الإدراك الحسي كذلك لعناصر نظرية المجموعات، كما يتضح من حقيقة أن المسلمات تفرض نفسها علينا كحقائق. وأنا لا أرى أي سبب يجعلنا أقل ثقة في هذا النوع من الإدراك، أي في الحدس الرياضي، مقارنة بالإدراك الحسي. [74]

أرى العالم الرياضي كوجود مستقل بذاته، ومستقل عنا. إنه أبدي. أعتقد أنه، لكي تكون عالم رياضيات حقيقي، من الصعب أن تتبنى أي وجهة نظر أخرى. وليس الأهم أن للعَالم الأفلاطوني وجوده الخاص، بل أن العالم المادي يتوافق بمثل هذه الدقة والبراعة والرقي مع جوانب العالم الرياضي الأفلاطوني. وهذا، بالطبع، يرجع إلى أفلاطون، الذي كان واضحًا في التمييز بين مفاهيم الرياضيات الدقيقة والطرق غير الدقيقة في العادة التي يطبق بها المرء هذه الرياضيات على العالم المادي. إنه ظل العالم الرياضي الخالص هو ما تراه في العالم المادي. هذه الفكرة محورية في الطريقة التي نُنتج بها العلم. يستكشف العلم دائمًا الطريقة التي يعمل بها العالم قياسًا إلى نماذج معينة مقترحة، وهذه النماذج عبارة عن بِنىً رياضية ... وليست الدقة هي كل ما في الأمر. للرياضيات التي يستخدمها المرء نوع من الحياة الخاصة بها. [75]

كما تشير هذه الأمثلة الثلاثة، غالبًا ما تعبر «الأفلاطونية» عن نفسها في التأكيد على أن الحقائق المجردة موجودة هناك في مكان ما، في انتظار اكتشافها، تمامًا مثلما توجد الحقائق العلمية في مكان ما، في انتظار اكتشافها. يؤكد الأفلاطوني أن المجرد حقيقي مثل الملموس، والعام مدرك مثل الخاص. ربما تتضح واقعية الواقع من خلال مقارنته بالبدائل، ما يؤكد الأفلاطوني أنه ما لا تمثله الرياضيات. لا تتعلق الرياضيات بأفكارنا العقلية، ولا تتعلق ببنية أدواتنا المعرفية، ولا تتعلق بخيالاتنا الضمنية. نحن لا ننتج الرياضيات عن طريق الاستبطان. ولا تتعلق الرياضيات

(74) Kurt Gödel, "What Is Cantor's Continuum Problem?," *American Mathematical Monthly,* 1947, reprinted in *Philosophy of Mathematics: Selected Readings,* ed. Paul Benacerraf and Hilary Putnam (Englewood Cliſs, NJ: Prentice-Hall, 1964), p. 271.

(75) Karl Giberson, "The Man Who Fell to Earth: An Interview with Roger Penrose," Science and Spirit Magazine (March–April 2003).

بأنظمة المسلمات التي تُنشأ من خلال اشتراط مجموعة من القواعد التكرارية الشكلية، مثل نوع من الشطرنج عالي المستوى. أنظمتنا هي أدوات للاكتشاف وليس الخلق. كما يقول جوتلوب فريجه، عالم الرياضيات الذي أسس المنطق الرمزي الحديث، في عبارته الأفلاطونية الكلاسيكية: «لا يستطيع عالم الرياضيات أن يخلق أي شيء أكثر مما يستطيع الجغرافي؛ هو أيضًا لا يستطيع إلا اكتشاف ما هو موجود ومنحه اسمًا». [76]

تجسد الأفلاطونية المجرد - لكن هناك تجسيد وهناك تجسيد. الحديث عن «عالم» الكيانات الأفلاطونية يستحضر صورة لنوع من مكان معزول، يُطلق عليه أحيانًا بداعي السخرية «جنة أفلاطون». هنا في كمال الخلود، بعيدًا عن مد الزمن الحاتّ. حيث تلمع أشياء مثل الأعداد والكليات المجردة غير العددية. وهي التي يجب ألا تلمحها أعضاء الجسد الغُفل ولكن من خلال ملكات العقل الأسمى الموزعة توزيعًا غير عادل. تلك هي النماذج الأبدية التي قد يأمل «المنطقيون الفاضلون» في إيجادها في «الآخرة»، على حد تعبير برتراند راسل الساخر، في وصفه لآراء «الأفلاطوني الخالص»، كورت جودل [77]. قد يُستشهد بـ «جنة أفلاطون» - أو يُستهزأ بها - باعتبارها المكان الذي تقطنه جميع المفاهيم، وليس فقط تلك التي لها علاقة بالرياضيات. مثل هذا الحديث عن عالم من الأشياء المجردة، متوازٍ مع عالمنا الحسي للأشياء الملموسة، نوع من المكان خارج المكان، هو أحد الطرق لعرض الأفلاطونية، على الرغم من أنها ليست الطريقة الوحيدة، وفي رأيي أنها لا تنصف رهافة وجهات النظر الأفلاطونية المعاصرة.

كما أنها، في رأيي، لا تُنصف رهافة أفلاطونية أفلاطون - أي تجسيده للمجرد - الذي استمر في التطور طوال حياته الفلسفية الطويلة. ربما كان لدى أفلاطون في وقت ما شيئًا مشابهًا لوجهة النظر التي يسخر منها راسل؛ هو نفسه يُخضع بعض هذه

---

(76) *Die Grundlagen der Arithmetic* (Breslau: W. Koebner, 1884). *Foundations of Arithmetic,* trans. J. L. Austin (Evanston, IL: Northwestern University Press, 1968), section 96.

(77) Russell, The Autobiography of Bertrand Russell (London: Routledge, 2000), p. 466.

النظرة إلى وابل من النقد في محاورة بارمنيدس، ويطرح الصعوبات التي أقنعت على الأقل واحدًا من طلابه، أرسطو، بالتخلي عن الأفلاطونية تمامًا والبدء من جديد في مشكلة المسلمات المجردة. لكن الطرق التي يستمر بها أفلاطون في تجسيد المجرد لا تتناسب مع هذه الصورة السخيفة. نعم، يواصل التأكيد، في أعمال مثل طيماوس، على أن الأشكال المدركة لا يمكن اختزالها إلى «أشياء» من العالم الزماني المكاني، عالم المظهر الخارجي الذي نشعر به. لكن المجرد لا يتجاوز أيضًا عالم الأشياء الزماني المكاني؛ لا يمكن *اختزالها* فيه ولا يمكن أن توجد بمعزل عنه. التجريد - وخاصة التجريد الرياضي - هو الثُبوت داخل التدفق، الثُبوت الذي يوفر تفسير التدفق، والذي يوفر الشكل الصحيح لتقديم معقولية الطبيعة[78] التي كان المفكرون اليونانيون يطاردونها منذ أن حدس علماء التعويذة الأيونية الأوائل أن **هناك** معقولية. لكن **هناك** المفهوم عقلانيًا حالّ في **هناك** المثبت تجريبيًا.. إنه متأصل في السمات الهيكلية للمعطى، هذه السمات توضحها الرياضيات. هذه هي النظرة الأكثر دقة التي اقترحها أفلاطون بوضوح كافٍ مكّن مفكرين مثل جاليليو، بعد آلاف السنين، من الإمساك بالخيط مرة أخرى.

لذلك، على الأقل في بعض التفسيرات، يبدو أن أفلاطون قد تمسك بقوة طوال حياته بـ «تجسيد التجريد». والدليل على ذلك لا يأتي فقط من المحاورات بل من الأكاديمية التي أسسها. جمع أفلاطون في أكاديميته أفضل علماء الرياضيات في عصره وجعلهم يعملون على ما أطلق عليه الفيلسوف البارز مايلز بورنيّت «برنامجه البحثي»، والذي كان يهدف إلى اكتشاف البنى الرياضية الكامنة في الطبيعة. وجد تأكيد أفلاطون على واقعية البنى الرياضية تحقيقه العملي في دراسة الهندسة المستوية والفراغية، وعلم الفلك، والتوافقيات، والبصريات - وكلها كانت تُبحث في أكاديميته. حتى أن بحثه في النسب و«التوافقيات» الرياضية أثبت أنه مفيد للنظريات الطبية، على أساس الافتراض بأن الصحة هي مسألة النسب الرياضية الصحيحة بين المكونات «المتعارضة» في الجسم، والتي كان يُنظر إليها في تلك الأيام الأولى من حيث

(78) قابلية الطبيعة للإدراك والفهم. (المترجم)

صفات السخونة والبرودة، الرطوبة والجفاف.

هل كان أفلاطون أفلاطونيًا؟ يبدو السؤال غبيًا مثل السؤال عمن دُفن في قبر جرانت. لكن الإجابة غير الغبية هي «تعتمد الإجابة على ما تقصده بالأفلاطونية.» نسخة ما من الالتزام بأسبقية التجريد، بما في ذلك، بشكل أساسي، التجريد الذي يجد تعبيرًا عنه في الرياضيات، هي وجهة نظر يمكننا أن ننسبها إلى أفلاطون[79]. إنه التزام يبدو أنه استمر بلا كلل، وإن كان دون استقرار، طوال حياته الفلسفية. بهذا المعنى، يمكننا، بشيء من الارتياح، التأكيد على أن أفلاطون كان أفلاطونيًا. ولكن بغض النظر عن موقفه الدقيق تجاه مسألة وجود المجرد، فلا شك أنه هو من أثار هذه القضية، وأنها كانت وفقًا لأرسطو، موضوع نقاش حاد داخل الأكاديمية - وهي كذلك قضية لا تزال باقية معنا، فلسفية بقوة وغير قابلة للحل علميًا. هل يكتشف علماء الرياضيات الرياضيات، أم ينشؤون الرياضيات، أم يتأملون الرياضيات، أم يتخيلون الرياضيات؟ يستخدم العلم الرياضيات، لكنه لا يخبرنا *ما* هي الرياضيات.

هناك عقيدة أخرى (على الرغم من ارتباطها الوثيق بهذا المبدأ) يبدو أن أفلاطون قد تمسك بها خلال جميع التقلبات والمنعطفات الفلسفية التي يقدمها لنا، وهي تشابك الحقيقة والجمال والخير. سمّها الجديلة السامية: الحقيقة والجمال والخير ثلاثتها مرتبطة سويًا، في سمو. يبدو هذا الادعاء، للوهلة الأولى، مثل أسوأ أنواع الميتافيزيقا، مثل محاكاة وضعية ساخرة للميتافيزيقا. حقيقة! جمال! خير! معًا من جديد! (حسنًا، في الواقع منذ الأزل) ولا تنتهي الميتافيزيقيا عند هذا الحد. إذ إن هناك خيوطًا عقائدية أخرى متضمنة في الجديلة السامية. أولًا، الجمال والخير موضوعيان مثل الحقيقة ذاتها. تقول الشاعرة: «الجمال - ليس موجودًا - إنه كائن». نعم، إميلي، يتفق معكِ أفلاطون، الجمال كائن. ولأن الجمال كائن كان العالم بالشكل الذي هو

---

(79) يقول مايلز بورنييت أن أفلاطون يثير مسألة الوضع الأنطولوجي الدقيق للقيم الرياضية في الجمهورية، ثم يقرر تركها دون حل. انظر كتابه "Plato on Why Mathematics Is Good for the Soul," *Proceedings of the British Academy* 103 (2000): 1–81, especially pp. 33–35. يطرح أفلاطون أيضًا السؤال بوضوح في محاورة طيماوس، ويتركه مرة أخرى دون حل إلى حد كبير. انظر بخاصة الصفحات 51c–52c.

عليه. وإذا كان العالم مليئًا بالمعقولية، كما افترض الأيونيون في البداية، فإن هذه المعقولية بحد ذاتها جميلة، وكلما كان أكثر معقوليةً، كلما كان أجمل؛ وكلما كان أجمل، كان أكثر معقولية. توفر الرياضيات، في حد ذاتها، المعقولية الأكثر كمالًا. عندما نفهم حقيقة رياضية، فإننا نفهم أنها ستبقى كذلك دائمًا: لن يجعلها أي تغيير في المنظور أو السياق غير صحيحة[80]. هذه الحصانة رغم تشوهات المنظور تجعلها ما هو كائن دون شرط، وبالتالي قابلة للمعرفة أو مفهومة دون شرط (الجمهورية 477a). إذًا الرياضيات، كونها مفهومة إلى أقصى حد، فهي جميلة إلى أقصى حد. وهو السبب في أن الرياضيات توفر الشكل الصحيح لتفسير العالم، وهو السبب الذي يجعل إحساسنا بالجمال هو الدليل الأكثر ثباتًا على الطريق ذي الانحدار المدوّخ نحو الحقيقة. إذا أُعطيت تفسرين علميين مناسبين تجريبيًا للظاهرة نفسها، اذهب مع التفسير الأجمل رياضيًا وستصل إلى الحقيقة.

هل تبدو ميتافيزيقيا أفلاطون أكثر تجانسًا بعض الشيء مع الساخرين من الفلسفة أصحاب التوجه العلمي؟ فرغم كل شيء، لجأ كل من كوبرنيكوس وجاليليو وكبلر للمذاهب الأفلاطونية – جاليليو وكبلر كلاهما سماه «أفلاطون المقدس» – من أجل إثبات تفوق فكرة مركزية الشمس لكوبرنيكوس على مركزية الأرض البطلمية. على الرغم من أن النظرة البطلمية كانت في حد ذاتها نتاجًا للعقائد المتأثرة بالرياضيات في الأكاديمية، إلا أن تحويل نقطة الارتكاز من الأرض إلى الشمس جعل الرياضيات أكثر جمالًا. كان الانقياد لجمال الرياضيات جانبًا مهمًا جدًا في تطور «الفلسفة

(80) وفقًا لبورنييت، لا يقدم أفلاطون خصوصية الحقائق الرياضية من حيث لزوميتها، بل من حيث ثباتها في السياق: "بغض النظر عن السياق، فإن مجموع عددين فرديين هو عدد زوجي. وليس الحال أنه في بعض الحالات يكون المربع القائم على وتر المثلث القائم الزاوية مساوٍ، بينما في حالات أخرى يكون غير مساوٍ لمجموع المربعات على الجانبين الآخرين. نظرية فيثاغورس، أيا كان من اكتشفها، تبقى ثابتة مهما كان السياق. المهم هنا أنه ليس لدى أفلاطون مفهوم الحقيقة اللزومية. على عكس أرسطو، لم يتحدث أبدًا عن الحقائق الرياضية باعتبارها لازمة؛ ولا يقارنها أبدًا بالحالات المشروطة. الثبات عبر السياق هو السمة التي يؤكد عليها، وهذا شرط أضعف من اللزومية؛ أو على الأقل، أضعف من اللزومية التي يربطها الفلاسفة المعاصرون بالحقيقة الرياضية."

Burnyeat, "Plato on Why Mathematics Is Good for the Soul," pp.20–21.

الطبيعية» إلى العلم الذي يشيد به بعض الساخرين من الفلسفة.

حدس أفلاطون - عن التضافر بين الجمال (الرياضي) والحقيقة - يردد صداه دون خجل العديد من الفيزيائيين المعاصرين من العيار الراسخ. على سبيل المثال، يقول الحائز على جائزة نوبل بول ديراك: «أن تكون معادلات المرء جميلة، أهم من أن توافق التجربة». كثيرًا ما أبدى أينشتاين ملاحظات مماثلة، فعلى سبيل المثال أخبر الفيلسوف والفيزيائي هانز رايتشنباخ أنه كان مقتنعًا بأن نظريته النسبية صحيحة حتى قبل كسوف الشمس عام 1919، والذي قدم أول دليل مؤكد، وذلك بسبب جمالها الرياضي وأناقتها. في يومنا هذا، أكثر من يدعي سيادة الجمال - للتنوع الرياضي - هم أنصار نظرية الأوتار والتي لم تتمكن حتى الآن من إنتاج أي تنبؤات قابلة للاختبار. قال ستيفن واينبرغ - ثالث الحائزين على جائزة نوبل الذين أذكرهم في هذه الفقرة - «لا أعتقد أنه حدث على الإطلاق أن نظريةً تملك ذلك القدر من الجاذبية الرياضية مثل نظرية الأوتار واتضح أنها خاطئة تمامًا». «كانت هناك نظريات تبين أنها صحيحة في سياق مختلف عن السياق الذي ابتُكرت من أجله. لكنني أجد صعوبة في تصديق أن كل هذه الأناقة الرياضية والجمال سيضيعان ببساطة»[81].

لطالما استهلك الفيزيائيون ميتافيزيقيا أفلاطون، دون المرور بأي من الخطوات التي سارها للوصول إليها، مثل من يستهلكون الهوت دوج ويفضلون عدم معرفة كيف يُصنع.

كل هذه الميتافيزيقيا تفيض من جديلة أفلاطون السامية، ونحن لم نأت بعد على ذكر الخير، سنبحث الخير طوال هذا الكتاب، فدائمًا ما كان الشاغل الرئيس لأفلاطون، بغض النظر عما إذا كان يمارس الفلسفة الأخلاقية أو الفلسفة السياسية أو المعرفية أو الميتافيزيقيا أو علم الكونيات، وقد اتضح، من وجهة نظر أفلاطون، أن إحساسنا بالجمال أكثر موثوقية من إحساسنا بالخير، إحساسنا بالجمال هو ما

(81) مقتبس عن:

Nova, The Elegant Universe, "Viewpoints on String Theory," http://www.pbs.org/wgbh/nova/elegant/view-weinberg.html

نحشده ليقودنا إلى الحقيقة، في حين أن إحساسنا بالخير يجب أن يخضع لمراجعة كبيرة في ضوء الحقيقة.

لكن ماذا يقصد أفلاطون بالخير، وكيف يربطه بالحق والجمال؟

أفضل طريقة للوصول إلى خير أفلاطون المشتبك مع الحقيقة هو «السبب الأفضل» الذي يراه كامنًا في الحقيقة. الحقيقة كما هي لأن «السبب الأفضل» يفرض عليها أن تكون كذلك[82]. لغته، للوهلة الأولى، غائية بشكل مريب، بل توحي بالقصد. هل فعّل شخص ما - شخص واحد - هذا السبب الأفضل، وصمم العالم وفقًا له؟ أم أن السبب الأفضل يعمل بمفرده تمامًا، يبدأ ذاته بذاته، دون الحاجة إلى شيء خارجي لجعله يعمل؟ الاحتمال الأخير هو ما كان ببال أفلاطون. إذا كان هناك «عقل» يحدد الحقيقة، وهي فكرة طرحها في فيدون وسبرها بعمق أكبر في طيماوس، فإن وجود هذا العقل لا يرقى إلى أي شيء فوق التأكيد على أن الحقيقة يحددها «السبب الأفضل.» بعبارة أخرى، ستعمل النظرية العلمية الأفضل والنهائية بمفردها لخلق العالم وفقًا لذاتها. في محاورة طيماوس، قدم أسطورة عن الخلق، حيث يُطبق الديميرج[83]، أو الحرفي الإلهي، «السبب الأفضل»، لكن استخدامه للأسطورة لتهويل الفكرة هو في حد ذاته إشارة إلى أنها مبدأ ميتافيزيقي أكثر تجريدًا في عقله: السبب الأفضل هو، في حد ذاته، يبدأ ذاته، تفسير يفسر نفسه، ذاتي السببية، كما سماه سبينوزا - الذي أخذ هذا الحدس الأفلاطوني وسار معه إلى آخر الطريق.

الدور الحاسم لـ «السبب الأفضل» في جعل العالم ما هو عليه هو ما يمثله الخير في الحقيقة - الجمال - الخير. الخير مجدول مع الحقيقة لأن تفسير الحقيقة هو أن الحقيقة يحددها السبب الأفضل، والسبب الأفضل يعمل من تلقاء نفسه - وهو أفضل ما قد

---

(82) Cf. *Phaedo* 97b–d, *Timaeus* (passim), *Philebus* 27–30, and *Laws* X.

غالبًا ما يُنسب إلى ليبنتز أنه أول من صاغ سؤال *لماذا يوجد شيء بدلًا من لا شيء*؟ لكن هنا، أيضًا، سبق أفلاطون الجميع إليه - بمن فيهم سبينوزا، الذي صارع أيضًا ذات السؤال، وهو سبق أتخيل أن كل من سبينوزا وليبنتز سيقرانه بسهولة.

(83) الديميرج أو الديميورجوس في الأفلاطونية هو أحد الحرفيين المسؤول عن تشكيل والحفاظ على الكون المادي. (المترجم)

يكون. الحقيقة، لأنها تتحدد بالسبب الأفضل، قادرة في النهاية على تفسير نفسها، هذا يجعل الواقع في أقصى قدر ممكن من المعقولية، فهو يمتلك مفهوميته التي توفر سببًا لوجوده. عند العقول المتلهفة للمعقولية، ماذا يمكن أن يكون أكثر سموًا؟

ومرة أخرى، كما كان الحال مع الجمال، كذلك الأمر مع الخير: الرياضيات إلى حد كبير هي التي تسدد الفاتورة. السبب الأفضل هو السبب المفهوم بالكامل، الذي يقدم تبريره بشفافية للعقل، وهو ما تفعله الرياضيات (**الجمهورية** d511، **طيماوس** في مواضع متفرقة) في أسطورة الخلق في محاورة طيماوس يفرض الحرفي الإلهي على العالم المادي كل الرياضيات التي يمكنه احتمالها، لأن الرياضيات هي أفضل تعبير عن النوايا الحسنة - الأسباب الفضلى - التي يعمل بها الحرفي الأسطوري (29d–e). لا يجعل الحرفي الأسطوري الأشكال التي يفرضها على العالم أفضل بفضل اختياره لها؛ بل هو يختارها لأنها، مستقلةً عنه، تمثل أفضل الأشكال، ولأنها أفضل الأشكال يفسر في حد ذاته سبب وجوب تحقيقها.

الحديث عن «السبب الأفضل»، الذي يبدو غائيًا على نحو مخادع، ليس غائيًا على الإطلاق. السببية تحركها الرياضيات. السببية في وحدة مع المعقولية. في الواقع، كانت العودة إلى هذه النسخة من الأفلاطونية هي التي تمكنت من إخراج الغائية من الفيزياء، عن طريق استبدال أسباب أرسطو النهائية بمفهوم أفلاطون الرياضي للسببية. سبينوزا، الذي كان، مثل غيره من المفكرين البارزين في القرن السابع عشر، يثور ضد الغائية الأرسطية - الكلامية التي كانت مسيطرة، صاغ الفكرة على هذا النحو: «ربما كانت مثل تلك العقيدة (الغائية) كافية لإخفاء الحقيقة عن الجنس البشري إلى الأبد، إذا لم تقدم الرياضيات معيارًا آخر للحقيقة ... بصرف النظر عن ... الأسباب النهائية».[84]

إذًا الفكرة ببساطة: الحقيقة، والجمال، والخير، كلها مرتبطة ببعضها، وتوفر البنية الوجودية للواقع. هذا اللقاء بين الحقيقة والجمال والخير يوحي بمفهوم يشبه المتسامي

(84) Ethics I, Appendix. Trans. R. H. M. Elwes, 1883. Revised edition (London: George Bell and Sons, 1901).

- لا يتطابق مع الحقيقة أو الجمال أو الخير بل بالتقاء الثلاثة. يمتلئ الواقع بسمو في غاية من السمو توجب عليه ببساطة أن يوجد، ينفجر الوجود من داخل المتسامي.

لاحظ أن الخير الذي نتحدث عنه هنا **ليس** خير الإنسان بالتحديد، **ليس** المقصود أن العالم قد خُلق بهدف تحقيق **صالحنا**، لا يمكنني التفكير في مكان واحد في كتاباته يأتي فيه أفلاطون حتى على ذكر هذه الفكرة. إنها غريبة تمامًا على تصوره للعالم. (إنها غريبة جدًا على المفهوم اليوناني للعالم بأكمله، حتى من الناحية غير الفلسفية. هؤلاء الآلهة والإلهات يسعون وراء غاياتهم وملذاتهم، نحن الفانون، في أحسن الأحوال، عارضون في سبيل أهدافهم.) لا يشتمل الخير المنسوج في الجديلة السامية على عنصر بشري أكثر مما تشمله معادلة E = mc2.

لكن يبدو أن أفلاطون يشير أيضًا، في مجمل محاوراته، بشكل أو بآخر، إلى أن هناك أيضًا بعض الخيرية - في الطريقة التي نفهم بها نحن البشر الخير، عندما ينطبق بشكل خاص على **الناس**، والحياة التي نعيشها، والأفعال التي نؤديها - يمكن اكتسابها من معرفة الطريقة التي يوجد بها العالم، الطريقة التي يجب أن يكون عليها بسبب الجديلة السامية التي تمنحه هيكله. المعرفة ليست فقط عن الخير، ولكنها أيضًا تجعلنا خيرين، وتصلحنا حتى نصبح أكثر فضيلة - أكثر ميلًا، بسبب معرفتنا، نحو العدالة والاعتدال والشجاعة والوقار؛ الميتافيزيقا - فهم كيف يكون العالم من خلال فهم كيف يجب أن يكون، وفهم، على سبيل المثال، أنه يجب أن يكون في الغاية القصوى من المعقولية[85] - تمثل إصلاحًا أخلاقيًا.

مصطلح «الخير» هو خانة. تحتاج إلى ملء. نعم، بالطبع، يجب أن نكون صالحين؛ وهذا صحيح إلى حد الابتذال، لكن أخبرنا بما يجب أن نكون - أو نفعل - لكي نكون صالحين. عند أفلاطون، المعرفة هي التي تملأ خانة «الخير»، المعرفة **نشطة أخلاقيًا**، حتى عندما تكون معرفةً لاشخصية بشدة، غير مبالية بعالم البشر مثل

(85) "المعقول" ليس المقصود به أن يكون "معقولًا عندنا نحن البشر" أكثر مما يقصد بـ"الخير" أن يستلزم "الخير لنا نحن البشر".

الرياضيات البحتة.

في الواقع، إن موضوعية المعرفة اللاشخصية هي ما يجعل هذه المعرفة الأكثر قوة على الإطلاق من الناحية الأخلاقية. مجرد الاهتمام بالقدر الكافي بالحقيقة الموضوعية، وتكريس حياة المرء لمحاولة التعرف عليها، يتطلب تهذيب طبيعته المتمردة، التي تهدف دائمًا إلى تسيير الأمور بطريقتها الخاصة، ورؤية العالم في أي ضوء تُنصف فيه أنا المرء الصغيرة بحيث تدفع الحقيقة كما يراها المرء أجندة الفرد التي تخدم ذاته والتي تتخذ القوة محورًا لها. لذا، ببساطة، السماح للنفس بأن تنصاع لواقع الحقيقة – الجمال – الخير – أن ينجدل المرء في الجديلة السامية – هو ممارسة الانضباط على طبيعة المرء الجامحة، أن يضع حدًا لخيالاتها المعززة للذات.

لكن هذه فقط البداية. يهدف الواقع إلى خيرنا المطلق، وذلك بسبب المبادئ التي صُمم بناءً عليها. وعندما نستوعب جديلة الحقيقة – الجمال – الخير التي تشيد الواقع، يتكرر نظامها المنطقي داخل أذهاننا في فعل معرفتها – ثم نصبح أفضل بسبب هذا التكرار. نصبح عقلانيين من خلال نظام الطبيعة العقلاني، يعاد تشكيل مكونات عقولنا بنسبها المثالية، تمامًا مثلما تتهيأ مكونات الجسم بنسبها المثالية في حالة الصحة. نصبح متماثلين هيكليًا مع الواقع نفسه، وبهذه الطريقة يتقوى تقاربنا الطبيعي معه. نصبح أكثر شبهًا به (طيماوس 47b–c). يعدنا هذا، أيضًا، أكثر عن ضآلة حياتنا، بينما تبسُطنا القرابة القوية مع الكون إلى الخارج فنتمكن من استيعابه. لا يعود بمقدور عقولنا المعززة بالواقع إلا أن ترى مكانها الصغير في المخطط الكبير للأمور ومن ثم ستتواضع بالقدر المناسب خلال هذه العملية، وهو ما يشتمل عليه هذا النوع العلماني من التقوى (كما كان اعتقاد سبينوزا: التقوى هي التواضع أمام الواقع). معرفة الحقيقة اللاشخصية تدفع كل الأفكار الشخصية من العقل طيماوس 90a–c. قد يقول أفلاطون، عن عالمة الفيزياء التي تنتظر بشغف تلك المكالمة من ستوكهولم، أو تفكر فقط في الشهرة التي يمكن أن تكتسبها من تأليف أحد الكتب العلمية الرائجة، أنها لم تكن أبدًا صادقة في حب الجمال، ذلك أن حبها إياه لم يتغلب على حبها لذاتها. مثل هذه العالمة يحركها الذكاء وليس الحكمة، الحكمة التي يجب أن

تتضمن حبًا عارمًا لكل ما هو غير الذات. رد الفعل المناسب لجمال الجديلة السامية لا يمكن إلا أن يكون الحب.

ربما كان مما علمه سقراط التاريخي أن الفضيلة الإنسانية هي نوع من المعرفة، وهي وجهة نظر أخذها أفلاطون على محمل الجد طوال حياته فبحثها باستمرار. في بعض الأحيان يؤيدها (كما في بروتاجوراس)، وأحيانًا يتحداها (ترقى النظرية الثلاثية للروح التي قدمها في الجمهورية إلى تحدٍ لها). لكن تلك المعرفة هي أقوى أشكال الترقي الأخلاقي التي نمتلكها، ويبدو أنها، بطريقة أو بأخرى، جانب مستمر من تفكير أفلاطون، خيط آخر من الجديلة السامية. يتطلب التقدم الأخلاقي المعرفة، حتى لو كان هذا التقدم يتطلب شيئًا بالإضافة إلى المعرفة، نوع من الاستسلام لتلك المعرفة الذي هو نوع من الحب. الأفضل من بيننا هم الذين سمحوا للمعرفة المجردة عن الحقيقي - الجميل - الخيّر بإخضاع ما هو وضيع فينا، وأن تطرد من أفكارنا ما لا يليق بالعقول التي تحظى بامتياز رؤية ما تنبغي رؤيته. وعلى الرغم من أن هذا لا يعني أن الأذكياء جدًا هم بالضرورة جيدون - افتراض يسهل دحضه - إلا أنه يبدو أنه يقترح أن الجيدون جدًا يجب أن يكونوا أذكياء جدًا. المعرفة، رغم أنها قد لا تكون كافية للفضيلة، إلا أنها ضرورية.

وفي هذا الاقتراح الأخير، ربما يكون أفلاطون قد أصاب بالفعل عصبًا حيًا في أليافك الأخلاقية. آمل ذلك. آمل أنك تفكر في شيء من هذا القبيل: كيف يجرؤ أفلاطون على أن يقترح - أو تقترح هذه المؤلفة أن أفلاطون قد اقترح - أن الخير يتطلب ذكاءً لإدراك المجرد؟ سخافة! لا يملك الناس التحكم في درجة الذكاء التي يولدون بها. من الواضح أن هذا لا يعني أنهم لا يمكن أن يكونوا أشخاصًا صالحين، وغالبًا ما يكونون أفضل بكثير من تلك العينات المغرورة متكلفة الابتسامة الذين يتبخترون بأرقامهم في أقصى نهاية منحنى الجرس[86]. ربما كانت تلك مشكلة أفلاطون! على أي حال، من الواضح أن هناك شيئًا خاطئًا بشكل مقيت إما في منطق

(86) تتوزع معدلات ذكاء البشر على منحنى جرسي، الأذكياء جدًا والأغبياء جدًا، يشغلون النهايات القصوى للمنحنى. يقع معظم البشر قريبًا من المنتصف. (المترجم)

أفلاطون أو في تفسير هذه المؤلفة لمنطق أفلاطون، لكي توجه أي اهتمام على الإطلاق لنتيجة بغيضة أخلاقيًا إلى هذا القدر. إذا كانت هذه هي الطريقة التي يُفترض أن تُصلح بها الحقيقة إحساسنا بالخير، فسأظل متمسكًا بحسي غير المنصلح، شكرًا جزيلًا. لديَّ إيمان أكبر بكثير بحسي الأخلاقي من هذه البديهيات **الميتافيزيقية** باعترافكم.

إذا كانت ردة فعلك شيئًا من هذا القبيل، وربما حتى تفكر في هذه اللحظة في سبب أنك تمتلك إيمانًا أكبر بإحساسك بالخير (مختلف تمامًا، بالطبع، عن الإحساس بما هو خير لك)، من إيمانك بادعاءات أفلاطون حول كيف قد تعمل المعرفة على إصلاح هذا الإحساس بالخير - إذًا فقد نجح أفلاطون في هدفه الأكبر، وهو إشراكنا في هذه النوع بالتحديد من الأسئلة، طالما أننا نعرف بدقة كيف نبحث دائمًا عن التصورات المسبقة غير المفحوصة التي تحتاج إلى رجرجة عنيفة. كان اعتقاده بأنه يمكننا إحراز تقدم من هذا النوع نوعًا من التنبؤ الذي يأتي في حد ذاته من تشابك الآراء - الميتافيزيقية والمعرفية والجمالية والأخلاقية - في الجديلة السامية. إذا كان أفلاطون مصيبًا في الصورة الكبيرة للأمور، فعندئذ يجب أن نكون قادرين على أن نعود إليه ونرى المسائل التي تركناه فيها وراءنا، ليس فقط علميًا ولكن فلسفيًا وأخلاقيًا. هل نستطيع؟ هذا أحد الأسئلة التي أورثناها أفلاطون. وهناك غيرها الكثير.

أسئلة أفلاطون، أو التكرارات المتتالية لها التي نشأت استجابةً للظروف المتغيرة والمعرفة المتزايدة، هي ما يقابل العديد من خلافاتنا المعاصرة الأكثر صخبًا. وهنا القليل فقط منها:

عندما نختلف حول ما إذا كان 1٪ يساهمون حقًا في المجتمع بأكثر مما يسهم به 99٪ وما إذا كان ينبغي الاعتراف بمساهماتهم في شكل امتيازات متزايدة أو التزامات متزايدة، فإن أفلاطون موجود.

عندما نتجادل حول ماهية دور الدولة، سواء كانت موجودة لحمايتنا أو لجعلنا

أفضل، فها هو أفلاطون.

عندما نشعر بالقلق من قابلية الناخبين للتأثر بالديماغوجية ومخاطر خلط قيم الترفيه بالسياسة، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل ما إذا كان يجب على المفكرين المحترفين الذين تخرجوا من جامعاتنا ومراكز الفكر لدينا أن يلعبوا دورًا في القيادة السياسية، أو ما إذا كانت خبراتهم غير مجدية أو أسوأ من ذلك في المجال السياسي العملي، فها هو أفلاطون.

عندما نتجادل حول ما إذا كانت الحقائق الأخلاقية مرتبطة ارتباطًا لا ينفصم بالحقائق الدينية، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل عما إذا كانت كل الحقائق - حتى العلمية - ليست أكثر من مجرد أدوات ثقافية، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل عما إذا كان المنطق كافيًا - أو حتى ضروريًا - لإرشادنا في الحياة، أو ما إذا كانت هناك مناسبات يجب أن نتخلى فيها عن المنطق ونتبع قلوبنا، فعندئذ سيكون أفلاطون حاضرًا.

عندما نفكر في طبيعة الحب الرومانسي وما إذا كان مقدار الاهتمام والطاقة اللذان نحن على استعداد للتضحية بهما يمثلان خلاصًا لنا أو إسرافًا من جانبنا، فعندئذ سيكون أفلاطون حاضرًا.

عندما نتساءل عن طبيعة الفن العظيم وما إذا كان قادرًا على تعليمنا حقائق لا يمكننا معرفتها بطريقة أخرى، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل عما إذا كان ينبغي أن نغرس في أطفالنا عدم الرضا عن العادي فنلهمهم ليكونوا غير عاديين، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل عما إذا كان هناك فرق حقيقي بين الصواب والخطأ، أو ما إذا كنا نختلقه ونحن نمضي في الحياة، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل كيف، إذا عرفنا الفرق بين الصواب والخطأ، كيف عرفنا ذلك، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل كيف يمكننا تعليم أطفالنا الفرق بين الصواب والخطأ، سواء كان ذلك من خلال سرد القصص أو المنطق أو التهديد أو الحب، فها هو أفلاطون.

عندما نتساءل لماذا تبدو الفضيلة في كثير من الأحيان غير مجزية، إذ يعاني الطيبون بينما يزدهر الأشرار ويحصلون على مناصب، عندئذ سيكون أفلاطون حاضرًا.

عندما نتساءل عما إذا كانت الصورة العلمية للإنسان - بصفته خاضعًا لقوانين الطبيعة مثل الكمبيوتر الذي أكتب عليه - قد جعلت صورتنا الإنسانية الأكبر بالية قديمة، فها هو أفلاطون.

عندما نتأمل في الشكل الأخلاقي للتاريخ، ما إذا كانت البشرية تحرز تقدمًا أخلاقيًا أو أنها فقط تجد طرقًا أكثر فاعلية للتعبير عن الهمجية وعبادة الذات بطريقة وحشية، فها هو أفلاطون.

وعندما نتساءل عما إذا كنا أخيرًا قد أدركنا الحقيقة أو ما إذا كان علينا أن نسمع المزيد من الحجج من الجانب الآخر، فها هو أيضًا - دائمًا - أفلاطون.

β (بيتا)

أفلاطون في غوغلبلكس[87]

الشخصيات:

شيرِل، مرافقة إعلامية

ماركوس، مهندس برمجيات

روندا، الراوية وصديقة شيرِل



في ذلك اليوم، جئت إلى المدينة لرؤية صديقتي شيرِل لتناول مشروب و- بتعبيرها- للخوض في القليل من الحديث الخاص. أنا وشيرِل كلتانا من نيويورك وانتقلنا إلى الساحل الغربي، هذه إحدى الروابط بيننا - وربما تكون الرابطة الوحيدة- لكن بطريقةٍ ما أصبحنا صديقتين. التقينا في بار فندقٍ باهظ في «نوب هيل» وهو مفروشٌ مثل ماخور إيطالي، بستائر مخملية حمراء ثقيلة وتماثيل مذهبة. لكنه - مرة أخرى بتعبير شيرِل - هادئ مثل قبو، ما يعني أنه يمكنك سماع نفسك تتحدث، على الرغم من أن شيرِل، كالعادة، هي من تضطلع بمعظم الكلام. لا يمكنك إلقاء اللوم عليها بالكامل، بالنظر إلى الشخصيات المثيرة للاهتمام التي تلتقي بها باستمرار. إنها نسختي الخاصة من مدونة «غوكر»[88]، طريقة لإلقاء نظرة سريعة على حياة المشاهير، وأشباه المشاهير، والراغبين في فعل أي شيء، دون وضع أنفسهم في قوائم

---

(87) جوجلبلكس هو مجمع المقر الرئيسي لشركة جوجل، ويقع في 1600 أمفيثيتر بارك واي في ماونتن فيو، سانتا كلارا، كاليفورنيا. كلمة جوجلبلكس "Googleplex" هي مزيج من الكلمتين "Google" و"complex" أي مجمع. لكنها أيضًا تورية لكلمة جوجولبلكس "googolplex"، وهو رقم هائل. أولًا، لنبدأ بالجوجول، ويساوي 10 مرفوعة إلى الأس 100، أو واحد يتلوه مائة صفر. جوجولبلكس يساوي 10 مرفوعة إلى الأس جوجول، أو واحد يتلوه جوجول صفر. لطالما كانت شركة جوجل تفكر تفكيرًا كبيرًا.

(88) مدونة لأخبار المشاهير والإشاعات والقيل والقال. (المترجم)

المحكوم عليهم بالإعدام على أمل أن يصبحوا يومًا مشاهير.

تأخرَتْ، وكانت تلك أول معلومة تخبرني أن شيئًا ما قد حدث معها. شيرِل منظمة للغاية، وهو أمرٌ ضروريٌّ في مجال عملها. وإليك مدى التزامها بالنظام: أثناء ركن سيارتها الليكزس، اتصلت بي وأخبرتني أن أطلب لها شاي «لونج آيلاند» المثلج، وهو مزيج أقوى بكثير من «الشاردونيه» الذي نطلبه في العادة [89]. كانت المشروبات توضع على الطاولة عندما وصلت شيرِل، وسط صليل كل الأساور الفضية الكبيرة التي كانت ترتديها. دائمًا ما تأتي شيرِل في درعٍ كامل من اكسسوارات تيفاني [90].

بعد أن ألقت نكتتها الصغيرة حول العاملين في البار، الذين يتصرفون جميعًا كما لو أن هناك متطلبات صارمة مفروضة للدخول إلى هنا، بما فيها خطابات توصية من مدرسي الرياضيات والإنجليزية في الثانوية، استقرّت لتبدأ في إخباري عن آخر مغامراتها في مرافقة المؤلفين من حدث إعلامي إلى آخر. ونظرًا لأنَّ الجميع يكتبون الكتب هذه الأيام، تلتقي شيرِل بالسياسيين ونجوم السينما وجميع أنواع من كانوا يومًا ذوي شأن ومدمني الكحول والمخدرات، وحتى بعض الكتّاب الذين لا يفعلون شيئًا سوى تأليف الكتب. لديها الموهبة، كما تقول، التي تجعل الناس يطمئنون للحديث معها، وإذا حدث وتقاعدت وكتبت مذكرات صريحة، فستحتاج إلى مرافق إعلامي خاص بها ومحامٍ جيد.

يا إلهي، يا لها من تجربة مررت بها اليوم، استهلت الحديث بمقدمة صغيرة. كان المؤلف فيلسوفًا، وهو ما جعلني أعتقد أنه سيكون أخرقًا ومملًا، كان يستخدم اسمًا واحدًا بالتحديد، أفلاطون، وهو ما بدا لي غير منفرٍ تمامًا، كما لو أنه في نفس شهرة شير أو مادونا. منذ البداية اعتقدت أنه سيكون يومًا طويلًا جدًا، لكنني كنت مخطئة.

---

(89) شاي لونج آيلاند المثلج، هو مزيج ذو طعم بريء براءة المشروب الذي تقدمه خالتك البكر في الشرفة الخلفية، يُصنع في العادة من مزج أجزاء متساوية من الفودكا والجن والتكيلا والروم والتريبل سيك، مع مقدار ونصف من المزيج الحامض ورشة من الكولا.

(90) ماركة مصوغات. (المترجم)

أخذَتْ رشفةً طويلةً من مشروبها.

واصلتْ، مخطئة تمامًا. بالإضافة إلى أن الحدث كان واحدًا من تلك اللقاءات التي تدعو فيها شركة غوغل المؤلفين، وهذا المكان دائمًا ما يجعلني في حالة توتر. من الصعب أن تتنفس في جو التهنئة الذاتية الخانق هناك في غوغلبلكس. عندما يخبرني أحدهم أنه يعمل بجد ويلعب بنفس الجد، وهو ما أسمعه في كل مرة لعينة أذهب فيها إلى هناك، عندئذٍ أحرص على قلب عيوني . . . بقوة.

قلبت شيرِل عينيها وهي تقول ذلك. هجومها الشديد على موظفي غوغل بسبب احترامهم الزائد لذواتهم مضحك بطريقته الخاصة. إذا اضطررتُ إلى مرافقة المهمّين وأصحاب النفوذ كما تفعل شيرِل، فسأشعر بالرهبة الشديدة لدرجة أنني لن أفتح فمي ما لم يكن ذلك ضروريًا للغاية. بل أشعر بالرهبة نيابة عن شيرِل عند سماع أسماء المؤلفين الذين تعمل معهم. لكن بغض النظر عمن ترافق شيرِل، فهي لا تعرف الرهبة. بل على النقيض، إذا كنت تفهم ما أعنيه. لذلك من المضحك كم تصبح منزعجة من إيماءات الآخرين الصغيرة لأهميتهم الذاتية.

كانت تقول: بالطبع، هناك طعام. دائمًا ما أحاول أخذ المؤلفين لتناول الغداء هناك أولًا. لقد أخبرتك عن الطعام هناك، أليس كذلك؟ أعني أنه رائع. مقهى يوتشا هو المفضل لدي. إنه ضخم وجيد التهوية، ولديهم العشرات من المحطات لأطعمة فاخرة مختلفة مصنوعة بحبٍّ يجعلك تتخيلين من صنعوها في صورة آباء مغرمين يخرجون أعزاءهم إلى العالم. وبالطبع كل هذا مجاني، كما شرحتُ لأفلاطون. قلت له إن هذا أول شيء يجب معرفته عن الطعام هنا، إنهم يحصلون على الإفطار والغداء والعشاء وأي شيء مجانًا بالكامل. طعامٌ حسب الطلب.

سأكره ذلك، أخبرت شيرِل. سأكسب عشرة أرطال في أسبوع.

نعم، حسنًا، من الواضح أن هذه «مشكلة» – وأشارت في الهواء بعلامتي تنصيص – يشتكون منها بطريقتهم المتبجحة. نحن نعمل بجد، ونلعب بجد، **ونأكل** بجد، ما يجعلنا **نتمرن** بجد. أوه، يا إلهي، هل يمكنكِ أن تدركي كم

نحن مجموعة من الأشخاص المتفوقين؟ كانت شيرِل تقلب عينيها مرة أخرى. على أي حال، تابعتُ، كان أفلاطون يستمع إليَّ باهتمام شديد - إنه لأمر مقلق إلى حد ما كيف يستمع باهتمام - على الرغم من أنني كنت أُسهب، في نوعٍ من التداعي الحر، كنت فقط أحاول أن أجاذبه الحديث لأنني استطعت أن أرى أن مهارات هذا الرجل في الأحاديث الصغيرة لم تكن الأفضل. أتعلمين، هو من نوعية قاطني الأبراج العاجية، على الرغم من أخلاقياته الرفيعة للغاية، يكاد يكون ثمة شيء أرستقراطي فيه. كما أنه يتواصل بالعين على عكس الكثير من تلك الأنواع. في الواقع، تواصله بالعين **جاد**. نظرته تخترقكِ إلى حد الإرباك. على أية حال، عندما توقفتُ أخيرًا لالتقاط أنفاسي، سألني: وما هو الشيء الثاني الذي تجب معرفته عن الطعام هنا؟ كما ترين، عقله منطقي للغاية. إذا قلتي له، هذا هو أول شيء يجب أن تعرفه عن شيء ما، إذًا عليكِ أيضًا أن تعطيه شيئًا آخرَ ليعرفه عنه. لذلك قلت: حسنًا، أعتقد أن الشيء الثاني هو أنه لذيذ. وأنه بالطبع محلي وعضوي وجميع تلك الأشياء الأخرى التي يحبها الناس هنا.

ثم سألني، هل سمعت من قبل عن البريتانيوم؟

لا، أجبته، ما هذا، مطعم جديد ساخن؟

ابتسم نوعًا ما، وهو ما يميل إلى فعله بعينيه أكثر من فمه، وقال، على نحوٍ ما، نعم، هو ساخن. تستمر نار المدينة المقدسة في الاشتعال هناك طوال الوقت، وتُنقل شعلة منها إلى أي مستعمرة جديدة تُنشئها المدينة.

حسنًا، بالطبع، لم يكن لدي أي فكرة عن أي شيء كان يتحدث، على الرغم من أنني شعرت بشكل غامض أنه كان يلقي نكتة من نوع ما. لقد جاء من أثينا، نسيت أن أخبرك، ورغم أنني زرت اليونان في تلك الرحلة البحرية مع مايكل قبل ولادة الأطفال، إلا أنه كلما تحدث أفلاطون، أدركت أنني ومايكل لم نر اليونان الحقيقية. أعني، ليس لديك فكرة عن مدى اختلاف الأمور هناك، على الأقل عند الاستماع إلى أفلاطون وهو يصفها. على أية حال، أخبرني أن مطعم البريتانيوم يقدم أيضًا وجبات

مجانية.

فقلت له لا تمزح! هذا شيء صعب. كيف يمكنهم تحمل تكاليف الاستمرار في العمل؟

أجاب أن المدينة هي التي تديره، والوجبات مخصصة في الأساس لمن قدموا خدمات استثنائية للمدينة. [91] كان لدي صديق تعرّض لمشكلة قانونية مؤسفة للغاية. سقراط الذي اتهم بتهمتين، الإلحاد وإفساد الشباب.

إفساد الشباب؟ يبدو ذلك ظلاميًا جدًا. هل كان يشتهي الأطفال أو ما شابه؟ سألته.

قال: ليس بالمعنى الذي تفكرين فيه غالبًا، رغم أنه كان يحب اليافعين.

حسنًا، آمل ألا يكون بالمعنى الذي أفكر فيه! قلت له مباشرة، مما جعله يجفل نوعًا ما.

كانت التهمة مسألة عدم قبوله للقيم الأخلاقية لمجتمعه وتشجيعه الشباب على التساؤل عنها أيضًا. وكان محقًا في مساءلتها وحثّنا نحن الرجال الأصغر سنًا على التساؤل عنها. وكدليل على مدى فساد المجتمع، انتهى الأمر بهيئة المحلفين إلى إدانته. [92]

كان يجب أن تريْ وجهه عندما قال ذلك يا روندا. كانت تلك أول إشارة بأن هناك الكثير الذي يدور خلف ظاهره. إنه شخص منضبط - جدًا، لا أعرف، رسمي

---

(91) عُرفت هبة الإطعام على النفقة العامة في البريتانيوم أو الثولوس، وهو مبنى دائري، باسم sitēsis (منحة الطعام). البريتانيون (الخمسون مواطنًا الذين قادوا البرلمان، المجلس المكون من خمسمائة عضو، في الأشهر العشرة التي تمثل التقويم الأثيني) كانوا يطعمون على النفقة العامة، في الثولوس عادةً.

(92) انظر مايلز بورنييت،

"The Impiety of Socrates," *Ancient Philosophy* 17, no. 1 (1997): 1–14

لوجهة النظر المقبولة على نطاق واسع الآن بأن أفلاطون يمثل سقراط باعتباره مذنبًا متلبسًا. كانت التهمة المحددة الموجهة ضد سقراط هي أنه لا يؤمن بآلهة المدينة، ويزعم بورنييت، على أساس محاورات **الدفاع وأوطيفرون** وأجزاء من **الجمهورية والقوانين**، أن ذلك هو بالضبط كيف يعرض أفلاطون سقراط. وأنا سأقول أن ربيته كان من شأنها تقويض هوية مجتمعه الأثيني. راجع الفصل 7 زيتا أدناه.

ربما.

وصحيح أنه في كل مرة مثلت فيها شيرِل كلمات أفلاطون، اتخذَت هيئة رسمية، وتحدثت ببطء ودقة، كما لو أن كل كلمة قد وُزنت بعناية. إنها ممثلةٌ بالفطرة تذهب تلقائيًا إلى التشخيص.

في الواقع، كلما طالت المحادثة، تابعتُ، كلما رأيت وميضًا من الشعور الإنساني الحقيقي يتحرك خلف واجهته الرخامية، يمكنني أن أخبرك من شَدّه على فكه ومن الطريقة التي كان صوته اللين أصلًا يزداد بها ليونة،[93] إلى أي مدى كان ما حدث مع صديقه سقراط مؤلمًا بالنسبة له.

لذا سألته: منذ متى حدث ذلك لصديقك؟

قال: أوه، إنه تاريخ قديم. كنت شابًا، لم أتجاوز بعد العشرينات من عمري.

قلت: هذا مثير للاهتمام، مقتحمةً قصة شيرِل، وهو ما لا تفضله. قلت: من النادر أن يهتم رجل إلى هذا الحد بصديق. هل أنتِ متأكدة من أن سقراط كان مجرد صديق وليس شيئًا، كما تعلمين، أكثر؟

قالت شيرِل: حسنًا، بالطبع خطرت لي الفكرة أيضًا. لكنكِ لا تسألين شخصًا عن ذلك هكذا مباشرةً، بالذات إذا كان شخصًا مثل أفلاطون. أتعلمين، حيلتي لجعل المؤلفين يخبرونني الكثير؟ إنها طرح السؤال المجاور للسؤال الذي أريد حقًا طرحه. لذلك قلت فقط، قصة مروعة. ألم يكن لديه محامٍ جيد؟

المحامون، قالها أفلاطون وهو يبتسم. لقد سمعت عن مثل هؤلاء الناس.

قلت له: **بالطبع** سمعتَ عنهم، وأتساءل مرة أخرى ما إذا كان ذلك مثالًا على نوعٍ من الفكاهة، نوع من نكت المحامين، خاصة وأنه قالها بابتسامة خفيفة. وجهه جامدٌ جدًا، ذو بنيةٍ عظمية قويةٍ جدًا، وواسعة نوعًا ما عند الجبهة، لا تبدر منه أية

---

(93) في الواقع، هناك تقارير تفيد بأن أفلاطون حاضَر في الأكاديمية بصوت ناعم للغاية، ربما كانت حيلة لجعل طلابه يقتربون منه لالتقاط كل كلمة.

حركات مفاجئة، لا من وجهه ولا من غيره. يمكنكِ أن تري اللياقة البدنية القوية التي لا بد أنه تمتع بها عندما كان أصغر سنًا، ولا يزال مستقيم الظهر كالسهم.[94]

قال أفلاطون: ليس لدينا مثل هؤلاء الناس في أثينا. يَتهم المتِهمون ويدافع المتهَمون. كل يعمل محامٍ لنفسه. ومن يستطيعون تحمل التكلفة يستعينون بكاتب لكتابة خطاباتهم.

ليس لديهم محامون، قاطعتُ شيرِل. يجب أنه يمزح بك. من قال إن اليونان ليس فيها محامون؟

لا، وهذا ما قصدته بأن اليونان مختلفة بشكل لا يصدق يا روندا. شيء محير جدًا.

هل أنتِ متأكدة أن أفلاطون هذا ليس أحد كتاب الخيال الذين تعملين معهم؟ سألتها.

حسنًا، إن كان كذلك، فهو أكثر إقناعًا من أي منهم. لن أسمع كلمة «جاذبية» مرة أخرى دون التفكير فيه. هذا الرجل **مقطوع** من الجاذبية. قال: إن الإجراء المتبع في مدينتنا هو أنه إذا ثبتت إدانتك فسوف تقترح العقوبة التي تعتقد أنها عادلة. ثم يقترح المتِهمون عقوبة أخرى، أقسى بالطبع، ثم تصوت هيئة المحلفين على العقوبة، غالبًا بهدف الوصول إلى أمر وسط. جاء هذا الإجراء على حساب سقراط. فقد اشتهر صديقي بسخريته، ولم يكن ميالًا إلى التخلي عنها، ولا حتى عندما كانت حياته على المحك. ويجب أن أقول **خاصة** عندما كانت حياته على المحك، لأنه أن تجبن قبل

(94) وفقًا لألكساندر من ميليتوس، الذي اقتبس كلامه ديوجين لارتيوس في كتابه "**حياة ومذاهب الفلاسفة البارزين**" (الكتاب الثالث، **حياة أفلاطون**، الفصل الرابع)، والذي كتب ربما في بداية القرن الثالث الميلادي، كان اسم أفلاطون الحقيقي هو أرستوكليس، ابن أرستون، من مقاطعة كولينوس، والمصادر اللاحقة تؤكد أن اسمه أرستوكليس، لكنهم ربما اعتمدوا ببساطة على ديوجين كمصدر. ونعلم، أن أرستوكليس هو اسم جده، وكان من المعتاد تسمية الصبي باسم جده، وهذا دليل (هزيل) مستقل على اسمه الأصلي. يذهب ديوجين إلى القول إن اسم أفلاطون أطلقه عليه أحد أساتذته في الجمباز، أريستون من أرغوس، "بسبب بنيته القوية"، مضيفًا "لكن آخرين يؤكدون أنه حصل على اسم أفلاطون من اتساع (*platutèta*) أسلوبه أو من عرض (*platus*) جبهته. قلة من العلماء ما زالوا يتمسكون بأن اسم أفلاطون كان مختلفًا عن "أفلاطون"، منذ أن قال به جيمس أ. نوتوبولوس في "اسم أفلاطون"، **فقه اللغة الكلاسيكية** 34 (1939): 135–145.

الموت، وتظهر استعدادًا لفعل أي شيء، أن تطرح أي مبدأ، من أجل درء الموت بضع لحظات – إذ إنها ليست سوى لحظات فقط في عمر الخلود – هو شيء ينافي الرجولة.

تلك نظرة مثيرة للاهتمام بشأن الموت، أخبرته، لكن لدي ملاحظة مفيدة. لو كنت مكانك لتجنبت استخدام صفات مثل «ينافي الرجولة» لأنها قد تبدو متحيزة جنسيًا، كما لو أنك تعتقد أن الرجال ربما يتفوقون على النساء.

كيف تقبل ذلك؟ سألتُ شيرِل.

بصورة مدهشة، قالت شيرِل، خاصة بالنسبة لشخص من الطراز القديم إلى هذا الحد. شكرني على نصيحتي، ووعد بأنه سيحاول تذكر تجنب الكلمات المتحيزة جنسيًا في المستقبل. وقال: لم تفتني ملاحظة مدى اختلاف النظرة للنساء في مجتمعك مقارنة بمجتمعنا. لطالما وجدت إبقاء النساء الموهوبات معزولات في منازلهن إهدارًا غير معقول للموارد البشرية، وهذا ما نفعله.[95] طريقتكم أكثر عقلانية بكثير في الاستفادة من الإمكانات البشرية، لذا اسمحي لي بتعديل عبارتي الأخيرة وقول أن سقراط اعتبر أنه من **المشين** أن يقدم المرء على فعل ما بهدف وحيد هو تأجيل الموت، خاصة وأن الافتراض القائل بأن الموت شر اتضح أنه ليس من السهل تبريره[96]. أثناء النطق بالحكم، تعمد سقراط ذكر «أخيل»[97]، الذي عُد أعظم بطل أسطوري في جميع أنحاء اليونان. أُعطي أخيل الاختيار بين حياة قصيرة مجيدة أو حياة طويلة ولكن أقل استثنائية، بالطبع، اتخذ أخيل الخيار البطولي، وكذلك فعل سقراط، على

---

(95) في الواقع، أظهر أفلاطون مساواة مذهلة بين الجنسين. انظر **الجمهورية** 451-457b، من أجل مناقشته العامة لسبب وجوب حصول الفتيات الاستثنائيات على نفس التعليم تمامًا مثل الأولاد الاستثنائيين، المصمم لتدريبهم ليكونوا أوصياء على مدينته الفاضلة، **كاليبوليس**. يتضمن نقاشه عبارات من هذا القبيل: "لذلك لا توجد طريقة حياة معنية بإدارة المدينة تخص امرأة لأنها امرأة أو رجلًا لأنه رجل، لكن الطبائع المختلفة موزعة بنفس الطريقة في كلا المخلوقين" (الجمهورية 455d). ومع ذلك، من المهم الإشارة إلى أن مساواته بين الجنسين تنبع بشكل أكبر من الاعتبارات المتعلقة بما سينفع الدولة الأفضل إدارةً. ويقل تركيزها، إن وجد، على عدم إنصاف المرأة في حرمانها من تكافؤ الفرص. إنما تركز على ظلم الدولة في حرمانها من جميع أفرادها الموهوبين.

(96) **الدفاع** 28b–29c.

(97) المرجع السابق 28b–d.

الرغم من أنني يجب أن أذكر أن صديقي قد بلغ بالفعل عامه السبعين، لذلك لم يكن خيار الحياة القصيرة متاحًا.[98] ومع ذلك، لم يخضع لمهانة التصرف فقط لتجنب الموت الوشيك، خاصة عندما يتطلب ذلك انتهاكًا للمبادئ التي عاش بها حياته. لذلك عندما طُلب من سقراط اقتراح عقوبة من شأنها أن تعكس بدقة جريمته، أجاب سقراط أنه بما أنه قدم خدمة لا تقدر بثمن لمدينته، محاولًا إيقاظ مواطنيها من سباتهم في الرضا، ولم يطلب أبدًا أي تعويض عن خدماته، إذا أرادت المدينة حقًا أن تكون عادلة معه، فعليها التصويت له على وجبات مجانية مدى الحياة في البريتانيوم. كانت تلك العقوبة التي اقترحها بعد أن حُكم عليه بالفعل بارتكاب جريمة يعاقب عليها بالإعدام. (**الدفاع** c-d36)

قلت له: يالها من «شوتزفه» تلك التي أبداها صديقك هناك.

شوتزفه؟ سألني. هذه كلمة لا أعرفها.

الجرأة، بينتُ له. كنت سأقولُ «خِصيَ»، لكن الكلمة تجمدت على شفتي بعد تلك الكلمة الثقيلة التي ألقيتها للتو.

وكيف سار الأمر مع صديقك؟ سألته.

أجاب: ليس بأفضل حال، ونظر إلى يديه المطويتين. كان المحلفون غاضبين للغاية من «شوتزفه» سقراط – نطقها نطقًا مثاليًا يا روندا – لدرجة أن عددًا أكبر صوت لإعدامه ممن صوتوا لحكم الإدانة في البداية. عرض مثالي للاعقلانية الأثينية وتثمينها الطائفي للجماهير. كان سيبدو أمرًا مضحكًا لو لم يكن مأساويًا.

---

(98) يؤكد زينوفون على اعتقاده بأن سقراط أراد أن يموت ، بعد أن وصل إلى سن تتدهور فيه الحياة تدريجيًا: "كان سقراط قد تقدم بالفعل في العمر وإن لم يكن قد مات، كانت حياته ستصل إلى نهايتها الطبيعية قريبًا؛ وثانيًا، مع تقدم الأمور، فقد أفلت من أخطر عبءٍ في الحياة بإفلاته من سنوات العمر التي تجلب اضمحلال القوة الفكرية للجميع - بدلًا من ذلك مُنح الفرصة لإظهار القوة الكاملة لروحه واكتساب المجد الذي أبده جزئيًا أسلوبه في الدفاع عن نفسه - الموفق في صدقه وحريته واستقامته على حدٍ سواء - وجزئيًا الطريقة التي تقبل بها حكم الإدانة بنبل ورجولة غير متناهيين. ذلك أنه لا يوجد في ذاكرة البشر، وهذا من المسلمات، من أحنى رأسه للموت بطريقة أكثر نبلًا." **التذكارات**، الفصل الثامن، trans. H. G. Dakyns (Macmillan, 1897)

قلتُ يا لها من قصة حزينة، وبالفعل، بالحكم من تعابيره، كنتِ ستقولين إن وفاة صديقه قد حدثت بالأمس فقط. كدت أرى عاطفته تنزف من بين الرخام. قلت له: أستطيع أن أرى كيف أن الأمر لا يزال يؤثر عليك حقًا. يتغير سلوكك بالكامل عندما تتحدث عنه. أنصحك بالحديث عنه أكثر. سيحب المستمعون ذلك. بالطبع، كنت أحاول تحفيزه، إذ إن موعد كلمته كان بعد أقل من ساعة. وقد سمعت من العديد من المؤلفين الذين عملت معهم أن العزاء الوحيد للفترات السيئة التي مروا بها هو أنه يمكنهم دائمًا استخدامها في كتاباتهم.

أجاب: كان أفضل رجل في زمانه (الرسالة السابعة 324e).

هل كتبت عن علاقتك الخاصة به في كتابك؟ سألته.

قال: لقد كتبت عنه في كثير من كتاباتي.

وماذا عما تشعر به تجاهه، وتأثيره عليك؟

لا، أجاب، أنا لم أكتب عن ذلك على وجه التحديد.

قلت له: حسنًا، يجب عليك ذلك. ستحظى بكتاب سيكون من بين الأفضل مبيعًا. مزيجٌ من الثلاثاء مع موري ورجل ميت يمشي.

نظر إليّ فقط وابتسم، راودني إحساس أنه لا فكرة لديه عما أتحدث عنه. وليست الفكرة أنه يوناني فحسب، روندا، بل كونه أجنبيًا بطريقة غريبة، الأمر الذي أصبح واضحًا بشكل متزايد مع مرور اليوم. إنه أول فيلسوف أصطحبه على الإطلاق. أعني أول فيلسوف **محترف**. رافقت رجالًا مثل ويليام بينيت ودينيش ديسوزا. وذات مرة رافقت بونو.

على أية حال، كنا نتجول طوال هذا الوقت ونأخذ الطعام من المحطات المختلفة، وأنا أحثّ أفلاطون على تجربة القليل من هذا والقليل من ذلك. كان صعبًا للغاية، مثل الأطفال الذين لا يريدون تجربة أي شيء جديد - كان ابني جيسون هكذا وقد دفعني إلى الجنون. كنت أفكر في جيسون بينما كنت أحث أفلاطون على تجربة

السوشي كان ينظر إليه كما لو أنه صرصور مسلوق أو فطيرة من طين[99]، وهو ما كنت أقوله لجيسون. لديهم في المقهى تلك الطاولات الطويلة المشتركة، مثلما في المدرسة الابتدائية، وهي على الأرجح ليست من قبيل الصدفة لأن معظم موظفي غوغل بالكاد تجاوزوا المدرسة الابتدائية، ولا يزالون يأتون إلى المكان بحقائب الظهر والتي شيرت والجينز ثم يعودون إلى بيوتهم برواتب كبيرة يبذرونها على ألعابهم. رصدت طاولة فارغة إلى حد ما وقدته إليها، وفرقت حقيبتي ووشاحي وسترتي لإبعاد المزعجين. شرحت له أنه لم يكن لدينا الكثير من الوقت لأن وفدًا كان سيصل في غضون أربعين دقيقة تقريبًا لأخذه في جولة حول الغوغلبلكس، والتي أخبرته أنه يمكنني إنقاذه منها إذا أراد.

لماذا يجب أن أتخلى عن رؤية الغوغلبلكس؟ سأل.

أجبته، حسنًا، كما تعلم، وكنت أحاول أن أتحلّى بالكياسة قدر الإمكان، كنت أفكر فقط في أن هذه جولة ترويجية شاقة للغاية. كم من المدن ستزور، قرابة اثنتي عشرة مدينة في ثلاثة أسابيع؟ أنت في حالة بدنية جيدة، لا تخطئ فهمي، أنا أعرف كيف يحب اليونانيون ممارسة التمارين وكل تلك الأمور، لكن لا يزال أمامك جدول زمني محموم جدًا، لليوم فقط. لقد حجزوا لك أكبر غرفهم هنا، ما يعني أنهم يتوقعون حشدًا كبيرًا، لذلك أود أن أبقيك في صورة حسنة. ثم يأتي توقيع الكتاب بعد ذلك، وهو الهدف من كل هذا ولنأمل أن تحصل يدك التي توقع بها على تدريب جيد. لذا أعتقد أنه ربما يجب عليك أن ترتاح قليلًا بدلًا من القيام بالجولة في غوغل. أنا متأكدة من أن لديهم غرف للقيلولة هنا، بما أن لديهم كل ضروب الرفاهية. بما في ذلك يا روندا، مقاعد المرحاض المدفّأة التي أحرص على ذكرها لمؤلفيّ، والتي تغسلك وتجففك وتفعل كل شيء ولا يتبقى لها إلا أن تُجشأك. بطريقة ما بدا أنه من غير المناسب ذكر مقاعد المرحاض لأفلاطون.

لكن على أية حال كان حريصًا حقًا على الجولة. لا أريد أن أهدر فرصي لتعلم

(99) في الأصل pie à la mode أو فطيرة على الموضة، هي فطيرة فرنسية يوضع فوقها آيس كريم. هنا تقول الكاتبة pie à la mud، فطيرة من طين.

أقصى ما أستطيع عن البوليس[100]، هكذا قالها.

الشرطة؟ قلت له، أنا لا أفهم. ما علاقة الشرطة بأي شيء؟

قال: آسف، قصدت المدينة. أريد أن أتعلم ما أستطيع عن هذه المدينة.

«ماونتن فيو»؟ سألته مرتابة.

أقصد، ربما، أكثر عن هذه المدينة «غوغلبلكس»، أجاب.

قلت: حسنًا. أعتقد أنها مدينة مكتفية بذاتها. لكن لماذا أنت متحمس جدًا للتعرف عليها؟

أليس غوغل هو أقوى وسيلة لاكتساب المعرفة؟

قلت: نعم، إنه محرك بحث قوي، لكن ليس عليك أن تفهم كيف يفعلون ذلك لتتمكن من استخدامه. الجميع في العالم يستخدمون غوغل، لكن لا أحد يفهم كيف يعمل. إنه سحر تقني.

قال أفلاطون: إذا لم نفهم أدواتنا، فهناك خطر أن نصبح نحن أداةً لأدواتنا، وهي ملاحظة اعتقدت أنها ذكية للغاية، لا سيما بالنظر إلى مدى ضآلة ما يعرفه بالفعل عن غوغل أو أي شيء عن الإنترنت.

قلت: أعلم أن أحدًا لم يسألني عن رأيي، لكن لو أنني صاحبة الشأن، لكنا تجاوزنا موضوع مؤلفين في غوغل[101] هذا برمته. إنهم لا يشترون ذلك العدد الكبير من الكتب على أية حال. وعادةً ما أجد جمهورًا باهتًا جدًا لمؤلفيّ، إلا عندما تشتري غوغل الكتب وتقدمها كهدايا، وهو أمر نادر الحدوث للغاية، قياسًا إلى موارد هذا المكان. وأنا أحذرك من الآن. سيفتحون حواسيبهم طوال الوقت الذي تتحدث فيه، وأعينهم ملتصقة بشاشاتهم بدلًا منك. وهو أمر مزعج للكثير من مؤلفيّ، فكما تعلمين، يا روندا، وربما أنا أكرر كلامي هنا، لكن المؤلفين هم على الأرجح أقل

---

(100) بوليس في اليونانية، المدينة.

(101) Authors@Google

الناس شعورًا بالأمان في العالم. وكلما زاد افتتانهم بذواتهم، زاد انعدام الثقة. لا أعرف ما إذا كان انعدام الأمان هو الذي يدفعهم إلى تأليف الكتب في المقام الأول، أم أن تأليف الكتب هو ما يجعلهم غير آمنين. كل ما أعرفه هو أن معظمهم عُصابيون مثل طفل جاء من علاقة بين ليندسي لوهان وودي آلن. فكرة جيدة! على أية حال، فقط لا تدع تحديقهم في حواسيبهم يزعجك، أخبرت أفلاطون. أهم ما يجب أن تتذكره هو أن حديثك سيوضع على الإنترنت، وهو حيث ستبيع كتبك. واصل النظر إلى الكاميرا فحسب وانس أن كل من أمامك لا يستمع إلى كلمة تقولها.

هل سيشاهدون عندها صورتي على شاشاتهم بدلًا من مشاهدتي وأنا أتحدث؟ يشبه ذلك إلى حد كبير سيناريو معين تخيلته ذات مرة.[102] في الواقع، لقد فكرت في التحدث عن هذا السيناريو للجمهور هنا، نظرًا لوجود نوع من الرابط بين ما كنت أتخيله هناك وفكرة شفرات المعلومات التي يمكن من خلالها إنشاء الصورة بأكملها، وهو ما يبدو لي على صلة بالأفكار التي تُبحث هنا، على الأقل من القليل الذي فهمته.

قلت: حسنًا، وأنا أخطو بحذر حول غروره المكشوف، وهو، بالطبع، أول شيء تتعلمينه في مجال عملي، **يحتمل** أنهم يبحثون في غوغل عن معلومات عنك أثناء حديثك، هذا ممكن تمامًا. وبخصوص ما يجب أن تتحدث عنه، فالأمر متروك لك بالطبع، ولكن بالتأكيد يجب أن يكون مرتبطًا بأحدث كتاب لك، لأن هذا هو الكتاب الذي تروج له هنا.

لدى أفلاطون ذلك المزيج الغريب من الرقي الفكري والجهل المطبق. كان لديّ إحساس بأن أي طفل ذي وجه مليء بالبثور يبلغ سبعة عشر عامًا نشر أولى مذكراته لديه فهم أفضل لما يمثله ترويج كتاب عن أفلاطون.

قال: يمكنهم إذًا، كما تقولين، **البحث في غوغل** عني، أو عن مواضيع أخرى أيضًا.

---

(102) أعتقد أن أفلاطون يشير إلى أسطورة الكهف. انظر **الجمهورية** 514a-518d وانظر الفصل ثيتا θ، حيث أناقش أسطورة الكهف بمزيد من التفصيل.

نعم، أنت تعلم أن كلمة «google» أصبحت الآن فعلًا. فأنت تبحث في غوغل كلما أردت أن تعرف أي شيء على الإطلاق، أي موضوع، كبيرًا كان أم صغيرًا، وضحت له، وأنا أتساءل ما إذا كان الاستخدام اللغوي أم شيء آخر هو ما يدور بعقله. ليس الأمر أنه ليس لديهم غوغل في اليونان، أو على الأقل أفترض أنه لديهم. بالطبع، إذا لم يكن لديهم محامون، فمن يعلم ما الذي ينقصهم أيضًا؟

تستخدمين غوغل كلما أردتِ معرفة أي شيء على الإطلاق، كرر كلامي، أي موضوع، كبير أو صغير. إذًا تتركز كل المعارف هنا في غوغلبلكس، ومن يعملون هنا مطلعون على كل المعارف. هذا أمر غير عادي قد يصل إلى السذاجة، أنه يمكن تركيز المعرفة بهذه الطريقة.

حسنًا، كما ستعلم في جولتك، فإن المعرفة ليست في الواقع في غوغلبلكس. هذا مجرد مقر للشركة.

أين هي إذًا؟ سألني. أين المعرفة؟

قلتُ: إنها ليست في أي مكان محدد. إنها في السحابة.

عندُ ذلك أصبح متحمسًا للغاية،[103] وبدأ يسألني كل تلك الأسئلة التي لم أستطع الإجابة عليها. أعني، أنني كنت في تلك الجولة مرات لا أحصيها ولكني لم أكن أستمع أبدًا. قلت له: لكن فكرتك الأخرى، حول كون غوغل مُطلعًا على كل المعارف؟ أعتقد أنك وضعت إصبعك على شيء ما. بصراحة، لا أريد حتى التفكير في كل المعلومات التي يطلع عليها موظفو غوغل هؤلاء.

قال أفلاطون: إن امتلاك المعرفة لا يمكن إلا أن يكون شيئًا حسنًا[104]، وهو مثال

(103) حماس أفلاطون مفهوم، خاصة وأن سحابة المعلومات غير المركزية بها شيء من الأفلاطونية.

(104) في بعض المحاورات، يذهب أفلاطون في ربط الخير والمعرفة بقوة إلى حد الإشارة إلى أن معرفة ما هو جيد ضروري وكافٍ لفعل الخير. هذه العلاقة القوية بين الخير والمعرفة تجعل فكرة الأكراسيا - أو ضعف الإرادة - إشكالية، لأن ضعف الإرادة يتمثل في معرفة ما هو جيد لكن مع عدم فعله، على الأرجح لأن المرء لا يريد ذلك. الادعاء بأن المعرفة كافية لفعل الخير لا تعتمد فقط على نظرية الخير لكن أيضًا على نظرية إرادة الإنسان، والتي وفقًا لها من طبيعة هذه الإرادة أن تريد الخير. انظر، على سبيل المثال،

على نوع الجهل الذي أتحدث عنه هنا والذي يبدو أنه يتجاوز الجهل الناتج عن اللغة الإنجليزية كلغة ثانية.

قلت له: حسنًا، لن أكون جازمة إلى هذا الحد. في الواقع، كنت في الأسبوع الماضي فقط برفقة مؤلف نشر كتابًا عن كم المعلومات التي تجمعها شركة غوغل عن كل فرد منا، ونظرًا لأن غوغل شركة والغرض من الشركات هو كسب المال، فمن المحتمل أنها تبيعها للمعلنين، حتى يتمكنوا من تفصيل إعلاناتهم لنا خصيصًا. ذلك الرجل، سيفا فيدهياناثان، وهو أيضًا أستاذ مثلك، يقول إننا نرى أنفسنا عملاء لغوغل، لكننا حقًا منتجاتها. نحن – جميع رغباتنا الخفية وغيرها، والتي تتعقبها غوغل من خلال متابعة ما ننقر عليه – هو ما تبيعه غوغل للمعلنين.[105] لست متأكدة من أن كل ما يقوله صحيح – أعني، أنا آخذ كل ما يقوله مؤلفيّ بحذر، لم أخبر أفلاطون بذلك – لكنني أعتقد أن هناك شيئًا مخيفًا حول مقدار ما تعرفه غوغل وكيف أنها تحاول دائمًا معرفة المزيد، تلتهم كل حقيقة في كل الأكوان، وليس في هذا الكون فحسب، يا روندا، بل جميعها، كانت تلك **فومةً** حاول العالِم الذي كنت أعمل معه الأسبوع الماضي نشرها بقوة.

ترمز فومة «VOOM»[106] إلى فكرة بالغة الأهمية، جميع المفكرين الكبار الذين ترافقهم شيرِل لديهم فومات. لا أتذكر ما إذا كانت شيرِل قد اختلقت الكلمة أم أن كلمة فومة هي من فومات أحد مؤلفيها.

بروتاغوراس 358d: "لا أحد يذهب بإرادته نحو السيئ." من الممكن أن يكون هذا الرأي أقرب إلى وجهة نظر سقراط التاريخية من وجهة نظر أفلاطون الناضج. نظرية أفلاطون للروح الثلاثية، التي وضعها في **الجمهورية**، هي إعادة صياغة لنظرية الإرادة التي تترك مجالًا للأكراسيا.

(105) **جوجلة كل شيء (ولماذا يجب أن نقلق)** (بيركلي: مطبعة جامعة كاليفورنيا، 2011). شيرِل لا تقتبس حرفيًا من فيدهياناثان. هذا ما كتبه: "لسنا عملاء جوجل، نحن منتجها. نحن - خيالاتنا وميولنا وتفضيلاتنا - هو ما تبيعه جوجل للمعلنين." تعرض هذا ادعاء فيدهياناثان هذا تحديدًا للتشكيك. في هذه المرحلة لا تبيع جوجل معلومات محددة عن أي منا للمعلنين، لكن فيسبوك تفعل ذلك. لمناقشة ممتازة لاطلاع جوجل غير المحدود، راجع مقالة دانيل سور "إنها تعرف" في:
London Review of Books, October 6, 2011.

(106) Vision of Outstanding Moment.

إذًا أنتِ تخبرينني أن الغرض من كل هذه المعرفة هو مجرد كسب المال؟ الجشع يقود المحرك العظيم للبحث عن المعرفة؟ هذا يحيّرني أكثر من أي شيء آخر عرفته عن هذا المكان. كيف يمكن لمن يمتلكون كل المعرفة، والتي يجب أن تشمل المعرفة بالحياة التي تستحق أن تُعاش، أن يهتموا باستخدام المعرفة فقط من أجل الهدف التافه المتمثل في جمع المال؟

ماذا تفعلين عندما تواجهين جهلًا هائلًا من هذا النوع؟

قلت: أفلاطون، أعتقد أن لديك وجهة نظر سامية إلى حد ما تجاه غوغل والمهووسين الذين يعملون هنا.

مهووس «Nerd»؟ قال: كلمة أخرى لا أعرفها.

حسنًا، مرة أخرى وجدت نفسي في موقف غريب إلى حد ما، لأنني لم أرغب في الإساءة إلى أفلاطون، الذي بدا لي، على الرغم من أخلاقه الممتازة وتواصله بالعين، مهووسًا بامتياز. لذا عدت إلى شيء سمعته ذات مرة من أحد مؤلفيّ، الذي قال إنَّ الكلمة كانت في الأصل«knurd»، وهي «سكران»[107] لكن مقلوبة، وكانت تستخدم للطلاب الذين يفضلون الدراسة على الحفلات. على أية حال، ذلك هو التفسير الذي أعطيته لأفلاطون.

والناس الذين يعملون هنا في غوغل هل كلهم مهووسون؟ سألني.

قلت: أجزم أنهم كذلك فردًا فردًا.

ابتسم ونظر حوله في المقهى وكأنه مات وارتقى إلى جنة الفلاسفة. على ما يبدو، لم أفلح مطلقًا في تغيير وجهة نظره المثالية المجنونة عن غوغلبلكس. قال لي، وهو لا يزال مبتسمًا: المصطلح الذي أختاره اسمًا للشخص المهووس، هو «الملك الفيلسوف».

(107) Drunk.

هل كان يمزح أم ماذا؟ سألتني شيرِل: ما رأيك؟

قلت لشيرِل: لست متأكدة، لكنني لا أعتقد ذلك.

قالت: لم يكن يمزح، لكنني في تلك المرحلة من المحادثة لم أكن متأكدة، لذا قررت أن أتركها تمر على أنها مزحة. أولئك ملوك؟ قلت له. أشك في أن أي منهم يمتلك حتى قطعة من الملابس ليست بنطلون جينز أو تي شيرت.

قال أفلاطون: أتعلمين - وهو ما يزال يتفحص الغرفة - لقد أمضيت الجزء الأكبر من حياتي في محاولة معرفة كيفية التأكد من أن الأفضل للحكم هم الذين يحكمون في النهاية. لقد فكرت كثيرًا في كيفية تعليم الحكام حتى لا يقعوا في حب سلطتهم.(108) لكنني أعترف أنني لم أفكر مرة واحدة فيما يجب أن يرتديه هؤلاء الحكام للعمل.

أجبته يمكنني أن أرى كيف لا تفكر كثيرًا في الملابس. أنت مؤلفي الأول الذي يرتدي توجا.(109)

انتظري لحظة، شيرِل، قاطعتها مرة أخرى. هل تخبرينني أن مؤلفك كان يتجول في ماونتن فيو مرتديًا توجًا؟

أوه، ألم أذكر ذلك؟ قالت بمرح. حتى أعلم أنها كانت تنتظر اللحظة المناسبة لمفاجأتي. نعم، كان يرتدي توجا صغيرة بيضاء لطيفة، وصندلًا يبدو أصيلًا للغاية، مثل شيء ربما كانوا يرتدونه وهم يشاهدون المسيحيين المتمسكين بدينهم يُطعمون إلى الأسود.

قلت لشيرِل: أعتقد أن الرومان هم من فعلوا ذلك.

---

(108) "لكن ما نطلبه، قلت، هو أن من يصلون إلى الحكم ينبغي ألا يكونوا من عشاق الحكم." **(الجمهورية 521)**

(109) ليست شيرِل راوية موثوقة تمامًا فيما يتعلق بتفاصيل الملابس اليونانية. كذكر يوناني، كان من المحتمل أن أفلاطون كان سيرتدي شيتان **chitōn** (سترة) مع هيماتيون **himation** (عباءة) إذا دعت الحاجة إلى طبقة إضافية.

أيًا كان، قالت: على أية حال، كان ذلك زيه. وأعتقد أنه تسويق ذكي جدًا. ربما كانت فكرة الناشر، لكنني مندهشة من أنهم تمكنوا من إقناع أفلاطون بفعلها. من الواضح أنهم يحاولون جعله علامة تجارية.

قلت له من حسن الحظ أننا قريبون جدًا من سان فرانسيسكو. يمكنك أن تفعل ما يحلو لك هنا. انظر إلى ذلك الرجل هناك، ذي الجدائل. إنه أحد الملوك الفلاسفة.

قال أفلاطون: ربما، أود أن أناقشه.

لم يكن الرجل الذي كنا ننظر إليه مجدل الشعر فحسب بل كان يرتدي تي شيرت كبير المقاس جدًا يحمل شعار فرقة جريتفل ديد، وبالطبع بنطلون جينز. ربما كان أكبر من موظف غوغل المعتاد بعقد أو عقدين، لكن كان من الواضح أنه لم يستفد من العمر الزائد في النضج عن الموظفين الصغار. بالطبع، أنا لست شخصًا أحكم على الناس من خلال مظهرهم، يا روندا، لكن من مظهر هذا الرجل كنت سأقول إنه تخرج من الثانوية ولم يكن لديه سوى ثلاثة أصدقاء على أقصى تقدير، كلهم معه في نادي الكمبيوتر، وأنه كانت لديه هواية شديدة الغموض كان مهووسًا بها، مثل جمع الآلات الموسيقية القديمة أو صنع سفن أوريغامي فضائية يمكنها كسر حاجز الصوت، وأنه إذا حدث ونظر إلى النساء على الإطلاق، فقد يحاول إثارة إعجابهن بعدد المنازل العشرية التي يحفظها لـ (ط).[110]

هل يشير ترتيب شعره غير المعتاد إلى التمسك بنظام ديني معين؟ سأل أفلاطون.

تقصد شيئًا مثل «الراستافارية»[111]؟ أشك بذلك. ربما هو التزام ديني بعدم الاهتمام بمظهره.

---

(110) ثابت رياضي π ويساوي 3.14159. تمتد فيه الأرقام بعد الفاصلة إلى ما لا نهاية، وتعقد المسابقات لتذكر أكبر عدد منها. (المترجم)

(111) دين نشأ في جامايكا في ثلاثينيات القرن الماضي ويعتبر إفريقيا الأرض الموعودة ويناهض اضطهاد السود في الغرب، يشتهر معتنقوه بشعورهم المجدلة. (المترجم)

قال: آه، إذًا هو فيلسوف![112] ومرة أخرى لم أستطع تبين ما إذا كان جادًا أم مازحًا. كل ما أعرفه هو أنه كان يحدق في الرجل كما لو كان يفكر بالفعل فيما إذا كان مرشحًا لمنصب الملك الفيلسوف.

لا تتواصل معه بعينك! حذرته، لكن الوقت كان قد فات. كان الملك الفيلسوف المحتمل ينطلق مباشرةً نحونا من أقرب طريق، يحرك ذراعيه ويتحرك بسرعة كبيرة. قلت لأفلاطون، لا تقلق، سأتخلص منه نيابة عنك.

لكن عندما سأل الرجلُ ما إذا كان بإمكانه الانضمام إلينا، قال أفلاطون إنه سيكون سعيدًا، وشرع في الإفساح للرجل فرفع حقيبتي من على المقعد، حيث وضعتها عامدةً. يُفترض أن أحمي مؤلفيّ، لكن ماذا يمكنكِ أن تفعلي عندما يخربون خططك بهذه الطريقة؟

أنا ماركوس، قدم الرجل نفسه. كان على طبقه كومة من السوشي تكفي لإطعام طوكيو وضواحيها.

قلتُ: حسنًا، يا ماركوس، هذا أفلاطون، وهو كاتب وفيلسوف وسيتحدث إليكم جميعًا قريبًا جدًا، وهو الآن يرتاح، لذا لا ينبغي لنا أن نرهقه بأي دردشة لا داعي لها. فكما ترى، هو أجنبي.

بالطبع، قال ماركوس، أنا متشوق حقًا لكلمتك يا أفلاطون. لقد قرأت كل ما كتبته.

حقا؟ قلت أنا، إذًا هل قرأت كتابه عن الملوك الفلاسفة؟

بالتأكيد، رد ماركوس، ونظر إليّ وكأنني سوشي بائت: من لم يقرأ الجمهورية؟

بطبيعة الحال، شعرت بالحرج، ونظرت بغضب إلى ماركوس. وضحت

(112) بحلول القرن الخامس قبل الميلاد كانت موضة الشعر الطويل كدليل على الأرستقراطية قد تراجعت، لكن يُحتمل أن الفلاسفة كانوا يطيلون شعرهم للإشارة إلى أنهم لا يهتمون بالمظاهر. على أية حال، قدم أريستوفانيس مثل هذا الادعاء عن سقراط وأتباعه.

لأفلاطون أن لدي الكثير من المؤلفين الذين يجب أن أعتني بهم، وأنه إذا كنت سأقرأ كل ما يكتبون، فلن يكون لدي الوقت للاعتناء بهم.

قال: هذا أمر منطقي، وهو يبتسم لي دون أدنى إشارة إلى أنه مستاء. لقد أخبرتكِ بالفعل أن أخلاقه لا تشوبها شائبة. وتابَع، كما أعتقد أن ماركوس يبالغ في شيوع كتبي، أنا لا أكتب للجميع. أحيانًا أتساءل ما إذا كنت أكتب لأي أحد.

بالطبع، أسمع هذا النوع من الكلام من الكثير من كتابي الذين يمكن أن يصيبهم بعض اليأس فيما يتعلق بقرّائهم، خاصة هذه الأيام حيث يمكنهم قراءة مراجعات القرّاء على أمازون. وتلك نصيحتي الأولى للمؤلفين، مهما فعلت، لا تقرأ مراجعات كتبك على أمازون. النصيحة الثانية: بعد أن تتجاهل نصيحتي الأولى، تذكر فقط أن مجهولية الهوية تخرج أسوأ ما في الناس، وخاصة الذين لم يخلعوا بيجاماتهم ونعالهم لأيام، هكذا أخبر مؤلفيّ أن يتصوروا أخس المراجعين.

قلت: فقط أعطني الخلاصة، أفلاطون. كما تعلم، مثلما يفعلون في **تقرير كولبير**. في خمس كلمات أو أقل.

فكّرَ للحظات ثم قال، وهو يعد على أصابعه: الدولة. المثالية. تجسد. العدالة.

قلت: تمام. قبلت التحدي، كما يقول كولبير. ما هي الدولة المثالية؟ كاليفورنيا؟ أعتقد أنه يمكن اعتبار هاواي كذلك أيضًا.

سمعت ماركوس يضحك، لكن أفلاطون لم ينتبه له، وهو ما اعتقدت أنه تصرف حسن. قال إن الدولة المثالية هي تلك التي يحكمها من يملكون المعرفة للحكم، وهذه المعرفة معرفة فلسفية، تمامًا كما أن السؤال الأساسي حول ماهية العدالة هو سؤال فلسفي. ونظرًا لأن هذه الأسئلة الأكثر تجريدًا هي أسئلة فلسفية، وتتطلب بصيرة الفيلسوف، والإنسان الذي يملك هذه البصيرة في طبيعة العدالة لن يسمح لنفسه بأن تفسدها امتيازات السلطة، فقد توصلت إلى وجهة نظر مفادها أنه حتى يحصل الفيلسوف على السلطة السياسية، أو، يصبح بالإمكان تحويل الشخص الذي يملك بالفعل سلطة سياسية إلى فيلسوف، فإنه لا يمكن أن تكون الدولة عادلةً.

(الجمهورية c610).

قلت: حسنًا، هذه فكرة جديدة.

أجاب: عندما اقترحتها لأول مرة، كانت جديدة. الآن، ليست بتلك الجدة.[113]

وكيف سار معك الأمر؟ سألته.

قال: ليس على ما يرام.

لم يبع الكتاب؟ سألته متعاطفة.

أجاب: أوه لا، أسوأ بكثير. لقد أدى إلى أكبر إخفاق في حياتي.

حسنًا، لا يمكن لشخص ما أن يقول مثل هذا الكلام الدرامي دون أن يوضح، لذلك سألته عما حدث.

قال: سنحت فرصة سمحت لي بمحاولة وضع آرائي حول العدالة حيز التنفيذ. كان لدي صديق اسمه ديون، وقد درس معي في الأكاديمية[114]، وهو أذكى الطلاب الذين درستهم على الإطلاق.[115]جاء من مدينة سرقوسة وكانت صِلاته

---

(113) كان الحاكم الأقرب لنموذج أفلاطون للملك الفيلسوف، كما يقول معظم دارسي أفلاطون، هو أرخيتاس التارنتي (428-347 قبل الميلاد) في وقت متأخر من التاريخ، كان هناك ماركوس أوريليوس (121-180 م).

(114) أسس أفلاطون أكاديميته قرابة عام 387 قبل الميلاد، بعد عودته من السنوات التي قضاها بعيدًا عن أثينا، مدفوعًا بإعدام سقراط. كانت تقع في ما كان في الأصل حديقةً عامةً تركها أكاديموس البطل الأتيكي للمواطنين الأثينيين. تدّعي الأكاديمية أنها أول جامعة أوروبية، على الرغم من وجود مدارس أخرى، وتحديدًا المدرسة التي أسسها إيسقراط، لكنها اقتصرت على تدريس الخطابة. أشهر الطلاب الذين درسوا في أكاديمية أفلاطون كان أرسطو، الذي جاء الى أثينا من ستاجيرا في شمال اليونان، حيث كان والده الطبيب الشخصي للعائلة المالكة المقدونية. بقي أرسطو لمدة عشرين عامًا، وغادر بعد وفاة أفلاطون لتأسيس مدرسته الخاصة في أثينا، الليسيوم. بقيت الأكاديمية طوال الفترة الهلنستية، وتوقفت، لأول مرة، بعد وفاة فيلو اللاريسي عام 83 قبل الميلاد، خلال الفترة الرومانية، واصل الفلاسفة تدريس أفكار أفلاطون، لكن لم يحدث حتى عام 410 م. حين أعيد فتح الأكاديمية التي أعيد إحياؤها كمركز للأفلاطونية الحديثة. استمرت الأكاديمية بعد ذلك لما يزيد قليلًا عن مائة عام. وأُغلقت أبوابها أخيرًا في عام 529، أغلقها الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول، الذي كان مسيحيًا أرثوزوكسيًا متشددًا.

(115) "على أية حال، استجاب لها ديون، الذي كان سريع البديهة جدًا وخاصة فيما يتعلق بتعليماتي في هذا الشأن، بحدة وحماس أكبر من أي شاب آخر قابلته على الإطلاق، وقرر أن يعيش بقية حياته عيشًا مختلفًا عن معظم اليونانيين في إيطاليا وصقلية، جاعلًا الفضيلة أعز عليه من اللذة أو من الترف"

جيدة جدًا هناك. في الواقع، كان شقيق زوجته طاغيةَ سرقوسة.

هذا، بالطبع، فاجأني. قلت: سرقوسة؟ لديهم طغاة يحكمون سرقوسة؟

عندئذٍ لم يتهالك ماركوس نفسه. قال إنها سرقوسة أخرى،[116] بابتسامة كريهة قادرةٍ على إصابة السوشي على طبقه بالعفن، والذي، بالمناسبة، لم يتبق منه الكثير، إذ كان يلتهمه طوال الوقت الذي كان يستمع فيه. إحساسي أنه كان مستاءً من الاهتمام الذي كان أفلاطون يوليه إياي، مجرد مرافقة إعلامية أما هو فملك فيلسوف محتمل.

قلت: أوه، نعم. أتعرف، يعمل شقيق زوجي في السياسة أيضًا. ليس في مكانة الطغاة. لكنه حصل على الأصوات التي جعلته عضوا في مجلس إدارة المدرسة في فريمونت. رغم أنني يجب أن أقول إن ليون يمكن أن يكون طاغية قليلًا في المنزل. تعاني أختي من ذلك.

كان بإمكاني سماع ماركوس يضحك مرة أخرى، لكن أوضح لي أفلاطون أنه ببساطة من حيث أتى يستخدمون كلمة «طاغية» بشكل مختلف نوعًا ما. قال: بالنسبة لنا، «طاغية» تعني تحديدًا الشخص الذي يستولي على السلطة بوسائل غير نظامية، فيعيق النقل الشرعي للسلطة.[117] لا يحتاج الطغاة، على الأقل فيما يتعلق بدلالات مصطلحنا، إلى انتهاج القمع والتعذيب وإساءة استخدام سلطتهم. في الواقع، عندما يظهر الطغاة لأول مرة، على الأقل كما لاحظت، فإنهم في كثير من الأحيان يقدمون أنفسهم – وربما يكونون كذلك في البداية – متحدثين باسم الشعب ضد انتهاكات القلة القوية، التي تراكمت لديها كميات غير متناسبة من رأس المال والسلطة.

(الرسالة السابعة 327 a–b) إذا كانت الرسالة السابعة صحيحة، فقد كتبت في وقت ما بعد وفاة ديون، حوالي 352 قبل الميلاد.

(116) كانت سرقوسة مدينة يونانية فيما يعرف الآن بصقلية، أسسها كورنثوس.

(117) في السنوات اللاحقة، أدان الإغريق الاستبداد، لكن في البداية كان يُنظر إليه كمخالفة ليست دائمًا مرفوضة. في المأساة الأتيكية، غالبًا ما تستخدم كلمة **tyrannos** بمعنى "ملك." أدان كل من أفلاطون وأرسطو الاستبداد باعتباره أسوأ شكل ممكن من أشكال الحكم، وفي زمنهم، كان الطغيان قد تجاوز فائدته الأصلية وظهرت فيه الرذائل التي نعرفها جميعًا. انظر:

Sian Lewis , *Greek Tyranny* (Liverpool: Bristol Phoenix Press2009 .).

قلت: تقصد الواحد في المائة مقابل التسع والتسعين في المائة.

قال أفلاطون: نعم، بالضبط. وقد اتخذ هيئة إلقاء المحاضرات، إن التسع والتسعين في المائة غالبًا ما يكون لديهم بطل ما ينصبونه عليهم ويمهدون طريقه نحو العظمة (**الجمهورية** c–d656). يمكنكِ دائمًا الوثوق أن هؤلاء الأساتذة سيفعلون ذلك. تسألينه سؤالًا فيخرج إليكِ بمحاضرة. على أية حال، استمر قليلًا في شرح أن الطغاة تكون بدايتهم جيدة ويكونون بالفعل حماة للشعب لكنهم يتخلصون تدريجيًا من كل مَن يستطيع كبح جماحهم، وينتهي إلى إثبات أن الاستبداد هو أسوأ شكل ممكن من أشكال الحكم (**الجمهورية** c–d656). كما فعل على ما يبدو طاغية سرقوسة.

أفعال سيئة؟ سألته.

لأن جميعهم حتمًا يصبحون سيئين إذا لم يكن هناك ما يحد من شهيتهم النهمة للسلطة. كان غيورًا جدًا على سلطته ومرتابًا في أن شخصًا ما قد يغتصب سيادته إلى درجة أنه أبقى ابنه، ديونيسيوس الثاني، دون أي تعليم حتى لا يصبح منافسًا (**الرسالة السابعة** c–d332). ثم مات ديونيسيوس الأكبر فجأة، سواء لأسباب طبيعية أو لأسباب أخرى، وتولى الابن مكانه، وهو غير مستعد للقيادة مثل عبد. صديقي ديون، الذي شعر في ذلك الوقت أنه مارس بعض التأثير المفيد على ابن أخيه، رأى في ذلك فرصة لوضع أفكار الأكاديمية موضع التنفيذ. فناشدني القدوم إلى سرقوسة لتولي مسؤولية تعليم ديونيسيوس الأصغر (المرجع نفسه. c328).

قال ماركوس: كنت ستُحوّل الشخص الذي يملك بالفعل سلطة سياسية إلى فيلسوف، قالها دون داع على الإطلاق، كما لو كان فقط يقصد العودة للمحادثة.

قال أفلاطون: إن تلك كانت الفكرة العامة، حيث كشف صوته الناعم عن جرعة قوية من الجفاف. أو في حالة فشل ذلك، على الأقل إقناع صاحب السلطة السياسية باستشارة الفلاسفة بغية النصح. لكن يجب أن أقول إن الأمر احتاج بعض الإقناع من ديون لجعلي أتولى المشروع. أولًا، كان يجب أن يكون تعليم الشاب ديونيسيوس

قد بدأ قبل ذلك بوقت طويل. كان يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا عندما تولى السلطة، وبهذا يدخل متأخرًا إلى حد ما في مشروع تشكيل الشخصية. الشباب في ذلك العمر لديهم دوافع مفاجئة وغالبًا ما تكون متناقضة تمامًا (**الرسالة السابعة** b328). وشخصية الشاب كانت في الأصل ضعيفة. بتعبير مجازيٍّ لي كنت قد فكرت في استخدامه سياسيًا، لم يكن خام روحه من الذهب المطلوب للقيادة الحقيقية، ولا من الفضة التي تشكل الجندي الجيد، ولكنه كان من المعدن الأقل قيمة، البرونز (**الجمهورية** c-415d414).[118] علمت أيضًا أن هناك الكثير من الدسائس في البلاط، المتآمرون الذين أرادوا استغلال ضعف وانعدام الانضباط والمعرفة الذاتية للحاكم الجديد. لكن، كان هناك ديون، وهو رجل يتمتع بأعلى درجات النزاهة وأنبل سلوك، يطلب مني القدوم إلى سرقوسة وإتمام التجربة العظيمة التي تحدثنا عنها كثيرًا، الحديث الذي قلص الساعات الطويلة بين الغسق والفجر إلى ما بدا مجرد لحظات، فتجرفنا رؤيتنا لما يمكن أن يكون خارج حدود الزمن، ثم نشاهد سويًا بدهشة شروق الشمس فوق جبل هيميتوس المنتج للعسل. وبدا لي أنه من أجل احترامي لذاتي، يجب عليّ أن أرى ما إذا كان بالإمكان تحقيق بعض أفكاري (الرسالة السابعة c328). لكنني كنت روحًا منقسمة. لقد كتبت أن الفيلسوف، من ناحية، يسكت ويهتم بشؤونه، قانعًا إن أتيح له هو نفسه أن يعيش حياته في نقاء آمنًا من

(118) يشير أفلاطون هنا إلى "الكذبة النبيلة." يصل في **الجمهورية** إلى استنتاج أن الدولة العادلة هي التي يتحدد دور الشخص فيها من خلال ملاءمته لهذا الدور. تتألف دولته الفاضلة من ثلاث طبقات. في الأعلى، حيث تتخذ القرارات، توجد الطبقة الحاكمة، التي يكون لدى أفرادها، بحكم طبيعتهم الجوهرية وتدريبهم، الانضباط الذاتي للعمل بصرامة لصالح جميع المواطنين. بعد ذلك يأتي الجنود المكلفون بتنفيذ قرارات الحكام. وأخيرًا يأتي المزارعون والحرفيون، الذين يعيشون وفق تلك القرارات، ويؤدون المهام الضرورية للحفاظ على الدعم المادي للمدينة مزدهرة. ومن أجل التأكد من أن أعضاء كل طبقة سيؤدون مهامهم بشكل إلزامي، دون التفكير في زعزعة استقرار المجتمع من خلال محاولة القفز إلى طبقة لا تناسب طبائعهم، اقترح أفلاطون إخبار الناس جميعًا بخرافة أن هناك معادن مختلفة ممتزجة بجوهرهم. الحكام لديهم مزيج من الذهب، والجنود من الفضة، والمزارعون والحرفيون من البرونز. هو نفسه يطرح اقتراح الكذبة النبيلة ببعض الحرج. للأكاذيب النبيلة، من نوع أو آخر، تاريخ طويل في الحكومات، سواء كانت ديمقراطية أو غير ديمقراطية، كأنها إثبات لحرج أفلاطون. ومع ذلك، فإنه يبقى سؤالًا مهمًا وشائكًا، أخلاقيًا وسياسيًا على حد سواء، إذا ما كان هناك مبرر للحكومات - أو الأفراد، أيضًا - في الكذب، وإذا كان الأمر كذلك فما هي الشروط؟.

الظلم ويخرج من الحياة أخيرًا بأمل عادل وبروح من السماحة واللطف. في هذه الحالة، لن يكون ما أنجزه قبل مغادرته قليلًا.

هل كنت تفكر في صديقك هناك؟ سألتُه بلطف. تعرف، ذلك الشخص الذي لم يحصل على وجباته المجانية في.. ماذا تسمونه؟

قال: البريتانيوم. وقد كنت أفكر كثيرًا في سقراط عندما كتبت تلك الكلمات. لكنني، من ناحية أخرى، كتبت أيضًا أن مثل هذا الفيلسوف لن يكون قد حقق أعظم الإنجازات أيضًا، إذ لم يجد الدولة التي تناسبه. لأنه في الدولة التي تناسبه سيحصل هو نفسه على وضع أكبر، وإلى جانب خلاصه الذاتي، سينقذ المجتمع أيضًا (**الجمهورية** 497a). لذلك، كان لاستدعاء ديون وقع كبير عليّ. لقد دفعني الشعور بالخزي في عين نفسي بأنني لا يجب أن أبدو دائمًا لنفسي مثل الحجة النقية والبسيطة، غير راغب أبدًا في الانخراط في أي شيء يتضمن الفعل (**الرسالة السابعة** 328c).

إذًا، كيف سار معك الأمر، سألته، لحثّه على العودة إلى خط القصة.

قال: بالكاد أفلت بحياتي. كان كلامًا كئيبًا، لكنه لم يقله بشكل كئيب. رفع حاجبيه قليلا فقط.

قلت له: حسنًا، انظر، لا تلم نفسك كثيرًا. فكما تعلم، حتى أفضل الخطط لا تضمن النجاح، والعائلات الملكية تحفظ عضويتها، صدقني أنا أعلم. كانت معي فيرجي[119] في كتابيها الأخيرين. على أية حال، على الأقل لم ينتهِ بك الأمر إلى الإعدام مثل صديقك المسكين، وبعد ذلك شعرت بالسوء على الفور، إذ ظهرت عليه تلك النظرة المنكوبة مرة أخرى. قلت: وعليّ أن أعترف لك بالفضل أيضًا. على الأقل خرجت قليلًا من برجك العاجي، ومن وصفك يبدو أنك خضت مغامرة حقيقية. آمل حقًا أن تكون قد وصفت كل هذا في كتابك الجديد. لكن الشيء الذي لا أفهمه هو سبب عزفك كثيرًا على قيثارة الفلاسفة، وكأنهم يمتلكون سر إنقاذ العالم بأسره. أنت تذكرني نوعًا ما بأخصائي تقويم الأسنان الذي يعتقد أن السر الوحيد لعيش

(119) مطربة أمريكية.

حياة جيدة هو امتلاك أسنان متناسقة تمامًا. أضفت، لا تعتبر كلامي إهانة يا ماركوس، لأنه فوق كل مفاتنه الأخرى يمتلك مجموعة أسنان تامة البشاعة. في الواقع، عند التفكير في الأمر، ربما يكون هذا ما جعلني أفكر دون وعي في أخصائي تقويم الأسنان.

ماذا تعنين؟ قال ماركوس.

قلت: لا تهتم. انس الأمر.

لكن لسبب ما، كان أفلاطون هو من تمسك بفكرة تقويم الأسنان ولم يتركها.(120)

قال: لكن إذا كنتِ تريدين أن تكون أسنانك تامة الانتظام، إلى من ستذهبين؟

أجبته: لا توجد مشكلة في ترتيب أسناني.

قال: لا، بالطبع لا! لكن فقط ابقيْ معي للحظة. أحاول معرفة ما إذا كان بإمكاني تقديم إجابة عن سبب عزفي، كما تقولين، على قيثارة الفلاسفة.

قلت: أوه، حسنًا.

قال: لذلك دعينا نقول، من الناحية النظرية فقط، أن هناك شيئًا في طريقة اصطفاف أسنانك مع بعضها. لمن ستذهبين لتصحيح هذه المشكلة؟

ربما كنت سأذهب إلى دكتور كولودني، أجبته.

وما الذي يجعل دكتور كولودني الشخص المناسب لتصحيح هذه المشكلة؟ سأل.

أجبته أنه أحد أفضل أطباء تقويم الأسنان في منطقة الخليج. هو من ركب لأطفالي

---

(120) في محاورات أفلاطون، كان سقراط مغرمًا جدًا باستخدام الأمثلة المألوفة، وربما كان أفلاطون مخلصًا لسقراط التاريخي في جعل شخصيته تبحث في كثير من الأحيان عن المقارنات السوقية والإسهاب فيها بالتفصيل، كما يتبين من مقطع من تذكارات زينوفون. عندما هدد الأوليجاركية الذين سيطروا لفترة وجيزة على أثينا بعد الهزيمة الأثينية في الحرب البيلوبونيسية سقراط (انظر الفصل زيتا ζ)، قال كريتياس، الذي منع سقراط من التحدث بالفلسفة علانية: "ولكن في نفس الوقت كان من الأفضل لك أن تنتهي من صانعي الأحذية والنجارين والنحاسين. لا بد أن كعوبهم قد بليت الآن، بعد كل المسافة التي ساروها معك." (الكتاب الرابع)

تقويم الأسنان، وكانت النتيجة جميلة. لدى كل من جيسون وفاليري ابتسامات يحسدان عليها. التقطت بعض الصور لهما - وأنتِ تعرفين كم هما رائعان - نظر أفلاطون إليهما وأثنى على أسنانهما، في حين أن ماركوس لم يتكرم حتى بالنظر.

وهل بسبب ما يعرفه الدكتور كولودني أحضرت أطفالك إليه؟ سألني. لم أرَ بالضبط إلى أين كان يرمي بكل هذا، لكنه بدا عازمًا جدًا على أسئلته لدرجة أنني كنت على استعداد للإجابة على ما بدا بالغ الوضوح.

حسنًا، نعم، أجبت.

وما الذي يعرفه الدكتور كولودني؟ سأل.

أجبته أنه يعرف الأسنان. في هذه الأثناء، كان ماركوس يبتسم كأن المحادثة لا صلة لها على الإطلاق بأسنانه السيئة ولكن عن شيء مختلف تمامًا كان، السيد الملك الفيلسوف، على دراية به ولست أعرفه.

لذا، عندما يتعلق الأمر بإصلاح محاذاة الأسنان، تابع أفلاطون، فأنتِ تبحثين عن الشخص الذي يملك النوع الصحيح من المعرفة لمعالجة الموقف. الشخص الذي يعرف الأسنان - بعبارة أخرى، من يعرف ما هي الأسنان الجيدة وما يجب فعله للأسنان الأقل من جيدة لتغييرها إلى جيدة.

كنت أظن أن أفلاطون، بسلوكه الحسن، كان يحاول ببساطة التلميح من بعيد جدًا لماركوس، لذلك قلت: ماركوس، إذا كنت تحب، يمكنني أن أعطيك رقم هاتف دكتور كولودني.

شب ماركوس عند سماع ذلك. لم يكن يمانع في تلميح أفلاطون، لكنه لن يقبلها مني. قال: اسمعي، هل تحاولين الإيحاء بأن هناك خطًا في أسناني؟

قلت بهدوء: ليس هناك شيءٌ لا يستطع دكتور كولودني إصلاحه.

ولأن الأمر يتعلق بالأسنان ومسألة محاذاتها، قفز أفلاطون مباشرة، فهناك طريقة صحيحة وهناك طريقة خاطئة، والشخص الخبير هو الشخص الذي لا يعرف فقط

الطريقة الصحيحة ولكنه يعرف كيفية تغيير الطريقة الخطأ إلى الطريقة الصحيحة.

قال ماركوس أن أسناني تعمل بشكل جيد، وكان على حق إلى حد ما، لأنه تمكن من التهام كل هذا الطعام في وقت قياسي، بينما بالكاد لمس أفلاطون سلطة الفاكهة والزبادي اليوناني.

قال أفلاطون بهدوء: لكنك لست خبيرًا في محاذاة الأسنان، مثل الدكتور كولودني.

قال ماركوس: انظر، إنها أسناني، وبالنسبة لي أشعر أنها على ما يرام.

كنت متأكدة تمامًا من أنني وأفلاطون كنا على نفس الصفحة، لذلك قلت، ربما أنه راضٍ عنها لأنها الأسنان الوحيدة التي امتلكتها يومًا. أنت لا تعرف حتى كيف هو شعور أن تحصل على أسنان مثالية.

أسنان مثالية؟ بصق ماركوس. ربما لأنني مجرد مهندس برمجيات ولست عالم رياضيات مثلك، يا أفلاطون، دون الحديث عن أي شيء أنتِ بحق الجحيم، شيرِل، لكن يجب أن أقول إنني أشكك فيه في أي ادعاءات حول الكمال، بما في ذلك الحديث عن الأسنان. عندما يكون لديك أسنان تعمل كما ينبغي، والتي يصادف أنها أسناني، فإن السبب الوحيد للعبث بها سيكون بغرض جمالي تافه.

إجابةً على سؤالك الأول، قلت لماركوس: أنا مرافقة إعلامية، توظفني وكالة الدعاية للمؤلف لضمان أن تسير جولة ترويج كتابه، في أي مدينة، بسلاسةٍ قدر الإمكان بغض النظر عن العقبات غير المتوقعة. وإجابةً على سؤالك الثاني، لن أستخف بالجماليات إلى هذا الحد. في العالم الواقعي، لا يوجد شيء تافه بخصوص الجماليات. وأعتقد أن أفلاطون يتفق معي هنا.

قال ماركوس -بطريقة أمسكت بك التي يتحدث بها-: إذا لم أكن مخطئًا، فقد كتب أفلاطون ذات مرة أن الجمال هو طغيانٌ قصير العمر.

عند ذلك بدا أفلاطون منكوبًا تقريبًا كما كان عندما تحدث عن صديقه المُدان.

قال، وهو ينظر إلى يديه الجميلتين المطويتين على الطاولة أمامه، عندما يقتبس الناس أشياء لي يفترض أنني كتبتها، أندم أنني يومًا وضعت قلمًا على ورقة «بردي». هذا ما قاله، يا روندا، وأنا أحسب أنه مجرد جزء من أداء «التوغا» ذاك. لم أدوِّن مطلقًا آرائيَ الفلسفية الحقيقية كتابةً (**الرسالة السابعة** 241d–c)، تابَع، وهو ما يجب أن أقول، عند التفكير في كل الأموال التي يبدو أن ناشره قد خصصها له، وأنه أرسله في جولة في اثنتي عشرة مدينة، ناهيكِ عن موضوع جعله علامة تجارية بكامله، إنه كان غريبًا جدًا.[121] قال: بالنسبة لهذه العبارة بالذات، لا أتذكر أنني كتبت شيئًا مثلها في أيٍّ من أعمالي الفلسفية.[122]

وهل يشمل ذلك آراءَكِ الفلسفية حول تقويم الأسنان؟ سأل ماركوس بخبث. كنت في وضعِ حرجٍ عندها. من المفترض أن أتدخل من أجل مؤلفيّ وأن أحميهم من المزعجين أمثال ماركوس، لكن أفلاطون دعا الرجل للجلوس وبدا الآن غافلًا عن سوء خُلقه.

قال أفلاطون: لقد ذكرتَ الرياضيات يا ماركوس. وأنا مستعد للدفاع عن الموقف القائل بأنه وراء الأسنان المثالية، وراء كل الكمال والجمال، تكمن الدقة

---

(121) "بيان واحد على أي حال يمكنني أن أدلي به فيما يتعلق بكل الذين كتبوا أو قد يكتبون ويدعون معرفةً بالموضوعات التي أكرس نفسي لها - بغض النظر عن كيفية ادعاءهم بالحصول عليها، سواء من تعليمي أو من الآخرين أو من خلال اكتشافهم الخاص. لا يمكن لمثل هؤلاء الكتاب أن يكون لديهم معرفة حقيقية بالموضوع. أنا بالتأكيد لم أضع أي عمل يخصه، ولن أفعل ذلك أبدًا في المستقبل، لأنه لا توجد طريقة للتعبير عنه بالكلمات مثل الدراسات الأخرى. يجب أن تأتي المعرفة به بعد فترة طويلة من الالتزام في حضور الدروس في الموضوع نفسه والرفقة الوثيقة، عندها يتولد فجأة في الروح، مثل النيران التي أشعلتها شرارة قافزة، ويصبح في الحال مكتفيًا ذاتيًا." (**الرسالة السابعة** 341c–d). هذا اعتراف غير عادي من أفلاطون. وفي الواقع، دفع البعض إلى القول بأن **الرسالة السابعة** يجب أن تكون أصلية. هناك ادعاء مشابه بأنه لم يُدوّن أبدًا فلسفته في **الرسالة الثانية** (314b).

(122) يلتزم أفلاطون الحذر هنا. لم تأت هذه الجملة من أي من محاوراته بل من جزء من الشعر الغنائي المنسوب إليه: "ألقي التفاحة إليكِ، وإذا كنتِ راغبة في حبي، خذيها وهاتي رأسك بين يدي؛ ولكن إذا كانت أفكارك هي ما لا أتمنى، فخذيها وفكري كم هو قصير عمر الجمال."

Epigrams, translated by J. M. Edmonds, in *Elegy and Iambus* (Cambridge, MA: Harvard University Press, Loeb Classical Library, 1931), vol. 2. Revised by John M. Cooper and reprinted in *Plato Collected Works,* edited by John M. Cooper and D. S. Hutchinson (Indianapolis, IN: Hackett, 1997), p. 1, 744.

الرسمية للرياضيات. الجمال في وجه الإنسان -كما هو الحال، بالتأكيد، في كل الجمال الجسدي- هو مسألة نسب الأجزاء إلى بعضها. أي مركب، مهما كان، لا تظهر فيه بوسيلة أو بأخرى المقاييس والنسب، يمثل خراب كل من مكوناته ومن قبلها ذاته. ما لا بد أن تحصل عليه في مثل هذه الحالات ليس مزيجًا حقيقيًا يمثل الكل، لكن فقط أجزاء مقابل أجزاء غير قابلة للامتزاج. (**فيليبوس** e64)

أضفت، وكما تعلم، ماركوس، الأمور تزداد سوءًا بمرور الوقت. تلك الأسنان المتراكبة سوف تبرز أكثر فأكثر، أجزاء مقابل أجزاء.

قال أفلاطون: لذلك فإن خبيرًا، مثل الدكتور كولودني، عندما يتولى زمام الأمور مرة أخرى، يمكن أن ينظر إلى أسنان لا تمثل للمرء حاليًا أية مشكلة، أقصد من الناحية الوظيفية، ويتنبأ بمشكلات مستقبلية، لم توجد بعد، إذا جاز التعبير. لا يستطيع رؤية الأسنان الحالية فحسب، بل يمكنه أيضًا رؤية الأسنان كما ستصبح في المستقبل.

بالضبط، قلتُ موافقةً. رغم أنه في حالة بعض الناس، لا يحتاج الأمر الكثير من الخبرة للتنبؤ بالمشاكل في المستقبل. إنها تحدق في وجهك.

قال أفلاطون: لكن ربما ليس في وجه صاحب الأسنان، وبالنسبة لشخص في مثل أخلاقه فقد كان ذلك كلامًا شديدًا. لا أن ترتيب الأسنان السيئ أحد هواجسه الكبيرة.

وتابع أفلاطون: أنه في بعض الأحيان يكون ذلك هو الشخص الأقل قدرة على إدراك المشكلة.

قلت: حسنًا، هذا أمر منطقي. لأنه ليس عليه أن ينظر إلى نفسه.

لذا في حالة الأسنان المثالية، تابع أفلاطون، وهو الأمر الذي حتى أنا كنت قد بدأت أظن أنه إطالة في هذه النقطة: فإن الشخص المناسب الذي يجب استشارته ليس الشخص صاحب الأسنان، بل الخبير في الأسنان، الدكتور كولودني.

نعم، إنه أخصائي تقويم أسنان ممتاز، قلت. يمكنني أن أوصي به بشدة، معتقدة أن هذا سينهي الموضوع. ولكنني كنت مخطئة.

تابع أفلاطون: لقد أثبتنا الآن أن هناك فرقًا بين الأسنان الجيدة والسيئة، وأن الشخص الذي يمكنه أن يحكم على الأسنان أفضل حكم ليس الشخص الذي يملك الأسنان، بغض النظر عن مدى شعوره بصحة أسنانه، بل الخبير في الأسنان الدكتور كولودني. والآن أخبرني، هل تساءلت يومًا ما إذا كان هناك فرق بين الأفعال الجيدة والسيئة، كما هو الفرق بين الأسنان الجيدة والسيئة، أو حتى، بشكل عام، بين الحياة الجيدة والحياة غير الجيدة؟

نعم، قلت أنا: بالطبع، لقد فكرت في ذلك. سيكون من الصعب عدم التفكير في ذلك، وأنا في المهنة التي أنا فيها. ستندهش من كم المؤلفين المشاهير الذين عملت معهم، والذين يتخيل الناس أنهم يحيون الحياة المثالية الرائعة، ولديهم كميات لا حصر لها من المال والشهرة والعديد من الذين يتذللون تحت أقدامهم ليلًا ونهارًا، لكنهم يخفقون على مستوىً يعادل تقريبًا حماقة تشارلي شين. أعني، أنا لا أذكر أية أسماء، لأنني أعتبرها نوعًا من الخصوصية بين الطبيب والمريض، باستثنائك، بالطبع، يا روندا، قالت لي: لأنني أعلم أن كل ما أُخبرك به سيقف عندك. قالت لي شيرِل ذلك عشرات المرات، ولست متأكدة ما إذا كانت تعني ذلك كإطراء على نزاهتي أو كتعليق على حياتي الاجتماعية الهزيلة.

ثم ألم تتفكر أيضًا في أن الشخص الذي يمكنه الحكم على هذا الاختلاف حكمًا أفضل، فيما يتعلق بالأفعال والحياة، واصلت شيرِل، وهي تقلد أسلوب أفلاطون بطريقتها، ليس هو الشخص صاحب تلك الأفعال والحياة؟ بغض النظر عن مدى صوابها في عينه، بل الخبير في مثل هذه الأمور، دكتور كولودني المختص بالأفعال والحياة إذا جاز التعبير؟

حسنًا، لا أظن أنني سأذهب إلى هذا الحد، أجبت أفلاطون. ولا أظن أن هذين النوعين من المعرفة متشابهان إلى هذا. يتمتع الدكتور كولودني بمعرفة تقنية خاصة.

التحق بكلية طب الأسنان لأربع سنوات، ثم التدريب بعد الكلية، ثم كان عليه أن يدرس تقويم الأسنان علاوة على ذلك، لا أعرف، ربما لسنتين أو ثلاث سنوات إضافية. لذلك يحتمل أننا نتحدث عن شيء من قبيل عشر أو أحد عشر عامًا من التعليم العالي.

والسبب وراء الحاجة إلى تدريب دكتور كولودني المكثف، تابع أفلاطون: هو أن موضوع محاذاة الأسنان -ما يمثل المحاذاة المثالية والطرق العديدة التي يمكن أن تفشل بها هذ المثالية وما يجب القيام به لتصحيح هذا الفشل- موضوع معقد. وهذا هو السبب في أن هذه المعرفة تحتاج خبيرًا مثل الدكتور كولودني، الذي يجب أن يكون قد أتم سنوات عديدة من الدراسة التقنية.

حسنًا، أجل، قلت موافقة.

لكن أليست معرفة ما يميز بين الأفعال الجيدة والسيئة، ناهيك عن معرفة الحياة السامية التي تستحق أن نحياها والتي لا تستحق، على الأقل بنفس تعقيد المحاذاة الصحيحة للأسنان؟ سألني أفلاطون بطريقته الناعمة لكن المُلحَّة. إنه أشبه بالهجوم عليكِ بوسادة، يا روندا. إذا كانت معرفة الفرق بين الأسنان الجيدة والسيئة تحتاج خبرة واسعة تتطلب سنوات عديدة من الدراسة، فلماذا لا تحتاج المعرفة التي أتحدث عنها سنوات عديدة من الدراسة كذلك؟ سألتني لماذا أعزف على قيثارة الفلاسفة، وهذا جوابي لك. الفلاسفة هم أولئك الذين يقضون على الأقل نفس القدر من الوقت في إتقان موضوع معقد كما فعل الدكتور كولودني، الاختلاف أن موضوعهم ليس ما يجعل الأسنان جيدة بل ما يجعل الحياة جيدة.

عندئذٍ، كنت قد بدأت في تكوين فكرة عما يرمي إليه أفلاطون، أيضًا كان يراودني نوع من الشعور الغريب حيال ذلك، على الرغم من تكتيك الوسادة الناعمة الذي يستعمله. بدا لي أن أفلاطون كان نخبويًا من النوع الأكثر تطرفًا. حتى أنه بدأ يظهر لي أن تلميحه بأن الناس في بلاده لا يعتبرون كلمة «طاغية» كلمة سلبية بالضرورة قد يقول الكثير عنه أكثر مما يقوله عن اليونان. ربما كان أفلاطون، على الرغم من صوته

الناعم وأخلاقه الحميدة، نوعًا من طاغيةٍ محتمل. ولسبب ما، بدلًا من تجنب مواجهته، مثلما أفعل عادةً مع المؤلفين، فأدعهم يشتطون في فوماتهم، قررت أن أقول ما أفكر فيه مباشرة.

من هم هؤلاء الفلاسفة حتى يخبروا الناس كيف يعيشون؟ سألته بكلمات لا لبس فيها. من هم حتى يخبروني كيف أعيش؟ إنها حياتي، وأعتقد أنني، بعبارتك، أعرف ما الذي يجعلها سامية تستحق أن تعاش، أفضل من أي خبير في الفلسفة.

قال أفلاطون، وهو يرفع حاجبيه قليلًا: يبدو أنكِ مثل صديقنا ماركوس، الذي يخبرنا أنه يعرف تمامًا أن أسنانه جيدة دون أن يخبره الدكتور كولودني برأي مختلف. مثلما أشرت أنتِ بنفسك إلى أن صاحب الأسنان السيئة هو آخر من يعلم أن أسنانه سيئة، ألا يمكن أن يكون صحيحًا أن الشخص الذي يحيا حياة سيئة هو آخر من يعلم أنها سيئة؟ ولا أقول، سارع ليؤكد لي، أنكِ بأي حال من الأحوال مثل هذا الشخص. أنا ببساطة أؤكد نقطةً مفادها أن الطريقة التي تبدو بها الحياة لشخص يعيش تلك الحياة قد لا تكون دقيقة. النظر للحياة من نقطة، إذا جاز التعبير، داخل تلك الحياة قد لا يوفر المنظور المناسب للحكم على ما إذا كانت تلك الحياة تستحق أن تعاش بالفعل. لذا فإن الخبير الذي - بحكم التعريف - يمتلك وجهة نظر مختلفة بسبب معرفته أو معرفتها سيكون في موضع أفضل للحكم من الشخص الذي هي حياته في الواقع.

قلت ومرة أخرى بعبارات لا لبس فيها: حسنًا، اسمح لي أن أختلف معك هنا حقًا، لأن الحالتين، الأسنان السيئة والحياة السيئة، ليستا متشابهتين على الإطلاق. كيفية تحقيق أقصى استفادة من حياتك ليست شيئًا تدرسه في مرجع دراسي، مثلما درس الدكتور كولودني كيفية إصلاح ترتيب الأسنان في مرجع دراسي، حيث استغرق كل تلك السنوات لحفظ مخططات الأسنان والعظام والأعصاب ومن يعرف ماذا أيضًا. لا يوجد أي مرجع دراسي مليء بهذا النوع من المعلومات المحددة التي من شأنها أن تخبرك بالفرق بين الحياة الجيدة والسيئة. لا يمكن أن يكون

الاختلاف بين الحالتين أوضح من ذلك.

ومع ذلك، يبقى هذا اعتقادك، قالها بأسلوبه اللطيف ذاك، والذي بدأ بصراحة بتذكيري ليس بوسادة وإنما بنمر أو شيء مشابه ينسل نحوك قبل أن يقفز على حلقك، أن بعض الناس يعرفون كيف يعيشون والبعض الآخر لا يعرفون. هل أنا على حق؟

قلت: نعم. كما قلت من قبل، أعرف بعض الأشخاص الذين لن أذكر أسمائهم والذين لا يعرفون ماذا يفعلون بكل المزايا المذهلة التي حصلوا عليها، كل الشهرة والأموال والحصول على أي شيء يريدون. ربما يعرفون كيف يجعلون العالم ينصاع لهم، لكن حسب ما أعرف فهم لا يعرفون أبسط الأمور عن كيفية عيش حياتهم.

سألني: هل اعتقادك أن من يعرفون كيف يحيون حياة جيدة، مثلك أنت، يولدون بهذه المعرفة، أي أنها طبيعية فيهم، مثل الخوف من السقوط أو الرغبة في الدفء والاتصال البشري، أم أن معرفتهم بالطريقة الأفضل للعيش هي معرفة يجب أن يكتسبوها خلال حياتهم؟

لا، لا أعتقد أن أيًا يولد وهو يعرف كيف يعيش، أجبته. إذا كان الأمر كذلك، فسيكون من الأسهل بكثير أن تكون أبًا. لكنني لا أعتقد أن الفلسفة هي التي تعلمنا كيف نعيش، إنه الحس السليم والآدابُ العامة.[123] أعني، أنا مثلًا. لم أدرس أية

(123) في محاورات أفلاطون، يقول برأي شيرل العديد من محاوري سقراط، بمن فيهم، وفي هذا ما يثير الاهتمام، أنيتوس الذي يدخل متأخرًا في محاورة مينون، وهي محاورة تُعنى بمسألة ما إذا كان يمكن تعليم الفضيلة أم لا. ما يثير الاهتمام هو أن أنيتوس، الذي دخل لفترة وجيزة في المحاورة، بصفته مضيف مينون في أثينا، يقول معظم الدارسين أنه أنيتوس نفسه الذي سيكون أحد الثلاثة المدعين على سقراط. انظر الفصل زبتا ج. من المؤكد أن أنيتوس في محاورة مينون يتصرف بطريقة تتماشى مع مثل هذا الفعل، فيبدي نفاد صبر كبير مع طريقة سقراط في التساؤل. الشخصية التي تحمل المحاورة اسمها، مينون، مثيرة للاهتمام أيضًا. شاب وسيم، ثري جدًا – تظهره المحاورة مع العديد من عبيده (82a)، يستطيع سقراط حث أحدهم على استنباط حل هندسي (82b–85b) - يفتتح مينون المحاورة بسؤال سقراط إذا كان بالإمكان تعليم الفضيلة **aretē**. عرضًا يسمي سقراط مينون بالوغد (81e)، وفي مكان آخر (**أقريطون** 53d) يُوصف مينون بأنه خارج عن القانون. تكتب ديبرا نيلز: "إن زينوفون هو الذي يصور مينون كشخص في غاية من البذاءة تجعله يستحق نهايته؛ في حين قُطعت رؤوس جنرالات آخرين، تعرض مينون للتعذيب وهو حي لمدة عام قبل أن يُعذب حتى الموت" (**شعب أفلاطون**، ص 204). يُظهر سقراط مينون مستعدًا لاتخاذ جميع الطرق المختصرة للمضي قدمًا، بما في ذلك خيانة الأصدقاء (أنابيسيس 2.6). كالعادة، يختار أفلاطون شخصياته بعناية.

فلسفة في الكلية، جربتها عدة مرات لكنها لم تشدني. أتذكر أن إحدى الأساتذة أمضت محاضرتها الأولى بأكملها تتحدث عن الحجج السليمة وغير السليمة، ولا أعتقد أنني شعرت بالملل أكثر في أي وقت آخر من حياتي. هل ستخبرني أنني بحاجة إلى معرفة الفرق بين الحجج السليمة وغير السليمة من أجل تعليم جيسون وفاليري ما يجب عليهما وما لا يجب فعله؟ إذا ذهبت إلى قسمٍ من أقسام الفلسفة، أراهن أنك لن تجد كل من هناك قديسين، يندفعون بعد الدراسة لأداء أعمال الرحمة والإحسان. الأرجح أنك ستجد نفس النسبة من الحمقى التي تجدها في أي مكان آخر. أعتقد، أكثر حتى.

لكن ربما لم يكونوا فلاسفة حقيقيين؟ سأل أفلاطون بهدوء.

قلت: الآن أنت فقط تتلاعب بالكلمات يا أفلاطون. إنهم يأخذون رواتبهم من جامعاتهم لتدريس الفلسفة، أليس كذلك؟

وهذا يعني لكِ أنهم فلاسفة؟

حسنًا، ماذا غير ذلك؟ قلت. إنهم ليسوا أخصائيي تقويم أسنان! إنهم ليسوا دكتور كولودني الذي يعرف كيفية تقويم الأسنان! إنهم فلاسفة يعرفون كيف يصنعون الحجج الفلسفية وإخبار الناس أيها سليم وأيها غير سليم، في حال كان هناك من يهتم بسؤالهم، وهو ما لا أرى الناس يصطفون لفعله. لا أرى علاقة هذه المهارة الخاصة بأي شيء يهم الناس بالفعل، أو أي شيء يحتاج الناس إلى معرفته عند اتخاذ أي قرارات، ناهيك عن معرفة كيفية عيش حياة سامية تستحق أن تعاش.[124] أنا لا أتوقع بالضرورة أن يكون لدى أخصائيي تقويم الأسنان أجمل الابتسامات في العالم، ولا أتوقع أن تكون سلوكيات الفلاسفة أفضل من بقية الناس كذلك. إنها مجرد مادة مثل غيرها قد تدرسها في الكلية أو لا تدرسها، أعني لا أريد أن أكون وقحة، أو أن أقوض ثقتك بنفسك في بداية جولة كتابك، لكن ما تقوله بعيد جدًا،

(124) راجع. "حقيقة أنك قد تجيب بمجموعة من الإجابات بدلًا من أخرى على الأسئلة الفلسفية القياسية لا تخبرنا شيئًا عن الطريقة التي ستتصرف بها عندما يكون الخلاف حول شيء آخر غير نقطة فلسفية." ستانلي فيش، "هل الفلسفة مهمة؟"

والأهم، لا أعتقد أن معظم جمهورك لن يقبله. وربما يكون هذا جيدًا، نظرًا لأن الجدل يساعد في بيع الكتب وكل تلك الأمور، لكنك أيضًا لا تريد أن تسيء إلى المشترين المحتملين. أعني، أنا لا ألوم أمثالك من قاطني الأبراج العاجية على المبالغة في تقدير أهمية أن تكون ذكيًا. في النهاية، هذا هو ما يحدد من أنت، أنك ذكي، على الأقل بنوعٍ معين من الذكاء، لذلك تعتقد بطبيعة الحال أن هذا هو الأهم من بين كل الأشياء، وأن أي شخص لا يملك نفس ذكاءك هو حقًا غير محظوظ لأنه ليس فقط لن يذهب إلى مدرسة نخبوية شرقية فاخرة تفتح أمامه كل أنواع فرص الحصرية، لكن حتى باب عيش حياة جيدة وكريمة مغلق في وجهه أيضًا. هذا ما تعنيه، أليس كذلك؟ أنه إذا لم يكن لدى رجل أو امرأة هذا النوع من الذكاء الذي تملكه، فلن يكون لديهم أمل في جحيم أن يعيشوا حياة تستحق أن تعاش؟ هذا لن يتناسب مع جمهورك يا أفلاطون. ألم يحذرك الناشر من ذلك؟ أتعلم، لقد رافقت عارضات أزياء كتبوا مذكراتهم، ومن وجهة نظرهن فهن يتساءلن كيف يمكن لمن ليسوا في غاية الجمال أن يعيشوا حياة تستحق أن تعاش لأن هذا هو ما جعل حياتهن سامية تستحق أن تعاش. كذلك لاعبي كرة القدم الذين لا يستطيعون مطلقًا تخيل كيف يمكن للأشخاص الذين ليسوا كتلًا ضخمة من اللحم والعضلات ويمكنهم أن يصطدموا بالناس ويفقدوهم الوعي أن يعيشوا حياة تستحق أن تعاش. ولا أرى أي اختلاف في كونك ذكيًا. أعني، في مجال عملك - وأفهم مما قاله ماركوس أنك عالم رياضيات أيضًا، ولست مجرد فيلسوف، وأنا متأكدة من أنه أمر مثير للغاية، لا أقول إنه ليس كذلك - لكن في مجال عملك، من الواضح أنه يجب أن تكون ذكيًا للغاية لتحقق النجاح، وربما لهذا أخطأت في ظنك أن الإنسان يجب أن يكون فائق الذكاء حتى يعرف كيف يعيش حياته. يجب أن تكون فائق الذكاء لتعيش حياة جيدة كفيلسوف ويجب أن تكون عارضة الأزياء فائقة الروعة لتعيش حياة جيدة كعارضة أزياء، لكن ليس عليك أن تكون فائق الجمال وهي ليس عليها أن تكون فائقة الذكاء. تأمل كيف سيكون الأمر غير عادل. يبدو الأمر كما لو أنك تقول إن الشخص الذي لا يملك معدل ذكاء أعلى من المتوسط لا يمكنه أن يعيش حياة ذات شأن. حسنًا، هذا سيء

جدًا بالنسبة لهم، أليس كذلك! أو ربما تعتقد أن الملوك الفلاسفة يجب أن يملوا عليهم فقط كيف يعيشون؟ هل هذا هو المقصود هنا؟ أن كل أصحاب الذكاء في منتصف المنحنى يجب أن يسلموا حياتهم إلى الملوك الفلاسفة بنفس الطريقة التي يجب أن يسلم بها ماركوس أسنانه للدكتور كولودني؟

قالت شيرِل، بصراحة لا أعرف ما الذي أصابني، وهي تستدعي في ذات الوقت النادل وتطلب شاي لونغ آيلاند مثلج آخر. أنا لا أجادل مطلقًا مؤلفي. عادة لا ألاحظ حتى ما يقولونه، يدخل من أذن ويخرج من الأخرى ثم إلى الفومة التالية. لكنني أعتقد أن أفلاطون قد أصاب وترًا حساسًا. أعني، كان يقترح أنه لأني لم أدرس الفلسفة، فأنا لا أعرف كيف أعيش حياتي. لم يقل ذلك مباشرة، لكن هذا كان المقصد. لم أكن بحاجة إلى أي فيلسوف يتحدث برتابة عن الحجج السليمة وغير السليمة ليخبرني أن هذا هو المعنى المقصود. وتساءلت عما إذا كان صديقه سقراط يتجول وهو يخطب عن أفكار مماثلة، وإذا كان ذلك قد أغضب الناس لدرجة أنهم أدانوه بتهم ملفقة، خاصة وأنه من القليل الذي أخبرني به أفلاطون عن محاكمة صديقه، بدا الأمر وكأنه بذل قصارى الجهد ليشير ضمنيًا إلى أن شخصًا متفوقًا مثله فقط هو من يعرف ما تمثله الحياة قبل إدانته وحتى بعدها. أعني، أنا لا أقدم أعذارًا لأي شخص تسبب في قتل الرجل لأنه كان يضايقهم كثيرًا، أنا فقط أقول أن القصة قد تكون أكثر تعقيدًا بقليل مما قدمها أفلاطون.

على أية حال، لاحظت أنه عندما أنهيت خطبتي اللاذعة الصغيرة، كان ماركوس يبتسم في وجهي، ولم تكن على الإطلاق ابتسامة ساخرة. بطريقة ما بدا لي أنني اكتسبت الكثير من النقاط عنده من خلال انتقادي لفكرة وجود خبراء يمكنهم إخبارك كيف تعيش حياتك، لكنني لم أكن متأكدة تمامًا إلى أي مدى تقبل مؤلفي انفعالي الصغير، غير أنه بدا على ما يرام، في الواقع وعلى نحو مستغرب بدا معجبًا، لأنه قال لي؛ حسنًا، إذا كان كل ما قلتيه صحيحًا، وإذا أمكنك أن تثبتي لي أن أي شخص يملك الحس السليم والأخلاق العامة يعرف الإجابات على هذه الأسئلة، فأعتقد أنك أنتِ من يجب أن تلقي الحديث في لقاء مؤلفين في غوغل وليس أنا. يجب

أن نتبادل الأدوار وسأقوم أنا بدور مرافقك الإعلامي.

قلت له: أتعلم، من المضحك أن تقول ذلك، على الرغم من أنني كنت أعلم أنه كان يقصد أن يمازحني، كما لو أن فكرة تبديل الأماكن بكاملها كانت سخيفة، لكن سحقًا له، قلت في نفسي. غالبًا ما تأتيني ذات الفكرة عندما أستمع إلى الكثير من المؤلفين، أخبرته. فقط أنا لم أكتب أي كتب، لذا فأنا، من الناحية التقنية، لست مؤلفة.

كما قلتِ، مجرد أمر تقني، قال، وهو يرفع حاجبيه، مما يعني على الأرجح أنه كان يعبث معي. كنت دائمًا أكتب بأكبر قدر من الخوف، وأُفضّل كثيرًا أسلوب الأخذ والرد في الحوارات مثل هذا الذي نشارك فيه الآن، والتي يمكن فيها تحقيق تقدم حقيقي في التفاهم. في عالم مثالي، نتحرر فيه من التحيز ضد المؤلفين الذين لم يؤلفوا أي كتب، وبالتالي، ستكونين أنتِ المتحدثة في غوغلبلكس، أخبريني ماذا ستقولين ردًا على السؤال عن كيف ينبغي أن يعيش الإنسان حياته؟

كيف ينبغي أن يعيش الإنسان حياته أو **حياتها**، صححت لأفلاطون، لأنه طلب مني مساعدته تحديدًا في تجنب قول أي شيء يبدو متحيزًا جنسيًا.

قال بابتسامة: شكرا لك. أنتِ توافقين على أن هناك طرقًا ينبغي على الإنسان أن يعيش بها حياته، وطرقًا ينبغي ألا يعيش بها؟

قلت: بالطبع.

وهي ليست مجرد مسألة تفضيلات شخصية مختلفة تتعلق، على سبيل المثال، ما إذا كان المرء يفضل العيش داخل أسوار المدينة أو في الريف، أو كان المرء يفضل الحياة التي تعرضه للإثارة الناتجة من العديد من المخاطر أو حياةً من الأمان النسبي.

تقصد أن الناس يختلفون في مشاربهم؟

قال أفلاطون: هذه طريقة جميلة لقولها.

قلت له: لا يمكنني أن أنسب الفضل لنفسي. لكن كما تعلم، في بعض الأمور يختلف الناس في مشاربهم. أعني، أنا لا أصدر أية أحكام على ارتدائك توجا، مثلًا.

في رأيي، هذا شأنك. وأفهم أنك لست متزوجًا أيضًا؟

قال: لا.[125]

ولم تتزوج مطلقًا؟ سألت.

هز رأسه أن لا.

حسنًا، أنا لا أحكم على هذا النوع من الأشياء أيضًا، أخبرته. فنحن في منطقة خليج سان فرانسيسكو، في النهاية. أنا لا أسألك عما حدث بينك وبين صديقك سقراط أو بينك وبين صديقك ديون، عندما بقيتما مستيقظين طوال الليل وشاهدتما شروق الشمس معًا. هذا ليس من شأني، إلا أنني لاحظت أن حديثك عن الرجال فقط، ولم تتحدث عن النساء مطلقًا. لكنني لا أُصدر أي أحكام أخلاقية. إذا كان هذا توجهك أو مشربك أو كيفما تريد أن تسميته، فمن أنا حتى أختلف معك؟

قال بهدوء: لكنكِ تختلفين حول بعض الأشياء، أو هكذا أظن. على سبيل المثال، إذا قررت أنك مرافقة إعلامية جيدة لدرجة أنني كنت بحاجة إلى جعلك مرافقة شخصية لي طوال الوقت، وبالتالي قررت اختطافك، فمن المحتمل ألا تستجيبي لقراري هذا بقول «الناس يختلفون في مشاربهم.»

هل تتحدث عن جعلي «أَمَةً» لك؟ سألته.

أَمَة، نعم، أجاب. مرافقتي الشخصية بدون أجر في جميع الأوقات. أفترض أنك قد تبدين بعض الاعتراض.

قلت، نعم، جدًا.

وما اعتراضك؟

اعتراضي هو أنه ليس لدينا عبودية.

---

(125) لا يستطيع المؤرخون الجزم بأن أفلاطون لم يتزوج أبدًا لأن النساء الأثينيات نادرًا ما يظهرن في السجلات. ثم هو يؤكد مرتين في **محاورة القوانين** على أن الذكور ينبغي أن يتزوجوا.

قد لاحظت ذلك. ولكن ماذا لو تمكنت من فعلها دون عواقب؟ ماذا لو أن ذلك هو العرف في بلادي، ولم يعترض أحد على الإطلاق على استعباد الآخرين، على الأخص إذا كانوا برابرة،[126] وعلى الرغم من أنه ليس لديكم عبودية في منطقة خليج سان فرانسيسكو، ولم أر أنا مشكلة في ذلك وكانت لدي الوسائل لفعلها دون عواقب؟ هل لديك ما تخبرينني به عن وجه الخطأ في ذلك؟

ماذا، هل تمزح معي؟ سألته.

مطلقًا. هل لديكِ ما تقولينه لمحاولة إيقاظ إحساسي بالصواب والخطأ؟

أعتقد أنه لدي شيءٌ أو شيئين لأقولهما. أولًا، أود أن أقول من أنت حتى تصف أي شخص بالبربري؟ البربري في نظر شخص ما هو شقيق شخص آخر. وثانيًا، ما الذي يمنحك أنت أو أي شخص الحق في اتخاذ شخص آخر عبدًا، حتى لو كنت تعتقد بطريقة ما أنه بربري؟ البرابرة مثلك لهم نفس الحق في أن يعيشوا. ما الفرق سواء كان المرء بربريًا أم لا؟ ما الفرق الذي يحدثه أي شيء يمكنك أن تقوله عن شخص ما فيما إذا كان مسموحًا لك أن تجعله عبدًا؟ الإنسان إنسان. حياة كل فرد لا تقل أهمية عن حياة أي فرد، وإذا كنت لا تعرف هذه الحقيقة البسيطة بنفسك،

---

(126) "برابرة" هي كلمة محاكاة صوتية استخدمها اليونانيون القدماء للإشارة إلى جميع الأجانب، لأن اللغات غير اليونانية بدت للآذان اليونانية مثل تكرار للصوت بار بار بار. قدم أفلاطون، في محاورة **الجمهورية** (469b-c)، ما كان يعتبر آنذاك حجة راديكالية مفادها أنه لا ينبغي لليونانيين أخذ اليونانيين الآخرين عبيدًا، حتى لو هُزموا في الحرب. إذ يجب اعتبار الحرب بين المدن اليونانية حربًا أهلية، وبالتالي يجب عدم السماح بتطبيق القواعد التقليدية للحرب - الاغتصاب والنهب والاستعباد الجماعي. لقد جادل أيضًا في **القوانين** بأنه لا ينبغي معاملة العبيد بالعنف، نظرًا لأنه في سلوكنا تجاه من هم تحت سيطرتنا، تنكشف بعمق شخصيتنا الأخلاقية - وهذا لا يعني، كما سارع إلى القول، أن ندلل عبيدنا أو نعاملهم كما لو كانوا أحرارًا (777c-d). كما يشير بيتر سنجر، فقد عززت حجة أفلاطون من أخلاق عصره، حتى لو لم يذهب بعيدًا من وجهة نظرنا. يشير سينغر كذلك إلى أن الكتاب المقدس بالمثل، عند مناقشة قوانين العبودية، يميز بين من ينتمون إلى قبيلة المرء وبين الآخرين. "**وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ عِنْدَكَ وَبِيعَ لَكَ، فَلاَ تَسْتَعْبِدْهُ اسْتِعْبَادَ عَبْدٍ... وَأَمَّا عَبِيدُكَ وَإِمَاؤُكَ الَّذِينَ يَكُونُونَ لَكَ، فَمِنَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكُمْ. مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ عَبِيدًا وَإِمَاءً: وَأَيْضًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَوْطِنِينَ النَّازِلِينَ عِنْدَكُمْ، مِنْهُمْ تَقْتَنُونَ وَمِنْ عَشَائِرِهِمِ الَّذِينَ عِنْدَكُمُ الَّذِينَ يَلِدُونَهُمْ فِي أَرْضِكُمْ، فَيَكُونُونَ مُلْكًا لَكُمْ. وَتَسْتَمْلِكُونَهُمْ لأَبْنَائِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِيرَاثَ مُلْكٍ. تَسْتَعْبِدُونَهُمْ إِلَى الدَّهْرِ. وَأَمَّا إِخْوَتُكُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فَلاَ يَتَسَلَّطْ إِنْسَانٌ عَلَى أَخِيهِ بِعُنْفٍ**. وهذا ميثاق يوصى به بنزاهة للإسرائيليين، لكن ليس للكنعانيين. بيتر سينجر:
The Expanding Circle (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2011), p. 112.

فاذهب واسألهم.

قال أفلاطون بهدوء: أحسنتِ، ولم أستطع مطلقًا تبيّن ما إذا كان يضايقني أم لا. أعني، هل هو معجبٌ لأنني أعلم أن العبودية خطأ؟ لذلك سألته مرة أخرى، ماذا، هل تمازحني؟

إطلاقًا. قال؛ كان ذلك رائعًا، كما لو كان يعنيه حقًا. ثم كرر ما قلته للتو، كلمة بكلمة، كما لو كان ذلك نوعًا من الوحي. الإنسان إنسان. حياة كل فرد لا تقل أهمية عن حياة أي فرد.

حسنًا، اسمعي يا روندا، أحب أن أُمطر بالثناء كأي شخص، لكن بصراحة كان ذلك سخيفًا، وهو ما أخبرته به. من منا لا يعرف أن الإنسان إنسان؟ قلت له.

أجابني: سوف تتفاجئين. هناك الكثير الذي تعدينه من المسلمات الآن، في ظني أكثر بكثير مما هو مخزن في سحابة المعلومات في غوغل. هناك كنوز من المعرفة المكتسبة بشق الأنفس مخزنة في منظورك للعالم.

وسوف تحاول إقناعنا، قال ماركوس فجأة، أن كل هذه الأشياء المدهشة المخزنة الآن في ذهن شيرِل، على الرفوف المسماة «الأخلاق»، كما هو الحال في المتاجر الحديثة، وضعتموها أنتم هناك، معشر الفلاسفة.

لكنني قلت للتو، شرحت بصبر، أنني لم أدرس الفلسفة. أي شيء بهذه الروعة في ذهني - وبصراحة لا أستطيع أن أرى ما الرائع للغاية في أي شيء قلته للتو - لم يصل إلى هناك بسبب الخمسين دقيقة التي سمعت فيها فيلسوفة تتحدث برتابة عن الحجج السليمة وغير السليمة.

قال ماركوس: مرحى يا فتاة. لم أستطع تبين ما إذا كان يسخر أم لا، لكن، نظرًا للميل العام للرجل، أعتقد أنه كان يسخر.

قلت: لديّ الحق الكامل في رأيي هنا مثل أي شخص آخر. في الحقيقة لديّ المزيد من الحق، لأن ما نناقشه هو كيف وصل ما في ذهني إلى هناك.

قال ماركوس: أتفق معك بشدة، وهذه المرة أستطيع القول إنه كان صادقًا. أعتقد أنك مصيبة في شكوكك. تمتلكين الحدس الصحيح. هل تمانعين إذا سرت معها قليلًا؟

على الرحب، قلت، لأنني سأخبرك بشيء يا روندا. الإجابة على أسئلة أفلاطون أمر مرهق. الرجل مثل أرنب بطاريات «إنرجايزر» في طرح الأسئلة. أوه، ويجب أن أذكر أنه عندها وقعَ القليل من الاضطراب لأن اثنين من موظفي غوغل ظهرا لاصطحاب مؤلفي في جولته، وكان بوسعي أن أرى أنه متردد حقًا. لقد كان منخرطًا في حديثٍ من النوع الذي يمكنك أن تريْ أنه يعيش من أجله فقط. أعني أنه يمكنك أن تريْ أنه كان بمثابة الدماء لحياته. لكنه كان حريصًا أيضًا على رؤية غوغلبلكس من الداخل. لقد أسرت فكرة السحابة تلك خياله لسبب ما. قبل ذلك كنت أرغب منه أن يتخطى الجولة، لأنني اعتقدت أنها ستكون مرهقة له، لكن نوع الحديث الذي كان عازمًا على المضي فيه كان مرهقًا بنفس القدر، على الأقل بالنسبة لي. سألني عما إذا كان من الممكن القيام بالجولة بعد إلقاءِ كلمته في حدث مؤلفين في غوغل. لا، قلت له: هذا غير وارد، لأن ذلك هو الوقت الذي ستوقِّع فيه الكتاب. كان ميالًا جدًا لتخطي توقيع الكتاب، لكن من الواضح أن هذا لن يحدث في مناوبتي. عندما نأتي إلى هذا النوع من الأشياء، فأنا من يجب أن تكون طاغية، بما أن الأوامر تأتيني من الناشرين، وصدقيني، هم يتابعون كيف يبلي مؤلفوهم مع المرافقين الإعلاميين المختلفين، ويقارنون بين مبيعاتنا. رجّح ماركوس إحدى الكفتين عندما أخبر أفلاطون أنه ليس فقط راغبًا في تحدي وجهة نظره مرة أخرى لكن يمكنه أيضًا شرح الطريقة التي تعمل بها غوغل، والطريقة التي يستطيع بها محرك البحث توصيل المعلومات الصحيحة للناس بهذه الدقة.

قال لأفلاطون: لن تفهم ذلك أثناء الجولة في «غوغلبلكس»، لأن الإجابات التي تبحث عنها تقع في دائرة التجريد، وهو، بالطبع، في مقدمة اختصاصك.

عندها، أصبح أفلاطون سعيدًا جدًا لدرجة أنه سمح لنفسه بابتسامة حقيقية،

وليس مجرد تلميح بابتسامة، صرفت مرشدي الجولة، الذين بدوا محبطين حقًا. إذ على ما يبدو، كانوا من أشد المعجبين بأفلاطون أيضًا. شيء غريب.

لم يُضِع أفلاطون الوقت، وسأل ماركوس مباشرة عن النقاط التي يريد تفنيدها.

قال ماركوس: حسنًا، دعني أكرر النقاط الرئيسية التي برزت حتى الآن، على الأقل كما أراها. أنت تفترض أنه إذا كانت هناك معرفة، خاصة إذا كانت معرفة غير تافهة يصعب الحصول عليها، فإن من يملكون هذه المعرفة هم القلة، الخبراء في هذه المعرفة. هل هذا صحيح؟

نعم، قال أفلاطون: ويبدو لي حشوًا.

قال ماركوس: سنرى. حسنًا، وتفترض أيضًا أن هناك شيئًا من قبيل معرفة كيف يجب أن نعيش حياتنا، وأن الأمر ليس مجرد مسألة تفضيلات شخصية أو أعراف ثقافية، مثلًا، وأن هذه المعرفة ليست تافهة ويصعب الحصول عليها. هل أنا على حق؟

نعم، قال أفلاطون: لا بد أن تكون بالتأكيد غير تافهة، لأن الكثير من الناس يفهمونها خطًا، ويعيشون حياة على مستوى حماقة «تشارلي شين» تقريبًا.

لم يجرؤ على قول ذلك! قلت لشيرِل.

بل فعل. كرر ما قلته كلمة بكلمة. حتى ماركوس اضطر للضحك بصوت عالٍ، بدلًا من ضحكاته المكبوتة. حسنًا، واصل ماركوس. إذًا، فالمعنى الضمني لهذين الافتراضين هو أنه إذا كان لدى أي شخص هذه المعرفة - وأفترض أنه مما يتفق مع هذين الافتراضين أنه لا أحد يملكها - لكن، إذا كان لدى أي شخص هذه المعرفة، فإنها يمكن أن تنتمي فقط لمن استطاعوا أن يصلوا إليها بالتفكير. هل أنا على حق؟

قال أفلاطون: نعم.

لذلك، أنت ترى أن هذه المعرفة هي شيء يشبه المعرفة الرياضية. في ذات موضوعيتها، وحقيقتها لا تحددها التفضيلات الشخصية أو المعايير المجتمعية، كما

أنها غير تافهة ويصعب الحصول عليها، كونها مسألة تفكير.

قال أفلاطون: نعم. أوافق على كل هذا. في الواقع، سأذهب إلى أبعد من ذلك وأدّعي أنها لا تشبه فقط التفكير الرياضي ولكن الرياضيات نفسها تدخل في هذه المعرفة.

قال ماركوس: حسنًا، لكن لنبقَ مع الفرضية الأضعف، بغرض تفنيد رأيك.

نعم، وافق أفلاطون. هذا منطقيٌّ من الناحية الديالكتيكية.

حسنًا، قال ماركوس، ثم استغرق عدة لحظات ليتنفس. كان، كما اعتادت والدتي أن تقول، متحمسًا للغاية. حسنا، قال ثانيةً، ما يعنيه كل هذا، كما أسرعت شيرِل للتوضيح، هو أن الموهوبين في التفكير فقط هم من يمكنهم اكتشاف كيف يجب أن نعيش. لا توجد طريقة أخرى للوصول إلى هذه الحقائق، مما يعني أن غير المتفلسفين الذين لا يستطيعون تقفي الحجج الفلسفية عليهم قبول استنتاجات الفلاسفة.

قال أفلاطون: نعم. ومن هنا تأتي الالتزامات الهائلة التي تقع على عاتق الفلاسفة تجاه البقية.

بما في ذلك الالتزام بإخبار الآخرين كيف ينبغي أن يعيشوا، الالتزام بتشريع الأخلاق لهم.

ليس في كل النواحي، لا، لأنه كما أشارت شيرِل أيضًا، هناك العديد من الأمور التي تكمن بالكامل في مجال التفضيلات الشخصية أو الثقافية. والعديد من مثل هذه القرارات، والتي هي بالكامل من شأن الفرد يقررها بنفسه أو يترك المجتمع يقرر نيابة عنه أو عنها، تساعده في صناعة حياة تستحق العيش. لذلك، مثلًا إذا كان من طبيعتي أنني بحاجة لاختبار رجولتي - آمل ألا يكون هناك تمييز جنسي في ذكر الرجولة في هذا السياق- سأل وهو ينظر إلي.

قلت: لماذا لا تقول فقط اختبار شجاعتك؟ تختبر النساء شجاعتهن أيضًا.

نعم أنتِ على حق. إذا كان من طبيعتي أنني بحاجة لاختبار شجاعتي من خلال

المخاطرة المتكررة، فأنا حرٌّ في ذلك طالما أن المخاطر التي أتحملها لا تنطوي على أي تجاوزات أخلاقية. يتكون الجزء الأكبر من جوهر الحياة التي تستحق أن تعاش من قرارات من هذا النوع.

هزه ماركوس، لكن ليس كلها.

لا، ليس كلها ، وافقه أفلاطون.

وتلك هي المساهمات في الحياة التي تستحق العيش والتي لا يستطيع من لا يملك الذكاء الفلسفي أن يقررها بنفسه، لكن ينبغي أن يُسلم القرار إلى شخص ذكي فلسفيًا.

قال أفلاطون: ليس بالضبط. **لا أحد**، لا من يملك الذكاء الفلسفي ولا من يفتقر إليه، يمكنه أن يقرر هذه الأمور بنفسه – أو بنفسها – نظرًا لوجود حقائق موضوعية في هذه المسألة. من يستطيعون الوصول إلى مثل هذه المعرفة ليسوا أكثر قدرة على تغيير الحقائق المتعلقة بكيف ينبغي أن نعيش أكثر من أي شخص آخر. مثل أي شخص آخر، يجب عليهم الالتزام بها. الفرق الوحيد هو أنهم قادرون على اكتشاف الحقائق من خلال مواهبهم المميزة وتدريبهم المميز. لذا فهم لا يفرضون إرادتهم الشخصية على الآخرين، مثلما لا يفرض علماء الرياضيات إرادتهم على الآخرين عندما يخبرون غير العلماء بالرياضيات بالحقائق الرياضية. إنهم ببساطة يشاركون معرفتهم مع الآخرين، المعرفة التي لا يستطيع الآخرون الوصول إليها بأنفسهم، بسبب افتقارهم إلى المهارات المعرفية المطلوبة، سواء من حيث الموهبة أو التدريب. ولا يبدو لي هذا إجحافًا أكثر من أن يشارك الأذكياء رياضيًا معرفتهم بالرياضيات مع غير الأذكياء رياضيًا. أنت، مثلًا، كمهندس برمجيات، تمتلك قدرًا كبيرًا من الذكاء الرياضي، كما أظن.

نعم، قال ماركوس: أفترض أنه يمكنك قول ذلك.

قال أفلاطون: إنه من خلال العمل هنا في غوغلبلكس، يمكنك توفير مزايا ذكائك الرياضي للآخرين الذين يفتقرون إلى هذا النوع من الذكاء، والذين

يستفيدون من محرك البحث القوي في حين يعتبرونه ببساطة سحرًا تقنيًا.

الاختلاف، قال ماركوس؛ هو أن الجميع لا يعتقدون أنهم جيدون في الرياضيات أو حتى أنهم يهتمون. في الواقع، فقط من يجيدون الرياضيات بالفعل هم من يكترثون إذا ما كانوا يجيدونها أم لا. لكن الجميع يهتم بأن يعيش حياته بشكل جيد ولديه آراء قوية حول أفضل السبل لتحقيق ذلك. وإذا أخبرته أنه يفتقر إلى القدرة المعرفية لاكتشاف ذلك بنفسه، فسيرد عليك ببعض الكلمات القاسية.

قال أفلاطون: هذا صحيح تمامًا. هذه إحدى الطرق التي تجعل المهارة الفلسفية مختلفة تمامًا عن المهارات الأخرى. عندما يعتقد شخص ما أن لديه موهبة كبيرة في «الفلوت»، على سبيل المثال، في حين أنه في الواقع لا يملك شيئًا منها، فإن الناس إما أن يضحكوا منه أو أن ينزعجوا، ويحاول أفراد الأسرة السيطرة عليه كما لو كان مجنونًا (بروتاجوراس 323a). لكن لكل الناس نصيب من الاعتقاد بأنهم خبراء في جزء كبير من مجال الفلسفة، وبخاصة سؤال كيف ينبغي أن نعيش حياتنا، نظرة المرء لنفسه كأي شيء أقل من خبير تبدو تقليلًا من إنسانيته. هذا صحيح إلى حد أن الشخص الذي لا يدعي مثل هذه المعرفة قد يبدو غير بشري على الإطلاق (المرجع نفسه. 323b). يمكن أن يسمى هذا بمأزق الفلسفة. لأن حقيقة أن كلّ و أيّ شخص ملتزم بالاعتقاد بأنه سيد هذا المجال لا يظهر أنه بالفعل هذا السيد أكثر من...

قال ماركوس مبتسمًا: نعم، نعم، أعرف. من أنني قادر على أن أقرر بنفسي ما إذا كنت بحاجة إلى اهتمام الدكتور كولودني.

بالضبط. أجاب أفلاطون، بمسحة من ابتسامة. والآن، أي من خطوات حجتي تريد تفنيدها؟

قال ماركوس: صدقًا، كلها تقريبًا. لكن بما أن وقتَنا محدود - كم تبقى لدينا؟ سألني.

اثنتي عشرة دقيقة، قلت بحزم.

صحيح. قال ماركوس: بما أن وقتنا محدود **للغاية**، سأقصر نفسي على نوع واحد فقط من الاعتراض، ويرجع ذلك أساسًا إلى الوعد الذي قطعته بأنني سأشرح لك شيئًا عن سرِّ نجاح غوغل. ويصادف أن هذا السر يوفر أسبابًا لرفض ادعائك بأن المعرفة غير التافهة التي لا يمكن للأفراد العاديين الحصول عليها لا يصل إليها إلا الخبراء.

قال أفلاطون: أنا مفتون.

نعم، حسنًا، سأبدأ بـ غوغل. أفترض أنك تعرف شبكة الإنترنت العالمية، قال ماركوس. وهو ما بدا لي نوعًا من التعالي. أعني، جدتي تعرف شبكة الإنترنت العالمية.

قال أفلاطون: أعلم أنها تحوي كميات هائلة من المعلومات، وأن كل شخص لديه شاشة تعرض عليها أجزاء من تلك المعلومات.

كميات هائلة فوق كميات هائلة من المعلومات. آخر مرة قام فيها شخص ما بالعدّ، والتي كانت في عام 2008، كان هناك أكثر من تريليون صفحة ويب، ومن يمكنه حتى تقدير عددها الآن، إذ إننا من وقتها نضيف المعلومات بأضعاف مضاعفة. لكن هذا لا يقترب حتى من كمية المعلومات التي تمتلكها غوغل في سحابة التخزين. الهدف هو تخزين جميع معلومات العالم، ما يعني نسخ محتويات ثلاثة وثلاثين مليون كتاب في مكتبة الكونغرس، وحتى أكثر طموحًا، إذا عددتَ كل كتيّب وقصاصة وكل الأشياء المختلفة التي طُبعت بكل لغات العالم، ستصل في النهاية إلى ما يقرب من 129،864،880 كتاب. أي كل قائمة مطعم، وكل دليل هاتف، وأرشيفات الصحف والمجلات، والبضائع المعروضة للبيع في كل متجر. وأنا حتى لا أحصي جميع مقاطع الفيديو على يوتيوب، التي اشترتها غوغل في عام 2006، وجميع الصور، بما في ذلك صورة كل ناصية شارع وطريق على هذا الكوكب، وهي خطة غوغل Street View، مصورة بدقة عالية ومحدثة قدر المستطاع. عندما تقول غوغل أنها تريد إتاحة جميع معلومات العالم، يجب أن تفهم

هذا الكلام بمعناه الحرفي.

أكمل ماركوس؛ لكن الحصول على كل هذه المعلومات هو الجزء السهل. الجزء الصعب هو -بالنظر إلى اتساع مساحة التخزين- كيفية البحث في كل ذلك والحصول على المعلومات الدقيقة التي يحتاجها المستخدم، – ولا تصححي لي استخدامي المنحاز جنسيًا للضمائر- يا شيرِل. هذا هراء. حسنًا. انتظر دقيقة. هل استخدمت غوغل فعلًا حتى الآن؟

قال أفلاطون: لا. هل من الصعب أن أتعلم؟

لا يوجد شيء تحتاج لتعلمه، قلنا أنا وماركوس في نفس الوقت. دفع ماركوس جهاز الماك الخاص به أمام أفلاطون. فقط اكتب كلمة ما أو بعض الكلمات. أي شيء يثير فضولك. ويا روندا، ماذا تعتقدين أنه كتب؟

قلت لشيرِل: ليس لدي أي فكرة. ما زلت أحاول فهم حقيقة أنه لم يستخدم غوغل مطلقًا.

قالت: نعم، أعرف. على أية حال، كانت مجرد كلمة واحدة: **سقراط**. كان هذا ما بحث عنه.

قلت: واو.

نعم، قالت شيرِل، وهي تتناول رشفة طويلة أخرى من شرابها. أعتقد أنه حتى ماركوس كان مبهورًا. كنا جميعًا صامتين للحظة بينما كان أفلاطون يحدق في الصفحة، مذهولًا. لم أستطع رؤية الصفحة لأن أفلاطون كان على الجانب الآخر من الطاولة، لكني أتخيل أن النتائج تضمنت صفًا من صور سقراط الموجودة على الويب، وربما كان هذا سبب التعبير البادي على وجهه.

حسنًا، قال ماركوس بعد لحظات قليلة، ولاحظت أنه خفض صوته بضع ديسيبلات. دعني أشرح لك قليلًا ما يجري هنا. أول ما تراه هو أن هناك 4700000 نتيجة لبحثك. هذه هي جميع الأماكن في سحابة تخزين غوغل التي ترد فيها كلمة

«سقراط». هائل، أليس كذلك؟ صديقك سقراط رجل مشهور، على الرغم من أن بعض هذه النتائج، كما ترى، ليست متعلقة به في الحقيقة. مثل هذه، النتيجة الرابعة هو نوع من الأعمال التجارية عبر الإنترنت حيث يمكنك تنزيل نماذج أوراق الطلاق أو عقود الإيجار، والذي لسبب أو لآخر يطلق على نفسه اسم «سقراط». أنت بخير؟ سأله ماركوس فجأة، عندما لاحظ وجه أفلاطون، والذي بصراحة، لا أعرف كيف أصفه يا روندا. أعني أنني استخدمت كلمة «منكوب» من قبل، لكنني لا أعرف ما هي الكلمة التي يجب استخدامها لوصف التعبير الذي كان على وجهه عندما كان يحدق في النتائج التي حصل عليها من بحثه عن سقراط.

استدار أفلاطون ببطء لينظر إلى ماركوس. ماذا أفعل الآن؟ سأل بهدوء.

نظر لي ماركوس نظرة سريعة فهززت رأسي خفية أن لا. لم أكن أعتقد أنه من الجيد فتح أي من تلك النتائج لأنه من كان يدري مدى تأثير ذلك على أفلاطون، والذي، بالمناسبة، كان سيلقي كلمته بعد أقل من خمس عشرة دقيقة.

انتظري لحظة، قلت لشيرِل. هل أنت متأكدة من أنه لم يقصد شيئًا آخر عندما سأل، ماذا أفعل الآن؟

قالت شيرِل: لا، لا أعتقد ذلك. أعني أنه كما قال، كل تلك الأمور الصادمة التي وقعت لسقراط أصبحت شيئًا من الماضي. لا أعتقد أنه كان على وشك أن يصاب بانهيار عصبي لمجرد أنه بحث عن الرجل في غوغل.

قلت: حسنًا. أكملي.

لذا قال ماركوس: اسمح لي أن أشرح لك بعض ما يحدث هنا. هذه الأرقام التي تراها هنا؛ ما تعنيه هو أن محرك البحث قد أجرى مسحًا شمل ما يزيد عن تريليون صفحة ووجد هذه النتائج البالغ عددها 4470000 في 0.10 ثانية. لكن هذه البداية فقط، تمام، لأنه لن يكون هناك من المفيد أن يلقي محرك البحث كل تلك النتائج البالغ عددها 4،470،000 عليك، أليس كذلك؟ يجب أن يفرزها لك، ويضعها في ترتيب يجعلها قابلة للاستخدام، على أمل التقدم مما يحتمل أن يكون أكبر فائدة إلى ما هو أقل

فائدة. هذا ما يجب أن يكتشفه محرك البحث، وهذا ما يفعله محرك بحث غوغل أفضل من أي محرك بحث آخر. كان هذا سر نجاحها المبكر. تمام. لكن كيف يعرف كيفية فعل ذلك؟ كيف يمكنه الدخول إلى رأسك ومعرفة المعلومات التي تحتاجها بشدة؟ هل عينت غوغل لجنة من الخبراء، أو مجموعة من العلماء الموهوبين أو علماء الرياضيات أو الفلاسفة أو دارسي الأدب لقراءة كل صفحة من صفحات الويب التريليون وكتابة مراجعة لها، ثم استخدمتها غوغل لتقرير ما إذا كان الناس العاديون يريدون رؤية تلك الصفحة عندما يبحثون عن شيء ما؟ لا! ومن هنا جاءت عبقرية غوغل الأصلية، عبقرية الاستغناء عن الخبراء. لدى غوغل خوارزمية تُعيِّن تلقائيًا رقمًا لكل صفحة على الويب، رقمًا ينسجمُ بدرجة أو أخرى مع فائدة الصفحة، ويعتمد على عدد الصفحات **الأخرى** التي ترتبط بهذه الصفحة بعينها. كلما زاد عدد الروابط للصفحة، كلما كانت فائدتها أكبر، إذا سارت الأمور كما هو متوقع. لكن، بالطبع، **لا** تسير الأمور كما هو متوقع - نادرًا ما يحدث، أليس كذلك؟ - نظرًا لأن كل تلك الصفحات المرتبطة لن تكون بنفس الأهمية. كيف نفرزها لنعرف أيها من أيّ؟ عن طريق ترتيبها هي أيضًا من حيث عدد الصفحات الأخرى التي ترتبط بها. لذلك إذا كانت الصفحة التي لديها العديد من الروابط بصفحات أخرى مرتبطة بصفحة ما، فإنه سيكون لهذه الرابطة قيمة أكبر، سيكون لها وزن أكبر، من الصفحة التي لا تملك هذا العدد من الروابط. خوارزمية غوغل - وهي الخوارزمية البسيطة، التي بدأ بها كل شيء منذ عقد من الزمان، الذي يمثل تاريخًا قديمًا في هذا العالم - خصصت قيمة لكل صفحة ويب تصنف فائدتها، بناءً على عدد الصفحات المرتبطة بها وفائدتها. ثم عندما تكتب كلمة أو كلمات، يمكن لغوغل أن تقدم لك النتائج مرتبة حسبها. حسنًا، هل فهمتني؟ آسف بالطبع أنت تفهمني. على أية حال، كانت تلك هي الفكرة الأصلية للخوارزمية، لكنها أصبحت أكثر تعقيدًا الآن. هناك بالفعل بضع مئات من الإشارات التي يستخدمها محرك البحث الآن. وإحدى أهم الإشارات هي كيفية استجابة كل مستخدم للنتائج التي يحصل عليها. لذلك، إذا كنت ستنقر على النتيجة الثالثة، بدلًا من الأولى أو الثانية، فهذا بمثابة نوع من

التصويت الذي تمارسه بنقرتك، فتخبرنا أن الترتيب، بالنسبة لك، كان خاطئًا. جميع الأصوات، في شكل مئات الملايين من استجابات المستخدمين للنتائج التي يحصلون عليها بترتيبها الذي تظهر لهم به، هي معلومات تدخل في الخوارزمية التي تستخدمها غوغل لتوصيل المعلومات إليك. لا يوجد خبير في النظام في مكان ما يعرف أي شيء أو يقرر أي شيء. قال أحدهم ذات مرة، لا أتذكر مَن، عندما تقرأ كتابًا عظيمًا بحق تشعر كما لو كان يقرؤك أثناء قراءته. يبدو هذا هراءً بالنسبة لي – ما الذي يعنيه حتى؟ – لكن عندما يتعلق الأمر بغوغل، فهذا صحيح حقًا. يستخدمك غوغل أثناء استخدامك لغوغل، يستخدمك لتهذيب نفسه.

قلتُ إذًا هو كما اعتقدت. هناك شيء مريب يحدث هنا.

قال ماركوس: هراء. غوغل تجمع المعرفة، وكما سيخبرك أفلاطون، المعرفة في حد ذاتها شيء جيد.

قال أفلاطون بهدوء شديد: غوغل تجمع المعلومات، ليس من الواضح أنها تجمع المعرفة.

قلت: وأيضًا مهما كان نوع جمعها، سواء كنت تسميها معلومات أو معرفة، فهذا ليس بالضرورة أمرًا جيدًا، على الأقلّ ليس وفقًا لما كتبه سيفا فايدهياناثان في كتابه. وبحسبه، فإن غوغل لا تستخدمنا فحسب، بل تبيعنا أيضًا.

نعم، حسنًا، بصراحة سيفا لا يعرف ما الذي يتحدث عنه. لا تبيع غوغل معلوماتها لمعلنيها.

لأن ذلك فعل شرير؟ سألت بسخرية، لأنني كنت مجبرة في طوال تلك الجولات التي لا تحصى على سماع أن شعار الشركة هو «لا تكن شريرًا».

ربما هذا أيضًا، ولكن بشكل أساسي لأنه إذا اكتشف المستخدمون ما يجري، فمن المحتمل أن يبدأوا احتجاجًا قد يَتخذُ شكل استخدام محرك بحث آخر. وكما نحب أن نذكر أنفسنا هنا، فإن اختيار محرك بحث آخر ليس أبعد من نقرة واحدة. على أية

حال، نحن نخرج عن الموضوع. النقطة التي أحاول أن أوضحها لأفلاطون هي أن المعرفة بصفحات الويب التي تستخدمها غوغل هنا هي ذات مصادر جماعية. هذا هو المفهوم المهم الذي أحاول الوصول إليه هنا. هناك معرفة دون عارف. الفكرة هي أنه في بعض الأحيان، يمكن للحشد، عندما يسجل كل فرد فيه استجابته، أن يأتي بإجابة أفضل من أي فرد في الحشد، بغض النظر عن مدى ذكائه أو خبرته. في بعض الأحيان، يتفوق المجموع على أي عضو فرد، والطريقة الوحيدة للحصول على الإجابة الصحيحة هي السماح لكل عضو بالتصويت. تخيله استفتاءً متجددًا. في النهاية، هذه هي الفكرة العامة وراء الديمقراطية. من يجب أن يكون الحاكم؟ الجواب، كلُّ من يصوتُ له الناخبون، ولا يمكنك أن تسألهم إن كانوا أصابوا أم أخطأوا. بالنظر إلى قواعد الديمقراطية، الجواب هو ما يقدمه الجمهور، نهاية القصة.

قال أفلاطون: آه، نعم، كان لديَّ طالب أحب أن يؤكد فكرة مشابهة.

سألته: ذلك الطالب الذي أعجبك كثيرًا؟ ديون؟

لا، طالب آخر، هو أيضًا موهوب جدًا بطريقته.

أرسطو؟ سأله ماركوس.

قال أفلاطون: نعم، أرسطو. الذي قال: إن الكثيرين، الذين ليس من بينهم رجل راسخ، قد يكونون، مجتمعين، أفضل من القلة، ليس فرديًا ولكن جماعيًا، مثلما أن الوليمة التي يساهم فيها الجميع أفضل من تلك التي يتعهد بها رجل واحد (**السياسة** الكتاب الثالث، 11، 1281b17–a39).[127]

(127) "المبدأ القائل بأن الجماهير يجب أن يكون في السلطة بدلًا من اللامعين القليلين. . لأن الكثيرين (**hoi polloi**)، الذين لا يعد كل فرد منهم رجلًا صالحًا (**spoudaios**)، عندما يجتمعون معًا قد يكونون أفضل من القلة الصالحين، إذا نظرنا إليهم ليس كأفراد بل كمجموعة، مثلما أن الوليمة الي يساهم فيها الكثيرون أفضل من العشاء الذي يتكفل به فرد واحد. لأن لكل فرد من بين الكثيرين نصيب من الامتياز (**aretē**) والحكمة العملية(**phronēsis**)، وعندما يجتمعون معًا، يصبحون بطريقة ما رجلًا واحدًا، له أرجل كثيرة، وأيدي، وحواس، وكذلك فيما يخص طابعهم وفكرهم. ومن ثم فإن الكثيرين تكون أحكامهم أفضل من رجل الموسيقى والشعر. فبعضهم يفهم جزءً والبعض الآخر يفهم جزءً وفيما بينهم يفهمون الكل. هناك مركب مشابه من الصفات في الرجال الصالحين(**spoudaioi**) ، الذين

نعم، حسنًا، أود أن أقول إن أرسطو وضع إصبعه على الإجابة بالضبط. التعهيد الجماعي هو الوسيلة للحصول على الكثير من الإجابات التي تبحثون عنها أنتم يا رفاق.

قلت: يا رفاق ويا رفيقات، فحصلت على إيماءة موافقة من أفلاطون، ونظرة ساخطة من ماركوس الذي قال: لا تشتتي انتباهي بالتفاهات. أنا أواجه أفلاطون هنا.

سأله أفلاطون: ومن أنت لتقول إن اعتراض شيرِل تافه؟ ألا ينبغي أن تكون الجماهير مصدر هذا الرأي؟

حسنًا، ضحك ماركوس، أرى أنك قد قفزت بالفعل إلى النتيجة التي كنتُ على وشك استنتاجها.

قال أفلاطون: استنتجها على أية حال. سيجعلها ذلك أنظف ديالكتيكيًا.

قال ماركوس: حسنًا، رغم أنه فقد القليل من حماسه. ما كنت أرمي إليه هو أن نوع المعرفة الذي تعتقد أنه ينتمي إلى مجال الخبرة الفلسفية ينتمي للجمهور. هناك حقائق، حسنًا، حول ما هو صواب وما هو خطأ، ولكن لا يمكن لأي فرد أن يتعامل معها بمعزل عن الآخرين ببساطة لأن الجميع منهمك في حياته الخاصة ومنحاز لرؤية الأشياء من وجهة نظره الخاصة. هذا ما يجعل المعرفة الأخلاقية صعبة للغاية: وجهة نظر كل فرد مشوهة بسبب التزامه بحياته. لا توجد طريقة لتتجردَ التجرد الكافي من ظروفك الخاصة، لا يسعك إلا تحريف منظورك بسبب هويتك ومكانك. بمعنى ما، تطرقت شيرِل إلى هذا عندما قالت إنك تقدر الذكاء لأنه أكثر سماتك الشخصية قيمةً، تمامًا كما تشعر العارضة تجاه جمالها ولاعبُ كرة القدم تجاه موهبته في استخدام وزن جسمه في إسقاط أجساد البشر الأخرى. يبدو أنك كنت تحاول

يختلفون عن أي فرد من الكثيرين، إذ يقال إن الجميلين يختلفون عن غير الجميلين، والأعمال الفنية عن الحقائق، لأن فيها العناصر المتناثرة مندمجة، على الرغم من أنه إذا نظرنا إليها مجزأة، فإن عين شخصية ما أو سمة أخرى في شخصية أخرى ستكون أفضل مما في الصورة. ليس من الواضح ما إذا كان بالإمكان تطبيق هذا المبدأ على كل ديمقراطية، وعلى كل مجموعات الرجال."

الوصول إلى ذلك في أسطورة الكهف. أعني، أن الناس مقيدون إلى وجهات نظرهم فلا يستطيعون مشاركة معرفتهم، لكنك بعد ذلك تتخذ منحىً خاطئًا تمامًا، على الأقل في رأيي المتواضع، لأنك تجعل الأمر برمته يعتمد على رجل واحد، الذي تمكن من الخروج من الكهف بمفرده.

قال أفلاطون: حسنًا، هذه ليست الحال بالضبط. بدأ في المرحلة الأولى من رحلته.

نعم، ولكن الاقتراح هو أن الحل جاء من رجل ذكي - أو فتاة، يا شيرِل. النقطة التي تقصدها هي أن التفكير المتفوِّق فقط هو الذي يمكنه إخراج الشخص من الكهف. لكن ما لا تأخذه في الاعتبار هو أن الطريقة الوحيدة للخروج من الكهف هي التعهيد الجماعي، وهي الطريقة الوحيدة لإلغاء الخصائص المميزة للأعضاء الأفراد، الطريقة التي يميلون بها تجاه نقاط أفضليتهم الخاصة، بما في ذلك الرجل الذكي الذي يعتقد أن ذكاءه هو كل ما يهم. هناك خوارزمية ما مثالية لحل المسألة، يمكن بها تعيين أوزان للآراء المختلفة. ربما ينبغي أن نعطي وزنًا أكبر للأشخاص الذين عاشوا حياة يجدونها مرضية ويجدها الآخرون جديرة بالاحترام. وبالطبع، لكي ينجح هذا، يجب أن يكون الحشدُ ضخمًا؛ يجب أن يضم كل وجهات النظر المتباينة تلك، كل من يحدق من موضعه مقيدًا بالسلاسل في الكهف. يجب أن تضم الجميع، من حيث المبدأ. أعني، إذا كنت ستضم الرجال فقط، أو مُلَّاك الأراضي فقط، أو أصحاب معدل الذكاء فوقَ مستوىً معين، فلن تكون النتائج سليمة. ضُمّ الفلاسفة فقط، وهم مجموعة مميزة جدًا من الناس، سيؤدي ذلك بالتأكيد إلى إفساد النتائج. يعرف الحشد ما لا يمكن لأيّ فرد - ولا حتى أفلاطون نفسه - أن يعرفه.

كان ماركوس يتحدث بمعدل حوالي مائة كلمة في الدقيقة، وعندما انتهى، كان يتصببُ عرقًا، أما أفلاطون، على النقيض، فقد بدا، لا أعرف كيف أصفُ ذلك، بدا أكثر من أي وقت سابق كما لو كان منحوتًا من الرخام، جلس ساكنًا ومحدقًا باهتمام شديد في ماركوس لدرجة أنني فوجئت أن ماركوس لم ينزعج مطلقًا. كنت، بصراحة، قلقةً على أفلاطون. من المفترض أن أتأكد من أن مؤلفي في أفضل حالاته

عندما يتحدث إلى الجماهير، ولنواجه الأمر، لقد فشلت. أعني أنني لا ألوم نفسي لأنه ماذا كان بوسعي فعله؟ لقد تعرض عملي للتخريب في كل خطوة على الطريق. لكن الرجل يبدو بالكاد على قيد الحياة. كانت هذه بداية جولته الكتابية، ومن الواضح أن ناشره قد استثمر فيه بعض المال، وهو ما تفعله دور النشر أقل وأقل هذه الأيام، كان يبدو كأنما، لا أعلم، كأنما لسعته سمكةُ «شفنين لاسعة وشُل ببساطة»[128] **(مينون** 80b). كنت أحسب أنه حمل زائد عليه. أولًا، يرى صديقه سقراط الميت هناك على الشاشة، ثم ماركوس يهجم عليه مثل محرك بخاري، أو ربما مثل محرك بحث غوغل. حملٌ زائد.

قلتُ بلطف: أفلاطون أخشى أنه علينا نمضي، فوقف على الفور، لكنه وقف مكانه، ساكنًا مثل عمود، وأقسم بالله، أنه وهو واقف مرتديًا التوجا، قد بدا حقًا وكأنه تمثال، يوشك أن تطيح به جحافل البرابرة، أما ماركوس، الذي كان مهتاجًا حقًا، فقد بدا أن بإمكانه لعب دورهم إلى حد الكمال. أفلاطون، قلت مرة أخرى. جاء الوقت للتحرك إلى القاعة. وذلك عندما وقعت لي مفاجأة حياتي. لم يتخدر أفلاطون من خطبة ماركوس. بل نشط. أراد أن يستمر.

سألني: ألا يمكننا نحن الثلاثة أن نواصل حوارنا أمام الجمهور؟ سيكون مثل الأيام الخوالي، سقراط في الأجورا، يناقش شخصًا أو آخر من المواطنين، ويحتشد الناس للاستماع. سيكون ذلك أقرب لروح الفلسفة من وقوفي أمام الجمهور وإلقاء محاضرة، لا يمكن لأحد أن يتعلم شيئًا ذا أهمية من مثل هذا الموقف السلبي. لكن إذا أكملنا حوارنا، فإن المحادثة الحية لتفكيرنا النشط ستحظى بفرصة أكبر لاجتذاب

(128) "سقراط، حتى قبل أن ألتقي بك، أخبروني بكل صراحة، أنك نفسك رجل حائر وتحيل الآخرين إلى الحيرة... إذا سمحت لي بالتجاوز، أعتقد أنه ليس فقط في مظهرك الخارجي ولكن من نواحٍ أخرى أيضًا أنت تشبه تمامًا الشفنين اللاسع المسطح الذي يجده المرء في البحر. عندما يقترب منه أي شخص، فإنه يخدره، وهذا ما يبدو أنك تفعله بي الآن. عقلي وشفتي مخدران حرفيًا، وليس لدي ما أرد به عليك. رغم أنني تحدثت عن الفضيلة مئات المرات، وغالبًا ما تحدثت عن هذا الموضوع أمام جمهور كبير، بشكل جيد جدًا، أو هكذا اعتقدت. الآن لا أستطيع حتى أن أقول ما هي الفضيلة. في رأيي، فعدم مغادرة أثينا والعيش في الخارج هي نصيحة جيدة. إذا تصرفت على هذا النحو كأجنبي في بلد آخر، فمن المرجح أن يُقبض عليك بتهمة السحر."

الآخرين.

قلت له بحزم: ناشر كتبك لم يرسلك في جولة للترويج للروح الحقيقية للفلسفة. لاحظت أن مجموعة صغيرة من موظفي غوغل كانوا يقتربون منا، لا شك يتساءلون عن سبب عدم وصول أفلاطون إلى المنصة حتى الآن.

قال لي: إنك تؤدين وظيفتك الصعبة، في موضوع صعب للغاية، حسنًا جدًا، وهذه المرة لم يكن هناك شك في وميض عينيه. لكن اسمحي لي، من فضلك، أن أؤدي **وظيفتي**، والتي هي أيضًا مع موضوع صعب، بقدر ما أستطيع، على الأقل لبضع لحظات أخرى.

قلت له: لكن هناك خلاف. ربما هو خلاف أخلاقي.

حقًا؟ قال أفلاطون، عندها كانت عيناه تتلألآن كأقصى ما يكون.

أنت وأنا لا نستطيع القيام بعملنا بمسؤوليةٍ **معًا**. عليك مسؤولية القيام بعملك، تمامًا مثلما لدي مسؤولية القيام بعملي. إنها معضلة! عليّ أن أعترف يا روندا أنني شعرت بنوع الإثارة. مهما كانت هذه اللعبة الفلسفية، كنت ألعبها مع محترف.

قال أفلاطون: **إنها** معضلة. وبما أنه لا بد أنك حريصة على مسؤولياتك تمامًا بنفس حرصي على مسؤولياتي، فربما يجب أن نذهب للجماهير هنا. نحن نعلم كيف ستصوتين ونعرف كيف سأصوت. لذا فالقرار متروك لماركوس ليحدد ما الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله.

قال ماركوس: دعونا نستمر في الحديث.

هل لديك مبدأ على أساسه اتخذت قرارك؟

هل أحتاج لمبدأ؟ سأل ماركوس.

قال أفلاطون: أوه، نعم. لا يُعتبر القرار أخلاقيًا ما لم يكن ثمة مبدأٌ وراءه. وإلا فهو تعسفي.

قال ماركوس مبتسما: أنت تريد مبدًا أوليًا (logos). أنا غير مقتنع بذلك أيضًا. ليس إذا كانت الأخلاق مسألة تعهيد الجماعي، لكن حسنًا، تريد مبدًا، سأعطيك مبدًا. تفوق القيمة الفلسفية لاستمرارنا في المناقشة الإزعاج المتمثل في إبقاء الناس منتظرين بضع دقائق إضافية لسماعك تخاطبهم. لقد انتظروا وقتًا طويلًا، يمكنهم الانتظار أطول قليلًا.

التفت أفلاطون إليّ بابتسامة وسألني، هل يضع مبدأ ماركوس بعض البلسم على ورعك الأخلاقي المتقد؟

قلت: لا بأس بالنسبة لي، على الرغم من أن هؤلاء الذين جاءوا من أجل حديثك – وكان هناك حوالي ستة أو سبعة منهم يقفون هناك في انتظار أن نأتي معهم – قد يختلفون. لكن أتعلمين يا روندا؟ لقد وقفوا هناك، مبتسمين بجنون، سعداء بالتنصت، كما لو كانوا مقدرين أن هذا ليس شيئًا تراه كل يوم، ولا حتى في غوغلبلكس. جلسنا نحن الثلاثة مرة أخرى، وسحابة موظفي غوغل الصغيرة تحوم فوقنا.

إذًا، قال أفلاطون لماركوس، لقد وضحت لي مفهوم التعهيد الجماعي جيدًا، لذا أعتقد أنني أفهمه جيدًا. فكرتك هي أن الإجابات على الأسئلة الأخلاقية - بما في ذلك السؤال عن معنى أن تحيا حياة تستحق العيش، وما نوع الأفعال التي تتطلبها هذه الحياة، وما نوع الأفعال التي تحظرها مثل هذه الحياة – لن تأتي من أي خبراء أخلاقيين ولكن بشيء مثل محرك بحث غوغل. الاختلاف أنه سيكون محرك بحث أخلاقي. هل فهمتك بشكل معقول؟

نعم، قال ماركوس مبتسمًا. بشكل معقول.

ومثلما أن لمحرك بحث غوغل خوارزمية تعطي أوزانًا مختلفة للأصوات مختلفة، فإن محرك البحث الأخلاقي أيضًا سيكون كذلك. لذلك، على سبيل المثال، حتى إذا كان غالبية الناس يعتقدون أن حياةً من الانغماس في الملذات هي حياة سامية تستحق العيش، وأشادوا بجميع الأعمال التي أدت إلى هذا الانغماس، إذا كانت مرتبة هؤلاء

الناس متدنية إما من حيث رضاهم عن حياتهم أو من حيث تقدير الآخرين لهم، ستمنح أصواتهم وزنًا أقل نسبيًا. هل هذا صحيح؟ سأل ماركوس.

نعم، من حيث المبدأ، وافق ماركوس. لكن بالطبع، سأضطر إلى إجراء الحسابات الرياضية.

بالطبع، وافق أفلاطون. ستكون الرياضيات الخبرة الوحيدة المطلوبة. الرياضيات، المطبقة على بيانات التصويت الجماعي، من شأنها أن تحسم جميع الأسئلة الأخلاقية، مما يلغي الحاجة إلى الخبراء. لأن فكرة الخبرة الأخلاقية بأكملها مشكوك فيها عند كليكما.

قال ماركوس: بالضبط.

قلت موافقة، بالضبط.

قال ماركوس: في الواقع، اسمح لي بالتعديل على كلامك. أنا أقول إنها أكثر من مشكوك فيها. أود أن أقول - وسأدعم هذا من خلال التعهيد الجماعي - إنها خطأ أخلاقي واضح. هل رأيت الغضب الأخلاقي الذي ردت به شيرِل على اقتراحك لخبراء أخلاقيين؟ أود أن أقول إن هذا هو رد الفعل العام الذي ستحصل عليه.

قلت لماركوس: رغم أن إبعاد الخبراء الأخلاقيين سينهي مبكرًا فترة حكمك كملك فيلسوف؟

قال: لم أكن أعرف أنني مرشح.

نعم، قلت. أشار إليك أفلاطون في وقت سابق كمرشح محتمل.

حسنًا، لا أستطيع أن أقول إنه لم يشرفني أنه فكر فيّ، لكن بصراحة لا أعتقد أنني مناسب تمامًا للوظيفة.

أنا معك في ذلك، قلت موافقة.

في الأساس لأنني لا أعتقد أن ثمة من هو مناسب. يمكن لمحرك البحث

الأخلاقي الخاص بي أن يكون أفضل من أي شخص آخر في الوصول إلى إجابات أخلاقية. لا يوجد شخص واحد أثق به - ولا حتى نفسي - أكثر من ثقتي في محركي للبحث عن الإجابات الأخلاقية، أو إيز EASE اختصارًا.[129]

تهجتها شيرِل لي، وسألتني إذا كنت قد فهمتها، فأومأت لها بها معناه أنني لست غبية تمامًا.

قالت: عليّ أن أعترف بها لماركوس. إيز ذكي جدًا، كان ماركوس في أقصى درجات السعادة بنفسه. بدا لي إيز وكأنه نوع من الفومات التي قد يحصل بها ماركوس على عقد سخي لكتاب. كان مبتهجًا، ولا يمكنك لومه، إذ يبدو أنّ أفلاطون لم يكن لديه إجابة للرد عليه. استمر جالسًا، يحدق في يديه المطويتين. ففهمت ذلك كعلامة على أن الحوار قد انتهى أخيرًا، وقد حان الوقت لإعادة تأكيد وجودي، لذلك وقفت، وكذلك فعل ماركوس، لكن أفلاطون بقي جالسًا.

قلت بلطف، لكن بصوت لا يحتمل أية معارضة، تمامًا كما أفعل مع أطفالي: أفلاطون حان الوقت للتحرك. أنت لست هنا من أجل الأحاديث الجانبية معي ومع ماركوس. أنت هنا للترويج لكتبك.

قال: بالطبع، رغم أنه بقي جالسًا. بدأت في جمع أغراضي بطريقة توحي أنني جادة، ثم قال، بطريقته الناعمة تلك: لدي سؤال واحد آخر بشأن إيز أود طرحه.

حسنًا، قلت، لكن علينا ببساطة أن نتحرك. يمكنك طرح سؤالك ونحن نسير، أليس كذلك؟

قال: بالطبع. في الواقع، أوصي بشدة بالمشي أثناء التفكير. أراضي الأكاديمية محاطة بالمسارات، وأنا دائمًا أشجع التفكير المشّاء.

قلت: حسنًا. دعونا نأخذ هذا التفكير المشّاء إلى الطريق.

في اللحظة التي خرجنا فيها، تتبعنا جماعة موظفي غوغل، قال أفلاطون: لدي

---

(129) EASE = Ethical Answers Search Engine.

اعتراض على الحصول على جميع الإجابات الأخلاقية باستخدام إيز.

قال ماركوس بابتسامة عريضة: اعتقدت ذلك.

لقد زودتَ إيز، تمامًا مثل محرك بحث غوغل، بنظام ترتيب تفضيلي، أليس كذلك؟

نعم، قال ماركوس: تمامًا مثل محرك بحث غوغل.

حسنًا، هناك افتراضات فلسفية جوهرية وضعت في نظام الترتيب هذا. على سبيل المثال، يفترض إيز مسبقًا أن الحياة التي تستحق العيش هي الحياة التي تمنح إحساسًا بالقيمة لمن يحيونها وفي ذات الوقت، تحظى بتقدير الآخرين.

قال ماركوس: لا. أنا لم أقل ذلك. قلت فقط إننا نمنح أوزانًا أكبر لآراء من يقيمون حياتهم على أنها أكثر إرضاءً، ويقول الآخرون أنهم يعيشون حياة جيدة. لم أقل أن هؤلاء الناس يعيشون بالضرورة أفضل حياة ممكنة.

حسنًا، يبدو لي أنه من الصعب تجنب هذا الاستنتاج. كيف يمكننا أن نزن تفضيليًا آرائهم حول الحياة الجديرة بأن نحياها دون الافتراض المسبق لبعض تلك الادعاءات الجوهرية؟ ما تفترضه مسبقًا هو أنه إذا كان هناك عدد كافٍ من الآخرين يعتقدون أنك تعيش حياة جديرة بأن تحياها، فأنت **تعيش** حياة جديرة بأن تحياها، وتكتسب آراء هؤلاء الأشخاص وزنًا أكبر إذا كان **الآخرون** يعتقدون أن **هؤلاء** الأشخاص يعيشون حياة جديرة بأن يحيوها. هذا الادعاء ضمنيٌّ في نظامك لتعيين الوزن. أنت تبني على الادعاء بأن الحياة الجديرة بأن نحياها تشبه نتائج البحث المرغوبة. ربما يكون الأمر كذلك، وربما ليس الأمر كذلك. في كلتا الحالتين، فهو ادعاء أخلاقي ضمني في الترتيب التفضيلي الذي وضعته في إيز.

إذًا أنت تقول **أنني** في برمجتي لإيز بهذه الطريقة تصرفت كخبير أخلاقي؟ سأله ماركوس، وهو لا يزال يبتسم. أنت تقول أنني، في النهاية، شغلت منصب الملك الفيلسوف؟

قال أفلاطون: بالضبط.

قلت: لكن انتظر لحظة. لماذا يتعين عليك ترتيب الآراء المختلفة بهذا الشكل. فتعطي بعض الآراء وزنًا أكبر من غيرها؟ لا يبدو هذا عدلًا من وجهة نظري. لماذا لا تجعله ديمقراطيًا تمامًا، لأن لكل الناس ذات الحق في إبداء آرائهم حول ما يجعل الحياة جديرة بأن نحياها؟ عندها، ستكون مجرد مسألة عد الأصوات، لا ميزة لصوت أحد على أحد. أعتقد أنه هكذا يجب أن يكون تعاملك مع إيز.

قال ماركوس: لا، هذا لن ينجح. سيعود أفلاطون إليك ويقول إن ما قلتيه للتو، أن لكل شخص ذات الحق في إبداء رأيه حول ما يجعل الحياة جديرة بأن نحياها ، هو بحد ذاته بيان أخلاقي. حتى أنكِ استخدمتِ مصطلحات أخلاقية، بالحديث عن العدل.

التفتُّ إلى أفلاطون وسألته إن كان ماركوس على حق، إن كان هذا ما سيقوله. فابتسم وسألني: ماذا تعتقدين **أنتِ**؟ هل تعتقدين أن هذا ما سأقوله؟ واضطررت إلى الاعتراف بأنه: نعم، هذا ما سيقوله لأنه نعم، القول بأن لكل شخص نفس القيمة هو أول ما سيخبرنا به إيز حتى نتمكن من برمجة إيز حتى يصبح إيز قادرًا على إخبارنا بأي شيء.

قلت لشيرِل: لذا فالأمر أشبه بأحجية الدجاجة والبيضة.

قالت: صحيح. هي بالضبط الدجاجة والبيضة. وأظن بما أنني ذكرت بالفعل اعتقادي أن الكثير من الناس لا يعرفون كيف يعيشون حياتهم، لا أعرف ما إذا كنت أريد حقًا أن يساوي إيز بين الجميع. قلت ذلك لأنها بدت وسيلة للالتفاف حول اعتراض أفلاطون على طريقة ماركوس في برمجة الشيء.

ثم قال ماركوس: بالمناسبة، شيرِل، يمكنكِ أن تسألي أفلاطون إذا ما كان سيقول إن أي خوارزمية نستخدمها لاستنتاج إجابة أخلاقية من التعهيد الجماعي سوف تشتمل على افتراضات أخلاقية مدمجة فيها. لذلك التفتُّ إلى أفلاطون فرفع حاجبيه، ولم يلجأ حتى إلى سؤالي بصوت مسموع عما أعتقد **أنا** أنه سيقول، فقلت فقط: نعم،

هذا ما كنت ستقوله.

قلت لها: إذًا لم تسوى أية مسألة.

قالت: إن هذا تبسيط للأمور. كل شيء كان مشوشًا، وأهمها أنا. في الطريق إلى حدث أفلاطون، بدلًا من القلق على حث الخطى بمؤلفي، ظللت أفكر في كيف تُرِكَ كل شيء مفتوحًا بطريقة تثير أعصابي حقًا. يبدو الأمر كما لو أنني فتحت باب الثلاجة، ووجدت جميع أغطية البرطمانات مفتوحة، أغطية المايونيز والخردل والمخلل والحليب موضوعة بلا مبالاة فوقها، على وشك السقوط من عليها، عادة مزعجة عند مايكل. معجون الأسنان أيضًا. إنه ببساطة غير قادر على إحكام الأغطية فوق الأشياء. أردت أن أصرخ في أفلاطون: هل ستترك هذه المسائل مفتوحة دون أغطية!

قالت شيرِل ذلك بصوت عالٍ لدرجة أن النادل جاء بسرعة تُعد في ذلك المكان قفزة أولمبية. صرفته شيرِل بإشارة من يدها.

قالت: أعني، لقد أحببت فكرة ماركوس عن التعهيد الجماعي، لأن البديل يبدو سخيفًا للغاية لدرجة أنه مقزز.

قلت: تقصدين وجود خبراء أخلاقيين.

قالت: صحيح، فكرة وجود خبراء أخلاقيين، يعرفون أشياء لا يعرفها الناس العاديون، يمكنهم تقويم حياة الناس المعوجَّة كما يقوم الدكتور كولودني الأسنان المعوجة. هذا سخيف تمامًا.

قلت: أوافقك.

قالت: وما يزيد الطين بلة، فكرة سخيفة مفادها أن أولئك الخبراء الأخلاقيين نقلوا معارفهم بطريقة سحرية ما إلى ذهني، دون أن أعرف كيف وصلت إلى هناك، بحيث يمكنني الوصول إليها، وكأنها في متجر في قسم «الصواب والخطأ». صحيح، قولي نكتة غيرها. أو ربما ما أعنيه حقًا هو، أنني أريد شرابًا آخر، قالت

ضاحكة، وأساورها تغني وترقص وهي ترفع ذراعها لاستدعاء النادل، بينما جلست أنا أفكر.

لم تكن طبيعة الحقيقة الأخلاقية هي التي كنت أفكر فيها، بل ما إذا كانت صديقتي المهووسة بالسيطرة في حالة سكر. نعم، كانت بالتأكيد في حالة سكر. كلماتها التالية أكدت ذلك.

قالت: أعتذر لتأخري، يا روندا. ما حدث هو أنني بعد أن تركت أفلاطون شعرت أنني بحاجة للجلوس في سيارتي، وأفكر. أعتقد أنني لم أشعر بمرور الوقت.

حدقت شيرِل بي، وحدقت بها. شيرِل لا تفقد الشعور بالوقت وشيرِل لا تعتذر أبدًا.

هناك بديل آخر، قلت لها؛ أخيرًا.

بديل لماذا؟ قالت.

لهذه المعضلة التي أقحمك أفلاطون فيها. إنه ليس مجرد اختيار بين ما إذا كانت الجماهير تعرف أو الخبراء يعرفون. من المحتمل أيضًا أن لا أحد يعرف، وربما يرجع ذلك إلى عدم وجود شيء تجب معرفته. كل شخص يختلق أسبابه، في الغالب بالطريقة التي تجعلهم يشعرون بشعورٍ جيد تجاه أنفسهم.

قالت شيرِل: كنت أفكر في ذلك أيضًا، بينما كنت جالسةً هناك في السيارة. كنت أفكر في ذلك كثيرا.

قلت: إذًا، ربما هي الإجابة التي تبحثين عنها.

هل تعتقدين ذلك؟ قالت. أنا لا أظن، وسأخبرك لماذا، سأخبرك إلى أين قادني كل تفكيري في السيارة؛ قادني إلى كاتبة اصطحبتها في يناير. أثرت فيّ تلك المؤلفة حقًا، ربما لأنها كانت إحدى المؤلفين من غير ذوي الفومات، كانت لديها حياتها فقط.

أحضر النادل لشيرِل مشروبها وأخذت رشفة طويلة قبل أن تكمل.

كانت في مثل سننا، يا روندا، ربما أصغر قليلًا. كان من الصعب تبين سنها بسبب الحياة التي عاشتها. لقد كتبت مذكراتها، لكن جزءًا من تلك المذكرات كان مكتوبًا على وجهها. قرأت كتابها بالفعل بعد أن أمضيت اليوم معها. كان مروعًا جدًا. كان زوج أمها قد اعتدى عليها وعلى أختها الصغرى عندما كانتا طفلتين صغيرتين. كان الرجل، الذي كان ميسورًا جدًا وذا تعليم جيد، قد بدأ الاعتداء عليهما عندما كانتا في السادسة والرابعة. وبقدر ما كان الأمر سيئًا بالنسبة لها، وجدت أن الأسوأ بكثير، حتى عندما كانت طفلة، أن ذلك كان يحدث لأختها الصغيرة.

هل كانت أمهما معهما؟ سألتها.

كانت موجودة. بالطريقة التي وصفتها بها، كانت الأم تعرف نوعًا ما، لكنها منعت نفسها من التحقق، ما يعني أنها لم تشأ أن تعرف. عاشت حياة صعبة، وقد تعبت وأرادت الأمن الذي وفره هذا الرجل، وباختصار، كان من مصلحتها الذاتية ألا تعرف، رغم أنها اضطرت إلى ذلك على مستوى ما.

قلت: كانت في حالة إنكار.

يمكنك أن تسميه ذلك، لكنني لا أعرف ما إذا كان هذا سينفي عنها كونها شريكته في الجريمة أم لا. كذلك كان الرجل مختلًا نوعًا ما، ما يعني أنه ليس مسؤولًا بالكامل عن أفعاله، لذلك ربما هي أكثر شرًا منه. أو ربما لا. لا أعرف كيف يفترض بنا أن نفكر في هؤلاء المختلين. هل هم مرضى فقط، وينتهي الأمر عند ذلك، أم أنهم أشرار، أم أنهم مرضى وأشرار؟

قلت: اسألي محرك ماركوس، إيز.

قالت شيرِل: إن ما أردت فعله حقًا هو العودة وسؤال أفلاطون.[130]

(130) أعطى أفلاطون شيرِل إجابة في **طيماوس**. فهو لا ينسب فقط الكثير من الأمراض العقلية إلى سبب عضوي، فيحدد مكانها في اضطرابات "النخاع" الموجود في الرأس (المخ) الذي يرتبط بالنخاع المغلف بالعظام في جميع أنحاء الجسم (طريقته في تفسير كيف يجري التواصل بين الدماغ وبقية الجسم، دون أن يعرف الأعصاب)؛ لكنه يذهب أبعد من هذا ويقول إنه عندما يكون للاضطرابات

إذًا ماذا حدث للطفلتين؟ سألتها.

قالت: ماذا تظنين أنه حدث؟ لقد نشأتا لتعيشان حياة بائسة. كلميني عن حياة لا تستحق العيش. أمضت المرأة التي كتبت المذكرات معظم حياتها تكافح العديد من أنواع الإدمان، بما في ذلك الكحول والكوكايين والكريستال ميث، اختاري ما شئت. لم تكن قادرة على الاحتفاظ بوظيفة، على الرغم من أنها ذكية حقًا. حتى أنها عاشت في الشوارع لفترة، كتبت عنها. ثم جمعت شتات نفسها، وهي قصة بحد ذاتها. يجب أن تقرأي الكتاب حقًا يا روندا. اعتقدت أن أوبرا ستختاره بالتأكيد، لكن هذا لم يحدث، على الأقل حتى الآن. على أية حال، بالمقارنة مع أختها، هي تمثل قصة نجاح رائعة. الأخت هي التي أخفقت حقًا. إنها شاعرة وموسيقية، تكتب موسيقاها بنفسها، لكنها في غاية الفوضى لدرجة أن لديها اضطراب تعدد الشخصية وحاولت الانتحار عدة مرات. إذا سيطرت على حياتها بما يمكنها من تأليف كتاب، فسيكون من الأفضل رواجًا بحقّ. وسيستحيل أن تتجاهله أوبرا.

قلت: مأساة.

قالت شيرِل: أعتقد أن أوبرا رائعة في اختيارها للكتب.

لا، قصدتُ هاتين الأختين الصغيرتين اللتين تعرضتا للاعتداء.

قالت شيرِل: كلمة مأساة تعد تبسيطًا مخلًا، وهذه هي الفكرة. دمر ذلك الأب المريض حياة فتاتين صغيرتين بريئتين لمجرد إرضاء سعادته الأنانية. أعني، حتى لو

العقلية مسببات عضوية حقيقية، بحيث تصبح إرادة الشخص معطلة، فلا يمكن اعتبار الشخص شريرًا. "وإذا نمت بذرة نخاع الإنسان لتفيض بغزارة مثل الشجرة التي تحمل كمية مفرطة الوفرة من الفاكهة، فإنه يصبح عرضة لسلسلة طويلة من نوبات الألم أو الملذات في منطقة رغباته وما ينتج عنها. هذه الملذات والآلام الشديدة تدفعه إلى الجنون في الجزء الأكبر من حياته، وعلى الرغم من أن جسده قد جعل روحه مريضة وغبية، فإن الناس لن ينظروا إليه على أنه مريض بل يتعمد الشر" (86c-d). هذه فقرة استثنائية، تشير إلى الطريق نحو علم الأعصاب. يخطئ أفلاطون في تفسير وظائف الأعضاء، بالطبع، لكنه يفهم أن الفسيولوجيا العصبية هي التي تحدد السلوك الشاذ، ويستخلص استنتاجات إنسانية سيستغرق الطب النفسي آلاف السنين ليلحق بها. كم من معاناة للمصابين بأمراض عقلية كان من الممكن تجنبها لو أن الناس فقط قد أولوا نفس القدر من الاهتمام لهذه الفقرة من **طيماوس** الذي أولاه جاليليو للفقرات التي ألهمته بالعلوم الرياضية الجديدة.

سلمنا أن دماغه معطوب، كان بإمكانه المقاومة.[131] وإن لم يستطع، كان عليه أن يقطع عضوه. سيكون **ذلك** أخلاقيًا.

قلت: ربما، يصعب الجزم.

قالت: ليس بالنسبة لي، أنا لا أجد صعوبة في الجزم بذلك. ثم هناك الأم، التي ربما تكون أكثر فسادًا، لأن دماغها **ليس** مختلًا. كيف لأم تملك عقلًا يعمل بشكل طبيعي ألا تفعل كل شيء لحماية هؤلاء الأطفال الصغار؟ حسنًا، من الواضح أنها كانت قادرة على عدم حماية أطفالها، لأن هذا ما فعلته، أي عدم حمايتهم. لكن كان ينبغي عليها ألا تكون قادرة على عدم حمايتهم. تقريبًا تستطيعين بالأرقام إثبات أنه كان ينبغي عليها ألا تكون قادرة على ذلك، إذا نظرت إلى مجموع البؤس الكلي للموقف. هكذا كان ينبغي أن تفكر. كان عليها أن تفكر، حسنًا، حياتي أسهل إذا تظاهرت أن ما يحدث لا يحدث، لكن هناك شخصان آخران، يتصادف أنهما ابنتاي، ستدمر حياتهما إلى الأبد. هكذا أرى الموضوع.

قلت: لكن الناس لا يفكرون فيما يجب عليهم فعله بهذا الشكل. تلوح لهم مصائبهم أكبر، لأن هذا البؤس هو الذي سيضطرون إلى معايشته في الواقع وليس مجرد تخيله في رؤوسهم.

قالت شيرل: حسنًا، ربما **يجب** أن يفكروا بهذه الطريقة. ربما عندما لا يفعلون، فإن أدمغتهم لا تعمل بشكل صحيح أيضًا، وربما يمكن لشخص مثل أفلاطون أن يثبت لهم ذلك.

قلت: لا أعرف. حتى لو كنتِ على حق واستطاع أفلاطون إثبات شيء ما أو غيره، فأنا لا أعرف ما الفرق الذي سيحدثه ذلك.

---

(131) بالنسبة لأفلاطون، في الفقرة ذات الصلة من **طيماوس** (86b-87b)، هذا هو السؤال الأساسي. يقترح هناك أن السلوك الشرير بحق يعد سببًا كافيًا للحكم على شخص غير سليم عقليًا لأسباب عضوية، على الرغم من أن "التعليم السيئ" يلعب دورًا ثانويًا أيضًا. "لكن ليس من الصواب لوم الناس عليها، لأنه لا أحد شرير بإرادته. يصبح الرجل شريرًا نتيجة لحالة فاسدة أو أخرى في جسده نتيجة لنشأته الأمية. لن يرغب أحد قاسى من هذه الظروف الخبيثة في الحصول عليها بإرادته" (86d – e).

ما الذي تتحدثين عنه؟ قالت شيرِل. بالطبع، ستُحدث فرقا! ذلك يعني أننا لا نرتجل طريقنا في الحياة، ذلك من شأنه أن يثبت أن زوج أم مؤلفتي وأمها هما اللذان يرتجلان. الارتجال هو ما يفعله حثالة الأرض.

قلت: الارتجال هو ما نفعله جميعًا، بشكل أو آخر.

أجل، حسنًا، لدي أخبار لك. ليس **كل شيء** مختلق. لا أحد يختلق حقيقة أن هذين الطفلين عانا، وما زالا يعانيان وربما سيعانيان دائمًا. أعني أنهما لن يحصلا حتى على فرصة لمعرفة ما هي أنسب حياة لهما، إنهما محطمان للغاية وليس لهما ذنب في ذلك. ذنب من هذا إذًا؟ لا يمكنكِ القول إن هذين الأبوين بريئان.

قلت: لكن انظري، فقط باستخدامك كلمات مثل «ذنب» و «لوم» و «براءة» فقد وصلت بالفعل إلى الموقف محملة بالكامل بجميع أنواع الافتراضات. من أين حصلت عليها؟ ليس من إيز محرك ماركوس.

ما الخطأ في كوني مُحمّلة بالافتراضات وأنا أنظر إلى الموقف؟ سألتني. أليست هذه هي وجهة نظر أفلاطون، أن ماركوس لن يتمكن من الحصول على كل ما يريده من إيز؟ لكن لمجرد أننا لا نستطيع استنباطها من إيز لا يعني أننا لا نمتلكها. كانت وجهة نظر أفلاطون أنه لا يمكننا تطوير التكنولوجيا التي من شأنها... لا أعرف تمامًا كيف أقولها.

من شأنها أن تعفينا من قدرتنا على تكوين الأحكام الفردية؟ قلت.

قالت: صحيح، بالضبط. كما قلت بالضبط. لن يخرج من غوغلبلكس تطبيق من شأنه أن يعفينا من قدرتنا على الحكم الفردي.

قلت: شيء سيء للغاية، عندما نأخذ في الاعتبار مدى صعوبة الحكم الفردي.

قالت: ليس بالنسبة لي. ليس عندي أية مشكلة على الإطلاق في اتخاذ الأحكام.

قلت: هناك فرق بين الحكم على الآخرين والحكم على نفسك. حتى الآن، برهنتِ فقط مدى سهولة الحكم على الآخرين.

إلام تلمحين تحديدًا؟ سألتني. هل تقولين إنني لا أطبق على نفسي ذات المعايير التي أطبقها على الآخرين؟

قلت: لا أحد يفعل ذلك. الجميع يختلقون لأنفسهم أعذارًا ليسوا مستعدين لمنحها للآخرين. الظروف المبررة واضحة للغاية في حالاتنا.

أعتقد أن ما تفعلينه يا روندا هو اتهام العالم كله بالنفاق. بصراحة، يا روندا، أنا مندهشة قليلًا لسماع هذا منك وهو ما قد يكشف عن نفسك أكثر مما تنوين كشفه.

جمعت شيرِل ذراعيها فوق صدرها وضيقت عينيها في نظرة تقيمني بها. هل كانت تحاول تحديد ما إذا كان كلامي هذا لا يستحق المزيد من الأخذ والرد؟

كل ما أقوله، يا شيرِل، هو أنه من الأسهل كثيرًا أن تكون موضوعيًا عندما يتعلق الأمر بسلوك الآخرين. من السهل أن نجلس هنا ونتساءل كيف أن أم المؤلفة لم تستطع رؤية أطفالها ونفسها بوضوح كما نفعل نحن. لكن الأمر مختلف تمامًا عندما تكون تلك حياتك. أنا لا أملك نفس ثقتك من أنني سأنظر لنفسي بنفس الموضوعية التي أرى بها الآخرين.

قالت شيرِل: حسنًا، الحمد لله أنني كذلك. وإذا قالت لي تلك الأم أنه من الأفضل لها أن تتعامى لأنه بخلاف ذلك ستضطر إلى تطليق ذلك المنحرف وتصبح بمفردها وتعمل لإعالة نفسها وطفليها الصغار بدلًا من وجوده للتخفيف من أعباء حياتها، عندها سأقول لها، ماذا تقولين بحق الجحيم؟ هل لديك أية فكرة عن آثار الإساءة للأطفال؟ هل تخبرني أن الحياة المرهقة ماديًا لشخص ما تفوق البؤس الانتحاري لشخص آخر؟ هلا توقفت وفكرت في ذلك للحظة يا سيدتي؟ اخرجي من الغشاوة وفكري!

حسنًا، قلت، لنفترض أنه حتى لو أمكنك إثبات أنه، نعم، يجب عليها حقًا حماية أطفالها رغم أن ذلك يجعل حياتها أصعب، وأنك قدمت للأم دليلك. هل تعتقدين أن هذا سيجعلها تتصرف بشكل مختلف؟ هل تعتقدين حقًا أنه يمكنك تقويمها ببعض الأدلة الواهية؟

قالت: لا أعرف، ربما. كانت هناك أشياء يعتقد الجميع أنها جائزة، ثم غيّر الجميع رأيهم عنها، وأصبح بإمكانهم رؤية أنهم كانوا مخطئين تمامًا. ربما بسبب وجود دليل ما اكتشفه شخص ما.

مثل العبودية؟ سألتها.

قالت: صحيح. العبودية. هذا مثال ممتاز. حتى الكتاب المقدس يعتقد أن العبودية مقبولة، دون أدنى شعور بتأنيب الضمير، طالما أنك تستعبد الأشخاص المناسبين، لكننا نعلم الآن أنها ليست كذلك. أعني، نحن **نعلم**. **أنا** أعلم، أنا التي لم أفكر في الأمر أبدًا. ربما قال لي أفلاطون «أحسنتِ» كما لو أنني اكتشفت علاجًا للسرطان، لكنني لم أفعل شيئًا خاصًا كي أستحق أي مدح لمعرفة أن العبودية خطأ. لم يعد الأمر متاحًا للنقاش. فكيف حدث ذلك؟ كيف أصبح شخص مثلي ذكيا إلى هذا الحد؟

انتظرت شيرِل وكأنها ربما كانت تنتظرني لأجيب عليها.

قلت: أعتقد أننا، آه، خاضنا حربًا بسبب هذا الموضوع. والرجال الذين اعتقدوا أن العبودية خطأ ربحوا الحرب؟

لا، هذا ليس صحيحًا على الإطلاق، يا روندا. الرجال الذين اعتقدوا أن العبودية خطأ كانوا على حق، والرجال الذين اعتقدوا أنها مقبولة كانوا مخطئين. لم يكن الفوز في الحرب الأهلية هو ما أحدث فرقًا بين من كان على حق ومن كان على خطأ. أنتِ تعلمين أنها خطأ، وأنا أعلم أنها خطأ، والجميع يعلم أنها خطأ. من المحتمل أن من لا يعلمون أن العبودية خطأ هم أنفسهم الذين لا يعلمون أن الأرض كروية، أو أصحاب الأدمغة المريضة، مثل دماغ زوج الأم. إذًا كيف حصلنا جميعًا على هذه المعرفة؟ أعتقد أنه هذا يمثل نوعًا من الإثبات. أعني، من الذي لا يريد أن يمتلك عبدًا؟ أنا أريد بالطبع. حتى لو كان واحدًا فقط سيشكل فارقًا كبيرًا. ألا تريدين عبدًا؟

إذًا، هل تعتقدين أن أفلاطون يعرف أن العبودية خطأ؟ سألتها.

بالطبع يعرف! قالتها، كما لو كنت أسألها إذا ما كان البابا كاثوليكيًا أو أن دونالد ترامب غني. أعني، إذا كنت أنا وأنت نعلم أن هذا خطأ، فمن المؤكد أن شخصًا مثل أفلاطون يعلم ذلك.[132]

قلت: أظن، على الرغم من عدم نسياني مدى دهشته لرؤية الرجال والنساء يعاملون على قدم المساواة. قلت بنفسك إنه حقًا من طراز قديم.

قالت: انظري، يا روندا، هناك طراز قديم، ثم هناك طراز قديم جدًا. يجب أن يكون الرجل من سكان الكهوف حتى لا يعرف أن العبودية خطأ.

قلت: ومع ذلك، فقد كانوا لا يعرفون، كما تؤكدين باستمرار. لذلك ليس الأمر واضحًا.

قالت نعم، صحيح، لكن هذه كانت بالضبط وجهة نظر أفلاطون. إذا لم يكن الأمر واضحًا، وإذا كان هناك العديد من الأسباب الذاتية لعدم رؤيتها، فسنحتاج إلى حجة قوية حقًا لاختراق كل تلك المقاومة. أنتِ بحاجةٍ إلى أولئك المجادلين الخارقين، الذين يعد أفلاطون، وصدقيني، واحدًا منهم. أنتِ بحاجة إلى أشخاص يفكرون في تلك الحجج طوال الوقت لأن هذا ما يفعلونه من أجل لقمة العيش.

---

(132) تمنح شيرل الكثير من الفضل لأفلاطون التاريخي، على الرغم من أن أفلاطون، الذي صادفته في جولته الكتابية، والحريص جدًا على اللحاق بكل ما تم إحرازه من تقدم علمي وأخلاقي في آخر 2400 سنة، من المفترض أن يفهم سريعًا أن العبودية خطأ. يُنسب إلى جون لوك أحيانًا أنه أول فيلسوف يجادل باستمرار ضد العبودية، لكنه لم يكن لا ثابتًا ولا كان الأول. كتب أورلاندو باترسون، في رسالة خاصة إليّ، ما يلي: "الفيلسوف الذي ينسب إليه تقليديًا أنه أول من عبر عن وجهات نظر مناهضة للعبودية بقوة هو مونتسكيو في الكتاب 15 من **روح القوانين**. لقد صرح بوضوح أنها شر، لكن نقاشه اللاحق الذي شرح فيه سبب استمرار العبودية يعقد الأمر إلى حد ما. ليس من الواضح تمامًا ما إذا كان مونتسكيو يلخص فقط الآراء التي تقدم تقليديًا لتبرير العبودية أو أنه كان يدعو إلى نوع من الدفاع البراغماتي عن العادة. إذا كانت الثانية، فيجب أن يذهب فخر الصدارة لبودين الذي كتب قبل ذلك بأكثر من 180 عامًا، (**ستة كتب عن الكومنولث، 1576**)، فأدان العبودية بعبارات أقسى بكثير من مونتسيكيو، أو أي شخص آخر في حقيقة الأمر، قبل الكويكرز الذين أرادوا إلغاء العبودية منتصف القرن الثامن عشر. علاوة على ذلك، جادل بودين بقوة في أن وجود العبودية يضعف سلطة الملك. لقد كان بالتأكيد أكثر اتساقًا من لوك وأنا شخصيًا على استعداد لمنحه فخر الصدارة بين الفلاسفة المعاصرين الأوائل."

نعم، حسنًا، يمكن للمجادلين الفائقين أن يجادلوا أيضًا لصالح أشياء غير أخلاقية تمامًا.

قالت، صحيح، لكن إذا كان لديك كل هؤلاء المجادلين الخارقين الذين يهاجمون حجج بعضهم الآخر بهذه الطريقة الاحترافية، فسيكونون قادرين في النهاية على إيجاد الأخطاء. هذا ما تدرب هؤلاء الناس على فعله. عليك فقط إطلاقهم على بعضهم.

إذًا لماذا استغرقوا كل هذا الوقت حتى يكتشفوا أن العبودية خطأ؟ إذا كانوا هم من اكتشفوا ذلك. لأنني، بصراحة، أعتقد أن العبيد أنفسهم ربما كانت لديهم بعض الحجج الجيدة حول سبب كون العبودية خاطئة. من الخطأ إزالة العبيد من الصورة هنا. لم تكن المسألة أن المجادلين يتجادلون فيما بينهم فقط.

نعم، لكن العبيد لم يكونوا ليتمكنوا من فعل ذلك بمفردهم. كنتِ بحاجة إلى المجادلين ليقولوا إن ما يقوله العبيد يستحق حتى أن يُسمع. كان هذا كله جزء من الجدل.

لكنكِ لم تجيبي على سؤالي. لماذا استغرق الأمر وقتًا طويلًا، إذا كانت تلك الحجج بتلك الجودة؟

ربما تتحسن الحجج بمرور الوقت. ربما يكون هناك تردد في البداية، فيهاجم الناس الحجج ويهاجم آخرون المهاجمين، فتتحسن الحجج خلال هذه العملية حتى تنجح في النهاية ولا يستطيع أحد إنكارها. ربما يتعين على المجادلين أن يجادلوا أنفسهم لقبول حججهم الخاصة.

قلت، إن الحجج لا تغير شيئًا. لا شيء يتغير حتى تتغير المشاعر.

لكن المشاعر لا تتغير حتى يحدث شيء قوي لتغييرها، إنها مثل والدة المؤلفة. كان مناسبًا لها ألا ترى ما كان يحدث لأطفالها، وكانت مشاعرها كلها تعمل من أجل ألا ترى.

إذًا كيف تعرفين أننا لسنا مثل تلك الأم؟ سألتها.

عم تتحدثين؟ قالت شيرِل.

حسنًا، إذا كان بإمكاننا النظر إلى الوراء والقول عن أشخاص آخرين في الماضي، أنهم كانوا مثل تلك الأم التي تخدع نفسها، فكيف نعرف أننا لا نختلف عنها بشأن كل أنواع الأشياء التي نشعر بالرضا التام عنها الآن لأن من مصلحتنا أن نشعر بالرضا التام عنها؟ ما الذي يجعلنا مختلفين عن الناس في الماضي؟

قالت شيرِل، انتظري دقيقة. أتعرفين، يا روندا؟ هذا سؤال جيد. أنا لا أعرف ماذا أقول.

جلست هناك وهي تنقر بأطراف أصابعها، فكانت تقرع بصوت عالٍ في ذلك المكان الصامت. لاحظت أن نادلنا السريع كان ينظر صوبنا متسائلًا ماذا يجري الآن.

حسنًا، يا روندا، قالت شيرِل أخيرًا، لقد أوصلتني مباشرة إلى النقطة التي لم أرغب في الوصول إليها.

وأين ذلك؟ سألتها.

ما قلته للتو، أن الآخرين سينظرون إلى الماضي، إلينا، ويسألون كيف أمكننا فعل الأشياء التي لن يفكروا في القيام بها، هذا ببساطة فظيع.

فظيع لماذا؟ سألتها.

فظيع لماذا! ألا تعتقدين أنه أمر فظيع أن من لم يولدوا بعد سينظرون إلينا في الماضي ويتساءلون كيف لم نرَ؟

سيعرفون أشياء كثيرة لا نعرفها، ويستخدمون أنواع التكنولوجيا التي لا يمكننا حتى أن نحلم بها، ويرون أشياء لا يمكننا حتى تخيلها.

لا، يا روندا، أنت تقارنين بين التفاح والبرتقال، لن يدينونا لعدم امتلاكنا التكنولوجيا التي يمتلكون، الأشياء التي أتحدث عنها هي أشياء سيدينوننا بها لعدم

رؤيتها. سيقولون إننا كنا نبحث عن مصلحة ذواتنا لدرجة أننا لم نتمكن من رؤيتها، تمامًا مثل أم الأطفال المعتدى عليهم. ألا يدفعك هذا إلى الذهول؟

لا ليس في الواقع. إنه -نوعًا ما -تتوقعينه إذا كان أيًا مما قلتِه صحيحًا.

لا، ليس هذا ما تتوقعينه على الإطلاق! ما توقعته هو أنني تمكنت من تعليم فاليري وجيسون كيف ينبغي أن يعيشا حياتهما، وأنني اعتنيت بكل ذلك ذات عنايتي، حسنًا، بتقويم أسنانهما.

بتسليم أسنانهما للدكتور كولودني.

صحيح، أفضل أخصائي تقويم أسنان في منطقة خليج سان فرانسيسكو.

قلت: أصبح هذا مؤكدًا.

قالت: إن هذا تقريبًا الشيء الوحيد المؤكد. كانت لا تزال تنقر بأظافرها على الطاولة. لونها أرجواني غامق لون طلاء شفاهها.

الشيء المخيف التفكير فيه، واصلت بعد برهة، هو أن فاليري وجيسون، أو أطفالهما أو أحفادهما أو أبناء أحفادهما، سوف ينظرون إلينا يومًا ما ويتساءلون كيف لم نتمكن من رؤية مدى خطأ ذلك.

ذلك؟ ما ذلك؟ سألتها.

حسنًا، كيف أعرف بحق الجحيم؟ كانت قريبة من الانفجار. نحن من لا نراه حتى الآن! سيأتي شخص في المستقبل يسير في ملابس مجنونة ويقدم حجة ستبدو غريبة تمامًا من أفكار الأبراج العاجية، ثم تبدو منطقيةً شيئًا ما عند شخصين آخرين، ثم عند المزيد، حتى تبدو واضحة جدًا لدرجة أن الناس لن يحتاجوا إلى أي إقناع على الإطلاق، سوف يشعرون بها في نخاعهم.

لذلك أعتقد أن موضوع التعهيد الجماعي لن ينجح حقًا، إذا كنا جميعًا ننتظر شخصًا ما في ملابس مجنونة ليبين لنا خطأ طرقنا.

نعم، قالت، إيز ماركوس فاشل تمامًا.

قلت، يالسوء حظ ماركوس.

أوه، هو. حركت شيرِل معصمها في رفض، وأرسلت أساورها تصلصلًا، لا يبدو أنه منزعج جدًا من أي من هذا. تعامل مع الأمر بهدوء، تمامًا كما فعل عندما اكتشف أنه لن يكون ملكًا فيلسوفًا. أعتقد أنه في نهاية اليوم كنت أنا مستاءة أكثر بكثير. أعني تخيلي يا روندا. نحن في الممر، نسير إلى حدث أفلاطون في غوغل، ثم أتوقف عن السير، فقط أقف هناك ثابتة مثل حجر، ويتوقف الجميع معي، المجموعة بأكملها، أفلاطون وماركوس وجميع موظفي غوغل الذين تبعونا. شيء غريب فحسب. أقف هناك على ممشى في وسط غوغلبلكس، متأخرة عن حدث مع مؤلف يرتدي توجا، وأتحدث عن محرك بحث أخلاقي مجنون غير موجود حتى ولكنه مجرد وهم مهندس برمجيات مجدل الشعر رفض للتو منصب الملك الفيلسوف غير الموجود، وأشعر بالضيق حقًا لأن إيز لا يمكنه أن يقدم لنا الإجابات التي من المفترض أن نحصل عليها. وكل ذلك بسبب أفلاطون، وحديثه عن أن الأسنان السيئة مثل الحياة السيئة وكيف ينبغي أن نجد الدكتور كولودني الذي يمكنه تقويمنا. أعني، لا يمكنني تفسير ذلك يا روندا، التأثير الكامل الذي أحدثه عليّ. كنت واقفة هناك، كما لو أن أمامنا كل الوقت الذي نريد، وهو ما لا نملكه بالتأكيد. أعني، هذا وأنا المرافقة الإعلامية!

ماذا فعل أفلاطون؟ سألتها.

أوه، كان سعيدًا تمامًا لمجرد الوقوف بجواري، منتظرًا. قال إنني أسير كحرة وليس كأمة.[133]

---

(133) "حسنًا، انظروا إلى الرجل الذي يتجول في المحاكم ومثل هذه الأماكن منذ أن كان صبيًا؛ وقارنوه بالرجل الذي نشأ في الفلسفة في حياة الطلب. إنها بالتأكيد مثل مقارنة نشأة العبد بنشأة الرجل الحر. لأن الرجل الحر لديه دائمًا ما ذكرته للتو - الكثير من الوقت. عندما يتحدث يتحدث بسلام وهدوء ووقته ملكه. الأمر كذلك معنا الآن: ها نحن نبدأ مناقشتنا الثالثة الجديدة؛ ويمكنه أن يفعل الشيء نفسه، إذا كان مثلنا، نسعد بالمناقشة الجديدة أكثر من القديمة بين أيدينا. ولا يهم عند هؤلاء الرجال إن تكلموا ليوم أو سنة، طالما يبحثون عن الحقيقة. لكن الآخر - رجل المحاكم - يكون دائمًا في عجلة من أمره عندما يتكلم؛ يتكلم وعينه على الساعة" (ثياتيتوس 172d-e).

قلت: مرة أخرى موضوع العبيد، إنه هاجس دائم معه. ذلك والأسنان المعوجة. هل لديك أية فكرة عن أي شيء كان يتحدث؟

حسنًا، في الحقيقة نعم، لأنني سألته. قال: العبد لا يملك وقته أو وقتها الخاص، ولذا يمكن دائمًا تمييزه أو تمييزها في الشارع من خلال تسرعه أو تسرعها، ولكن يمكن لأي شخص حر أن يمشي ويتحدث كيفما يحلو له، ويتوقف عندما يريد أو تريد.

قلت: عليك أن تعترفي له بالفضل، لتذكره الاستمرار في قول «وقته ووقتها» و«هو وهي» إلى حد أن أصبح الأمر غريبًا جدًا.

والأكثر حرية هو الفيلسوف، واصلت شيرِل، تقتبس من أفلاطون ولم تنتبه إلي، الذي لا يفكر كثيرًا في التدفق المستمر للوقت فيصبح خارجًا عنه. هذا هو السبب في أن الفيلسوف غالبًا ما يبدو سخيفًا في الشؤون العملية للحياة، لأنه أو لأنها خرجت من زحف الزمن (ثياتيتوس 172b173-c). ثم قال لي بأجمل طريقة: شيرِل، أعتقد أن هذا ما حدث لك. أليس هذا أجمل ما يمكن أن يقوله لي؟ كما أنه استخدم اسمي لمخاطبتي مباشرة. كانت تلك المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك.

لم أفهم سبب انبهار شيرِل بذلك، لكن ربما كان عليك أن تكون هناك.

قلت، بالتأكيد كان لهذا المؤلف تأثير عليك.

قالت ليس لديك أدنى فكرة.

أنت متأكدة أنك لست معجبة قليلًا به؟ سألتها.

قالت، لا تكوني سخيفة، يا روندا، إنه كبير بما يكفي ليكون... حسنًا، لا أعرف حتى ماذا يجعله سنه بالنسبة لي.

يجب عليهم وضع تلك الحيلة المتمثلة في الخروج من تدفق الوقت في زجاجات وبيعها في متجر بلوميز لمستحضرات التجميل، مازحتها، لكنها كانت مشتتة للغاية فلم ترد.

تابعت، على أية حال، عندما ذكر كلمة «وقت»، ويبدو أنه يخبرني أن الخروج عن الوقت أمر جيد، فإن الكلمة نفسها كانت بمثابة منبه يرن في ذهني، فدفعت المجموعة للتحرك مرة أخرى وأخيرًا سلمته إلى القاعة، والتي، بالمناسبة، كانت مزدحمة للغاية. وأعني **للغاية**. لقد وضعوه في أكبر قاعة لديهم، ولم تبق إلا أماكن للوقوف فقط، وهو شيء مرضٍ، على الأقل بالنسبة لي. لا أعتقد أن أفلاطون قد أولى الأمر تفكيرًا. كان موظفو غوغل متحمسين تقريبًا كما كانوا عندما تحدث إليهم كاتب الفانتازيا جورج آر. آر. مارتن. طبعوا قمصانًا كانوا يرتدونها جميعًا عليها أحرف يونانية ويظهر عليها رجلين يرتديان توجات، أحدهما يشير بإصبعه إلى الأعلى والآخر يشير بإصبعه لأسفل. لا أعرف ما إذا كان يُفترض أن يكون أحدهما أفلاطون أم ماذا. لم يكن أي منهما يشبهه ولو قليلًا. على أية حال، كانوا جميعًا يرتدون هذه القمصان، ويبتسمون مثل مجموعة من المعاتيه، لذلك كنت آمل أن تكون قد وصلت لأفلاطون أخيرًا فكرة أن هذا ليس بالتأكيد المكان المناسب للبحث عن ملك فيلسوف. خلع ماركوس قميص فرقة جريتفل ديد الضخم ليكشف أنه كان يرتدي القميص اليوناني طوال الوقت، بابتسامة كشفت المدى الكامل للعمل الذي ينتظر الدكتور كولودني. مباشرة قبل أن يحاصروا جميعًا مؤلفي ويأخذوه بعيدًا عني، سألته كيف يفترض بنا أن نحصل على إجاباتنا إذا لم يتمكن إيز من إعطائنا إياها.

هل أجاب عليك؟ كان عليّ أن أسألها أخيرًا بعد انتظار طويل، مصحوب بنقر أظافرها.

قالت: ليس بالضبط. لست متأكدة من وجود إجابات في حقيبة حيله. يبدو مهتمًا أكثر بالتلاعب بعقلك بحيث لا تستطيعين التوقف عن التفكير في أسئلته. وإذا كان يعتقد أنني قادر على الاستمرار في الخروج من الوقت على ذلك النحو، في ظل جدول أعمالي، إذًا، حسنًا، لقد أخطأ جدًا.

قلت: ربما لهذا السبب يحتاج العبيد. العبد من شأنه أن يساعدك إذا كنت ستبقين خارج الوقت طوال الوقت. أنا أمزح، يا شيرل، سارعت إلى القول، بعد النظرة التي

وجهتها لي.

هذا ما قاله لي، قالت أخيرا. قال: أنا لا أقول إن أسئلتك لا يمكن الإجابة عليها يا شيرِل. أقول فقط أنه لا يمكن الإجابة عليها بسهولة.[134]

كان صوتها هادئًا جدًا عندما قالت الكلمات الأخيرة لدرجة أن الصمت الطويل بدا مجرد امتداد طبيعي له.

سألتها أخيرًا: هل كان يقصد «إيز EASE» بحروف كبيرة، أم «إيز ease» بحروف صغيرة؟

قالت: لست متأكدة. بعد التفكير في كل شيء، لست متأكدة.

كانت هناك نظرة غريبة تعلو وجه صديقتي. لم أتمكن من تفسيرها على الإطلاق. ربما كانت نظرتها اللازمنية، أو أنها كانت سكرانة.

---

(134) سهولة = ease. (المترجم)

γ (جاما)

في ظلال الأكروبوليس

أنجبني هيبولوخس. وأُعلن أنني من صلبه، وقد أرسلني إلى طروادة بتعليمات صارمة: أن تفوق الجميع (αἰὲν ἀριστεύειν)، أن تقاتل أفضل من الجميع، وأن تجلب المجد لأسلافك، الذين كانوا أعظم الرجال.... هؤلاء هم أسلافي؛ الدم الذي أفخر أن أرثه.

- الإلياذة 6.208

كان سقراط جزءًا من المشهد الحضري، لو كان في أثينا القديمة موقع YELP كان سيضعه تحت فئة مسرح الشارع. كان يؤدي يوميًا دون أن يحصل على أي مقابل (الدفاع 33a-b)، منتظم الحضور إلى «الأجورا»، التي كانت مركز المدينة، موقع الحياة التجارية والسياسية والثقافية، المزدحمة بمزيج من سكان المدينة - العديد من عبيدها، وسكانها الأجانب من غير المواطنين، والعمال الأجانب، والمواطنين الذكور، من الأرستقراطيين والرعاع thētes الذين كانوا عمالًا عاديين[135]، ونساءها الأحرار، على الرغم من هؤلاء كن في الغالب في منازلهن وبعيدًا عن الأنظار، خاصة إذا كن عاليات النسب. كانت الأجورا ممتدة تحت البروز الصخري شديد الانحدار لقلعة الأكروبوليس الذي كانت تقف عليه معالم المجد الإمبريالي الأثيني المكتسب حديثًا، بما في ذلك المعلم الأهم، البارثينون. شُيد البارثينون من الرخام البنديلي

(135) أحد أحجار الزاوية في الديمقراطية الأثينية هو إلغاء الملكية كمؤهل للحصول على الجنسية. كانت هناك بعض تصنيفات الملكية في دستور سولون الأصلي، لكن سُمح بتجاهلها فيما يتعلق بحقوق المواطنة. انظر الصفحات من 151 إلى 152 أدناه لمعرفة ما حل محل الملكية كمحدد للجنسية الأثينية.

الأبيض الذي يشع ضوءًا ذهبيًا عندما تسقط عليه شمس الأصيل.

ارتفعت الروعة المعمارية، مثل العنقاء، من أنقاض المقدسات القديمة في الأكروبوليس التي خلفها الفرس الغزاة في عام 480 قبل الميلاد. أثناء الغزو الفارسي الثاني، الذي جلب خشايارشا العظيم بذاته إلى اليونان لإتمام العمل الذي تركه والده داريوس، الذي توفي أثناء تجهيزه للحرب التالية، تخلى الأثينيون استراتيجيًا عن مدينتهم ولجأوا إلى جزيرة سلاميس القريبة.[136] في معركة سلاميس، هَزمت قواتهم البحرية، التي أقنعهم رجل الدولة والجنرال ثيمستوكليس[137] باستثمار أموالهم فيها، قوات الغزاة الهائلة. شاهد خشايارشا، الذي جلس على عرشه المغطى بالذهب والذي أقامه على الشاطئ لرؤية انتصاره المتوقع، الجزء الأكبر من أسطوله البحري يغرق في المضائق الضيقة، حيث تمكن اليونانيون، بالمهارة والمكر، من تطويق قواربه الأثقل. عاد خشايارشا إلى بلاد فارس، تاركًا وراءه قوة كبيرة لإكمال غزو الإغريق. جاءت الهزيمة النهائية للفرس بعد فترة وجيزة، في معركة بلاتيا عام 497.[138]

---

(136) كانت الولايات الأيونية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى، التي ابتلعتها الإمبراطورية الفارسية الضخمة، هي التي عجلت بالحرب. عندما تمردت الولايات الأيونية، جاءت أثينا لإنقاذها، فقرر داريوس تلقين جميع اليونانيين درسًا. جاء هجومه الأول في عام 490 قبل الميلاد وهُزم. كان خشايارشا، الذي وصلت إمبراطوريته في ذلك الوقت من الهند في الشرق وحتى شمال إفريقيا في الجنوب، قد حشد قوة هائلة الحجم، بهدف استخدام هزيمته لليونان كمدخل لأوروبا. قدّر هيرودوت، الذي كتب روايته عن الحروب الفارسية بعد قرابة خمسين عامًا، أن عدد الجنود الفارسيين بلغ أكثر من مليون، وأن العدد الكامل "للبرابرة"، بمن فيهم الذين أطعموا القوات وخدموها، كان يربو على الخمسة ملايين. يرى العلماء المعاصرون أن هذا تقدير مبالغ جدًا، ويقدرون أن القوة القتالية كانت ما بين 100000 و300000. لكن عدد الغزاة كان بلا شك مروعًا؛ وتقدير هيرودوت المبالغ هو مقياس لمدى ظن اليونانيين في أنفسهم أنهم استثنائيون لأنهم هزموا الفرس.

(137) نُفي ثيمستوكليس لاحقًا، وهو أحد ضمانات الديمقراطية الأثينية التي حاولوا من خلالها منع أي شخص من أن يصبح كبير النفوذ، فيؤثر على الجماهير ويحوز سلطة الطاغية. كان قرار النفي يُتخذ عن طريق التصويت - التصويت الأول على ما إذا كان سيكون نفي في عام معين، وإذا كانت النتيجة إيجابية، يكون التصويت التالي على من يجب نفيه. كان التصويت يجري باستخدام قطع فخارية مكسورة، أو أوستراكا. بعد عشر سنوات يمكن للمنفي العودة واستئناف حياته كما تركها. مع ذلك، لم يعد ثيمستوكليس أبدًا، ومن المفارقات أنه قضى آخر حياته في بلاد فارس.

(138) كسر الإغريقُ الفرس أيضًا في معركة ميكالي البحرية، قبالة الساحل الأيوني - تذكر المصادر التقليدية أنها وقعت في نفس يوم معركة بلاتيا، على الرغم من أن العلماء المعاصرين يشككون في تلك المعلومة الأخيرة. على أية حال، ربما جاء انتصار ميكالي بسرعة عقب نبأ الانتصار في بلاتيا.

بالطبع لم تهزم أثينا الفرس بمفردها. انضمت ولايات يونانية أخرى إلى الجهود الهيلينية، تقاسمت إسبرطة، التي كانت براعتها العسكرية على اليابسة غير مسبوقة، مع أثينا مجد طرد البرابرة من هيلاس[139]. لكن، في ختام الحروب الفارسية، لم تكن إسبرطة ترغب في السعي وراء أي طموحات تبقي المواطنين والجنود بعيدًا عن إسبرطة. كان أسلوب حياتها، المكرس حصريًا للقيم العسكرية، مدعومًا بعدد كبير من السكان الهيلوت[140] الذين قاموا بجميع الأعمال الزراعية وغيرها من الأعمال المطلوبة لتسيير الحياة وكانوا دائمًا يمثلون خطر التمرد، مما جعل الإسبرطيين راغبين في البقاء في إسبرطة.[141] وهكذا أدت نزعتهم العسكرية المتشددة إلى عزلتهم.[142]

لم تكن أثينا انعزالية على الإطلاق. فقد حولت رفقاءها في الحلف الديلي، الذي تشكل لمنع الدول الأيونية من السقوط مرة أخرى تحت الطغيان الفارسي، إلى روافد تدفع لها الضرائب. وتدفقت المزيد من الثروة من مناجم الفضة الغنية المكتشفة في لوريوم القريبة. كان ينقب في هذه المناجم عدد كبير من العبيد – وفقًا للعلماء، ما يربو على عشرين ألفًا، معظمهم من أسرى الحرب. «كان متوسط بقاء العبد حيًا في مناجم الفضة الأثينية أقل من عام. تدخل المنجم فلا تقف مرة أخرى؛ تعيش بقية حياتك رابضًا، ثم لا تلبث أن تموت.» كما وصف الفيلسوف ألكسندر نيهاماس هذا الوجه الآخر للعظمة الأثينية في لقاء، ثم قال تلخيصًا: «نحن لا نحترم اليونانيين بسبب

(139) بلاد اليونان. (المترجم)

(140) مجتمع العبيد في إسبرطة. (المترجم)

(141) كانت الإساءة إلى الهيلوت بمثابة الطقوس. على سبيل المثال، في كل خريف، خلال طقوس بلوغ سن الرشد للشباب الإسبرطيين وتعرف باسم كريبتيا (كلمة تعني السر، ومنها جاءت كلمة سري "cryptic")، كان الهيلوت يطاردون ويذبحون دون عقاب. كانوا من لاكونيا المهزومة، يقال تقليديًا أنهم كانوا من سكان ميسينيا القريبة، وبالتالي هيلينيون أيضًا. لكن، كما هو الحال مع كل ما يتعلق بأصل الإغريق القدماء، هناك عالم من الآراء المتناقضة.

(142) كانت إسبرطة، بطريقتها الخاصة، عازمة على تحقيق ما هو استثنائي مثل أثينا، لكن مفهومها عن الاستثنائي كان جماعيًا صارمًا وليس فرديًا. هذا الجانب الجماعي لمفهوم سبارتا عن الفضيلة حصل على احترام أفلاطون. وأزعم أنه كان هناك صراع داخل أفلاطون بين الفردية الأثينية والجماعية الإسبرطية. سيظهر هذا الصراع في الفصل دلتا، بتحريض من المتحدثين صوفي زي وميتزي مونيتز.

أخلاقهم.»[143]

لكن لم يكن المقصود أن تفكر في البؤس الخافي والاستغلال عديم الرحمة وأنت تنظر للبارثينون تام التناسق، الضخم جدًا والذي يبدو كذلك كما لو أنه يطفو في شكل مثالي من المادية. ما كان من المفترض أن تفكر فيه هو الإمكانات رفيعة المجد للإنجازات البشرية. كان المقصود أن تفكر في آريت **aretē** أكثر مذاهب التفوق البشري وعورة، النوع الذي يثير دهشة الرجال ويضع اسمك على كل الشفاه. كان المقصود أن تشعر بذلك هنا، في هذه المدينة الأكثر استثنائية من بين جميع دول المدن، من بين أكثر شعوب العالم تميزًا، المتحدثين باليونانية بين البرابرة، حيث روح الاستثنائي تتجلى كما لا تتجلى في أي مكان آخر على الارض. يمكن تلخيص الروح التي قامت عليها المساعي والإنجازات الاستثنائية بإيجاز – وقسوة – على أنها وجهة نظر مفادها أن الحياة غير الاستثنائية لا تستحق أن نحياها. الحياة العادية ليست بأهمية الحياة غير العادية. وإذا كان هذا صحيحًا، فإن النتيجة وبقوة الدليل الهندسي هي أنه لا يمكن لشعب أن يعيش حياة أكثر أهمية من حياة المواطنين الذين عاشوا في ظلال الأكروبوليس.

تعني الكلمة اليونانية ethos «العادة» أو «التقليد» وهناك نوع من التناقض في المطالبة بأن يصبح الاستثنائي شيئًا مألوفًا. ومع ذلك، كانت هذه الرغبة قوة نشطة في أثينا التي مارست حياتها أمام الأكروبوليس. كانت جانبًا مميزًا للثقافة المعيارية – ثقافة القيم – ليس فقط في أثينا ولكن أيضًا عند الشعوب الناطقة باليونانية في المدن الأخرى، كونها ضمنية في أعمال هوميروس التي كانت جزءًا لا يتجزأ من الثقافة الهيلينية الشاملة (رغم التنافس بين مفاهيم الاستثنائية الجماعية مقابل التميز الفردي، الأول الذي ارتبط أكثر بإسبرطة، والآخر بأثينا). مثلت تلك الرغبة السياق للعبارة الشهيرة التي قالها أفلاطون على لسان سقراط في **الدفاع**، أن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تُعاش. هذه العبارة، التي جعل أفلاطون سقراط يتكلم بها بعد أن صوّت

(143) Bomb Magazine 65 (Fall 1998): 36–41.

الأثينيون باتهامه بتحدي قواعد مدينتهم، تمثل مراجعة جذرية لروح الاستثنائي. يحل «التساؤل» محل «الاستثنائي». يكفي نوع واحد من غير العادي. لم يكن من الممكن أن تصمم تلك المراجعة بشكل أفضل لزعزعة وإغضاب مواطنيه. وأنت تذكر أن المحاكمة لم تنته نهاية سعيدة بالنسبة لسقراط. لكن المراجعة ليست جذرية بحيث تنفصم تمامًا عن روح الاستثنائي. وهذا ما جعلها مقلقة بشكل لا يطاق عند معاصريه، خاصة في الظروف التي وجدوا أنفسهم فيها عام 399. سنستكشف هذا بمزيد من التفصيل في الفصل زيتا 7. في الوقت الحالي، أريد فقط أن أؤكد أن سقراط أفلاطون كان يونانيًا جدًا عندما أصدر حكمه القاسي فيما يتعلق بالحياة التي لا تستحق أن نحياها. يميل بعض المثقفين إلى تقديس العبارة، ولكن عندما نفحصها، يتبين أنها، مثل العديد من الافتراضات المقدسة، شنيعة للغاية.

كانت «روح الاستثنائي» قيد الإعداد قبل وقت طويل من ظهور سقراط على الساحة ليثير الجدل. تعود بداياتها الغامضة إلى عصر هوميروس. يمنحها شاعر الإلياذة صوتًا خاصة في شخصية الفتى النكد المستغرق في ذاته الذي يقضي الجزء الأكبر من الملحمة عابسًا في خيمته. وهو، بالطبع، أخيل، الابن الذي أنجبه أب بشري وأم خالدة.

يعتبر أخيل أعظم بطل أسطوري تاريخي يوناني حتى العصر الكلاسيكي الذي كتب فيه أفلاطون. جعل أفلاطون سقراط يشرح اختياره بمقارنته باختيار أخيل عندما كان يحاكم على تهمة قد تفقده حياته (**الدفاع** 28c–d). وما هذا الاختيار؟ يذكر هوميروس أنه الاختيار بين حياة قصيرة لكنها استثنائية أو حياة طويلة عادية. في الكتاب التاسع من **الإلياذة** يقول أخيل، «أخبرتني أمي، الإلهة الخالدة ثيتيس ذات القدمين اللامعين، أن مصيرين يتنازعانني حتى يوم مماتي. إذا صمدت هنا وفرضت حصارًا على طروادة، فلن أعود أبدًا إلى وطني، لكن مجدي (كليوس) لن يموت أبدًا. وإذا عدت إلى وطني الأم الذي أحبه، فإن فخري، مجدي (كليوس)، سوف

يموت.»[144]

هنا، في اختيار أخيل، تتجلى نسخة روح الاستثنائي السابقة لسقراط بأوضح الكلمات. أخيل هو أعظم الأبطال، «أفضل الآخيين»، ليس فقط بسبب سرعته الجسدية وبراعته في الحرب وجماله الإلهي، ونسبه المختلط ميتافيزيقيًا، على الرغم من أن كل هذه الخصائص تجعله استثنائيًا. هذه السمات، على الرغم من أنها ضرورية لأية شخصية يعدها اليونانيون الأعظم من بين الأبطال الأسطوريين، ليست كافية. الشيء الذي تتضمنه سيرته الذاتية والذي يضعه فوق الجميع هو الخيار الذي اتخذه: الحياة القصيرة ولكن الاستثنائية. والدليل على حياته الاستثنائية بامتياز هو ذات العمل الذي كُرس له، الإلياذة، التي تسمى أيضًا أغنية (كليوس) أخيل.

تعني كليوس «المجد» أو «الشهرة» وتعني أيضًا «الأغنية التي تكفل ذلك المجد أو الشهرة.» الاسم مشابه للفعل الهومري kluō، ويعني «أنا أسمع.» تُترجم كليوس أحيانًا إلى «الشهرة السماعية» - الشهرة التي تحصل عليها من حديث الناس عن مآثرك. وتشبه إلى حد ما أن يكون لك عدد كبير من المتابعين على تويتر. في النسخة الهومرية من روح الاستثنائي - النسخة السابقة لنسخة سقراط / أفلاطون من روح الاستثنائي – الحياة الجديرة بالعيش هي الحياة الجديرة بكليوس، الحياة الجديرة بأن تخلدها الأغاني. أن تذكرك الأغاني، أن يتحدث الناس عن حياتك، وقصتك حية في رؤوس الآخرين، هو ما يمنح حياتك معنىً أكبر. يكاد يكون الأمر كما لو أنك، عندما تصبح حاضرًا بقوة في أفكار الآخرين، فإنك تعيش في نفس الوقت في صورتهم العقلية عنك، فتكتسب حيوات أخرى تضاف إلى حياتك الضئيلة.

---

(144) على عكس هوميروس، لا يقيس سقراط أفلاطون الفرق بين العادي وغير العادي من حيث المجد kleos، أي إشادة الآخرين. بل، بالنسبة له، يقاس الاختلاف بين العادي وغير العادي بالمقاييس الأخلاقية (الدفاع 28b–c). هذا التغير في مقياس الاستثنائي هو جوهر انحراف سقراط وأفلاطون عن الأعراف الأثينية. وكما لوحظ، يجادل مايلز بورنييت، من بين آخرين، بأن سقراط كان مذنبًا بالجريمة التي اتهمه بها الأثينيون - أي رفضه لقيمهم لصالح قيم جديدة. ويمكننا أن نرى هنا، أنه في كل من اعتناقه اختيار أخيل للاستثنائي ورفضه تفسير هوميروس لما يعد استثنائيًا، يكمن بالضبط انحراف سقراط عن الأعراف الأثينية.

في النهاية، ها هو المأزق، وهو لا يزال صادقًا في وضعنا الآن كما كان عند أولئك الذين تحلقوا حول الشعراء القدامى ليسمعوهم. إن حياتك البشرية ليست إلا ضآلة محيرة، تحدها من كلا نهايتيها أبدية الزمن الذي أُفرغ من وجودك.[145] كل ذلك الزمن الذي **لست كائنًا** فيه يبدو وكأنه يسحق وجودك الذي هو، بالمقارنة، لا شيء، حتى لو كان، على الأقل بالنسبة لك، كل شيء.

أحيانًا يؤخذ هذا الموقف بجدية كبيرة. ويحضرني جار كان لي، تخرج ليكون طبيب أطفال. في أحد الأيام، وقف على شرفة منزلي الأمامية وأخبرني بكم الألم الذي كان يشعر به عندما يفكر في كل الزمن الذي لن يكون موجودًا فيه، حتى اللحظة التي أدرك فيها - وكانت نبرته نبرة تجلي - أنه بعد ذلك الزمن الذي لن يكون فيه، لن **يكون** هناك زمن. أما مقاطعتي إياه للتأكيد على كلمة «لك» - وأنا أقول «لن يكون هناك زمن بالنسبة **إليك**» - فكان يقاومها بشكل متكرر وحازم. لا، مضى في التأكيد، ببساطة لن يكون هناك زمن بعدها، نقطة. وبما أنه كان طبيبًا ومرضاه أطفال صغار، كما كان أبًا مخلصًا أيضًا، تساءلت عما إذا كان قد فكر في عواقب الإبادة الهائلة التي كان يصر أنها ستخلفه. سألته ما إذا كانت الآثار الكونية لعدم وجوده تعود إلى الوراء في الزمن أيضًا: هل كان هناك زمن يسبقه؟ لا، أجابني. الزمن موجود فقط طالما هو موجود. كثيرًا ما أفكر في تلك المحادثة التي دارت في الشرفة الأمامية وأتساءل عما دار في ذهن جاري. فيم كان يفكر حقًا عندما ظل يردد تلك الكلمات، «لا مزيد من الزمن»؟ هل كان يقصدها حرفيًا كما كان يصر؟ كان ذلك قبل ثلاثين عامًا على الأقل، وما زلت أجد نفسي أتساءل ماذا كان يعتقد بالضبط. لكنني أعلم أن معاناته من تصور الزمن الذي لن يكون فيه لا بد أنها كانت شديدة جدًا لجعله يفكر بهذا

(145) لم يكن المفهوم اليوناني عن الحياة الأخرة، بالشكل الذي كان عليه، مصممًا لمنحنا العزاء. يظهر أحد أكثر المشاهد قسوة في **الأوديسة** في النشيد الحادي عشر، عندما يلتقي أوديسيوس، وهو ينتقل في العالم السفلي، بأرواح مختلفة، ومن بينها أكبرها بطولة، أخيل. يستقبله أوديسيوس باحترام، "مبارك أنت في الحياة، مبارك في الموت". لكن أخيل سرعان ما يرد أوديسيوس عن هذا الوهم الفاني، قائلًا للرجل الحي إنه يفضل أن يكون عبدًا لأسوأ السادة على أن يكون ملكًا على كل الأموات. المغزى الذي يجب الخروج به هو أنه مهما كان العزاء عن محدوديتنا البشرية، يجب أن نبحث عنه في حياتنا الدنيا.

الجدية ثم يصل إلى استنتاج بعيد جدًا ولا يقبل أي اعتراضات محتملة ضده.

ربما كان جاري غير عادي في الاستنتاجات التي خلص إليها بهدف التخفيف من قلقه؛ لكنه لم يكن غير عادي في قلقه. من مثل هذه الضربات الوجودية وُلد الاختمار المعياري العظيم في العالم القديم، ليس فقط في اليونان ولكن في أرجاء واسعة من العالم. في **الطريق إلى الحكمة**، يصف الفيلسوف كارل جاسبرز التصورات الاستثنائية التي يبدو أنها سيطرت على العالم القديم قرابة أعوام 800 إلى 200 قبل الميلاد. أنتجت هذه الفترة الزمنية وجهات نظر معيارية بديلة، روحية وعلمانية، تقدم حلولًا ممكنة لنوع الأسئلة الذي أرّق روح جاري. لا تزال العديد من هذه الرؤى باقية سليمة إلى يومنا هذا، تقف مستعدة لاحتواء وتشكيل ارتباكنا حتى لا يضطر معظم الناس، على عكس جاري، إلى التفكير في الأمر كله من البداية بأنفسهم.

كان المتكلمون باليونانية جزءًا من هذا الهياج المعياري. تُذكر إسهاماتهم دائمًا بذكر مفكريهم العظماء - فيثاغورس وأفلاطون، وإسخيلوس وأرسطو - ولكن هذا لا ينصف الروح ما قبل الفلسفية التي بزغت منها الأسماء العظيمة والتي وجهت السلالة العلمانية للتفكير المعياري اليوناني. لم يكن الفلاسفة والتراجيديون الذين يمكننا الآن تذكر أسمائهم هم فقط الذين واجهوا سؤال ما الذي يمكن فعله لتعظيم تلك الشظية الرفيعة التي تمثلها حياة المرء الضئيلة - حياتك! - وسط كل الزمن الذي لن يعرف من أنت كيف أحببت وكرهت ونجحت وفشلت وخفت وتُقت وانتصرت وخسرت. كان القلق بشأن القيام بشيء ما لإنقاذ نفسك من الفناء أمام كل ذلك الكم الهائل من الزمن غير المدرِك وغير المكترث محسوسًا قبل وقت طويل من مجيء سقراط وأفلاطون لتحدي الروح التي تشكلت حوله. ما الذي يمكن أن يفعله الناس لمواجهة إغراق الزمن لحقيقة أنهم وُجدوا ذات يوم؟ أجابت روح الاستثنائي بأن كل ما يمكن لأي أحد القيام به هو توسيع تلك الحياة بالوسائل الوحيدة المتوفرة لدينا، النضال لجعلها شيئًا يستحق الذكر، شيئًا ذا تأثير على عقول الآخرين، لذلك، عندما تتكرر هناك، سوف تكتسب مزيدًا من **كليوس**. عش حياة تجعل الآخرين يسمعون ذكرك. شيء تافه، إلا إنها الطريقة الوحيدة التي نملكها

لتتغلب بها على الزمن غير المكترث.[146]

لا بد أن ثقافة إعجابات الفيس بوك ومتابعات تويتر تجعلنا في وضع مناسب للتعاطف مع الإصرار على الجانب الاجتماعي من قيمة الحياة. ربما يكون اتجاهًا طبيعيًا تنجرف إليه الثقافة، بمجرد أن تفقد الإجابات الدينية قبضتها. عاش الإغريق القدماء قبل أن يسيطر التوحيد كحل على الثقافة الغربية، ونحن - أو الكثرة الكاثرة منا - نعيش بعده. يتمثل الاختلاف الرئيسي بين ثقافتينا في أنه بالنسبة لليونانيين القدماء، الذين افتقروا إلى وسائل التواصل الاجتماعي، فإن الطريقة الوحيدة لتحقيق مثل هذه المضاعفة الجماعية لتفاصيل حياة المرء في إدراك الآخرين هي القيام بشيء عجيب يستحق أن يُذكر. ربما تستطيع تقنياتنا المدهشة أن توفر علينا كل تلك المعاناة الشخصية. قد تكون **كليوس** على بعد تغريدة واحدة.

لم يكن المتكلمون باليونانية فريدون في تفكيرهم الوجودي. في نفس الوقت تقريبًا الذي كانوا يطورون فيه مقاربتهم الخاصة لمشكلة أهمية الإنسان، كانت هناك شعوب أخرى لديها مقاربات مميزة أخرى لنفس الاهتمامات الوجودية. على وجه الخصوص، وعبر البحر الأبيض المتوسط من أثينا القديمة، كانت هناك كوكبة من القبائل تضع أيضًا رؤية استمرت في الازدهار إلى يومنا هذا، في جميع التكرارات والاختلافات المتعددة التي قدمتها الديانات الإبراهيمية. كانوا يدعون أنفسهم

(146) أفلاطون يجعل سقراط، أي نفسه ينقل عن الكاهنة ديوتيما، تشرح الحب المهووس **لكليوس** بهذه المصطلحات الوجودية نفسها تقريبًا، وتربطها بالرغبة في هزيمة الموت: "بكل شكل هذا الحماس، هذا الحب، هو في سبيل السعي إلى الخلود... عندما تنظر، إذا نظرت، إلى ولع الناس بالشهرة، فقد تتفاجأ من عدم عقلانيتهم، إلا إذا كنت تضع في اعتبارك ما قلته وتتأمل في مدى تحفزهم الشديد بحب أن يصبحوا أسماءً مشهورة و 'يؤسسوا المجد الخالد في الزمن الأبدي'، وكيف أنهم مستعدون لمواجهة أي خطر من أجل ذلك - حتى أكثر مما يواجهوا من أجل أبنائهم، وتبديد أموالهم، وتحمل أي ألم، وحتى للموت. لذلك هل تعتقد... أن ألسيستس كانت ستضحي بحياتها من أجل أدميتوس، أو أن أخيل كان سيبحث عن الموت بعد وفاة باتروكلوس، أو أنك تعتقد أن كودروس قد سعى لأن يكون أول من يموت من أجل مملكة أبنائه، إلا إذا كانوا قد اعتقدوا أن ذكراهم الخالدة ستبقى حتى تصلنا الآن؟ هذا بعيد جدًا عن حقيقة الأمر. على العكس، أعتقد أن كل هؤلاء الأشخاص أقبلوا على تلك الأعمال الشهيرة من أجل الوصول للفضيلة الخالدة والسمعة المجيدة، وكلما كانوا أناسًا أفضل، فعلوا ذلك أكثر، لأنهم يحبون الخلود" (الندوة **208c–e**). لا يؤيد أفلاطون نفسه، كما تفعل ديوتيما، هذا السعي الحثيث وراء كليوس. في الواقع، هو يقدم الاقتباس السابق بقوله، "كسفسطائية مثالية، تقول..."

إيفريم، من الكلمة العبرية التي تعني «عبر»، مما يشير إلى موقعهم على الجانب الآخر من نهر الأردن. كان إحساسهم بالعزلة محوريًا في إحساسهم بأنفسهم، وقد أدى ذلك إلى بقائهم بعيدًا عن الأنظار لدرجة أنه حتى هيرودوت - الذي كان من أوائل علماء الإثنوغرافيا، وكان مفتونًا بالعديد من أنظمة المعتقدات المزدهرة في يومه - لم يقدم أي إشارة إلى معرفته بوجودهم. لكنهم هناك، طوروا ببطء نظرة للعالم حوّلت في النهاية أحد آلهتهم الإقليمية إلى يهوه الرائع الفريد، وهو تسامٍ يوفر أساسًا ميتافيزيقيًا لكل من الواقع المادي والأخلاقي، إرادته التي لا يرقى إليها الشك تؤسس القواعد التي يجب أن نعيش بها. يصف العبرانيون هذا الإله أحيانًا بأنه إله غيور، لكن على عكس الآلهة اليونانية، لا ينزل أبدًا إلى الغيرة من أتباعه، بل يغار فقط من «الآلهة الأخرى». إنه بعيدٌ جدًا عن المقارنات بينه وبين البشر حتى مجرد التفكير فيها. يشغل حيزًا من القداسة لا يستطيع الفكر البشري إدراكها، صفاء غير بشري غريب جدًا لدرجة أنه محفوف بالمخاطر المهلكة. إنه مختلف عنا إلى حد أن فكرة الصورة المجسمة هي إهانة لتفرده، حتى اسمه يحمل احتمالات مخيفة للبشر. سُنت القوانين لتنظيم من يمكنه نطق الاسم الحقيقي الواحد وتحت أي ظروف تفصيلية مرتبة مع اتخاذ الاحتياطات البالغة.[147] في الواقع، الطريقة الشائعة في اليهودية الأرثوذكسية للإشارة إليه هي ها-شيم، أي الاسم. ومع ذلك، من موقعه شديد السمو، فهو

---

(147) يعرف برباعي الحروف، بسبب الأحرف العبرية الأربعة التي يتكون منها، كان يُسمح بنطق الاسم، وفقًا للمشناه (مسختوت 9:5)، في التحية اليومية حتى عام 586 قبل الميلاد على الأقل، عندما دُمر الهيكل الأول. بمرور الوقت، سُمح بنطقها فقط لطائفة كوهانيم الكهنوتية، التي يُنظر إليها تقليديًا على أنها من نسل هارون، شقيق موسى وكاهن الكهنة الأول، وكانوا ينطقون به في مباركتهم العلنية للشعب. بعد وفاة رئيس الكهنة شمعون الصالح قرابة عام 300 قبل الميلاد (التلمود البابلي، رسالة يوما 39b) لم يلفظ الاسم إلا رئيس الكهنة في قدس الأقداس في يوم كيبور (مشناه ستح 6 :7؛ ميشناه تاميد 2 :7) عندها كان الحكماء يعلمون النطق الصحيح للاسم لتلاميذهم مرة واحدة فقط (يقول البعض مرتين) كل سبع سنوات (التلمود البابلي، رسالة كيدوشين 71a) أخيرًا، عند تدمير الهيكل الثاني في 70 م، لم يعد يُنطق الاسم على الإطلاق، لكن في يوم كيبور، عندما يستدعى قداس الهيكل، يكب المصلين وقائدهم في مجرد تذكر، لكن ليس التلفظ، بمنطوقه. نظرًا لحذف حروف العلة من الاسم رباعي الأحرف، يعتقد اليهود تقليديًا أن النطق الصحيح لم يعد معروفًا، وأن "يهوه"، على الأرجح، ليس النطق الصحيح. ومع ذلك، في المنزل الذي نشأت فيه، لم يُسمح لنا مطلقًا بالقول إنه كان هناك شاهد يهوه عند الباب، بل أشرنا إلى الزائر باعتباره شاهدًا، للاحتياط، كانت الشعور بالقوة التي تحملها الكلمة بداخلها رائعة جدًا.

منخرط في اهتمامات إنسانية ولديه نوايا موجهة إلينا، إبداعاته، التي لا تمثل أقل من أسباب تشجمه عناء خلق العالم من العدم. إنه يهتم لنا (تقريبًا) بقدر اهتمامنا له، وبالتالي يحسم بالنسبة للمؤمنين مسألة أهميتنا.

لذا كان هناك الإغريق (ما قبل الفلسفة)، الذين يفكرون في طرق منح حيواتهم الفانية الضعيفة طبقة صلبة من الأهمية، وكان هناك العبرانيون، الذين بحثوا مسألة مماثلة، لكنهم انتهوا إلى مقاربة مختلفة تمامًا. قدَّمَ العبرانيون إجابة متسامية في شكل إله؛ قدم الإغريق إجابة علمانية من حيث إمكانيات توسيع الحياة من منظور إنساني بحت؛ ثم دُمجت هذه الإجابة اليونانية ما قبل الفلسفية في الفلسفة العلمانية وصُقلت؛ تتأرجح الثقافة الغربية بشدة بين هاتين المقاربتين - العبرية واليونانية - منذ ذلك الحين.

ولم تكن شعوب البحر الأبيض المتوسط تلك هي الوحيدة التي أثارها ارتباك وجودي لا يختلف كثيرًا عن ارتباك جاري السابق. لم تكن تلك الفترة التي عاش فيها فقط الإغريق الذين خلقوا الفلسفة، والأنبياء الرئيسيين وغير الرئيسيين الذين استقروا على الضفة الأخرى من نهر الأردن، لكنها كانت أيضًا فترة كونفوشيوس ولاو تزو في الصين، وبوذا والجاينية، والأوبنشاد والبهاجافاد - جيتا في الهند، والزرادشتية في بلاد فارس. كان فيثاغورس وكونفوشيوس وبوذا معاصرين لبعضهم. يسمي جاسبرز هذه الفترة بالعصر المحوري (Aschenzeit) لأنه، كما يؤكد، كان العصر الذي يدور حوله كل الفكر الأخلاقي والديني منذ ذلك الحين. «العنصر الجديد في هذا العصر هو أن الإنسان في كل مكان أصبح مدركًا لوجوده ككل، بنفسه وحدوده، فقاسى رعب العالم وعجزه، وأثار تساؤلات جذرية، واقترب من الهاوية في سعيه للتحرر والخلاص، وفي إدراكه الواعي لحدوده وضع لنفسه أعلى الغايات. لقد عرف المطلق في عمق الأنانية وفي نقاء التسامي.»[148]

أود أن أصوغ وجهة نظر جاسبرز على هذا النحو: ما نشأ بوصفه شاغلًا رئيسيًا

(148) Karl Jaspers, The Way to Wisdom (New Haven: Yale University Press, 1954), p. 100.

خلال العصر المحوري، فحفز ظهور استجابات معيارية قوية، هو السؤال عما يجعل حياة الإنسان ذات أهمية - إذا كان لها، في الحقيقة، أهمية. واحتمالية انعدام الأهمية هي التي وفرت الطاقة النفسية التي أنتجت تلك الاستجابات كبيرة الاختلاف.

إليكم سؤالًا آخر مشحون نفسيًا: إن كانت ثمة أهمية، فهل هي موزعة تفاضليًا؟ هل للبعض منا قيمة ولا قيمة للبعض؟ هذا اقتراح مزعج. يمكنني أن أتقبل بشكل أفضل أنه لا أهمية لحياتي إذا كنت متأكدًا أنه في النهاية لا أهمية لحياة أحد أيضًا. لكن إذا كان هناك توزيع غير متكافئ للأهمية، فهل يولد أصحاب الأهمية بها أم أن الأهمية حالة يجب تحقيقها؟ وإذا كان علينا تحقيقها، فكيف ذلك؟

لا تزال هذه الشواغل شواغلنا، لذا فليس من المستغرب أن تكون وجهات النظر المعيارية التي نشأت كرد فعل لمثل هذه الشواغل لا تزال تتردد في نفوسنا. الأهمية هي حالة يجب أن نتمناها بإخلاص. ولا نكاد نعرف أننا كذلك، حتى نريد ما يجعلنا ذوي أهمية. في أحد كتبي السابقة، أطلقت على هذا اسم «إرادة الأهمية» واقترحت أيضًا شيئًا سميته «خريطة الأهمية» لشرح كيفية عمل إرادة الأهمية داخلنا.[149] ولقد سُررت برؤية فكرة خريطة الأهمية تُكيف للأغراض التفسيرية المختلفة - حتى أنها، من دواعي ابتهاجي، استخدمت في علم الاقتصاد السلوكي لشرح عدم ملاءمة نموذج الممثل العقلاني.[150] لكن في الوقت الحاضر، أنا مهتمة أكثر بإرادة الأهمية لأنها توضح كُلًا من استمرار الدين وظهور الفلسفة العلمانية في اليونان القديمة. وإذا أردنا فهم القوة المستمرة للأنظمة المعيارية التي ظهرت خلال العصر المحوري، فإرادة الأهمية على الأقل في نفس أهمية عن إرادة الاعتقاد.

---

(149) *The Mind-Body Problem* (1983; repr., New York: Penguin, 1993). Reissued in e-book form by plymptom.com.

(150) انظر على سبيل المثال:

G. Loewenstein and K. Moene, "On Mattering Maps," in Understanding Choice, Explaining Behavior: Essays in Honour of Ole-Jørgen Skog, ed. Jon Elster, Olav Gjelsvik, Aanund Hylland, and Karl Moene (Oslo, Norway: Oslo Academic Press, 2006) .Reprinted as "How Mattering Maps Aʃect Behavior," Harvard Business Review (September2009).

لماذا ظهر الانشغال بالأهمية في تلك الفترة بالضبط من التاريخ في مساحات شتى من العالم - من الصين والهند وبلاد فارس، إلى جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط، وحتى أوروبا؟ هذا سؤال يقع بعيدًا جدًا عن نطاق هذا الكتاب. كل ما أود التأكيد عليه هنا هو أن الروح اليونانية ما قبل الفلسفية، والتي نشأت منها عبقرية الفلسفة اليونانية والتراجيديا اليونانية، هي جزء من النشاط الوجودي الأوسع في العصر المحوري.

ومع ذلك، سأطرح بعض الأفكار الحديثة التي اقترحها علماء الاجتماع كفرضيات محتملة للنشاط المعياري في العصر المحوري. أول ما يلاحظه المرء هو أن جميع المناطق المتأثرة شهدت ظهور تشكيلات مجتمعية كبيرة، منظمة حول المراكز الحضرية. وفرت كل تلك الكيانات السياسية مستوىً من خفاء الهوية والمجهولية في حياة الإنسان، يختلف تمامًا عن الحياة القروية القبلية، حيث كل العلاقات لا بد أن تكون شخصية - تكاد تصل إلى سفاح القربى. في وجود علاقات إنسانية بهذا السُمك، ربما اختنقت التأملات الوجودية.[151] هل يمكن أن يكون التحول نحو كيانات سياسية أكبر دفعة في اتجاه ذلك النوع من الارتباك الوجودي الذي كنت محظوظة بما يكفي لأشهده في ذلك اليوم على شرفتي الأمامية؟

لكن كما أشار علماء الاجتماع أيضًا، فإن ظهور كيانات سياسية أكبر لا يمكن أن يقدم تفسيرًا كافيًا في حد ذاته، نظرًا لوجود مناطق شهدت مجتمعات كبيرة الحجم دون وجود هذه التطورات ذاتها، على سبيل المثال: مصر. أشار بعض علماء الاجتماع، وأبرزهم ديفيد جريبر، إلى أن الفترة الرئيسية من العصر المحوري لجاسبرز تتوافق

---

(151) يقول علماء الآثار إن الإيمان بالخوارق - أرواح الطبيعة الحية الموجودة في الحيوانات، والرياح، والأشجار، والأنهار، والشمس، والقمر - تمتد إلى ما لا يقل عن 30000 سنة إلى فترة إنسان كرو ماجنون، الذي فُسرت رسوماته الكهفية التي تحتاج منه الوصول إلى أماكن يصعب جدًا الوصول إليها على أنها تعبيرات عن معتقدات خارقة للطبيعة. وإلا فلماذا كل هذا العناء؟ لكنني هنا مهتمة بنوع مختلف تمامًا من الشواغل التي حفزت الاستجابات المعيارية في العصر المحوري. أناقش علاقة إرادة الأهمية بالدين بإسهاب في "النسوية والدين والمادة"،

Free Inquiry 34, no. 1 (December 2013–January 2014).

بالكامل تقريبًا مع الفترة والأماكن التي ظهر فيها سك العملات، أشرفت الحكومات على سك العملة واستخدمت الثروة في الغزوات العسكرية التي كثيرًا ما أدت إلى أسر عدد كبير من الناس الذين أُخذوا إلى السخرة – كثيرًا ما كانوا يذهبون لتعدين الخام الذي سيتحول إلى عملات معدنية. ودعا هذا «مُركب العبودية – العملة – العسكرية.» هنا أيضًا، كانت التغييرات في اتجاه المجهولية: «لفهم ما الذي تغير، علينا أن ننظر، مرة أخرى، إلى ذلك النوع المحدد من الأسواق التي ظهرت في بداية العصر المحوري: الأسواق الاشخصية، التي أنتجتها الحرب، حيث كان بالإمكان معاملة الجيران كما لو كانوا غرباء».(152) ربما (على الرغم من أن هذا ليس بالضبط استنتاج جريبر) أدى ظهور الأسواق والمال - الأمر الذي وفر مقياسًا لاشخصيًا للقيمة - إلى تكثيف المجهولية المتأصلة في ظهور الأنظمة السياسية الكبيرة، ومرة أخرى إلى إثارة أسئلة وجودية صعبة.

يأتي خط آخر للتفسير من البيانات التي تكشف أن جميع المناطق المتأثرة بالاختمار المعياري في العصر المحوري كانت على غير العادة تحصل على غذاء جيد:

تشير الدراسات إلى زيادة حادة في عملية أسر الطاقة (مقدار الطاقة التي يستخرجها الناس من البيئة) ظهرت في نفس الوقت في ثلاث مناطق متميزة من أوراسيا، النهرين الأصفر واليانغتسي، ووادي جانجا، والجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. في نهاية الألفية الأولى قبل الميلاد، وصلت هذه المناطق إلى مستوى إنتاج (25000 كيلو كالوري للفرد في اليوم) تجاوز إلى حد كبير مثيله في المجتمعات السابقة، والذي تراوح من 4000 كيلو كالوري في مجتمعات الصيد والرعي إلى 15000 كيلو كالوري في دول مثل مصر وأوروك.... يشير هذا إلى سيناريو مبدئي أتى فيه انتشار الأديان الأخلاقية بعد ارتفاع حاد في مستوى المعيشة في بعض مجتمعات أوراسيا.

ما العلاقة بين هذين التطورين؟ تشير الدراسات التجريبية حول تأثير التنمية

(152) David Graeber, *Debt: The First 5,000 Years* (Brooklyn, NY: Melville House, 2011), p. 238.

الاقتصادية على التفضيلات الفردية، في مجموعة متنوعة من السياقات الثقافية المختلفة، إلى أن الازدهار المادي يسمح للناس بتحرير أنفسهم من الاحتياجات المادية (الغذاء، والحماية، والانتماء).[153]

بعبارة أخرى، بمجرد تأمين المواد الأساسية التي تدعم الحياة، يمكنك البدء في التساؤل عما تعنيه الحياة. لكن بالطبع، يُفترض أن «أسر الطاقة» المرتفع هذا يحدث بالضبط في المناطق التي استوفي فيها شرط التمدن ومُركب العسكرية - العملة - العبودية، لذلك من الصعب تحديد العامل الأهم سببيًا.

لحسن الحظ، فإن إيجاد حل لكل هذا ليس مشكلتي. النقطة التي أود توضيحها هي ببساطة أن ما حدث في دول المدن اليونانية كان جزءًا من شيء أكبر، مواجهة مع معضلات وجودية تتضمن تجريدًا مُعيّنًا من الكدّ اليومي في الحياة، وقدرة على إبعاد نفسك بشكل كافٍ عن خضم حياتك من أجل أن تسأل ما إذا كانت إقامتك القصيرة هنا ترقى إلى أي شيء. لا تبدأ مثل هذه التأملات بالضرورة على مستوى من الثقافة الأخلاقية والروحية والتسامي. سيكون من المدهش إذا حدث ذلك. بل تبدأ على الأرجح بأسئلة مؤكدة في صيغة المتكلم ترافقها عاطفة مضطربة: هل **أنا** مهم؟ لقد عاش الكثيرون قبلي، دون أي ذكر لوجودهم على الإطلاق. لماذا لا أفترض أن ذات الشيء بالضبط سيحدث لي؟ لكن هذا سيجعل الموت - الذي هو فكرة مرعبة بالفعل - أسوأ بلا حدود. إن فناء الموت تام لدرجة تجعله يبدو كما لو أنه ينشر رعبه البارد في الحياة حتى ونحن نحياها. هذه أفكار مقلقة بشدة وبالتالي ظهرت لها ردود فعل قوية. الزرادشتية، والكونفوشيوسية، والطاوية، والبوذية، والجاينية، والعبرية التوحيدية: وكلها تمتعت (ولا تزال) بقبول واسع لأن هذا السؤال الشخصي جدًا كان يُطرح، ولا يزال يُطرح، من قبل أعداد كبيرة من الناس، ربما يطرحه كل صاحب بطن ممتلئ يملك الأمان النسبي والوقت للتفكير والتأمل.

تُدرج الفلسفة اليونانية دائمًا ضمن هذه الصيغ المعيارية العظيمة في العصر

(153) Nicolas Baumard and Pascal Boyer, "Explaining Moral Religions," *Trends in Cognitive Sciences* 17, no. 6 (2013): 172–180.

المحوري. لكن يجب أيضًا تضمين روح هوميروس اليونانية التي كانت مقدمة للفلسفة اليونانية. مثل المقاربات التي نسميها الآن دينية أو روحية، نشأت روح الاستثنائي من مواجهة قصر وزوال الحياة البشرية. وهي لا تفعل شيئًا لإنكار أو تخفيف هذه الظروف. العزاء الوحيد الذي تقدمه هو نفسه قصير وزائل. **كليوس**. الشيء الأكثر إثارة للدهشة هو وضوح **نقيض** التسامي فيها. إنها تقبل اللامبالاة العامة تجاه الكون، وما تقدمه من عزاء تقدمه بصيغة إنسانية بحتة: افعل شيئًا متميزًا لتستأهل مدح الآخرين، أصحاب الوجود القصير والزائل مثل وجودك. هذا أقصى ما يمكننا فعله لجعل حياتنا أكبر:

وشيئان فقط

عش أجمل لحظات الحياة: عندما تكون في زهرة الثروة

يكفي الرجل متعةَ النصر والشهرة.

اسعَ ألا تصبح زيوس.

يصبح كل شيء لك

إن كانت هاتين المنحتين

قد أصبحتا من نصيبك.

الأفكار الفانية

تصلح للرجل الفاني.[154]

هذا من إحدى قصائد بيندار، أعظم شعراء اليونان الغنائيين. ولد بيندار في القرن السادس قبل الميلاد، ويُنظر إلى قصائده على أنها تلقي الضوء على القيم التي شهدت الانتقال من العصر القديم إلى العصر الكلاسيكي. نُظمت القصائد الملحمية

---

(154) بندار، "إيشميان الخامس،" لفيلاكيدس الأجيني،

Pindar, "Isthmian V," for Phylakidas of Aigina, pankration, 478? B.C.E., lines 7–12, from *Pindar's Victory Songs*, trans. Frank J. Nisetich (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1980), p. 311.

epicinian لتكريم المنتصرين في الألعاب التي تجري في أنحاء العالم الهيليني - الإشمية، والنيانية، والبيثية، وبالطبع الأولمبية - وهي مليئة بالتعبيرات عن روح الاستثنائي. (كلمة «epinician» مشتقة من epi وتعني عند، وnikê وتعني النصر. لدي صديقة أمريكية من أصل يوناني أطلقت على ابنتها اسم «Nike» وغالبًا ما تُسأل عن سبب تسميتها لابنتها على اسم حذاء رياضي.) لم يترفع أعظم شاعر غنائي في زمانه عن إلقاء شعره الخالد عند أقدام رامي قرص لاهث أو مصارع عضلي البنية. لماذا يفعل ذلك، في حين أن الفوز بالمجد في تلك الألعاب كان استعراضًا لمكانتك البارزة؟ لم يكن يهم أن تحقيق الحياة الجديرة **بكليوس** يعرض تلك الحياة لأخطار أكثر من الحياة العادية:

الخطر الكبير

لا يدهم

الرجل الضعيف، لكن، إن كنا سنموت،

لماذا نُقرفص في الظل، نربت على شيخوخة باهتة

لا نُبل، لا شيء؟[155]

القصائد رائعة بأفكارها المظلمة وإشاراتها للموت التي تجدل نفسها باستمرار في أكاليل أمجاد:

لكنه الذي حقق نجاحًا جديدًا

يتنعم في الضوء،

يحلق من أمل إلى أمل.

أفعال قوته

تجعله يذرع الهواء،

(155) Pindar, "Olympian 1," for Hieron of Syracuse, race for single horse, 476 B.C.E., lines 81– 85, in *Pindar's Victory Songs*, trans. Frank J. Nisetich, p. 84.

بينما هو يتصور

خططًا أحلى عنده من المال

تزهر ببهجة الفانين

ثم تقع على الأرض،

تهزها مجرد التفاتة من الفكر.

مخلوقات يومها!

ما هو شخص ما؟

ما هو لا أحد؟

الإنسان: حلم الظل.

لكن عندما يأتي مجد الله

يضيء علينا نور ساطع وتغدو حياتنا حلوة.(156)

على الرغم من ذكر الآلهة باستمرار، إلا أن هذه الروح تقدم حياة تستحق أن نحياها بصيغة مستمدة بصورة أكبر من عالم البشر. المطلوب **ليس** اهتمام الخالدين، بل اهتمام زملاء المرء في الفناء. تظهر الآلهة بشكل بارز في الصورة لأنها إما تروج لهذا الخير أو تمنعه - أي الإنجاز الذي يجلب الشهرة - من تحقيقه، لكن الخير نفسه لا تحدده وجهة نظر الآلهة. الخير ينتمي إلى عالم الفانين؛ اهتمامهم وإشادتهم هو ما يسعى إليه المرء.

في الواقع، كما تشهد معظم الحكايات عن الآلهة - بالعودة إلى **الإلياذة** - من الأفضل **عدم** جذب انتباه الخالدين، إذ ذلك يؤدي في كثير من الأحيان إلى كارثة. مسرحية **بروميثيوس مقيدًا** لإسخيليوس هي تأمل طويل حول مدى عدم الرغبة في جذب انتباه الآلهة. تبدأ المسرحية بعرض يوضح مدى ضآلة أهمية البشر عند زيوس.

---

(156) Pindar, "Pythian 8," for Aristomenes of Aigina, wrestling, 446 B.C.E., lines 88–96, in *Pindar's Victory Songs,* trans. Frank J. Nisetich, p. 205.

إنه يحتقرنا كثيرًا لدرجة أنه يعاقب الجبار بروميثيوس بشدة على الحب الذي أظهره لـ «مخلوقات يومها» عندما أعطاهم منحتي النار والأمل. لولا هاتين المنحتين كان جنس البشر قد هلك، وتلك الإبادة الجماعية كانت رغبة زيوس. في انتقامه رتب الإله الطاغية المحدث - تستخدم «الطاغية» دومًا لوصف زيوس - أن يقيد بروميثيوس بالسلاسل إلى منحدرات يصعب جدًا الوصول إليها، وأن ينقض عليه نسر يوميًا لينهش كبده كأنها طبق فوا جرا[157]. ثم هناك الشابة المعذبة آيو وهي تهيم على المسرح وسط عذاباتها. لا تعرف طعم الراحة ولا تتخبط في أرجاء العالم فحسب، بل إلى الجنون الهائل، يعذبها سرب من الحشرات اللادغة. لم تفعل الطفلة المسكينة شيئًا تستحق عليه عذابها سوى أنها جميلة لدرجة دعت زيوس إلى اغتصابها، والآن تصب زوجته الغيورة، هيرا، انتقامها على الفتاة.

هذا ما قالته جوقة الأوقيانوسيات، اللاتي جئن لتعزية الجبار:

إذا زاد الحب، ذهب الخوف

أرجو ألا يقصدني الأعظم بين الآلهة

بقدره الذي لا يرد؛

لأن الانتصار صعب في تلك الحرب

ومن تلك الكثرة يأتي الفراغ.

بعبارة أخرى، آخر ما يحتاجه أي فانٍ هو اهتمام الإله.

لن أقترح للحظة أن الدين اليوناني لم يكن ذا حضور مهم للغاية في جميع دول المدن. كان للدين أشكال عديدة، علنية وسرية على السواء، هلينية عامة وخاصة بكل مدينة. ومثل أي شيء آخر يتعلق باليونانيين، فإن موضوع ممارساتهم الدينية معقد ومثار جدل ولا يزال يشغل العلماء. مرة أخرى، ليس مطلوبًا مني حل هذه الإشكالات. كل ما أود تأكيده هو أنه مهما كانت الأغراض النفسية والفكرية

(157) طبق فرنسي من كبد البط أو الإوز. (المترجم)

والاجتماعية والسياسية التي أداها الدين اليوناني - وقد أدى كل هذه الأغراض - فإنه لم يعالج بعمق الاهتمامات الوجودية للعصر المحوري. وهو السبب في أن ما بقي لنا من الإغريق القدماء ليس دينهم متعدد الآلهة. ليست هناك جموع من البشر يقدسون زيوس أو أبولو أو أثينا، مثلما يوجد من يقدسون يهوه، أو يبحثون عن هدف حياتهم في تعاليم بوذا أو كونفوشيوس أو لاو تزو. ما تبقى لنا من الإغريق هو ما أنتجه مفكروهم من المقاربة العلمانية للمعضلات الوجودية، المقاربة العلمانية التي كانت مضمنة ما قبل الفلسفة في روح الاستثنائي. لم يخدم الدين اليوناني، في حد ذاته، إرادة الأهمية، إلا بقدر ما ساعد على تقوية هوية المجموعة داخل **البوليس**، وهي تراعي دينها العام وطقوسها الغامضة.

ثمة قفزة كبيرة في الانتقال من المفهوم المتمحور حول كليوس للحياة التي تستحق أن تعاش إلى الحياة المنطقية في نظر أفلاطون، على الرغم من أن كلا النوعين يتطلب مجهودًا هائلًا. (لا يأتي الاستثنائي بسهولة، إلا في حالة الجمال الجسدي، والذي - بوصفه شكلًا من أشكال الاستثنائي- كان ذا أهمية كبيرة عند اليونانيين.)[158] عند أفلاطون، الجهد المطلوب لنيل أفضل حياة يتمثل في الفلسفة نفسها. في ضوء الفلسفة يعيد المرء بناء نفسه. في ضوء الحقيقة، التي ندركها ببذل الجهد، يتغير العالم الجواني للفرد ويحقق آريت الحقيقية، أما كليوس التي تأتي من الجموع فتصبح بحزم شيئًا ثانويًا.

آريت Aretē هي كلمة مهمة في تاريخ الفلسفة، لأنها، وبسبب التعديلات التي أدخلها عليها سقراط وأفلاطون، تقترب مما نعنيه بكلمة «الفضيلة»، وهي الكلمة

(158) الشخصيتان الوحيدتان اللتان توصفان بأنهما أشباه آلة في الإلياذة هما أخيل وهيلين، وكلاهما رائع لجمالهما، على الرغم من أن أخيل كان رائعًا من نواحٍ أخرى أيضًا. تكتسب هيلين مكانتها الإلهية فقط بفضل جمالها، إذ كان ذلك كافيًا لجعل اسمها يعيش إلى الأبد. هناك مشهد مؤثر في الإلياذة، عندما تشير هيلين إلى هيكتور، أعظم أبطال طروادة الذي سيفقد حياته قريبًا بسبب جمال هيلين الملهم المأساوي، فيبدو أنهم جميعًا يعيشون قصة لأجيال لم تولد بعد. "لذا سنعيش لأجيال في أغنية." (الإلياذة 6:358). تقول ذلك بحزن، لأن ثمة بؤس يقاسونه وهذا ليس ممتعًا أبدًا، لكن مع إحساس بالإنجاز أيضًا. لن تنتقل إلى العدم طالما أنها تعيش في الأغاني والذاكرة. فالإنجاز الذي يقاس بالمجد لا يمكن أبدًا معادلته بالسعادة.

التي استخدمها بنجامين جويت محل آريت طوال ترجماته الشهيرة لمحاورات أفلاطون. الفيلسوف ألكسندر نيهاماس، وهو نفسه مترجم ممتاز، يوجه اللوم الخفيف لجويت على معالجته للمصطلح، مشيرًا إلى أن «الفضيلة» لا تبرز تمامًا كل المعاني الدقيقة في آريت. فالكلمة لا تنطبق على الأشخاص وأفعالهم فحسب، بل على أشياء مثل الخيول والسكاكين. هل يمكن للمرء أن يتحدث عن فضيلة المقص المشرشر؟ يؤكد نيهاماس أيضًا على الجانب الاجتماعي لمصطلح آريت: استجابة الدائرة الاجتماعية للفرد هي جزء من المعنى الحقيقي للمصطلح: «في رأيي، أفضل ما يمكننا فعله هو أن نفكر به على أنه تلك الصفة أو مجموعة الصفات التي تجعل شيئًا ما عضوًا بارزًا في المجموعة التي ينتمي إليها. آريت هي الميزة التي تفسر وجود شيء بارز بشكل مبرر. يتضمن كلا الاقتراحين، اللذين يردان إلى ذات الشيء، ثلاثة عناصر: الهيكل الداخلي للأشياء وجودتها، وسمعتها، والجمهور الذي يقدرها، وهذا هو المعنى الصحيح. منذ العصور القديمة، كانت فكرة آريت اجتماعية في جوهرها، وأحيانًا تكاد تكون مكافئة للشهرة (كليوس). هذا البعد للمصطلح واضح في ملاحم هوميروس، لكنه استمر في الفترة الكلاسيكية أيضًا.»[159]

يقترب مصطلح «بارز» قليلًا من مفهوم آريت هذا. عندما نقول، على سبيل المثال، أن فيلسوفة ما بارزة، فإننا لا نقول فقط إنها جديرة ولا نقول فقط إنها معروفة، لكننا نقول إنها تحتل نقطة التقاء بينهما – إنها معروفة وجديرة؛ حتى أنها معروفة **لأنها** جديرة. في حالة آريت، قد يبدو اتجاه «لأن» أكثر غموضًا، بحيث يبدو أحيانًا كما لو أن شخصًا يصبح جديرًا «لأنه» معروف. الاعتراف به ليس مجرد مقياس لجدارته ولكنه الجدارة نفسها. (نجد المثيل المعاصر عند من يرون الشهرة غاية في حد ذاتها.) لكن على أية حال، الجانب الاجتماعي، كما قال نيهاماس، هو عنصر جوهري في هذا المفهوم.

وهذا الجانب الاجتماعي في آريت هو الذي سيحرص كل من سقراط (شبه

(159) Alexander Nehamas, *The Art of Living: Socratic Reflections from Plato to Foucault* (Berkeley: University of California Press, 2000), p. 78.

مؤكد) وأفلاطون (مؤكد) على انتزاعه من تلك الفكرة. بالنسبة إلى سقراط أفلاطون، لا يوجد تناقض في القول بأن شخصًا ما يمتلك آريت، على الرغم من عدم الاعتراف به وعدم تقديره. إشادة الآخرين لا أهمية لها. لذلك، على سبيل المثال، يقول سقراط في **الدفاع** أن المدينة لا يمكن أن تسبب له أي ضرر، حتى لو كان رفضهم إياه كبيرًا لدرجة تجعلهم يحكمون عليه بالإعدام، وهذا بالضبط ما فعلوه. لا يمكنهم حرمانه مما يجعل الشخص جديرًا بحق، التميز الذي اكتسبه من نوعية الحياة التي عاشها، على الرغم من أن مواطنيه يدينون تلك الحياة ويعتبرونها جديرة بالموت. جعل أفلاطون سقراط يكرر مثل هذه التصريحات في جميع المحاورات، التأكيد على انفصال كليوس عن آريت. وقد وضح هذه النقطة في محاورة **جورجياس** بهذه الطريقة: «ومع ذلك، يا صديقي العزيز، أعتقد أنه من الأفضل أن تكون قيثارتي أو جوقة أقودها نشازًا ومتنافرة، وأن أجعل الغالبية العظمى تختلف معي وتناقضني، على أن أكون متناقضًا مع نفسي، على الرغم من أنني فرد واحد » (c482). بعبارة أخرى، لا علاقة لآريت بكليوس؛ التميز الحقيقي الذي يتعين تحقيقه لا علاقة له بكونك معروفًا.

كانت هناك بعض السوابق الفلسفية لانحراف سقراط وأفلاطون الفلسفي عن المفاهيم الأكثر عمومية للتميز، لكنها لم ترق إلى رفض كليوس ومقاييسها، بل كانت مطالبات بأنه يجب منح الفلاسفة المزيد من كليوس، كما يشتكي زينوفانس الذي عاش في القرن السادس:

إذا كان الرجل سيفوز بالنصر بسرعة عدوه

أو بلعب الخماسي، فليذهب إلى أرض زيوس

بجانب جدول بيزا في أولمبيا، أو بالمصارعة

أو بتلقي ضربات الملاكمة الموجعة

أو تلك المسابقة الرهيبة التي يسمونها بانكراتيون،

سيكون، في هذه الحالة، أرفعَ مجدًا

عند أهل مدينته فيرمقونه

ويفوز بحق الجلوس في الصف الأمامي أمام الأنظار

في التجمعات،

وسيحصل على وجبات على نفقة

المدينة، وهدية تكون له بمثابة

الإرث -

حتى لو فاز في سباق العربات، كل هذه الأشياء

تكون من نصيبه،

لكنه لن يكون ندًا لي؛ لأن الأهم

من قوة

الرجال والخيول هي الخبرة التي أدعيها أنا.

لكن الخلط كثير في هذه النقطة، وليس من

الصحيح

أن تعطي الأفضلية للقوة على حساب

الخبرة

لأنه إن كان لدى الناس ملاكم جيد بين

ظهرانيهم،

أو رجل جيد في الخماسي أو في المصارعة،

أو في سرعة عدوه، التي هي الأكثر تشريفًا

بين كل أعمال القوة التي يقوم بها الرجال

في المسابقات

فليس هذا سببًا يجعل حكم المدينة أفضل

صغيرة هي الفرحة التي يمكن أن تحصل عليها المدينة

من مثل هذا الرجل

الذي ينتصر في الألعاب التي تجري على ضفاف

نهر بيزا

فليس بهذه الطريقة تسمن مخازن المدينة.[160]

لكن الانحراف السقراطي / الأفلاطوني عن الاستخدام الأكثر شيوعًا لكلمة آريت أكثر راديكالية بكثير مما قصده زينوفانس. إنه يستلزم مراجعة كبيرة للروح المعيارية السائدة - راديكالية إلى حد أنه يمكن اعتبار سقراط مهرطقًا بحق فيما يتعلق بقيم مجتمعه. استخدامه لكلمة **آريت** يجعلها أقرب بكثير إلى النطاق الذي يمكن أن نسميه أخلاقيًا. استخدم عدد من الكتاب قبل سقراط الكلمة والمفردات المرتبطة بها في السياقات الأخلاقية، لكن ربما كان سقراط أول من شبه **آريت** - من حيث التركيب الأخلاقي للشخص أو الشخصية الأخلاقية - بما يشبه الصحة في جسد ذلك الشخص. ليس من الضروري الاعتراف لشخص بأنه يتمتع بصحة جيدة لكي يتمتع بالصحة الجيدة، وكذلك الحال بالنسبة لمعنى آريت عند سقراط أفلاطون. في أسطورة خاتم جايجس، المذكورة في **الجمهورية**، يقول أفلاطون أنه حتى لو تمكن الشخص من الإفلات بجميع أنواع الآثام والحفاظ على سمعةٍ نظيفة بسبب خاتم سحري يجعله غير مرئي، فلا يزال عليه ألا يفعل أي شيء من هذه الأشياء الفظيعة، لأنه من خلال تدمير آريت، سيدمر الإنسان نفسه. إذًا، آريت مستقلة تمامًا عن السياق الاجتماعي. وفي جورجياس، يظهر سقراط وهو يؤكد شيئًا في غاية الراديكالية لدرجة أن مستمعيه يعتقدون أنها لا بد أن تكون مزحة. يقول إنه يفضل أن يُظلم على أن يَظلم (c469). لكن إن كان يُفهم من آريت أنها مثيل لصحة الجسد،

(160) Xenophanes, Fragment 2. This translation is taken from Andrew M. Miller, *Greek Lyric:*
An Anthology in Translation (Indianapolis, IN: Hackett, 1996), pp. 108–109. The Greek original is in elegiac couplets.

فإن هذا التصريح لسقراط لا يعد سخيفًا تمامًا. الظلم الذي نمارسه يستغرقنا بشكل أعمق بكثير من الظلم الذي نعاني منه. أنا لا أتصرف فقط من منطلق شخصيتي؛ شخصيتي تتفاعل مع أفعالي. على سبيل المثال، في كل مرة أكذب، حتى لو لم أُكتشف، أصبح المزيد من ذلك الشيء القبيح: كاذب. الشخصية دائمًا في حالة تشكل، يؤثر كل عمل ذي احتمالات أخلاقية، سواء أكان صحيحًا أم خاطئًا، على شخصيتنا والشخص الذين نكونه. تصبح الشخص الذي يمكنه اقتراف مثل هذا الفعل، والطريقة التي يراك بها العالم لا علاقة لها بهذه الحالة من الوجود. (**صورة دوريان جراي** كتاب أفلاطوني للغاية - باستثناء أن حب دوريان الكبير للجمال كان يجب أن يثير فيه مثل هذا الاشمئزاز من قبح شخصيته فيحبط أفعاله غير الأخلاقية. وذلك هو أمل أفلاطون الكبير: أن حب الجمال يمكنه، عندما يُغرس فينا ونتعلمه بشكل صحيح، أن يحارب انعدام الأخلاق.)

هذه الانحرافات السقراطية / الأفلاطونية عن مفاهيم آريت المتمحورة حول كليوس، والتي تحمل معها نظرية أخلاقية معقدة، تشير إلى مدى التحكم الذي يمكن للآخرين - مدينة كاملة من الآخرين - أن يمارسوه على إحساسك بمعنى بحياتك وما تمثله في النهاية. لا عجب في أن 501 من المحلفين الأثينيين كانوا مقتنعين بأن سقراط يمثل تهديدًا خطيرًا لقيمهم. لقد أخبرهم بذلك تقريبًا من خلال قوله إنه لا يوجد شيء يمكنهم فعله به من شأنه أن يؤذيه، وبالتالي ينحي بحزم الجانب الاجتماعي لمفهومهم عن التميز البشري.

لكن قبل أن ننتقل إلى الطريقة التي ابتعد بها سقراط وأفلاطون عن نسخة مجتمعهم من روح الاستثنائي المتمحورة حول كليوس، لنتأمل هذه النسخة غير المجددة أكثر قليلًا، حتى لو كان ذلك فقط لتقدير كيفية ابتعاد سقراط وأفلاطون عنها بشكل أفضل.

السؤال الأول - الذي يقود إلى سلسلة كاملة من الأسئلة - هو لماذا طور اليونانيون مثل هذه الروح كثيرة المطالب في المقام الأول، والتي فرضت عليهم

المطلب شبه المتناقض المتمثل في أن يعتادوا أن يصبحوا غير عاديين؟ ألا توجد طرق أسهل لضمان أن يحقق المرء الأهمية؟ ألم يكن بإمكانهم ابتكار دين - أو تكييف الدين الذي كان لديهم بالفعل - بحيث يخدم بشكل أفضل الضرورات الوجودية التي اندلعت بقوة في العصر المحوري؟ ومع ذلك، بقي دينهم، على الرغم من أهميته في نواحٍ أخرى (وعلى الأخص في توفير الإحساس بالهوية، سواء على المستوى الهلليني كيونانيين أو كمواطنين في المدن الفردية)، فيما يتعلق بالأسئلة الوجودية، خاملًا. ربما (وأنا هنا أرخي حبل التخمين) أعاقت روح الاستثنائي ذاتها نمو ديانة أكثر تعقيدًا من الناحية الوجودية. استُمدت إجاباتهم الوجودية من جانبٍ مختلف من ثقافتهم.

هناك صدفة تاريخية تبدو ذات صلة. عاش إغريق العصر الحديدي، الوقت الذي أُلفت فيه حكايات هوميروس، بين أنقاض مجتمع متفوق بشكل مرعب، مجتمعات القصر الموكياني في العصر البرونزي. هؤلاء اليونانيون من العصر البرونزي هم أبطال رواية هوميروس. إنهم، الأسلاف المتفوقون، الذين ذهبوا إلى طروادة لاستعادة الملكة الموكيانية، هيلين، التي سرقها أمير طروادة باريس. (وهذا بسبب بعض السلوكيات غير المسؤولة المعهودة من الأولمبيين الخالدين. ياهؤلاء الآلهة!) دُمرت بشكل غامض حضارة العصر البرونزي - التي كانت ثرية ومثقفة ومتعلمة بشكل هائل (كتبوا بالنظام الخطي ب)[161]، أُلفت حكايات هوميروس خلال فترة الانحدار والفوضى التي تلتها. أُلفت حكايات هوميروس التي تشكل جزءًا هامًا من الهيلينية to hellēnikon، في زمن يمثل تراجعًا عملاقًا عما كان قبله؛ الزمن الذي رأى نفسه على ذلك القدر من الضِعة، ولهذا تركز اهتمامه على الماضي البطولي. أغرقت الكارثة - أو، بالأحرى، سلسلة الكوارث - التي دمرت اقتصادات القصر

(161) عُثر على معظم الألواح الطينية المكتوبة بالنظام الخطي ب في كنوسوس وطيبة وموكناي وبيلوس وسيدونيا. الكتابات الموجودة تكاد تختص حصريًا بالمسائل الإدارية المتعلقة بالقصور. وضعت فرضيات تقول بأن الكتابة كانت عمل مجموعة صغيرة من الكتبة المحترفين، الذين عملوا في القصور، وأنه لما دُمرت تلك القصور، دمرت الكتابة أيضًا. النظام الخطي أ هو نص سابق استخدم في الحضارة المينوية. على الرغم من أن النظامين الخطيين أ و ب مرتبطان ارتباطًا واضحًا - فإن النظام ب، وهو نظام مقطعي، هو أكثرهما تقدمًا لأنه يستخدم عددًا أقل من الرموز - ولم تُفك رموز النظام أ بعد.

العالَم اليوناني في حالة من الظلام، دمرت الاستقرار ودمرت علم الكتابة، التي كانت ستعطينا بعض الأدلة على ما حدث بالفعل للحضارة الموكيانية القوية، والتي تاجرت مع الشعوب عبر البحر الأبيض المتوسط.[162] كان معمارها هائلًا لدرجة أن الشعوب التي سارت بين الأنقاض أطلقت عليها اسم «سايكلوبيان»: كيف يمكن لمجرد البشر أن يبنوا مثل هذه الصروح دون مساعدة العمالقة العور؟ لا تزال الهندسة التي استخدمت في مقابر العائلة المالكة الرائعة التي تشبه خلايا النحل، والتي كانت مليئة في الأصل بمشغولات ذهبية رائعة، لا تزال قادرة على تركنا فاغرين أفواهنا من الذهول حتى اليوم، الشيء الذي أشهد عليه، أنا التي فغرت فاهي ذاهلة مؤخرًا. يزن حجر العتب فوق مدخل المقبرة في موكناي المعروف باسم خزانة أتروس، والذي يُطلق عليه أحيانًا أيضًا قبر أجاممنون (أخطأ هاينريش شليمان في نسبته إليه)، 120 طنًا. فهل من الغريب أن يحدق الناس البدائيون نسبيًا الذي جاؤوا في الفترة التالية في هذه البقايا، التي غالبًا ما كانت منقوشة بكتابات لم يتمكنوا من قراءتها، ثم يؤلفوا قصصًا عن أبطال تجاوزوا أي شيءٍ عرفوه، قصصًا أثارت الدهشة من الأعمال الاستثنائية التي يمكن أن تحققها الحياة البشرية - على الأقل في زمان ما، ليس زمانهم. لقد عاشوا وسط الأدلة المادية المهيبة على مثل تلك الإمكانات الفائقة.

هناك مثال موازٍ ناقشه ستيفن جرينبلات في كتابه **الانحراف: كيف أصبح العالم حديثًا**. كان الإنسانيون الذين وضعوا بذور النهضة الأوروبية - أولًا وقبل أي أحد بترارك (1304 - 1374)، وانضم إليه معاصروه جيوفاني بوكاتشيو (1313–1374) وكولوتشيو سالوتاتي (1331–1406) - كانوا مدركين أنهم يعيشون في عصر طغى عليه الماضي المجيد، الذي عاشوا بين أنقاضه، وكانوا حريصين على استعادة طرق تفكيره وعيشه لأنفسهم، ما تسبب في سعيهم المهووس وراء الكتابات القديمة المفقودة. «يعكس استعجالهم للمشروع إدراكهم الضمني بأنه لا يوجد شيء واضح أو حتمي في محاولة استعادة أو تقليد اللغة والعناصر المادية والإنجازات

(162) عثر على أوانيهم الفخارية وقوارير زيت الزيتون المعطر في مصر وبلاد ما بين النهرين وغربًا حتى صقلية.

الثقافية للماضي البعيد جدًا. لقد كان شيئًا غريبًا، أغرب بكثير من الاستمرار في عيش الحياة العادية والمألوفة التي عاشها الرجال والنساء لقرون، أنهم جعلوا أنفسهم بصورة أو بأخرى يشعرون بالراحة وسط بقايا العصور القديمة الخرساء المتهالكة. كانت تلك البقايا مرئية في كل مكان في إيطاليا وفي جميع أنحاء أوروبا: الجسور والطرق التي لا تزال مستخدمة بعد أكثر من ألف عام، الجدران والأقواس المكسورة للحمامات والأسواق المدمرة، وأعمدة المعابد التي دخلت في الكنائس، والأحجار المنقوشة القديمة المستخدمة كمواد بناء في الإنشاءات الجديدة والتماثيل والمزهريات المكسورة. لكن الحضارة العظيمة التي تركت هذه الآثار قد دُمرت.» وإلى جانب ذلك الإعجاب المذهول بالماضي، وقف الإحساس الحاد بحاضر حقير: «أعلن بترارك ازدراءً لا حدود له لحاضره، الذي كان مجبرًا على العيش فيه. لقد كان يعيش في زمن بائس، كما اشتكى، زمن الجلافة والجهل والتفاهة الذي سرعان ما سيختفي من ذاكرة الإنسان.» تحول الحماس لإنجازات الأسلاف إلى طموح يحمل نفس الحماس. «لإثبات قيمتها، أصر كل من بترارك وسالوتاتي على أن المشروع الإنساني برمته لم يكن مجرد تقليد للأسلوب الكلاسيكي ولكن لخدمة غاية أخلاقية أكبر. ولكي يفعل ذلك، يجب أن يعيش بصورة كاملة وحية في الحاضر.»[163] كتب سالوتاتي، الذي سيوجه تطلعاته إلى طموحات لمدينته المحبوبة - دولة فلورنسا، «لقد آمنت دومًا أنه يجب عليّ تقليد العصور القديمة ليس فقط لإعادة إنتاجها، ولكن من أجل إنتاج شيء جديد.» يجسد نموذج «رجل عصر النهضة»، ذي الإنجازات المتساوية في كل اتجاه مثل أشعة الشمس، نوع الطموح الذي يمكن أن يتحرر عندما يكون الشعور بعظمة الماضي هو المعيار.

تكونت النظرة المعيارية عند هوميروس، التي كان المثال الأبرز فيها شابٌ يختار الحياة القصيرة الجديرة بالأغنيات، في عصر حكم بعدم أهميته النسبية قياسًا إلى الماضي المجيد. نماذجه البطولية من البشر لا بد وأنهم قد كانوا، في ذلك الزمن البعيد

(163) Stephen Greenblatt, *The Swerve: How the World Became Modern* (New York: W. W. Norton, 2011). Quotes from pp. 117–119 and 124.

الأسطوري، على أوثق العلاقات حميمية مع سكان جبل أوليمبوس، حميمة جدًا أحيانًا إلى حد أنهم تزاوجوا مع الآلهة أو كانوا من نسل مثل تلك العلاقات. لم تكن المسافة إلى الآلهة هي التي طالت في المخيلة، بل المسافة إلى البشر الذين اختفوا من الأرض. الموكيانيون الذين بنوا الجسور والطرق المصممة ببراعة والقصور الضخمة ومقابر الكنوز، والذين تركوا وراءهم حجارة منقوشة بكتابة غير قابلة للتفسير، مثلوا تحقيقًا للإمكانيات البشرية التي جعلتهم يبدون أقرب إلى الآلهة من البشر الذين عمروا زمن الجلافة والجهل، مصيرهم الزوال من ذاكرة الإنسان. تلك القصائد الملحمية التي أُلفت خلال فترة ما قبل التاريخ - كانت تسمى حتى وقت قريب بالعصر المظلم اليوناني - غناها الشعراء وصُقلت على مدار القرون الأمية، صُقلت عبارات معينة إلى قطع اصطلاحية صيغية - ما يسميه اللغويون «المتلازمات اللفظية» - للمساعدة في حفظها والتزامًا بقيود التفعيلة السداسية. كان يطلق على هؤلاء الشعراء اسم «شعراء الحماسة»، أي الذين جمعوا الأغاني معًا، والأعمالُ النهائية التي نسميها الآن **الإلياذة والأوديسة** ربما جمعها في شكلها النهائي ذات الشخص، الذي نسميه هوميروس، والذي عاش، إن كان موجودًا حقًا - كل شيء موضع شك فيما يتعلق بعصر ما قبل التاريخ - عاش في وقت ما قرابة أعوام 750-700 قبل الميلاد. يمكن اعتبار **الإلياذة والأوديسة** نوعًا من ويكيبيديا ملحمية، تعاون فيها العديد من المؤلفين الذين لا يعرفون بعضهم. (هناك نقاش حاد، يعود إلى القرن الأول الميلادي على الأقل، ما إذا كان هوميروس، بافتراض وجوده، هو نفسه أميًا.)[164]

---

(164) جادل المؤرخ اليهودي للحروب اليهودية الرومانية المعروف باسم جوزيفوس، على أساس فرضية أمية هوميروس، بأن الشعب اليوناني لم يكن قديمًا جدًا، لأنهم عرفوا الكتابة متأخرًا جدًا. "لكن، لا توجد أية كتابات يتفق اليونانيون فيما بينهم على أنها أقدم من قصائد هوميروس، الذي يجب القول بوضوح أنه عاش بعد حصار طروادة؛ كلا، يقول التقرير، أنه حتى هو لم يدون قصائده، لكن الأغاني حفظتها في الذاكرة، ثم جُمعت معًا بعد ذلك، وهذا هو السبب في عدد الاختلافات الموجودة فيها."
(*Against Apion*, 1.2.12), http://www.gutenberg.org/files/2849/2849-h/2849-h.htm.
يستمر الجدل بلا هوادة اليوم، فيراق الكثير من الحبر بسبب سطر واحد غامض في **إلياذة هوميروس**، والذي قد يشير أو لا يشير إلى الكتابة (الإلياذة 169-6.168). لكن، بالطبع، علم هوميروس بالكتابة لا يعني أنه هو أو أي من الشعراء المجهولين في العصر الحديدي كانوا يعرفون **كيف** يكتبون. لاستعراض الولع المعاصر الذي يثيره هذا السؤال، انظر:

في غضون قرون قليلة فقط، انتقل الإغريق من حالة الانحلال والأمية - كانوا يفتقرون حتى إلى الأبجدية - إلى ذلك التدفق المتفجر للإبداع الذي مهد للرومان، وبالتالي للإنسانيين الذين يكتب جرينبلات عنهم. كانت حكايات هوميروس جزءًا لا يتجزأ من الرحلة إلى الأمة الهيلينية التي وحدت كل المدن. لكن وفي حين أنهم غنوا من قبل لأبطال عصر بعيد ومتفوق اختفى إلى الأبد، يمكنهم الآن تخيل أن يصبحوا تجسيدًا للبطولة بأنفسهم. كما سيحدث مرة أخرى مع الإنسانيين في أوائل عصر النهضة، تحول الإعجاب بالماضي إلى طموحات للحاضر، وروح الاستثنائي يعاد تشكيلها من رهبة الإعجاب بأسلاف الماضي إلى مبادئ للعمل. ربما كان هذا التحول مرتبطًا جزئيًا بالتحول الهائل الذي أحدثه الاستقرار الذي عاود الظهور، على مدار القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد، حيث خرجت دول المدن من حالة الانحلال التي كانت سائدة في القرون القليلة الماضية كما عادت المعرفة بالقراءة والكتابة.(165) مهدت قرون من الغناء عن الأبطال الطريق لروح احتفت بالإمكانيات الاستثنائية التي يمكن أن تحققها الحياة البشرية. خرجت الشعوب الناطقة باليونانية في الحقبة التاريخية مستعدة للتطور إلى مجتمع ذي طموح ونشاط غير مسبوقين. لم يكن الملوك وحدهم هم الذين طمحوا إلى حكايات ملهمة عن مآثر عجيبة؛ هذا الطموح - إن لم يكن إدراكه - كان حقًا مكتسبًا لجميع من تناقلوا كلمات هوميروس. لم تعد مهمة أبطال العصر السابق تحجيم اليوناني ولكن إلهامه ليرتقي بنفسه إلى أبعاد بطولية. (وآمل أن يغفر لي أفلاطون استخدامي لضمير الذكر هنا. أحد ألغاز روح الاستثنائي اليونانية كان الفجوة الكبيرة بين الأنثى، سواء كانت بشرية أو خالدة، في ملاحمها ودراميتها، من ناحية، وإمكانيات الأنثى لتحقيق حياة

"Homer's Literacy," Joseph Russo in reply to Hugh Lloyd-Jones, *New York Review of Books*, March 5, 1992.

(165) استعيدت القراءة والكتابة، مع استيراد أبجدية ساميّة عن طريق الفينيقيين، والتي كيفها اليونانيون مع لغتهم، واستعملوا إشارات للأصوات التي لم تكن لديهم للإشارة إلى حروف العلة، والتي لم يكن لدى الفينيقيين رموز لها. في تكييفهم هذه الأبجدية المستوردة لاحتياجاتهم الخاصة، أنتج الإغريق نظامًا للكتابة كان فيه تطابق واحد لواحد بين الصوت والرمز - وكانوا أول من فعل ذلك. ومع ذلك، ظلت القراءة والكتابة في حيازة الأرستقراطية.

استثنائية، من ناحية أخرى). كان أفلاطون يعمل على سد هذه الفجوة. انظر مناقشته في **الجمهورية** c451–457b/c، والتي تنتهي بعبارة «يجب على الأوصياء الذكور والإناث أن يتشاركوا بالكامل طريقهم في الحياة و... حجتنا سليمة عندما نقول إن هذا ممكن ومفيد.»)

مع ذلك، كيف تملَّك هذا التغيرُ اليونانيين في العصر التاريخي؟ كيف انتقلوا من الأساطير التي وقفت في رهبة عاجزة أمام إمكانيات العظمة البشرية إلى إدراك إيجابي لتلك الإمكانيات بأنفسهم؟ لا بد أن هذا التغيير كان، في معظمه، تدريجيًا، مثل كل العمليات المشابهة، لكن إذا كان بوسع المرء أن يشير إلى حدث تاريخي واحد باعتباره الأهم، فإن الخيار سيكون واضحًا. لا توجد تجربة جماعية غيرت نظرة الإغريق لأنفسهم مثلما فعل انتصارهم غير المتوقع على الفُرس. بدحرهم قوات تلك الإمبراطورية العالمية هائلة التفوق، منح الإغريق لشعرائهم شيئًا معاصرًا يتغنون به. يبدأ هيرودوت كتابه **التاريخ**، أي أنه يبدأ ممارسة التاريخ نفسه، بهذه الكلمات: «هذه أبحاث هيرودوت من هاليكارناسوس، التي نشرها، على أمل أن يحفظ من الضياع ذكرى ما فعله الرجال، ولمنع أعمال اليونانيين والبرابرة العظيمة والرائعة من فقدان حظها الذي تستحق من المجد». ساعدت الحروب اليونانية الفارسية على تحويل روح الاستثنائي من ذاكرة أسطورية إلى إطار معياري فاعل. لاحظ أرسطو، الذي ألّف كتابه **السياسة** بعد قرن على الأقل من الحروب، تأثير الانتصار على قوات الفرس المحتشدة على ثقة الإغريق بأنفسهم، والتي امتدت إلى حياة العقل الذي كان مصدر اهتمام خاص له. «فخورين بإنجازاتهم، اندفع الرجال إلى مجالات أبعد بعد الحروب الفارسية؛ نقلوا كل المعارف إلى ساحتهم، وبحثوا دراسات أوسع نطاقًا» (**السياسة** I.341).

ولم يكن هذا الفخر وهذا الاندفاع بأوضح منه في أثينا في القرن الخامس، التي عاشت أيامها تحت روعة الأكروبوليس. أضاف الشعور بالتفرد الأثيني بُعدًا سياسيًا إلى روح الاستثنائي. سمح التفرد الأثيني بانتشار الاستثنائي فيها، فتوزع بين جميع مواطني أثينا، وحلّ التناقض المركزي الذي قدمته تلك الروح في رغبتها في أن يحقق

الجميع حياة استثنائية – يذكرنا ذلك ببحيرة ووبيجون الخيالية كمكان « كل الأطفال فيه أعلى من المتوسط.» يمكن لجميع مواطني أثينا، فقط بفضل كونهم مواطنين في أثينا، أن يطمئنوا إلى أنهم فوق المتوسط. منح تفرد أثينا مواطنيها نوعًا من الاستثنائية المتقاسمة. منحت الديمقراطية ذلك الشكل الفريد من الحكومة، الذي تطور على فترات متقطعة، كل مواطن أثيني قدرًا استثنائيًا من المشاركة في تشكيل السياسة. كان جميع المواطنين يصوتون على العديد من القرارات المهمة، على سبيل المثال، ما إذا كان يجب الذهاب إلى الحرب أم لا ومن يجب إرساله كجنرالات. كانت هناك قرارات أخرى يتخذها مجلس الخمسمائة، لكن حتى المجلس أيضًا كان يتألف من مواطنين عاديين اختيروا بالقرعة ويخدمون لمدة عام، تسهم فيه كل واحدة من القبائل العشر المصطنعة بخمسين عضوًا.[166] لذلك إذا كانت أثينا تفردًا في العظمة، فقد كان تفردًا يمكن لجميع مواطنيها أن يدّعوه بشكل فردي. في **تاريخه**، هناك فقرة غير عادية يتحدث فيها هيرودوت من هاليكارناسوس من وجهة نظر الأثينيين كما يتحدثون هم أنفسهم، وينطلق في أنشودة مدح للحرية المميزة التي حققها الأثينيون بديمقراطيتهم، وينسب إليها وضعهم في طليعة اليونانيين.[167]

وإذا كانت الأغلبية من المواطنين (العاديين بخلاف ذلك) لم يستشعروا هذه الاستثنائية المتقاسمة بأنفسهم، فقد كان لديهم قائدهم الاستثنائي، بريكليس، الذي يعني اسمه «المحاط بالمجد»، ليقولها لهم. «باختصار، أقول إن أثينا هي مدرسة اليونان، وأن كل واحد منا يقدم نفسه كفرد مكتفٍ ذاتيًا، مستعد لتكييف نفسه مع

(166) بدلًا من عملية وجود الخمسمائة عضو غير العملية يومًا بعد يوم طوال سنة ولايتهم، شغلت كل قبيلة المجلس الإداري والتنفيذي لمدة عُشر السنة.

(167) "وهكذا ازدادت قوة الأثينيين. ومن الواضح جليًا، ليس من هذه الحالة فقط، ولكن من حالات كثيرة في كل مكان، أن الحرية شيء ممتاز، لأنه حتى الأثينيين، عندما كانوا تحت حكم الطغاة، لم يكونوا أكثر شجاعة من أي من جيرانهم، ولم يكادوا يتخلصوا من نيرهم حتى أصبحوا بلا ريب الأوائل. تدل هذه الأمور على أنهم أثناء تعرضهم للقمع، كانوا يتركون أنفسهم للاستغلال، لأنهم عملوا لدى سيد؛ ولكن بمجرد حصولهم على حريتهم، كان كل رجل حريصًا على بذل قصارى جهده لأجل نفسه. ولقد نجحت جدًا مع الأثينيين الآن."

The History of Herodotus, V, 78, translated by George Rawlinson,
http://classics.mit.edu/Herodotus/history.5.v.html.

أكثر أشكال العمل تنوعًا وبأقصى قدر من البراعة والامتياز. ليس هذا مجرد تفاخر بالكلمات في هذه المناسبة، بل الحقيقة والواقع، كما تشهد قوة هذه المدينة، التي حزناها بفضل هذه الشخصية. أثينا هي القوة الوحيدة الآن التي تفوق قوتها شهرتها في ساعة المحنة..... لسنا بحاجة إلى هوميروس، أو أي أحد آخر، ليمدح قوتنا بكلمات تجلب البهجة للحظة، ثم لا يصمد كلامه أمام ضوء الحقيقة. لأننا أخضعنا كل البحار وكل الأراضي لكي نفتح طريقًا لبسالتنا؛ وأقمنا صروحًا أبدية من جميع الأرجاء، لنكساتنا وكذلك لإنجازاتنا.»[168] كذلك أعلن بريكليس في خطبة التأبين الشهيرة، عندما دفن قتلى إحدى المعارك الأولى للحرب البيلوبونيسية - وهي حرب يمكن اعتبارها في حد ذاتها نتيجة لروح الاستثنائي والتجاوزات التي أدت إليها، على المستوى الفردي والجماعي.[169]

جاء التجديد الحضري للأكروبوليس بما يليق بكليوس تحت حكم بريكليس.[170] كل ما كان على المواطن الأثيني - تيمون أو ديكايوس أو هيرون

(168) Paul Woodruʃ, trans., Thucydides: On Justice, Power, and Human Nature; Selections from "The History of the Peloponnesian War" (Indianapolis, IN: Hackett, 1993), ii, 41 (p. 43).

(169) انظر الملحق ب.

(170) يصف بلوتارخ كيف أدخل بريكليس عامة الناس، الذين كان يظهر نفسه كبطل لهم، في مخططاته العظيمة لاستخدام ثروات الإمبراطورية لجعل أثينا رائعة المدن. "وصحيحٌ أن حملاته العسكرية منحت أولئك الذين كانوا في حالة من عنفوان الرجولة الكامل موارد وفيرة من الأموال العامة، وكانت رغبته في ألا يكون لحشود العمال العاديين غير المحاربين أي نصيب على الإطلاق من العطايا العامة، وألا يحصلوا على جعول لقاء كسلهم وخمولهم، واقترح بجسارة على الناس مشاريع لإنشاءات رائعة، وتصميمات لأعمال من شأنها أن تستخدم العديد من الفنون وتحتاج فترات طويلة من الزمن، حتى تكون للقابعين في منازلهم، باستثناء البحارة والحراس والجنود، ذريعة للحصول على نصيب مفيد من الثروة العامة. كانت المواد المستخدمة هي الحجارة والبرونز والعاج والذهب والأبنوس وخشب السرو. والفنون التي ستصمم وتُصنّع هذه المواد هي النجارة، وسباكة المعادن، وحدادة البرونز، وقطع الأحجار، والصباغة، وصاغة الذهب والعاج، والدهان، والتطريز، والزخرفة، ناهيك عن وكلاء الشحن ومزودي المواد، مثل المصانع، والبحارة وربابين السفن، وعن طريق البر، صانعي العربات، ومدربي الدواب ذات النيران، والسائقين. كان هناك أيضًا صانعو الحبال والنساجون والدباغون وبناة الطرق وعمال المناجم. وبما أن كل فن معين، مثل جزء من الجيش تحت إمرة جنرال، احتفظ بحشده الخاص من العمال غير المهرة وغير المدربين في مجموعة محكمة، ليكون بمثابة الأداة للاعب وكالجسد للروح في خدمة الرؤساء، فقد فاقت كل عصر، تقريبًا، وتوزعت وفرة المدينة العظيمة وتبددت بسبب تلك الاحتياجات. وهكذا ارتفعت الصروح، التي لم تكن أقل في ارتقاء عظمتها من جمال خطوطها التي لا تضاهى، إذ سعى العمال

العادي – أن يفعله ليشعر بارتفاعه فوق العادي، أن يصوب عينيه إلى الأعلى إلى تمثال أثينا العملاق الذي يرتفع ثلاثين قدمًا، والذي نحتته عبقرية فيدياس من برونز غنائم الفرس الذين هُزموا في معركة ماراثون. هناك وقفت، رمز ارتقائهم الجماعي، ثابتة في مكانها بين البارثينون والبروبيلايا، ورمحها في يدها اليمنى مرفوعًا عاليًا، يلمع نصله في السماء البرونزية، البرونز يواجه البرونز. وخوذتها ذات العُرف ورمحها ظاهران لأميال في البحر.

إذا كان جزء كبير من اليونان قد تفجر بطموحات تنطلق في كل اتجاه، كما يشهد أرسطو، فإن مركز هذا الانفجار كان أثينا. أصبحت، في أعقاب هزيمة الفرس، قوة إمبريالية، تجبر حلفائها على الجزية، وهم الذين ربما شعروا عندما زاروها ونظروا إلى الروعة البادية على قمة الأكروبوليس، بشيء مختلف تمامًا عن فخر المواطن الأثيني بالتفرد. في كل عام، عندما وصلت حشود من جميع أنحاء اليونان لحضور مهرجان الدراما، وجلب «الجزية»، ربما فكروا في كيف نقلت أثينا خزانة حلف ديليان إلى أثينا، وحملة البناء التي نتجت عن ذلك، ورأوا التفرد الأثيني من منطلق السرقة والجشع.[171]

وبينما تراجعت إسبرطة إلى عزلتها – حتى أنها أوصت بالسماح للمدن الأيونية بالعودة إلى الهيمنة الفارسية لكي لا تثير المزيد من الحروب الخارجية – تفجرت أثينا في العقود التي تلت الحرب نحو الخارج. لم تظهر فكرة الثقافة اليونانية المشتركة بحق

بشغف إلى التفوق على أنفسهم في جمال حرفتهم. ومع ذلك، فإن أروع شيء فيها هو السرعة التي أقيمت بها. ظن الرجال أن كل واحد منها سيحتاج العديد من الأجيال المتعاقبة لإكماله، لكنها جميعًا تمت بالكامل في ريعان إدارة واحدة."

Parallel Lives:The Lives of Plutarch, 12–13, vol. 3, Loeb Classical Library edition, 1916, pp. 39–40, trans.Bernadotte Perrin, http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?doc=Perseus:abo:tlg,0007,012:12.

(171) ينفث أفلاطون عن رأي مماثل: "ويقولون إنهم جعلوا المدينة عظيمة!" جعل سقراط يتحدث عن القادة السياسيين في الخمس الأخير من القرن الخامس، بما في ذلك بريكليس. "لكن هذه المدينة متورمة ومتقيحة، بفضل هؤلاء القادة الأوائل، الذين لم يلاحظوا ذلك. لأنهم ملأوا المدينة بالموانئ وأحواض بناء السفن والجدران ومدفوعات الجزية ومثل تلك التفاهات، لكنهم فعلوا ذلك دون عدالة أو انضباط." (جورجياس 518e–519a)

حتى أعادت أثينا، بعد الحروب الفارسية، تشكيل الثقافة اليونانية على صورتها.[172] يصف أحد المتحدثين في محاورة أفلاطون بروتاجوراس أثينا بأنها «بريتانوم بلاد اليونان» (d337)، موقدها المركزي وقدسها. يتحدث بريكليس عن أثينا باعتبارها «مدرسة اليونان.»[173] وعلى ضريح يوربيديس، أثينا هي «يونان اليونان.»[174]

لم تكن أثينا مجرد مدينة، بالمعنى الذي نفهمه من الكلمة، ولكنها كانت بوليس، أو دولة – مدينة. كانت كل دول المدن في اليونان القديمة – التي كان عددها، وفقًا لأفضل حصيلة حديثة، 1035بوليس، رغم أنها لم توجد جميعًا في وقت واحد[175] – دولًا مستقلة، ذات جيوش (نشطة جدًا) وأشكال حكم خاصة بها. كان لكل بوليس مركز مدينة astu، وعادة ما يكون محاطًا بسور وتحتوي على أكروبوليس، أو «مدينة على مرتفع»، مرتفع وبالتالي يمكن الدفاع عنه، وربما كان ذلك السبب في نمو

(172) في قلب العقيدة الهلينية الجامعة Panhellenism توجد فكرة مركزية أثينا الثقافية، وهو مصطلح صاغه العلماء المعاصرون لوصف النداءات المختلفة التي أطلقها مثقفو أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الرابع لتعزيز الوحدة الهيللينية ولغمر الخلافات بين الدول في حملة صليبية مشتركة ضد 'العدو الأبدي'، بلاد فارس.

Jonathan M. Hall, *Hellenicity: Between Ethnicity and Culture* (Chicago: University of Chicago Press, 2002).

يتحدث هيرودوت، في مقطع مشهور من "التاريخ" (الكتاب الثامن 144) عن to hellēnikon أو الهيللينية ويحدد عناصرها في الدم المشترك، واللغة المشتركة، والثقافة المشتركة، والدين المشترك. يقدم المصطلح وتحليله في سياق ربط الرد الذي أعطاه الأثينيون إلى حلفائهم الإسبرطيين خلال الحرب الفارسية الثانية، عندما كان الإسبرطيون قلقين من أن الأثينيين قد يكونون على وشك عقد سلام منفصل مع الفرس. لا تقلقوا، يقول الأثينيون. لن نفعل شيئًا من هذا القبيل أبدًا، حتى لو كان في صالح مدينتنا، بسبب الهيللينية. لكن بالطبع كتب هيرودوت ذلك في سنوات ما بعد الحروب الفارسية، عندما بزغت فكرة الهيللينة جنبًا إلى جنب مع الهيمنة الأثينية.

(173) Thucydides, *History of the Peloponnesian War,* Book 11, 41.1., trans. Paul Woodruf.

(174) "كل اليونان هي نصب لضريح يوربيديس. لكن الأرض المقدونية هي التي تؤوي عظامه، لأنه مات هناك. لكن وطنه كان يونان اليونان، أثينا." تذكر جوانا هانينك هذا الاستشهاد في "التراجيديون الكلاسيكيون من الرموز الأثينية إلى الشعراء المتجولين" في:

Beyond the Fifth Century: Interactions with Greek Tragedy from the Fourth Century BCE *to the Middle Ages,* edited by Ingo Gildenhard and Martin Riverman (Berlin: De Gruyter, 2010), p. 54.

(175) See Mogens Herman Hansen and Thomas Heine Nielsen, eds., *An Inventory of Archaic and Classical Poleis* (Oxford: Oxford University Press, 2004).

العمران الأصلي حوله. كانت منطقة المركز محاطة بأراضي شاسعة، الخورة khora، والتي شملت الأراضي الزراعية وبساتين الزيتون وكروم العنب. المدن الأكثر رسوخًا - أثينا، وإسبرطة، وطيبة، وكورينث، وأرغوس - كان لديها أيضًا مستوطنات استعمارية، مدن أخرى إما أنشأتها أو استولت عليها وتدفع الضرائب للعاصمة «metropolis»، البوليس الأم، وكان مطلوبًا منها أن تكون حليفة في الحرب. معظم المدن لم تكن كبيرة. كان متوسط عدد المواطنين ما بين 133 و800.(176) كان عدد مواطني أثينا قرابة ثلاثين ألفًا، بينما كان إجمالي عدد سكانها قريبًا من مائة ألف، ما يعني أن واحدًا فقط من كل ثلاثة سكان يتمتع بحقوق المواطنة. على الرغم من عدم وجود مؤهلات للتملك، كما كان الحال في الأوليجاركية اليونانية، إلا إنه كان من الصعب الحصول على الجنسية في أثينا الديمقراطية. استُبعد النساء والأطفال والعبيد من الجنسية، كما هو الحال في جميع دول المدن. وكذلك الحال بالنسبة للمقيمين الأجانب الذين كانوا غالبًا من أغنى من عاشوا في أثينا. افتخر الأثينيون بأسطورة أنهم، وحدهم من بين جميع اليونانيين، كانوا أصليين autochthonous، وتعني حرفيًا «الذين نبتوا من الأرض»، وكانوا يعنون بها أنهم أقاموا دائمًا على نفس الأرض. لطالما كان كونك مولودًا لأب أثيني شرطًا للحصول على الجنسية، لكن في عام 451 قبل الميلاد، شدد بريكليس هذا القانون، حيث تعزز الفخر بالأصلانية بعد الحروب الفارسية والهيمنة الإمبريالية الأثينية. فأصبح مطلوبًا للمواطنة أن يكون الأب والأم من مواليد أثينا، ما جعل المواطنة حصرية ومرغوبة أكثر، في الوقت الذي كانت فيه أثينا تؤكد نفسها في جميع أنحاء اليونان كمعيار لما جعل كل اليونانيين عظماء.

كانت التجارب السياسية منتشرة في اليونان القديمة، وكانت إحدى أكثر التجارب راديكالية هي تلك التي اتبعتها أثينا، فتمسكت بها أحيانًا وتركتها أحيانًا، لكن في الغالب تسمكت بها، وتمتد تقريبًا، من إصلاحات كليسثينيس في القرن

(176) See E. Ruschenbusch, "Die Bevölkerungszahl Griechenland in 5 und 4 Jh's," in *Zeitschriften für Papyrologie und Epigraphik* 56 (1984): 55–57.

السادس قبل الميلاد[177]، وحتى النصر النهائي للإسكندر المقدوني في القرن الثالث قبل الميلاد. جاءتنا كلمة «الديمقراطية» - حكم الشعب - من شكل الحكومة، demokratia، الذي اتبعته أثينا، والذي أدى في كثير من الأحيان إلى استياء وسخرية دول المدن الأخرى.

لقد نما إحساس التفرد الأثيني بقوة كبيرة لدرجة أن المشاركة في حياة المدينة بدت تقريبًا، بالنسبة للمواطنين الأثينيين تعريفًا لما تعنيه آريت - مرة أخرى، النقطة التي أوضحها بريكليس صراحة في خطبته الجنائزية، حين عدد كل مآثر أثينا، من تفرد ديمقراطيتها إلى شهامة تفوقها: «ونحن وحدنا نحسن للآخرين ليس بعد حساب مصلحتنا، لكن دون خوفٍ وثقةً في حريتنا» (ii.40). ويقترح أنه على أعدائها المهزومين أن يفخروا لأنهم هزموا على يد هذه النماذج من البشرية.

ما يعنيه الاقتراح هو أن كل البشرية يجب أن تطمح، إذا كان ذلك ممكنًا، إلى ما كانت أثينا تحققه، وبالطبع على كل الهيلينيين، على الرغم من أنه ليس بإمكانهم أن يأملوا أن يصبحوا مواطنين أثينيين يحق لهم التصويت، أن ينظروا إلى أثينا كنموذج لآريت.[178] وصحيح أن الفنانين والمفكرين توافدوا على أثينا، متلهفين لأن يكونوا في مركز العالم، حتى دون فوائد المواطنة. ولد أرسطو، الذي جاء للدراسة في

(177) فكك كليستنيس قبائل الأسلاف الأتيكية في عام 510 قبل الميلاد وجعل الإقامة المحلية شرطًا للتصويت. ثبت أن هذا الإصلاح كان الأكثر أهمية في وضع أثينا على طريق الديمقراطية، وحتى اليوم، فإن الأجزاء من عالمنا التي لا تزال تهيمن عليها التقسيمات القبلية تبقى مقاومة للديمقراطية. الإصلاحات المتتالية، على الرغم من أهميتها - إلغاء شروط الملكية للاقتراع، والأهلية العامة للمواطنين لتولي المناصب، والمحاكم الشعبية التي تحكم على سلوك القضاة، ودفع أجور المناصب (بحيث يتسنى للمواطنين الأكثر فقرًا، الرعاع، أن يفوتوا العمل من أجل الإدلاء بأصواتهم)، على الرغم من أهميتها، تكمل فقط العملية التي بدأها كليستنيس. يؤرخ البعض لبداية الديمقراطية في وقت قبل ذلك بقليل، إلى زمن سولون، في بداية القرن السادس قبل الميلاد، وإصلاحاته، التي خففت أعباء ديون المزارعين من خلال إلغاء ممارسة الاقتراض مقابل حرية الفرد. تطورت الديمقراطية من خلال الابتكارات المتراكمة في أثينا، لذلك من المستحيل تحديد تاريخ محدد لبدايتها. نجحت العديد من إصلاحات سولون في النجاة من طغيان بيسستراتوس وولديه، الذين خلفهم كليستنيس.

(178) انظر كتاب جوناثان هول، الهيللينية، من أجل مناقشة ممتعة لما إذا كان الأثينيون يعتقدون أن تفوقهم مسألة طبيعة أم تنشئة وكيف تغيرت المناقشة بمرور الوقت.

أكاديمية أفلاطون وأسس الليسيوم، كما ذكرنا، في أقصى الشمال في ستاجيرا، في خالكيديس، وكان والده طبيب ملك مقدونيا. اجتذب التفوق الأثيني لنفسه مزيدًا من التفوق، ما زاد من إحساسها بتفردها، الأمر الذي يحدث عادةً مع القوى الإمبريالية. والإنجاز المتعاظم نتيجة لذلك هو الطريقة الأسهل التي تستخدمها الإمبريالية لتدافع عن نفسها، إذا شعرت بالحاجة، وهذا صحيح حتى في يومنا هذا.[179]

وفي ظلال الأكروبوليس، مارس سقراط عمله اليومي، والذي تمثل في محاولة بث الشك في مواطنيه بأنه ليست لديهم أية فكرة عما تمثله حياتهم. أنت محق تمامًا في أن الحياة غير الاستثنائية لا تستحق أن تعاش، لكن ما هي الاستثنائية التي تهم؟ لا يمكن إحالة آريت إلى السياسة الأثينية. لا يكفي، كان يخطب في الأثينيين باستمرار، أن تكون مواطنًا في أثينا. أنت لم تتجاوز خط النهاية والحشود تهتف بصوت اسمك الجميل، مؤكدين لك أنك حققت أكثر ما يهم. أنت لم تصل حتى إلى خط البداية.

ربما كان أفلاطون على علم بسقراط منذ أن كان صبيًا صغيرًا. كان شقيقه الأكبر، جلوكون، مولعًا بسقراط قبل أن يبلغ أفلاطون سنًا يفهم فيها تصرفات سقراط الغريبة.[180] الجندي والمؤرخ زينوفون، الذي كان أيضًا مخلصًا لسقراط وترك لنا حكاياته وانطباعاته في العديد من الأعمال، يعامل أخا أفلاطون الأكبر باعتباره مغفلًا. يروي زينوفون أن سقراط تدخل عندما كان جلوكون في خطر أن يُظهر حمقه أمام المجلس، أو الإكليسيا ekklêsia، الهيئة المركزية للديمقراطية الأثينية، المنعقدة تحت السماء المفتوحة، على تل يدعى بنيكس، يطل على الأكروبوليس. أراد جلوكون أن ينصب نفسه كرجل يُحسب له حساب سياسي، «ولم يتمكن أحد من أقاربه أو أصدقائه الآخرين من منعه من بهذلة نفسه في المجلس وجعل نفسه مثارًا للسخرية»،

---

(179) انظر، على سبيل المثال، كتابات نيال فيرغسون العديدة، مثل الحضارة: الغرب والبقية (نيويورك: بينجوين، 2012)؛ أو الإمبراطورية: صعود وانهيار النظام العالمي البريطاني والدروس المستفادة من القوة العالمية (نيويورك: بيسك بوكس، 2004).

(180) كم كان الفارق السني بين أفلاطون وأخيه الأكبر، لا نعرف بالضبط. انظر ديبرا نيلز، **شعب أفلاطون**، ص 154-156.

يكتب زينوفون. لكن سقراط - لأجل أفلاطون، كما يخبرنا زينوفون، وهي المرة الوحيدة على الإطلاق التي يذكر فيها زينوفون أفلاطون - تدخل ليقول لجلوكون أنه ليس لديه أية فكرة عما يتعلق بشؤون الدولة.[181] ورغم أن زينوفون يسخر منه في روايته، إلا إنها نقطة لصالح جلوكون، فعلى الرغم من تخيله لنفسه كسياسي محتمل، إلا أنه اقتنع بأنه لا يعرف ما الذي كان يتحدث عنه. على أية حال، هذه ليست سوى صورة جلوكون في وجهة نظر زينوفون.

أما أفلاطون فيجعل جلوكون أحد محاوري سقراط الرئيسيين في **الجمهورية**، إلى جانب شقيق آخر له، أديمونوستوس، لكنه لا يحظى بذات الأهمية في المحاورة. جلوكون في رواية أفلاطون ليس مغفلًا بالمرة. إذ يظهر أنه يتمتع بذاكرة ممتازة، ومعرفة جيدة بالرياضيات، وقدرة موسيقية أعلى من متوسطة، وقدر كبير من المثالية السياسية. في الواقع، كلا الأخوين، وفقًا لأحد الباحثين، يمثلان بالضبط المزيج الصحيح من المقاومة المدروسة والتقبل المدروس الذي يسمح لسقراط أفلاطون بالتقدم من التساؤل السلبي، أو التفنيد، إلى الإبداع الإيجابي.[182]

في الكتاب الأول **للجمهورية**، يغضب بشدة سفسطائي حاد المزاج يُدعى ثراسيماخوس بسبب الحجة الأخلاقية السامية التي يسمعها من شفاه سقراط إلى درجة أنه يندفع في المناقشة مثل فيلسوف تحليلي يتعاطى الأمفيتامينات، ويصر على ما قد يصفه فيلسوف معاصر بأنه اللامعنى المعرفي للفرضيات المعيارية - تلك التي تتضمن كلمة «ينبغي» التي يطفح بها كلام سقراط. اسمح لي أن أحررك من أوهامك، رعَد ثراسيماخوس، بينما يتظاهر سقراط بالتراجع في رعب (d336). لا توجد حقائق موضوعية عن مسألة الطريقة التي ينبغي أن يعيش بها الناس حياتهم. هناك ببساطة حقائق عن الكيفية التي يريدون أن يعيشوا بها حياتهم، فالناس يسعون وراء مصلحتهم الذاتية قدر استطاعتهم، وينجح الأقوياء مثلما يفعل أي شخص لو

---

(181) Memorabilia III, 6.

(182) See Ruby Blondell, *The Play of Character in Plato's Dialogues* (Cambridge: Cambridge University Press, 2002), pp. 190–226.

توفرت له الاستطاعة. لذا عِش كما يحلو لك، عش بأية طريقة تستطيع أن تفلت بها، صرخ السفسطائي، وأسلوبه المتنمر في الجدل يضفي طابعًا دراميًا على آرائه. طالما أنك قادر على الإفلات من العقاب، فأنت لست في خطر الوقوع في الخطأ، لأنه لا يوجد ما تخطئ فيه.

سرعان ما تنفذ طاقة ثراسيماخوس الصاخب، ويسلم أفلاطون المناقشة إلى شقيقه جلوكون لتوضيح تلك الجملة غير الأخلاقية بنغمة أكثر هدوءًا ودقة، ويظهر نوعًا من الرغبة الحزينة في أن يصرفه أحد عن وجهة النظر التي يطورها، سواء دفاعًا عن نفسه أو كمحامٍ للشيطان[183]. «ربما تكون السمة الأكثر لفتًا للانتباه في الصورة المزدوجة التي يرسمها أفلاطون هنا هي انفصال أخويه المشترك عن القضية التي يدافعان عنها بمثل هذه القوة.»[184] جعل أفلاطون جلوكون يبتكر تجربة فكرية تتضمن خاتم جايجس الذي يجعل مرتديه غير مرئي وقادر على الإفلات من أي شيء.

الآن، لا أحد، على ما يبدو، سيكون منيعًا ضد الفساد بحيث يبقى على طريق العدالة أو يبتعد عن ممتلكات الآخرين، عندما يستطيع أخذ كل ما يريد من السوق ويفلت من العقاب، يذهب إلى منازل الناس ويضاجع من يشاء، يقتل أو يطلق سراح أي شخص يشاء من السجن، ويفعل كل الأشياء الأخرى التي تجعله مثل إله بين البشر. بالأحرى، لن تختلف أفعاله بأية حال عن أفعال الشخص الظالم وسيتبع كلاهما نفس المسار. وقد يقول البعض أن هذا دليل عظيم على أن المرء لا يكون مستقيمًا أبدًا عن طيب خاطر ولكن فقط عندما يُجبر على ذلك. لا أحد يعتقد أن للعدالة فائدة عندما تظل معزولة، لأنه عندما يعتقد أي شخص أنه يستطيع أن يظلم مع الإفلات من العقاب، فإنه يفعل ذلك. في الواقع، يعتقد كل إنسان أن الظلم أكثر فائدة لنفسه من العدالة. وأي مناصر لهذه الحجة سيقول إنه على حق، وبالنسبة للشخص الذي لا يريد أن يفعل الظلم، في ظل فرصة من هذا النوع، والذي لم يلمس ممتلكات الآخرين سيعتقد كل من له دراية بالموقف أنه بائس وغبي، رغم أنهم، بالطبع، سيمدحونه في العلن، ويخدعون بعضهم البعض خوفًا من المعاناة من الظلم. (360b–d)

(183) هو شخص يتبنى وجهة النظر الخاطئة أو المخالفة بغرض تفنيدها في النقاش. (المترجم)
(184) Blondell, *Play of Character in Plato's Dialogues*, p. 190.

لا يجادل جلوكون عدمية ثراسيماخوس المتشائم. كان السفسطائي قد جادل بأنه لا توجد حقائق أخلاقية موضوعية، بينما يبدو أن جلوكون يعترف، وإن كان بشكل غامض، بأن مثل هذه الحقائق قد تكون موجودة، لكن إن كانت موجودة فهي بعيدة تمامًا عن تغيير سلوكنا. حتى لو أقنعتني أن ثمة خطأ، فلماذا ينبغي عليّ أن أغير سلوكي، خاصة إذا كنتُ قويًا بما يكفي - أو مخادعًا بما يكفي - لأفلت من العقاب؟ الخوف من الضرر الذي يمكن أن نلحقه بأنفسنا وسمعتنا - صيتنا - هو ما يملك أي تأثير على إرادتنا، يقول جلوكون، كما لو كان ذلك ضد إرادته. يمكنكم جميعًا سماعه يتوسل: من فضلكم، من فضلكم أقنعوني بخلاف ذلك.

لم يكن ثراسيماخوس وجلوكون بأي حال من الأحوال يقدمان نفس الآراء. يتحدث ثراسيماخوس عن روح استثنائي لم تتعرض للإصلاح تمنح رخصة للفردية التامة. إنه أيان راند أثيني. الشخص الاستثنائي هو الشخص الذي يمكنه التصرف كما يشاء. إنه يجسد آريت، نوع السمات البشرية التي تمثل «الصيت»، ولا يوجد معيار خارجي يمكن من خلاله الحكم عليه. كل شيء حول ثراسيماخوس وآرائه وطريقته وصوته العالي في طرحها، يسلط الضوء على الطبيعة غير الاجتماعية لنسخته من روح الاستثنائي.

إن روحًا تشجع على الاستثنائية التي تقاس إلى كليوس يمكن أن تؤدي بسهولة إلى فردية تُسقط التكاليف. لم تكن تلك مشكلة نظرية فحسب، بل كانت مشكلة عملية، خاصة في أثينا، التي كان إحساسها الجماعي بالاستثنائية أمرًا يتعلق بأفرادها غير العاديين. (يجب مقارنة إسبرطة بأثينا في هذا الصدد. لقد تجنبت استثنائية إسبرطة الفردية.) يمكن أن يطلق على المأزق الأثيني - التأثير المزعزع للاستقرار المحتمل الناتج عن الاحتفاء بالاستثنائية الفردية من أجل أنها استثنائية - «مشكلة ألسبيادس»، نسبة إلى ألسبيادس الشهير. ترك هذا الشخص الذي لا يمكن إنكار استثنائيته وراءه سلسلة من الخيانة الكبيرة والاضطراب. خان أثينا لعدوتها اللدودة إسبرطة، ثم خان إسبرطة لأثينا، ثم خان أثينا وإسبرطة للفرس. ألسبيادس، جميل كإله، لامع في الخطابة والبراعة العسكرية، غني وصاحب كاريزما، يصر دائمًا على ما

يريد وفي كثير من الأحيان يحصل عليه، ويمضي كما لو كان، مثل أخيل، قد جاء أيضًا من أبوين مختلطين ميتافيزيقيًا: كيف إذًا لا يحبه الأثينيون، بغض النظر عن عدد المرات التي استغلهم فيها وآذاهم، وضللهم وأساء معاملتهم؟ [185] لم يكن ألسيبادس أخيل أثينا فقط. لقد كان وتر أخيل أثينا.

كان ذلك الرجل الجدير بكليوس قد مات منذ عدة عقود عندما كتب أفلاطون الجمهورية، بعد أن عاش الحياة القصيرة ولكن الاستثنائية المتوقعة له، مات على يد قاتل محترف (أو هكذا تقول إحدى حكايات نهايته). لم تستطع وجهة نظر ثراسيماخوس حشد أي أساس لإيجاد عيب في ألسيبادس، لكن وجهة نظر ثراسيماخوس لم تكن رأي أغلبية مواطني أثينا في مسألة رجال مثل ألسيبادس، الذين تسمح لهم استثنائيتهم بالإفلات من العقاب في كل ما يفعلونه.

وهذا هو الموضع الذي يظهر فيه جلوكون في محاورة الجمهورية، ممثلًا أثينا التي تدرك مخاطر الفردية التي تسقط التكاليف. تدرك أثينا جلوكون مشكلتها المتمثلة في شخصية ألسيبادس وهي أن هناك من يملكون شيئًا من قبيل خاتم جايجس بفضل مزاياهم الشخصية - وهو يقدم حلًا سياسيًا. لأجل صالح البوليس، يجب أن تكون هناك بعض التنازلات. صالح البوليس أهم من الاستثنائية السائبة للأفراد، ولذا فقد تنازل الرجال بحرية عن بعض حريتهم. والتزموا بنوع من العقد الاجتماعي، ومن هذا المنطلق اشتُقّت جميع مفاهيم العدالة والظلم.

جلوكون أفلاطون، وهو يطور نظرته المسيسة للعدالة، يسبق هوبز. في حالة الطبيعة، إذا جاز التعبير، لا عدل ولا ظلم. الطبيعة هي عالم ثراسيماخوس، حيث يسعى الأفراد جميعًا إلى فرض إرادتهم الخاصة، فيتسببون في المعاناة حسبما تستدعي حاجتهم من أجل الحصول على ما يريدون. فرض إرادتك خير، في حين أن يفرض شخص آخر إرادته عليك فهذا شر. لكن الرجال اكتشفوا أن الشر أعظم من الخير، كما يقول جلوكون (359a)، الذي يبدو أنه يقصد ذلك نوعًا، فالألم الناتج عن فرض

(185) انظر الفصل إبسيلون للمزيد من التفاصيل حول حياة ألسيبادس المشبعة بكليوس.

الآخرين إرادتهم عليك، هو من واقع التجربة أشد من متعة فرضك إرادتك على الآخرين. وأيضًا، يقصده كمًّا، عدد المستغَلين أكبر من عدد من يستغلونهم.[186] ولهذا السبب قرر الرجال أنه من المفيد أن نتوصل إلى اتفاق فيما بيننا بألا نَظلم أو نُظلم. ونتيجة لذلك، بدأوا في سن القوانين والعهود، وما يأمر به القانون يسمونه قانونيًا وعادلًا. وهذا، كما يقولون، هو أصل وجوهر العدالة. الوسط بين الأفضل والأسوأ. الأفضل هو الظلم دون التعرض للعقاب. الأسوأ هو معاناة الظلم دون القدرة على الانتقام. العدل وسط بين هذين النقيضين. والناس يقدرونه ليس لأنه خير ولكن لأنهم أضعف من أن يفعلوا الظلم ويأمنوا العقاب. ومع ذلك، فإن الشخص الذي لديه القدرة على القيام بذلك، وهو إنسان حقيقي، لن يعقد مع أي شخص مثل هذا الاتفاق على ألا يقترف الظلم حتى لا يعاني منه. بالنسبة له سيكون ذلك جنونًا. هذه هي طبيعة العدالة، بحسب الحجة، يا سقراط، وهذه هي أصولها الطبيعية. (359a–b)

الرؤية التي جعل أفلاطون جلوكون يطورها حديثة بشكل مذهل. فهو لا يستبق نظرية هوبز عن العقد الاجتماعي فحسب، بل يصوغ المنطق الكامن وراء العقد الاجتماعي بمصطلحات نظرية الألعاب، مُعرِّفًا ما نسميه اليوم معضلة السجينين. يتخذ «اللاعبون العقلانيون» في حجة جلوكون قراراتهم بناءً على محاولة تجنب أسوأ مردود ممكن، المتمثل في التصرف أخلاقيًا ثم التعرض لاستغلال الآخرين، وثاني أسوأ مردود، وهو العيش في عالم يَستغلون فيه ويُستغلون، حتى لو كانت نفس تلك القرارات تستبعد فرصتهم في الحصول على أفضل عائد ممكن، أي استغلال الأبرياء الآخرين الذين لا يستغلونهم في المقابل. من أجل تجنب التعرض للاستغلال الأقصى، على الشخص العقلاني أن يتخلى عن فرصة ممارسة الاستغلال الأقصى.[187] يبدو هذا، سواء في أيام أفلاطون أو في أيامنا، وصفًا جيدًا كأجود ما يكون

(186) يمكننا أيضًا استحضار القانون الثاني للديناميكا الحرارية. هناك عدد أقل من الحالات النافعة للعالم مقارنة بالحالات الضارة؛ التدمير وإحداث الضرر أسهل من الخلق وإنماء الخير.

(187) تتضمن معضلة السجينين، التي جعل أفلاطون جلوكون يتوقعها، السيناريو التالي. يُقبض عليك وعلى شريكك في الجريمة، ويُوضع كل منكما في الحبس الانفرادي ولا يمكنكما التواصل فيما بينكما.

لطبيعة السياسة، إذا كانت السياسة تتمثل في نظام اجتماعي مستقر وقابل للحياة. لكن هل تصف طبيعة العدالة؟ لا يعتقد أفلاطون ذلك، ويقضي الجزء الأكبر من **الجمهورية** في دحض وجهة نظر جلوكون - الأثينية - بأن مطالب السياسة تملي طبيعة الأخلاق. على العكس تمامًا، كما يقول، فإن مطالب الأخلاق تملي - أو على الأقل **ينبغي** أن تملي - طبيعة السياسة.

كان الرأي القائل بأن الأخلاق سياسية في الأساس أكثر شيوعًا في أثينا من ماركة ثراسيماخوس من العدمية. كانت عدمية ثراسيماخوس أكثر انسجامًا مع تعاليم العديد من السفسطائيين، وكان معظم الأثينيون لا يثقون بالسفسطائيين ويحتقرونهم. (إحدى التهم التي شعر سقراط أنه يجب عليه الدفاع عن نفسه ضدها أثناء محاكمته هي أنه سفسطائي. وهو السبب في إصراره على أنه لم يتلق أية رسوم مقابل خدماته مطلقًا.)

إن وجهة نظر جلوكون، التي أصبحت فيها آريت اجتماعية ومنتشرة، تتماشى كثيرًا مع وجهة نظر معظم الأثينيين، إلا أنها أكثر تعقيدًا بكثير - وأكثر انفصالًا عن خصوصيات الاستثنائية الأثينية من أي شيء يُحتمل أن تسمعه في الأجورا التي تجول بها سقراط، وهو يلح باستمرار بأسئلته. لا يزال من المتطلبات على طاولة النقاش الفلسفي أنه من أجل دحض استنتاج ما، عليك أن تقدم أفضل حجة ممكنة له. هذا ما يحاول أفلاطون فعله بمحاولة جلوكون إدخال الأخلاق في السياسة. يبني أفلاطون تعقيدًا نظريًا حول ما لم يكن، عند معظم مواطني أثينا، يتجاوز افتراض أن كل هذه الأمور المتعلقة بعيش حياة تستحق أن تعاش قد انتُهي منها، أي أنه لم يكن عليهم التفكير في أي من هذه الأسئلة لأنهم كانوا محظوظين جدًا لكونهم من أهل

يعرض عليك الضابط المدعي صفقة. ليس لدى الشرطة أدلة كافية لإدانتك، لذا فهم يعتمدون على أحدكما ليشي بالآخر وسوف يكافئونك بالحرية إذا فعلت ذلك. بينما سيسجن زميلك البائس لعشر سنوات. أو العكس: إذا بقيت مخلصًا له بينما وشى هو بك، ستسجن لعشر سنوات ويخرج هو. وإذا ورط كل منكما الآخر، فسيسجن كلاكما لست سنوات. ولكن إذا بقي كل منكما مخلصًا، لا تستطيع الشرطة إلا إدانتكما بتهمة أقل، وستخرجان كلاكما بعد سنة. الوضع الأفضل لك أن تخون شريكك المخلص، والأسوأ أن تتعرض للخيانة، وإذا خان كلاكما الآخر ستكون النتيجة سيئة أيضًا: التعاون هو النتيجة الأقل سوءًا بالنسبة لكما مجتمعين.

أثينا، وهي بوليس استثنائية عرّفت معنى **آريت** لكل العالم. (هناك أمريكيون يملكون نفس الإحساس، بالإضافة إلى مواطني دول قومية الأخرى.) ربما كان لدى سقراط الصبر لمحاولة إقناع مواطنيه بالتخلي عن خمولهم، لكن أفلاطون يريد أن تكون الآراء التي يدحضها جديرة بالدحض.

في **الجمهورية**، يدرك جلوكون أن مفهومه عن العدالة المستمد من نظرية الألعاب لا يملك القوة لإلجام شخص يرتدي خاتم جايجس وبالتالي يمكنه الإفلات من أي شيء. لا يمكنه حتى إلجام أمثال ألسيبادس. ولا يستطيع جلوكون حتى أن يقول بأنه ينبغي عليه ذلك. ما هو السبب المنطقي الذي قد يجعل الشخص الذي يمكنه دائمًا الحصول على ما يريد واستغلال أي شخص يريد يلتزم بقرارات أولئك الذين قد يُستغلون بقدر ما يَستغلون؟ ما هو منطقي بالنسبة لهم لن يكون منطقيًا بالنسبة له. يريد جلوكون من سقراط أن يخبره ما إذا كانت هناك مفاهيم عن الخير والعدالة تنطبق حتى على أولئك الذين لا ينضوون، بسبب مزاياهم الخاصة، تحت بناءه النظري للأخلاق؛ وإذا كانت موجودة، فهو يريد من سقراط أن يخبره ما إذا كانت هذه المفاهيم تملك أي قوة يمكنها من خلالها إجبار الشخص العقلاني على التصرف بشكل مختلف وفقا لها، حتى لو اختار عدم فعل ذلك، بما أنه يستطيع أن يفلت من أي شيء يصيبه بأي ضرر. إذا كانت الحقائق الأخلاقية من صنع المجتمع («ونتيجة لذلك، بدأوا في سن القوانين والعهود، وما يأمر به القانون يسمونه قانونيًا وعادلًا.») فإن الشخص الذي يكون متأكدًا من ألا يلحقه العار الاجتماعي سيفعل ما يريد. أليس هذا منطقيًا يا سقراط؟

في سياق **الجمهورية** يزعم أفلاطون أن الحقائق الأخلاقية لا تملك فقط القوة، عندما نراها كما هي بالفعل وليس كما تبدو في سياق بناء اجتماعي، لإملاء تصرفات الشخص العقلاني؛ لكن الحقائق الأخلاقية لديها القوة لإملاء النظام العقلاني **للبوليس**، والذي سيساعد بدوره في تعزيز السلوكيات الجيدة لدى مواطنيها. البوليس الصالحة يصنعها الشخص الصالح، ذي الشخصية الأخلاقية السليمة، والبوليس الصالحة، بدورها، تساعد على تربية الأشخاص الصالحين، ذوي

الشخصية الأخلاقية السليمة. يقطع أفلاطون مسافة طويلة جدًا في **الجمهورية** أبعد كثيرًا من عدمية ثراسيماخوس والبنائية الاجتماعية لجلوكون.

وقد أبقى أفلاطون شقيقه الأكبر قريبًا طوال محاورة **الجمهورية**، ليصبح الرجل المؤيد لسقراط في أسطورة الكهف الشهيرة (514a–520a) ويحصل على المباركة النهائية من سقراط – وبالتالي من أفلاطون – في الأسطر الختامية من **الجمهورية**: «وهكذا، يا جلوكون، لم تضِع القصة بل حُفظت، ولسوف تنقذنا، إذا اقتنعنا بها، لأننا سنعبر تمامًا نهر النسيان.[188] ولن تتنجس نفوسنا» (621c–b). مرة أخرى تعود القصة إلى الموت وعلاقته بسؤال ما هو معنى أن تحيا حياة تستحق أن تعاش. ويتساءل المرء كيف شعر أفلاطون وهو يوجه مثل هذه الكلمات إلى أخيه الأكبر، الذي ربما كان قد توفي عندما كتبها أفلاطون. هل كانت «القصة» المحفوظة متأخرة جدًا لإنقاذ الأخ الذي سمح أفلاطون له بالتحديق في الرؤية اليوتوبية التي جعل سقراط ينشئها في صورة **كاليبوليس**، المدينة الجميلة، التي هي بالتأكيد **ليست** أثينا؟ هل عاش جلوكون حياته في وفاق مع ما جعله أفلاطون يقوله أول مرة، فكرة أن الأحمق وحده هو من يسمح للحقيقة الأخلاقية بإملاء أفعاله وتشكيل حياته بدلًا من الآراء التي يحملها مواطنوه عنه؟ اسمه على الشفاه، شخص ذا وزن في الأجورا والمجلس، هذا الأخ الأكبر الذي سمع منه أفلاطون لأول مرة عن الرجل الذي كرس حياته لمحاولة إقناع المواطنين الفخورين في مدينته بأنهم لا يملكون أية فكرة عما يفعلونه بحياتهم؟

لعلك لاحظت أنني أضع أسئلة سقراط – وبالتالي ولادة الفلسفة كما أشرف عليها أفلاطون – في سياق تاريخي، خلقه كل من انشغال العصر المحوري الأوسع بالمعضلات الوجودية، والاستجابة الأثينية التي نشأت من روحها التي شكلها هوميروس. لقد تدربت كفيلسوفة على ألا أضع الفلاسفة وأفكارهم في سياقات

---

(188) المقصود نهر ليثي الذي يعني "النسيان "أو "الغفلة"، أحد الأنهار الخمسة التي تتدفق عبر عالم هاديس السفلي.

تاريخية، لأن السياق التاريخي لا علاقة له بصحة مواقف الفيلسوف. وأوافق على أن تقييم الصلاحية والسياق التاريخي هما مسألتان منفصلتان تمامًا ولا يجب الخلط بينهما. لكن هذا التمييز الصارم لا يقودني إلى تأييد الطريقة المعتادة التي يُعرض بها تاريخ الفلسفة. التي تتمثل في حوار مثالي بين الفلاسفة - سقراط وأفلاطون وأرسطو وأوغسطين وأكويناس، وديكارت وسبينوزا ولوك وليبنتز وبيركلي وهيوم وكانط و...- يتحدث الفلاسفة عبر القرون، مع بعضهم حصريًا، منعزلين بإحكام عن أية تأثيرات مستمدة من الحوار غير الفلسفي، القصة أكثر إثارة من ذلك بكثير.

التفرقة التي قدمها فيلسوف العلم هانز رايشنباخ بدت دائمًا مفيدة جدًا بالنسبة لي في إبقاء مجموعتي الأسئلة - التأثيرات التاريخية وتقييمات الصلاحية - غير مختلطتين. ميّز رايشنباخ بين «سياق الاكتشاف» من جهة، وبين «سياق التبرير» من جهة أخرى. عندما تسأل لماذا عنّ سؤال معين لعالم أو فيلسوف أول مرة، أو لماذا بدا هذا النهج بعينه طبيعيًا، فإن أسئلتك تتعلق بسياق الاكتشاف. عندما تسأل عما إذا كانت الحجة التي يطرحها الفيلسوف للإجابة على هذا السؤال صحيحة، أو ما إذا كان الدليل يبرر النظرية العلمية المقترحة، فأنت تدخل في سياق التبرير. اعتبارات التاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم النفس متصلة بسياق الاكتشاف، لكن ليس التبرير. وعليك ألا تخلط بينهما، على الرغم من أنه في بعض الأحيان يمكن إنشاء علاقات مفيدة بينهما. في بعض الأحيان، على سبيل المثال، يمكن أن يساعد فحص سياق الاكتشاف في التخلص من الفرضيات غير المعلنة في الحجة، والافتراضات المسبقة التي اعتُبرت بديهية جدًا في سياق عقلية المفكر، سواء لأسباب ثقافية، أو لأسباب شخصية، أو بسبب التفاعلات بين الثقافي والشخصي فلم يُهتمّ لذكرها. لكن لا يزال تقييم تلك البديهيات من حيث سلامة الحجة لا يتم من خلال العمل الذي يأتي في سياق الاكتشاف. وعلى العكس من ذلك، لا يقلل المرء من إنجازات الفيلسوف، ولا يقوض سلامتها، من خلال إظهار كيف أن مجموعة الأسئلة التي ركز عليها، التوجه الذي جعله موضع تركيزه، لديه بعض الروابط السببية مع ظروف حياته. في كتاب سابق، حاولت أن أوضح كيف كانت ظروف

حياة سبينوزا - على وجه الخصوص- كونه عضوًا، حتى سن الثالثة والعشرين، في المجتمع اليهودي البرتغالي في أمستردام، وجميعهم لاجئون من محاكم التفتيش الإسبانية - البرتغالية، التي كانت مستعرة في ذلك الوقت - على نهجه العقلاني الراديكالي في الفلسفة، وعلى الأخص انشغاله بقضايا الهوية الشخصية. خلط بعض القراء بين سياق الاكتشاف وسياق التبرير، معتقدين أنني ربما كنت أجادل في أن المواقف الفلسفية لسبينوزا لا أساس لها لأن تاريخه الشخصي ساعد في تحديد المشكلات التي قرر حلها، فاعتقدت أنه قد يكون من المفيد توضيح تفرقة رايتشنباخ هنا. هناك منطقة وسط ذهبية يجب إقامتها بين تطرف التاريخانية من جهة، وتطرف الانعزالية الفلسفية من جهة أخرى، يساعد تمييز رايشنباخ على حل هذا الانقسام الزائف.

وهكذا، مع الأخذ في الاعتبار أنني هنا اتحدث في سياق الاكتشاف وليس سياق التبرير، اسمحوا لي أن ألخص:

هجر سقراط جذريًا روح الاستثنائي الهومرية، خاصة أنها أصبحت أكثر شدة وتعرضت للتسييس في قبل أثينا الإمبريالية. يستخدم أفلاطون الصفة اليونانية أتوبوس atopos، التي تعني بلا مكان، غريب، والاسم أتوبيا atopia خاصية الوجود في غير مكانك، الغرابة، مرارًا وتكرارًا لوصف سقراط.[189] كان سقراط غريبًا بالطريقة التي يكون بها المختلفون معياريًا مع مجتمعهم غريبين. حاكمه الأثينيون لانتهاكه قيمهم، وكانوا على حق في أن مثل هذا الانتهاك كان بالضبط ما جال في ذهنه. ماهو الأكثر تعدي من مهاجمتك فكرةً مركزية مثل **آريت**، الركيزة الأساسية لروح الاستثنائي؟ ربما صيغت إحدى التهم الموجهة إليه من منظور ديني - فهو يقدم آلهة جديدة - لكن، وكما يبذل أفلاطون جهده ليبين لنا في تأليفه **للجمهورية**،[190] كان الأثينيون متسامحين مع الآلهة الجديدة. كان سقراط زنديقًا على

(189) أشار السبيادس إلى أتوبيا سقراط في الندوة 215a، و221 .dيوصف سقراط بأنه أتوبوس في جورجياس 494d وأتوبوتاتوس (صيغة مبالة) في ثياتيتوس 149a وفايدروس 230c.
(190) انظر ص. 379 أدناه.

مستوىً آخر، مزعجًا أكثر بكثير لمواطنيه الأثينيين، خاصة في تلك اللحظة من تاريخهم، كما سنرى في الفصل زيتا ζ.

ما مدى خطورة مناقشة معنى أن تحيا حياة تستحق أن تعاش تحت ظلال الأكروبوليس؟ تكمن الإجابة على هذا السؤال بالذات فيما تحويه قنينة شوكران.



δ (دلتا)

أفلاطون في مركز شارع Y92

يجمع مركز الرابطة العبرية للشبان والشابات بشارع 92 طليعة قادة المفكرين والمعلمين والخبراء في البلاد لتبادل الخبرات وإلهام العمل في المجتمع العالمي، وهو مركز للنقاش المبدع الذي يعلم ويؤثر ويدفع ثقافتنا إلى الأمام.

انضموا إلينا في مركز Y92 فيما نعدكم بأن يكون أبرز حدث في الموسم. سيقود زاكاري بيرنز، كاتب العمود المحبوب في الصحيفة الشهيرة، مناقشة حول «كيفية تربية طفل استثنائي». رفقة زاك ستكون المؤلفة الأكثر مبيعًا ميتزي مونيتز، مؤلفة كتاب احترم طفلك: كيف ينتهك حتى أفضل الآباء أطفالهم ويشوهونهم ويدنسونهم، وصوفي زي، مؤلفة الكتاب الأكثر مبيعًا دليل الأم المحاربة لتربية أطفال فائقين، وأفلاطون، مؤلف كتاب الجمهورية الأكثر مبيعًا.

بيرنز: أود أن أحيي الحاضرين جميعًا على مجيئهم في هذه الأمسية العاصفة الثلجية. إنها لشهادة حقيقية لأعضاء اللجنة الثلاثة البارزين الموجودين هنا على المنصة معي أنه ليس فقط لا يوجد مقعد واحد فارغ في الغرفة، ولكن كان علينا استيعاب الجمهور الزائد في غرف إضافية حيث يشاهدون المناقشة على دائرة تلفزيونية مغلقة الدائرة.

لكن لا عجب أن الكثيرين على استعداد لمواجهة عاصفة ثلجية لسماع حوار الليلة. فلسنا محظوظين فقط بوجود ثلاثة مؤلفين مشهودٌ لهم دوليًا ممن كتبوا بشكل مكثف ومثير للجدل حول موضوع تربية الأطفال، ولكن الموضوع نفسه مضمون

لإثارة ردود فعل عميقة. ولسنا بحاجة إلى «ميم» الجين الأناني لتذكيرنا بأن كل جيل يستثمر الكثير في رغبته أن ينجح أطفالهم في حياتهم، ما اعتاد أجدادي على تسميته naches foon der kinder أي، naches بالأطفال. لحظة. هل عليّ ترجمة naches؟ إنها يدشية وليس هناك ما يعادلها في الإنجليزية بالضبط. هل يعلم أي منكم ترجمتها؟

زي: ألا تعني ذلك الفخر الذي يشعر به الآباء بإنجازات أبنائهم؟

بيرنز، ضاحكًا: أنتِ حقًا شديدة التفوق، أليس كذلك؟

زي، ضاحكةً: حسنًا، أنا متزوجة من رجل يهودي. حماتي يهودية. يضحك الجمهور، زي تبتسم مشرقة.

بيرنز: إنها صوفي زي، يا رفاق، وإنه لشرف لي بصفتي منسقَ حدث الليلة أن أقدمها رسميًا هي وزملائها أعضاء اللجنة. بالطبع، كلهم أصحاب إنجازات لو أردت أن أسردها في سيرهم الذاتية، فسنخيم هنا طوال الليل، وهو ما قد نضطر لفعله على أية حال، نظرًا لتوقعات الطقس. ومع ذلك، أعلم أنكم حريصون على سماع آرائهم، لذا سأقصر نفسي على النقاط الهامة، لا سيما تلك التي تنطبق على مناقشة الليلة. بالمناسبة أنا زاك بيرنز، صحفي متواضع. ضحكات متناثرة من الجمهور.

ولدت الدكتورة ميتزي مونيتز، الجالسة على يساري مباشرة، في فيينا، حيث تدربت كمحللة نفسية، لكن بعد عشرين عامًا من الممارسة تخلت عن التحليل النفسي باعتباره متآمرًا في نفس بنية القوة الشريرة للأبوة الاستغلالية كما يفعل باقي المجتمع. لقد غيرت أفكار الدكتورة مونيتز بشكل عميق ثقافة تربية الأطفال، مما زاد من إدراكنا للأشكال الأكثر دقة التي يمكن أن تتخذها الإساءة للأطفال وشجع الناس على إعادة النظر في طفولتهم بحثًا عن الإساءة التي ربما تعرضوا لها. وصف أحد

النقاد الدكتورة مونيتز بأنها «الحلقة المفقودة بين فرويد وأوبرا»[191]. احترم طفلك، الذي باع عددًا ضخمًا يبلغ 800000 نسخة.

مونيتز: اعتذاري، السيد المنسق، ولكن هنا يجب أن أصحح لك. بيعت مليون نسخة من كتاب «احترم طفلك» حتى الآن وتُرجم إلى أكثر من ثلاثين لغة.

بيرنز: احترم طفلك، الذي باع عددًا ضخمًا حقًا يبلغ مليون نسخة، سيكون متاحًا للشراء بعد حدث الليلة، جنبًا إلى جنب مع أحدث كتاب للدكتورة مونيتز، اضطراب ما بعد الصدمة: اسم آخر للحياة.

وإلى يمين الدكتورة مونيتز تجلس صوفي زي. البروفيسورة زي هي أميركية من الجيل الأول[192] ولدت في بالو ألتو، كاليفورنيا، ودرست بجامعة ستانفورد ثم التحقت بكلية الحقوق بجامعة ستانفورد، حيث تشغل الآن منصب أستاذة فراكاس في القانون. البروفيسورة زي هي مؤلفة العديد من الكتب العميقة ودراسات الحالة، لكن الكتاب الذي دفعها إلى الشهرة العالمية هو دليل الأم المحاربة لتربية أطفال فائقين. هل نقول جدلًا! لقد أشعل هذا الكتاب عاصفة نارية، ليس فقط من الساحل إلى الساحل ولكن في جميع أنحاء العالم.

مونيتز: معذرةً، لكن لا بد لي من المقاطعة مرة أخرى، لأنه على الرغم من هذه الشهرة الدولية التي تصفها، ما زلت لم أسمع بهذه الكاتبة ولا بعملها ويجب أن أسأل إذا ما كان المقصود بالعنوان هو السخرية. لأنه لا يبدو أنه بعد اكتشافاتي الرائدة في علم النفس المرضي لتربية الأطفال اليومية، يمكن لأي شخص، بكل جدية، أن يقدم بطريقة غير ساخرة مثل هذه الأطروحة كما تبدو من خلال القراءة الحرفية لهذا العنوان.

بيرنز: كما ترون، سيداتي وسادتي، لم أكذب عليكم! لقد وعدتكم بالجدل، وقد

(191) . هذه العبارة الرائعة لدافني ميركين، "الحقيقة ستحررك"، نيويورك تايمز بوك ريفيو، 27 يناير 2002.

(192) . أي مولودة لأبوين مهاجرين. (المترجم)

ثار لدينا الجدل حتى قبل أن أنهي التقديم! دعينا نؤجل رد البروفيسورة زي على سؤالك، دكتورة مونيتز، على الأقل حتى ننتهي من هذا التمهيد. اختيرت البروفيسورة زي مؤخرًا ضمن قائمة مجلة تايم لأكثر 100 شخصية مؤثرة في العالم.

مونيتز، تتمتم: آخ، من سوء حظ العالم.

بيرنز: وبالطبع سيكون كتابها متاحًا للشراء والتوقيع مباشرة بعد الحدث. والآن أنتقل إلى آخر عضو في اللجنة، أفلاطون. إنه أفلاطون فقط، أليس كذلك؟ ليس الدكتور أفلاطون؟

أفلاطون: هذا صحيح.

بيرنز: لكن بالطبع كنت تدرّس معظم حياتك المهنية. لذا أفترض أنه من الصواب أن أدعوك البروفيسور أفلاطون.

أفلاطون: سيكون أفلاطون كافيًا. أفلاطون هو ما أدعى به.

بيرنز: أفلاطون إذًا! لطالما احتُفِيَ بأفلاطون كواحد من أكثر المفكرين إبداعًا وتأثيرًا في تاريخ الفكر الغربي. في الواقع، زعم البعض في أن الفلسفة بأكملها عبارة عن هوامش على أفلاطون، وهو إطراء كبير بالفعل. ولد في أثينا باليونان، المدينة التي أمضى فيها معظم حياته ودرس فيها بشكل غير رسمي عندما كان شابًا تحت الفيلسوف الشهير سقراط. تأثر أفلاطون جدًا بفكر سقراط – على الرغم من أن سقراط، كما أفهم، لم ينشر أبدًا كتابًا واحدًا أو مقالًا في دورية – فتخلى عن آماله في أن يصبح كاتبًا مسرحيًا وشاعرًا، وبدلًا من ذلك أصبح فيلسوفًا. وأعتقد أن الدكتورة مونيتز قد يكون لديها بعض الأسئلة لتطرحها عليك بخصوص رد فعل والديك على هذين الاختيارين، الشعر والفلسفة.

مونيتز: لدي بالفعل العديد من الأسئلة العاجلة التي أود طرحها على أفلاطون بخصوص والديه. يقدم لي أفلاطون كحالة كلاسيكية من الاستذهان بغرض كي الجراح العميقة التي لحقت به خلال حياته المبكرة المؤثرة.

بيرنز: في الوقت المناسب، دكتورة مونيتز، في الوقت المناسب. أكمل، ألّف أفلاطون ما لا يقل عن ستة وعشرين عملًا، أعلم أن هناك أشخاصًا يريدون أن ينسبوا لك المزيد من الأعمال، لكنك بقيت مبهمًا. ينظر بتساؤل إلى أفلاطون، كما لو كان يأمل أن يكشف أفلاطون ما إذا كان ألسبيادس الأول والثاني، هيبارخوس، أماتوريس، ثيج، هيبياس الكبرى، مينون - ناهيك عن أي من الرسائل الثلاث عشرة، بما في ذلك الرسالة السابعة المحيرة -كلها منحولة، لكن أفلاطون يحافظ على هيئته الغامضة. آه، حسنًا، أعتقد أن اللغز لن يُحل في شارع 92 واي هذا المساء. كُتبت جميع أعمال أفلاطون بأسلوب المحاورات المميز، وبعضها عُد من الروائع، بما في ذلك أفضل كتبه مبيعًا، الجمهورية، والذي سيكون متاحًا للشراء، إلى جانب جميع أعماله الأخرى حتى الآن، بعد مناقشتنا والذي أظن أنه دُرّس في مناهج جامعية أكثر من أي كتاب آخر على الإطلاق. هل لديك فكرة عن عدد النسخ التي باعها كتاب الجمهورية يا بروفيسور أفلاطون؟

أفلاطون: من فضلك، أفلاطون فقط. ولا، ليس لدي أية فكرة على الإطلاق عن عدد النسخ التي باعها الجمهورية. ولكن يمكننا البحث في غوغل. حاسوبي المحمول هنا. يمد أفلاطون يده للحاسوب الموضوع تحت مقعده.

بيرنز: أوه، لا، لا داعي، يا أفلاطون، لسنا بحاجة إلى غوغل الآن. كان مجرد فضول. هل لديك أية فكرة عن عدد اللغات التي تُرجم إليها؟

أفلاطون: أخشى أنه تعوزني تلك المعرفة أيضًا. أعلم أنه تُرجم إلى الإنجليزية واللاتينية.[193]

بيرنز: وأنا أؤكد ذلك! قرأت كتاب الجمهورية لأول مرة - وكان باللغة

(193) العنوان اليوناني لكتاب أفلاطون هو Politeia. يُشتق عنوان الجمهورية من الكلمة اللاتينية res publica، والتي تعني "الأشياء العامة" أو "الشؤون العامة". جاء المصطلح، خلال الحقبة الرومانية، للإشارة إلى شكل من أشكال الحكومة التي لا يرأسها ملك وفيها يجب أن يختار على الأقل جزء من السكان - سواء كان الشعب ككل أو الأرستقراطية - الحكومة. مدينة أفلاطون المثالية - التي يسميها كالهبوليس، مدينته الجميلة - يرأسها ملك فيلسوف، وبالتالي فهي لا تعتبر جمهورية.

الإنجليزية، أشعر بالخجل من الاعتراف بذلك، وليس بلغته اليونانية الأصلية - عندما كنت طالبًا جديدًا في جامعة كولومبيا، في الجهة المقابلة من المدينة، وكان ضمن المنهج الإلزامي لـ CC، أو الحضارة المعاصرة Contemporary Civilization. في الواقع، كان كتاب الجمهورية من أوائل الكتب التي قرأناها - مباشرة بعد الإلياذة والأوديسة - خلال تلك السنة المذهلة من دراسة الكلاسيكيات التي مهدت للمرحلة المعاصرة. لو أخبرني أي أحد حينها أنه في يوم من الأيام سأتمكن من التحدث إلى المؤلف وستتاح لي الفرصة لإمطاره بالأسئلة، لكنت أخبرته أن هذا جنون. أوتعلمون؟ إنه جنون! يضحك الحاضرون.

على أي حال، على الرغم من نجاح أفلاطون في مجال النشر، فهو أيضًا مُدرس مشهور. لم يؤسس فقط جامعته ذات التصنيف العالي، الأكاديمية، ولكنه استمر في التدريس هناك، الأمر الذي يختلف بشكل منعش مع الحكايات التي نسمعها صادرة من جامعاتنا رفيعة المستوى، حيث غالبًا ما لا يرى الطلاب الجامعيين الأساتذة المشاهير. وقد سمعت أن محاضرة أفلاطون العامة عن «الخير» أسطورية. وفي أيامنا هذه حيث يبدأ الآباء في الادخار لتعليم أبنائهم الجامعي عندما يكون الطالب لا يزال في الرحم، تمكنت الأكاديمية بطريقة ما من عدم فرض أية رسوم دراسية. أي ما مجموعه الكلي صفر دولار، أو لعله ينبغي أن أقول، يورو، بافتراض أن اليونان لا تزال في منطقة اليورو - لكن هل سيكون هناك فارق سواء كان اليورو أو الدولار عندما يكون المبلغ صفرًا؟ أعتقد أن هذا هو نوع المعضلات الذي وُجد لأجل الفيلسوف. ربما زميلك بارمينيدس؟ [194]

أفلاطون: ربما.

بيرنز: ميزة أخرى مثيرة للاهتمام في الأكاديمية هو أن هناك شرطًا واحدًا

(194) . ولد الفيلسوف الذي وجد في حقبة ما قبل سقراط، بارمينيدس، قرابة عام 515 قبل الميلاد، وكان مهووسًا باستنباط منطق العدم. انطلاقًا من تكراره الأساسي بأن ما هو غير موجود غير موجود، شرع بارمينيدس في تأمل سؤال ما يمكن اعتباره حقًا غير موجود. واستنتاجه: لا شيء.

للالتحاق بها، وهو الهندسة[195]. أو لنقلها بكلمات يألفها الأمريكي، فأنت لا تحتاج إلى اختبار سات اللفظي، فقط اختبار سات للرياضيات، الوضع الذي كان سيجعلني بالتأكيد في موقف غير جيد! لكني لا أحمل ضغينة لك! أيضًا - وكان هذا شيئًا فوجئت بمعرفته - أكاديميتك هي واحدة من مؤسسات النخبة القليلة التي كان التعليم فيها مختلطًا منذ البداية. تعليم مختلط، بدون رسوم دراسية، واختبار سات واحد فقط: لا بد أنكم غارقون في طلبات التقدم!

أفلاطون: في الواقع، لسنا كذلك.

بيرنز: حقًا؟ أنا متفاجئ. قد يكون البعض منكم قد قرأ مقالة حديثة، نشرتها المجلة المحترمة التي أعمل بها، تورد النتائج التي توصل إليها اثنان من علماء الاقتصاد الذين أجريا دراسة طويلة المدى وجدت أن المعلمين الأكفاء يتركون أثرًا يمتد على مدى حياة طلابهم ويصل إلى ما هو أبعد من الدراسة فقط إلى جميع أوجه جودة الحياة، بما في ذلك الرواتب المرتفعة[196]. يمكن لمعلمة صف رابع متميزة حقًا أن تحدث فرقًا كبيرًا عند طلابها، مما يحسن بشكل كبير من فرصهم في الالتحاق بالجامعة، وتجنب أخطاء مثل المخدرات وحمل المراهقات، وكسب ما متوسطه 4600 دولار إضافي على مدار حياتهم. أعلم، مذهل، أليس كذلك؟ وأعتقد أن هذا الاكتشاف يوضح شيئًا ما كنت أطالب به لسنوات، بطريقتي الصحفية المتواضعة،

(195) . يقال إن هذه الكلمات mèdeis ageômetrètos eisitô mou tèn stegèn كانت محفورة على مدخل الأكاديمية وتترجم إلى: لا تدع من يجهل الهندسة يدخل تحت سقفي. الأفلاطونيون المحدثون اللاحقون، الذين جاءوا بعد عشرة قرون كاملة بعد أفلاطون، هم وحدهم من ذكروا هذه الكتابة على جدران الأكاديمية، على سبيل المثال جوانز فيلوبونس، الفيلسوف المسيحي الأفلاطوني المحدث الذي عاش في الإسكندرية في القرن السادس الميلادي، وإلياس، وهو أيضًا أفلاطوني محدث مسيحي آخر من القرن السادس الميلادي، ومن الإسكندرية أيضًا. لم يذكر أرسطو، الذي درس في الأكاديمية لمدة عشرين عامًا، هذا النقش أبدًا، على الأقل ليس في أعماله الباقية (الكثير من أعمال أرسطو مفقود)، على الرغم من أن أرسطو، بشكل مثير للاهتمام، يستخدم تعبير الجاهل بالهندسة Ageômetrètos في كتاباته. في البرهان، الكتاب الأول، الفصل الثاني عشر، 3477–b8، استخدمت الكلمة خمس مرات في بضعة أسطر. انظر برنارد سوزان، أفلاطون وحواراته، http://plato-dialogues.org/plato.htm.

(196) . Annie Lowrey, "Big Study Links Good Teaching to Lasting Gain," New York Times, Jan. 62012,.

وهو الأهمية الأساسية لتطوير الشخصية الجيدة أثناء الطفولة وضرورة النماذج الجيدة في تنمية الشخصية الجيدة.

مونيتز: نعم، لكن كيف يمكن للمرء أن يحدد من هم القدوة الصالحة ومن هم القدوة المدمرة، إذا كان كل صاحب سلطة يمنح نفسه الحق في فرض نفسه على الصغار الضعفاء؟

بيرنز: سؤال جيد، دكتورة مونيتز، أتذكر أنه قريب من السؤال المركزي الذي ذهب أفلاطون للإجابة عنه في الجمهورية، بفكرته الكاملة المتمثلة في الملك الفيلسوف، هل فهمتُ ذلك بشكل صحيح، يا أفلاطون؟ أن الملك الفيلسوف هو أفضل قدوة يحتذى بها؟

أفلاطون: حسنًا، الأمر أكثر تعقيدًا بعض الشيء.

بيرنز: حسنًا، نعم، بالطبع، الأمر معقد للغاية.

أفلاطون: آمل ألا يكون معقدًا لتلك الدرجة، فقط معقد بما فيه الكفاية، وليس أكثر.

بيرنز: حسنًا، نعم، بالطبع، لم أقصد قول غير ذلك. النقطة التي أحاول أن أوضحها، في هذه الملاحظات التمهيدية فقط، هي أن أفلاطون نفسه، في سيرة حياته، يقدم برهانًا دراميًا على الفرق الذي يحدثه التوجيه الصحيح في تنمية الشخصية. كان لمعلم أفلاطون، سقراط، تأثيره الذي استمر طوال حياته، وهو بدوره وجه أرسطو، الذي، كما تعلمون جميعًا، حقق نجاحًا هائلًا، حتى أنه أسس جامعته المنافسة قريبًا منك. الليسيوم، أليس كذلك؟

أفلاطون: بلى.

بيرنز: نعم. ومن ثمَّ كان لأرسطو بدوره تأثيره على شخصية لا تقل عن الإسكندر الأكبر، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح.

أفلاطون: تتذكر بشكل صحيح.

بيرنز: حسنًا! يا إلهي، يا لها من سلسلة تربوية! ربما، وأعلم أن لدينا الكثير لنناقشه هذا المساء، لكن ربما يخاطب هذا التقليد الاستثنائي في التوجيه موضوعًا آخر يظهر كثيرًا في الأخبار هذه الأيام. أعني ما إذا كان التدريس عبر الإنترنت يمكن أن يحل محل التدريس في الفصول. هل تعلم يا أفلاطون أن جامعات النخبة مثل هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وستانفورد قررت إنشاء دورات ضخمة مفتوحة على الإنترنت يمكن للطلاب الالتحاق بها مجانًا؟ بما فيها الاختبارات والاختبارات القصيرة في المواد المنشورة عبر الإنترنت، وفي نهاية الدورة سيحصل الطلاب على شهادة - ليست اعترافًا حقيقيًا، أذكرك، مجرد شهادة - تُظهر نجاحهم؟

أفلاطون: نعم، وسوف يدرس في هذه الدورات الضخمة المفتوحة على الإنترنت MOOCs[197] أعضاء هيئة التدريس العادية، ما يعني أنني قادر على دراسة علم الكونيات وفيزياء الجسيمات على أحد الفائزين بجائزة نوبل.

بيرنز: وهو، كما أشارت العديد من المنشورات، ما يمكن أن يؤدي إلى تسونامي في الحرم الجامعي[198]. سيكون الأساتذة النجوم، الذين ينفق الطلاب - أو بالأحرى آباؤهم - مئات الآلاف من الدولارات للجلوس عند أقدامهم، في متناول أي شخص لديه اتصال بالإنترنت.

أفلاطون: أحب الإنترنت.

بيرنز: نعم، لقد لاحظت. هل تحمل جهاز غوغل كروم بوك معك دائمًا؟

أفلاطون: نعم. منذ أن زرت غوغلبلكس.

بيرنز: رائع! حسنًا، أتساءل إذا ما كنت، على الرغم من ولعك بالإنترنت، ستوافقني على أن الدورات التدريبية الضخمة عبر الإنترنت، حتى التي يدرسها أشهر الأساتذة في عصرنا، بما إنها لا شخصية تمامًا، لن تحل أبدًا محل العلاقة الحميمة بين المعلم والطالب - حميمة، أعني، على الأقل عندما تكون العلاقة ناجحة بالفعل.

---

(197) . massive open online course (MOOC)

(198) . انظر على سبيل المثال : "Get Rich U," by Ken Auletta, The New Yorker, April 30, 2012.

أعني، ربما تكون الدورات التدريبية عبر الإنترنت مناسبة عندما تكون الموضوعات عملية - مثل، دورات الأعمال - ولكن ماذا عن مجالك، الفلسفة؟ حتى لو كنت أنت، يا أفلاطون، من يلقي المحاضرات المفتوحة عبر الإنترنت، أتساءل ما إذا كان تأثيرها كما لو كنت حاضرًا بشخصك.

أفلاطون: بالطبع لا.

بيرنز: أنت تتفق معي!

أفلاطون: نعم. في مجال مثل الفلسفة، حيث لا ينطوي الفهم على تلقي المعرفة بقدر ما ينطوي على تغيير المتلقي ذاته، بحيث يمكن للمتلقي، وهو الطالب، أن يولّد المعرفة بنفسه، من ثم يصبح الحضور الفعلي للمعلم ضروريًا. وهذه هي المفارقة التربوية. شخص المعلم مطلوب بالتحديد لأن المعرفة ذاتها غير قابلة للنقل من المعلم إلى الطالب.

بيرنز: مدهش للغاية. إذًا أنت تقول إن المعلم لا يمكنه نقل معرفته إلى الطالب.

أفلاطون: لا يمكنه أو يمكنها نقل معرفتها إلى الطالب.

بيرنز: وهذا يجعل وجوده أو وجودها أساسيًا جدًا.

أفلاطون: بالضبط. تختلط نار الموضوع ونار المعلم في الطالب المتلقي. فقط عن طريق القرب من المعلم المحبوب، الذي يتوقد ذاته أو ذاتها بحب الموضوع، يمكن للنار أن تقفز وتتوقد في الطالب في صورة لهب من الفهم متجدد ذاتيًا.[199]

بيرنز: أو بعبارة أخرى، الدماغ ليس حاسوبًا، ولسنا محركات أقراص صلبة فارغة في انتظار ملئها بالبيانات. يتعلم الناس من الأشخاص الذين يحبونهم ويتذكرون الأشياء التي تثير المشاعر.[200]

أفلاطون: أتفق معك.

---

(199) . راجع الرسالة السابعة، a–b344.

(200). David Brooks, "The Campus Tsunami," New York Times, May 3, 2012.

بيرنز: حسنًا، أعتقد أنه من المنطقي أن تتفق معي، لأنني أدركت للتو أنني حصلت على الفكرة منك! في كل مرة أعتقد أن لدي فكرة مبتكرة أفكر فيها أكثر قليلًا وأدرك أنني حصلت عليها من شخص آخر، في كثير من الأحيان يكون أنت.

أفلاطون: لا توجد أفكار مبتكرة. المعرفة كلها تذكر.

بيرنز: لطالما اعتقدت ذلك أيضًا، والآن أعرف من أين جاءتني الفكرة! مينون صحيح؟ (201)

أفلاطون: أعتقد أنك تذكرتها بنفسك.

بيرنز: شكرا لك! أنت تنسب لي الكثير من الفضل! حسنًا، لا أستطيع التعبير بطريقة مناسبة عن مدى الحماس بوجودكم - جميعًا - هنا في هذا الحوار. إنه شرف يحدث مرة في العمر.

حسنًا، لنبدأ. أود أن أبلغ الجمهور مقدمًا أنه كان هناك بعض الجدل حول عنوان مناقشة الليلة. في الواقع، شعرت إحدى أعضاء اللجنة بالإحباط لأننا وضعنا للحدث عنوان «كيف تربي طفلًا استثنائيًا» لدرجة أنها كانت تميل إلى عدم الحضور، ونحن ممتنون لأنها تغلبت على تحفظاتها المدروسة بعمق وانضمت إلينا الليلة. في النهاية، روح الحوار هي أفضل طريقة للتعامل مع الخلافات بالجمع بين المتنازعين وتركهم ليقولوا ما لديهم. أليس هذا صحيحًا يا أفلاطون؟

أفلاطون: مثلما أن التفكير هو الروح تتحدث إلى نفسها (ثياتيتوس 189e)، فتجبر نفسها على توضيح أسبابها وتعرية هذه الأسباب للتقييم أمام جوانب مختلفة

(201) . في مينون، يتأمل أفلاطون لغزًا سفسطائيًا قديمًا، وفيه لا أحد يسعى لتعلم أي شيء جديد، لأنهم إذا كانوا لا يعرفونه، فلن يعرفوا كيف يبحثون عنه. يحل أفلاطون اللغز من خلال عقيدته القائلة بأن كل تعلم هو تذكر، أو استعادة anamnesis، فجعل سقراط يقول: "كل الطبيعة متماثلة، والروح قد تعلمت كل شيء، لذلك عندما يتذكر الإنسان جزءًا من المعرفة - تعلمها، في اللغة العادية - لا يوجد سبب يمنعه من اكتشاف البقية، إذا كان لديه قلب شجاع ولا يتعب من البحث، لأن البحث والتعلم في الحقيقة ليسا سوى تذكر" (d81). بعد ذلك مباشرة، اختار سقراط أحد عبيد مينون وسرعان ما جعله يستنتج برهانًا هندسيًا.

من نفسها، لذلك نحن نوسع تفكيرنا من خلال إشراك الآخرين في الحوار.

بيرنز: حسنًا، بروح الحوار، التي لا تقل، كما أخبرنا أفلاطون للتو، عن روح التفكير نفسها، سأبدأ بسؤال كل من أعضاء اللجنة كيف يفهمون عنوان حوار الليلة. دكتورة مونيتز، لماذا لا نبدأ معك؟

مونيتز: ما أفهمه من هذا العنوان هو أنه يقترف أكثر الأكاذيب إجرامًا ويشرعها، ليست فقط أكاذيب العقل ولكن أكاذيب القلب والروح، أكذوبة تعد سببًا أساسيًا لكل البؤس الذي تلحقه البشرية بنفسها عبر العصور. ما أفهمه من هذا العنوان هو أنه مبني على انحراف.

بيرنز: كلمات شديدة، دكتورة مونيتز. هل يمكنك قول المزيد؟

مونيتز: أستطيع أن أقول الكثير. إن الرغبة في تربية طفل استثنائي هي رغبة في التضحية بسلامة الطفل، في قص البرعم الرقيق لطبيعة الطفل قبل أن تتاح له الفرصة ليبرز نفسه فوق الأرض. ولأجل مَن التضحية بسلامة هذا الطفل؟ بالتأكيد ليس لأجل لطفل نفسه، لأنه لا شيء على الإطلاق يمكن أن يصيب الإنسان أسوأ من أن يحرم من إمكانية أن يصبح ذاته، أي من الوصول إلى حقه الشرعي من الشخصية المستقلة.

لذلك فالتضحية ليست لأجل الطفل بل لأجل الوالد. إنها جريمة وحشية، وما يجعلها أكثر وحشية هو أن وقعها وحشي على الطفل، الذي يسجلها في نفسيته كاعتداء، وبالتالي تُخزن في جسم الطفل مدى الحياة، مثلما تُخزن كل الصدمات في الجسم، حتى لو قُمعت الذكريات ولم يعد من الممكن استرجاعها. والوالدة غير المدركة، التي تتصرف دون رشاد من جانبها، بعد تعرضها لنفس عملية نزع الذاتية المستقلة، ليس لديها، ولا عجب، رؤية لداخلية طفلها، ولا فكرة عن وجود مثل هذه الداخلية، لأنها هي ذاتها لا تستطيع استعادة أية ذكريات عما كانت تمثله طفولتها. لذا فهي حرة في أن تنظر إلى الطفل ليس كشخص بل كمشروع، مشروعها، الذي ستعمل عليه، أو اقتباسًا من عنوان هذا الكتاب الذي لم أقرأه، «طفل فائق» يمكنها

التباهي به كدليل على تفوقها، بما أن التباهي بالتفوق هو كل ما تعرف فعله لتؤكد لنفسها أنها نفسها موجودة، إرث تربيتها الوحشية. وهكذا يستمر الأمر، من جيل إلى جيل. يُحرم الطفل الناتج، مشروع والده، مما ينبغي أن يكون مشروعه الخاص لتحقيق الذات والاستقلالية، والذي منه، في الحالة الصحية للأمور، يأتي الضمان الثابت لوجوده المتكامل وقيمته الفردية غير القابلة للمصادرة.

بيرنز: وإذا كنت تريدين تعديل عنوان حدث الليلة، فسيكون...؟

مونيتز: «كيف تربي طفلك حتى يدرك شخصيته ويملك القوة لمقاومة التسلط الإجرامي للآخرين.»

بيرنز: حسنًا، أعتقد أنه يمكننا رؤية الخطوط العريضة لاختلافٍ في الرأي تتشكل هنا.

مونيتز: هذا ليس رأيًا، سيدي المنسق، ولكنه حقيقة علمية مثبتة، ومن يستمرون في إنكاره يظهرون، من خلال إنكارهم نفسه، مدى عمق الإساءة التي لا يمكنهم الوصول إليها داخل أجسادهم. استنتاجاتي مؤكدة علميًا بناءً على عقود من العمل مع عملائي، وتتبع عصابهم عودًا إلى طفولتهم، بالإضافة إلى بحثي في تجارب الطفولة لبعض الأشخاص الأكثر استثنائية، المشاهير وسيئي السمعة، من أعظم الفنانين إلى أعظم المفكرين وحتى أعظم المجرمين. وبالمناسبة، يمكن وصف كل هؤلاء «بالاستثنائيين»، مما يكشف مرة أخرى الأخطاء الفادحة في عنوان حدث الليلة.

بيرنز: لذا يبدو أنك تقريبًا تقترحين أن العظمة بحد ذاتها عرض من أعراض الاضطراب، شيء يجب أن نعالجه بدل أن نغرسه.

مونيتز: العظمة، بحكم تعريفها، شذوذ. من الواضح أن الحالة الطبيعية للأمور هي ألا تكون عظيمًا. لذا فإن إنتاج هذا الشذوذ يتطلب اتخاذ تدابير قصوى. وفي هذا الصدد، أتفق مع الافتراض الواقعي المحض الكامن وراء عنوان هذا الكتاب الذي لم أقرأه. يتطلب الأمر بالفعل تدخلًا وحشيًا من أمٍّ محاربة لإنتاج أطفال فائقين، على

الرغم من أن كونهم فائقين في كثير من الأحيان سوف يضاعف وحشية التربية ويتخذ شكلًا مشوهًا. ولكن حتى عندما لا يكون الأمر كذلك، حتى عندما تكون العظمة ذات طبيعة غير مشوهة، فإن الافتراض الأخلاقي لحدث الليلة، على عكس الافتراض الواقعي المجرد، هو ما أنا هنا للاحتجاج بشأنه.

بيرنز: وهل يمكنك أن توضحي ما هو هذا الافتراض الأخلاقي؟

مونيتز: أن تربية الطفل – عسى أن يساعدنا الرب – الاستثنائي هو أمر ينبغي أن يرغب فيه أحد الوالدين. هذا اقتراح معياري، تشير إليه كلمة ينبغي، ويدفعنا إلى بُعد أخلاقي، البعد الذي تغفله الأمهات المحاربات بشكل مدمر.

بيرنز: حسنًا، عند هذه النغمة البسيطة من الاتفاق – صحيح، كان هناك بعض الاتفاق، أليس كذلك؟ – لماذا لا نذهب إلى البروفيسورة زي، ونسألها ما رأيها في عنوان حدث الليلة؟ أتصور أنك لا تواجهين نفس الصعوبات التي تواجهها الدكتورة مونيتز.

زي: حسنًا، في الواقع أتفق مع كل ما قالته الدكتورة مونيتز.

بيرنز: هل تفعلين؟

مونيتز: لا، أنت لا تتفقين معي. هذا غير ممكن!

زي، تستدير لمواجهة مونيتز: نعم، أنا أتفق معك! بصدق! أتفق معك مائة في المائة في أنه من واجب الوالدين العمل على أن يحقق أطفالهم أفضل إمكاناتهم، بحيث يمكن أن يصبحوا النسخة الأفضل على الإطلاق من أنفسهم، أن يحققوا شخصيتهم!

مونيتز: وماذا تقصدين بـ «أفضل» الإمكانات؟ من يقرر ما هي هذه الإمكانات «الأفضل»؟ أنتِ بلا شك.

زي: حسنًا، بالطبع، على الأقل عندما يكون الطفل صغيرًا جدًا، يجب أن يكون الوالد هو السلطة فيما يتعلق بما هو أفضل. أعني، لنواجه الأمر، الطفل ليس في وضع

يسمح له بالاختيار بين، على سبيل المثال، لعب ألعاب الفيديو لساعات متتالية أو، بدلًا من ذلك، حفظ جداول الضرب المملة. أعني، أي طفلة ستتوقف بإرادتها عن لعب ألعاب الفيديو وتفتح كتاب الحساب؟ لذلك بالطبع يجب على الوالد أن يحدد الأجندة. ليس لدى الطفلة الخبرة أو المعرفة لمعرفة الأفضل. لا يمكنها النظر إلى المستقبل. هي تفكر فقط في الرضا الفوري والإشباع الفوري، ولا تستطيع أن ترى الهدف من المشقة المتمثلة في حفظ جداول الضرب أو التدرب على السلم الموسيقي على البيانو أو الكمان. يستحيل أن ترى فوائد المشقة والملل ولا تستطيع أن تتخيل كيف سيكون شعور التمكن، وكم من المتعة سيمنحها في النهاية! كيف تتخيل ذلك وهي لم تعرفه بعد؟ لذا فإن هذه المتعة الخاصة غير متخيلة بالنسبة لها.

مونيتز: سيمنحها مثل هذه المتعة لأنه سيفوز لها بالحب المحجوب والاستحسان من والديها، الذين جعلا هذا التمكن شرطًا لمنحها أية ردود فعل إيجابية.

زي: حسنًا، ربما، جزئيًا على الأقل، لكن هذا ليس شيئًا سيئًا، لأن هذا سيحفزها على فعل ما ينبغي عليها فعله. ولأن الطفلة لا يمكنها رؤية المنفعة بنفسها، يجب على والديها توفير الحافز، وحملها على التوقف عن لعب ألعاب الفيديو الممتعة والذهاب لحفظ جداول الضرب، وجزء من الحافز هو الاستحسان أو الاستنكار اللذان يمنحهما الوالدان. والقليل من الاستنكار لن يترك ندبة في الطفل مدى الحياة. أعتقد أنه من الخطأ الكبير أن نعتقد أن أطفالنا دمىً خزفية صغيرة قابلة للكسر ستتحطم إلى شظايا إذا وضعنا القليل من الضغط عليهم، أو أظهرنا الاستنكار عندما لا يرتقون إلى المعايير التي يستحيل عليهم فهم أهميتها بأنفسهم.

مونيتز: الآن، بعض ما قلتيه حالًا يبدو، في ظاهره، على نفس الدرجة من المعقولية مع الهراء التام. من الواضح أن الوالد يعرف أن هناك مهارات معينة يجب على الطفل إتقانها، مثل الضرب، ولذا فمن واجب الوالد التأكد من إتقان هذه المهارات – مع مراعاة كبيرة لقدرات الطفل ومعدل التعلم ودائمًا، وفوق كل شيء، إحساس الطفل بالكرامة الشخصية، وهو ما سيمنع أساليب الانتقاص والاستخفاف التي

تستخدمها بشدة الأم المقاتلة، أو المحاربة، إن شئت. لكنني أظن أن طرح مثل هذه الادعاءات التافهة لا يفسر السمعة السيئة الدولية لكتابك، وأنا أشعر بالفضول الشديد لمعرفة سبب محاولتك التهرب من ادعاءاتك المثيرة للجدل. وأظن أنك أنت نفسك، بعد أن تربيت بالأساليب الوحشية التي تدافعين عنها، ومدفوعة برغبة يائسة في إرضاء الناس، وخاصة الشخصيات التي تمثل دور الأم، الدور الذي أمثله لك مؤقتًا، خاصة لأنني أُظهر استنكاري لك. كلما وبختك، حاولت استرضائي، إلى درجة حتى التنصل من أطروحتك المنشورة، وبالتالي تمثلين أمامنا عرضًا دراميًا للاعتماد مدى الحياة على مخدر الاستحسان النفسي الناتج عن تقنيات التربية التي تنشرينها.

في الواقع، أشك بشدة أنك عندما نشرت آرائك لم تكن لديك أية فكرة عن أنها مثيرة للجدل، لأنه يبدو بديهيًا لك أن جميع الآباء يرغبون في ذريةٍ كبيرةِ الإنجازات تشهد على تفوقهم كآباء. ولم تفكري ولو لمرة واحدة، في كل صفحات كتابك، في بحث الفرضية الأساسية المتمثلة فيما إذا كان من مصلحة الطفل، على نقيض مصالح الوالدين، أن يكون «فائقًا»، خاصة بالنظر إلى الأساليب المطلوبة لإنتاج مثل هذا الطفل. الطفل بالفعل ليس دمية خزفية قابلة للكسر!

زي: معذرةً، لا أقصد أن أكون تصادمية، لكن عليّ أن أسألك كيف عرفت أنني لم أبحث هذه الفرضية أبدًا إذا كنت لم تقرأي كتابي؟ الجمهور يضحك. تبتسم زي للجمهور، فتقابل بتصفيق متفرق. أعني، تجربتي مع النقاد هي أن أكثرهم صخبًا لم يكلفوا أنفسهم عناء قراءة كتابي، وإذا فعلوا، يسيئون فهمه لأنهم لم يفهموا السياق.

مونيتز: في مجال عملي نتعلم استنتاج الكثير. لكن الأمر لا يحتاج مجهودًا كبيرًا من قدراتي التحليلية لإدراك أن العنوان يهدف إلى جذب الآباء المشابهين لك في التفكير الذين لن يشككوا أبدًا في الفرضية المشكوك فيها للغاية بشأن الرغبة في تربية طفل فائق. بعبارة أخرى، يتألف قرائك من الآباء الذين لا يهتمون على الإطلاق بتربية انسان، بل قرد صغير يملكه عازف الأورجان ويعرضه للفوز بالتصفيق والعملات

المعدنية.

زي: على الإطلاق! مثل أي والدة، أنا مهتمة فقط بسعادة أطفالي في المستقبل، وعلى عكس الكثير من الآباء اليوم، لا أعتقد أنه من مصلحة أطفالي الفوز برضاهم وأن أكون أفضل أصدقائهم. هذا يمثل الطريق السهل. هذا يضع مصلحتك قبل مصلحة الطفل. تلتفت إلى الجمهور. أليس هذا ما نهتم به جميعًا، أعظم سعادة لأطفالنا في المستقبل؟ وها هي الفرضية المفقودة، حسب ما أفهم. هناك سعادة عميقة تأتي من التمكن والإنجاز الكبير. تقول د. مونيتز إن العظمة شذوذ، وهي بالطبع كذلك، على الأقل من جانب واحد، وهي أنها نادرة. لكن «غير طبيعي» لا تعني «غير مرغوب». العديد من الأشياء النادرة مرغوبة أيضًا، والإنجاز الكبير مثال على ذلك. وقد أذهب إلى أبعد من ذلك وأقول إن إحدى الطرق التي نقيم بها إنجازنا هي من خلال الاستحسان والمدح الذي يكسبه لنا، لذلك هناك سعادة عميقة في الحصول على الإطراء أيضًا، ولا حرج في ذلك. وهو بحق شكل من أشكال التواضع - أننا لسنا مناسبين للحكم على إنجازاتنا، لأننا بالطبع منحازون لرؤية أنفسنا بصورة جيدة، لكننا نسعى إلى معايير موضوعية يضعها الآخرون. عندما يمنحنا الآخرون استحسانهم، فهذا يعني أننا استوفينا تلك المعايير، وأننا لا نداعب فقط غرورنا. أعني، أنت، د. مونيتز، فائقة الإنجاز! لماذا أخبرتنا، وبهذا الرضا الذاتي الواضح - الرضا الذاتي المبرر - أن كتابك باع مليون نسخة؟ لماذا دفعت نفسك لتحقيق كل ما حققته؟ لماذا حصلت على شهاداتك العليا وكتبت كتبك العديدة، وواجهت نقادك وفعلت كل الأشياء الثقيلة الأخرى التي يتطلبها الإنجاز، إذا كنت لا تعرفين بنفسك المتعة الأكبر التي تأتي من دفع المرء نفسه إلى أقصى حدودها وفعل الشيء الاستثنائي ثم جعلت مليون شخص يشترون كتابك اعترافًا بأن ما فعلته استثنائي؟

مونيتز: أفعل كل هذا لأنني أؤمن بما أقوله، وأعتقد أنني إذا لم أقل الحقيقة فلن يفعل أحد. ليس من أجل حاجتي البائسة لتأكيد أهميتي في العالم، لإثبات تفوقي وأن تثرثر شفاه كثيرة بأنني كاتبة، بل بسبب قناعتي الراسخة بأن لدي شيئًا مهمًا لأقوله.

زي: وإذا لم يكن لديك شيء مهم لتقولينه، فكيف ستشعرين حيال نفسك؟ هل ستشعرين بنفس بالرضا عن نفسك؟

بيرنز: لماذا لا ندع أفلاطون يجيب على هذا السؤال، لأنه بالتأكيد كان لديه الكثير من الأشياء المهمة ليقولها، وفي العديد من الموضوعات.

أفلاطون: يبدو أن السؤال كان موجهًا خصيصًا إلى الدكتورة مونيتز، وأود أن أسمع إجابتها. ثم، إذا أردت، سأحاول الإجابة بنفسي.

بيرنز: هل هذا منصف بالنسبة لك، دكتورة مونيتز؟

مونيتز: أفضل عدم الإجابة على السؤال بالصيغة الشخصية السافرة التي طُرح بها. السؤال ليس ما إذا كنت أنا، أو حتى ما إذا كان معظمنا - الذين تعرضوا للعلل النفسية المتمثلة في التربية اليومية - لديهم حاجة ملحة للإنجاز، مثلما يحتاج مدمن الكحول إلى الزجاجة أو مدمن المخدرات إلى الإبرة، لكي نشعر -مؤقتًا على الأقل- بنشوة الاعتقاد بأننا ذلك الشخص الفائق الذي جعلنا آباؤنا نشعر بأننا مطالبون قطعًا بأن نكونه لكي نحصل على الحب. ليس هذا هو السؤال. السؤال هو ما إذا كان ذلك هو كيف ينبغي أن يشعر الناس. مرة أخرى، السؤال المعياري، السؤال الأخلاقي. وهنا أجيب إجابة لا لبس فيها أنه لا، ليس كذلك.

دعونا نتأمل الإساءة إلى الطفل المتضمنة هنا. نعم، أنا لا أتراجع عن تهمة الإساءة إلى الطفل. حاجة الطفل إلى حب الوالد غامرة. الوالد الذي يشدد على الإنجاز يفرض على الطفل بشكل لا يقاوم فكرة أن كونه محبوبًا مشروطٌ بأدائه الجيد في المهام التي يضعها الوالد أمام أعين الطفل المحتاجة كسبيل للحصول على الحب. وبهذه الطريقة، يكون الطفل مهيئًا لاعتبار فقط الرغبات التي يريدها الوالد له، بسبب حاجته الملحة للفوز بهذا الحب، ومع الوقت يفقد الطفل حتى الشعور بأي رغبات متضاربة لديه لنفسه، وهو، بالطبع، الموقف الذي يروق كثيرًا للوالد، لأنه يجعل مشروعه الذي أعده للطفل - المشروع الذي هو الطفل - أسهل بكثير.

وأود أن أضيف، بالمناسبة، أن هذا الاتجاه لجعل الطفل مشروعًا قد ازداد مع تحرير

المرأة. النساء الطموحات، اللائي استثمرن الكثير في تعليمهن ومهنهن، مطالبات بتقديم تضحيات بتقدمهن من أجل العقبة التي هي «طفل»، ولذا فإن هؤلاء الأمهات سوف يطلبن من ذلك الطفل أن يستحق التضحية فعلًا، ويستحق التأخر في تدافعهن على سلم النجاح. وبالتالي يزداد الضغط على الطفل ليكون فائقًا. أعتقد أنه ليس من قبيل المصادفة أن مؤلفة هذا الكتاب الذي لم أقرأه هي نفسها تعمل في مجال تنافسي شرس. بالنسبة لمثل هذه المرأة، الطفل بمثابة نكسة كبيرة لطموحها، ومن أجل تعويض النكسة، يجب على الطفل أن يكتسب وجوده بأن يُصبح استثنائيًا للغاية بحيث يضيف إلى رصيد الأم الطموحة قدرًا من النجاح، بدلًا من أن يخصم منه. يؤسفني أن أقول أن النسوية لم تؤدِّ إلا إلى تكثيف التعامل مع الطفل كمشروع.

الآن اسمحوا لي أن أقول أن معاملة الطفل كمشروعٍ هذه ستحصل له بالتأكيد على نتائج إيجابية في صورة درجات جيدة، والقبول في مدارس جديرة بالتباهي، وحِيَلًا أخرى يؤديها القرد الصغير، ولكن ما المقابل؟ إن الشخص الذي ربته أمّ تعزف الأورجان – والذي أقترحه كوصف أكثر ملاءمة للأم المحاربة، يجردها من البطولة الزائفة في العبارة التي تستخدمونها – سوف يخلط إلى الأبد تقدير الذات مع التفوق على الآخرين واكتساب مظاهر النجاح الخارجية، والتي سيخلط دائمًا بينها وبين الحب، لكنه حب يسبب العزلة وعدم الرضا. يربي المرء إنسانًا يقيّم الآخرين دائمًا كمنافسين محتملين، وبالتالي سيشعر بالعزلة العميقة، ولا يعرف إلا العلاج السريع المؤقت المتمثل في الإنجاز الشخصي لتخفيف آلام العزلة في الفضاء البارد الصغير الذي هو حاجته الأبدية لتبرير وجوده بالتفوق.

وهذا العلاج السريع بالإنجاز، أذكركم، ليس مطلوبًا لأجل العمل الممتاز المنجز، بل لأجل أن يعد الشخص ممتازًا، سواء كان هناك امتياز حقيقي أم لا. عندها سيبحث الشخص عن طرق مختصرة للحصول على الاستحسان، وتصبح الأسبقية للترويج للذات على حساب العمل الجاد المكرس للتميز الحقيقي، والذي، يمكنني أن أضيف، غالبًا ما يمر غير ملاحظ تحديدًا لأنه متفوق أصلي. تقول مؤلفة ذلك الكتاب، الذي أملى الكثير على أجندة الليلة، أن هناك سعادة في استحسان الآخرين

لأنه إشارة إلى أن التميز الحقيقي قد تحقق، لكن دعوني أؤكد لكم بناءً على سنواتي في العمل العلاجي أن هذا غير دقيق. الاستحسان هو المطلوب بشدة، وليس الإنجاز نفسه. في الواقع، ليس لدى هذه الشخصية إحساس بكمال العمل نفسه، تمامًا كما أنه ليس لديها أي معنى عن كمال النفس، الرداءة ستؤدي نفس الوظيفة، إن لم تكن أفضل، طالما أن الثناء مضمون.

باختصار، إنها وصفة للقلق والشعور بالوحدة مدى الحياة، وفي النهاية، الأداء المتوسط. لذلك إذا كان هذا هو ما تريدينه لطفلك، فتلك هي الوصفة لتربية مثل هذا الطفل الاستثنائي.

بيرنز: صوفي، أعتقد أنه يجب أن تتاح لك الفرصة للرد على ذلك.

زي: من الصعب عليّ الرد بما أنه من الواضح تمامًا، يا ميتزي - هل يمكنني أن أدعوك ميتزي؟

مونيتز: لا، لا يمكنك. يشهق الجمهور بصوت مسموع.

زي، تضحك، محرجة قليلًا، لكنها تتعافى بسرعة: حسنًا، نظرًا لأن الدكتورة مونيتز لم تقرأ كتابي، فمن الصعب معرفة كيف أرد. من المؤكد أنها ليست مضطرة لتكرار أنها لم تقرأه، لأن هذا واضح. وفيما يتعلق بإساءة معاملة أطفالي، فهذا سخيف وحسب، في الواقع، وعلى الرغم من أنهم، بالطبع، كثيرًا ما ينزعجون مني، فقد شكروني بالفعل - وكل والد يعرف مدى ندرة ذلك - شكروني على دفعهم بكل ما أستطيع من قوة، لأن هذا الدفع هو الذي جعلهم ينجزون ما بدا أبعد من قدرتهم. لكنه لم يكن أبعد من قدرتهم، والكثير من الآباء لا يسمحون لأطفالهم مطلقًا باكتشاف كم الأهداف التي ظنوها أبعد من قدرتهم والتي هي في الحقيقة في متناولهم. الأمر يتعلق حقًا بالتمكين! وهذا ما تعنيه تربية الأطفال في النهاية، وهو أيضًا ما تعتقده الدكتورة مونيتز، حسبما أعتقد، ولهذا السبب لا أعتقد أننا حقًا، في الأساس، على خلاف.

مونيتز: حسنًا، في هذا الشأن لا يمكن أن يجانبك الصواب أكثر من ذلك. أنا لا

أدعي أنني خبيرة في كل شيء، لكنني خبيرة عالمية فيما أعتقده، وما أعتقده لا يقترب ولو قليلًا مما تعتقدين. آمل بشدة لمصلحة أطفالك أن يكونوا سعداء كما تعتقدين، وأن هذه السعادة ستستمر عندما يصبحوا بالغين، لكن عقودًا من البحث تجعلني أشك في ذلك، على أقل تقدير. بالطبع، يشكرك أطفالك، لأنك أحرقت أي ذوات مستقلة يمكنهم من خلالها تقييم ما فعلته بهم بشكل مستقل. لقد جعلتهم مدمني نجاح مدى الحياة. لن يكونوا أحرارًا أبدًا، أبدًا. تمكين! هذا أورويلي. الحرب هي السلام، الإكراه هو التمكين.

بيرنز: صوفي، هل تريدين الرد؟

زي: حسنًا، أعتقد أن منحك المزيد من الخيارات في الحياة هو أمر ممكنٌ بلا شك. الدراسة في أفضل المدارس تمنحك المزيد من الخيارات، وتفتح لك أبوابًا ما كانت لتُفتح لولاها، والمزيد من الخيارات يعني المزيد من الحرية. من الواضح أن الحرية موضوع فلسفي معقد حقًا، وأشعر بالحرج لمجرد التطرق إليها في وجود فيلسوف في عبقرية أفلاطون، ولكن حسب ما أعلم، أعتقد أن الحرية تقاس بعدد الخيارات المتاح للفرد الاختيار من بينها، أنت حر فقط إذا كانت لديك خيارات متعددة، الشخص محدود الحرية لديه خيارات محدودة، وربما لا يملك أية خيارات يمكن أن تجعله سعيدًا. امنحي طفلك المزيد من الخيارات فتمنحينه المزيد من الحرية، حتى لو كان عليك اللجوء إلى تكتيكات الأم المحاربة لمنحه تلك الحرية.

مونيتز: وأخبرني، هل يملك أطفالك خيار أن يكونوا عاديين؟ هل هذا خيار تسمحين لهم بالتفكير فيه؟ هل هذا، بعد تربيتك لهم، خيار يمكنهم السماح لأنفسهم بالتفكير فيه؟

زي: لماذا قد يريدون أن يكونوا عاديين، إذا كانت بداخلهم القدرة على أن يكونوا غير عاديين؟

مونيتز: ومع ذلك، إذا قرروا أن هذا ما يريدون، إذا كان هذا ما يجعلهم سعداء، فهل سيكونون أحرارًا في اختياره؟

زي: حسنًا، بالطبع، سيكونون أحرارًا في اختيار الاعتيادية. هذا هو الوضع الافتراضي. ليس عليك فعل الكثير لإعداد أطفالك بحيث يمكنهم، إذا أرادوا، أن يكونوا عاديين. يولد الجميع تقريبًا ليكونوا متوسطين، وهو المكان الذي يظهر فيه دور التربية.

بيرنز: حسنًا، أرى أننا بالتأكيد تهنا في منطقة فلسفية كثيفة هنا، نحن نتحدث عن طبيعة الحرية، لا أقل! ولحسن الحظ، من أفضل من أفلاطون يكون معنا ليساعدنا في الخروج من المتاهة! ما رأيك يا أفلاطون؟ هل تتفق مع البروفيسورة زي في أنه كلما زادت خيارات الشخص، زادت حريته؟

أفلاطون: يبدو لي أن الشخص الحر لديه مجموعة محدودة للغاية من الخيارات.

بيرنز: يبدو هذا متناقضًا إلى حد ما.

أفلاطون: نعم، وسأجعل كلامي يبدو أكثر تناقضًا. اختيارات الشخص الحر محددة بالكامل.

بيرنز: أنت محق. هذا يبدو أكثر تناقضًا. كيف يمكن لشخص خياراته محددة بالكامل أن يكون حرًا؟

أفلاطون: عندما تكون طبيعة الشخص الفضلى هي التي تحدد خيارات ذلك الشخص. تخيل سائق عربة ذات حصانين، أحدهما جامح وغير قادر على الالتزام في المسار، والحصان الآخر يعرف طريقه حتى بدون السوط أو المهماز (فايدروس 253c-d). لا يتعين على قائد العجلة سوى التحكم في الحصان السيئ حتى يتمكن الحصان الأفضل من قيادته ليكون حرًا. الحرية ليست غياب السيطرة. بل، السيطرة هي جوهر الحرية.

يبدأ كل من بيرنز وزي ومونيتز في الحديث في وقت واحد.

بيرنز إلى زي: تفضلي.

زي: حسنًا، أردت فقط أن أقول إنني أتفق تمامًا مع أفلاطون، وأن وجهة نظره

حول الحرية تؤكد فقط ما كنت أقوله، نظرًا لأن طبيعة الطفل لا تزال في طور التكوين، مما يعني أنه ليس لديه طبيعة حقيقة حتى الآن، وبالتأكيد ليست طبيعةً فضلى، فإن حصانه السيئ الجامح يملك السيطرة الكاملة، وبالتالي لا يمكن أن يكون حرًا، لذلك من غير المتسق من حيث المفهوم أن يحاول الآباء منحهم الحرية. أعني، بالنظر إلى ما قاله أفلاطون للتو، لا ينبغي اعتبار إكراه الأطفال حتى إكراهًا، وما تفعله من تحسين طبائعهم هو أن تتأكد من أنهم عندما يكبرون ويكون لديهم طبيعة فضلى يمكنها تحديد خياراتهم، فإن هذه الطبيعة ستأخذهم إلى نتائج رائعة فائقة. ستعبر حريتهم عن نفسها في تفوقهم وإنجازهم، بدلًا من مجرد شغل مساحة. وأنا في الواقع أريد أن أقتبس من أفلاطون هنا. تتجه زي إلى أفلاطون. لأنني أتذكر أنك استخدمت تعبير «مدينة الخنازير»[202] في الجمهورية (c-d372)، الذي ترك انطباعه عليّ عندما كنت طالبة في السنة الأولى من الكلية، وهو الوقت الذي قرأتك فيه رائعتك، مثلما فعل زاك. وإذا كنت أتذكر بشكل صحيح، فإن مدينة الخنازير هي مدينةٌ تُلبى فيها ضروريات الحياة فقط، والناس راضون فقط بأن يكونوا خاملين و- حسنًا- راضين، لكن ليس لديهم دافع لتحسين أنفسهم، أو الوصول إلى المستوى التالي من الحضارة. إنهم جميعًا متساوون وسعداء تمامًا بأن يكونوا متساوين. يبدو المشهد نوعًا ما شاعريًا، حيث يسترخون على أسرتهم البسيطة المصنوعة من أوراق الشجر، ويشربون الخمر ويأكلون كعكات الشعير ويغنون أناشيدهم البسيطة معًا، وربما يغني معظمهم نشازًا، لكنها تبقى مدينةٌ سكانُها خنازير، فلا يوجد أي رسامين أو شعراء أو موسيقيين عظماء أو علماء أو فلاسفة، التقدم الذي يحتاج من الناس أن ينزلوا من أسرتهم المصنوعة من أوراق الشجر وأن يتدربوا على الموسيقى ويدرسوا بجد ليُقبَلوا في أفضل المدارس ويدفعوا بأنفسهم ليفعلوا شيئًا مميزًا وبارزًا في حياتهم. لذا، نعم، إنها مدينة خنازير شاعرية، لكنها لا تزال مدينة الخنازير. ربما كنا سنصبح جميعًا أكثر رضًا، لا تطاردنا دائمًا احتمالات الفشل بغض النظر عن مدى نجاحنا، ولا

(202) . ليس من الواضح ما إذا كان أفلاطون يشارك صوفي استحقارها للمدينة الاشتراكية البدائية. لم يؤيد سقراط أبدًا حكم جلوكون بأنه مجتمع صالح للخنازير. في محاورة القوانين لأفلاطون يصنف ذلك المجتمع الاشتراكي البدائي على أنه الأفضل - رغم أنه غير قابل للتحقيق.

نشعر بآلام في القلب عندما يتفوق علينا أقراننا، إذا كنا جميعًا مستلقين نعيش اللحظة ونشرب نخبُ بعضنا نبيذًا رخيصًا، لكننا ما كنا لنتمكن من تحقيق التقدم في تاريخ جنسنا البشري، ولم نكن لنحقق أمجادَ أمثال ليوناردو دافنشي، أو أينشتاين أو... أفلاطون! تفتح زِي ذراعيها لأفلاطون وتبتسم بابتهاج؛ أعني، ما الذي يدفعنا إلى الأمام - وأعني بشكل جماعي - كجنس، جنسٍ يمكننا جميعًا أن نفخرَ به؟ ما الذي يجعلنا أكثر قيمة من تلك الخنازير الناخرة؟ إنهم الفائقون الذين يبذلون أنفسهم دائمًا، مدفوعين بالمعايير العالية التي غُرست في نفوسهم والذين رسموا لنا جميعًا معايير أعلى، وأعتقد - تلتفت زي إلى الجمهور، وذراعاها مفتوحان بنفس الطريقة التي واجهت بها أفلاطون - أن هذا ما نريده جميعًا لأطفالنا!

تصفيق مُطوَّل من الجمهور.

مونيتز: هل تعتقدين حقًا أن قرودك الصغيرة ستدفعنا للأمام كجنس؟ لقد دُربوا على إرضاء الناس، يبحثون عن التأييد في التصفيق لهم. تحملق مونيتز في الجمهور، كما لو أنها تتحدى واحدًا منهم أن يصفق. لا أحد يصفق. من يدفعون الجنس إلى الأمام، بحكم تعريفهم، غير متناغمين مع الجزء الأكبر من البشرية وليس من المرجح أن يكسبوا الاستحسان على جهودهم في حياتهم. إذا كان الاستحسان هو ما يسعى خلفه المرء، فمن الأفضل له أن يتراجع كثيرًا داخل حدود «المجرّب والموثوق». وأنا أيضًا يمكنني الاستفادة من جمهورية أفلاطون، التي قرأتها لأول مرة في سن الثانية عشرة وحدي تمامًا، لدعم ما أقوله. وإلى الكهف الشهير أشير. تذكرون كيف يصف أفلاطون الكهف، السجناء مقيدون بالسلاسل لا يستطيعون تحريك رؤوسهم ويحدقون في ظلال تتحرك على الجدار الصخري في الداخل، تُلقيها عليه دمىً لا يمكنهم رؤيتها، تتحرك ذهابًا وإيابًا فوق جدار خلفهم، وخلفه نارٌ صغيرة تشتعل لتوفر الضوء الخافت. بالنسبة لهم، هذه الظلال أمام أعينهم تمثل العالم، وقد دربوا أنفسهم ليصبحوا خبراء في تمييز أيةِ أنماطٍ قد تظهر، وكانوا يتفاخرون على بعضهم بصحة توقع أيّ الظلال قد يأتي بعد أي. أصبح بعضهم متابعين فائقين للظل، وحازوا إعجاب متابعي الظل الآخرين، الذين أعربوا بلا شك عن هذا الإعجاب

بالتصفيق المطول.

ثم يتمكن أحد السجناء من تحرير نفسه[203] ورؤية الظلال على حقيقتها. يرى الجدار، والناس من خلفه يحملون الدمى، والنار خلف الجدار، ويدفع نفسه، متلمسًا طريقه إلى فتحة الكهف، ويعاني ألم الضوء الساطع في الخارج يدخل بؤبؤيه المعتادين على الظلام للمرة الأولى. لكنه يجبر نفسه على عدم النظر بعيدًا، وعدم الانزلاق مرة أخرى إلى العتمة المألوفة التي نشأ فيها هو وكل الآخرين. ببطء، بنفسه، وفي عظمة وحدته، يتأقلم مع ألم النور حتى يتمكن من الرؤية بوضوح، حتى يتمكن أخيرًا من تسليط نظره على وهج الشمس ذاتها، الحقيقة الثابتة التي تكذب كل ما عُدَّ حقيقة داخل الكهف. كم كان يجب أن يتجاهل سكان الكهف القابعين تحت الأرض، ألّا ينزل أبدًا إلى أعماق الظلام الأسود مرة أخرى، لكنه يشعر بواجب مشاركة رؤيته الواضحة مع رفاقه السابقين بدافع الشفقة على عماهم الجاهل وعبوديتهم. يكافح نفسه ليدير رأسه ثانية إلى الكهف الرهيب، ويتغلب أخيرًا على مقاومته ويعود إلى كثافة الظلام، يتحدث إليهم عن الإشراق الذي لم يحلم به ورآه بأم عينيه، ويحثهم على نزع أغلالهم واتباعه ليخرجوا من الظلام الذي يبتلع الحقيقة.

وكيف استقبلوه، هو الذي وصل بحق لقيمة في حياته؟ هل بالاستحسان؟ بالتأكيد لا! لقد اعتادت عيناه على الضوء، فلم يعد يميِّز الظلال، فقالوا إنه عاد وقد خربت قدرته. وجزاء تخبطه في الظلام الذي لا معنى له، لن يلقوا إليه بالأوسمة بل بالسخرية. يحاول إقناعهم بأن ما ينظرون إليه لا يستحق النظر، فيردون عليه بالعداوة ومحاولات التجريح، ويسردون عليه وقائع الظل الزائفة. بتحديه نظرتهم الخاطئة عن العالم، يثير في نفوسهم رد فعل يجعلهم يوقفون آذانهم عن سماع كلمة واحدة مما يقوله عن الواقع الحقيقي الذي يفسر ظلالهم. يُقابَل إنجازه بالرفض والسخرية.

(203) . تفسير د. مونيتز لأسطورة الكهف لأفلاطون غير كامل. لذلك، على سبيل المثال، لا يحرر السجين نفسه، بل يُحرر ويُجر لا إراديًا تقريبًا من الكهف. لكن هي مهتمة بتسليط الضوء على بطولات عراف الحقيقة الذي يسير وحيدًا.

لا أذكر عدد المرات التي عدت فيها وأعدت قراءة حكاية الكهف لأفلاطون، فأفهم منها أن السخرية هي نصيب أنبياء الحقيقة - على الأقل حتى يحين الوقت الذي لا يعود فيه تجاهل الحقيقة ممكنًا، وعندها سيجري تلميعها وتحويلها إلى فيلم من إنتاج ديزني ذي نهاية سعيدة، يمكن للأمهات اللواتي يربين أطفالهن الفائقين أن يأخذن قرودهن الصغيرة بأمان لمشاهدته.

بيرنز: حسنًا، هذا مذهل، سيداتي وسادتي، لأن كلا من البروفيسورة زي والدكتورة مونيتز استعانتا بعمل أفلاطون لدعم وجهات نظرهما المتباينة. وهذا يسلط الضوء على ما قلته في تقديم أفلاطون الليلة، أن الجميع يحب أن يردوا أفكارهم إليه، سعداء بأن يُحسبوا بين حواشيه. لذا بعد سماع البروفيسورة زي تستشهد بك والدكتورة مونيتز تستشهد بك، دعنا ننتقل إليك أخيرًا يا أفلاطون، ونتركك تتحدث عن نفسك.

أفلاطون: من أين تريد مني أن أبدأ؟

بيرنز: سؤال جيد! حسنًا، لماذا لا نبدأ بمعاملة الطفل كمشروع التي أشارت إليها الدكتورة مونيتز. عندما كانت تتحدث، لم أستطع منع نفسي من التفكير في البرنامج المكثف لتربية الأطفال الذي وضعته في الجمهورية. أنت عمليٌّ مثل أيّ أم محاربة، تناقش كل شيء بدءًا من أنواع قصص ما قبل النوم التي ينبغي حكايتها للأطفال الصغار [204] إلى إملاء الموضوعات التي يجب تدريسها في المدرسة وحتى الأنشطة خارج المدرسة التي يجب تشجيعها. وحسب ما أتذكر، فأنت تتفق مع البروفيسورة زي في أن نادي الدراما يجب أن يلغى بالتأكيد (الجمهورية 398a) وأن تستمر

(204) . "أنت تعلم، أليس كذلك، أن بداية أي عملية تكون أكثر أهمية، خاصة بالنسبة لأي شيء صغير وحساس؟ في ذلك الوقت يكون مطواعًا ويتخذ أي هيئة يطبعه بها المرء. لذا، هل نترك الأطفال بلا مبالاة يسمعون أية قصص قديمة، يرويها أي شخص، فتدخل في أرواحهم معتقدات هي في الغالب عكس تلك التي نعتقد أنهم يجب أن يؤمنوا بها عندما يكبرون؟" (الجمهورية 377a–b) من بين رواة القصص الذين انتقدهم أفلاطون في المقاطع التالية هم هسيودوس، وإسخيلوس، وقبل الجميع هوميروس. ينتقد أفلاطون هوميروس على تقديم أخيل كشخص منغمس في سلوك لا يليق ببطل - لا سيما "خنوعه المصحوب بحب المال من ناحية، وغطرسته تجاه الآلهة والبشر، من ناحية أخرى" (الجمهورية 391c).

الموسيقى - لكنكما تختلفان بشدة حول الرياضة. صوفي، لم تكوني متحمسة على الإطلاق لمشاركة أطفالك في الرياضة، بينما أنت، أفلاطون، تجعل ألعاب القوى مهمة للغاية في تربية الطفل المثالي.

أفلاطون: كل من الموسيقى وألعاب القوى ضروريان، لأن لهما تأثيرات متعارضة لكنهما يطوران الطفل الناشئ (الجمهورية 410a–412b).

مونيتز: كل الأطفال؟

أفلاطون: حسنًا، لقد قصرت نفسي في الغالب على فئة فرعية معينة من الأطفال.

مونيتز: نعم، النخبة. الوحيدون الذين يمثلون قيمة حقيقية في تقديرك.

أفلاطون: لم أكن لأقول ذلك.

مونيتز: لا، أنا متأكدة من أنك لن تقول ذلك.

أفلاطون: كنت أحاول التفكير فيما هو أفضل للجميع في المجتمع، وليس لفئة واحدة فقط (الجمهورية 410a–412b). إذا كان هناك نوع استثنائي من الناس يجب تمييزه ثم تدريبه تدريبًا أكبر في مجتمعي العادل، فهذا من أجل صالح المجموع فقط. في الواقع، إن إعجابي بإسبرطة ينبع من تأكيدهم على صالح المجموع فوق أي فرد، حتى الأكثر استثنائية. كان الأمر مختلفًا إلى حد ما في مدينتي أثينا. يجب أن يكون لخير المجموع الأسبقية على أي شيء آخر فيما يخص العدالة. ومن الصعب أن تكون هناك عدالة في المجتمع عندما تحرض المجموعات ضد بعضها، لذا تصبح الأحداث التي تعد نصرًا لمجموعة ما خسارة لمجموعة أخرى.

بيرنز: أنت تتحدث عن صراعات محصلتها صفر.

أفلاطون: نعم، بالضبط. مجموع صفري. يُعد المجتمع عادلًا عندما يتم تقليل النزاعات الصفرية إلى حد القضاء عليها (الجمهورية 422e–423a ؛ القوانين628e–b).

مونيتز: لكن كيف يمكنك تجنب الصراعات الصفرية عندما تمنح كل امتيازات

تحقيق الذات لمجموعة واحدة بمفردها؟ بنيتك الاجتماعية بأكملها تصبح كأقرب ما يكون إلى المحصلة الصفرية.

أفلاطون: تحقيق الذات، بالطبع، هو خير للجميع، وتحقيق الذات للجميع هو خير ذو محصلة إيجابية. ولكن هناك أنواع مختلفة من الذات، مع قدرات مختلفة تؤدي إلى أنواع مختلفة من الإنجاز. بقدر ما يكون الإنجاز خيرًا، فهو ذات الشيء تمامًا، بغض النظر عما إذا كان الإنجاز المقصود يأتي من العمل في الفلسفة أو الزراعة.

مونيتز: آه، الآن وصلنا إلى المطلوب، قمة النخبوية، متجاوزين أي شيء قد تكون حتى الأم المحاربة مستعدة لقوله - أو حتى كتابته - لأنها، على الأقل، «مُساواتيّةٌ» في قسوتها، معتقدة أن أساليب للأمومة المحاربة يمكن أن تحول أي طفل تقريبًا إلى طفل فائق الإنجازات! هي، على الأقل، لن ترسم لأطفالها مسارات مستبدة مثل عربات الترام، بل تدفعهم جميعًا لمحاولة التنافس حتى الموت في حارة الطريق السريع.

أفلاطون: ومع ذلك، إذا كنت تريدين حقًا تجنب القسوة التي تشجبينها، فإن هذا التخصص وفقًا للقدرات الفطرية هو المطلوب بالتحديد. ما يمثل لعبًا وسرورًا عند نوع من الأطفال هو إكراه وتعذيب لطفل آخر، بغض النظر عن مقدار الإكراه (الرسالة السابعة 341a344–d). وأنا أتفق معك بصدق في أنه لا ينبغي تعريض الأطفال للتعذيب في تعليمهم، لأن ذلك يتسبب في نتائج عكسية تمامًا. في الواقع، بقدر الإمكان، يجب ألا يأخذ تعليم الطفل شكل الإكراه بل شكل اللعب (الجمهورية 536e–d). في اليونانية، الكلمة التي نستخدمها للعب هي paidia وكلمة التعليم هي paideia، ومن الطبيعي والصحيح جدًا أن تكون هذه الكلمات مشتركة في الجذر، مع كلمة الأطفال، paides، والتي جاءت منها كلماتكم أصول التربية pedagogy وطبيب أطفال pediatrician.[205] ما يحاول المرء فرضه على

(205) . يسرد ل. براندوود في كتابه فهرس كلمات أفلاطون أكثر من ستين ذكرًا في الجمهورية للأشكال الاسمية المختلفة لكلمة paideia ولصيغة الفعل paideuein في إشارة إلى التعليم / الثقافة والعملية التعليمية. الإشارات إلى اللعب / الألعاب في صيغتها الاسمية - paidia - تظهر أكثر من خمسة وعشرين

الطفل ضد طبيعته لن ينتهي أبدًا إلى خير. إن الشكل الطبيعي لسلوك الطفل هو اللعب، وفي تنفيذ هدفنا المتمثل في التعليم، يجب احترام اللعب والحفاظ عليه لأطول فترة ممكنة في مرحلة الطفولة. لذلك، في الحقيقة، قد نقول، إن لب التعليم وجوهره هو التدريب الصحيح الذي يقود روح الطفل بشكل فعال عن طريق اللعب إلى حب رسالته عندما يصبح بالغًا (القوانين 643d).

مونيتز: حسنًا، بخصوص هذه النقطة بالذات، أنا بالطبع أتفق معك. ما أرفض قبوله هو نخبويتكم الفاسدة. أنت تضع برنامجًا يضمن الغنى فقط للطبقة الحاكمة - عرقك المتسيد، إذا جاز التعبير - كما لو كان الآخرون، محض المتوسطين، لا يهمونك، لأنهم غير قادرين على تحقيق الحياة العقلية التي تعُدّها مثلًا أعلى. أنت تمامًا مثل الأم المحاربة في نبذك للحياة البشرية العادية بأن لا قيمة لها ولا كرامة، وتركز كل جهودك على إنتاج فئة من الاستثنائيين أصحاب الامتيازات والأقوياء.

أفلاطون: لم أكن أبدًا مهتمًا بإنتاج الفئة الأكثر استثنائية من الأشخاص فقط من أجل استثنائيتهم. المدينة التي نريدها هي المدينة التي يمكن فيها لجميع المواطنين ليكتسبوا الفضائل وبالتالي يكونوا سعداء (الجمهورية 420b؛ القوانين 630 ,6–c3 705d3–706a4). ستكون مدينة عادلة، لأنها تعدل بين الجميع، وهذا يتطلب حكامًا متماهين مع المدينة ولا يستغلونها أبدًا. لذلك، على سبيل المثال، لا أعتقد أن الحكام يجب أن يكونوا قادرين على حيازة ملكيات خاصة كبيرة، لأن الملكية الكبيرة ستجعلهم على الفور مواطنين في مدينة الأغنياء، بمصالحها الخاصة التي تحتاج إلى الحماية. وهناك امتيازات أخرى، إلى جانب الثروة، سيتمتع بها المواطنون ولكن يجب أن يمنع منها الحكام (الجمهورية 416c–421d). يجب أن يكون حراس الدولة العادلة أكثر مواطنيها حرمانًا. سمة أساسية في الدولة العادلة هي إبعاد الأثرياء عن

مرة، وفي صيغة الفعل - payzein - أكثر من ثماني مرات في الجمهورية. كلا المصطلحين مرتبطان بتعليم وأنشطة الأطفال - pais and paides - ولكن أيضًا بتعليم الفلاسفة. المصطلحات الثلاثة paideia، التي تشير للتعليم / الثقافة؛ payia، التي تشير للعب / لعبة / هواية / رياضة؛ وpaides، التي تشير للأطفال، كلها لها نفس الجذر. انظر "اللعب والتعليم في جمهورية أفلاطون"، لآرثر أ. كرينتز، http://www.bu.edu/wcp/Papers/Educ/EducKren.htm

السلطة السياسية وإبعاد الأقوياء سياسيًا عن الثروة.

بيرنز: رائع، رائع للغاية. لا بد أن لديك بعض الآراء القوية حول إصلاح تمويل الحملات الانتخابية.

أفلاطون: إغراءات القوة هائلة...

مونيتز: السلطة مُفسدة والسلطة المطلقة مُفسدة بشكل مُطلق.

أفلاطون: نعم، بالضبط، دكتورة مونيتز. نظرًا لأن السلطة المطلقة مُفسدة بشكل مُطلق، فأنا معنيٌّ بأن تكون الطبقة الحاكمة - ولا أنكر أن هذا هو ما اختيروا ليكونوه وما دُربوا ليكونوه، من أُسميهم الأوصياء - بقدر ما هو ممكنٌ بشريًا، غير قابلة للفساد، رهينة النظام الأخلاقي. وطالما هم كذلك، ستستمر المدينة العادلة.

مونيتز: لذا فإن الأوصياء غير المراقبين سيكونون رقباء على أنفسهم. وما مدى احتمالية أن يحدث ذلك؟

أفلاطون: ليست كبيرة. وهذا هو السبب في أنني عانيت كثيرًا، في مدينتي الجميلة، لشرح كيف ينبغي تدريب الأوصياء على أن يصبحوا رجالًا ونساءً استثنائيين بحيث لا يمكن أن غسهم - مرة أخرى، بقدر الإمكان - الإغراءات البشرية الطبيعية. ومع ذلك، فقد توقعت، إذا كنت تتذكرين، كيف ستنهار مثل هذه الدولة في النهاية (الجمهورية 546b580-a).

مونيتز: حسنًا، هل يمكنني أن أقترح بتواضعٍ أنه، نظرًا لمدى صعوبة الحفاظ على النخبة الحاكمة نظيفة من الفساد، سيكون من الأفضل إعادة النظر في بنيتك الاجتماعية بالكامل والسماح للمواطنين بالسيطرة على من يسمون بأوصيائهم ومساءلتهم؟ أوصياء حقًا! قد تجادل بأنك كنت تُنظّر فقط بطريقة طوباوية، لكن القيم حقيقية بما فيه الكفاية، وأعتقد أنها منفرة بشدة، أولًا وقبل كل شيء الأبوية التي تجعل مواطنين بالغين أحرار بحاجة إلى أوصياء مفروضين عليهم، كما لو كانوا أطفالًا يتامى. ألن يكون من الأفضل محاولة تربية جميع المواطنين حتى يتمكنوا من

ممارسة السلطة الكاملة على حياتهم كبالغين قادرين تمامًا، ومنحهم كرامة واستقلالية البشر المسؤولين، بدلًا من وضعهم تحت وصاية أولئك من يفكرون ويتصرفون نيابة عنهم؟

أفلاطون: التفكير صعب للغاية.

مونيتز، تحدق غاضبة: أوه، لذلك لا يُسمح إلا لنخبتك بالتفكير!

أفلاطون: كل المواطنين يفكرون، بالطبع، بأفضل ما لديهم من قدرات.

مونيتز: لكن قدرات بعض الأشخاص ستسمح لهم باتخاذ جميع القرارات المهمة.

أفلاطون: تمامًا كما أن بعض الأشخاص تسمح لهم قدراتهم الرياضية بالمنافسة في الألعاب الأولمبية.

مونيتز: أوه، من فضلك، لا توجد مقارنة! يمكنك حرمان الناس من فرصة المنافسة في الألعاب الأولمبية دون أن تحرمهم من كرامة إنسانيتهم. لكن إذا حرمت مواطنيك من الحق في محاسبة حكامهم، فإنك لا تهيئ المسرح للاستبداد فحسب، بل تُنزل مواطنيك إلى مكانة الأطفال المعاقين، وهذا يؤدي بهم إلى ضرر جسيم، حتى لو كان الحكام يريدون الأفضل لمصلحتهم.

أفلاطون: أنتِ ديمقراطية حقيقية، دكتور مونيتز.

مونيتز: ألا تؤمن بالديمقراطية؟

أفلاطون: ليس كثيرًا، أخشى أن أقول.

بيرنز: تذكرت ملاحظة ونستون تشرشل، أنّ الديمقراطية هي أسوأ أشكال الحكم، باستثناء كل الأشكال الأخرى التي جُربت من وقت لآخر.

مونيتز: أتساءل إذا ما كنت ستقنع أفلاطون بذلك.

أفلاطون: ديمقراطيتكم مختلفة تمامًا عن تلك التي أعرفها من أثينا، وأنا أحاول فهمها. الإنترنت لا يقدر بثمن ولكن ما لم أتمكن من اكتشافه بعد هو ما إذا كان

الإنترنت نفسه يقوي ديمقراطيتكم أو يضعفها.[206]

بيرنز: حسنًا، عندما تكتشف ذلك، هل ستخبرنا؟ على أية حال، بقدر ما هو رائع كل هذا، أخشى أننا نبتعد عن الموضوع المطروح، وهو، إذا كنت أتذكر بشكل صحيح، تربية الأطفال. والآن إذًا ..

مونيتز: معذرةً، سيدي المنسق، ولكن إذا كان مسموحًا لي بطرح سؤال واحد فقط متصل بأفلاطون، سؤال غير سياسي أبدًا. أنت تعتقد، أليس كذلك، أن طريقتك في تربية الأطفال تنتج أفضل إنسان ممكن، - بعبارة حدث الليلة البغيضة - الانسان الأكثر استثنائية؟

أفلاطون: بلى. أنا لا أنكر ذلك (الجمهورية 456e)[207].

مونيتز: وما هو مقياس هذا الإنسان؟ على أي مقياس يتقرر أن استثنائيته هي الاستثنائية ذات الأهمية؟

أفلاطون: الواقع هو المقياس.

مونيتز: واقع من بالضبط؟

أفلاطون: لا أحد. الجميع. الواقع الكائن ببساطة، وهو نفسه بالنسبة لنا جميعًا، ومتاح لكي نكتشفه.

مونيتز: الكائن ببساطة لأن الطبقة السائدة هي من تقول إنه كائن.

أفلاطون: هذا فهم خاطئ تمامًا.

مونيتز: ربما يكون فهمك هو الخاطئ تمامًا. من أنت لتقول خلاف ذلك؟

أفلاطون: لست أنا فحسب من قال خلاف ذلك، بل أنتِ أيضًا، دكتور مونيتز.

---

(206) . انظر الصفحات من 358 إلى 359 أدناه.

(207) . "أليس هؤلاء أفضل المواطنين؟ ألن تكون هؤلاء النساء أفضل النساء؟ هل هناك شيء أفضل للدولة من جيل من أفضل من فيها من النساء والرجال؟".

لقد قلتِ خلاف ذلك بالفعل وبالقوة.

مونيتز: أنا؟ من الصعب أن أقبل مثل هذه الرؤية المهيمنة للواقع، والتي ترقى إلى طريقة أخرى تستخدمها السلطة لفرض نفسها على الضعفاء وحرمانهم من استقلاليتهم المشروعة.

أفلاطون: ومع ذلك، في صياغتك البليغة لأسطورة الكهف، شددت على الفرق بين أصحاب الظل وأنبياء الحقيقة.

مونيتز: الواقع الوحيد التي أدركه هو ذلك الذي يتجسد في المعاناة الشخصية المدفونة في أعماق تاريخ كل إنسان. وهذا الواقع ليس مِلكًا لأية سلطة لتفرضه أو لا تفرضه؛ هذا- على الأقل- ينتمي إلى الشخص الذي هو واقعه.

أفلاطون: لكنه واقع لا يستطيع إلا القليلون رؤيته بأنفسهم، وفقًا لكلامك، لكنك رأيتِه أنتِ، دكتور مونيتز، وحاولتِ بشجاعة حثّ الآخرين على رؤيته، بغض النظر عن رفضهم للحقيقة وجعلهم حياتك أصعب برفضهم هذا.

مونيتز: نعم، هذا صحيحٌ جدًا.

أفلاطون: وهناك الكثير من الواقع الذي رأيته ولم يره الآخرون، يمتدّ، كما وصفته أنت بنفسك، إلى دائرة المعياري. أنت لا تعرفين فقط المعاناة الشخصية المدفونة في أعماق تاريخ كل إنسان، ولكنك غاضبة من هذه المعرفة، وتعرفين كم هي جائرة معاناة الطفل وكذلك الحياة المتقزمة التي ستنتج عنها. أنت تعلمين أنه من الظلم أن يسلب شخص ما ينتمي حقًا لشخص آخر، لذا فأنت تحكمين أنه من الظلم أن يحرم الوالدان أطفالها من احتمالات السعادة واكتشاف الذات التي تعرفين أن كل الناس يستحقونها. وعندما يأتي إليك المقيدون بالسلاسل الذين يرون فقط الظلال المتقلبة على الحائط الخلفي لتساعديهم في حياتهم، عندها تساعدينهم، أنتِ التي تعرفين أكثر بكثير مما يعرفون عن الواقع الذي قادهم إلى إدراكهم الخاطئ للواقع، تساعدينهم لفتح أعينهم على الواقع، لاستعادة رؤيتهم لما هو كائن. تُبيّنين لهم ما هو كائن، على الرغم من أن الجميع إلاكِ ينكرون أنه كائن، لأنه فقط بإدراكهم ما هو

كائن يمكنهم تحرير أنفسهم من آلامهم. أم أنني لم أفهم طبيعة العمل الذي قضيت فيه حياتك؟

مونيتز، هامسة تقريبًا: لقد فهمت بالضبط معنى عمل حياتي. لم أسمع أبدا وصفًا له أفضل من هذا.

أفلاطون: لذلك عندما أقول، دكتورة مونيتز، إنه من الخطأ القول أن الواقع هو كل ما يقوله الأقوى، فأنا أتفق معك فقط. والعكس بالعكس، عندما أقول إنه من الصواب أن يكون الأوصياء هم القادرين على فهم الواقع، والأهم جوانب الواقع التي تمثل الخير والعدالة والحكمة، فأنا أتوقع أن تتفقي معي. فليكن الواقع هو الذي يختار الأقوياء وليس الأقوياء هم من يختارون الواقع. أليس هذا أقل طغيانًا؟

مونيتز، لا تزال تتحدث بهدوء غير معهود: لكنك عندها تُنصب الواقع طاغيةً.

أفلاطون: إنه طاغية أفضل من أي منا، وبالتأكيد يملك حق فرض نفسه على أذهاننا أكثر مما يملكه أي إنسان.

مونيتز، تستجمع قوتها: لكن أوصياءك يظلون بشرًا، بكامل بشريتهم، وفي عدم وجود بشر آخرين يسيطرون عليهم، سوف يتغذون على سلطتهم ويسمنون بالفاشية في أسرع وقت.

أفلاطون: بالطبع، هذا خطر قائم، بسبب طبيعة البشرية. وهذا هو السبب في أنني حاولت أن أفرض عليهم أعظم قيد أمكنني تخيله. شيء أقوى بكثير من البشر الآخرين يهدف إلى الحد من سلطة الأوصياء، وهو الواقع ذاته. أيُّ عظمة قد يشعرون بها في وضعهم المميز ستبدو بالنسبة لهم مضحكة مقارنة بعظمة ما هو كائن، الغارق في الجمال والخير. هل تعتقدين أن العقل الذي اعتاد أفكار العظمة والتأمل في كل العصور وكل الوجود يمكن أن يرى في حياة الإنسان هذه أهمية كبيرة؟ (الجمهورية 486a). وياله من إحساس متضخم بالمسؤولية ذلك الذي سيشعر به الأوصياء تجاه الآخرين، إحساس رقيق بالعناية بمن حرموا من تلك الرؤية عنيها التي تعطي معنى سعيدًا لحياتهم. لن يخطر ببالهم استغلال من لا يستطيعون رؤية ما

يرونه، ليس أكثر مما قد يخطر لك، دكتورة مونيتز، أن تستغلي من يأتون إليك لتساعديهم في الاقتراب من الضوء. أنت نفسك فارقت ما تدربت عليه، رغم أنه أعطاك الكثير من السلطة على الآخرين، تحديدًا، لأنك، عندما رأيت المزيد من الواقع، أدركت أن الانغماس في إمكانيات السلطة هذا لا يمكن تصوره. أنت نفسك، برؤيتك ما هو كائن والشعور بالمسؤولية تجاه رفاقك البشر التي زرعتها فيك مثل هذه الرؤية، قد أظهرت بعض الصفات التي أحتاجها في الأوصياء، بل ويمكنني القول، أنك قد وصلت بالفعل في حياتك إلى منصب الوصيّ.

مونيتز: هل تقول إنك ستجعلني وصيّةً في اليوتوبيا؟

أفلاطون: الاستنتاج الذي يجب استخلاصه واضح. [208]

مونيتز: أنا مبهورة.

بيرنز، مبتسمًا: حسنًا، دكتور مونيتز، لقد دخلتِ من الطريق السهل، دون المرور ببرنامج أفلاطون الشامل لتربية الأطفال.

مونيتز: أؤكد لك أن الطريق لم يكن سهلًا، في أي خطوة منه.

بيرنز، لا يزال مبتسمًا: نعم، حسنًا، دعونا نعود إلى توصيات أفلاطون لتربية الطفل الاستثنائي – الذي يربى، كما أشار توًا، ليس من أجل استثنائية الطفل ولكن من أجل المجتمع – للتأكد من أن أصحاب السلطة لا يسيئون استخدام سلطتهم.

زي: لكن أفلاطون؟

أفلاطون: نعم؟

زي: وماذا عن مدينة الخنازير؟

أفلاطون: نعم؟

(208) . لست متأكدة ما إذا كانت أفلاطون يروّض مونيتز هنا فقط أم أنه يعني حقًا أنها خامة وصي. وغني عن القول، أنه لم يكن يفكر في أي شيء من قبيل المعالجين النفسيين عندما تحدث عن أوصيائه.

زي: حسنًا، أليس ضروريًا أيضًا، لصالح المجتمع ككل، ولصالح المجتمع في المستقبل - وهذا ما نتحدث عنه حقًا عندما نتحدث عن تربية الأطفال أفضل تربية ممكنة - أليس ضروريًا أن نرسم عادات التميز، وندفع أنفسنا للابتعاد أكثر وأكثر عن الخنازير، التي لا تنجز شيئًا في حياتها الكسولة المتبطلة؟

أفلاطون: السؤال الحقيقي الذي تطرحينه هو ما إذا كنا نريد من المجتمع أن يحمينا أو أن يهذبنا.

بيرنز: أحسنت. وإجابتك يا أفلاطون؟

أفلاطون: يجب أن نطلب، أولًا وقبل كل شيء، أن يحمينا؛ يحمينا من أعدائنا الخارجيين وأيضًا من أسوأ ما يمكن أن نفعله تجاه بعضنا.

بيرنز: ادعُني متفائلًا سخيفًا - وغالبًا ما تفعل زوجتي - لكن لماذا لا نطلب الأمرين معًا من المجتمع، نطلب منه حمايتنا وتهذيبنا؟

أفلاطون: أظن أن زوجتك ستدعوني أنا أيضًا متفائلًا سخيفًا.

بيرنز: نعم! هذا ما أردت أن أسمعه منك! لأنه مفروض من مدينتك الجميلة أن تقوم بالأمرين، أليس كذلك؟

أفلاطون: من المفترض في المقام الأول أن تحمينا. لكن عندما نطلب أن يقوم الأفضل بيننا بهذه المهمة - وهم الأفضل من بيننا تحديدًا لأنهم سيحموننا أيضًا من أنفسهم - فهذا يتطلب برنامج التهذيب.

بيرنز: لذا فالتهذيب هو الزينة على الكعكة.

أفلاطون: من حيث أتيت، نسميها العسل على البقلاوة.

بيرنز: العسل على البقلاوة: أحب ذلك! حسنًا، الآن لنتحدث عن العسل. أليست هذه عبارة في أحد الأفلام؟ أرني العسل! ضحكات خافتة. حسنا آسف. حس الدعابة لديّ استدعى تعليق زوجتي أيضًا، ولكن من الواضح أنه لم يأتِ

بنتيجة تذكر.

حسنًا، الآن لنتحدث عن التفاصيل المهمة، اقتراحاتك العملية لكيفية إتقاننا. أنت تبدأ من وقت مبكر جدًا في حياة الطفل، وتميز نوعًا معينًا من الأطفال بأنه يتمتع بإمكانية الوصول إلى القمة. كيف يمكنك رؤية هذا النوع من الإمكانات في وقت مبكر جدًا من حياة الطفل؟ ما الذي تبحث عنه؟ هل هي مسألة معدل ذكاء بشكل صارم، ذكاء عام؟

أفلاطون: لا، ليس بالضبط. العقل السريع، نعم، هو جزء مما يتطلبه، كما صغتَه، الوصول إلى القمة، ولكن هناك أيضًا مسألة الشخصية بالغة الأهمية.

بيرنز: الشخصية، نعم، بالضبط!

أفلاطون: وعلى وجه الخصوص، الهمة. مجرد الذكاء دون الهمة ينتج خامة ضعيفة. يجب أن يكون هناك شيء مما نسميه في اليونانية ثيموس thumos.

بيرنز: ثيموس. هل تستطيع أن تعطيني مثالًا؟

أفلاطون: حسنًا، أود أن أقول إن البروفيسورة زي تقدم مثالًا جيدًا جدًا على ثيموس. يتكون صفي المحارب من أولئك الذين تميزهم ثيموس، والبروفيسورة زي هي أمٌّ محاربة.

مونيتز: أعتقد أنك ربما أسأت فهم عنوان كتابها، يا أفلاطون. من الواضح أنها تستخدم كلمة «محاربة» بشكل مجازي.

أفلاطون: فهمت. إنها تستخدم مصطلح «المحاربة» للدلالة على نوع معين من الأشخاص، نوع معين من الطبائع، النوع الذي يملك رغبة كبيرة في التميز والمجد.

مونيتز: رغبة في تمييز الذات وتمجيد الذات.

أفلاطون: تقولين ذلك كما لو كان خطأً. ومع ذلك، هذا هو الهدف الدافع للشخص الذي يتميز بثيموس.

مونيتز: نعم، أقول بكل قوة أن هناك شيئًا خاطئًا في الهوس بتمييز الذات وتمجيدها. وكان يجب أن أظن أنك ستوافقني على ذلك بنفسك، وبنفس القدر من القوة، أنت الذي ترسم صورة الشخص الفاضل الذي يتسامى فوق نفسه التافهة، ويضع غاياته ورغباته الشخصية في خدمة الخير.

أفلاطون: لا يمكنك تغيير الطبيعة البشرية. يمكنك فقط تغيير البوليس بحيث يتحول الخطر المحتمل إلى شيء غير ضار أو حتى، في المجتمع الأفضل تنظيمًا، إلى شيء مفيد. الرغبة في التميز موجودة في الكثرة الكاثرة، وفي بعض الطبائع هي قوة دافعة، تنتج في مثل هذا الشخص حيوية قوية، تتميز برغبة قوية في تمييز نفسه أو نفسها. من يفتقرون لهذه الروح الحيوية لن يتسببوا أبدًا في الكثير من الأذى في العالم، هذا صحيح، لكنهم لن يفعلوا الكثير من الخير أيضًا.

بيرنز: إذًا أنتَ تُقرُّ ثيموس؟

أفلاطون: ليست وظيفتي، ولا وظيفة أي منا، أن يقر الطبيعة البشرية أو يرفضها. وظيفتنا هي أن نحاول العمل معها.

بيرنز: وفي الواقع، الأطفال الذين يتمتعون بقدر جيد من ثيموس هم الذين تختارهم لبرنامجك في التطوير.

أفلاطون: نعم. تظهر الحيوية في وقت مبكر، وتظهر في الطريقة التي يلعب بها الأطفال. يجب أن ننتبه جيدًا إلى طريقة لعب الأطفال، إذ تتجلى فيه طبيعة فرديتهم (الجمهورية 536). والطفل الذي يُظهر فخرًا كبيرًا في ألعابه، ويبذل نفسه بالتركيز والعاطفة، هو نوع الشخص الذي سيكرس نفسه لتهذيب نفسه أو نفسها. الرداءة ليست خيارًا لمثل هذه الروح. تنفر من الفكرة. تُقدم البروفيسورة زي مثالًا رائعًا على هذه الحيوية.

مونيتز تتمتم بشيء غير مسموع: ربما «بالألمانية».

بيرنز: إذًا، أنت تقول إن المستقبل يتحدد منذ سن مبكرة؟ لا يمكن بث الروح في

طفل لا روح فيه؟

مونيتز: يمكن بالطبع أن تذهب في الاتجاه المعاكس وتقتل الروح في الطفل.

أفلاطون: ستكون تلك فاجعة، ليس فقط للطفل ولكن للصالح العام.

بيرنز: لأنك تجعل هذه الحيوية شرطًا لنوع التهذيب الذي تفكر فيه من أجل الطفل، الذي تعتقد أنه لديه القدرة على فعل الكثير من الخير للمجتمع.

أفلاطون: نعم، على الرغم من أنني أود أن أؤكد مرة أخرى أن هناك احتمالية مساوية لوقوع الضرر. ثيموس، لوحدها، يمكن أن تؤدي إلى تجاوزات مروعة، إلى شخص وحشي وهمجي، يطرد كبرياؤه وطموحه كل القيم الأخرى. مثل هؤلاء الناس سيطاردون دوافعهم نحو تعظيم الذات والتعصب لأفكارهم الضيقة. وعندما يكون لدى هؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بثيموس الذكاء والجاذبية أيضًا، فإن الضرر الذي يمكن أن يلحقوه بالعالم يكون عميقًا.

بيرنز: الوحوش التي أشارت إليها دكتور مونيتز سابقًا.

أفلاطون: نعم، الوحوش أحيانًا، وأحيانًا ببساطة الأوغاد الساحرين معدومي الضمير.

بيرنز: لذا حتى الذكاء والحيوية ليسا كافيين. هل ما تبقى كله هو مسألة تدريب إذًا، جعلُ الطفل مشروعًا كالذي أشارت إليه الدكتورة مونيتز من قبل؟ هل يمكنك أن تأخذ أي طفل يفي بمتطلباتك من الذكاء والحيوية وتحوله إلى الشخص الاستثنائي الذي تبحث عنه؟

أفلاطون: لتحويله إلى مثل هذا الشخص، هناك سمة شخصية أخرى، وهي أيضًا فطرية وضرورية. سمة تتطلب كلًا من الذكاء والحيوية ولكنها شيء إضافي، لأنني عرفت بالتأكيد من لا يفتقرون إلى أي من الذكاء والحيوية لكنهم يفتقرون إلى هذه الخاصية (الجمهورية 375e). وهنا أود أن أشير إلى الدكتورة مونيتز باعتبارها نموذجًا يحتذى.

ترفع مونيتز حاجبيها، الحادين والمعبرين للغاية، وتقريبًا القادرين على الإمساك بالمعاني.

أفلاطون: لا أعرف إن كنت سأصفها بالرغبة أم بالكراهية، لأنها كلاهما بالتساوي. إنها رعب فطري من الانخداع بما يتعلق بطبيعة الأشياء، وهي رغبة فطرية في معرفة الحقيقة فيما يتعلق بطبيعة الأشياء. ولعل أفضل اسم لها هو حب الحكمة (نفس المرجع)، وهي شيء مختلف عن الذكاء ومختلف عن المعرفة. من يملكون هذه السمة يحبون الحقيقة ليس لأنها كهذا أو ذاك. إنهم يحبون الحقيقة لمجرد أنها الحقيقة ومستعدون لمحبتها بغض النظر عما ستكونه. سوف يلتزمون بالفكرة طالما أنهم يرونها الحقيقة ولن يُفتنوا عنها مهما قال الآخرون لهم، ومهما كانت الخيارات المدلاة أمامهم براقة وجذابة؛ لكنهم أيضًا هم الأقل ترددًا بين جميع الناس في التخلي عن فكرة كانت محبوبة سابقًا، إذا اقتنعوا أنها غير صحيحة. هم دائمًا خلفَ رائحة الحقيقة، مثل الكلاب، التي هي أقرب الحيوانات إلى الفلسفة (الجمهورية 375d-e). وهذه الصفة تختلف عن الذكاء والحيوية، رغم أنها تحشد الذكاء والحيوية في خدمتها. لكنها بالتأكيد شيء مختلف لأن الذكاء والحيوية يمكن أن يتواجدا بدونها. ولقد عرفت أنواعًا معينة - ولا سيما الشعراء -[209] الذين يشعرون بالمتطلبات الجمالية لخيالهم أشد بكثير من شعورهم بحب الحقيقة. إذا غمرت فكرة ما إحساسهم بالجمال، فسوف يؤمنون بها من كل قلوبهم وأرواحهم، ويعبرون عنها بجمالية مؤثرة تحث الآخرين أيضًا على الإيمان بها. إن إحساسهم بالافتتان يشكل إدراكهم للحقيقة، وليس العكس، كما هو الحال في الفن الذي يمكن للفيلسوف أن يقره، الفن الذي

---

(209) . صراعات أفلاطون الداخلية بخصوص الفن، وبخاصة الشعر، منتشرة في العديد من محاوراته، بما فيها إيون وفايدروس والجمهورية (على وجه الخصوص الكتابان الثالث والعاشر) والقوانين. تشكل صراعاته موضوع كتاب النار والشمس: لماذا نفى أفلاطون الفنانين، لايريس مردوخ (نيويورك: فايكنغ، 1990). وحكم مردوخ النهائي هو أن أفلاطون يعتقد أن استجابتنا للجمال مهمةٌ جدًا من الناحية الأخلاقية حتى نتركها للفنانين، الذين لم تصقلهم الفلسفة، يتلاعبون بها كما يريدون. "يريد أفلاطون قطع الفن عن الجمال، لأنه يعتبر الجمال شيئًا أهم بكثير من أن يصادره الفن" (ص 17). لا تنكر مردوخ الدور المعرفي والميتافيزيقي والأخلاقي المهم الذي يلعبه الجمال بالنسبة لأفلاطون - يقودنا إحساسنا بالجمال إلى الحقيقة لأن الجمال جزء لا يتجزأ من الحقيقة. لكنها تعتقد أن أفلاطون لا يؤمن بأن الفنانين سيستخدمون إحساسهم بالجمال للوصول إلى الحقيقة.

يعرف الأشكال ويقلدها.

بيرنز: إذًا هناك فن تقره.

أفلاطون: بالتأكيد. بهدوء شديد. ربما يمكن القول إنني كنت أتطلع إلى ممارسته بنفسي.

بيرنز: لكن، في الواقع، ألم تتعامل بقسوة مع الشعراء في مدينتك الفاضلة؟ ألم تبعدهم (الجمهورية 398a–b, 606e–608b)؟

أفلاطون: هذه مبالغة.

بيرنز: لكن هل تؤيد الرقابة على الفنون؟ أعلم أنني انتهك القاعدة التي وضعتها بضرورة تجنب السياسة الليلة، لكنني أردت دائمًا أن أسألك عن ذلك. لطالما أرقني السؤال.

أفلاطون: للجمال تأثير عميق علينا، ينتزع منا الحب. إنه الشيء الوحيد الذي يمكن أن يسيطر على انتباهنا بالكامل بسبب حبنا له، أي الشيء الوحيد، إلى جانب ذواتنا، الذي ننتبه له بشكل طبيعي وبهوس. ما الذي يمكن أن يكسر افتتاننا الطبيعي بأنفسنا إن لم يكن الافتتان الطبيعي بالجمال؟ لولا الجمال، ما كان هناك أمل في جعلنا نهتم اهتمامًا جادًا بأي شيء لا يعنينا بشكل مباشر، ولا أمل في جعلنا نرى الأشياء المهمة حقًا خارج النطاق الشخصي المحدود.[210] وحده يمكنه تجنيد شغفنا غير المبالي. لذا فالجمال شيء مهم، مهم للغاية، كثيرًا ما ظننتُ أن يُترك في أيدي سكارى سحره، الذين يتصرفون بشكل غير مسؤول في حضوره، وهي طريقة جيدة لوصف الفنانين الذين أُجبرت على شجبهم.

بيرنز: يبدو هذا غريبًا جدًا بالنسبة لي، مع كل حديثك عن الجمال ومدى تركيزك عليه في فلسفتك، لا يظهر منك إلا القليل من الاحترام للفنانين. ويصبح أغرب

(210) . انظر محاورة الندوة، خطبة ديوتيما، 209e–212a، والتي تتضمن هذه العبارة: "وإذا كانت حياة الرجل أبدًا جديرة، يا عزيزي سقراط، واصلَ ديوتيما، أن تُعاش، فهو عندما يكون قد حقق هذه الرؤية لروح جمال." (لاحظ اللغة في "جَدارة الحياة".)

حتى مع فكرة أنك ذاتك فنان رائع. محاوراتك هي شكل من أشكال الفن، أليس كذلك؟

أفلاطون: أتمنى ألا أكون قد قللت من احترام الفنانين بمجرد الإشارة إلى أن فنانًا عظيمًا، ليس ببساطة لأنه فنان عظيم، هو بالضرورة فيلسوف عظيم، أو حتى فيلسوف مقبول، ولذا فإن انبهارنا بفنه يجب ألا يكون سببًا يجعلنا نلقي بالًا إلى ما سيقوله فيما يتعلق بكنه الأشياء وما ينبغي أن تكون عليه.

بيرنز: إذًا أنت لا تعتقد أنه يجب علينا اعتبار فنانينا - رسامينا وروائيينا وشعرائنا ومخرجي وممثلي السينما والمسرح - مفكرين في الشأن العام؟

أفلاطون: ليس فقط لأنهم يؤدون فنهم بصورة جيدة، لا. وأحيانًا يكونون مفكرين. لقد كنت أعد يوربيديس واحدًا منهم.

بيرنز: كان ناقدًا شديدًا لمجتمعه، أليس كذلك؟

أفلاطون: بلى، لقد كان.

بيرنز: ولكن ربما ليس أكثر منك؟

صمت.

بيرنز: آسفٌ على إصراري، لكن فكرة الفن هذه تؤرقني، وأعتقد أن هذه فرصتي.

أفلاطون: نعم؟

بيرنز: أشعر بالارتياح لسماع أنك معجب بيوربيديس، لكن يزعجني مدى عدم إعجابك بهذا القدر من الفن العظيم. ألا ينبغي أن يكون الفنان مُطلعًا على قدر من الحكمة على الأقل مثل الفيلسوف حتى يتمكن من تحريكنا بتلك البراعة؟

أفلاطون: هناك العديد من الطرق التي نتأثر بها، وليست جميعها تنطوي على الحكمة. كم سيكون من السهل حل مشاكل الديمقراطية التي كنا نناقشها للتو لو لم

يكن هذا هو الحال. هناك من يعرفون جيدًا كيف يحركون الناس ببراعة حتى عندما تكون في ذلك مضرة الناس.

مونيتز: أنت تقصد قوة الديماغوجيين، لا شك.

أفلاطون: غالبًا ما يكونون بارعين جدًا. يجب أن يكون الدافع لمفكرين هو السعي وراء ما هو حقيقي وما هو خير وكيف ينبغي تنظيم الحياة على أفضل وجه في ضوء ما هو حقيقي وما هو خير. إن إحساسنا بالجمال نفيس جدًا في قيادتنا إلى الحقيقة، لأن الحقيقة بكل بساطة جميلة.

بيرنز: إذًا ما الذي تحمله ضد الفنانين، بما أنهم مخلصون للجمال أكثر من أي أحد آخر؟ أنت لا تقول إن الفنانين ديماغوجيون، أليس كذلك؟

أفلاطون: من يُخلصونَ حقًا للجمال مخلصون بنفس القدر للحقيقة وللخير أيضًا. مثل هذا الشخص سينجح في أن يجلب للحياة، ليس أشباح الفضيلة، لأنه لا لا يرى أشباحًا، بل الفضيلة الحقيقية، لأنه يرى الحقيقة (الندوة 212a). وهذا هو الفن الذي أحبه. إنه الفن الذي يحركه حب الحقيقة ذاته الذي كنا نتحدث عنه عند تحديد السمات التي سنبحث عنها في أطفالنا ونحاول تنميتها بشكل أكبر.

بيرنز: حسنًا، أنا سعيد لأنك أعادتنا مرة أخرى إلى موضوعنا، وهو تربية الأطفال. هل تعتقد أن هناك نوعًا من الاختلاف الفطري في ذلك أيضًا، أي أنه ليس كل الناس يولدون محبين للحقيقة؟

أفلاطون: هناك أشخاص حب الحقيقة فيهم هو قوة دافعة، لكنهم ليسوا كثيرين. عندهم، لذة التعلم غير مشوبة بالألم، وهم لا ينتمون إلى عامة البشر ولكن إلى قلة قليلة منهم فقط (فيليبوس 52b). بالنسبة لهم، هناك متعة في الحقيقة، بغض النظر عن طبيعتها، ببساطة في فكرة أنها الحقيقة. أعتقد، ربما، أن الدكتورة مونيتز هي شخص مثل هذا.

مونيتز، متأثرة بوضوح: هذه واحدة من أفضل المجاملات التي قيلت لي

الإطلاق.

أفلاطون: أنا لا أقول ذلك لأجاملك. أقوله لأنه صحيح. حب الدكتورة مونيتز للحقيقة بارز بوضوح، لكن في الأطفال لا يمكن اكتشافه بهذه السهولة. يعلن الذكاء والحيوية عن نفسيهما في طريقة لعب الأطفال، لكن تلك الصفة الأخرى، حب الحقيقة، تبقى خفيةً. ولذا فقد اقترحت اختبارًا اصطناعيًا نوعًا ما لاكتشافها.

بيرنز: لذا بدلًا من إخضاع قادة المستقبل لمجموعة من اختبارات الذكاء IQ، تخضعهم لاختبار حب الحقيقة، أي تقيس لديهم ΦQ، إذا جاز التعبير.

أفلاطون: إذا جاز التعبير. ما اقترحته هو أن تُحكى لأطفالنا حكايات مجيدة تحفز خيالهم، مع التأكيد لهم طوال الوقت أن هذه الحكايات لأحداث حقيقية، ومن ثم رؤية أي من الأطفال يمكنه مقاومتها، يمكنه رؤية التناقضات المنطقية داخل هذه الحكايات، ورؤية تناقضاتها مع الحقائق الأخرى التي قيلت لهم (الجمهورية 413c–414a).

مونيتز: يبدو لي شكلًا قاسيًا وغير مألوف من الاختبارات، يا أفلاطون، الاستفادة عمدًا من ميل الطفل إلى الوثوق بالبالغين أصحاب السلطة. لقد طور الأطفال، الذين يحتاجون لتعلم الكثير في وقت قصير جدًا، ميلًا إلى الثقة بالبالغين لتعليمهم المعرفة الجماعية لجنسنا البشري، وهذه الثقة تكسبهم قيمة البقاء. لكنها أيضًا تجعل الأطفال عرضة للخداع، ويجب أن يشعر البالغون الذين يستغلون هذا الضعف بالخجل الشديد. ومن المفارقات الشديدة أنه لأجل حبك الكبير للحقيقة، فإنك تبهت أذكى الأطفال وأكثرهم حيوية بالخداع المتعمد. ألا ترى التناقض المنطقي في اقتراحك؟

أفلاطون، مبتسمًا: كما قلت، دكتورة مونيتز، أنت تحديدًا تتمتعين بحب الحقيقة. إنه ينبض بداخلك مثلما ينبض حب ثيموس بداخل البروفيسورة زي.

مونيتز: وهو السبب في أنني لن أسمح لنفسي بأن أنخدع بمداهناتك. على الرغم من دهاء إطرائك، فلن يردني عن الإشارة إلى أن التناقض نفسه الذي أشرت إليه في

اختبارك لـ ΦQ يتغلغل في نسيج اليوتوبيا التي أنشأتها، حيث تثمن الحقيقة ومع ذلك تخوّل لأوصيائك طرح الأكاذيب، طالما أنها ما تسميه «الأكاذيب النبيلة»، والتي تقصد بها الأكاذيب التي تخدم الحقيقة الأكبر، التي يمكن للأوصياء وحدهم رؤيتها.[211] وإذا وضعنا جانبًا مسألة التناقض المنطقي الصغير هنا، فضلًا عن معاملة المواطنين كأطفال، وسلب كرامتهم بإطعامهم الأكاذيب، دعونا فقط نتأمل مثل هذا الاقتراح من وجهة نظر براغماتية. لا أعتقد أنه يجب علينا إجهاد خيالنا كثيرًا حتى نصل إلى طرق يمكن أن يؤدي بها ترخيص الكذب هذا، في جانب القادة السياسيين، إلى انتهاكات مروعة. يزودنا التاريخ بالعديد من الأمثلة لما يمكن أن يحدث عندما يُربى الشعب ليكونوا سلبيين ولا تُوفر لهم الأدوات اللازمة لكشف ما يسميه الأوصياء بالأكاذيب النبيلة، من الافتراءات ذاتية المصلحة التي ترويها المؤسسات الدينية عبر العصور إلى الخداع ذاتي المصلحة الذي يرويه الأوليجاركيين الرأسماليين، معتقدين أن التزامهم برؤيتهم لحقيقة السوق الحرة يبرر كذبهم النبيل. ناهيك عن طغاة الحكومات الشمولية، الذين ينشرون أساطيرهم، التي غالبًا ما تُشيطنُ الأقليات لتعزيز الصالح العام المتمثل في التماسك الاجتماعي. حتى في حالة عيناتك الاستثنائية، انتُزعوا من الحشد ودُرّبوا على معرفة الحقيقة، كيف يمكنك منعهم من أن يكونوا ضحايا لخداع ذواتهم؟ إذا كنت تعتقد أنك، أو أي شخص آخر، بإمكانك ابتكار برنامج لتربية الأطفال يمنع خداع الذات عند الأوصياء - تتشدق بالكلمة ساخرة - إذًا أخشى أن تكون أنت نفسك ضحية خداع ذاتك، وهو السبب في أن عدم خضوع القادة للمساءلة من قبل المحكومين هو استجداء لأسوأ أنواع المشاكل، المحكومين الذين- في رأيي- يملكون نفس القدر من السلطة الأخلاقية للمطالبة بالمساءلة الأخلاقية على الأوصياء. إن جوهر الموقف الأخلاقي هو أن لكل شخص السلطة للمطالبة بالمساءلة، وأي شيء أقل من ذلك هو إهانة

(211) . "وإذا كان من حق أحد أن يستخدم الأكاذيب لصالح المدينة، سواء بسبب أفعال الأعداء أو المواطنين، فهم الحكام" (الجمهورية 389c–b). انظر أيضًا (الجمهورية 414d415–b)، للاطلاع على ما يسمى بـ"الكذبة النبيلة" الشهيرة.

للكرامة الإنسانية.

بيرنز: إنك تطرحين هنا أسئلة مهمة ملحة، دكتورة مونيتز، وأعتقد أننا جميعًا ممتنون لك لتوجيه انتباهنا إليها بهذه القوة. في الواقع، وأعتقد أن الجميع هنا متفقون على أن الأسئلة التي تطرحينها يا دكتورة مونيتز مهمةٌ جدًا لدرجة أنها تستحق حوارًا بحد ذاتها، تومئ زِي بحماس أن نعم، ربما يمكننا حتى إعادة عقد هذه اللجنة، ولكن لمناقشة السياسة حصريًا. لكن الليلة، لا أريد للقضايا الملحة بنفس القدر التي تثيرها تربية الأطفال ألا تحظى بالاهتمام الكافي.

وسأشعر بالتقصير يا أفلاطون إذا لم أذكر موقفك تجاه الوالدين في مجال تربية الأطفال برمته. نحن نعتبر أنه من المسلَّم به في مجتمعنا أن هذه الأسئلة حول أفضل السبل لتربية أطفالنا يجب أن يفكر فيها الآباء ويقررونها، والكتب الأكثر مبيعًا في هذا الموضوع موجهة جميعًا للآباء. لكنك، في الواقع، سحب هذه القرارات من سلطة الآباء وتخصصها للدولة. في الواقع، في أكثر اقتراحاتك تطرفًا يخرج الوالدان من الصورة تمامًا. إنه يذكرني بنظام الكيبوتس[212] المبكر، حيث يُربى الأطفالُ جماعيًا. لكن هذا النظام الجماعي لم يسر بشكل جيد في الكيبوتسات، وقد تخلوا عنه جميعًا تقريبًا وعادوا إلى وضع الأطفال مع والديهم.

أفلاطون: أعترف أنني لا أعرف شيئًا عن الكيبوتسات، سأضطر إلى البحث في غوغل. ماذا حصل؟

بيرنز: حسنًا، أعتقد أن الأطفال اشتاقوا لوالديهم، وأن الآباء اشتاقوا لأطفالهم.

أفلاطون: من شأن اقتراحي للمجتمع المثالي أن يتحايل على هذه المشكلة. ما اقترحته هو أنه لا الآباء ولا الأطفال يعرفون علاقات الدم فيما بينهم. لن يعرف الآباء أي أطفال أطفالهم، وبالتالي سيوجهون حبًا أشمل وإحساسًا بالمسؤولية تجاه جميع الأطفال الذين هم في سن أطفالهم. والأطفال، الذين لا يعرفون من هم آبائهم، سيشعرون بحب عام وتبجيل لجيل كامل من الآباء. بالطبع، طُرح كل هذا في نظرية

(212) . المزارع التعاونية اليهودية.

مثالية، تهدف إلى الإجابة على سؤال ما هو الشكل الذي قد تبدو عليه العدالة الكاملة. بدا لي الشعور بالتماسك والوحدة في مثل هذا المجتمع، حيث يعمل الجميع من أجل الجميع، ليس من خلال الإكراه ولكن من باب التضامن، واعدًا بمستوىً عالٍ من العدالة.

بيرنز: كيف ترد الأم المحاربة على اقتراح أفلاطون أنه في مجتمع عادل تمامًا، لن تعرف ابنك من بين جيل كامل من الأطفال؟

زي: حسنًا، وأنا أتحدث كأمٍّ فقط - لا أعتقد أن شق المحاربة يمثل أهمية هنا - أنا مذعورة بشدة! إذا كانت العدالة تتمثل في عدم حرمان أي شخص مما يخصه، وهو ما فهمته من كلام أفلاطون السابق، فكيف يمكن للعدالة أن تطالب بحرمان أم مما يخصها ويعني لها أكثر من أي شيء آخر في العالم كله، أي أطفالها؟ أعني، خذ أي شيء مني - منزلي، ممتلكاتي الدنيوية، وحتى حريتي - لكن ليس أطفالي! إذا حرمت الوالدين من امتياز ومتعة تربية أطفالهم فإنك تلغي الجزء الأكثر أهمية من حياتنا. هذا الحب العام الذي ذكره أفلاطون للتو سيكون بديلًا فقيرًا مثيرًا للسخرية، واعذرني، لكن لا يسعني إلا أن أرى أن هذا الاقتراح لا يمكن أن يقدمه إلا رجل لم يكن يومًا لديه أطفال. هذا الحب العام لا يمكن أبدًا، ولا بعد مليون سنة، أن يحل محل الارتباط الشرس الذي تشعر به كل أم تجاه لحمها ودمها كشراسة النمرة، والتضحيات التي هي على استعداد لتقدمها لهم لضمان أن يعيشوا أفضل حياة ممكنة.

تصفيق مستمر من الجمهور.

بيرنز: وأنت دكتورة مونيتز؟

مونيتز: حسنًا، كنت سأرفض اقتراح أفلاطون أيضًا باعتباره وحشيًا، لكني الآن بعد الاستماع إلى المتحدثة الأخيرة أشعر بأنني بدأت أتحمس لوجهة نظره. إن الارتباطات الشرسة التي تتحدث عنها هنا هي، في جوهرها، إسقاطات النرجسية التي تجعل مثل هذه الأم تنظر إلى أطفالها على أنهم امتداد لنفسها. وبما أن النرجسية متفشية في مجتمعنا - ما يمدحه أفلاطون بوصفه حيوية أقترح وصفًا أفضل له وهو

النرجسية الجامحة - فإن المخاطر التي يتعرض لها الطفل الناشئ هائلة. هذه الارتباطات الشرسة خادعة تحديدًا لأنها شرسة، وهي تؤدي إلى العملية الشرسة المتمثلة في معاملة الطفل كمشروع التي يحاول به هؤلاء الآباء إنجاب أطفال يحافظون على تخيلاتهم النرجسية. على الأقل يريد أفلاطون أن يكون أطفاله الاستثنائيين استثنائيين من أجل الصالح العام الذي يمكنهم فعله، في حين تريد الأمهات المحاربات أن يكون أطفالهن استثنائيين لمجرد أنهم أطفالهن، لحمهن ودمهن، كما قالت في وصف حي، وإن كان بدائيًا. لا يا بروفيسورة زي، لحم الطفل هو لحمه ودم الطفل هو دمه، ولهي جريمة بحق الطفل أن تستولي على ما يخصه لنفسك.

زي: لا أعتقد أن هذا الكلام منصف تمامًا! نعم، الأم تحب طفلها بشدة لأنه طفلها، لكن هذا لا يعني أن هذا الحب يتحول في النهاية إلى حب نرجسي للذات! تصفيق قوي وحتى بعض الصفارات التي تنتظرها زي بصبر حتى تنتهي. هل تعلنين على الملأ أنك حقًا ضد حب الأم؟ المزيد من التصفيق.

مونيتز: لا، أنا لا أعلن أنني ضد حب الأم. وبالرغم من أنه تقريبًا موضوع غير ذي صلة، إلا أنه يتصادف أنني أيضًا أم، وغني عن القول إنني أحب أطفالي. وأنا أعني حقًا أنه غني عن القول. أجد أنه من غير اللائق أن تقول لنا الأم مرارًا وتكرارًا أنها تحب أطفالها. الأمر يشبه الخنزير الذي يتفاخر بأنه يستطيع أن يقبع في قذارته. الجمهور يشهق. تستدير مونيتز للجمهور وتبتسم بغرابة. آه، أنتم تشهقون. هذا حسن وجيد، لأنه يخبرني من يجلس هناك في ظلمة تشبه ظلمة الكهف الذين لا أستطيع رؤية وجوههم. هل يمكنك احتواء مشاعركم المستاءة وتسمعونني؟ أنا أحاول ببساطة أن أوضح أن حب الأم شيء معقد، وإلى الحد الذي لا تستطيع الأم فيه فصل حبها لطفلها، الذي هو كائن مستقل، عن حبها لنفسها، فهذا الحب هو تهديد لسلامة الطفل بقدر كل الأخطار الخارجية التي تخشى عليه الأم منها بشدة وتحاول حمايته منها بشراسة كشراسة النمرة. إنه أخطر التهديدات لأنه بطبيعته غير مرئي للأم. إن اقتراح أفلاطون، بقدر تطرفه، يعترف على الأقل بحدود المعرفة

الأبوية المطلقة بشأن مسألة سلامة الطفل. أقول ذلك إنصافًا لاقتراحه الطوباوي الجامح. لكن مرة أخرى، يبدو لي أن المدى الذي هو راغب في الذهاب إليه في اتجاه سلطوية الدولة يبدو ساذجًا في أحسن الأحوال، وغير أخلاقيٍّ في أسوأها. الحدّ من استبداد الوالدين لا يعني تحويل الدولة ونظامها التعليمي إلى طاغية. يجب على المرء أن يجد حلًا لا يضحّي بكرامة واستقلالية جميع الأفراد. وأنت محقةٌ تمامًا، بروفيسورة زي، في أن هذا الحب العام الموجه نحو جيل لا يمكن أن يحل محل الحب الشخصي، وأن الرعاية المؤسسية لا يمكن أن تحل محل النظام العائلي، سواء كان تقليديًا أم لا، يوفر طابعًا فرديًا للغاية من الشعور بالارتباط والالتزام والمسؤولية، ونعم، أتفق معك، الحب الشديد، إن لم يكن الشرس. تصفيق. تمتعض الدكتورة مونيتز.

زي: نعم، أتفق معك دكتورة مونيتز، أوه، أنا أتفق معك تمامًا! الدكتورة مونيتز تحدق بها بثبات، يجتمع حاجباها سويًا في خطٍّ كثيف، كما لو أنها تحاول تبين أي فئة في الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية يجب استخدامها. أعتقد أنه حتى قد يكون نهاية جنسنا! لماذا ينجب الآباء الأطفال إذا لم يتمكنوا من نسبتهم إليهم؟ سينتهي الجنس فقط!

بيرنز، مبتسمًا: ماذا تقول بشأن هذا، هل نقول، السؤال المفعم بالحيوية، يا أفلاطون؟

أفلاطون: نعم، ثمة حقيقة فيما تقوله البروفيسورة زي، من أن دافع الناس لإنجاب الأطفال، والشعور القوي تجاه أطفالهم، مرتبط بأنفسهم، وبوجودهم، وحتى برغبتهم في مد أنفسهم وراء وجودهم المحدود إلى المستقبل.

مونيتز: بالضبط؛ نرجسية.

أفلاطون: لا، ليس بالضبط. كان نرجس يحدق فقط في انعكاس صورته، مجرد صورة، عيدولون eidôlon [213] يملك من الحقيقة أقل مما يملكه هو نفسه. والأهم أن هذا الحب للصورة المجردة لم يستخرج منه شيئًا، لا شيء يتجاوز ذاته. كان حبًا لم

(213) . في اليونانية تعني صورة أو شبيه أو شبح. (المترجم).

يتمخض عن شيء.

مونيتز: كان ذلك أفضل. على الأقل لم يجلب أشخاصًا إلى العالم - أشخاص مستقلون ولهم الحق في وجودهم المنفصل - ثم اعتبرهم مجرد امتداد لنفسه.

زي: لمجرد أنك تحبين أطفالك لأنهم أطفالك لا يعني أنك ترينهم فقط كامتدادات لنفسك! أنت تساوين بين الأمرين، وهما ليسا نفس الشيء!

مونيتز: أنا لا أساويها. نعم، يحب المرء أطفاله لأنهم أطفاله، وهذا بديهي. وإذا كنت تذكرين، فأنا لم أوجه تعليقي إليك، لكن لأفلاطون، على قوله بأن حب المرء لأطفاله هو رغبة في مد وجوده. هذا ما أسميته بالنرجسي.

أفلاطون: إذًا، بناءً على هذا الفهم للنرجسية، والذي يبدو لي منحرفًا، أنت محقة. تسعى الطبيعة الفانية قدر الإمكان إلى أن تكون أبدية وخالدة، وإحدى الطرق لتكون قادرة على ذلك هي من خلال إنتاج ذرية، من خلال ترك آخر صغير، يحل محل القديم (الندوة 207d).

زي: أنت لا تقول إن على الجميع أن ينجبوا أطفالًا، أليس كذلك؟

أفلاطون: أوه، لا، على الإطلاق. هناك أنواع كثيرة من النسل. يحسد الناس هوميروس وهسيود والشعراء المجيدين الآخرين على النسل الذي تركوه وراءهم، لأن هذا النوع من النسل، لأنه خالد بنفسه، يمنح من أنتجوه مجدًا خالدًا وذكرًا أبديًا (الندوة 209d). ثم هناك الأبناء الذين خلفهم مؤسسو أمريكا، القوانين التي صاغوها والتي لا تزال تعيش حتى يومنا هذا وتحقق العدالة للدولة. هؤلاء هم الأبناء الذين يجلبون لوالديهم مجدًا أكبر بكثير مما يجلبه الأبناء من البشر[214].

(214) . تحدث أفلاطون عن سولون وليس عن المؤسسين الأمريكيين: "أنتم أيضًا تُبجلون سولون بسبب القوانين التي هي نسله، وهناك رجال آخرون في العديد من الأماكن مبجلون لأسباب أخرى. عند كل من اليونانيين والبرابرة، هناك رجال أنتجوا العديد من الأعمال الجميلة، وأثمروا آريت من كل نوع. بنيت العديد من الأضرحة لرجال خلفوا هذا النوع من الأبناء، لكن لم تبن لهم أي أضرحة مطلقًا بسبب أبنائهم من البشر" (الندوة 209 د-هـ d–e209).

زي: بالضبط، هذا بالضبط ما كنت أقوله! ما نريده لأبنائنا هو أن يكونوا أشخاصًا ينجبون مثل هؤلاء الأبناء الأعظم، ما سيجلب المزيد من المجد.

مونيتز: يجلب المجد لك.

زي: لا، لهم! ما نريده هو أن يحيا أطفالنا حياة في غايتها تستحق أن تعاش. هذا ما نحاول اكتشافه هنا. جميع الآباء يريدونها لأنفسهم، الحياة التي تستحق أن تُعاش، لكنهم يريدونها أكثر لأطفالهم. أو، على الأقل، يشعرون أن لديهم سيطرة أكبر على خلق الظروف التي ستمنحها لأطفالهم.

مونيتز: نعم بالضبط. أنت محقة. إنها ليست نرجسية. إنها فاشية.

بيرنز: فاشية، دكتورة مونيتز؟

مونيتز: ماذا تسمي وجهة النظر التي تميز بعض الحيوات على أنها تستحق أن تعاش وأخرى لا تستحق. وتلك التي لا تستحق: ماذا نفعل بها؟ هل نجمعها إذًا ونرميها في غرف الغاز؟ شهيق مسموع من الجمهور. يبدو بيرنز غير مرتاح، مستشعرًا ربما أنه يفقد السيطرة على الحدث.

أفلاطون، بهدوء شديد: أعتقد أنك تسيئين فهم ما قالته البروفيسورة زي، دكتورة مونيتز. هي لم تكن تلمح إلى أن الأشخاص الذين يعيشون تلك الحياة التي ربما لا تستحق أن تعاش هم أنفسهم بلا قيمة. لكن تحديدًا لأنهم بشر، وبالتالي أشياء ذات قيمة، من المهم جدًا أن يحيوا حياة تستحق أن تُعاش.

زي: بالضبط! ما قاله أفلاطون بالضبط! أعني، تخيلي طفلًا ينشأ في قفص صغير جدًا، ويعطى ما يبقيه قيد الحياة فقط ولا شيء آخر. السبب في أن هذا شيء مأساوي للغاية بالنسبة للطفل، على عكس الدجاجة على سبيل المثال، هو أنه إنسان. أعني أنني لا أقول إن الإنتاج الصناعيّ للحيوانات مثالي، الدجاج له حقوق أيضًا، لكننا لا نشعر بالفزع عندما نسمع أن الدجاجة تحيا حياة لا تستحق أن تعاش مثلما نسمعُ أن الإنسان يحيا حياة لا تستحق أن تعاش.

مونيتز: وأنا أؤكد لك أن تربية طفل وفقًا لأساليبك، وفرض مطالب حديدية عليه بأن يكون فائقًا، هو بمثابة وضعه في قفص صغير جدًا.

بيرنز: الأنشطة خارج المنهج! لماذا لا نتحدث عن الأنشطة خارج المنهج؟ إنه سؤال يواجهه كل والد أعرفه، وصوفي، أنت بالتأكيد تضعين الكثير من الوقت والجهد في أنشطة أطفالك الخارجية.

تومئ زي برأسها بقوة.

بيرنز: ونعلم جميعًا أنّ الكليات، على الأقل هنا في الولايات المتحدة - لا أعرف كيف هي الحال في أكاديميتك، يا أفلاطون - تركز كثيرًا على الأنشطة الخارجية، حيث الكليات ذات المستوى الأعلى، التي قد يعتقد المرء أنها تتجه أكثر في الاتجاه الفكري، تبحث - كما يعلم كل والد هنا ممن مر بهذه العملية المثيرة للقلق - عن معيار معين يتمثل في المتقدم عريض الموهبة. في الواقع، يبدو أحيانًا أن مقدم الطلب المثالي عريض الموهبة لدرجة أنه يذكرني بتلك الأسطورة التي ذكرتها على لسان أريستوفانس في ندوتك، يا أفلاطون، أننا بدأنا جميعًا كشخصين تقريبًا دمجا معًا بحيث أصبحنا مستديرين تمامًا ويمكن أن نتدحرج إلى أي مكان. يضحك الجمهور. بيرنز يخاطب الجمهور. حقًا، إذا لم تكونوا قد قرأتم ندوته، فأنا أحثكم على قراءتها. حاول أفلاطون جعل أريستوفانس يشرح سبب وقوعنا بجنون في حب شخص معين، وقد جاء بهذه الأسطورة عن اندماج شخصين مما جعلنا على درجة من الكمال والغطرسة أغضبت الآلهة فعاقبتنا بأن قسمتنا من المنتصف. لنا في المنتصف. والآن نحن جميعًا مهووسون بالعثور على نصفنا الآخر - المثليون يبحثون عن الشخص من ذات الجنس الذي كانوا مندمجين معه من قبل، والمغايرون يبحثون عنه في الجنس الآخر - وعندما نجدهم لا نريد إلا الاندماج معهم مرة أخرى، لدرجة أننا نُفضّل أن نبقى، حسنًا، مندمجين، مندمجين جسديًا، على الأكل أو القيام بأي شيء آخر. يضحك الجمهور مرة أخرى. نعم، إنها محاورة رائعة، في كل شيء، وأعتقد أنها مصدر تعبير «الحب الأفلاطوني» الذي نستخدمه. لكن على أية حال، لقد خرجت عن

الموضوع. كانت النقطة التي كنت أريد الوصول إليها هي أن تلك الكليات تبدو وكأنها تريد مرشحين متعددي المواهب إلى حد أنهم يجب أن يكونوا شخصين مختلفين مندمجين معًا بخصائص مختلفة في كل واحد عن الآخر! يجب أن يكونوا رياضيين متحمسين وفنانين حساسين، مهووسين بالدراسة واجتماعيين على شبكات التواصل، حكام الكون المستقبليين، وغيريين يؤثرون على أنفسهم. أعتقد أن الصورة وصلتكم.

الآن أنت، يا أفلاطون، بالإضافة إلى كل شيء آخر، رئيس جامعة مشهورة، النموذج الأوَّليُّ لجميع الجامعات حقًا، وقد ذكرت بالفعل مدى أهمية ألعاب القوى والموسيقى في تربية الأطفال. بالنظر إلى أيّ مدىً أنت شخصٌ مثقف - ولنواجه الأمر، فكرتك عن الطفل الاستثنائي هي في الأساس شخصٌ يُربى ليصبح مثقفًا - يبدو هذا التركيز على الرياضة والموسيقى شيئًا مفاجئًا. على الأخص، وإنه لأمر مدهش حقًا عدد الصفحات في الجمهورية وكذلك القوانين، كتابك اللاحق، الذي خصصته للرياضة. بروفيسورة زي، أنت بالتأكيد لم تشجعي أطفالك على الرياضة، كما أذكر.

زي: حسنًا، ليس أكثر من المطلوب للحفاظ على لياقتهم. بالتأكيد لم تكن لدي أية نية أن أصبح أُمًا للاعب كرة قدم!

أفلاطون: يبدو لي موقف البروفيسورة زِي معقولًا. يجب تشجيع الأطفال، حتى أولئك الذين سيكبرون ليصبحوا مفكرين، على اكتساب عادة الحفاظ على لياقتهم البدنية، بحيث يمتلكون جسمًا سليمًا يدعم عقلًا سليمًا، لكنني أيضًا لم أشجع، في برنامج تربية الأطفال الخاص بي، التفاني الشديد في الرياضة المطلوب من الرياضي المحترف (الجمهورية 407b).

بيرنز: لكنك تتحدث كثيرًا عن الرياضة. يبدو أن هناك شيئًا يهمك أكثر من مجرد العقول السليمة في الأجساد السليمة، أم أنني أبالغ في التفسير؟

أفلاطون: أنت محق في أنني أرى شيئًا تكوينيًا في الرياضة، التي هي لحسن الحظ

أيضًا، بالنسبة لمعظم الأطفال، شكلٌ طبيعيٌّ من اللعب. لكن الرياضة تقدم أيضًا دروسًا في ملذات السيطرة على الذات والانضباط الذاتي - الأمر الذي تؤكد عليه البروفيسورة زي، بصفتها أمًا محاربة. يمكن للطفل الذي لا يتقن ممارسة الرياضة بشكل طبيعي أن يصل إلى مستوى معين من الكفاءة ببساطة عن طريق إنفاق الوقت فيها. ولأن الرياضة تثبت أن الانضباط الذاتي لا يتعارض مع اللعب، فهي نموذج لما يجب أن يكون عليه كل التعلم.

بيرنز: حتى المستوى الأعلى من التعلم؟ التعلم الذي يحتاجه المفكر الحقيقي؟

أفلاطون: حتى المستوى الأعلى. المفكر ما هو إلا شخص نظّم عقله أو عقلها لدرجة أنه أصبح يستمع غاية الاستمتاع باللعب بالأفكار بحرية؟

بيرنز: إذًا، هل ترى أن هذا التفاعل بين الانضباط واللعب يسير على طول الخط؟ بدلًا من الدفع أولًا بأول، تصبح اللعب أولًا بأول.

أفلاطون: أفضل طريقة للتفكير دائمًا هي اللعب.

بيرنز: لا تبدو لي هذه طريقة محاربين. ماذا تقولين يا صوفي؟ هل يبدو لك أفلاطون لعوبًا قليلًا؟

زي: أفلاطون... لعوب؟ تضحك ويضحك الجمهور معها.

بيرنز: لا، ولكن جديًا، التكتيكات التي تستخدمينها كأم محاربة تتمثل أساسًا في الانضباط. هناك الكثير من الممارسات القسرية المتضمنة، وهناك أيضًا تهديدات وعقوبات لجعل أطفالك يقضون ساعات في التدريب على واجباتهم المدرسية وموسيقاهم. ومع ذلك، ها هو أفلاطون يخبرنا أن الإنجاز الحقيقي هو بكل جدية لعب.

زي: أتفق معه تمامًا! يجب أن يكون ممتعًا ويجب أن تلعب. لكن لا يوجد شيء ممتع إذا لم تكن تجيده، ولا يمكنك أن تجيده إلا إذا كنت تتدرب بما فيه الكفاية، وعندها سيكون ممتعًا. تجربة إتقان شيء كنت تعتقد أنك لا تستطيع فعله هي تجربة

قوية للغاية تمنحك شعورًا رائعًا. لكن هناك عمل قاسٍ حتى تستطيع الوصول إلى تلك المرحلة.

مونيتز: وهذا بالنسبة لأم محاربة مثلك يبرر أي تطرف في التعليم القسري، بما في ذلك العقوبات والتهديدات.

أفلاطون: آمل ألا يكون الأمر كذلك، ولا أعتقد أن البروفيسورة زي تختلف معي في هذه النقطة حقًا.

زي: لا، لا أفعل! أنا أتفق معك بالكامل.

أفلاطون: بسبب المكانة المهمة التي تعطيها للموسيقى في تربية أطفالها. على عكسك يا دكتورة مونيتز، فقد قرأت دليل الأم المحاربة لتربية أطفال فائقين، وقد انبهرت بالوقت الذي تخصصه لتدريب أطفالها على الموسيقى. بالنسبة للأم المحاربة، التي تربي أطفالها المحاربين، الموسيقى ضرورية. أنا أيضًا شددت على أن محاربيّ المستقبليين يجب أن يحصلوا على تعليمٍ موسيقيّ. يجب أن يتدربوا على الرياضة لتقوية حيويتهم الطبيعية، وعلى الموسيقى لتلطيفها، حتى لا تتحول ثيموس القوية عندهم إلى شيء فاحشٍ وقاسٍ ووحشي (الجمهورية 410b–412a).

مونيتز: لكن ألا ترى أن الأم المحاربة تحول دروس الموسيقى إلى شكلٍ من أشكال المنافسة، أو آجون agon[215]، وبالتالي تحولها إلى شيء ليس فقط فاحشًا وقاسيًا ووحشيًا ولكن من المحتمل أيضًا أن يكون معاناة حقيقية لأطفالها؟ إنها مجرد وسيلة أخرى ليتغلب أطفالها على الأطفال الآخرين - ويضعون إنجازاتهم الموسيقية في سيرهم الذاتية ويستخدمونها ليدفعوا أنفسهم إلى مقدمة الحشد؟ بالنسبة لها، لا تختلف الموسيقى حقًا عن الرياضات الجماعية، ولهذا فهي لا تحتاج إلى أية رياضة لتقوية ثيموس عند أطفالها المحاربين. إنها تستخدم الموسيقى التي هي أكثر رقيًا، وفي دائرتها الاجتماعية، وأجدر بالتباهي، نحو نفس الغاية.

---

(215) . تعني في اليونانية صراع أو نزاع أو منافسة. ومنها اشتقت كلمة معاناة agony.

أفلاطون: لكن الموسيقى سيكون لها نفس التأثير، وهذا هو المهم. التدريب الموسيقي هو أداة أكثر فاعلية من أي أداة أخرى، لأن الإيقاع والانسجام يجدان طريقهما إلى الأماكن الداخلية للروح التي يرتبطان بها (الجمهورية 401e–402a). تدخل الموسيقى ويدخل معها حس الجمال الذي لا يحتاج إلى أي تبرير يتجاوز نفسه. أن تتأثر بهذا الجمال الذي ينتهي إلى ذاته، الموجود بصرف النظر عن ذلك الذي يمكن الاستفادة منه بهدف التقدم الذاتي، مفيد بشكل خاص للأطفال المحاربين الذين تربوا على أيدي أمهات محاربات.

مونيتز: البروفيسورة زِي محامية وليست محاربة.

أفلاطون: هما نفس الشيء. لأول مرة يحصل أفلاطون على ضحك حقيقي، وهو ما يتجاهله. ببساطة أعني بالمحاربين أولئك الذين يستجيبون بقوة للإحساس بجعل أنفسهم مميزين عن طريق الانتصار والذين يستمتعون بالإثارة في المنافسة. إن تعليم المحاربين، الذين يشكلون طبقة أكبر بكثير من طبقة المفكرين، يجب أن يستقطب قبل كل شيء الرغبة في التميز. وكما أن هناك مكانًا مهمًا في أي مجتمع للمحاربين، سواء كانوا جنودًا أو محامين أو غيرهم من المتخصصين في القتال، فلا بد من وجود طرق تربوية تشحذ ثيموس عندهم، وتناشد حبهم للتميز والمجد.

مونيتز: ومرة أخرى، أكرر، تمييز الذات وتمجيد الذات، أي أن الأهداف المشكوك فيها هي فقط التي تتعزز إذا شحذت ثيموس عندهم.

أفلاطون: لذلك، يصبح من المهم بالنسبة لهم، أن تكون هناك بعض الموسيقى في حياتهم! فماذا يجب أن تكون غاية الموسيقى إن لم تكن حب الجمال؟ (الجمهورية 403c). وماذا هناك لكسر الارتباط الضيق بالذات وطموحاتها، الذي يحجب رؤية أي شيء يتجاوز الذات وطموحاتها، إن لم يكن حب الجمال؟ إذا كانت هناك نقطة حساسة بداخلهم، فستجدها الموسيقى وتغوص فيها. أي طفل يستجيب للموسيقى يستجيب للجمال، وأي طفل يستجيب للجمال يمكن أن يتعلم. وعلى العكس، لا يمكن تعليم الطفل الذي لا يبالي مطلقًا بالجمال، ولكن لحسن الحظ أن هناك قلة من

هؤلاء الأطفال.

بيرنز: من المدهش سماعك تؤكد على الجمال بهذا القدر. معظم الفنانين الذين أعرفهم واعون جدًا لذواتهم لدرجة أنهم لا ينطقون كلمة «جمال». إنها كلمة فقدت الاحترام في الأوساط الفنية.

أفلاطون: الفنانون محرجون من التماس الجمال؟ أنا بالكاد أعرف كيف أرد على مثل هذا الموقف. الذي يبدو عصيًا على الفهم. تجربتي مع الفنانين هي أنهم ثملون بالجمال لدرجة أنهم تركوه يطغى عليهم، وبالتالي يفتقرون إلى حب الحقيقة الذي تجسده الدكتورة مونيتز بقوة. أما الفنانين الذين لا يقدرون الجمال؟ ما يمكن أن يكون نفعهم؟

بيرنز: حسنًا، هذا موضوع لحوار آخر أيضًا. الآن، أنا مندهش من عدد المرات التي ذكرت فيها الجمال فيما يتعلق بتربية الطفل الاستثنائي. لقد قيلت أكثر من عشر مرات على الأقل.

أفلاطون: الهدف من التعليم هو تنمية حب الجمال. والمعلم مكلف بوضع طالبه في اتصال مع الجمال الذي يستجيب لنوعية شخصية ذلك الطالب وعقله.

بيرنز: إذًا المعلم يشبه الخاطبة. يبدأ في الغناء: «أيتها الخاطبة، أيتها الخاطبة، ابحثي لي عن عروس، التقطي لي لُقطة، صيدي لي صيدًا.» الجمهور يضحك. آسف أفلاطون. ربما تحمست مع ادعائك أن التفكير لعب.

أفلاطون: صحيح تمامًا. هل سمعت عن مؤشر أنماط مايرز بريجز؟

بيرنز: لا، لا أستطيع أنني سمعت عنه.

مونيتز: حسنًا، أنا سمعت بالطبع. إنه استبيان نفسي يعتمد على تصنيف الشخصيات لكارل يونغ، والذي، اعتمادًا على الإجابات التي تقدمها لبعض الأسئلة التي تبحث في الطريقة التي ترى بها العالم وتتخذ بها قراراتك، يصنفك كنوع معين من الشخصيات.

أفلاطون: نعم، هذا هو بالضبط. أراه رائعًا.

بيرنز: هل أجريت الاختبار؟

أفلاطون: بالطبع، أجريت الاختبار. يمكنك إجراؤه مجانًا تمامًا على الإنترنت.

مونيتز: دعني أخمن: لقد جاءت نتيجتك آي. إن. تي. جاي.[216] INTJ تلتفت إلى بيرنز. هذا يعني انطوائي، حدسي، عقلاني، صارم.

أفلاطون: الدكتورة مونيتز على حق. أنا آي. إن. تي. جاي.

مونيتز: النوع الذي يتميز بأنه العقل المدبر.

بيرنز: حسنًا، هذا ليس مفاجئًا! إذا لم يكن أفلاطون العقل المدبر، فمن يكون إذًا؟ لكن أخبرني يا أفلاطون، هل تطرح هذا الموضوع لأنك تعتقد أن أنواع الشخصية هذه مرتبطة بإمكانيات مختلفة للتعلم، أو أفترض أنه ينبغي أن أقول، بلغتك، الحساسية لأنواع مختلفة من الجمال؟

أفلاطون: نعم. وفوق ذلك، ما أثار إعجابي بهذه الأنواع من الشخصيات هو درجة توريثها. كان لدي فهم ضعيف للغاية - وهذا يعني أنه غير كمّي - للجوانب الوراثية للشخصية، وهو السبب في أن تصنيفي الجامد للفئات الثلاث من الناس الذي أشرت إليه فيما يسمى بالكذبة النبيلة كان استعارة فجة للغاية. وفقًا للباحثين المعاصرين، تمثل المدخلات الوراثية حوالي نصف التأثير على الاختلافات في الشخصية. ويرجع بقية التأثير، حسب نظرياتهم، إلى كل من البيئة، التي آمل أن تتضمن كيفية تعليمهم على أيدي الآباء والمعلمين، وما يطلقون عليه ببساطة «العشوائية».

بيرنز: إذًا أنت تقترح أن هناك جانبًا فطريًا في نوع الجمال الذي يمكن لطفل معين أن يحبه وبالتالي يتعلم عنه؟

---

(216). Introverted, Intuitive, Thinking, Judging

أفلاطون: يصلح البعض ليكونوا محبين لجمال الأصوات والألوان، وكلمات ومعاني الشعراء، والوجوه والأجساد البشرية، والقوانين التي تسنها حكومة عادلة أو القوانين التي تحكم حركة الأجرام السماوية. يصلح البعض ليكونوا محبين لجمال الرياضيات والجمال الأخلاقي، ليكونوا محبين للجمال الأكثر تجريدًا الذي تمليه ضرورة الوجود.

بيرنز: وما تقوله هو أنك لن تفرض هذه الأنواع المختلفة من الجمال على من هم غير مناسبين لها بالفطرة؟

أفلاطون: بالتأكيد لا. وما الغاية؟ الإجبار على الجمال أمر خاطئ. الجمال هو ما يثير الرغبة والحب. لكننا لسنا جميعًا متشابهين فيما يتعلق بالجمال الذي تكمن فينا رغبته أو حبه.

بيرنز: لنفترض أن لديك طفلًا منيعًا، على سبيل المثال، ضد الجمال الرياضي. أعتقد أنني ربما كنت مؤهلًا لأكون هذا الطفل. الجمهور. في الحقيقة، لا أعرف، أسمعك تقول كلمات «الجمال الرياضي» وأنا متأكد من أنك تقصد شيئًا ما بها، لكن في الحقيقة ليس لدي أي فكرة ما هو. الجمهور يضحك.

أفلاطون: ولا ينبغي عليك.

بيرنز: هل تعني ذلك حقًا؟ لم تكن لتطلب مني دراسة الجبر في الصف التاسع، والهندسة في الصف العاشر، وعلم المثلثات في الحادي عشر، ولإخبارك بالحقيقة، لا أستطيع حتى تذكر الرياضيات التي تلقيتها في الصف الثاني عشر، ولكن مهما كانت، أما كنت ستجعلني أدرسها؟

أفلاطون: لا أرى أي سببٍ يدعو إلى تلقين أيّ شخص قسرًا بمعلومات لا تتفق مع جهازه الهضمي المعرفي، لن تغذيه، سوف تخرج مباشرة من نظامه، بمجرد اجتيازه المدرسة. كم مما دربوك عليه تتذكره الآن؟

بيرنز: لا أستطيع أن أخبرك ما هو الجيب أو جيب التمام أو الظل حتى لو كانت

حياتي تتوقف عليه! الجمهور يضحك. وتذكر تلك المشاكل الكلامية التي اعتادوا أن يعذبونا بها: إذا غادر أحد القطارات نيويورك متجهًا إلى بوسطن في الساعة 11 صباحًا بسرعة 75 ميلًا في الساعة، وقطار آخر يغادر نيويورك متجهًا إلى بوسطن في الساعة 11:30 بسرعة 100 ميل في الساعة، في أي وقت أرسل سائق القطار الأول لزوجته رسالة مفادها أنه ترك حقيبة طعامه على طاولة المطبخ؟

أفلاطون: لا أفهم السؤال.

بيرنز: واو! لقد أعجز سؤالي أفلاطون! أي أحد يملك الإجابة؟

زي: ليس في أي وقت، لأنه من غير القانوني أن يرسل سائق رسالة نصية أثناء تشغيله للقطار! الجمهور يضحك ويصفق.

بيرنز: ومرة أخرى، سيداتي وسادتي، توضّح صوفي زي العظيم الكبير الذي تستطيعه الأمهات المحاربات! لكن في الواقع أود أن أسألك يا صوفي عن رأيك في آراء أفلاطون. أتخيل أنك قد تجدين تساهل أفلاطون في بعض المتطلبات، مثل دراسة الرياضيات في الثانوية، إلى حد ما ليّنًا.

زي: ليّنًا؟ أنا لا أعرف شيئًا عن لينه. كنت جالسة هنا أفكر في مدى قسوة آرائه.

بيرنز: قاسية، حقا؟ لم يكن سيجبرني على دراسة الهندسة. هذا يبدو جميل جدًا بالنسبة لي.

زي: كما أنه لم يكن ليمنحك القبول في أكاديميته رفيعة الطراز، نظرًا لأنك لم تحقق شرطه الوحيد.

بيرنز: نعم، هذا صحيح. لقد نسيت ذلك.

زي: لا علم، لكن عليّ أن أسأل لماذا يتخذ أفلاطون مثل هذه المواقف الجبرية تجاه الطبيعة البشرية. يبدو أنه يشير إلى أن بعض الناس يستطيعون والبعض الآخر لا يستطيع، وأولئك الذين لا يستطيعون، حسنًا، ليس هناك ما يمكنهم هم ولا آباؤهم فعله حيال ذلك. يبدو هذا سلوكا انهزاميًا، وإذا قبله الناس، فإن الكثير من الأطفال

الذين يمكنهم تحقيق التميز لن يحققوه أبدًا.

سأخبرك قصة حقيقية. عندما كانت ابنتي ميمي في الصف الثالث، بدأ أداؤها في الحساب يصبح سيئًا فجأة. كانوا يتعلمون الجمع في أعمدة طويلة، يحملون الأرقام، وظلت ترتكب أخطاء مستهترة، واحدًا تلو الآخر. في وقت تسليم بطاقات النتائج، قبل أن تعطيها المعلمة لهم، استدعت ميمي وانفردت بها لإعدادها للصدمة، والتي كانت أنها قد حصلت على C +، وهي بالنسبة لميمي لا تختلف عن F-. نظرًا لأنها لم تحصل أبدًا على أي شيء أقل من A في بطاقة التقييم. كان المعلمة حساسة تجاه ابنتي الصغيرة بقدر ما أمكنها، مؤكدة أن هذه الدرجة السيئة لا يجب أن تؤثر على شعور ميمي تجاه نفسها، كانت لا تزال فتاة صغيرة ذكية جدًا، أعني فقط أن هذه الضجة الكبيرة حدثت مخافة أن تؤثر علامة C + بشدة على احترام ميمي لذاتها، والذي أعتقد أنه تسبب في النهاية في جعل ميمي تشعر بالسوء الشديد تجاه نفسها. كل هذه التأكيدات جعلتها تشعر بالضعف. عندما أحضرت بطاقة الدرجات إلى المنزل، لم أجعل ميمي تشعر وكأنها ضعيفة وصغيرة تحتاج إلى الدعم والتأكيد على أنها ذكية. بل كنت صارمة جدًا معها بشأن إهمالها، الذي كان في نطاق سيطرتها تمامًا، وأخبرتها أنه لا شيء أقل من A سيكون مقبولًا في أسرتنا. جعلتها تتمرن وتتمرن على تلك الأعمدة حتى كانت تحلم بها في الليل، ولم تعد ترتكب أخطاءً مستهترة حتى في أحلامها. في بطاقة الدرجات التالية: A في الحساب!

مونيتز: لقد غزوت أحلام السوسة الصغيرة المسكينة أيضًا. لم تمنحيها حتى استقلالية الهرب منك في نومها.

زي: كنت أمزح حول أحلامها. من الواضح أنها كانت مزحة لأنني لا أستطيع معرفة ما إذا كانت قد ارتكبت أخطاءً في أحلامها أم لا.

مونيتز: فهمت. مزحة. ولكن لا يزال صحيحًا أنّ ما كنت تتمنينه لهذه الطفلة هو أن رغباتك بالنسبة لها- أي فائقة الإنجاز التي يجب عليها بالضرورة أن تكونها حتى تجد لها مكانًا فيما تسمينه «أسرتك»،- كان المقصود منها أن تغزو أعمق أغوار عقلها.

وأنا أسألك: لماذا؟

زي: لأن ما قاله أفلاطون للتو عن الألعاب الرياضية، وكيف أنها تعزز الانضباط الذاتي لدى الشخص وتدعم إحساسه بالإتقان، ينطبق أيضًا على أشياء أخرى، بما في ذلك المهارات التي يلزمك تعلمها في المدرسة، حتى لو كنت لن تحتاج إليها أبدًا بعد ذلك. بدلًا من محاولة تعزيز احترام الطفلة لذاتها من خلال مدحه على الرغم مما لم تفعله، وهو شيء مصطنع وبائس، والأطفال أذكياء بما يكفي ليروا كم هو مصطنع وبائس، فإن النهج الصحيح هو التأكيد على أن الطفلة بإمكانها أن تفعل ما اعتقدت أنها لا تستطيع أن تفعله، وأن يكون احترامها لذاتها مبنيًا على إحساسها بالإتقان.

بيرنز: أفلاطون؟

أفلاطون: عندما تحدثت للتو عن الرياضيات كموضوع لا يحتاج الناس أن يتعلموه إلا إذا كانت عقولهم تحمل حبًا للجمال الرياضي في انتظار من يوقده، لم أكن أفكر في أعمدة الجمع. قليلون منا يجدون سعادة في ذلك.

زي: لكن إن لم تكن ابنتي قد أتقنت أعمدة الجمع، إن كانت قد أدركت أنها يجب أن تشعر بالرضا عن نفسها حتى لو لم تكن تجيد التعامل مع الأرقام، وهو ما أخبرتها به معلمتها حسنة النية، ما كانت لتأتيها الثقة لتؤدي جيدًا في جميع فصولها الأخرى في الرياضيات، بما في ذلك الهندسة. لم تكن لتأتيها الثقة لأخذ دروس التنسيق المتقدم في الرياضيات، وإذا كانت قد تقدمت إلى أكاديميتك، كانت ستُرفض!

أفلاطون: لم أكن لأحمل شيئًا ضد ابنتك إذا لم تستطع جمع أعمدة من الأرقام دون ارتكاب أخطاء مستهترة. أنا نفسي في بعض الأحيان أرتكب أخطاءً مستهترة. وعلى عكس معلمتها، كنت سأتمكن من رؤية ما إذا كان عقلها، على الرغم من ميله إلى الإهمال، من النوع الذي يسعد بالجمال المجرد. رأيت سقراط ذات مرة يسائل شخصًا جاء من أدنى درجات المجتمع، شخص لم يتمتع بأي امتياز على الإطلاق، ولم يتعلم حتى القراءة. لكن هذا التعيس، الذي اقتاده بلطف المعلم الذي عرف كيف يطرح الأسئلة الصحيحة ويوقظ في ذهنه حبًا لجمال الروابط المنطقية، كان قادرًا بمفرده على

إدراك برهان هندسي دقيق[217] (مينون 82b–85c).

زي: أنا لا أقول إنه لا يوجد فرق بين الناس في مواهبهم الطبيعية. بعض الناس لديهم كفاءات يفتقر إليها الآخرون. يوجد هذ التفاوت تمامًا مثل غيره من أشكال التفاوت، مثل الفروق الطبقية. ولكن تمامًا مثلما يمكن تصحيح ذلك التفاوت الطبقي، كذلك يمكن تصحيح هذا التفاوت في المواهب، إذا كان الشخص على استعداد لبذل العمل الشاق. كان على ميمي أن تتمرن على العمليات الحسابية لساعات أطول من بعض الأطفال الآخرين، لكنهم في النهاية كان أداؤهم متساويًا، وهو المهم.

أفلاطون: حتى لو كان هذا صحيحًا، لا زلت لا أعرف لماذا تعرضين أطفالك لساعات طويلة من العمل الشاق، إذا لم يكن ذلك طبيعيًا بالنسبة لهم.

زي: كيف يمكن للطفلة أن يشعر بالرضا عن نفسها إذا كان لديها مثل هذه النواقص الصارخة؟

مونيتز: أنت فقط، الأم المحاربة، من تغرسين مثل هذا الشعور بالنقص في طفلك. إذا لم يكن لدى الأطفال آباء يجعلونهم يشعرون بأنهم إما أن يكونوا استثنائيين واستثنائيين في تلك المجالات التي قال الآباء إنها مهمة تحديدًا، وإلا فهم أقل من لا شيء، فلن يكون الأمر مهمًا. سيكونون راضين عن هويتهم، بما وسمتهم به طبيعتهم. ومرة أخرى سأقتبس من أفلاطون. ألم تكتب أن الطالب غير المستعد للموضوع لا يمكن جعله كذلك لا بأي استعداد للتعلم ولا حتى بأي قدرة على التذكر (الرسالة السابعة 341d)؟

زي: لا، يتفق أفلاطون معي في هذا – أو بالأحرى يجب أن أقول إنني أتفق مع أفلاطون، أو مع سقراط، أو أيهما قال إن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تعاش. الحياة التي لا تستحق أن تعاش ليست بالضبط ما أتمناه أنا أو أي منا لأطفالنا!

---

(217) . كان الطفل عبدًا في الواقع. تعلم أفلاطون، وهو سريع التعلم، أن يتجنب كل الإشارات للعبودية من محادثاته مع معاصرينا.

مونيتز: قرودك الصغيرة ليست في وضع يمكنها من عيش حياة التساؤل التي يقصدها أفلاطون. إنهم في بحث مستمر مدى الحياة عن أجل التصفيق والاستحسان، وليس من أجل الجميل والحقيقي والصالح.

زي: إذا كانت حياة التساؤل هي حقًا الحياة المثالية، فأنا أؤكد لك أن أطفالي يمكنهم تحقيقها! إذا كان من الممكن تعليمها، فسوف يتعلمونها!

أفلاطون: وماذا لو كان لا يمكن تعليمها؟ ماذا إذا كان هناك شكل خفي من الجمال لا يمكن التعبير عنه مثل الأنواع الأخرى من المعرفة، بحيث أن الطريقة الوحيدة ليتلقاه لعقل هي بالحفاظ على ارتباط دائم بالموضوع نفسه، والعيش معه ليلًا ونهارًا، حتى تنفجر الروح نفسها فجأة في لهيب من معرفة الجميل، مثل النار التي أوقدها الاقتراب من النار (الرسالة السابعة 344a)؟

زي: نعم، بالضبط! العيش معها ليلًا ونهارًا! لا يوجد شيء لا يمكن أن يعوضه التدريب والعمل الجاد. إذا لم يولد أطفالنا بموهبة طبيعية للجمال الذي تصفه، فبالجهد الكافي يمكنهم التغلب على النقص!

أفلاطون، بلطف: وكيف تعرفين هذا؟

زي: لأن أي شيء آخر قبيح وغير محتمل. لقد ذكرت بنفسك أن الجمال الأخلاقي شيء حقيقي، موجود بالفعل، موجود للروح التي تستطيع أن تحبه. ولكن كيف يمكن للعالم أن يكون جميلًا من الناحية الأخلاقية إذا كان كل شيء مجهزًا بحيث يعيش بعض الناس حياة لا تستحق أن تُعاش حقًا بغض النظر عن مدى جدية محاولتهم؟ أين الجمال الأخلاقي في ذلك؟

أفلاطون، بحزن قليلًا مخاطبًا مونيتز: هل أمكنك أن تفهمي الآن مبرري لاقتراح الكذبة النبيلة؟ لم أقترحها لأسباب سطحية، لكن في الواقع لمنع مثل هذا الاشمئزاز المرير من طبيعة الأمور.

مونيتز: لا، سيظل اعتراض البروفيسورة زي صحيحًا بغض النظر عن نبل

كذبتك الذي أقنعت نفسك به، عندما تخبرها أنها وأطفالها الأذكياء مصنوعون من معدن أقل من الذهب، وبالتالي فهي لا تملك حتى الحق في أن تطمح لحياة كريمة ومسؤولية ويجب أن تترك الاختيارات الأساسية لأوصيائها. كل ما ستفعله كذبتك النبيلة هو إحباطها حتى لا تعود لديها الروح للاحتجاج على ظلم هذا الكون. ستفرغ عندها ثيموس من فحواها حتى لا تشكل أي تهديد لاستقرارك الاجتماعي.

أفلاطون: لا تقللي أبدًا من الرغبة في الاستقرار الاجتماعي. يظهر خيره بالكامل عند غيابه. أتمنى ألا تعيشي أبدًا، دكتورة مونيتز، في ظل ظروف تكشف لك كم كنت مخطئة في الاستهانة بمدى الرغبة في الاستقرار الاجتماعي.

مونيتز: لكني عشت تحت هذه الظروف. أنا لاجئة إلى هذا البلد من مثل هذه الظروف. عندما أحتج بعدم جواز شراء الاستقرار بأي ثمن، فذلك بسبب الظروف التي هربت منها.

أفلاطون، بهدوء: فهمت.

مونيتز: إذا وضعنا هذه الظروف جانبًا، ألم تفكر مطلقًا في التمييز بين الاستقرار والركود؟

أفلاطون: لطالما كنت متشائمًا، فالطبيعة البشرية هي ما هي، أن الكمال، في حالة حدوثه بعيدة الاحتمال، يصعب الحفاظ عليه. هناك قوى داخلية تقوده إلى الانهيار [218](الجمهورية 546). وأنا اقترحت فقط ضمانات لدرء انهياره الحتمي.

---

(218) . "من الصعب على مدينة منظمة بهذه الطريقة أن تتغير، لكن كل ما يأتي إلى الوجود يجب أن يفسد. ولا حتى دستور مثل هذا سيدوم إلى الأبد. هو أيضًا يجب أن يرى الفناء. وهكذا ستفنى" (الجمهورية 546a). يتتبع باقي الكتاب الثامن الانحطاط التدريجي من حكومة أكثر تفوقًا إلى حكومة أدنى، دائمًا لأن الطبقة الحاكمة نفسها أصبحت منحطة. السعي الحثيث وراء المكانة بين الأرستقراطيين يحط من الحكومة إلى تيموقراطية (548-550). حيث يكون لأهل تيموس الأسبقية على محبي الحقيقة، وتتحلل التيموقراطية إلى الأوليغاركية عندما يقع حكامها فريسة لشهوة الثراء، يجدون شرفهم في كونهم الأغنى ثم يجعلون الثروة نفسها شرطًا للسلطة السياسية (550c) ويخلقون مجتمعًا لا يكون فيه الفقراء ضعفاء فحسب، بل محتقرون، ونتيجة لذلك "لا تعود المدينة حتمًا مدينة واحدة بل اثنتان، مدينة الأغنياء ومدينة الفقراء، يسكنان معًا، ويتآمران دائمًا ضد بعضهما" (551d). تشجع الأوليغاركية المرابين،

مونيتز: وهل تمنع تلك الضمانات تمتع جميع المواطنين بوصول متساوٍ إلى الحقيقة؟

أفلاطون، بهدوء: لا يشاركك الجميع حبك للحقيقة، دكتورة مونيتز. إذا فعلوا ذلك، فلن تكون هناك حاجة للكذب.

مونيتز، تتنحنح أولًا ثم تتحدث بطريقة تجعل صوتها العميق يرعد بعاطفتها: لا أعرف ما إذا كنت قادرة على التعبير عما أفكر فيه.

بيرنز، مبتسمًا: أوه، أعتقد أننا جميعًا نؤمن بقدراتك على التعبير الكامل عما تفكرين فيه.

مونيتز: ما أفكر فيه هو أن إيمانك، يا أفلاطون، في الحالة المثالية للأمور لا يتوافق مع أفضل لحظة في جميع كتاباتك.

أفلاطون، بهدوء: وما هي تلك اللحظة يا دكتورة مونيتز؟

مونيتز: عندما قال سقراط، وهو على وشك الموت، بطريقته المرحة، الجادة، أن من يخشون الموت يكشفون فقط ميلنا الراسخ للاعتقاد بأننا نعرف ما لا نعرفه. أعتذر. أعلم أنك – أو سقراط – قلتها بصيغة أفضل من ذلك بكثير.

أفلاطون، وهو يحدق في مجال الوعي: الخوف من الموت، يا سادة، ليس سوى أن ظن المرء بنفسه الحكمة وهو ليس كذلك، أن يعتقد المرء أنه يعرف ما لا يعرفه. لا أحد يعرف ما إذا كان الموت أعظم البركات التي تحل على الرجل، ومع ذلك يخافه الناس كما لو كانوا يعرفون أنه أعظم الشرور. المؤكد أن أكبر ما يلام عليه الإنسان من الجهل اعتقاده بأنه يعرف ما لا يعرفه (الدفاع 29a).

مونيتز: نعم. فخم.

أفلاطون: لا أستطيع أن أنسب الفضل في ذلك لنفسي.

فيفقد الكثيرون ثرواتهم لهؤلاء الرأسماليين ويغمرهم الاستياء. الخطوة التالية هي الحكومة الاستبدادية، وهي أسوأ الحكومات.

مونيتز: لكنك تتفق، حتى يومنا هذا، مع هذا الرأي؟

أفلاطون: نعم.

مونيتز: وأنا أيضًا. أعتقد أيضًا أن النقطة التي يؤكدها فيما يتعلق بتفكيرنا المتهاون بأننا نعرف ما لا نعرفه عن الموت صحيحة أيضًا فيما يخص الحياة. أو حتى أكون أكثر صراحة، هذا الجهل المتهاون هو الخطأ الذي يمارسه أي شخص يحاول تشكيل شيء ما، سواء كان طفلًا أو دولة، من خلال التلويح بفكرة معينة عن الكمال، والاعتقاد بأن مثل هذه الفكرة يمكن أن تلغي حقائق أخلاقية مثل قول الحقيقة دائمًا ومنح كل البشر الكرامة لتحمل مسؤولية حياتهم. هذه الأم المحاربة، في حماستها لتهذيب أبنائها، لا تترك مجالًا أمام احتمال وجود إمكانات إبداعية داخل أطفالها لا يمكنها تكوين تصور عنها والتي سوف تدمرها بلا عقل في محاولاتها لتشكيل أولئك الأطفال بمعاييرها غير المرنة. يبدو أنك، يا أفلاطون، تقر بهذه الاحتمالات الإبداعية من خلال التركيز على اللعب الحر، ولكنك بعد ذلك تنكر هذه الاحتمالات نفسها من خلال محاولة تجميد اليوتوبيا في الزمن، بجعل الأوصياء يفكرون ويقررون نيابة عن المواطنين، تمامًا كما تفكر الأم المحاربة وتقرر نيابة عن أطفالها. لا عجب أنكما وجدتما مثل هذا القواسم المشتركة فيما بينكما. هناك بين العامة، بين طبقاتك من الذهب والفضة، ونعم، حتى بين الحديد والنحاس، قد تكون هناك إمكانيات إبداعية كامنة لا يستطيع أوصياؤك تكوين تصور عنها، تحديدًا لأنها احتمالات إبداعية. كانت هناك خرافة بين القدماء في بلدك تقول إن الآلهة تعاقب غطرسة الإنسان. لكن لا يوجد شيء خرافي في توقع العواقب السيئة لغطرسة اليوتوبيا الأبوية. لا ينبغي أبدًا تجميد الإنسانية في رؤية أفضل من فيها. يجب أن يكون المجتمع المبدع على استعداد لتحمل درجة معينة من عدم الاستقرار لأن الإبداع بطبيعته غير مستقر.

أفلاطون، بهدوء: كيف لي أن أختلف مع ذلك؟

مونيتز: بالطبع، لا يمكنك ذلك. أنت مبدع بشكل مدهش فلا تستطيع

الاختلاف معي. ولكن يجب أن نكون مستعدين لتحمل عدم الاستقرار في المجال السياسي أيضًا. لا يمكن لأي نظرة على الواقع أن تمنحنا إياه كاملًا - الجميل والحق والصالح. ربما هو كامل. أنا مستعدة لتركك تقنعني بأنه كذلك. لكننا في أي وقت من الأوقات لن نحصل عليه كاملًا، أو ما يكفي منه حتى نكون في وضع يسمح لنا بتشكيل مجتمعنا وتجميده في الوقت المناسب. هل هناك أشياء في مجتمعنا تدهشك؟

أفلاطون: بلا شك. أكثر مما أستطيع تعداده.

مونيتز: أعني ليس فقط التقدم العلمي والتكنولوجي، والكمبيوتر الذي تبدو مرتبطًا به بشكل غريب، ولكن في مجال الأخلاق أيضًا؟ هل هناك طريقة ترى بها أن مدنيتنا polis أكثر أخلاقية من مدينتك، وأن بها حسًا أكثر تطورًا بالكرامة والاستقلال الذاتي لجميع الناس من أثينا التي تتخذ العبيد، وتكره النساء، وتروج للحرب؟

أفلاطون: مرة أخرى، بلا شك.

مونيتز: هل توقعت، يا أفضل اليونانيين، هذه التطورات الأخلاقية؟ هل ضمنتها جميعًا في مدينتك كاليبوليس؟

أفلاطون، بهدوء: لم أفعل.

مونيتز: إذًا فقد أثبتُّ حجتي.

زي: لكن إن أمكنني التحدث نيابة عن أفلاطون، الذي يبدو أنك تتهمينه بأنه لم يكن كليّ العلم.

مونيتز: اتهمته فحسب لأن نظامه الأخلاقي يتطلب مثل هذا العلم الكلي.

زي: مهما يكن، أود فقط أن أشير إلى أنه إذا كانت هذه التطورات الأخلاقية ناتجة عن استنتاجنا لتوابع ما تمثله الحياة البشرية بكاملها، والتي أعتقد أن أفلاطون يمكن أن يقدم مثالًا جيدًا عليها، إذًا لا ينبغي أن يكون أفلاطون على منصة الشهود يتعرض للاستجواب وأنت المدعية، دكتورة مونيتز، بل يجب الإشادة به لأنه بدأ العملية

برمتها. قرأت مقالًا في مجلة The New York Review of Books بعنوان «فلسفة الفائزين»، وهو، لأسباب واضحة، عنوان أحبه! الجمهور يضحك. ودونت سطرًا منه لأنني اعتقدت أنه قد يكون ذا الصلة بالموضوع، وهو كذلك. «كانت الفلسفة الأخلاقية للقدماء، أكثر بكثير من علومهم، حضورًا حيًا طوال تاريخ الفلسفة الحديثة، وما زالت كذلك.»[219] إن حقيقة أن أفلاطون مندهش من المسافة التي قطعناها أبعد من أفضل استنتاجاته منطقية، ومدى تفوق قوانين مدنيتنا على تلك الموجودة في عصره، هي دليل على الإسهامات التي مثلها في تقدمنا. لذا بدلًا من توبيخه على مقدار ما نراه الآن أكثر مما رآى، يجب أن نحييه لأنه وجهنا بدايةً إلى هذا الاتجاه!

بيرنز: وهذا، أيها السيدات والسادة، هو السبب، في أنك عندما تكون في حاجة إلى محامٍ جيد، يجب عليك دائمًا تعيين أم محاربة!

تصفيق حار، بينما يتسلل رجل يرتدي قميصًا وبنطلون جينز إلى المنصة، يسلم على عجل ملاحظة لبيرنز، ثم ينزل.

بيرنز: أخشى، سيداتي وسادتي، أننا سنضطر إلى ترك العبارة الأخير المليء بالحيوية للبروفيسورة زي بمثابة خاتمة إذ أنني علمت للتو أن شرطة نيويورك قد أعلنت حالة الطوارئ. لذا للأسف سنضطر إلى الاستغناء عن فقرة الأسئلة والأجوبة. الجمهور يتأوه. نعم أنا أعلم! أنا محبطٌ أيضًا! لذلك دعونا نشكر الحضور اللامع الذي منحنا مثل هذه الأمسية المفعمة بالحيوية من الحوار المثير. د. مونيتز، صوفي زي، وأفلاطون: شكرًا لكم! يصفق الجمهور مطولًا. تصفق زي أيضًا مبتهجة، وتوجه أولًا إلى التصفيق لأفلاطون، الذي يبتسم ويصفق بأدب لها، ثم إلى الدكتورة مونيتز، التي تتجهم وتنظر بعيدًا.

خاتمة للفصل دلتا δ: ردود أفلاطون على استبيان القياس النفسي لمايرز بريجز:

(219) . M. F. Burnyeat, “Philosophy for Winners,” The New York Review of Books, November 12001,.

1. لا تتأخر أبدًا عن مواعيدك. نعم

2. ترغب في الانخراط في وظيفة نشطة وسريعة. لا

3. تستمتع بوجود دائرة واسعة من المعارف. لا

4. تتفاعل شعوريًا عند مشاهدة المسلسلات التلفزيونية. لا

5. عادة ما تكون أول من يتفاعل مع حدث مفاجئ: رنين الهاتف أو سؤال غير متوقع. لا

6. تهتم بالفكرة العامة أكثر من اهتمامك بتفاصيل تحقيقها. نعم

7. تميل إلى أن تكون غير متحيز حتى لو كان من شأن هذا أن يعرض علاقاتك الجيدة مع الناس للخطر. نعم

8. التقيد الصارم بالقواعد القائمة من المرجح أن يؤدي إلى منع التوصل إلى نتيجة جيدة. لا (طالما أن القواعد القائمة معقولة)

9. من الصعب إثارة حماسك. نعم (بخصوص الأشياء التي تهم معظم الناس)

10. من طبيعتك أن تتحمل المسؤولية. نعم

11. كثيرًا ما تفكر في الجنس البشري ومصيره. نعم

12. تعتقد أن أفضل قرار يمكن تغييره بسهولة. لا

13. النقد الموضوعي مفيد دائمًا في أي نشاط. نعم

14. تفضل التصرف فورًا بدلًا من التفكير في الخيارات المختلفة. لا

15. تثق بالعقل وليس المشاعر. نعم

16. تميل إلى الاعتماد على الارتجال أكثر من الاعتماد على التخطيط الدقيق. لا

17. تقضي وقت فراغك في التواصل الاجتماعي النشط مع مجموعة من الناس، وحضور الحفلات، والتسوق، وما إلى ذلك. لا

18. عادة ما تخطط لأفعالك مسبقًا. نعم

19. كثيرًا ما تتأثر أفعالك بالعواطف. لا

20. أنت شخص متحفظ إلى حد ما وبعيد في التواصل. نعم

21. تعرف كيف تخصص كل دقيقة من وقتك لهدف مفيد. نعم

22. مستعد لمساعدة الناس بينما لا تطلب شيئًا في المقابل. نعم

23. تتأمل كثيرًا في تعقيدات الحياة. نعم

24. بعد التواصل الاجتماعي المطول تشعر أنك بحاجة إلى الابتعاد والبقاء بمفردك. نعم

25. كثيرا ما تقوم بالأعمال على عجل. لا

26. يمكنك بسهولة رؤية المبدأ العام وراء أحداث معينة. نعم

27. تعبر بسهولة وبشكل متكرر عن مشاعرك وعواطفك. لا

28. تجد صعوبة في التحدث بصوت عالٍ. نعم

29. تشعر بالملل إذا كان عليك قراءة الكتب النظرية. لا

30. تميل إلى التعاطف مع الآخرين. لا

31. تضع العدل في مكانة أعلى من الرحمة. نعم

32. تشارك بسرعة في الحياة الاجتماعية في مكان عمل جديد. لا

33. كلما زاد عدد الأشخاص الذين تتحدث معهم، شعرت بتحسن. لا

34. تميل إلى الاعتماد على خبرتك بدلًا من البدائل النظرية. لا

35. تحب أن تراقب كيف تسير الأمور. لا

36. تتعاطف بسهولة مع شواغل الآخرين. لا

37. كثيرًا ما تفضل قراءة كتاب على الذهاب الى حفلة. نعم

38. تستمتع بكونك في قلب الأحداث التي يشارك فيها أشخاص آخرون بشكل

مباشر. لا

39. تميل إلى التجريب على اتباع الطرق المألوفة. نعم

40. تتجنب التقيد بالالتزامات. لا

41. تتأثر بشدة بالقصص عن مشاكل الناس. لا

42. يبدو لك أن المواعيد النهائية ذات أهمية نسبية وليست مطلقة. لا

43. تفضل عزل نفسك عن الضوضاء الخارجية. نعم

44. من الضروري أن تجرب الأشياء بيديك. لا

45. تعتقد أنه يمكن تحليل كل شيء تقريبًا. نعم

46. تبذل قصارى جهدك لإكمال مهمة في الوقت المحدد. نعم

47. تسعد بترتيب الأمور. نعم

48. تشعر بالراحة وسط حشد من الناس. لا

49. لديك سيطرة جيدة على رغباتك وإغراءاتك. نعم

50. يمكنك بسهولة فهم المبادئ النظرية الجديدة. نعم

51. عملية البحث عن حل أهم بالنسبة لك من الحل نفسه. لا

52. تجلس عادة بالقرب من الجانب وليس في وسط الغرفة. نعم

53. عند حل مشكلة ما تفضل اتباع نهج مألوف عن البحث عن نهج جديد. لا

54. تحاول بحزم التمسك بمبادئك. نعم

55. التعطش للمغامرة قريب من قلبك. لا

56. تفضل المقابلات في مجموعات صغيرة على التفاعل مع الكثير من الناس. نعم

57. عند التفكير في موقف ما، فإنك تولي اهتمامًا أكبر للوضع الحالي وبدرجة أقل لتسلسل الأحداث المحتمل. لا

58. تعتبر أن النهج العلمي هو الأفضل. نعم

59. تجد صعوبة في التحدث عن مشاعرك. نعم

60. غالبًا ما تقضي وقتًا في التفكير في كيفية تحسين الأشياء. نعم

61. قراراتك مبنية على مشاعر اللحظة أكثر منها على التخطيط الدقيق. لا

62. تفضل قضاء وقت فراغك بمفردك أو الاسترخاء في جو عائلي هادئ. نعم

63. تشعر براحة أكبر في التمسك بالطرق التقليدية. لا

64. تتأثر بسهولة بالعواطف القوية. نعم [220]

65. تبحث دائمًا عن الفرص. لا

66. مكتبك، طاولة العمل، إلخ..، عادة ما يكون أنيقًا ومنظمًا. نعم

67. كقاعدة عامة، الشواغل الحالية تقلقك أكثر من خططك المستقبلية. لا

68. تستمتع بالمشي منفردًا. نعم

69. من السهل عليك التواصل في المواقف الاجتماعية. لا

70. أنت ثابت في عاداتك. نعم

71. تشرك نفسك طواعية في الأمور التي تثير تعاطفك. لا

72. يمكنك بسهولة إدراك الطرق المختلفة التي يمكن أن تتطور بها الأحداث. نعم

---

(220). قد تبدو هذه الإجابة مفاجأة، ولكن ليس لمن درسوا محاورة فيدروس لأفلاطون.

٤ (إبسيلون)

أنا لا أعرف كيف أحبه

الشخص غير القادر على المشاركة، أو الذي لا يحتاج إلى أي شيء لأنه مكتفٍ بذاته، ليس جزءًا من المدينة، لذا فهو إما أن يكون وحشًا أو إلهًا.

- أرسطو، السياسة

كان من الأفضل لك ألا تربي أسدًا داخل المدينة.
لكن بما أنك فعلت، فمن الأفضل أن تسليه.

- أريستوفانس، الضفادع

على معبد أبولو في دلفي، حيث تجلس عرافة الإله على محفّة ثلاثيّة عند الأومفالوس «Omphalos» سرة العالم، تقول بالنبوءات التي يأتي الناس من جميع أنحاء اليونان وحتى من خارجها يطلبونها، منقوش هناك تحذيران. «لا تُسرف» - mēdèn ágan - يحذر أحد النقشين. ويردد صداه الآخر «اعرف نفسك» - gnôthi seautón.

يبدو وجود كلا التحذيرين في مثل هذا الموقع المهيب، في الغرفة الملحقة التي ينتظر فيها المرء قبل الدخول للقاء أبولو، بتوجيه من الكهنة الذين «يفسرون» هذيان العرافة، يبدو وأنه يعكس أهمية هذين العبارتين في النظرة اليونانية للعالم. غالبًا ما تُذكر عبارة «لا تسرف»، على وجه الخصوص، كتلخيص لما يميز معنى أن تكون يونانيًا - وهو شيء غريب عندما تنظر إلى سلوكياتهم الفعلية.

يرى بعض الباحثين أن رسائل دلفي المنقوشة على الجدار ذات تطبيقات محدودة، وأنها لا تقدم سوى إرشادات حول كيفية التصرف في حضرة الإله. لا تطلب أيّ شيء زائد، ولكن اقتصر على طلب المعلومات التي تحتاجها بالضبط. تؤكد عبارة «اعرف نفسك» على نفس النقطة. تأكد مما تحتاج إلى معرفته حقًا ثم صُغ سؤالك بعناية فائقة.[221] كان الاثنان معًا بمثابة تعليمات عملية من النوع الذي يهدف إلى مواجهة الإهمال الذي تأتي منه حبكة القصص الخيالية التي نرويها لأطفالنا، التي تُعطى فيها ثلاث أمنيات ويجب استخدام آخرها لإلغاء الأخطاء التي ارتكبت بإهمال في الأمنيتين الأوليين.

ومع ذلك، فإن هذين التحذيرين في معبد دلفي يمثلان حقيقة تتجاوز مجرد التعليمات حول كيفية التصرف عند طلب إجابات من العرافة. إنهما إلزاميان وليسا وصفيان. «لا تسرف» ليست ملاحظة عامة حول طبيعة السلوك الهيليني بل بالأحرى تحذير من النتيجة التي كان هذا السلوك يميل نحوها. ولا ينبغي فهم عبارة «اعرف نفسك» على أنها توصية بالتحليل النفسي الذاتي الذي يدعم صناعة الصحة العقلية ويجعل كتب التنمية الذاتية بين الأكثر مبيعًا. عبارة «اعرف نفسك» وهي في الأساس، إعادة صياغة لعبارة «لا تُسرف» هي تحذير ضد خداع الذات، والذي يميل إلى اتخاذ شكل الإعجاب بالنفس. هذه، على أية حال، هي الطريقة التي يقرأ بها أفلاطون التحذير. في محاورة فيليبوس، استخدم سقراط عبارة «اعرف نفسك» عند الإشارة إلى الطرق الثلاث التي غالبًا ما تنتهك بها. قد يخدع الناس أنفسهم بشأن مدى ثرائهم، وجاذبيتهم الجسدية، معتقدين أنهم أوسم وأطول مما هم عليه في الواقع. لكنه يقول إن الغالبية العظمى يخطئون فيما يتعلق بـ «حالة أرواحهم»، معتقدين أنهم أكبر فضيلة وأكثر حكمة (48a49–e). وهذه الملاحظة تبدو صحيحة. في خصوصية مناجاته الافتتاحية في مسرحية شكسبير يصدق ريتشارد

(221) . لم يسأل الملتمسون عرافة دلفيك، أو بيثيا، مباشرة. أفضل المعلومات لدينا هي أن الناس كتبوا أو أملوا أسئلتهم وطلباتهم ثم أعطوها للكهنة الذين أخذوها إلى بيثيا. كان هناك أيضًا كهنة يفسرون ردود - الهذيان غالبًا - العرافة.

الثالث مع نفسه فيقول، «فلأكن إذًا شريرًا» لكن معظم الناس، حتى أكثرهم شرًا، لديهم طرقهم لتقديم أنفسهم لأنفسهم بمصطلحات أخلاقية أكثر سخاءً. نحن أفضل محامينا، مصممون على اعتقاد الأفضل في أنفسنا. هذه، على أية حال، هي الطريقة التي اختارها أفلاطون لتفسير التحذير الشهير، مسخرًا ذكاءه النفسي في تفسير النقش.

معًا، مثلت رسالتا دلفي تحذيرًا مفاده أنّ الإغريق، ربما لأنهم يعرفون أنفسهم، يعرفون أنهم بحاجة إليه. العظات ضد الإسراف والمبالغة منطقية في ثقافة يكون فيها الإسراف والمبالغة خطرًا دائمًا بالنظر للروح السائدة. أيضًا، الرعب من الغطرسة منطقي في مثل هذه الثقافة، التي يفرضها دين يفسر المصائب بأنها عقاب سببه التجاوز ويجمع بين مفهوم الغطرسة وعدد كبير من المفاهيم الأخرى، مثل phthônos (الغيرة الإلهية) وnemesis (السخط الإلهي). كانت كل هذه المعتقدات الخرافية ضرورية للحد من تلك الصفات، كما تؤكد قصة هيروستراتس. كان النكرة الذي حاول أن يكون علمًا عندما أحرق معبد أرتميس في إفسُس عام 356 قبل الميلاد، كل ما أراده هو أن يصبح اسمه معروفًا. لأجل كليوس. وقد نجح. جعله تشوسر يشرح ما فعل في قصيدة بيت الشهرة:

«نعم، أنا ذلك الوغد

الذي أحرق معبد إيزيس

في مدينة أثينا

قالت «ولماذا فعلت ذلك؟»

قال «بسبب فاقتي يا سيدتي»

كنت أود لو أن لي شهرة

مثل بقية الناس في المدينة.»

الأمثلة المعاصرة كثيرة للأسف. يقترح كتاب حديث، أن أسهل طريقة لتصبح

مشهورًا، إذا كان هذا هو هدفك الأكثر إلحاحًا ولا تتمتع بممتلكات أو مواهب معينة، هي «قتل الأبرياء». كلما كان ضحاياك أكثر عشوائية، كان ذلك أفضل لأنه يرسل رسالة مفادها أنه لا أحد في مأمن. وعندما يكون الناس خائفين، ينتبهون».[222] من الواضح أن المؤلف لا يؤيد العنف العشوائي باعتباره مسارًا للنضال، بل يسعى إلى شرح العقلية التي تحول المواقف العادية إلى مشاهد من الفوضى والمآسي. وربما يجب على المجتمع الذي عاد إلى الاحتفاء بـ «الشهرة السماعية» كغاية في حد ذاتها أن يكون أكثر حرصًا بشأن قوانين الأسلحة فيه. لكن لنعد إلى أثينا القديمة.

إذا كان أحد جوانب الثقافة يدفع اليوناني إلى بذل قصارى جهده ليحيا حياة من شأنها أن تترك الآخرين في حالة من الذهول، فإن الإسراف والمبالغة هما بالضبط ما كان مطلوبًا. بدا الأمر كما لو أن الضرورتين المتعارضتين - إحداهما مشتقة من روح الاستثنائي والأخرى من النصيحة المنقوشة في معبد دلفي - قد يمكن التوفيق بينهما بطريقة ما في حياة تستطيع، في ذات الوقت، ألا تقبل ما دون الاستثنائي لكن أيضًا أن تكون معقولة وآمنة ومعتدلة، تتجنب تجاوز الغطرسة الفاسد.

يمكننا أن نستعرض هذا التوتر بلغة الآلهة. من ناحية، هناك الرغبة، اذهب وكن مثل الآلهة! ومن ناحية أخرى، يأتي الجواب: بمعرفة نفسك، أيها الفاني، تعرف أولًا وقبل كل شيء أنك لست إلهًا! يبدو أنها معضلة، ولا تلوح أية حلول قادمة من جبل الأولمب. لا تأتي أبدًا أية حلول من ذلك المكان بالتحديد، وخاصة الحلول ذات الطبيعة المعيارية.

ليست آلهة وإلهات الأولمبي مستوى أخلاقيًا أعلى، تصدر منه المعايير الأخلاقية، أو التأكيد الإلهي على أن حياتنا تستحق شيئًا في نظرهم. سكان الأولمب هم فقط نسَخٌ

(222) . Adam Lankford, The Myth of Martyrdom: What Really Drives Suicide Bombers, Rampage Shooters, and Other Self-Destructive Killers (New York: Palgrave MacMillan, 2013), p. 108.

أقوى من أنفسنا،[223] وبالنظر إلى قوتهم، يجب استرضاؤهم لئلا يقللوا من احتمالات مرورنا بالحياة دون أن تمسنا المأساة. يمكنهم أن يعيقونا في مساعينا الدنيوية أو يمكنهم مساعدتنا، يمكنهم خفض مرتبتنا أو ترقيتنا، وعلينا أن نحاول المساومة والمقايضة معهم، وهو ما تميل الصلوات اليونانية إلى فعله. الآلهة أقل شبهًا بيهوه المقدس الذي لا يوصف، وأكثر شبهًا بالأشقاء الأكبر سنًا نحترمهم لكن يمكن أن نرشوهم – هم أبعد من قدرتنا بشكل مستفز، نعم، لكن ليس بعيدًا جدًا إلى حدّ أنه لا يمكننا التشبه بهم، فنحيا حياة استثنائية شبيهة بالآلهة. لكن هذا الإنجاز نفسه محفوف بالخطر. تمامًا مثل الأشقاء الأكبر سنًا، يمكن أن تصبح الآلهة لئيمة عندما يشعرون بأننا نقترب منهم، فيفعلون شيئًا شريرًا فقط ليظهروا لنا أنهم يستطيعون فعله. حتى عندما يعطفون علينا، يمكنهم أن يقلبوا الدراخما،[224] ويهجروننا في اللحظة التي نحتاجهم فيها بشدة – تمامًا كما فعل أبولو بهكتور، تاركًا إياه لغضب أخيل الدموي. يجب أن نفسر تقلبات القدر على أنها علامات على استيائهم، سواء كان ذلك بسبب شيء فعلناه بأنفسنا أو فشلنا في فعله، أو لسبب آخر تمامًا، صفقة عقدوها فيما بينهم. الآلهة موجودة من أجل أنفسهم وليس من أجلنا ولا يفعلون الكثير لجعلنا نشعر بالأمان في الكون، هم غير موثوقين في أحسن الأحوال وفي أسوأها أعداءٌ صروف. الخلاصة الوجودية هي أنه على الرغم من النسب بيننا وبين الأولمبيين، فقد تُركنا جميعًا بمفردنا لنواجه الأسئلة الوجودية التي ظهرت في مناطق واسعة من العالم خلال العصر المحوري. بهذا المعنى، فإن المجتمع اليوناني، بقدر ما كان عامرًا بالطقوس الدينية، قد مهد الطريق لنظرة علمانية للعالم.

كما أنه مهَّد الطريق لعبقرية المأساة اليونانية. فكرة أننا في النهاية بمفردنا تشكل الفرضية الأساسية للعديد من روائع المأساة اليونانية، وليس بينها ما يفوق

(223) . "الآلهة الأولمبية أقوى من الإنسان ولكن فيما عدا ذلك لا تختلف عنه. إن خلودهم ليس خلودًا حقيقيًا ولكنه عدم قدرة على الاستسلام للموت، الذي يهزم الإنسان شقيقهم القزم. إنهم ليسوا أكثر حكمة، ولا أسعد، ولا أكمل من أولئك الذين صنعوا صورتهم في أذهانهم." ديفيد غرين، النظرية السياسية اليونانية (شيكاغو: فينيكس هاوس، 1965)، ص. 194.

(224) . الدراخما عملة اليونان قبل اليورو، ومنها جاءت كلمة درهم. (المترجم)

بروميثيوس مقيدًا التي تتحدث عن رغبة زيوس في إبادة البشر تمامًا:

«عندما اعتلى عرش أبيه لأول مرة

جلس في مقعده مع آلهة البحار

وقسم عليهم الهبات وعلى

إمبراطوريته، لكنه تجاهل البشر البائسين

بل كانت رغبته

أن يمحوهم ويربي جنسًا آخر». (234-229)[225]

إذا كان هناك ضغط معين من الثقافة يحث الشخص على أن يتشبه بالآلهة – وقد أيد أفلاطون، بطريقته الخاصة، مثل هذا الهدف – فلم يكن ذلك من أجل جذب انتباه الآلهة. وبصرف النظر عن العوامل الأخرى، فمن الأفضل ألا يلاحظوك. ينبغي عليك أن تعجب إخوانك البشر وفي نفس الوقت ألا تجذب انتباهًا لا داعي له واستياءً محتملًا من الآلهة الحساسة.

من الغريب بالنسبة لنا – سواء كنا نتمسك بدين معين أم لا – أن نتخيل دينًا يصمت فيما يتعلق بقضايا تُكثر الأديان التي نعرفها الآن الكلام فيها. لقد نشأت كطفلة على الإيمان بأن كل أعمالي – قطعة قضمتها من كعكة هوستس توينكيز من صديقتي (ليست حلالًا «كوشير»)، صدقة من مصروفي الضئيل لجمعية خيرية للأيتام، تزييف لما حدث في مشاجرة مع أختي – كل أعمالي مسجلة في كتاب سماوي، يجري فحصه وتحصيله وتقييمه في أيام التوبة العشرة الخريفية. إنه أمرٌ مرعب، نعم، ولكنه فعّال أيضًا في إحداث شعور قوي بالعواقب لدى الإنسان. لا أقل من إله كعكات التوينكيز نفسه يعلم بأمر كعكة التوينكيز تلك.

تتناول الأديان الإبراهيمية بقوة مشكلة قيمة الإنسان، كما تفعل الأديان الأخرى

---

(225). Translated by Edmund Doidge Anderson Morshead, http://sacredtexts.com/cla/aesch/promet.htm.

التي أظهرت قوتها في البقاء لآلاف السنين. في حالة العبرانيين، تقدم عبارة bi-tzelem elohim، التي تعني «على صورة الإله»، إجابة على سؤال قيمة الإنسان. وردت العبارة ثلاث مرات في سفر التكوين، وكلها وردت فيما أصبح يُطلق عليها الأجزاء الكهنوتية من التوراة، والتي يرجع تاريخها عادةً إلى القرنين السادس أو الخامس قبل الميلاد، مما يعني أنها متأخرة نسبيًا بالنسبة لتأليف التوراة. يظهر البعد المعياري للعبارة بالكامل في آخر المقاطع الثلاثة (تك 9:6). كما في ترجمة نسخة الملك جيمس: «سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ. لأَنَّ اللهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الإِنْسَانَ». والمقصود أن صنع الله للإنسان على صورته يعطيه قيمة تمنع إراقة دمه. وقد طبعت الأديان الإبراهيمية، بدورها، الفكر الأخلاقي بصورتها لدرجة أنه من الصعب أحيانًا على أتباعها، حتى الآن، فهم كيف يمكن أن يكون للبشر قيمة دون هذا الطابع الإلهي.

في الواقع، لعبت الإجابات التي يقدمها الدين، الذي نعرفه، على مسألة القيمة الإنسانية، دورًا مهيمنًا في القرون السابقة لدرجة أن المؤمنين لا يستطيعون في كثير من الأحيان تصور كيف يمكن لغير المؤمنين حشد قدر من الالتزام بحياتهم يجعلهم ينهضون من الفراش كل صباح، ناهيك عن الموارد الأخلاقية لاعتبار الآخرين أهل للاحترام الأخلاقي. بمجرد أن «يكشف» المرء عن إلحاده، فهذه محاكم التفتيش تنتظره غالبًا.

لكن إذا وجدنا الدين اليوناني غريبًا في تحفظه عند مثل هذه الأسئلة التي دفعت جاري إلى ليِّ نفسه ليشبه بسكويتة «بريتزل» ميتافيزيقية، فذلك فقط لأننا نسينا أن الدين، الذي نعرفه، يوفر حلًا واحدًا ممكنًا فقط لمسألة قيمة الإنسان. في الثقافة الغربية، هناك تقليد يسعى إلى حل مشاكلنا الوجودية والمعيارية من منظور إنساني بحت، وهو التقليد الذي يعود إلى الإغريق، حتى قبل سقراط وأفلاطون، وهو جانب من الإطار المعياري الذي يلخصه مفهوم آريت، كما شرحه نيهاماس، ببعدها الاجتماعي المهم، وارتباطها بفكرة كليوس. «منذ أقدم العصور، كانت فكرة آريت اجتماعية في جوهرها، وأحيانًا تكاد تكون مكافئة للشهرة (كليوس).» لقد كانت

الاجتماعية البشرية ومؤسساتها - الأسرة، والديم (العشيرة)، والفراترية (البطن)، والبوليس (المدينة) - هي التي وفرت السياق لفهم وعرض آريت. قوة البوليس، وربما بشكل خاص في أثينا، والإحساس بالهوية الاجتماعية والاستثنائية التي نتجت عن ذلك خلال سنوات الهيمنة السياسية والثقافية، جعلت مؤسسات البوليس بارزة بشكل خاص في تشكيل مفاهيم آريت. يستحق تعليق أرسطو المقتبس في بداية هذا الفصل أن نذكره هنا ثانية: «الشخص غير القادر على المشاركة، أو الذي لا يحتاج إلى أي شيء لأنه مكتفٍ بذاته، ليس جزءًا من المدينة، لذا فهو إما أن يكون وحشًا أو إلهًا.» كان هناك ارتباط وثيق بين فكرتي آريت والبوليس - أدركها أفلاطون، مثل أرسطو - لكن معنى هذا الارتباط كان من الممكن تفسيره بطرق مختلفة، يتأرجح فيها المفهوم الأساسي نحو أحدهما، آريت، أو الأخرى، البوليس. هل الدولة الأفضل هي التي تسمح لآريت بالوجود والازدهار إلى أقصى حد، وتكون فيها آريت مستقلة؟ أم أن آريت ينبغي أن تتحدد من خلال الصفات التي تبرر للشخص أن يصبح مرموقًا في البوليس، صفات الفرد التي تسمح للبوليس التي تحدد القيم بالوجود والازدهار على النحو الأفضل؟ يذهب أفلاطون (وكذلك أرسطو) في الاتجاه الأول، لكن ليس لدرجة إلغاء الأهمية الأخلاقية للبوليس؛ بينما رجحت أثينا التي حاكمت وأعدمت سقراط كفة الاتجاه الثاني. أضفى أفلاطون الأخلاق على النظرية السياسية، بينما سيست أثينا التي اعترض عليها الأخلاق - أو بالأحرى سيست آريت. وقد حكمت على سقراط بأنه يفتقر بشدة إلى الصفات التي من شأنها أن تؤدي إلى ازدهار البوليس، الأمر الذي جعله، على الرغم من كونه بارزًا، غير بارز بشكل مبرر، وبالتالي تعوزه آريت. وهكذا، يمكننا مرة أخرى أن نقول، وفقًا لشروطها على الأقل، أنه كان لأثينا ما يبررها في الحكم على سقراط بأنه مذنبٌ بالهرطقة المعيارية، لأنه رفض قيمها.

كان تسييس آريت منطقيًا إلى حد ما في ثقافة تثمن الإنجاز الاستثنائي والنضال من أجله. كيف سيحقق مجتمعٌ من الأفراد الذين يكافحون من أجل الاقتراب من الآلهة -ليس لدرجة إثارة الغيرة الإلهية- الاستقرار السياسي؟ لم يكن أخيل يفكر فيها

يمكن أن يؤدي إلى أكبر منفعة لأكبر عدد من رفاقه اليونانيين حين سمح بذبح رفاقه، وأن تصبغ دماؤهم تربة طروادة باللون الأحمر. جلس في خيمته يعزف على القيثارة ويغني لكليوس.[226] لكن لا يمكن للمرء أن يصنع مجتمعًا متمدنًا من مواطنين يسعى كل منهم بعقلية ضيقة وراء كليوس التي تخصه. إن تثمين الاستثنائي يؤدي إلى نتيجة معادية للمجتمع.

يجسد ثراسيماخوس، في كتاب الجمهورية الأول، هذا الاستنتاج، وهو سفسطائي يزعم بأن الشخص الاستثنائي لديه الحق الكامل في فعل كل ما يمكنه الإفلات به. (يجادل كاليكليس في محاورة جورجياس على امتداد نفس الخط. وبالمناسبة، ثراسيماخوس وكاليكليس هما من بين أكثر شخصيات أفلاطون جاذبية. إنهما يقفزان من الصفحات. وكما هو الحال في الروايات، غالبًا ما تكون الشخصيات الأقل حصولًا على الثناء هي الأكثر واقعية وروعة.) الضعفاء فقط هم من يسعون إلى كبحه دون أي حق طبيعي لهم في ذلك. تمثل فكرة ثراسيماخوس مشكلة ليست نظرية فحسب لكن عملية أيضًا. كان لدى أفلاطون أفكارًا حول كيفية التخلص من أمثال ثراسيماخوس، وكان للبوليس أفكارها أيضًا.

أكد التنظيم السياسي لليونان على معيارية إلزامية قوية قدمت حلًا سياسيًا لمشكلة ثراسيماخوس. أدى الواجب تجاه البوليس، مثل الواجب تجاه الأسرة والمؤسسات الاجتماعية الأخرى، إلى التزامات تنظم السلوكيات. تقيد المشاركة في الحياة الجماعية للبوليس الفرد الاستثنائي وتضخم الفرد العادي، مما يسمح له (خاصة إذا كان محظوظًا بما يكفي ليكون مواطنًا أثينيًا) بأن يصبح جزءًا من الاستثنائي. يمكن للفرد أن يحقق التميز التشاركي من خلال إنجازات البوليس ولا يحتاج دائمًا إلى الدخول في صراعات كبيرة للتغلب على أقرانه. حتى الطقوس الدينية استوعبت في الواجب المدني، حيث ينظم الإله أو الإلهة الراعي للبوليس - أثينا وبوسيدون في أثينا، وأرتيميس وآريس في إسبرطة - إلى حد كبير الطقوس، والتي تؤدي بشكل جماعي

(226) . الإلياذة 9.189.

إلى تعزيز الإخلاص للبوليس. كما قال بريكليس في خطبة التأبين: يجب أن يشعر الأثينيون بالحب لأثينا، يجب أن يقعوا في حب البوليس.

يمثل تسييس آريت حلًا لمشكلة ثراسياخوس. طالما أن وفرة الطاقة والنضال الذين تشجعهما روح الاستثنائي يجري توجيههما إلى استثنائية تشاركية، يمكنها امتصاص الشوارد الحرة للأنا المتضخمة وتحييدها. يمكن أن يتحول نضال التشبه بالآلهة من الفرد إلى البوليس ويمكن تجنب الغطرسة الشخصية (على الرغم من أن الغطرسة السياسية الجماعية ظلت تلعب دورًا نشطًا، ربما كما ظهرت لأعين غير الأثينيين الذين نظروا إلى الأكروبوليس). ليس من المستغرب أن يكون تسييس آريت أكثر وضوحًا في اثنين من أكثر المدن استثنائية، أثينا وإسبرطة، وجهت إسبرطة إحساسها بالاستثنائية إلى تفوقها العسكري الجماعي، أما الأثينيون فقد أكدوا استثنائيتهم في صيغ أكثر تنوعًا - عسكرية، وتجارية، وسياسية، وثقافية، وفكرية، ونفسية، وأخلاقية - كما عدد بريكليس الفضائل الأثينية في خطبة التأبين.

لكن ماذا عن شخص استثنائي رفض أن يأتمر بأمر البوليس وأن يعرّف نفسه بمعاييرها، وتحدى تسييس آريت وأصر على أن يظل تفرده ملكًا حصريًا له، غير راغب في نقل ملكيته إلى أي بوليس؟ قد يُتوقع من مثل هذا الشخص أن يثير مشاعر عنيفة التناقض. لم يستطع مواطنوه إلا أن يسبوه لانتهاكه تسييس آريت، وفي نفس الوقت لم يستطيعوا منع أنفسهم من الإعجاب به - خاصةً إذا كان أيضًا يمتلك جمالًا باذخًا لدرجة أن أحد معاصريه كتب عنه «إذا لم يكن أخيل يشبهه، إذًا فلم يكن وسيمًا حقًا.» (227)

أنا أتحدث الآن عن ألسيادس، الذي كان محور أخبار النسخة الأثينية من مدونة غوكر طوال حياته - من طفولته الصاخبة (228)، وطوال حياته المهنية اللافتة، وحتى

(227) . Charles H. Kahn, "Aeschines on Socratic Eros," in The Socratic Movement, ed. Paul A.Vanderwaerdt (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1994), p. 90.

(228) . إحدى القصص التي رواها بلوتارخ هي أنه عندما كان ألسيبادس يتشاجر مع طفل صغير آخر صرعه على الأرض، فعض إصبعه. قال الصبي: "تعض مثل المرأة". أجاب ألسيبادس "لا، مثل الأسد."

وفاته العنيفة (ربما) على أيدي القتلة المأجورين. لم يحب ألسبيادس أثينا مطلقًا؛ لكنه، كان عازمًا على أن يحبه الأثينيون. يخبرنا بلوتارخ أنه، في كل مرحلة من مراحل حياته، كان يمثل الجمال الجسدي المناسب لها، و «لم يحدث أن أحاط القدر رجلًا وطوقه بالعديد من تلك الأشياء التي درجنا على تسميتها متاع.» بدا كما لو أن أثينا، في استعادتها لمجد البلاد الناطقة باليونانية ما بعد هوميروس والذي بلغ ذروته في زمن بريكليس، أنتجت أفاتارًا لأخيل. تواطأ كل ما يخصه لجعله شخصًا يعيش حياة تستحق الكثير من الحكايات - وأيضًا لجعل المتأمل يتساءل ما إذا كان عيش حياة جديرة بكليوس أمرًا جيدًا بالضرورة، إن لم يكن للشخص نفسه فلجميع المعنيين.

في زمانه، لم يكن له مثيل، ومن حينها لم يأت الكثيرون مثله، النقطة التي يوضحها بجلاء رسم تخطيطي وجدته على الموقع الكوميدي Cracked.com:[229]

	Hilariously Rich?	Brilliant Orator?	Unstoppable War Machine?	Lady Killer?	Violent Lunatic?
Justin Bieber	✓	X	?	✓	X
O.J. Simpson	✓	X	X	?	✓
Leon Trotsky	X	✓	✓	X	X
Genghis Khan	X	X	✓	✓	✓
Alcibiades	✓	✓	✓	✓	✓

(229) . http://www.cracked.com/funny-5516-alcibiades / أوصي بقراءة المقال كاملًا عن ألسبيادس.

نشأ تفرده من تفرد أثينا. كان لا بد من وجود الطبيعة الخاصة للديمقراطية الأثينية والهيمنة الأثينية لإنتاج المزيج الذي أصبح ألسيبادس. شكلت طبيعة ديمقراطيتها الطريقة التي شحذ بها ذكاءه في تألق بلاغي. عَشقه الناس، وعشق هو عشقهم له. ولأنه، كما وصفه موقع Cracked.com «كان غنيًا بشكل هستيري» فقد أمكنه أن يكون سخيًا، وهي سمة يعتز بها المواطن الأثينيّ، الذي كثيرًا ما لم يكن يرفض أن يُشترى. (اشترى بريكليس الكثير من الأثينيين) في إحدى السنوات ورغبة منه في التأكد من أنه سيفوز بجائزة أولمبية، أسرف ألسبيادس فدخل السباق بسبع عربات - لم يتوقف الناس عن الحديث عن تلك القصة - خاصةً عندما فاز بالمركز الأول والثاني والرابع.[230] كان، بالطبع، أرستقراطيا، سليل واحدة من أقدم العائلات، عائلة ألكميونيدس. (يعني هذا أيضًا أنه حمل لعنة ألكميونيدس الشهيرة)[231]. ولكن، مثله مثل بريكليس سليل نفس العائلة، فقد ألقى أسهمه مع ديموس أثينا - أي الناس - الذين أسعدهم وأغضبهم وأثارهم واستفزهم وعذبهم وسحرهم وصدمهم وخدعهم وأغواهم. لكنه دائمًا ما أبقاهم منتبهين، وأبقاهم يتحدثون عنه. تخيل جون إف كينيدي ودونالد ترامب وديفيد بتريوس ومحمد علي وجوليان أسانج وجوني نوكسفيل وبيرني مادوف وجود لو مجتمعين في شخص واحد.

أصبح بريكليس، الذي كان ابن عم والدة ألسبيادس، الوصي القانوني على

---

(230) . في سباقات العربات، كان الشخص الذي يدفع ثمن المركبة والسائق، وليس السائق، هو من يفوز بالجائزة.

(231) . كتب هيرودوت عن هذه اللعنة الشهيرة في تاريخه، الكتاب الخامس. في عام 632 قبل الميلاد، قرر منتصر أولمبي يُدعى كايلون أن يستغل شهرته في الحصول على السلطة السياسية، محاولًا أن يصبح طاغية أثينا. حاول هو وأتباعه الاستيلاء على الأكروبوليس، لكن هجومهم فشل، لذلك سعوا إلى اللجوء في معبد الإلهة، مما يعني أنه لا يمكن مهاجمتهم طالما أنهم في كنف الإلهة. لكن أحد أفراد عائلة ألكميونيدس انتهك ملاذهم، وأمرهم بالنزول للحكم عليهم وسيكونون بأمان. القصة هي أنهم نزلوا، لكنهم أبقوا أنفسهم مرتبطين بالقدس بحبل أو خيط، وعندما انقطع، اعتبرته ألكميونيدس علامة من الإلهة أنهم ليسوا في حمايتها، فقتلوا الطاغية الفاشل وأنصاره، وهكذا لحقتهم اللعنة. وقد نفوا من أثينا لبعض الوقت.

ألسبيادس عندما قُتل والد الطفل البالغ من العمر عشر سنوات في معركة، لذلك نشأ ألسبيادس في منزل بريكليس، الأمر الذي يجعل التباين بينهما أكثر دراماتيكية. يمثل بريكليس، أكثر من أي شخص آخر، تسبيس آريت، الذي لن يكون لألسبيادس سوى القليل منه.[232] رفض ألسبيادس التنازل عن قدراته المعجزة للبوليس، مدعيًا أن تفوقه حرمٌ أعلى يخصه وحده. ومع ذلك، لم يبق تهوره حبيس المجال الشخصي، كما أن الخراب الذي طال حياته سيكون خرابًا على أثينا أيضًا.

فيما يلي بعض النقاط البارزة من الروعة التي كانت حياته:

أقنع الإكليسيا[233] بهجوم خطر على صقلية في منتصف الحرب البيلوبونيسية، في عام 415 قبل الميلاد، ثم طلب منهم تعيينه كواحد من الجنرالات المشاركين.[234] وبعد أن نجح في إقناعهم بالمغامرة الصقلية، ربما اختار وربما لم يفعل هو وبعض رفاقه المتحمسين الليلة السابقة لإبحار الأسطول ليخرجوا في موجة من التخريب، أدت إلى تشويه وجوه تماثيل هيرميس وأعضائها التناسلية - تماثيل هيرميس ذات الشكل الواحد التي كانت تُستخدم كعلامات لحدود الملكية في جميع أنحاء البوليس. كان هيرميس إله السفر، الأمر الذي كان سيجعل من تدنيسه فألًا سيئًا على الرحلة إلى صقلية. من غير المحتمل أن يكون ألسبيادس متورطًا، لكن تلك كانت سمعته ما

---

(232) . حوّل بريكليس تركيز الاستثنائية صراحة إلى البوليس، فأمم عبء التفوق ومجده. "أن تكون مكروهًا وأن تسبب الألم هو، الآن، حقيقة عند كل من يتولى حكم الآخرين، وكل من يجعل نفسه مكروهًا لأجل أمور ذات نتائج عظيمة فقد اتخذ القرار الصحيح؛ لأن الكراهية لا تدوم طويلًا، لكن الألق اللحظي للأعمال العظيمة يخلد مجدًا يبقى في الذاكرة إلى الأبد." (ثوقيديدس تاريخ الحرب البيلوبونيسية، الكتاب الثاني، 64. راجع الملحق ب) ينقل ألسبيادس بشكل صريح بؤرة الاستثنائية مرة أخرى إلى الفرد - وتحديدًا إليه - مترجمًا العبء والمجد إلى مصطلحات شخصية. فالعداء قصير الأمد الذي يسببه الحسد يركز عليه: "ما أعرفه هو أن الأشخاص من هذا النوع وجميع الآخرين الذين حققوا أي تميز، على الرغم من أنهم قد لا يتمتعون بشعبية في حياتهم في علاقاتهم مع زملائهم من الرجال وخاصة أكفاؤهم، يتركون للأجيال القادمة الرغبة في ادعاء الارتباط بهم حتى بدون أي أساس، ويفاخر بهم البلد الذي ينتمون إليه، ليس كغرباء أو أشرار، ولكن كأبناء وأبطال" (ثوقيديدس تاريخ الحرب البيلوبونيسية، الكتاب السادس، 61). جدير بالإشارة هنا كيف أنه عكس اللغة التي استخدمها بريكليس.

(233) . مجلس الحكم في أثينا. (المترجم)

(234) . ألسبيادس بكل جرأته ونيسياس، الذي كان حذرًا للغاية، وقف كل منهما موقفًا معاكسًا بشأن موضوع الغزو، لذلك عُيّنا كجنرالات مشاركين. ولكيلا يقع التعادل في القرارات في الميدان، عُين لاماكوس جنرالًا مشاركًا له سلطة مساوية لسلطة الاثنين الآخرين.

جعل العديد من الأثينيين، وفقًا لما ذكره ثوقيديدس، يلقون باللوم عليه. تردد كذلك أن ألسبيادس وأصدقائه محبي المزاح نظموا تمثيلية ساخرة تجديفية عن طقوس شعائر أسرار إليوسيس المهيبة، تولى فيها ألسبيادس منصب رئيس الكهنة. (شهد عبد يُدعى أندروماخوس ضد ألسبيادس.)[235] أبحر صوب صقلية في اليوم التالي لفضيحة تماثيل هيرميس تحوطه سحابة من الشكوك. ولعلمه بقدرته على تحويل الرأي العام لصالحه، طالب بالسماح له بتبرئة نفسه من التهم أولًا. كان أعداؤه هم من عجلوا رحيله. وبالتأكيد، بينما كان مبحرًا إلى صقلية، نمت الهستيريا حول المعصية (asebeia)، فقال أعداء ألسبيادس أن التجديف الذي حدث يحمل كل بصمات ألسبيادس المخزي. ومن الواضح أنه لا يمكن تركه في نفس الوقت يقود قوة أثينية في حملة كبيرة، ولذا أُرسلت سفينة ثلاثية المجاديف لإعادته إلى أثينا للمحاكمة.[236] لم يُفصح عن الحجم الكامل للمشكلة التي كان ألسبيادس فيها خوفًا من أن يتمرد رجاله إذا اشتبهوا في أنه سيعود ليلقى معاملة قاسية. ولم يُؤسر ولكن سُمح له بالعودة في سفينته الخاصة. لكنه سرعان ما استوعب الموقف، وانزعج من قلة ثقة البوليس به، فانتقم سريعًا من قلة الثقة هذه بالانشقاق إلى إسبرطة، فقدم لها نصائح لا تقدر بثمن حول كيفية استخدام هجوم أثينا على صقلية لصالحها. ثبت بالفعل أن الهجوم كان كارثيًا على أثينا. حكمت أثينا عليه بالإعدام غيابيًا.

بعد أن أصبح إسبرطيًا، تكيف بفخر مع طرق الحياة في إسبرطة، على الأقل فيما ذكره بلوتارخ: «شكّ الناس الذين رأوه حليق الرأس، يستحم بالماء البارد، ويأكل الطعام الخشن، ويتغذى بالمرق الأسود، أو بالأحرى لم يصدقوا، أنه كان في منزله طاهٍ، أو أنه سبق له أن وضع عطرًا، أو كان يرتدي عباءة مصبوغة بالأرجواني الميليتي.»[237] (وصف بلوتارخ لألسبيادس ممتع، لكن ربما لا يمكن الاعتماد عليه

(235) . انظر:

Debra Nails, The People of Plato, pp. 17–20, for a list of sources and a summary of the events.

(236) . ثوقيديدس تاريخ الحرب البيلوبونيسية، الكتاب السادس، 61.

(237) . Plutarch, Parallel Lives, "The Life of Alcibiades," 6.2, vol. IV of the Loeb Classical Library edition, 1916.

في كل التفاصيل. وكدليل، يخطئ هنا في مسألة الشعر. إذ كانت شعور الإسبرطيين طويلة.)[238] ألقى خطابًا في إسبرطة غير الديمقراطية قلل فيه من أهمية الديمقراطية الأثينية باعتبارها «جنونًا بينًا». وجد الأسبرطيون تحوله مقنعًا، لا سيّما أنه سعى إلى تجديد دور جده لأبيه كقنصل لإسبرطة؛ الاسم نفسه من أصل إسبرطي؛ والخطاب الذي ألقاه (وإن كان من اختراع ثوقيديدس) ممتاز. لكن بقيَ الانحراف الجامح في شخصيته على حاله، مطمورًا بأمان تحت تغييراته الخارجية. لن تستطيع أي بوليس تحجيمه أواحتواءه، ليس أثينا وبالتأكيد ليس إسبرطة. وكما كان متوقعًا، فقد خان إسبرطة أيضًا، ثم خان كلًا من أثينا وإسبرطة لبلاد فارس (ربما).

لكن طوال كل تلك التقلبات والمنعطفات ظل حبيب أثينا الضال. في عام 411 استدعته أثينا إلى الدرنديل لتولي قيادة الأسطول، على الرغم من أنه تجنب بالفعل النزول بأثينا. في عام 407، عاد إلى أثينا، واستقبلته الحشود في المرفأ ووضعوا أكاليل الزهور على رأسه الشبيه بالإله. وكرر براءته من التهم الموجهة إليه عام 415، وألقى الأثينيون اللوح البرونزي، الذي سُجل عليه حكم الإعدام بحقه، في البحر. ذكر زينوفون أنه جرى تهديد الأصوات المعارضة في الحشد ليصمتوا.[239] ثم طالته الشبهات – ظلمًا هذه المرة، لكن لا يمكنك لوم الأثينيين حقًا – عندما فشلت إحدى الحملات العسكرية التي كان يقودها. يعلق بلوتارخ قائلًا: «لو أن رجلًا دمرته سمعته الكبيرة، سيكون هذا الرجل ألسبيادس. منحته نجاحاته المستمرة سمعة طيبة في الجرأة والحصافة التي لا حدود لها، فإذا فشل في أي شيء، شك الرجال في ميوله؛ لن يصدقوا أنه عجز عن شيء. ظنوا أنه إذا أراد أن يفعل شيئًا، فلا يمكنه إلا أن ينجح فيه.»

(238) . كان بلوتارخ (حوالي 45-120 م) أفلاطونيًا درس في الأكاديمية، لكنه عاش بعد قرون من أحداث القرن الخامس قبل الميلاد، وهو سبب يبعث على عدم الوثوق به بالكامل. يذكر العديد من التفاصيل الماجنة في حياة ألسبيادس، تركتها لأنها عندي غير موثوقة، لكنها، ومرة أخرى، ممتعة للغاية. كانت وظيفته رائعة حقًا: لقد كان أحد الكاهنين المناوبين عند عرافة دلفي، اللذين فسرا هذيان بيثيا. ولم يكن ذلك عملًا ممتعًا فحسب، بل يبدو أنه ترك له الكثير من الوقت ليكتب.

(239) . Xenophon, Hellenica, 1.4.20.

في مسرحية «الضفادع» لأريستوفانس، والتي عُرضت عام 405 في مهرجان لينايا الأثيني، وفازت بالجائزة الأولى، نزل الإله ديونيسوس الذي كان يائسًا من تراجع الشعر المأساوي إلى هاديس، ليسأل التراجيديين المتوفين، أسخيلوس ويوريبيدس، مات الأخير في العام السابق مباشرة، ماذا يجب أن تفعل المدينة المعذبة، التي تعاني أسوأ الظروف بعد حرب استمرت عقودًا مع إسبرطة، لإنقاذ نفسها. لكن أولًا، يجب الانتهاء من سؤال آخر: هل ينبغي إعادة ألسبيادس، المختبئ الآن في قلعة في فريجيا:

الآن، أيكما ينصح

لخير المدينة، فسوف يأتي معي.

لكن أولًا، بشأن ألسبيادس، فليقل كل منكما

ما يعتقده؛ فالمدينة تتألم.

يسأل يوربيديس الإله عما تعتقده أثينا في ألسبيادس فيُعطى إجابة تنقل الولع المتناقض الذي يربط ألسبيادس والأثينيين معًا:

ماذا؟

إنها تحبه وتكرهه وتتوق إلى استعادته.

يُظهر هذا السطر الذي كتبه أريستوفانس قبل بضعة أشهر فقط من استسلام أثينا لإسبرطة وموت ألسبيادس العنيف، إلى أي مدى ظلت البوليس متعلقة بألسبيادس. كانت طبيعة ألسبيادس أن يحاول الإفلات بكل ما يفعله، وكانت طبيعة أثينا – في أكثر الأحيان – أن تدلله.

مرارًا وتكرارًا، كانت حيَله البارعة مدفوعة بما يمكن أن يفيده وحده من الموقف، معتمدًا على تقييمه لكيفية تعظيم قوته وتضخيم صورته بحيث تطغى على كل الآخرين. أقنع البوليس برفض معاهدة سلام كان من الممكن أن تكون لصالح أثينا،

لأنه كان منزعجًا لأن اثنين من منافسيه، نيسياس ولاخيس،[240] قد رتبا لها، بينما تجاهلوه هو بسبب صغر سنه. عندما كان من المقرر أن يتحدث الأسبرطيون أمام الإكليسيا لمحاولة ترتيبِ سلامٍ دائم، أدى ألسيبادس لعبة مزدوجة بارعة. قدم نفسه للإسبرطيين كمفاوضٍ متعاطفٍ معهم، إذ كانوا في حيرة من أمرهم بشأن كيفية مخاطبة مؤسسة الديمقراطية الأثينية الفريدة من نوعها فأسلموا أنفسهم لتدريب ألسيبادس. ثم هيج الجماهير على ما قاله الإسبرطيون بتوجيه منه. يعطينا ثوقيديدس الغاضب التفاصيل، موضحًا أنه بهذه الطريقة تحدد مصير أثينا برغبة رجل واحد في جعل نفسه محورَ اهتمام الجميع، ووضع اسمه على شفاه الجميع. «الآن، آمل ألا يظن أحد منكم السوء فيّ.» قال للإسبرطيين بعد الانشقاق إلى صفوفهم، «وإذا كان يبدو من قبل أنني كنت محبًا لبلدي، فإنني الآن أنضم بنشاط إلى ألد أعدائها في مهاجمتها أم أنكم ستشكون فيما أقول باعتباره ثمرة حماس الفار من حكم يلاحقه.» وينتهي برفضٍ للاستثنائية الجماعية بنفس وضوح تأييد بريكليس لها في خطبة التأبين. إنه يؤكد تفوق الذات على المدينة - ليس أية ذات، بل ذاته هو: «حب الوطن هو ما لا أشعر به عندما أكون مظلومًا.» [241] كتاب نيتشه هكذا تكلم زرادشت من الممكن بسهولة أن يتحول إلى هكذا تكلم ألسبيادس:

أنا أكلمك عن سوبرمان. أما الإنسان فشيء يجب تجاوزه. ماذا فعلت لتفوق الإنسان؟

اعتقد ألسبيادس أن ما فعله ليفوق الإنسان هو أن يكون ألسبيادس. وليس هناك من ينكر أن الرجل كان استثنائيًا.

لم تكن أثينا وحدها هي التي تفككت بسبب تأكيد ألسبيادس الجامح على الذات. ثوقيديدس، الذي يحتقر ألسبيادس، يجعله الشخصية المركزية في إطالة أمد الحرب البيلوبونيسية. هذا النوع من عدم الاستقرار يمثل مادة جيدة لصنع حياة استثنائية.

---

(240). في محاورة أفلاطون لاخيس يظهر كلا الجنرالين في محادثة مع سقراط، وهي تتعامل مع طبيعة الشجاعة.

(241). ثوقيديدس تاريخ الحرب البيلوبونيسية، الكتاب السادس، 92.

أضعفت الحرب البيلوبونيسية كل مدن الهيلينين وجعلتهم عرضة للهجوم من إمبراطورية خارجية. هذه المرة، لم يكن الفُرس في الشرق هم الذين جاءوا لغزو اليونان بل المقدونيين في الشمال. في عام 357 قبل الميلاد كسرت مقدونيا معاهدتها مع أثينا، وبحلول عام 351 كان الخطيب الأثيني الشهير ديموسثينيس يلقي خطبته الأولى من سلسلة الفيليبيات، محذرًا من خُطط فيليب ملك مقدونيا التوسعية على دول المدن اليونانية المستقلة. المقدونيون، على الرغم من عدم اختلافهم عرقيًا، كانوا يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم اليونانيون غير يونانيين.[242] في خطبته الفيليبية الثالثة، وصف ديموسثينيس فيليب بأنه «ليس فقط ليس يونانيًا، ولا وجود لما يربطه باليونانيين، ولكن حتى هو ليس بربريًا من أي مكان يمكن أن يُنسب إليه الشرف، بل كان وغدًا خبيثًا من مقدونيا، البلاد التي لم يأت منها حتى عبد لائق يصلح للشراء.»

أدت الحرب البيلوبونيسية التي طال أمدها، والتي انتهت أخيرًا في عام 404، إلى استنزاف دول المدن، وبخاصة أثينا، وبعد خمسة وستين عامًا فقط، في عام 338 قبل الميلاد، انتهى الحكم الذاتي اليوناني، رسميًا على الأقل.[243] يعتبر المؤرخون الرومانيون واليونانيون القدماء أن معركة شيرونيا، التي دارت رحاها في 2 أغسطس

(242) . اعتبر ثوفيديدس أيضًا أن المقدونيين برابرة لا يونانيين. لقد كانوا، في عيون الإغريق، بربريين، كما نستخدم هذا المصطلح اليوم، متوحشون أجلاف. لم يعرفوا الخطوات المتحضرة التي استخدمتها ليس أثينا فقط بل كل المدن عند عملية نقل السلطة. في مقدونيا، كانت عمليات النقل هذه تتم بشكل منتظم عن طريق الاغتيال. (لا تزال مسألة تكهنات إلى أي من الملوك المقدونيين استمرت هذه الممارسة. ربما كان موت فيليب الثاني المفاجئ والمريب على يد ابنه الإسكندر). نظام المدن اليونانية المستقلة، السياق ذاته الذي جاءت منه فكرة آريت، كان شيئًا غريبًا وغير مفهوم للمقدونيين مثله مثل اللغة اليونانية نفسها.

(243) . لكن هذا لا يعني أن البوليس اليونانية لم تعد قائمة. "وضع الغزو المقدوني لليونان حدًا لقدرة المدينة اليونانية على إخضاع مدينة أخرى، وذلك بسبب القوة العسكرية الهائلة لمقدونيا ولأن الغزوات المقدونية خارج اليونان أزالت إمكانية استخدام سياسات القوة الدولية لإقناع المدن بتفضيل التبعية لمدينة يونانية أخرى معروفة، على قوة أجنبية غير معروفة. لكن بالنسبة للعديد من المدن اليونانية، لم يكن فقدان السياسة الخارجية المستقلة شيئًا جديدًا، كما استمرت الحياة المميزة لدول المدن اليونانية لفترة طويلة بعدما أسس فيليب المقدوني حلف كورنثوس في عام 338 قبل الميلاد" روبن أوزبورن، التاريخ اليوناني (لندن: روتليدج، 2004)، ص 3-4.

338 بين فيليب الثاني وقوات دول المدن اليونانية المحتشدة، تمثل نهاية الحرية اليونانية والتاريخ السياسي اليوناني. في تلك السنوات الخمس والستين، تمتعت أثينا، على الرغم من أنها لم تكن إمبراطورية، بالعديد من نجاحاتها الثقافية. عاش أفلاطون حياته الفلسفية خلال هذا الوقت. وهي الفترة التي أسس فيها أكاديميته وكتب محاوراته. وهي أيضًا الفترة، التي جاء فيها أرسطو إلى أثينا، للدراسة في الأكاديمية أولًا، ثم ليؤسس الليسيوم بعد ذلك. يمكن القول إنه في السنوات الخمس والستين التي انقضت بين هزيمة أثينا في الحرب البيلوبونيسية وابتلاع مقدونيا لها، تمتعت بأفضل فترة ديمقراطية لها. لذلك لا يستطيع المرء أن يقول إن تجربة أثينا مع الاستثنائي ماتت عند هزيمتها من إسبرطة. ولكن بمقاييس الضرر طويل المدى، ليس فقط على أثينا ولكن على بلاد اليونان بأسرها، لعبت الحرب البيلوبونيسية التي طال أمدها دورًا محوريًا، وكذلك فعل فساد ألسبيادس.[244]

لكن الأثينيين الذين تاقوا لعودة ابنهم الضال لم يكونوا يعرفون شيئًا من ذلك. في عام 404، في بؤس هزيمتهم، عندما سقطت ديمقراطيتهم نفسها (مؤقتًا) واستبدلت بأوليغاركية الثلاثين، المتعاونين مع إسبرطة، لم تكف أثينا عن اشتياقها إلى ألسبيادس. كان قد ذهب إلى آسيا الصغرى وكان يعيش في فريجيا، في حالة من المجون المترف، على الأقل وفقًا لبلوتارخ، ويتعاون الآن مع الفُرس. لكن الأثينيين لم ينسوه ولم يتمكنوا من إقناع أنفسهم بأنه نسيهم. كتب بلوتارخ: «لكن، على الرغم من محنتهم الراهنة، لم يزل لديهم أمل غامض بأن قضية أثينا لم تضع بالكامل طالما أن ألسبيادس كان على قيد الحياة. لم يكن قد رضي، في الماضي، بعيش حياة المنفى في كسل وهدوء؛ ولن يرضى الآن، وإذا سمحت وسائله، فهل سيسكت على وقاحة

(244) . تبنى اللورد بايرون، الذي يذكرنا من نواحٍ عده بألسبيادس، قضية الحكم الذاتي اليوناني، وأنفق 4000 جنيهًا إسترلينيًا من أمواله لتجديد الأسطول اليوناني لمهاجمة الإمبراطورية العثمانية، وخطط، على الرغم من افتقاره للخبرة العسكرية، لقيادة العملية مع الكسندروس مابروكورداتوس، السياسي اليوناني والقائد العسكري. أصيب بالمرض قبل أن تتحقق خططه، لكنه لا يزال يحظى بالاحترام في اليونان، حيث يشتهر اسم فايرون للأولاد، كما سميت إحدى ضواحي أثينا، فيروناس، باسمه.

الليسدامونيين وجنون الثلاثين؟»

ربما لهذا السبب قُتل، فقد أقنع شخص من بين الثلاثين إسبرطة بأن الأثينيين لن يتخلوا أبدًا عن الأمل في استعادة هيمنتهم طالما عاش ألسيادس. (ربما كان ذلك الشخص هو كريتياس، عم والدة أفلاطون، وكان قويًا جدًا بين الثلاثين). ربما أُرسل قتلة سريين، إما من داخل الثلاثين في أثينا أو من إسبرطة نفسها. يذكر بلوتارخ مثل هذه المؤامرة السياسية كسيناريو محتمل لكيفية وفاة ألسيادس. لكن بلوتارخ يقدم سيناريو آخر أيضًا، تماشيا مع حياة ألسبيادس الأوبرالية. في هذا السيناريو، أغوى ألسبيادس فتاة ريفية، وكان إخوتها هم من جاءوا للانتقام لعذريتها المسروقة. في هذه الرواية، مات موتًا هزليًا، فلم يذهب ضحية لسبب أكبر من عدم قدرته على الاحتفاظ بما بين رجليه داخل شيتانه. مهما كانت حقيقة موته، تقول مارثا نوسباوم: «قصته هي، في النهاية، قصة الضياع والخسارة، وفشل التفكير العملي في تشكيل حياة. كان ذلك الرجل الاستثنائي أسطوريًا في أثينا وكذلك مراحل مسيرته المتقلبة؛ وكلاهما كانا يصرخان طلبًا للتفسير والإصلاح.» [245]

لقد أُهملتُ الكثير من تفاصيل هذه القصة، بما فيها واحدة من أهمها، بالتأكيد من وجهة نظر أفلاطون والفلسفة. في شبابه، كان ألسبيادس، مثل العديد من الشباب الأرستقراطيين في أثينا، قد تعلق بسقراط، وكانت علاقتهما حميمة وعاطفية. سقراط، أيضًا، لم يكن قادرًا على مقاومة الصبي الذي لا يقاوَم وأحبّه بطريقته، التي تعني تركيز انتباهه على محاولة إثارة مناطقه ليس الجنسية وإنما الفلسفية.

لكن الغريب في الأمر أن ألسبيادس، في جميع الروايات، لم يكن قادرًا على مقاومة سقراط، على الأقل لفترة من الوقت، عندما كان في ذلك العمر الذي سقط فيه العديد من الشباب الأرستقراطيين تحت سحر سقراط. متحيرًا من عدم قدرته على الوصول لسقراط - وهو الذي أمكنه أن يصل إلى أي أحد وكل أحد - شعر ألسبيادس، ربما للمرة الوحيدة في حياته، بوجود شخصية أقوى من شخصيته. كان سقراط وحده

(245) . مارثا نوسباوم، هشاشة الخير: الحظ والأخلاق في المأساة اليونانية والفلسفة (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 1986)، ص. 166.

القادر على تحويل سهام انتباه ألسبيادس بحيث لا تشير حصريًا إلى ألسبيادس نفسه، هذا الارتباك جعل الشاب يبكي عندما جعله يرى كم هو عادي قياسًا إلى المعايير المنفصلة تمامًا والمستقلة بذاتها التي جسدها سقراط. يكتب بلوتارخ:

كان ألسبيادس بالتأكيد عرضة للانجراف إلى المتعة. ذلك الانغماس الجامح في الملذات، الذي يتحدث عنه ثوقيديدس، يقود المرء إلى تصديق شيء كهذا. ومع ذلك، فقد كان حبه للتميز وحب الشهرة هو ما ناشده فيه المفسدون، وبالتالي أغرقوه في وقت قصيرٍ جدًا في طرق المكائد الفاضحة، وأقنعوه أن عليه فقط أن يدخل في الحياة العامة، وسوف يبز على الفور الجنرالات العاديين والقادة الشعبيين، ليس هذا فقط، بل إنه سيتفوق على بريكليس في السلطة والسمعة بين الهيلينيين. وعليه، فكما أن الحديد، الذي يصهر في النار، يتجمد مرة أخرى بالماء البارد، وتتراص جزيئاته معًا، كذلك ألسبيادس، الذي وجده سقراط ممتلئًا بالغرور والفسق، أدبته محاضرات المعلم، وجعلته متواضعًا وحذرًا. تعلّم كم كانت عيوبه كبيرة وكم كان ناقصًا تفوقه.[246]

لفترة وجيزة، كان ألسبيادس عرضة لهذا النوع من الجمال الذي كان سقراط، الرجل الصغير القبيح الذي بدا وكأنه ساتير[247] قافز، قادرًا على جعل الرجال يرونه. يخبرنا ألسبيادس، على الأقل في الرواية الغنية دراماتيكيًا وفلسفيًا التي قدمها لنا أفلاطون في محاورة الندوة، عن محاولاته المهينة لإغواء سقراط بطريقة أكثر تقليدية، وهو إغواء فاشل كان أكثر إذلالًا لأنه استلزم من ألسبيادس، الأصغر سنًا، أن يلعب دور المحب الملح.

شكّل هذا الانقلاب انتهاكًا للعلاقة اللوطية بالصبيان paiderastia، «نمط عام من المشاعر والسلوك فريد من نوعه في تاريخ المجتمع الغربي: نظام من الحب المثلي

(246) . Plutarch, Parallel Lives, "The Life of Alcibiades," 6.2

(247) . واحد من آلهة الغابات السكرانة الشهوانية. ويصور في الفن اليوناني كرجل له أذني وذيل حصان. (المترجم)

بين الذكور يمارس علانية ومقبول اجتماعيًا.»[248] لم يكن اللواط مقبولًا اجتماعيًا فحسب، بل اعتبره العديد من اليونانيين، ولا سيما الأرستقراطيين بينهم، ضروريًا لتماسك البوليس، وبالتالي كان شيئًا داخلًا في تكوين آريت عند المواطن. وحقيقة أن الكلمة التي نستخدمها للتعبير عما يوصف بأنه أكثر أشكال الإجرام وضاعة[249] مشتقة من الممارسات التي شكلت الفكرة اليونانية عن آريت، يجب أن تزيد من انتباهنا إلى نقطة ذكرها الكلاسيكي روبن أوزبورن، وهي «في التحليل المريح لثقافة مثل ثقافتنا، نجد أنفسنا في مواجهة الوضعية التي مثل بها مجد اليونان جزءًا من عالم تصبح فيه العديد من قيمنا الأساسية في مواجهة الخطر بدلًا من أن تصبح أقوى.»[250] تغييرنا لآرائنا حول الأخلاق الجنسية جعلنا، من نواحٍ عديدة، أقرب إلى المواقف الجنسية لليونانيين القدماء، الذين لم يعتقدوا أبدًا أن الآلهة كانت تكترث ولو بأقل قدر حول ما نفعله ببعضنا جنسيًا، خاصةً إذا لم يقع أي ضرر على أي من المشاركين. (في الواقع، كانت الآلهة اليونانية أقل حساسية بكثير من البشر فيما يتعلق بمسألة الافتراس الجنسي.) لقد أصبحنا الآن قريبين من القبول اليوناني للمثلية الجنسية والازدواجية الجنسية كطرق طبيعية تمامًا يتصل فيها الناس بين بعضهم. لكننا ربما ابتعدنا عن موقفهم المتساهل تجاه العلاقات الجنسية بين القوي والضعيف، خاصة وأن عدم توازن القوة هذا ينعكس في اختلاف العمر. لكن، حتى هذا يبقى غير واضح تمامًا، نظرًا لاستمرار عدم اليقين بشأن ما كانت تعنيه كلمة pais – صبي.

يظل العمر الذي يبدأ فيه الصبي العلاقات الجنسية، بالنسبة لنا، غير محدد. ذكر العديد من الباحثين تقديرات لأصغر سن مناسب، وتتراوح إجاباتهم بين اثني عشر وثمانية عشر عامًا. وهذه، من وجهة نظرنا، فجوة واسعة إلى حد كبير (رغم أنها لم تكن كذلك منذ سنوات، حتى في الغرب، كان يجري تزويج الفتيات في سن الثانية عشرة، وفي كثير من الأحيان من رجال أكبر منهم بكثير). هناك العديد من الإشارات

(248) . Bernard Knox, "The Socratic Method," The New York Review of Books, January 25, 1979.

(249) . تقصد الكاتبة هنا كلمة بيدوفيليا. (المترجم)

(250) . Robin Osborne, Greek History (London: Routledge, 2004), p. 22.

في الأدب اليوناني إلى ظهور أول شعر في الوجه. كان زغب الخوخ مرغوبًا، أما اللحية فلا.[251] اختلفت الأعراف الجنسية من بوليس إلى بوليس.[252] في أثينا، قد يكون سن السابعة عشر هو السن العملي لموافقة الأولاد، وهو سن اكتساب المواطنة، لكن نظرًا لأن اليونانيين لم يكن لديهم صفر، فإن هذا يُترجم في الواقع إلى ستة عشر عامًا (باستثناء أن سنة الميلاد، وليس اليوم، هي التي كانت تستخدم في الحساب). الواضح هو أنه كان هناك اهتمام أكبر بكثير بحماية الأولاد عن الفتيات. استأجرت العائلات الأثينية الميسورة عبدًا خاصًا – وهو المربي payagōgos – لمرافقة الصبي القاصر والتأكد من أن أحدًا لم يقترب منه بنيّة غير لائقة، ولكن هذه الاحتياطات الخاصة إشارة إلى أنه، بغض النظر عن العمر الذي يعتبر مناسبًا للصبي، فإنه كان يُنظر للأولاد الصغار بشهوانية. في محاورة خارميدس لأفلاطون، يقول سقراط، الحريص على التحدث مع خارميدس الجميل للغاية (وهو عم أفلاطون)، يقول بوعي ذاتي أنه «ليس هناك مخالفة» في التحدث إليه، لأن كريتياس، عم خارميدس والوصي عليه، موجود. ومع ذلك لا تزال الحيلة مطلوبة، بسبب الإثارة الكبيرة من مجرد رؤية خارميدس. يقول كريتياس أن خارميدس كان يعاني من الصداع، وعلى سقراط أن يجعل الصبي يعتقد أنه يعرف العلاج. قد يعتقد المرء أن أفلاطون كان يشير بمهارة إلى أوجه القصور في شخصية كريتياس، الزعيم المستقبلي للثلاثين، لو لم يجعل سقراط أيضًا يرد بلهفة، «لم لا، إذا كان ذلك سيجعله يأتي.» (b155)

---

(251) . في الندوة، عندما يميز بوسانيوس بين الحب الجيد والحب السيء، يحاجج بأن الحب الجيد موجه دائمًا إلى "الأولاد" وليس الإناث، "فيعتز بما هو بطبيعته أقوى وأكثر ذكاءً" (c181). لكن، الحب الجيد لا يتجه نحو الأولاد حتى يبدأوا في إظهار بعض الذكاء، الشيء الذي يحدث عندما "تبدأ لحاهم في النمو" (d181). ثم يذهب بوسانيوس ليشرح سبب المشكلة في حب الذين لم يبلغوا، ولا علاقة لذلك بحماية الأولاد بل مقصود به حماية محبي الأولاد: "في الواقع، يجب أن يكون هناك قانون ضد حب الأولاد الصغار، بحيث لا يتبدد الكثير من الجهد على مشروع غير مؤكد. فمن غير الواضح كيف سيتطور الأولاد الصغار، وما إذا كانت أرواحهم وأجسادهم ستنتهي إلى أن تصبح سيئة أم فاضلة." (e181) ليس لدينا طريقة لمعرفة سن البلوغ في أثينا القديمة. يزعم جيمس ديفيدسون في كتابه اليونانيون والحب اليوناني (لندن: فينيكس، 2007) أنه كان متأخرًا كثيرًا عما هو عليه في يومنا هذا، على الرغم من أن العلماء قد طعنوا في حججه.

(252) . جعل أفلاطون بوسانيوس يؤكد هذه النقطة في الندوة (182). ويستنتج، وهو شيء غير مستغرب، أن حب الأولاد في أثينا كان الأكثر نبلًا.

لكن على الرغم من أن الأولاد الذين كانوا صغارًا جدًا - مهما كان معنى ذلك - كانوا، رغم أنهم مرغوبون، لا يزالون خارج حدود المسموح، إلا إنهم عندما يبلغوا السن، تصبح العلاقة مع رجل أكبر سنًا متوقعة. قد يكون المحب أكبر بسنوات قليلة، لكنه في مرحلة مختلفة من المشاركة السياسية. كان الاختلاف بينهما في المراحل السياسية - واجباتهم الملائمة لأعمارهم تجاه البوليس - أمرًا مهمًا، لأنه من خلال العلاقة القوية بين العاشق الأكبر سنًا والأصغر يتعلم الأخير آريت المسيسة التي ستحكم حياته. هناك، كما قال كينيث دوفر في عبارته الشهيرة، «نزعة يونانية ثابتة لاعتبار الحب المثلي مركبًا بين التعليم والعلاقة التناسلية.»[253] كان هذا صحيحًا ليس فقط في أثينا ولكن في جميع المدن اليونانية. «كان ينظر إلى مثل هذه العلاقات بأنها تلعب دورًا مهمًا في تعزيز التماسك حيث كان مهمًا - أي بين المواطنين الذكور - حتى أن ليكرجوس منحهم اعترافًا رسميًا في دستور إسبرطة.»[254] منذ نشر كتاب دوفر الرائد، أصبح المصطلح القياسي المعتمد بين الباحثين للعاشق الأكبر سنًا هو erastês، المحب، وللأصغر، erômenos، المحبوب، وكلتا الكلمتين مشتقتان منerōs، الحب.

أقدم مشاهد الغزل المثلي على مزهريات السيراميك الأسود الأتيكية كانت قريبة زمنيًا من كسرة سولون: «عندما أصبح في زهرة الشباب اللذيذة وقع في حب صبي (paidophilein) يتوق إلى الفخذين والفم الحلو.»[255] كانت التصاميم الفنية للقاءات الشهوانية المثلية غزيرة الإنتاج في الوقت الذي هزم فيه الإغريق الفُرس، في ذروة الثقة بالنفس الهيلينية التي أشفت على تمجيد الذات. كثيرًا ما كان يُشاد بالعلاقات الجنسية المثلية باعتبارها مرغوبة أكثر، ورجولية أكثر، من العلاقات بين الجنسين، الموحولة في شهوة الجسد المجردة أو الأهداف الإنجابية، والتي لا تسهم

(253) . K. J. Dover, Greek Homosexuality, rev. ed. (Cambridge, MA: Harvard University Press ,)1989,p. 202.

(254) . George Boys-Stones, "Eros in Government: Zeno and the Virtuous City," Classical Quarterly 48 (1998): 169.

(255) . الكسرة 29، انظر:

K. J. Dover, Greek Homosexuality, rev. ed., p. 195

إلا بالقليل في تنمية آريت، لأن الإناث لم تكن تشارك في الحياة السياسية للمدينة. جميع رواد الحفل في ندوة أفلاطون، باستثناء الشاعر الساخر أريستوفانس، لا يمجدون أي نوع من إيروس erōs سوى الحبّ المثلي.[256] وخطاب أريستوفانس ليس في سياق تمجيد أي شيء على الإطلاق. بل هو يشرح بالتفصيل الجوانب المخجلة والمحرجة في إيروس، على الرغم من أن الخطاب يبقى نظيفًا، دون أي ابتذال لا مبرر له. بالنظر إلى أن هذا هو أريستوفانس، الذي تنضح مسرحياته بالكلمات البذيئة، فإن هذا التأنق غريب عليه. لكن أفلاطون هو من يكتب شخصية أريستوفانس هنا، وهو يسمح لنفسه بالذهاب في اتجاه الابتذال بقدر ما يسمح له إحساسه بالكرامة. لذلك، على سبيل المثال، جعل أفلاطون أريستوفانس يفقد دوره أولًا في إلقاء خطابه في مدح الإله إيروس إذ غلبه مؤقتًا، من بين كل الأشياء، الفُواق، مما يشير إلى المهانة السخيفة التي تضعنا فيها أجسادنا عندما تغلبنا. فيتعذر على كاتب مشهور حتى إخراج الكلمات، وتصبح موهبة الكلام الإلهية شيئًا مضحكًا بسبب جيشانات حيوانية. عندما يتعافى الشاعر أخيرًا، يروي الأسطورة، التي ألمع إليها المنسق زاكاري بيرنز في الفصل دلتا باختصار: عن كيف كان البشر في يوم من الأيام أزواجًا مرتبطين جسديًا، ويتدحرجون مثل الكرات، بحيث كانت كل كرة كيانًا كاملًا. كانت هناك بعض الكرات التي تقرن الرجل برجل، وبعضها رجل بامرأة،

(256) . في اليونانية القديمة عدة كلمات للحب. أغابي Agapē هو حب عفيف إلى حد أن الكلمة ومشابهاتها مستخدمة بكثرة في العهد الجديد. بوثوس Pothos هو نوع من الشوق، عادة لشخص غائب. أما هيميروس Himeros فيصيب المحب تقريبًا كإحساس جسدي، إما من رؤية المحبوب أو من التفكير فيه. تمتلئ محاورة فايدروس لأفلاطون بصور هيميروس يتدفق إلى المحب عند رؤية المحبوب، يصف أفلاطون هذا التيار وهو يعكس نفسه ويتدفق عائدًا إلى المحبوب حتى يغرق كلاهما في هيميروس، وهذا التبادل للسوائل الهيميروسية لا يتضمن بالضرورة أي سوائل جسدية حقيقة - في الواقع، من وجهة نظر أفلاطون، من الأفضل كثيرًا ألا يحدث ذلك. إيروس Erōs هو تجربة "الوقوع في الحب" الهوسية الكاملة، التجربة التي تجعل الشخص يقوم بأشياء مجنونة، مثل الانتقال من نيويورك إلى بوسطن. الاشتياق فيها شديد جدًا. يقول ديفيدسون، الذي يميز بشكل جميل بين مصطلحات الحب اليونانية المختلفة تلك، "إيروس، إلا في حالات قليلة فقط، يكون من جانب واحد فقط حرفيًا. يمكن أن يشتاق إليك المحبوب، أن يحبك (philein)، أن يرغب فيك 'في المقابل..' ولا مشكلة، لكن عند اليونانيين لا يمكن أن يكون هناك إيروس متبادل، ليس في نفس الوقت. إيروس لا يعمل هكذا! إنه سهم، تذكرة بلا عودة من أ إلى ب" اليونانيون والحب اليوناني، ص. 23.

والبعض الآخر امرأة مع امرأة. بسبب هذا الكمال الذاتي، كان البشر أشبه بالآلهة أكثر مما يريد الخالدون. «كانت لديهم قوة رهيبة، وطاقة، فضلًا عن طموحات كبيرة.» (b190) اجتمعت الآلهة وبدلًا من القضاء على البشر - الخيار المتاح دائمًا لسكان الأولمب - جاء زيوس بخطة تقضي بقص البشر المكتفين ذاتيًا من المنتصف، مثل البيضة المسلوقة عندما تقطع بسلك، بحيث ينفصل كل نصف عن نصفه الآخر. (لا يعزو دوفر أصول هذه الحكاية الشهوانية إلى أفلاطون ولا إلى أريستوفانس، بل إلى أسطورة أورفية.) وهكذا في هذا التجمع، يقر أريستوفانس وحده بالمصادر المشتركة للحب بين المثليين والمغايرين، مما يعني ضمنًا أنهم من نفس الطبيعة: الحب، فينا جميعًا، هو مسألة هيامنا اليائس، ومحاولتنا العثور على نصفنا المفقود، لكي نكمل أنفسنا.[257] تؤكد حكايته على أن الإشباع الإيروسي شيء مشروط، فجعل الحب erōs خارج مجال اختيارنا وجعلها مسألة صدفة بحتة إذا ما كنت ستعثر على الشخص الذي كان، إذا جاز التعبير، مقدرًا لك من لحظة ولادتك. قد تترك البار مبكرًا خمس دقائق، وبدلًا من النعيم الدائم تعيش في إحباط مستمر. أيضًا كان الآلهة يعرفون ما يفعلون بالضبط، وفقًا لأريستوفانس في الندوة، لأن يأسنا الإيروسي هو الذي يدفعنا إلى التقوى. «إذا كنا أصدقاء للآلهة وعلى علاقة طيبة معهم، فسنجد محبوبينا المقدرين لنا ونقيم في علاقات معهم، وهو ما يفعله القليل الآن» (b193).

لا يوجد دليل على أن تمييز العلاقات الجنسية المثلية، لا سيما داخل الطبقات الأرستقراطية، كان موجودًا خلال الحقبة القديمة عندما وضعت قصائد هوميروس، ناهيك عن الفترة المبكرة من العصر البرونزي، حيث وقعت أحداث القصائد، رغم ذلك قرأ رجال الفترة الكلاسيكية عن مثل هذه العلاقات في حكايات هوميروس. الصداقة بالغة الأهمية في الإلياذة بين أخيل وباتروكلُس مثال على ذلك. على الرغم من أن الحب بين أخيل باتروكلُس كان حبًا خاصًا، جعل من

(257). إذا كان أصل الشهوة هو نفسه، في حكاية أريستوفانيس، بالنسبة للحب المثلي والمغاير، فإن الأول يظل متفوقًا. "فقط الرجال من هذا النوع هم الناجحون تمامًا في إدارة شؤون المدينة. عندما يصبحون رجالًا، فإنهم يعشقون الصبيان وبطبيعة الحال لا يهتمون بالزواج وإنجاب الأطفال، رغم أن العرف يجبرهم على ذلك. إنهم يكتفون بالعيش سويًا طوال الوقت دون الزواج." (الندوة 192b–a)

موت الأخير سببًا لإيقاظ الأول من جموحه واتخاذ الإجراء الذي أنهى حياته وجعله أعظم الأبطال الأسطوريين، لا يقدم هوميروس أي تلميح إلى أن هذا الحب كان إيروسيًا. مع ذلك، قرأ إغريق العصر الكلاسيكي، الإيروسية في هذا الحب، مفسرين شدة الحب - رغبة أخيل المعلنة أنه عندما يموت يجب أن يُخلط رماده مع رماد باتروكلُس - بأنها لا تبقي مجالًا للتساؤل.[258] كانت الدعامة الأساسية للتفسير الإيروسي للباعث الرئيسي في الإلياذة هي ثلاثية إسخيلوس المفقودة، المرميديون، والنيريدات، والفيريجيون التي لم تبق منها سوى شذور. في يومنا هذا، هناك نوع يُعرف باسم رواية الشَرطة المائلة، يكتبه المعجبون بعروض مثل ستار تريك، فيتخيلون علاقات مثلية إيروسية بين شخصيات مثل الكابتن كيرك والسيد سبوك. (وكما تفيد المؤلفات الأكاديمية الضخمة المكتوبة عن هذا النوع، فإن مصطلح «شرطة مائلة» يأتي من علامة الترقيم المستخدمة في الثنائيات التي تحدد الأنواع الفرعية من هذا الأدب، مثل كيرك/ سبوك وستارسكي/ هاتش.) يمكن اعتبار ثلاثية إسخيلوس المفقودة كأول رواية شرطة مائلة. أفلاطون، أيضًا، يقول على لسان فايدروس في الندوة بتفسير إيروسي لعلاقة أخيل وباتروكلُس (a180)، يختلف فقط في أنه جعل أخيل المحبوب erômenos وليس باتروكلُس.

لماذا اتخذ اليونانيون هذا الموقف تجاه النشاط الجنسي، فخلطوا، كما قال دوفر، بين التعليمي والتناسلي في العلاقات الجنسية المثلية التي جعلوها في منزلة فوق العلاقات بين الجنسين (على الأقل عند الأرستقراطيين من طبقة أفلاطون)؟ إن تعقيد المشكلة، ومستنقع الأسئلة الناتج عنها مثل هل هي مسألة طبيعة أم تنشئة والتي تطرحها علينا وتحتاج منا التعامل معها وفرزها، قد جعل السؤال أبعد من متناول جميع الإجابات باستثناء التكهنات الأكثر جرأة.[259] ولكن إذا لم نعرف لماذا، فنحن نعرف الكثير

(258) . Dover, Greek Homosexuality, p. 197.

(259) . جورج ديفيرو، في مقاله "المثلية الجنسية اليونانية الزائفة 'والمعجزة اليونانية' (مجلة سيمبولاي أوسلينسس العدد الثاني والأربعون 1967: 69–92) يتكهن بأن المجتمع اليوناني شجع فترة المراهقة الطويلة وأن هذا يفسر كلًا من نشاطهم الجنسي متعدد الأشكال وانفجار عبقريتهم. تأتي أهمية ديفيرو للدراسات اليونانية، وفقًا لديفيدسون، من "تأثيره الجوهري" على دوفر: "بالتأكيد بدأ، أي دوفر المشروع

عن كيف مارسوا المثلية الجنسية، والأعراف التي تملي ما هو الحب الجيد وما هو السيئ - غير اللائق وغير الرجولي. ونحن نعلم أن سلوكيات المحب والمحبوب كانت مركزية ضمن هذه المعايير.

حمت القوانين الأولاد الذين تقل أعمارهم عن السن المقبول من أن يُظهر لهم النوع الخاطئ من الاهتمام. يجب أن يكون المحبوب في سن يستطيع فيها الحصول على بعض الفوائد من علاقته مع المحب، السن المناسب لشخص على وشك الدخول أو دخل للتو في حياة البوليس. ما لا يفترض أن يحصل عليه من العلاقة هو الإشباع الجنسي.(260) يُفترض بالمحبوب أن يتخذ موقف السلبي غير المستثار في النشاط الإيروسي، مع الحفاظ على وضع من اللامبالاة بحيث يبدو كما لو كان بالكاد يدرك ما يُفعل بجسده، والذي كان يحدث عادة، من الناحية المثالية على الأقل، بين الفخذين (على الأقل عند معظم الباحثين). عُد الإيلاج شيئًا فظًا. في الواقع، كان غير قانونيٍّ بالنسبة للمواطنين، لكنه كان يمارس على المأبون. كانت هناك أيديولوجية معقدة هي المتحكمة، بما في ذلك التصورات القائلة بأن موافقة الرجل بأن يُولج هو تشويه لنفسه باتخاذه دور المرأة.

بالنظر إلى هذه المعايير، يمكننا أن نقدر بشكل أكبر الانعكاس الجذري للأدوار الذي حدث في القصة التي يرويها ألسبيادس في ندوة أفلاطون عن حبه لسقراط. في هذه القصة، هناك تلاعب بأدوار المحب والمحبوب. سقراط هو الذي يلعب دور الشاب المحبوب المتحفظ، يقضي الليل مبتعدًا عن ألسبيادس، بينما يتولى ألسبيادس الجميل دور المحب المستثار.(261) يلاحظ أحد الباحثين أن انعكاس هذه العلاقة

أي كتاب المثلية الجنسية اليونانية صحبة ديفيرو كمؤلف مشارك." اليونانيون والحب اليوناني، ص. 84.

(260) . نظرًا لأن الرغبة المتبادلة بين الشركاء الذين ينتمون إلى نفس الفئة العمرية غير معروفة تقريبًا في المثلية الجنسية اليونانية، فإن التمييز بين النشاط الجسدي للشخص الذي وقع في الحب والسلبية الجسدية للشخص الذي وقع عليه الحب ذات أهمية قصوى." دوفر، المثلية الجنسية اليونانية، ص. 16.

(261) . يمكن أن تتصف التجربة الداخلية للمحبوب، كما يمكن أن نتخيل، بإحساس فخور بالاكتفاء الذاتي. وعلى الرغم من أنه غرض للتحرش اللحوح، إلا أنه هو نفسه ليس بحاجة إلى أي شيء يتجاوز

الذي قدمه أفلاطون في الندوة بين سقراط والسيبيادس يُظهر في حد ذاته الطريقة الخطيرة التي يعكس بها سقراط العلاقة اللوطية.[262] وبما أن اللواط يرتبط ارتباطًا وثيقًا بآريت المسيسة، فإن هذا الانعكاس يشير إلى السبل الأعمق التي تحدى بها سقراط قيم ثقافته.

في البداية، استدرج ألسيبادس سقراط ليقضي معه الليلة، ثم أعلن أن سقراط هو الرجل الوحيد الذي يستحق أن يكون حبيبه، رد عليه سقراط مازحًا «لا بد أنك رأيت فيّ جمالًا غير عادي ومختلفًا تمامًا عن وسامتك.» بعد ذلك، اقتنع ألسبيادس بأنه «إذا جاز التعبير فقد أطلقت سهامي.» (كل استعارات ألسيبادس المتعلقة بالحب عنيفة)، فأخذ خطوة حاسمة.

وقفت ولم أدعه يقل أي شيءٍ آخر، وضعت عباءتي عليه، لأننا كنا في الشتاء. ثم استلقيت، ودخلت تحت عباءته البالية، وألقيت بذراعيّ حول هذا الرجل الدايمُني الرائع حقًا، واستلقيت هناك طوال الليل. (ولا يمكنك أن تقول إنني أكذب بشأن هذا، يا سقراط!) بعد أن فعلت هذه الأشياء، كان تصرفه أفضل بكثير مني؛ فسخر بازدراء واستعلاء من مظهري الشاب الجميل- الشيء الذي كنت أفخر به جدًا! ... وأحلف بكل إله وإلهة أنني قمت بعد أن نمت مع سقراط في حال لا تختلف عن النوم مع أب أو أخ أكبر. ([263] (b-d219)

من المهم هنا أن أفلاطون جعل ألسبيادس يصف سقراط بأنه «دايمُني». يمثل الدايمُن daimōn، في المفهوم اليوناني لسلسلة التطور من البشر إلى الآلهة، نوعًا من مخلوق وسيط، يشترك - تمامًا مثل الأبطال الأسطوريين - في كل من الخصائص

نفسه. ... بالنسبة لألسبيادس، الذي قضى معظم حياته اليافعة في مثل هذا النوع من الانغلاق والاستغراق في الذات، فإن تجربة الحب تبدو له كانفتاح مفاجئ، وفي الوقت نفسه، رغبة عارمة في أن ينفتح." نوسباوم، هشاشة الخير، ص. 188. لقد تأثرت كثيرًا بقراءات نوسباوم الرائعة لكل من الندوة وفايدروس في كتابها هشاشة الخير.

(262) . C. D. C. Reeve, "Plato on Friendship and Eros," The Stanford Encyclopedia of Philosophy ,ed. Edward N. Zalta. Spring 2011 edition. Online at http://plato.stanford.edu/archives/spr2011/entries/plato-friendship/.

(263) Plato's Erotic Dialogues, The Symposium and Phaedrus, translated with introduction and commentaries by William S. Cobb (Albany: State University of New York Press, 1993).

البشرية والإلهية.[264] (كلمة «شيطان» demon التي نستخدمها مشتقة من اليونانية.) يشتهر عن سقراط ادعاؤه أن لديه دايمُن خاص به يهمس له كلما كان على وشك أن يرتكب خطيئة.[265] ولكن هنا سقراط نفسه هو الذي يُشبه بالدايمُن. في رواية ألسبيادس - أو الكلمات التي وضعها أفلاطون على لسانه - سقراط، وليس ألسبيادس، هو المخلوق الذي تتجاوز مكانته الميتافيزيقية مكانة البشر العاديين. لم يعد ألسبيادس أخيل الجديد أبدًا، بل هو شخص يقف في حالة من الرهبة من القدرات الخارقة لسقراط العجوز القبيح.

يشير عدد من حوارات أفلاطون، بالإضافة إلى الندوة، إلى سقراط باعتباره محبّ ألسبيادس، على الرغم من أن هذا لا ينبغي تفسيره كإشارة إلى علاقة جنسية بينهما. كثيرًا ما يستخدم أفلاطون الكلمة مجازيًا، كما في جورجياس (d481)، حيث يصف سقراط نفسه بأنه محب لشيئين، ألسبيادس والفلسفة. ما يقوله هو أنه وقع في حبهما. وكلا الحبين يحفز شوقًا للتغيير. يبدأ أفلاطون بروتاغوراس بصديق لم يذكر اسمه يسأل سقراط من أين أتى، ثم يرد على نفسه بالإجابة المفترضة: «لا شك من مطاردة ألسبيادس الآسر»، وهو ما لا ينكره سقراط. يبدو أن أفلاطون بذل قصارى جهده للفت الانتباه إلى علاقة سقراط بهذه الشخصية المثيرة للجدل، الأمر الذي يلفت الانتباه أيضًا إلى فشل سقراط الذريع في إضفاء أي مظهر من مظاهر آريت الخاصة به - التي تعني هنا شيئًا أقرب كثيرًا إلى ما نقصده «بالفضيلة» - على محبوبه. ما إذا

(264) . راجع. كراتيلوس c398، محاورة تبحث في اللغة وتحاول، وإن كان ذلك بشكل مرح ومؤقت، التوصل إلى تفسيرات محتملة لسبب تسمية الأشياء (باليونانية) كما هي. عندما تظهر كلمة " دايمُن"، يربطها سقراط بكلمة daimones (مطلع أو حكيم). "وأقول أيضًا، إن كل رجل حكيم يصادف أنه رجل صالح هو شيء أعلى من الإنسان (daimonion) سواء في حياته أو بعد مماته، ويستحق أن يطلق عليه دايمُن." الترجمة هنا لبنجامين جويت (برينستون، نيوجيرسي: مطبعة جامعة برينستون، 1961). ثم يواصل ربط كلمة بطل hero بكلمة حب erōs، وربط كلمة erōs بكلمة erōtaō، والتي تعني "أنا أتساءل"، مستنتجًا أن الأبطال هم الذين يعرفون كيفية يتساءلون، أي الفلاسفة. وفي نفس الوقت يربط بين الأيروسي والتساؤل، ويدعي وجود علاقة أساسية بين الفلاسفة والإيروسي، يتفق الادعاء الأخير مع ما جاء في فايدروس والندوة وليسيس. كل هذا التحليل لأصول الكلمات مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحول في روح الاستثنائي الذي أحدثه أفلاطون، والذي نتج عنه تقليص الطرق العديدة نحو الاستثنائية إلى طريق واحدة فقط، تتمثل في التمرين الاستثنائي لملكة العقل أي، كما يراها أفلاطون، الفلسفة.

(265) . انظر الفصل ثيتا θ.

كان بالإمكان تعليم الفضيلة أم لا هو سؤال يُطرح مرارًا في المحاورات، وبخاصة في بروتاغوراس ومينون. إنه سؤال مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالقضية المحيرة المتمثلة فيها إذا كانت الفضيلة معرفة أم لا. إذا كانت كذلك، فيجب أن يكون ممكنًا تعليمها. ولكن إذا لم تكن كذلك، فما علاقة الفلسفة بها؟ لقد عدنا إلى الأسئلة من النوع الذي طرحه ستانلي فيش في صحيفة نيويورك تايمز، وهو السؤال الذي دائمًا ما كان أفلاطون متيقظًا له. إذا كانت الفلسفة لا تنتهي بمعرفة من نوع ما، بما في ذلك معرفة الفضيلة، فربما هي ليست أكثر من لعبة «لا تنتقل». ويمكننا تخيل سقراط التاريخي وهو يتأمل على نحو شخصي إلى حد ما مسألة ما إذا كان بالإمكان تعليم الفضيلة، بالنظر إلى إخفاقاته مع ألسبيادس الموهوب لكن الضال. يمكن النظر إلى العلاقات الجنسية المثلية على أنها تخدم قيمة أخلاقية أعلى - على عكس الشهوانية المجردة والأهداف الإنجابية للعلاقات الجنسية المغايرة - لأن الإغريق اعتبروا الحب المثلي «مركبًا بين التعليمي والعلاقة التناسلية». رغم أن سقراط قد يكون قد اجتث بعنف أي جانب جسدي من علاقاته الإيروسية، إلا إنه لم يكن هناك من اعتنق الجوانب التعليمية أكثر منه.

هل عدَّ أفلاطون الفشل الأخلاقي الذي مثله ألسبيادس من دون شك بمثابة فشل تربوي في جانب سقراط؟ ألا يدخر أية إشارة إلى العلاقة الخاصة بين هاتين الشخصيتين الاستثنائيتين ليدلل على محدودية سقراط كمعلم للفضيلة؟ أم أن التلميحات الغزيرة موجودة بالأحرى لتوضيح أن الفضيلة لا يمكن تعليمها، وأن آريت لا يمكن نقلها من العالِم إلى الجاهل كما تُنقل المعلومات المجردة؟ أتقن ألسبيادس، الفتى الذكي، الجوانب الشكلية البحتة لمنهجية سقراط. يروي زينوفون قصة مسلية عن ألسبيادس الشاب، كان لا يزال تحت وصاية بريكليس، وهو يحاول التباهي بنوع من الديالكتيك الذي أتقنه سقراط. وعندما حاصر بريكليس في زاوية، قال بريكليس: «في سنك، كنا مهرة في مثل هذه المراوغات. كانت تفاصيل دقيقة مثل هذه هي التي اعتدنا تدريب عقولنا عليها؛ كما تفعل الآن، إذا لم أكن مخطئًا.» فرد عليه ألسبيادس بوقاحة: «آه، بريكليس، أتمنى لو كنا قد التقينا في تلك الأيام التي كنت

فيها في قمة ذكائك في مثل هذه الأمور.»

كان أفلاطون يبلغ من العمر تسع سنوات في عام 415 عندما أبحر الأسطول إلى صقلية، لذلك كانت لديه فرصة واحدة فقط لرؤية ألسبيادس بعيني بالغ. كان هذا عندما عاد ألسبيادس إلى أثينا التي سامحته عام 407 وبقي في البوليس لمدة أربعة أشهر. ومع ذلك، وعلى الرغم من أنه ربما لم يعرفه مطلقًا عن كثب، كان إحساس أفلاطون بالرجل في جميع تناقضاته حيًا بشكل غير عادي، ما سمح له بكتابة الدراما الرائعة التي حصلنا عليها في الندوة. أصر ألسبيادس على فرديته قبل كل شيء، يمنحنا أفلاطون إحساسًا بتلك الفردية في الصفحات القصيرة القليلة من ظهور ألسبيادس الصاخب. يبدو من المهم لأفلاطون أن يتحدث بإنصاف تام عمّن وماذا كان ألسبيادس، عن سحره بالإضافة إلى تهوره الخطير، وربما كان أحد الأسباب هو تبرئة سقراط من أي مسؤولية عمن وماذا كان ألسبيادس. في النهاية، كانت إحدى التهم الموجهة إلى سقراط في عام 399 [266] أنه أفسد الشباب، ولم يتسبب فساد أحد في عواقب وخيمة على أثينا أكثر من فساد ألسبيادس (ما لم يكن بالطبع فساد كريتياس، الذي كان أيضًا في السابق قريبًا من سقراط والذي، كما تتذكر، أصبح زعيم مجموعة الثلاثين سيئة السمعة، التي حكمت أثينا لمدة أحد عشر شهرًا بعد هزيمتها أمام إسبرطة عام 404.) [267]

(266) . يمثل التأريخ الداخلي للندوة قضايا معقدة ومثيرة للجدل. أقيم الحفل احتفاء بحصول الشاعر الشاب أغاثون على الجائزة الأولى لأول مرة، مما يسمح للباحثين باستنتاج أن الحفل أقيم في عام 416. لكن تفاصيل الحفل تروى بعد عدد من السنوات، والسؤال هو كم سنة؟ لماذا يركض الناس فجأة حول أثينا في محاولة للحصول على تفاصيل ذلك الحفل في ترتبها الصحيح. كما تشير مقدمة المحاورة؟ تقليديًا يقدر التاريخ بعام 400. في نسخته من ترجمة الشاعر شيلي للندوة، يقول ديفيد أوكونور، أنها على العكس من ذلك، في وقت ما في ربيع عام 399، وأن اندلاع الاهتمام بسقراط كان لأنه رشحت أنباء مفادها أنه سيحاكم. تقول مارثا نوسباوم (في كتابها هشاشة الخير) بوقوعها في تاريخ سابق، عام 404، على أساس أن موجة الاهتمام كانت تتركز في الواقع على ألسبيادس، مع تركيز كل أثينا أولًا على ما إذا كان ألسبيادس سيعود لإنقاذ أثينا الواهنة، التي ستخسر قريبًا في الحرب البيلوبونيسية الطويلة، ثم تعلم - خلال فاصل مشار إليه في المقدمة - أن ألسبيادس قد قُتل.

(267) . في الواقع، يربط زينوفون كريتياس بألسبيادس: "كان من بين المقربين من سقراط كريتياس وألسبيادس: ولم يجلب أحد من الشرور على الدولة مثلما جلباه. إذ إن كريتياس في أيام الأوليغاركية فاق الجميع في الجشع والعنف: ألسبيادس، من جانبه، فاق الكل في الفجور والغطرسة في ظل

يدخل ألسيبادس الندوة في وقت متأخر، عندما يبدو وكأنها على وشك الانتهاء، وأننا وصلنا إلى الذروة وأن الأمور بدأت تهدأ. كان الحفل غير عادي من حيث أنهم لم يشربوا فيه النبيذ (ما يكفي فقط لتغيير طعم الماء)، على الأقل حتى ظهور ألسيبادس. أقيم الحفل في تلك الليلة في وسط ديونيسيا، مهرجان المسرح، وحضره رجال بارزون في المدينة. إنهم لا يزالون يعانون من آثار الخمر من احتفالهم في الليلة السابقة فقرروا ألا يشربوا في هذه الندوة. وبدلًا من تساقي النبيذ، سيؤلف كل واحد، على حدة، أنشودة للإله إيروس. كان هناك الكثير من المغازلات بينما اتكأ الرجال، وبعضهم من العشاق، معًا على أرائكهم وغنوا بالتسبيح للإله. كان سقراط آخر من تحدث فألقى خطابًا رائعًا عن إيروس، فأخبرنا أنه الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذنا، لأنه وحده يمكنه كسر التعويذة الساحرة الذي تلقيها أنفسنا علينا. إيروس وحده يمكنه أن يجعلنا ننظر بشغف لشيء خارج أنفسنا، ويحول سهام انتباهنا بحيث تتجه إلى الخارج. إيروس هو شوقنا لامتلاك الجميل، وهذا الشوق المؤلم هو الذي يسحب أنفسنا من أنفسنا. لكن لا يمكن ترك أشواق إيروس في حالتها الطبيعية وإلا ستنتشر الدمار في حياتنا. كذلك، هناك جمال أعظم بكثير من جمال الصبيان الجميلين يمكن اكتشافه. يجب أن يتحول حبنا للجمال، على مراحل، من تركيزنا على الأجساد الفردية الجميلة إلى فكرة أكثر عمومية عن الجمال المتجسد، ومن هناك إلى المزيد من أشكال الجمال غير الشخصية وغير المتجسدة - جمال القوانين الأثينية، مثلًا، والتجريدات التي هي لب المعرفة الحقيقية. وبما أن المحب «يصبح أكثر قدرة وازدهارًا في هذه الحالة، فإنه يستطيع رؤية معرفة فريدة عن هذا النوع من الجمال ... الشخص الذي تعلم أساليب الحب، الذي درس الأشياء الجميلة دراسة صحيحة وبترتيبها الصحيح، ويصل بعد ذلك إلى المرحلة الأخيرة من أساليب الحب، سيرى فجأة شيئًا مذهلًا وجميلًا بطبيعته. هذا، يا سقراط، هو الغرض من كل الجهد السابق» (e210).

الديمقراطية. كان الطموح شريان الحياة لكليهما: لم يأت أثينيّ مثلهما على الإطلاق. لقد كانا حريصين على السيطرة على كل شيء وأن يبزا كل منافس في سوء السمعة" التذكارات، الكتاب الأول، الفصل الأول.

يتظاهر سقراط في هذا المقطع بأنه يردد فقط ما سمعه، منذ زمن بعيد، من كاهنة تدعى ديوتيما، من مدينة مانتينيا، تعلم منها كل ما يعرفه عن إيروس.[268] يقدم سقراط ديوتيما بإخبارنا أنها أخرت وصول الطاعون إلى أثينا عشر سنوات؛ الفكرة هي أن الحب الإيروسي له احتمالات مدمرة، قادرة على قتل أجساد الرجال، وكذلك أرواحهم، كما سيوضح ظهور ألسيبادس المفاجئ. يجسد ألسيبادس مخاطر إيروس، مخاطر السماح لافتتاننا العاجز بأشياء لا تستحق الحب، مهما كانت استثنائية، أن يدمر ليس أنفسنا المحبة فحسب، وليس المحبوب فحسب، لكن - بالنظر إلى دور أيروس في تعليم واجبات المواطنة - أن يدمر حتى البوليس.

في الخطاب السقراطي الشهير في الندوة، لا يجب إنكار إيروس، بل يجب أن يخضع لعملية تهذيب. هذا ما تعنيه الفلسفة: تهذيب الرغبة الإيروسية. يتضح أن الغرض من شوقنا الإيروسي هو نفس الغرض من رغباتنا المعرفية - إخراجنا من ذواتنا، السماح لنا بالتواصل الحقيقي مع ما هو كائن، أن نوجد بحق. شوقنا هذا لامتلاك الجمال لا يمكن إلا أن ترويه سوى معرفتنا بالجمال المذهل المتأصل في بنية العالم، مصدر كل أشكال الجمال الأقل. تخلق المعرفة هوسًا لا يمكن لأي شيء آخر أن يصل إليه. تلك الأشواق التي لا تُروى المرتبطة بالحب الإيروسي، المصحوبة دائمًا بلمسة من الحزن وخيبة الأمل والشعور الحزين بعدم الإنجاز ونحن نحاول دمج أنفسنا مع الحبيب، هي شيء مؤلم ومحبط للغاية وأيضًا سخيف - جانب من

(268) . "ليس لدينا أي دليل خارج الندوة عن خبيرة دينية من مانتينيا تُدعى ديوتيما، وبأي حال من غير المحتمل أن تكون أية شخصية من هذا القبيل قد علمت سقراط عقيدة تحتوي على عناصر كانت، وفقًا لأرسطو، أفلاطونية بالتخصص وليست سقراطية. دوافع أفلاطون لشرح إيروس على لسان امرأة غير مؤكدة. ربما رغب في أن يزيل الشك في أن مدح اللواط الذي يتضمنه هذا الشرح غير مقصود لذاته، على عكس مدحه في خطاب بوسانياس". دوفر، المثلية الجنسية اليونانية، ص. 161، س. 11. تكهن بعض المعلقين بأن ديوتيما قد تكون مبنية على الشخصية التاريخية أسبازيا، التي كانت عشيقة بريكليس المتألقة، وهي امرأة شاركت بنشاط في دائرة المثقفين حول بريكليس. يذكرها أفلاطون بالاسم في محاورة مينكسينوس، حيث قال سقراط هناك أنه ليس وحده من تعلم منها فن الخطابة، بل بريكليس أيضًا. "هي التي علمت الكثير من الخطباء الجيدين، أحدهم كان الأفضل بين جميع الهيللينيين، بريكليس، ابن زانثيبوس" (e235). أشار المعلقون إلى هذا المقطع باعتباره مؤشرًا على الاحترام الكبير الذي حمله أفلاطون لأسبازيا، على الرغم من احتمال وجود تفسيرات أخرى - إهانة بريكليس مثلًا.

الإيروسية التي يضخمها خطاب أريستوفانس - لأن المفترض من الشوق الإيروسي أن يحملنا على الاندماج مع شيء أكبر بكثير وأكثر ثباتًا وأعلى قيمة من مجرد شخص.

هذه هي الحياة، سقراط، يا صديقي، قالت الزائرة المانتينية، التي يجب أن يعيشها الإنسان - أن يدرس الجميل نفسه. إذا حدث ورأيته، فلن يبدو لك في روعة الذهب أو الملابس أو الصبيان والشباب الجميلين، الذين يذهلونك الآن عندما تنظر إليهم فتصبح أنت وكثيرون غيرك حريصين على التحديق في أعزاءكم وأن تكونوا معهم طوال الوقت ... كيف سيكون، قالت، إذا حدث أن رأى شخص ما الجمال بذاته، نقيًا، صافيًا، غير مشوب، وغير ملوث بلحم ولون الإنسان والكثير من سخافات الفانين، لكن إن كان قادرًا على النظر إلى الجمال الإلهي المتسق نفسه؟ هل تعتقد، واصلت، هل تعتقد أنها ستكون حياة بلا قيمة أن ينظر الإنسان إلى ذلك، وأن يدرسه بالطريقة اللائقة، وأن يكون معه؟ قالت، ألست تدرك، أنه فقط معه، عندما يرى الإنسان الجمال بالطريقة الوحيدة التي يمكن رؤيته بها، أنه عندها سيكون قادرًا على توليد، وليس تقليد الجمال، لأنه لن يسعى خلف المقلد، لكن إلى الفضيلة الحقيقية، لأنه سيكون متمسكًا بما هو حقيقي؟ من خلال توليد الفضيلة الحقيقية وتغذيتها، سيكون قادرًا على أن يصبح صديقًا للآلهة، وإذا كان بوسع أي إنسان أن يصبح خالدًا، فسيكون هو. (211d–212a)

إحدى النكات المتكررة في جميع المحاورات الأفلاطونية هي يقظة سقراط الإيروسية. في ليسيس يقول إنه «رغم أنني في معظم الأمور مخلوق بائس وعديم الفائدة، إلا أنني تلقيت من السماء، بطريقة أو بأخرى، موهبة القدرة على اكتشاف المحب والمحبوب بنظرة واحدة» (204b–c). في خارميدس، بعد أن عاد لتوه من معركة بوتيديا - إحدى نذر الحرب البيلوبونيسية، ووقعت عام 432 - كان أول شيء يريد أن يعرفه من هم الشبان الجدد على المشهد، وما إذا كان أي منهم استثنائيًا «لعقله أو لجماله أو لكليهما». عندما يجلس خارميدس بجوار سقراط مباشرة ويرى خلسة «ما بداخل ثيابه»، «تصيبه النار، ويُهزم» (155d–e). ندوة زينوفون وهي أكثر بذاءة بكثير من أي من المحاورات السقراطية التي كتبها أفلاطون، تبالغ أكثر في وصف افتتان سقراط الشبق، إذ يقول زينوفون على لسان سقراط أن فضيلته الشخصية التي يقدرها أكثر شيء هي القوادة. أفلاطون، وإن كان أكثر احتشامًا،

يشير إلى نفس النقطة: «الشيء الوحيد الذي أقول إنني أعرفه»، يقول سقراط في الندوة، «هو فن الحب ((taerÔtika»177d))».

يمضي أفلاطون في تحويل كلام سقراط الساخر إلى كلام حماسي عن طبيعة الانتشاء بالمعرفة كما لم يعبر عنها من قبل. (زينوفون أيضًا لا يدع عبارة سقراط الفاضحة تمر كما هي). يجمع خطاب ديوتيما الذي ذكره سقراط بين الترقي الإيروسي والترقي المعرفي، ويجمع كليهما بتحقيق الاستثنائي الذي يجعل الحياة تستحق أن تعاش. «هل تعتقد أن حياة الإنسان تصبح بلا قيمة إن هو نظر إلى ذلك الجمال، إن درسه بالطريقة اللائقة، وإن اتحد معه؟» جعل سقراط ديوتيما تسأل مجازيًا عن رؤية الجمال الحقيقي - الذي لا ينفصل عن الحق - والجمال - والخير - الذي سيقودنا إليه شوقنا إلى الجمال، عندما نتعلم هذه الرغبات الإيروسية تعلمًا صحيحًا عن طريق الفلسفة. تحدثت ديوتيما «مثل سفسطائي» عندما أيدت الشهرة والمدح، كليوس، التي يسعى الناس يائسين لتحقيقها وهم يسعون لهزيمة الموت؛ لكنها الآن، وهي تترقى بنفسها، تتحدث مثل فيلسوفة. قد يكون تحقيقنا للاستثنائي في حياتنا هو العزاء الوحيد الذي نملكه في مواجهة الموت، لكن الطريقة الوحيدة ذات القيمة لتحقيق هذه الحياة الاستثنائية هي أن نصل إليها بالعقل.

بالضبط عند هذه النقطة من التسامي - بعد أن انتهى سقراط من عرض رؤيته لاندماج النعيم المعرفي والنعيم الإيروسي - يُحضر أفلاطون ألسبيادس إلى المحاورة. يُعلَن عن حضوره أولًا من خلال بعض اللغط المشين في الخارج - يسمع من في الداخل طرقًا على الباب - وعندما يدخل ألسبيادس دخوله الكبير يكون سكرانًا لدرجة أنه يحتاج إلى أن تسنده عازفة ناي وبعض الحاضرين الآخرين. (أُرسلت فتاة الناي هذه إلى الخارج لترفيه النساء عندما قرر الرجال جعل هذه الندوة هادئة.) يكلل شعرَه اللبلابُ والبنفسجُ والشرائط - وهو شكل من أشكال التزين الذي استخدمه ليسخر من أكاليل الزهور التي وزعت على الفائزين في ذلك اليوم. (ربما يلفت هذا الانتباه إلى سخرية أخرى يُزعم أنه سيقدم عليها، وهو محاكاته الساخرة لأسرار إليوسيس.) يستولي على الفور على الحاضرين بأسلوبه بالغ الروعة: «هل تضحكون

عليّ لأنني مخمور؟» يقول وهو يترنح أثناء دخوله، ما يتيح لنا ملاحظة التسامح الحنون الذي يثيره فيهم، ويضحك الرجال في الغرفة عن علم. «ربما تضحكون،» يقول متلعثمًا، «لكنني رغم ذلك أعرف جيدًا أن ما أقوله صحيح»، والمطلوب منا، كما تؤكد نوسباوم في قراءتها للحوار، أن نأخذ هذا الكلام على محمل الجد. سيخبرنا ألسيبادس بشيء مهم، حتى لو كان مخمورًا مضطربًا. بعد أن علم أن جميع الرجال كانوا يثنون على إيروس، يوافق ألسيبادس على فعل المثل، لكنه يشرب أولًا جرة كبيرة من النبيذ ويجعل الآخرين يبدأون في الشرب أيضًا، الاضطراب الذي يحتاجه يصبح محسوسًا الآن.

يمضي في سرد لا يُنسى عن إيروس. لكنه لا يمدح الإله بالطريقة التي مدحه بها الآخرون، فيحاول وضع يده على جوهر الحب المثالي، ويركز على ألوهية إيروس المتعالية بعبارات غير شخصية ملائمة. حتى أريستوفانس حاول أن ينصف الإله بعبارات أسطورية. ألسيبادس يغير شروط المهمة. إنه يصف رجلًا وليس إلهًا. إنه سقراط. أو بالأحرى ما يصفه ألسيبادس هو ما مثله له، لألسيبادس، حب هذا الرجل – الذي هو أكثر تفردًا، كما يقول، من أخيل نفسه (c221) ظاهرة حب فرد معين، فرد استثنائي، هي التي يتحدث عنها ألسيبادس. والآن ينتهي ألسيبادس، بعد أن عكس كل ما قاله سقراط قبله، إلى إعلان صريح بأن أعظم فيلسوف بينهم، سقراط، يفوق بالفعل أخيل. لكنه يفوق أخيل في تفرده الشخصي، في إنجازه أن يصبح شيئًا أكبر من نفسه، أن يصل إلى امتلاك فرديته. كان سقراط يبشر بنوع من التجرد من كل ما هو شخصي. إن الفرد الاستثنائي لا يحب الحق – والجمال – والخير فحسب، بل إنه، وإلى الحد الذي يسيطر عليه حبه لها، يتحد معها، ولهذا يصف سقراط هذا الحب بأنه نوع من الخلود، كل ما هو فردي، وبالتالي فانٍ، يُتخفف منه. لكن ألسيبادس يشدد على الشخصي. يصف ما هو استثنائي للغاية في سقراط بعبارات نيتشوية بالكامل، تمجيد للفرد الاستثنائي تحديدًا لأنه فرد غير قابل

للاختزال وغير قابل للتكرار. [269]

يقاوم ألسبيادس تسامي سقراط إلى اللاشخصي. إنه يصر على الصيغة الشخصية. وصف ألسبيادس لما يمثله له حب سقراط هو شيء إنساني تمامًا، مليء بكل من إحساس الدهشة القادر على تغييرنا ونشعر به عندما نكون في حالة حب عميقة، لكن أيضًا بعبثية تلك الحالة، والإهانات التي نعانيها عندما نحب شخصًا متجسدًا، بدلًا من إله أو نظرية رياضية أو الجمال المجرد بنفسه، والكامن في بنية الوجود.

أحب ألسبيادس سقراط بالطريقة الوحيدة التي يعرفها، وهذا هو الخطأ الذي ارتكبه في حبه له. أنه لم يغيره مطلقًا. أحب الرجل الأكثر استثنائية في أثينا ولم يتغير أثناء هذا الحب. كان ألسبيادس عندما وقع في حب سقراط، واستمر كما هو ألسبيادس عندما انتهت التجربة، وذلك لأن ألسبيادس كان مُصرًا جدًا على أن يكون ألسبيادس. لم يغفل أبدًا عن معنى أن يكون ألسبيادس. ولا يرغب بذلك مطلقًا. وفي عدم رغبته هذا يكمن هلاكه.

دخول ألسبيادس - الثمِل - إلى الحفلة في ساعة متأخرة لا يجعل الندوة أكثر دراماتيكية فحسب، بل يحولها إلى مسرحية أخلاقية. وهو أحد الأهداف التي حققها

(269) . يؤيد ألكسندر نيهاماس هذه القراءة النيتشوية لسقراط: "أولئك الذين يمارسون فن العيش الفردي يجب أن يكونوا غير خاضعين للنسيان. مثل الفنانين العظماء، يجب أن يتجنبوا التقليد، دائمًا وأبدًا. يجب ألا يقلدوا الآخرين: إذا فعلوا ذلك، فلن يعودوا مبدعين بل ثانويين وخاضعين للنسيان، تاركين المجال لمن قلدوهم. ويجب ألا يقلدهم الكثيرون: لأنهم إن فعلوا فلن تعود أعمالهم تنسب إليهم، وستبدو الطريقة الطبيعية لفعل الأشياء، كحقيقة من حقائق الطبيعة وليست إنجازًا فرديًا... نيتشه على وجه الخصوص استبدت به هذه المشكلة. هذا النوع الجمالي من فن الحياة يمنع التقليد المباشر لقدوة معينة. لماذا إذًا كان لكل من مونتين ونيتشه وفوكو قدوةً؟ ولماذا قدوتهم دائمًا هو سقراط؟ ... يهتم هؤلاء الفلاسفة أكثر بحقيقة أن سقراط صنع من نفسه شيئًا جديدًا، أنه نصّب نفسه كشخص من نوع غير مسبوق، أكثر من اهتمامهم بالنوع المعين من الأشخاص الذي أصبح عليه. ما يتعلمونه منه ليس نمط الحياة المحدد، ذاته بعينها، التي شكلها لنفسه ولكن طريقته في تشكيله لنفسه في العموم" (فن الحياة، ص 10). يعترف نيهاماس بأن سقراط الوحيد الذي نعرفه هو في الأساس إنتاج الخلق الأدبي لأفلاطون. هل يعتقد إذًا أن أفلاطون، بخلقه سقراط، يؤيد المفهوم الجمالي للفلسفة بوصفها خلق المرء لذاته ذاتًا لا تُضاهى؟ يتماشى تصور نيهاماس النيتشوي لسقراط كثيرًا مع تصور ألسبيادس لسقراط، والذي يدور حول التفرد غير القابل للتقليد لهذا الرجل، المفهوم الذي يبدو أن أفلاطون يرفضه في الندوة، ليس فقط في محتوى خطاب سقراط، ولكن أيضًا من خلال عرض وجهة النظر المقابلة لألسبيادس المجنون والسيئ الذي يمثل الاقتراب منه خطرًا.

أفلاطون بإدخال ألسبيادس على المسرح في وقت متأخر من المساء. ألسبيادس هو نقيض كل ما كان سقراط يقوله. ألسبيادس، المفرط في العربدة، المفرط في إبراز البريق الأخاذ للفاسق المُلاحق، الذي يعيش خارج القيود، هو أيضًا، بطريقته الخاصة، يصارع أغلال كونه مجرد إنسان. إنها طريقة للتظاهر بأننا لسنا فانين تمامًا، هذا الاستهتار والتهور، والابتهاج بفعل ما لا يمكن لأي بشر عاديين أن يفلتوا من مغبّاته؛ وقد ثبت أنها الطريقة التي أحبها ألسبيادس، ليس ذلك فحسب بل عاش بها ومات أيضًا.

ومن خلال تقديم ألسبيادس على أنه نقيض تعاليم سقراط، يبرئ أفلاطون سقراط من جرائم ألسبيادس. إنه يؤكد على نقطة أن ألسبيادس ليس نتيجة منطق سقراط، بل هو نفيه. ربما كانت البوليس تفكر في عناد ألسبيادس المتعمد المدمر عند اتهامها سقراط بإفساده الشباب. تحدى ألسبيادس تسييس آريت، وتحدى سقراط أيضًا تسييس آريت. بالنسبة لكليهما، الفرد هو من يجب أن يحقق الاستثنائية؛ لا تستطيع البوليس أن تحققها له. وصحيح أن تحدي سقراط كان باسم الفلسفة الأخلاقية، في حين أن تحدي ألسبيادس كان باسم ألسبيادس. اختلاف بسيط، ربما سُمع الأثينيون وهم يحتجون عليه أثناء توجيه تهمهم ضد سقراط؛ أنت من فتح الباب لمثل هذا التمرد. أو ربما هو اختلاف كبير، كما يصر أفلاطون في الندوة. ربما يكون ألسبيادس قد رفض بشكل دراماتيكي الإجابة الأثينية على ما يجعل الحياة تستحق أن تعاش – آريت المسيسة التي توجه طاقات الشخص الاستثنائي لخدمة البوليس الاستثنائية – لكنه رفض الإجابة السقراطية بنفس القدر من الدراماتيكية. في الواقع، كان رفضه لوجهة النظر السقراطية، كما طورها أفلاطون في الندوة، كان أكثر تمردًا بشكل قاطع.

يطلب سقراط في الندوة من الإنسان أن يرحل أبعد ما يستطيع عن وجهة نظره الشخصية، إلى مكان لا يتضاءل فيه جمال المحبوب الخاص فيصبح عديم الأهمية فحسب، بل لا تعود لهوية الشخص ذاته أهمية تذكر عند نفس الشخص. المنطق وحده يمكنه أن يأخذ المرء إلى حالة من النشوة، فيقف حرفيًا خارج نفسه، جنون

الفلسفة الباخنالي[270] الذي ذكرناه في الفصل ألفا α. يشار إلى هذه النشوة العقلانية بشكل واضح في خطاب ألسبيادس، الذي يصف ما يمكن أن تفعله حجج الفلسفة عندما «تستولي على روح شاب ليس عديم الموهبة.» ينضم سقراط هنا إلى الشباب الآخرين الذين لا تعوزهم الموهبة، لأنه من وجهة نظر فلسفة أفلاطون الناضجة، ربما هذا ما كان يمثله، إلا أنه كان شابًا يملك الحدس الرائد الذي كان لازمًا لاقتلاع آريت من محيطها الاجتماعي والسياسي. السياسة هي التي يجب أن تتشكل في ضوء القيم الأخلاقية، وليس العكس. إن الحالة التي يمكن أن تأخذنا إليها الحجج الفلسفية – حالة من الاغتراب المنتشي عن الذات، التحرر من ربقة هوية الفرد الخاصة – هي الحالة التي يعتبرها أفلاطون فلسفة نموذجية، وهو الموقف الذي نجد أنفسنا فيها عندما نحرز أي تقدم في الفلسفة. يضعف اتصال المرء بذاته لدرجة أنه يمكن للمرء أن يتأمل حتى زواله الشخصي برصانة. أن تعيش وتفكر وتحب كفيلسوف هو أن تعيش sub specie aeternitatis – أي تحت هيئة الخلود،[271] وهو التعبير الذي استخدمه سبينوزا، الذي تفلسف كثيرًا على طريقة أفلاطون، بعد قرابة ألف من السنين.

يحثنا خطاب سقراط في الندوة على المضي في اتجاه رؤية غير شخصية، ويعدنا بأنه في حالة فقدان ارتباطاتنا الشخصية، وحتى ارتباطنا بأنفسنا، فإننا سنصل إلى معرفة ستعيد بناءنا على ضوءها – فتتحقق النسبة المثالية من الحق والجمال والخير في عقولنا العارفة، وتصبح المعرفة آريت، وهو ما تعنيه الحكمة. المعنى الضمني هو أن حب الشاب لسقراط كان من المفترض أن يأخذه تجاه هذه الرؤية. لأن هذا الحب أخذ أفلاطون في ذلك الاتجاه، أفلاطون الذي تمكن، بحبه لسقراط، من حمل الفلسفة، التي هي حب سقراط الحقيقي، أبعد كثيرًا من النقطة التي وصل إليها سقراط نفسه. أن تحب سقراط يعني أن تتخصب بحدسه – تمتلئ الندوة بالإشارات إلى التخصيب – كما فعل أفلاطون. والدليل على هذا التخصيب – الجنين الناتج، إذا جاز التعبير –

(270) الباخناليا أو نشوة الخمر، أو عيد باخوس إله الخمر.

(271). بعبارة أوضح تترجم إلى: أن تعيش من منظور الأبدي. (المترجم)

هو الأفكار التي أعطيت لسقراط ليتكلم بها في الندوة. ولأن أفلاطون أحب سقراط، ولأنه - وليس ألسيبيادس - كان محبوب سقراط المثالي، تمامًا كما كان سقراط محب أفلاطون المثالي، فقد أنجب أفلاطون تضافرًا من الميتافيزيقيا والمعرفة والجماليات والأخلاق التي كانت كامنة ضمنيًا في حدس سقراط.

في المقابل، كان حب ألسيبيادس لسقراط عقيمًا. لا شيء مبدع أو جميل نتج عنه. حياته المهنية، التي تعززت فيها علاقته بذاته - دوافعه وطموحاته - قبل أي شيء آخر، تمجيد الفردية، كانت أبعد ما يكون مما يعنيه أن تكون بحق طالبًا ومحبًا لسقراط، أن تقبله بداخلك، أن يصل إلى أعماقك بما يملك أن يقدمه.

باستعراضه ألسيبيادس حيًا إلى هذه الدرجة أمامنا، وتذكيرنا بمدى فشله في تغيير نفسه في ضوء الحب السقراطي، لا يمنحنا أفلاطون فحسب دافعًا لاتخاذ الطريق الصعب لتهذيب مساعينا الإيروسية (أنت لا تريد أن تصبح مثل ألسيبيادس، أليس كذلك؟). بل هو يبرئ سقراط: فهو لم يفسد ألسيبيادس أكثر مما أفسدته أثينا. فشلت كل من أثينا وسقراط في كسب ألسيبيادس إلى جانب حبٍ أكبر من حب الذات. بل إن أثينا ملومة أكثر، لأنها سمحت لألسيبيادس أن يتلاعب بها ويغويها. على النقيض، رفض سقراط أن يتعرض للغواية. «لا لقاء بيني وبينك»، جعل أفلاطون ألسيبيادس يقول لسقراط (c213)، وعلى الرغم من أن ألسيبيادس يلقي الكلمة بطريقة عابثة، إلا إن أفلاطون لا يريد أن تمر القطيعة دون أن نلاحظها. قصة سقراط وألسيبيادس هي قصة غواية فشل فيها الطرفان.

في الواقع أفلاطون هو من نجح سقراط في إغوائه. أفلاطون هو الذي برهن على التأثير الذي كان من المفترض أن يتركه حب سقراط على الشباب الذين اعتبروا أنفسهم محبين لسقراط. يتمثل برهان أفلاطون في الحياة التي عاشها، والأعمال التي كتبها، بما في ذلك الندوة.

وهذا هو التناقض الذي يقدمه لنا مفهوم أفلاطون عن الحب: أنه في سرده لهذه الرؤية عن الحب المتسامي وغير الشخصي، «ببصيرة العقل التي تبدأ في أن ترى بحق

عندما تضعف بصيرة العين» (a219)، ما زال أفلاطون لا يحيد بنظره عن سقراط. فالمحاورات التي يخلقها ليتكلم عن رؤيته اللاشخصية للفلسفة تُبقي شخص سقراط ثابتًا أمامه، وبالتالي أمامنا.

٢ (ستيجما)

قبلاتي أفلاطون

مارجو هوارد صحفية وابنة كاتبة عمود النصائح الأسطورية إستر (إيبي) ليدرير، المعروفة باسم آن لاندرز. عملت مارجو في النهاية في نفس وظيفة والدتها. ولسنوات عديدة، نُشر العمود الذي تكتبه لتقديم النصائح «عزيزتي برودنس» في مجلة سلايت، وبيع لأكثر من مائتي صحيفة أخرى، وظهر في الإذاعة الوطنية العامة. ثم اتجهت لكتابة عمودها «عزيزتي مارجو» لموقع نساء على الويب (wowowow.com) ونقابة المبدعين.[272]

اشتهرت آن لاندرز بمجموعة معارفها، والتي ضمت أسماء أصدقاء بارزين مثل الطبيب النفسي كارل مييننجر، وعالم اللاهوت ورئيس الجامعة الأب ثيودور هيسبرج، وقاضي المحكمة العليا الأمريكية ويليام أو دوغلاس، الذين استشارتهم في نصحها للحائرين، واقتبست كلامهم في أعمدتها. تسير ابنتها مارجو على ذات النهج، كما يتضح أدناه:

عزيزي أفلاطون،

حسنًا، لقد أخبرتك أنني سأكتب لك. لكن، إن كنت لا تذكرني، فقد كنتُ في حفل مارتي وآن عشية رأس السنة الجديدة، أنا حمراء الشعر التي كانت على يمينك مباشرة، وكنت شهمًا فأحضرت قرطها الماسي عندما ضاع بطريقة ما تحت شيتانك وأنا أهمس في أذنك أسماء الضيوف الآخرين على الطاولة. أخبرني مارتي وآن أنهما

---

(272). شركة لتوزيع المواد الصحفية والقصص الهزلية على الصحف والمجلات والمواقع. (المترجم)

تعرفا عليك مؤخرًا فقط، بينما نحن الثلاثة نعرف بعضنا من مدة طويلة. لكن في حال كنت بحاجة إلى ما يعزز ثقتك بنفسك، يا جميل (أو هل أقول يا قطعة بقلاوة؟)، دعني أخبرك أنهم لم يتوقفوا عن مدحك. عندما أسمعهم يتحدثون عنك، يبدو وكأنه لم يأت مثلك منذ فجر الحضارة.

لقد كنت كريمًا جدًا بقبولك أن تكون أحد المستشارين الخبراء في عمود النصائح الذي أكتبه. ستندهش من عدد الأسئلة ذات الجانب الفلسفي، أو ربما لن تندهش. من المؤكد أنك لفتت انتباه الحضور عندما أعلنت أن مدار الفلسفة هو إيروس. أعتقد أن الجميع، بمن فيهم أنا، ندم فجأة على عدم التخصص في الفلسفة. بعد سماع ذلك الكلام منك، اعتقدت أنك لن تعترض على أن أرسلك لك بعضًا من الاستفسارات التي ربما تفتقر إلى الحشمة.

سأذكرك باسمك، بالطبع، بالإضافة إلى جميع ألقابك الرسمية. فقط أعلمني إن كنت موافقًا. لقد ذكرت أنك حريص على معرفة المزيد عن مجتمعنا، وصدقني، يا عزيزي، لا شيء سيطلعك عليه بسرعة أكبر من نوع الأسئلة التي تردني.

قبلاتي، مارجو

عزيزتي مارجو،

نعم، أنا أتذكرك جيدًا. لا تترددي في موافاتي بأي استفسارات تعتقدين أنني قد أكون مفيدًا فيها. ليس لدي ألقاب رسمية غير لقب فيلسوف. ونظرًا لأنه يعني «عاشق الحكمة» فإنه يبدو كل ما قد يرغب فيه أي شخص. ترددي الوحيد فيما إذا كنت أستحقه.

قبلاتي، أفلاطون

عزيزتي مارجو،

أنا طالبة دراسات عليا، وعلى الرغم من أنني مغامرة جنسيًا، فأنا لست عاهرة.

اقترح أحد أساتذتي أن يكون «أستاذ بالمنافع» إذا كنتي تفهمين ما أقصد. كلانا

لديه شريك، لكن علاقاتنا مفتوحة، لذلك مسألة الخيانة ليست واردة. ليس هناك أيضًا احتمال أن نرتبط عاطفيًا، لأن عواطفنا في مكان آخر. بصراحة، أرى أنها خطوة تعليمية جيدة بالنسبة لي. الرجل أحد أفضل العقول في مجال عملي، وسأتعلم الكثير من الوقت الإضافي الذي سأقضيه معه. المحادثات معه دائمًا ما تكون محفزة (ونعم، أقصد ذلك مجازيًا أيضًا). كذلك لديه علاقات قوية ووعدني بأنه سيساعدني في مهنتي. لقد تضاءل سوق العمل في مجالي، وعلى الرغم من أنني في قسم من الدرجة الأولى، إلا إننا طلاب الدراسات العليا بحاجة إلى أي مساعدة يمكننا الحصول عليها. أثق في أن أستاذي سيفي بوعده، لأن كل الدلائل تشير إلى أنه رجل ذو شرف، وأنه كان صريحًا معي تمامًا. هل تعتقدين أنه يجب عليّ قبول عرضه بأن نستمتع سويًا ونستفيد من بعضنا؟

المخلصة،

الساعية إلى الأحلام الكبيرة

عزيزتي س. أ. ك.:

واو، انتقل الجنس مقابل الدور[273] إلى الأوساط الأكاديمية. ما يسميه المسرحيون «خطوة مهنية جيدة» تسمينه: خطوة تعليمية جيدة. أستطيع أن أخبرك أنه لا يمكن الوثوق بكرتك الكريستالية تمامًا عندما تتنبأ لك أن أيًا منكما لن يتورط عاطفيًا. لا يعرف المرء أبدًا كيف تتطور هذه الأمور. لكن، إذا أحببتما بعضكما وتخلصتما من شريكيكما، ففكري في الإمكانات المهنية! مع ذلك، يبدو أن رؤيتك واضحة بشأن الاستفادة المتبادلة من بعضكما... أنتِ و «رجل الشرف» ذاك. ما تقترحينه تجارة يا عزيزتي. وهناك اسم لمن يبيعون الجنس مقابل المال أو الواسطة. إذا كنتِ مرتاحة لذلك، فأنت وما تريدين.

لكن بما أن هذا عمود نصائح متكامل الخدمات، فقد قررت استشارة أحد الخبراء

---

(273) الجنس مقابل الدور عبارة معروفة في الأوساط الفنية، تقدم المبتدئات أنفسهن للحصول على دور في العمل. (المترجم)

الرواد في العالم في الفلسفة الأخلاقية. ربما يكون أفلاطون هو المفكر الأكثر اقتباسًا في العالم، وأنا الآن أنضم إلى حشد المقتبسين. وهذا ما قاله الفيلسوف:

«إنني أثني على س. أ. ك. للقيمة العالية التي توليها للحكمة والمعرفة. في سبيل الحكمة، لا عيب في أن تكون خادمًا وعبدًا للمحب، ولا لوم على الشخص الراغب في تقديم خدمات الحب الشريفة ليصبح حكيمًا (يوثيديموس b282.)

(هذا ما قاله أفلاطون، مما دفعني إلى كتابة هذه الملاحظة بين قوسين لأقول إنني أعرف الآن لماذا يسمونهم «فلاسفة» والتي تعني حرفيًا: عشاق الحكمة. هؤلاء الفلاسفة متحمسون حقًا للحكمة. لكن قبل أن تعتقدي أن أفلاطون قد أعطاك الضوء الأخضر للجنس مقابل المعرفة، يا س. أ. ك.، فلديه بعض التحفظات الجادة التي يريد مشاركتها معك).

«ما يجب أن تسأله س. أ. ك. لنفسها هو ما إذا كان الوضع الذي تفكر فيه بهذه الطريقة الهادئة المتجردة سينتهي حقًا باكتسابها المعرفة التي تتوق إليها. لن يكون هناك شغف في هذه العلاقة؛ تلك هي الشروط التي ستقوم على أساسها هذه العلاقة. لن يحدث أي شيء قادر على التغيير، بحيث يبقى كل واحد منهما مسيطرًا على ذاته. مرة أخرى، هذه هي الشروط التي ستقوم على أساسها هذه العلاقة.

«لكن يجب على س. أ. ك أن تفكر فيما إذا كانت هذه الشروط نفسها تحول دون إمكانية تحقيق الخير الذي ترغب فيه. الحكمة حالة استثنائية. إنها تحتاج تجربة استثنائية إلى الحد الذي يكفي لكسر قبضة عاداتنا في النظر والوجود، والتي هي، في الحقيقة، عاداتنا في ألا نرى رؤية كاملة وألا نوجد بشكل كامل.

«هناك من مُنحوا العبقرية - الفنية والفكرية والروحية [274] - ويصبح الاستثنائي متاحًا لهم في مجال عبقريتهم. لكن بالنسبة لأولئك الذين لم تزرهم روح العبقرية، ليس لديهم سوى إيروس لكسر سبات الحياة العادية والأخذ بأيديهم إلى الاستثنائي. ينتزع إيروس الروح من اعتيادها الكسول على المألوفات التي تحل محل الرؤية. يبدأ

(274) . انظر فايدروس 244a-245a, 265a-265b.

الشخص في معرفة العالم وجماله، عندما يتملكه الشوق الإيروسي. فيعرف أن العالم جميل لأنه يحتوي على من يحب. لا يمكن للحكمة البشرية ولا للجنون الإلهي أن يوفرا للإنسان أي خير أكبر من ذلك (فايدروس 256b).

هناك خطورة في مقاربة إيروس وفقًا لهذه الشروط، لكن هذا لأن أي تجربة قادرة على التغيير تنطوي على مخاطر. ولكن أيضًا، هناك خطر في إجبار إيروس على الاستسلام لحساباتنا العادية: إنه خطر عدم الاستسلام لإيروس. هذه هي المخاطر التي يجب أن تضعها س. أ. ك المتلهفة للمعرفة في اعتبارها.»

وتلك إجابتك يا س. أ. ك. أظن أنني أقدم قليلًا من أفلاطون عندما يتعلق الأمر بنوع العلاقة الذي تتحدثين عنه هنا، لكن حتى هو يعتقد أنك ستخسرين أكثر مما ستكسبين من خدع التعليم العالي التي تمارسينها. وبما أنك تبدين من ذلك النوع من الفتيات اللواتي يحسبن أرباحهن وخسائرهن بوقاحة – عفوًا، أقصد بدقة – فربما من الأفضل أن تنتبهي.

المخلصة فلسفيًا، مارجو

عزيزتي مارجو،

أنا أكاديميٌّ في مجال نظري شديد المتطلبات. أنا مثلي (ذكر) ومتزوج. يشتكي زوجي من أنني بعيد جدًا عاطفيًا، يقول إنه يشعر بأنني تزوجته لا لأغرق في الشغف بل لأهرب منه. الحقيقة هي أنه على حق، لدي أشياء أكثر أهمية من العلاقات الشخصية لأفكر فيها، بما في ذلك علاقتي به. أريد أن يستقر هذا الجزء من حياتي حتى أستطيع التفكير في أشياء أخرى. ويريدني هو أن أفكر فيه أكثر ويحاول دائمًا زعزعة الأمور. من منّا على حق؟

المخلص دائمًا،
ربما أنا لا أصلح للحياة العائلية

عزيزي ل. أ. ع.

أخشى أن زوجك هو المحق. لست متأكدة لماذا تزوجت في المقام الأول. يبدو عقابًا قاسيًا وغير معتاد أن تتزوج هربًا من الشغف، وكل ما ينتج عنه- ما لم يكن شريكك من نفس العقلية - وهو ما لم يكن كذلك بوضوح. أسد لشريكك معروفًا وارجع عازبًا مرة أخرى وأنت تفكر في تلك الأشياء الأكثر أهمية. في الواقع، يمكنك أن تسدي كل مثليي الجنس معروفًا من خلال التخلي عن الزواج وتكريس نفسك، دون عوائق، لمجالك النظري شديد المتطلبات.

لكنني قررت عرض هذا على مستشاري الجديد، أفلاطون، لمجرد أنني كنت متأكدة من أنه سيختلف معي، لكنه فاجأني مرة أخرى:

«مارجو، ليس لدي الكثير لأضيفه إلى نصيحتك. لا يسعني إلا أن أكون متعاطفًا مع رغبة ل. أ. ع. في التفكير في مجاله النظري. ومع ذلك، بما أن حب زوجه لا يبدو خيارًا بالنسبة له، ولكنه تزوج حتى لا يشتت انتباهه أي حب شخصي، فأعتقد أنه يجب عليه إنهاء العلاقة. ربما إذا كان لزوجه نفس الموقف، فسيكون ذلك جائزًا، رغم أنني لا أستطيع إلا أن أتعجب. لأن الأفعال التي قد تكون مخزية تمامًا في مواضع أخرى، لا تكون كذلك عندما يتحرك إله الحب من خلالها. صداقة المحب تستطيع فعل أشياء رائعة، لكن العلاقة مع شخص لا يجب يضعفها التفكير الأداتي الذي يحاول من خلاله شخص استخدام الآخر لتحقيق غاياته. كل ما ينتج عنها هو أرباح بشرية رخيصة (فايدروس 256e). وبما أن شغفك يكمن في مكان آخر، اتبعه هناك بشغف.»

حسنا، ل. أ. ع. يبدو أن أفلاطون يطلب منك أن تضع شغفك حيث يكمن عقلك.

المخلصة عقليًا، مارجو

مارجو،

أتساءل إذا ما كنت قد تلقيت شكوى مثل هذه. أنا مخطوبة لرجل رائع، ناجح للغاية في مجاله، وهو نفس المجال الذي أعمل فيه. مشكلتي - إذا كان بإمكانك أن

تسميها مشكلة - هي أن خطيبي يحترمني كثيرًا! بطريقة ما ينظر إلى على نحو يضخم موهبتي وذكائي، ومهما كان تافهًا من أقدمه من اقتراح فإنه يرى فيه أفكارًا عميقة. ومعظم الوقت تكون هذه الأفكار أفكاره هو، مستوحاة من بعيد من شيء غير ناضج قلته أنا. في بعض الأحيان يأخذ «آرائي» بجدية لدرجة أنه يستخدمها لتفنيد آرائه، وينتهي به الأمر بإعلان أنه «أنا» وحدي أمكنني أن أنفذ من خلال مغالطاته!

كل هذا يجعلني أشعر بالتوتر، خاصةً لأنني أعتقد أنه في النهاية، بعد أن يتوانى افتتانه (وهو ما لا بد أن يحدث... أليس كذلك؟)، سوف يراني على حقيقتي ويشعر أنه قد خُدع - وهو بالطبع قد خُدع- حتى لو كان الخداع خداعًا ذاتيًا. من ناحية أخرى، يجب أن أعترف أنه شعور رائع أن أكون محل تقدير كبير، وقد اكتسبت ثقة كبيرة من سماع شخص أحترمه كثيرًا يصعد بمدحي إلى السماء. إنه شعور جيد للغاية، في الواقع، أنا لم أراجعه أبدًا وأقبل الفضل والثناء كما لو كنت أستحقهما.

ماذا عليّ أن أفعل؟ أنا أحب هذا الرجل إلى أبعد حد ولا أريد أن أفقده، لا الآن ولا في المستقبل عندما يرتفع ضباب حبه.

المخلصة،

تمثال آيل للسقوط



عزيزتي ت. أ. س.،

عندما يراك خطيبك مثالية فلهذا عدة مكونات - ليس لأي منها علاقة بك. رغم أنه يبدو ناجحًا، لكن لا يبدو أنه يتمتع بقدر كبير من الثقة بالنفس. إحدى نتائج هذا هو أنه لكي يشعر بقيمته، يجب أن يكون مع أكثر النساء ذكاءً وبصيرة... لهذا يجعل منك انعكاسًا لذوقه الفائق.

الآن وبعد أن بنى ثقتك بنفسك بإطرائه، ولأنك ترين الواقع بحكمة، أعتقد أن حديثًا من القلب إلى القلب هو الأفضل للمسألة برمتها. إذا بدأت هذا الحديث الآن، فسوف تقللين إلى حد كبير من فرصة وصوله إلى تلك الاستنتاجات بنفسه لاحقًا، الشيء الذي لن يكون في صالحك. ما أوصي به هو أن تصححي موقفه. اعترفي له أنه

كان من الرائع ظنه إياك أفضل منه فكريًا وأقدر على إيجاد الحلول، لكن هذا ليس الواقع، وأنك لا تريدين أن يستمر الوضع هكذا بعد الآن. وضحي له أنه حقق النجاح قبل أن يعرفك، وأنكما حقًا متساويان - مكملان وملهمان لبعضكما بلا شك، لكنكما متساويان.

اعتقدت أنه سيكون من المثير للاهتمام التحقق مما قد يقوله فيلسوف عن محنتك فذهبت مباشرة إلى الأفضل، يا ت. أ. س.، واستشرت أفلاطون. ويجب أن أعترف أن نظرته كانت مختلفة تمامًا عني. هذا ما قاله:

«الديناميكية التي تصفينها، يا ت. أ. س.، تبدو لي تمامًا سمة من سمات الحب. أن تحب شخصًا ما يعني أن ترى في ذلك الشخص انعكاس كل القيم التي نعدها مثلًا أعلى.[275] وهو السبب في أن المحبوب، من منظور المحب، مغمور في وهج من الأهمية يميزه عن كل الأشياء الأخرى الموجودة. بالطبع، مثل هذا الوهج الذي لا يضاهى هو وهم، لكنه وهم لا ينفصل عن الحب ورغبة الحب في أن يأتي كل الخير لمن نحبه.[276]

«إن رؤية حبيبك لذكاء بداخلك لا ترينه هو مؤشر على حبه لك وحبه للذكاء، وأعتقد أنك ستوافقين على أن كلاهما جيد. لكن هناك المزيد من الخير الذي يمكن استخلاصه من ضلالاته في الحب، لأنه، حسب وصفك، مفيد للطرفين. تأتيه أفكار أفضل وأفضل باعتقاده أنها جاءت من خلالك؛ وأنت، يا ت. أ. س.، تصبح أفكارك أفضل مع ازدياد ثقتك بنفسك. هذه أيضًا من سمات العشاق عندما يكونون في أفضل حالاتهم. عندما يحلقون، لا يحلقون إلا سويًا، لأن الحب يربطهم» (فايدروس e256).

«لذا نصيحتي لك، يا ت. أ. س.، ألا تفكري حتى في مراجعته ليراك على حقيقتك، لأن ذلك سيكون غير متسق مع استمراره في حبك. لا يسير الحب في خط

(275) . انظر فايدروس، 252c-253c.

(276)). انظر السابق، 245c: "يجب أن نثبت العكس، أن هذا النوع من الجنون منحته لنا الآلهة لأجل أكبر قدر من الخير."

مستقيم، لذلك يوصف أحيانًا بأنه سُكْر إلهي. بدلًا من ذلك، استمري في الازدهار تحت نظره المخمور بحيث تلتقي الطريقة غير الواقعية التي يراك بها، بمرور الوقت، وأكثر فأكثر مع ما أنت عليه في الواقع.»

إذًا ذلك رد سؤالك، يا ت. أ. س.، استجابتان مختلفتان تمامًا لمأزقك، إحداهما من أفلاطون الرومانسي والأخرى من مارجو الواقعية.

المخلصة واقعيًا، مارجو

عزيزتي مارجو،

أبلغ من العمر ثمانية وعشرين عامًا وأنا مخطوبة لرجل غير عادي يكبرني بعشر سنوات. هو قس كنيستنا، ووعظه قوي للغاية لدرجة أن الكنيسة تكاد تنفجر من الزحام كما أننا الآن نجمع الأموال لمنشأة جديدة عملاقة. تنتمي عائلتي إلى رعيته، ويحترمونه غاية الاحترام، في الواقع، منذ أن صرنا خطيبين، أصبحت عائلتي تنظر لي باحترام شديد، وببساطة لأنني من اختارها فقد أصبحوا يرونني بعيون مختلفة تمامًا.

في الآونة الأخيرة، وشيئًا فشيئًا، بدأ خطيبي يثق بي، ما جعله يخبرني بالخطط الخاصة التي يعتقد أن الرب وضعها لأجله. أخبرني أنه يعرف «مصيره الإلهي» منذ كان في السادسة عشرة من عمره، وأن كل خطوة في حياته منذ ذلك الحين، بما فيها خطوبتنا، عملت على إقناعه بأن له دورًا فريدًا في خطة العناية الإلهية. أنا الشخص الوحيد الذي باح له بهذا الكلام، وقد أخبرني أن كل معلومة شاركها معي تربطنا معًا برباط أوثق.

أنا من ناحية، أعتقد أنه كان هناك أنبياء في الماضي، فما يمنع أن يوجد الآن من لهم علاقة خاصة مع الرب؟ لكن من ناحية أخرى، لا يسعني إلا أن أتساءل ما إذا كان خطيبي مجنونًا بعض الشيء. السؤال الذي يعذبني يا مارجو هو كيف يمكنني معرفة الفرق؟ أعتقد أن شكوكي قد تكون أقوى دليل عندي ضد «مصيره الإلهي»، لأنه إذا كانت ترشده يد الرب حقًا، فلماذا يأخذه الرب إلى فتاة لديها من الشكوك مثل التي عندي؟ لكن مرة أخرى، ربما أن الرب يختبرني ليرى ما إذا كنت أستحق الزواج من

مثل هذا الرجل.

إذًا، سؤالي هو، أولًا وقبل كل شيء، كيف يمكنني التمييز بين رجل متدين ورجل مجنون؟ وثانيًا، حتى لو كان زوجي المستقبلي موهومًا إلى حد ما، فهل هذا مهم حقًا؟ هل هناك نوع جيد من الجنون قد يساعد شخصًا مثله في رسالته؟

المخلصة،

توماسينا المرتابة

عزيزتي المرتابة،

أعتقد أن من يؤمنون بالله يعتبرون أن من يتحدثون باسمهم والمفسرين لهم على الأرض مميزين أيضًا، وربما أقرب خطوة للإله منهم أنفسهم. لهذا السبب أنا لست مندهشة من أن عائلتك أصبحت تراك بعيون جديدة. تأثير الهالة، إذا جاز التعبير. (آسفة.) أما عن اعتقاد خطيبك بأن الرب وضع «خطط خاصة له»، فيمكن للمرء أن يفترض أن العديد من الذين يختارون الحياة الإكليريكية يكون لديهم هذا الشعور. يشار إلى هذا في الكاثوليكية بتعبير «أُرسل إليه» أعتقد أنه بالنسبة للمؤمنين، لا يجب أن يكون المرء نبيًا ليشعر بالتواصل مع الله. مثلما أن هناك خطًا رفيعًا بين الجنون والإلهام، هناك خط رفيع بين جنون العظمة والتفكير العظيم. يبدو خطيبك كما لو أن لديه كاريزما شبيهة ببيلي جراهام، ومن هنا جاءت أعداد الحضور المتزايدة. أمّا إن رأيتِهِ ينحرف إلى ممارسات تشبه ما يحدث في كاتدرائية القس شولر الكريستالية، فقد يكون الوقت قد حان لتتدخلي وتذكريهِ بمهمته الرئيسية.

بالنسبة لسؤالك عن القدر الإلهي والرب، فإن فهمي لهذه الأمور هو أن الله لا يختار شركاء للناس، ويفترض المرء أن السبب هو أنه مشغول للغاية.

لكن بما أن هذا يبدو لي سؤالًا مخادعًا فلسفيًا، فقد ذهبت إلى مستشاري الخبير في كل الأمور الفلسفية، أفلاطون. وهو يتفق معي في أنك لست بحاجة إلى دق ناقوس الجنون حتى هذه اللحظة، لأن خطيبك قد يكون، على حد تعبيره، «مجنونًا ومهووس بالطريقة الصحيحة» (فايدروس244e) سأدعه يشرح: «هناك الجنون الذي هو

مرض، لا يقود الإنسان إلا إلى الارتباك والباطل، ثم هناك الجنون الذي لا يُعدّ مرضًا على الإطلاق، لأنه يؤدي إلى الوضوح والحقيقة، على الرغم من أن الشخص المصاب بمثل هذا الجنون لا يستطيع أن يقول شيئًا عن كيفية معرفته ما يعرف. وهو السبب في أن الاسم الآخر لمثل هذا الجنون هو الإلهام، لأنه يبدو كما لو أن الآلهة نفسها قد نفخت فيها، ولهذا السبب، هناك ارتباط وثيق في كل من لغتك الإنجليزية واليونانية، بين كلمتي مجنون «manic»ونبوئي[277] «mantic».

«هناك العديد من المواهب التي تأتي مع لمسة من الجنون، إذا فهمنا الجنون بهذا المعنى الصحي: أي حالة المعرفة المفاجأة ودون معرفة كيف عرفنا، تتملكنا المعرفة أكثر مما نمتلكها. الشعراء، عندما يأتيهم الإلهام، يقولون كلامًا يتردد صداه مع معرفة من خارج هذا العالم، تجعل المفسرين يستهلكون أعمارهم في التفسير. ومع ذلك، عندما نتحدث مع الشعراء، نجدهم أناس عاديين ذوي معرفة عادية، لا تفسر الطريقة التي قالوا بها الشعر، وهم أنفسهم في حيرة من أمرهم لا يعرفون ليس فقط كيف عرفوا ولكن حتى ماذا عرفوا.[278] يبدو كما لو أن روحًا أعظم من روحهم تحركهم، يستولي على شخصهم الصغير، يتلبسهم، عبقري خارجهم تمامًا. وفي كل هذه الحالات، سواء كانت فنية أم لا، من الطبيعي أن نصوغ التجربة، العميقة والغامضة للغاية، بلغة الآلهة أو لغة الرب، كما يفعل خطيبك، يا مرتابة، سواء استخدم المرء هذه اللغة مجازيًا أم لا. ومما تقولينه، يا مرتابة، يبدو أن خطيبك يستخدم لغة الرب بطريقة غير مجازية، لكن هذا في حد ذاته ليس علامة على الجنون السيئ. لأنه سواء كانت تأتي هذه الأفكار غير القابلة للتفسير من مصدر إلهي أم لا، فهذا

---

(277)). فايدروس 244c–b.

(278)). "كنت أجمع ما اعتقدت أنه بعض أعمال الشعراء الأكمل فنًا وأسألهم بانتباه حول معنى ما كتبوه، على أمل أن يقولوا عرضًا ما يسهم في توسيع معرفتي. حسنًا، يا سادة، أتردد في إخباركم الحقيقة لكن يجب أن أخبركم. ليس من قبيل المبالغة القول إن أيًا من المتفرجين كان بإمكانه تفسير هذه القصائد تفسيرًا أفضل من مؤلفيها الفعليين." الدفاع 22b.

Translated by Hugh Tredennick in The Collected Dialogues of Plato, ed. Edith Hamilton and Huntington Cairns (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1961). Also, Phaedrus 244a–245c, and 265b, as well as Ion, especially 533d–534e.

ليس شأننا.

«كيف يمكن للمرء إذًا أن يعرف أي الجنون جيد وأيه سيء؟ الشخص نفسه الذي يتعرض لهذه التجربة هو الأقل قدرة على تبين الفرق، لأن كلا النوعين قادران على السيطرة عليه بنفس الدرجة. هذا صحيح تمامًا في التجربة الرومانسية كما في التجربة الدينية، حيث تنفجر التجربة الاستثنائية في حياة المرء وتترك الحياة العادية محطمة. الآخرون هم القادرون على تبين الفرق، بناءً على ما إذا كان ما يقوله الشخص يشي بالارتباك والخطأ، من ناحية، أو من ناحية أخرى شيئًا ذا قيمة، حتى لو كان عجيبًا غريبًا. وإذا كنتِ، يا مرتابة، مثل والديك وزواد الكنيسة الآخرين، تشعرين أن ثمة حكمة وجمالًا في جنون خطيبك، إذًا فلتنظري لخطيبك على أن جنونه المخيف لا يتجاوز جنون شاعر عظيم الإلهام. لكن إذا استمرت شكوكك حول خطيبك في تنغيصك، فلا يهم إذا ما كان مجنونًا بالطريقة الصحيحة أو الخاطئة. مهما كان نوع جنونه، فهو ليس الجنون المناسب لك، لأنه من الواضح أن جنون إيروس لم يدخل في نظرتك له.»

أعتقد أن أفلاطون يشير إلى نقطة ممتازة، يا مرتابة. قد يكون الخط الفاصل بين الجنون والإلهام، أو بين الجنون السيئ والجنون الجيد، كما يقول أفلاطون، غير واضح؛ ولكن إذا وجدت نفسك دون أمل في الاستقرار على موضع خطيبك من طيف الجنون، فربما هو ليس المجنون الأنسب لك.

المخلصة بجنون، مارجو

عزيزتي مارجو،

أنا امرأة في السادسة والعشرين من عمري، متزوجة ولدي ثلاثة أطفال. الحياة جيدة في الغالب، وأنا سعيدة كأم وربة منزل. علاقتي أنا وزوجي عظيمة. نحن أفضل صديقين، وعندما نفعل الأشياء معًا كزوجين أو عائلة، نحظى بأفضل وقت. حياتنا الجنسية جيدة، ونحن سعداء جدًا في الغالب. وها هي المشكلة: أنا لا أجده جذابًا. أعتقد أنني تزوجته لأننا كنا أصدقاء رائعين. هو يجدني جذابة ومثيرة للغاية

بالنسبة لأم لثلاثة أطفال. أنا لا أريد إنهاء العلاقة، وبالتأكيد لا أريد أن أخونه. لكني أجد نفسي أغازل وأنجذب لرجال وسيمين للغاية. هل يجب أن أبقى في زواج لا أنجذب فيه لشريكي، أم أحاول أن أجد السعادة مع رجل أنجذب إليه؟ لا أريد أن أفقد زوجي كصديق عظيم. أنا بالفعل أحبه.

المخلصة، ذات العين الزائغة

عزيزتي الزائغة

لقد أزلت اسم المدينة التي تعيشين فيها لتجنب فرار النساء إليها على أمل أن يجدن زوجك. أن تتزوجي صديقًا رائعًا - تستمتعون بعلاقة جيدة، وأوقات رائعة، وحياة جنسية جيدة، وسعادة عامة - هو كل ما يمكن أن يطلبه المرء.

وخذيها مني، موضوع الوسامة يبهت بعد فترة. (كما أنه في غرف النوم غالبا ما تكون الإضاءة خافتة أو مطفأة تمهيدًا للمشهد.) إذا كنت بحاجة إلى معالج نفسي ليضبط لك دماغك، فاذهبي!

الأكثر من ذلك، هذه المرة يقف إلى جانبي بقوة أفلاطون، فيلسوف الفلاسفة، رغم أن لديه الكثير ليقوله حول مدى أهمية الجمال.

«من بين كل أشكال الكمال - الحكمة والشجاعة والفضيلة والزهد - الجمال هو الوحيد الذي يجعل نفسه مدركًا للبصر، الذي هو أشد أحاسيسنا الجسدية. لا تعلن الحكمة عن نفسها للبصر بهذه الطريقة لأن لأن الحكمة إن بدت واضحة للعين ستثير حبًا رهيبًا، وينطبق ذلك على كل أنواع الكمال الأخرى التي نتوق لها. هذه ميزة الجمال وحده، ولذا فهو الأوضح والأفتن» (فايدروس 250d).

وهذه نَعم كبيرة من أفلاطون بخصوص أهمية الجمال في جعلنا نقع في حب الآخرين. ولكن إن كنتي تعتقدين أن أفلاطون، أحد أولئك العابثين الذين يعتقدون أن المظاهر فقط هي ما يهم، وأنه يمنحك الإذن، يا زائغة، لترمي نفسك في الاتجاه الذي تقودك إليه عينك الزائغة، فإن أفلاطون لديه هذا أيضًا ليقوله:

«جمال النفوس أكبر قيمة من جمال الجسد، لذا إذا لم يكن صاحب الروح الجذابة جذابًا جسديًا، فإن الشخص الذي يقدر هذا الجمال سيكون قانعًا بحبه والعناية به وأن يبحث معه وينجب منه أسمى أشكال الجمال» (الندوة).

لذا يا زائغة استمعي لمارجو وأفلاطون، عصفورين عجوزين حكيمين، وتخلي عن مغازلة الرجال الوسيمين. عودي إلى الواقع، الذي هو في ظروفك، أيتها الفتاة المحظوظة، شيء رائع جدًا.

المتوسلة، مارجو

عزيزتي مارجو،

لقد كنت في علاقة قوية مع رجل لأكثر قليلًا من عام حتى الآن. في جزء كبير من هذا الوقت لم أكن أصدق كم كانت الأمور تسير بشكل رائع، خاصةً وأنه، بصراحة، رجل يفوق مستواي بمراحل. لكن مؤخرًا أصبح يطلب مني أشياء في غرفة النوم (وفي كل مكان آخر، بما في ذلك حوض المطبخ) لا أشعر بالراحة تجاهها. يقول إنه إذا كانت علاقتنا ستصبح طويلة العمر، فعلينا أن نواصل العمل عليها لإبقائها ممتعة، لكن في قاموسي الأشياء التي يريدني أن أفعلها مقرفة جدًا، ناهيك عن أنها مخيفة بعض الشيء. ثم انتقل إلى السخرية مني لأنني تقليدية في الناحية الجنسية، وهو أقل المصطلحات التي يستخدمها إهانة، وقد ألمح إلى أني إذا لم أجاريه في فكرته عن المتعة، فسوف يفقد الاهتمام بي، وهو ما يعني بالنسبة لي أن أفقده. ونظرًا لأن كل شيء آخر فيه رائع - فهو وسيم وناجح وممتع كثيرًا، على الأقل عندما لا يوبخني بأنني متشنجة - هل يجب أن أستسلم وأدعه يفعل ما يريد (ربما بعدما أشرب وأتحرر أولًا)؟

المخلصة،

المعذبة بمتطلبات جديدة ومرهقة

عزيزتي المعذبة،

هناك قاعدة قديمة يشترك فيها الأصحاء عقليًا: كل شيء مباح في غرفة النوم

وحوض المطبخ أيضًا إذا رغب الطرفان في ذلك. يمكن أن تتصاعد أفكار هذا الرجل عن «المثير للاهتمام» إلى ما (أو من) لا يعلمه إلا الله لذلك لو كنت مكانك كنت سأقول له إنك لا تتفقين، فلسفيًا، مع أفكاره أحادية الجانب عن الجنس الممتع، وكذلك مع عدم احترامه لرغباتك. سوف أتخلص منه طبعًا، وعاجلًا أفضل من آجل.

كنت على يقين من أن أفلاطون، الذي يعرف القراء المخلصون لهذا العمود أنني كنت أشاوره بانتظام بشأن المسائل الفلسفية، سيتفق معي في هذا الموضوع. وهو لا يتفق معي فقط، ولكن، كالعادة، لديه بعض النظريات المثيرة لدعم نصيحته. هذا ما قاله:

«يمكن أن يخرج إيروس أفضل ما في الناس وأسوأ ما فيهم، وما أخرجه من شريكك، يا معذبة، هو أسوأ الأسوأ. إن ما نشأ بداخله بكل عنفه القبيح هو جوهر الطاغية، الشخص الفوضوي الذي لا يدرك أي حقيقة تتجاوز الدوافع الدكتاتورية لرغباته.

من المؤكد، أن داخل كل شخص، حتى الأفضل منا، هناك دوافع مختلفة تتصارع مع بعضها، مثل عربة يجرها حصانان. (فايدروس d253) أحدهما، سيء الخلقة وسيء العناية، بعيون محتقنة وغير مركزة، تحركه روح الوقاحة والغطرسة الجائرة.[279] يريد أن يذهب إلى حيث يريد وبالكاد يمكن تقييده بالسوط أو المهماز. الحصان الآخر، حسن الهيئة والذي يتحلى بالانضباط والكرامة، نبيل لا يحركه شيء أقسى من كلمة أو أمر. تتجلى شخصية المرء في كيفية إدارته لخيول عربته. لا يوجد موقف يضع على الشخصية عبئًا أكبر من إيروس، الذي يشبع رغبات الحصان الفاسد التي يجب على الحصان الجيد وسائق العربة أن يجهدا أنفسهما ضدها. الحوافز

(279)). بينما نعني بـ "الغطرسة" الغرور المفرط أو التكبر الموهوم، استخدم الإغريق القدماء هذه الكلمة للتعبير عن جميع حالات الإصرار غير المقيد للإرادة الفردية دون أي اعتبار لرغبات الآخرين أو القانون أو الآلهة. اعتمادًا على السياق، إذًا، يمكن ترجمة الغطرسة على أنها همجية وشناعة وخروج على القانون وعنف ضد الفرد، بما في ذلك الاغتصاب. في القانون الأثيني نفذت أقسى العقوبات ضد المخالفات التي عُدت غطرسةً.

ليست في حد ذاتها سببًا للعار، طالما أن العربة ككل تتصرف وفقًا للكرامة المطلوبة لذاتها وللمحبوب، وهي تشد بقوة على مقاليد الحصان الجامح وهو يتقدم بعيون محتقنة. ما يكاد الحصان الفاسد يستعيد أنفاسه ويتراجع الألم من الشكيمة وحبلها، حتى ينقض بغضب على السائق وزميله تحت النير، ويكيل لهما الإساءات مثلما يفعل الجبناء غير الرجال عندما يتراجعون عما اتفقوا عليه (فايدروس 254c) تمامًا كما يفعل شريكك، الذي يأتمر بحصانه الجامح، عندما يهاجمك.»

«الطاغية هو الشخص الذي يترك الحصان الفاسد يتحكم به، وكذلك يحتاج الطاغية أن يتحكم في الآخرين.[280] شريكك، يا معذبة، مثل هذا الطاغيةُ. لذلك لا أعتقد، يا معذبة، أنك محقة أبدًا في قولك 'كل شيء آخر فيه رائع.' كل الطغاة خطيرون، ولا شيء أخطر من الطاغية الذي يحبه رعاياه.»

لقد سمعتها الآن من كلينا، يا معذبة. تخلصي من الطاغية، وابحث عن معالج نفسي.

المخلصة بحزم، مارجو

عزيزتي مارجو،

لم أكن أبدًا من النوع الذي يقع في الحب، لكن كل ذلك تغير قبل عام. قابلت فتاة وعلى الفور وجدتها لا تقاوم. لم أستطع أن أحدد ما هو هذا الشيء فيها بالضبط، لكنها بدت وكأنها تستحضر أعمق المشاعر بداخلي، نوع من الحنان الذي لم أشعر به منذ وقت طويل. مرت ستة أشهر فقط على العلاقة حتى أدركت أن هناك شيئًا ما فيها – الطريقة التي تتحرك بها، الزاوية التي تحرك بها رأسها – يذكرني بحب ضائع

(280) . انظر جمهورية 573d، حيث يرسم أفلاطون صلة بين الطاغية وإيروس. الجمهورية، على عكس الندوة وفايدروس، تُظهر أفلاطون في مزاج أقل تسامحًا بكثير تجاه إيروس، وهو على استعداد لإدانة الفكرة برمتها باعتبارها "إيروس الساكن في الطغاة." دفعت ليونة أفلاطون غير المعهود تجاه إيروس، وخاصة في محاورة فايدروس، مارثا نوسباوم إلى التكهن بأنه كان هو نفسه في حالة حب عندما كتب ذلك الحوار. وإذا كان كذلك، فمع من، تخبرنا أن الأمر كان واضحًا: مع ديون، عم طاغية سيراكيوز. طالع لها 'هذه القصة ليست صحيحة': "الجنون والعقل والإنكار في فايدروس،" في كتاب هشاشة الخير، ص 200-233، وخاصة الصفحات 228-231.

منذ فترة طويلة، شخص لم أنسه أبدًا حقًا. كل الحنان الغامض الذي شعرت به عندما وقعت عيني عليها لأول مرة يأتي من وقت مختلف في حياتي، حركه شخص مختلف. هل هذا خطأ؟ هل أنا غير مخلص لكوني معها فقط لأنها تذكرني بشكل لا يقاوم بشخص آخر؟

المخلص،

مقيد بحبال الماضي

عزيزي مقيد بحبال الماضي،

لا أجد الديناميكية التي تصفها غير عادية. إذا ظهرت صفات الحب المفقود مرة أخرى في امرأة جديدة، فسيكون من المنطقي تمامًا أن تنجذب، مرة أخرى، إلى تلك الصفات. يصبح هذا الموقف مقلقًا فقط - وغير عادل للمرأة الجديدة - إذا كان مجرد تشابه سطحي هو الذي دفعك إليها، مثل الزاوية التي تحرك بها رأسها. إذا كنت تتظاهر بأنك استعدت الحب المفقود وأعدت خلقه، وحرمت هذه الفتاة من شخصيتها المتفردة، فهذا ما أعتبره مشكلة. ومع ذلك، إذا كانت من «نوعك» المفضل، ولديها أيضًا إيماءات أو حركات تذكرك بشخص أحببته، فهذا أمر جيد (وجزء من الانجذاب). وما دمت مغرمًا بذات هذه المرأة الحقيقية، فكل شيء على ما يرام. الخطورة بالنسبة لك هي ألّا تفعل مثل بجماليون وتتخيل أنك استعدت الحب السابق.

لكن بما أنك أعربت عن مخاوفك بشأن أخلاقيات موقفك برمتها، فقد قررتُ استشارة الفيلسوف الأخلاقي الخبير، أفلاطون. وهو يتفق معي على أنه لا يوجد شيء غير عادي في الديناميكية التي تصفها. في الواقع، ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير، وأكد أن «كل وقوع في الحب يأتي نتيجة الذكرى.»[281]

«هذا هو السبب في أن إنسانًا بالكاد تعرفه - على الرغم من أنك تتوق إلى معرفته

(281) . وانظر محاورة فايدروس 245d250–c التي تنتهي بهذه الكلمات: "فلتكن هذه تحيتنا للذاكرة، إذ لأجلها، وبسبب الشوق لتلك الأزمنة السابقة، قلنا هذا الكلام الطويل."

كما لا تتوق إلى شيء آخر في العالم - يمكن أن يثير مثل هذه الاستجابة العميقة في المحب. هناك شعور مراوغ بالمألوف، يهرب مثل كلمة على طرف اللسان. هناك وجع عميق ورهيب لاستعادة شيء ذي قيمة لانهائية فقدناه. هذا الإحساس وهذا الألم ناقلان للحقيقة، يخبراننا أن هذا الشخص تذكير بحب عرفناه من قبل.»

يجب أن أعترف أن هذا السؤال كان جديدًا بالنسبة لي، وقد طرحت على أفلاطون سؤالًا واضحًا جدًا. إذا كان الوقوع في الحب هو تذكير دائمًا بشخص كنا نحبه من قبل، فكيف أحببنا أول شخص؟ كان يجب أن أتوقع أن أفلاطون لن يقع في أي فخ منطقي قد أنصبه له، على الرغم من أن الطريقة التي قالها بها فاجأتني بالتأكيد. إليكم ما قاله: «التذكير ليس بشخص إطلاقًا؛ أو إذا كان الأمر يتعلق بشخص، كما في حالة مقيد بحبال الماضي، فإن ذلك المحبوب السابق كان هو نفسه بمثابة تذكير بشيء لم يكن شخصًا. المحبوب دليل يحمل إيحاءات على كل ما يحركنا في الوجود. يذكرنا بطبيعة الجمال وبجميع أسرار الوجود الأخرى التي تأتينا بشكل غامض والتي نتوق إلى أن تأسرنا وتغمرنا.»

اضطررت إلى الضغط على أفلاطون: ماذا لو كانت السمة التي تسببت في التذكير مجرد شيء عشوائي وغير مهم في الشخص، مثل جزء معين من الجسم - شفته العليا، أو فخذها من الداخل - أو لهجة غريبة مثيرة؟ ألا يحق للمحبوبة أن تُحب لشخصها بدلًا من انحناءة رأسها التي لم تقصدها؟

«هناك دائمًا عناصر عشوائية في إيروس. ولهذا السبب غالبًا ما يُصوَّر إيروس على أنه طفل غير مسؤول طليق بيننا يحمل القوس والسهم. رغباتنا تجاه شخص آخر ليست نتيجة لحجج منطقية، على الرغم من أننا نتمنى أن تكون كذلك في كثير من الأحيان، حيث المقدمات هي سمات المحبوب الجديرة. إذا كان الأمر بخلاف ذلك، فسنقع جميعًا في حب نفس الأشخاص الجديرين. عندما نخضع لإيروس فإننا نخضع للاعقلانية والعشوائية، فنسمح لبعض الخصائص المتصورة، سواء كانت غير مهمة أو أساسية، ظاهرة أو حقيقية، أن تصدمنا بالهناء. في كثير من الأحيان،

يثبت الهناء أنه سريع الزوال، يختصره اعتياد المحبوب. لكن إذا لم يحدث ذلك، فمَن الأحمق الذي سيعترض؟

«أما بالنسبة لحقوق المحبوبة، فلها حقها في تشعر بالهناء المتبادل، والذي قد يتراجع بشكل متبادل أيضًا في مواجهة مزيد من الاعتياد على مقيد بحبال الماضي.»

حسنًا، كما يقولون: سنعرف مع الوقت.

المسوفة، مارجو

عزيزتي مارجو،

لطالما كنت فتاة تحب الأولاد السيئين، والآن وجدت ولدًا سيئًا جدًا جدًا يحطم قلبي بشكل منتظم. يخونني باستمرار – مع فتيات أخريات، نساء متزوجات، رجال، ولو أمكنه فسيخونني مع الفاكهة الطازجة. إنه لا يكذب أبدًا بشأن ذلك، ولا يعتذر أبدًا. يتوقع أن يفلت بفعلته كل مرة، ويفعل. هل ذكرت أنه رائع، مثير، ساحر، مثير، ثري، متهور، قوي، صاحب كاريزما، قائد، مثير؟ بالإضافة إلى موضوع أنه يكسر قلبي، فقد أقنعني ببعض المغامرات الخطرة. لم يحدث شيء كارثي حتى الآن، لكنني أخشى أنه نظرًا لميله لتخطي الحدود وميلي إلى الذوبان في يديه، فقد يصل بي الأمر لفعل شيء أندم عليه. أعلم أنك ستخبرينني بأن أحذفه من حياتي أسرع مما أحذف البريد الإلكتروني العشوائي من صندوق الوارد. لكن عندما يختفي، يتلاشى اللون من كل شيء وأشعر أنني أمشي نائمةً في صحراء لونها بيج، وعندما يعود – وهو يعود دائمًا، في النهاية – تندلع جميع الألوان من جديد. هل يجب أن أعوّد نفسي على السير نائمةً؟ أو هل يجب أن أتشبث بحياتي العزيزة في رحلة ممتعة لا مثيل لها، بغض النظر عن المكان الذي ستأخذني إليه؟

التوقيع،

لا أعلم كيف (أو إذا كنت) أحبه

عزيزتي لا أعلم كيف (أو إذا)،

لقد ارتبطت النساء بـ أ. س. ج. (الأولاد السيئين جدًا) رغم علمهن بذلك ورغم نصائح الآخرين منذ أن بدأ الأولاد يتصرفون بشكل سيء. من الطبيعة البشرية أن تنجذب إلى المحظور، والسيئ، والخطير. هناك عنصر من المقامرة أيضًا، وفكرة – غير واقعية بقدر عدم واقعية توقع ربح المال في فيجاس – بأنك ستكونين مميزة بما يكفي لحمله على تغيير طرقه الشاردة. تدور هذه التشابكات حول أسلوب حياة المخاطرة وتلبية حاجة المرء للإثارة. من واجبي غير السار أن أخبرك، من واقع كل شيء وكل شخص أعرفه، أن الابتعاد عن هؤلاء العشاق «الملونين» يأتي أخيرًا بعد تكرار التجارب المذلة أكثر من اللازم. هذه العلاقات هي في الأساس علاقات س. م.[282]– حيث السين من عنده والميم من عندك. الفتيات المحظوظات هن اللائي يكتسبن القوة والنضج في النهاية ليقلن «لا مزيد. أنا أفضل من هذا، وأستحق شخصًا يقدرني أنا – لا اللعبة.»

كنت أشعر بالفضول فيما إذا ما كان لدى أفلاطون شيئًا فلسفيًا ليضيفه إلى هذا. أخبرني أنه قد فكر في الأمر كثيرًا، بعد أن شهد الدمار الذي أحدثه أحد أ. س. ج. على أحد أصدقائه المقربين. «الغريب بالنسبة لي أنه حتى أفضل شخص عرفته على الإطلاق، شخص تحدث صوته الأخلاقي الداخلي بوضوح لدرجة أنه مر بحياته دون أن يرتكب أي خطأ كبير، حتى مثله وقع ضحية لأحد أ. س. ج.» أشار أفلاطون إلى أن أحد أكثر الجوانب فتكًا في أ. س. ج. – الجزء الذي يكسبهم حرف السين – هو الحلاوة الممزوجة بالسوء.

«التناقض بين الاثنين، الحلاوة والسوء، تخلع قلب المحب كما لا تفعل الحلاوة وحدها، والمحب يرتجف أكثر من خوفه من تهور الحبيب، من أجل الحلاوة التي فيه، والارتجاف لا يزيد إلا عنفًا الارتجاف الذي هو الحب (فايدروس 251) أعتقد، أنه لولا هذه الحلاوة، ما كان الصديق الذي تحدثتُ عنه ليصبح مشغوفًا كما فعل، وكان سيدرك أن مثل هذا الشخص، المغيب تمامًا في رغبته بأن يصبح أفضل مما يعرفه عن

(282) . سادية مازوخية. (المترجم)

نفسه، كان لا يستحق حبه. هذه التي توقع اسمها «لا أعلم كيف (أو إذا كنت) أحبه» كررت كلمة «مثيرة» ثلاث مرات. يخلق أ. س. ج. (ودعونا نتذكر أن هناك أيضًا ف. س. ج. على الرغم من أنهن نادرات ربما) يخلق حول نفسه أو نفسها عالمًا منفصلًا يكون كل ما يحدث فيه مثيرًا، لأنه يجب أن يكون مثيرًا. الإثارة هي الهواء الذي يتنفسونه، ولا يمكن أن يعيشوا بدونه. وعندما يسحبون الآخرين إلى عالمهم، فإن هؤلاء الآخرين يتركون عالم الهواء المعروف ويتنفسون الآن هواء الإثارة النادر، الذي لم يعتادوا عليه، وفي حالتهم المشوشة يكونون أكثر استعدادًا للاعتقاد بأن الإثارة التي يتنفسونها إثارة الحب. تسأل عما إذا كان ينبغي عليها الاستمرار في حبها لـ أ. س. ج.، لكنني لا أعتقد أنها تحبه حقًا، تمامًا كما أنه، وهذا يقينًا، لا يحبها. لأني أعتقد أنه حتى أفضل رجل في عصره الذي تحدثت عنه للتو لم يحب هذا الصبي كما كان يعتقد. ربما إذا فكرت السائلة أكثر في الطبيعة الحقيقية للإثارة التي تشعر بها، فستكون قادرة على رؤية الحكمة في المسار الذي نحثها عليه أنا وأنت، وبعد ذلك سوف تجد القوة لكسر التعويذة التي ألقاها أ. س. ج. عليها. أخيرًا، دعيها تفكر في هذا الكلام، فعلى الرغم من أن الحب اضطراب عميق، ليست كل الاضطرابات العميقة حب.»

ولهذا الكلام أقول: آمين.

المخلصة بعمق، مارجو

عزيزتي مارجو،

أنا ذكر يبلغ من العمر 22 عامًا، وليس لدي أي رغبة في ممارسة الجنس. أنا حقًا لا أريده أبدًا. ومع ذلك، فأنا منجذب إلى الجنس الآخر ولست ضد فكرة وجود علاقة رومانسية، تكون غاية الاتصال «الجنسي» فيها هي العناق والقبلات القصيرة. أنا مثالي لحياة الكهنوت، فقط لو أنني كاثوليكي، أو حتى متدين. ما يزعجني بشأن حالتي هو أنني أخشى أن أكون وحيدًا طوال حياتي، حيث أن من أرتبط به سيريد بالتأكيد الحميمية الجنسية عاجلًا أم آجلًا. حتى الآن، كانت هذه تجربتي. هل

تعتقدين أنه من الممكن أن يكون لديك علاقة حميمة بدون علاقة جنسية؟ أعتقد أن نوع العلاقات التي أريدها تسمى أفلاطونية. هل تعتقدين أنه من المرجح أن أجد رفيقة روحي في أقسام الفلسفة؟

المخلص،
شكرًا، لكن لا شكرًا

عزيزي شلش.

أعتقد أن ما تريده ممكن، لأنك - وآمل أن تكون جالسًا - لست الشخص الوحيد الذي لديه المشاعر التي تصفها. اللاجنسية أكثر شيوعًا مما يعتقده كثير من الناس. إذا كنت مهتمًا، فقد يكون المعالج النفسي الجيد قادرًا على مساعدتك في أن تعلم نشأة نفورك من الجوانب الجسدية للحميمية. هذا الفهم، بدوره، إذا لم يغير رأيك، سيجعلك على الأقل أكثر شعورًا بالراحة مع شيء من الواضح أنه مزعج، ولكنه جزء من تكوينك العاطفي. وإجابةً على سؤالك المباشر، أعتقد أنه يمكن أن تكون هناك علاقة حميمة بدون الجنس. لديّ بعض الأصدقاء الذين يندرجون ضمن هذه الفئة. (التقاء العقول، إذا جاز التعبير، دون أي التقاء لأشياء أخرى). لا يتحدث الناس عن «العلاقات الأفلاطونية» من فراغ. أما بالنسبة للاستطلاع حول أقسام الفلسفة، فلا أعتقد ذلك. الفلاسفة من معارفي، وقد قرأت عن أحدهم في فرنسا، هم أناس مُكثرون جنسيًا، وهذا لا يعني أنه لا يوجد فيلسوف عفيف في مكان ما. وإذا كنت ترغب في أن تكون رائدًا، فإن النجاح الأخير لجميع مجموعات مجتمع الميم يشير إلى أنك ربما ترغب في تنظيم مجموعة للاجنسيين، ربما باسم أنيق - شيء مثل عفيف: عالم فارغ يبدو أفضل.

بالطبع، لم أستطع تفويت هذه الفرصة للذهاب إلى المصدر بنفسه وأسأله أي أفلاطون الذي تحمل العلاقة اسمه عما يعنيه له سؤالك، متسائلة أكثر من أي شيء آخر عما يعتقده في مصطلح «العلاقة الأفلاطونية» الذي نجده جميعًا مفيدًا جدًا في الخروج من المواقف المحرجة. لكنه اعترف بأنه مرتبك بشأن ما نسميه الحب

الأفلاطوني، خاصةً وأنه كان مشغولًا على الإنترنت (وقد ترغب في اتباعه في ذلك) وأصبح ملمًا بمصطلحات مثل اللاجنسية، واللارومانسية، والرومانسية المغايرة، والمثلية الرومانسية، والرومانسية الثنائية، والمصطلحات الآخرى التي كان حريصًا على شرحها لي. ومن المفارقات، أن الفئة الوحيدة التي اعترف بالارتباك بشأنها كانت تلك التي تحمل اسمه. «يبدو أن هناك الكثير من الغموض المحيط 'بالحب الأفلاطوني' هل يجب أن يكون لاجنسيًا؟ هل هو رومانسي أم لارومانسي؟ وإذا كانت لارومانسيًا بحكم التعريف، فما الذي يميزه عن أي صداقة سليمة؟ يبدو لي الحب الأفلاطوني فئة مشوشة.»

هل يشبه اعتراف أفلاطون بالارتباك حول الحب الأفلاطوني شيء مثل أن يحك تشارلز داروين رأسه متعجبًا من الداروينية؟ أخبرني هو أن الإجابة هي لا، استخدامنا المشوش فقط للمصطلح هو الذي جعله مشوشًا. إنه يعرف ما كان يدور في ذهنه: «الحب الذي غنيت مديحه يركز على المعرفة أكثر من الملذات الجسدية، على الرغم من أنه لا يستبعد بالضرورة تلك الملذات الجسدية. [283] لكن مهما كانت الملذات الأخرى، فإن السمة الخاصة للحميمية النادرة والمتعة هي نوع من المعرفة، المعرفة التي يوجد منها نوعان يمكنهما أن يوجدا منفصلين عن بعضهما أو في اتحاد.»

أخبرني، ألححت عليه.

«هناك أولًا وقبل كل شيء الحميمية المتمثلة في التعرف على الإنسانة التي تحبها، والشغف بامتلاك كل تفاصيل كيانها، والغيرة على ساعات الأيام التي عاشتها قبل أن تعرفها، والجودة التي شعرت بها من تجاربها التي لا يمكن أن تعيدها أبدًا بنفسك ولذا ترثيها، تمارس كل ملكاتك لإيجاد طرق لتعويض النقص في المعرفة. ولهذا السبب، يمكن القول إن كل من يحب حقًا هم علماء في فيما يحبون، لا يغفلون تفاصيل لأنها صغيرة جدًا أو تافهة، يحبون المعرفة مثل أي فيلسوف طالما أن المعرفة تخص

(283) . في فايدروس، هو متسامح مع من لا يستطيعون مقاومة الجسد: "في النهاية يفقدون أجنحتهم، لكنهم يخرجون من الجسد بدافع لإنماء أجنحة جديدة. لذا لا يخرجون خالي الوفاض من جنونهم الإيروسي" (256d).

الشخص الذي يحبون. وهذه هي إحدى الطرق التي تكون فيها حيمية إيروس حيمة للمعرفة.

«لكن هناك طريقة أخرى، أكثر ندرة، تتمثل في اكتساب معرفة لا تركز على المحبوب ولكنها مع ذلك علاقة حيمة. إنها نشوة اكتساب المعرفة معًا. إنها العلاقة الحميمة للتقدم معًا في الفهم الذي يهز الروح وبالتالي يشكل الروح، مطويان في بعضهما في تجلٍ لاثنين épiphanie à deux، أفكار أحدهما تتدفق إلى الآخر، والجفاف القاسي لانفصالهما يتحول إلى نداوة أن يصبحا واحدًا وهما يفكران بعقل واحد ويريان ببصيرة واحدة. هذه علاقة حيمة لا يمكن لأجسادنا الخرقاء إلا أن تحاول تقليدها كما لو كانت في كوميديا من التمثيل الإيمائي السيء.»

حسنًا، أعترف أن هذا ليس بالضبط ما كان يدور في خاطري عندما كنت أقول، «دعونا نبقيها أفلاطونية، أليس كذلك،» ولكن ها هي، مباشرة من فم الفيلسوف. وأعتقد، يا شلش، أن أفلاطون قد أجاب على سؤالك عن إمكانية أن تكون هناك علاقة حيمة بين شخصين حتى في حالة عدم وجود أي شيء أكثر، احم، خصوبة من الأفكار التي يتبادلانها.

المحبة أفلاطونيًا، مارجو

ζ (زيتا)

سقراط يجب أن يموت

الرجل الأكثر غرابة

لأنه إذا كان الفيلسوف منعزلًا، فهذا ليس من أجل السمعة. وفي الحقيقة جسده فقط هو الموجود في المدينة، هنا في زيارة، أما فكره، الذي يزدري كل هذه الأشياء ويراها عديمة القيمة، فيحلّق.

ثياتيتوس 173e

وقال كل الناس: «يا له من عار أنه مات،
لكن ألم يكن الرجل الأكثر غرابة؟»

-سيمون وجارفنكل

في إحدى المناسبات النادرة التي وجد فيها نفسه في الريف، لم يستطع الكف عن الصراخ عن الجمال الذي رآه من حوله. انظر إلى الفروع المنتشرة لشجرة الجميز! انظر إلى نثار الجدول المتلألئ! انفجر الصبي الذي يسير في الطريق بجانبه بالضحك عندما سمعه يصرخ لجمال هذه الأشياء المعهودة، كان الجمال الطبيعي شيئًا جديدًا عليه. قلّما ذهب بعيدًا خارج أسوار المدينة، لأن ما أراد أن يتعلمه لم تكن لتعلمه إياه المشاهد الخلابة (فايدروس d230).

حتى خلال أصعب سنوات الحرب التي جلبت الكثير من القذارة والمرض إلى المدينة المزدحمة داخل أسوارها، لم يدَعِ الظروف تقوض شغفه ومتعته.[284] كان هناك

(284) . كان تكتيك بريكليس هو الاشتباك مع الإسبرطيين، الذين كانوا مقاتلين متفوقين على الأرض، في البحر فقط. لهذه الغاية، بنى أسوار مدينة أثينا ومد الأسوار الطويلة وصولًا إلى ميناء بيرايوس، تحت حراسة البحرية، بحيث يمكن إدخال البضائع. وجعل جميع الأثينيين، بمن فيهم الذين يعيشون في الخورة khora المحيطة، ينتقلون إلى المدينة astu. كان بإمكان الإسبرطيين القدوم وحرق كل شيء خارج

احتمال كبير أن تجده في أي يوم من الأيام في الأجورا حافي القدمين ومتحمسًا، يستفسر عن الطبيعة الحقيقية لفضيلة ما أو غيرها، بعد أن حاصر شخصًا ما في الرواق الجنوبي ذي الأعمدة الطويلة حيث أقام التُجار أكشاكهم، أو عند صالة توريباس (خارميديس da153) أو عند الصالة الرياضية عند الليسيوم (أوطيفرونa2، ليسيس a203، يوثيديموس a271، الندوة d223)[285] حيث اجتمع الصبية لممارسة الرياضة وكان دائمًا يبحث عن المواهب الجديدة.

كان يظهر كل يوم بإرادته الحية، حتى بعد ليلة شرب فيها كثيرًا (الندوة d223)، للعمل الذي رفض الحصول على أجر عنه (الدفاع d–e19). ربما كانت سمعة زوجته كامرأة سليطة لها علاقة بقراره الجليل بالعمل دون أجر. وهذا قد يجعل أي زوجة تتذمر، خاصة وأن هناك ثلاثة أبناء. أصبح اسم زوجته، زنتيب، مرادفًا لامرأة مزعجة سيئة الخلق. في ترويض الشرسة، وصف شكسبير على لسان بتروشيو كاثرينا بأنها «زنتيب أو أسوأ» (الفصل 1، المشهد 2). كان أصغر أبنائهم لا يزال طفلًا صغيرًا عندما أصبحت زنتيب أرملته (فيدون a60). كان صافي ثروته، بما في ذلك منزله، خمس مينات (زينوفون، الاقتصاد 2.3.4–5)، وهو ما يعادل ما قد يتقاضاه السفسطائي في شرح مقرر دراسي واحد (زينوفون، الدفاعb209) وأقل مما يمكن للعامل الماهر أن يكسبه في سنة ونصف. لم يرَ عارًا في إفلاسه، وحمل نفسه بصلابة رجل ذي وسائل مستقلة يعيش تمامًا كما يشاء. كان من الصعب أن تعرف هل تضحك من وضعه أو تهابه.

أسوار المدينة، وهو ما فعلوه باستمرار، ولكن وفقًا لخطة بريكليس. لم يُستدرج الأثينيون إلى معركة على الأرض. عرف بريكليس أن الإسبرطيين لن يبتعدوا عن مدينتهم لفترة طويلة، لأنهم كانوا دائمًا يحسبون حساب انتفاضة العبيد. بين الهجمات تمكن للأثينيون من الخروج وإعادة زراعة حقولهم. كان حليف إسبرطة السري هو الطاعون، الذي يعتقد معظم العلماء أنه جاء عن طريق السفن، وربما حملته الجرذان - أو براغيث الجرذان - ودخل المدينة عن طريق بيرايوس. اندلع الطاعون ثلاث مرات خلال الحرب البيلوبونيسية، وانتشر بسرعة في المدينة المكتظة. ثوقيديدس، أحد القلائل الذين أصيبوا بالطاعون وعاشوا ليحكوا عنه، يذكر وصفًا فظيعًا لأثينا التي اجتاحها الطاعون. انظر الملحق ب.

(285) . كان الليسوم مكانًا للتمرين والمحادثة خارج أسوار المدينة مباشرةً، على الجانب الشرقي، وكانت الموقع المستقبلي لمدرسة أرسطو.

غالبًا ما كان مصدر نكات الكاتب المسرحي الكوميدي الأكثر شهرة في المدينة، كان يسخر من أنشطته بوصفها «كلام فارغ بالغ الدقة» (أريستوفانس، الضفادع 1495). كان يضحك على مقاطع الشاعر بنفس الترفع الساخر الذي نظر به لكل الأشياء التي لا تهم على الإطلاق، على الرغم من أن بعض أصدقائه، بمن فيهم أفلاطون، سيلومون أريستوفانس على المساهمة في تشويه سمعته (الدفاع 18 d, 19c)[286].

كان ينظر إلى وظيفته على أنها نداء سامٍ، وهو الوحيد المناسب لها، وحتى عندما تدهورت ظروف عمله إلى درجة تهديد حياته، لم يفكر في ترك مكانه (الدفاع، مواضع متفرقة).

لم يغادر المدينة بعد هزيمتها، عندما عسكرت حامية من الإسبرطيين في الأكروبوليس، وقدمت دعمًا مشؤومًا إلى الأوليغاركية الذين نُصبوا بعد أن أبحر إليها المنتصرون، مما أدى إلى تفكيك الديمقراطية التي اشتهرت بها المدينة. لم يكن الكثيرون في المدن الأخرى هم فقط الذين نظروا إلى التجربة السياسية داخل أثينا بوصفها غريبة.[287] داخل أثينا أيضًا، كان هناك دائمًا أولئك الذين تمسّكوا بآريت الأرستقراطية الفطرية ومقتوا منح المواطنة للرعاع من غير أصحاب الأملاك. وكرهوا أن صوت أي من الرعاع يحسب مثل صوت أي أرستقراطي، وأن أي واحد منهم قد يأتي مباشرة إلى البنيكس من حقله أو متجره، يمكن أن ينهض ويخاطب الإكليسيا كما لو أن رأيه بنفس أهمية رأي الرجال الأجدر. كان بريكليس قد مات منذ فترة طويلة، بسبب الطاعون في السنوات الأولى من الحرب التي استمرت

(286) . في الندوة، رغم ذلك، يتمتع سقراط وأريستوفانس بعلاقات جيدة.

(287) . "فقط في أثينا، حيث تعرضت القوى التقليدية للعائلة والدم والدين لضربة واحدة جردتها من الأهمية السياسية، نشأت ديمقراطية سياسية حقيقية من الأنظمة القديمة. في العدد القليل من الحكومات الديمقراطية الأخرى في اليونان، نشأت جميع الديمقراطيات تقريبًا كنتيجة للضغط الخارجي، الضغط الأثيني في الغالب، وبالتالي لم تكن مهمة، من الناحية النفسية، في أعين معاصريها اليونانيين.... لهذا السبب يهاجم ألسيبيادس الديمقراطية في خطابه في إسبرطة بأنها 'جنون معترف به' لقد كانت شيئًا فريدًا تقريبًا وأثينيًا في اليونان في القرن الخامس." ديفيد غرين، النظرية السياسية اليونانية، ص 35–36.

عقودًا.[288]

الثلاثون، الذين حكموا لمدة عام تقريبًا، كانوا أبناء العائلات الأقدم في المدينة، وفي فترة حكمهم القصيرة والعنيفة سمحوا لعدائهم للحكومة التي كانوا يعتبرونها دائمًا حكم الرعاع أن تتحول إلى حالة من الفوضى الانتقامية زاد منها جشعهم للسلطة والممتلكات. اقتصر التصويت على قلة ثم إلى قلة أقل، ثلاثة آلاف محددون ممن سُمح لهم بامتياز حمل السلاح والمحاكمة أمام هيئة محلفين.[289] أما من لم تنطبق عليهم الشروط فنُفوا للعيش في الشوارع الضيقة والأزقة المحيطة بميناء بيرايوس ويمكن القبض عليهم سريعًا بناءً على أي تهم ملفقة، عملت شبكة منظمة من المخبرين على الإيقاع بهم. صودرت ممتلكات الموتى والمنفيين، لذلك سرعان ما أصبح الجشع ينافس السياسة كدافع. كان العمال الأجانب Metics، الذين لم يُسمح لهم مطلقًا بالحصول على الجنسية في المدينة، معرضين للخطر بشكل خاص، خاصة إذا كانوا أغنياء.

«انتَخبت» الإكليسيا الثلاثين، على الرغم من أن التصويت مهد له بوسانيوس، ملك إسبرطة المنتصرة، ولم يكن أمام المواطنين سوى القليل من الخيارات، حيث كانت المدينة نصف جائعة بسبب الحصار. كُلّفوا بوضع دستور من شأنه أن يعيد «قوانين الأجداد»، لكن الثلاثين لم يظهروا أي ميل لوضع دستور، بل حكموا بدل ذلك بأمر غير شرعي. من سبتمبر عام 404 إلى مايو عام 403، قُتل 1500 من الأثينيين، وهو ما يتجاوز عدد القتلى في العقد الأخير من الحرب البيلوبونيسية. نفّذ ثلاثمائة خادم «من حملة السياط» الأوامر وتسببوا في عهد من الرعب. بالإضافة إلى الكثيرين الذين ذهبوا ضحية الشوكران، والآلاف الآخرين الذين أُرسلوا إلى المنفى

---

(288) . مات بريكليس عام 429. استمرت الحرب البيلوبونيسية الثانية، والتي كانت الحرب الرئيسية، من 431 إلى 404.

(289) . في الواقع، ما إذا كانت هناك قائمة رسمية مكتوبة لا يزال موضع نقاش. مثل الخمسة آلاف، الذين قيل إنهم مثلوا الحكومة بعد سقوط الأربعمائة عام 411، وهي فترة وجيزة أخرى من الأوليغاركية في السابق، ربما لم تكن هناك قائمة فعلية. لكن، في كلتا الحالتين من الأوليغاركية المؤقتة، ربما كان العدد الكبير تظاهرًا بوجود قاعدة أوسع من الدعم للأوليغاركية أكثر من الموجود بالفعل. الكلام الدرامي حول الأسماء التي تُقرأ من لفافة جاء بعد عقود من تلك الفترة.

أو فروا طواعية، وبعضهم نظموا أنفسهم لاستعادة مدينتهم واستعادة ديمقراطيتها.

لكن ليس هو. استمر بنفس الطريقة كما كان يفعل دائمًا، يذهب إلى أماكنه المفضلة لمتابعة الاستفسارات غير العملية التي تنتهي في كل المرات تقريبًا دون حل. هل الفضيلة مسألة معرفة أم شيء آخر؟ إذا لم تكن مسألة معرفة، فكيف يمكن الوثوق بدوامها؟ وإذا كانت مسألة معرفة، أفلا يمكن تعليمها؟ ولكن لماذا يكون لدى الرجال الفاضلين في كثير من الأحيان أبناء أشرار، ولدى المعلمين الفاضلين طلاب أشرار؟ بدا كما لو أنه كان غافلًا عن الأحداث السياسية الكبرى التي تحدث من حوله.

لكن أيضًا، كان من بين غرائبه المختلفة، نسيان ينزل عليه، نوبة من التشتت ترفعه من ظروفه المباشرة (الندوة 174d). بمجرد أن يصبح منخرطًا فكريًا – وكان دائمًا تقريبًا منخرطًا فكريًا – يتركز انتباهه تركيزًا ضيقًا. وإذا لم تكن الظروف على صلة بانشغالاته المحددة، لم يُعرها انتباهًا، فيدفعها إلى الهوامش الواسعة التي يبقيها للموضوعات التي لا تستحق أكثر من حسه اللاذع في الدعابة. كانت تلك الهوامش هي مكان خصوصيات الاضطرابات السياسية التي تعصف بمدينته، وقد أعرب عن الجدية التي ينظر بها إلى السياسة المحلية بإخضاع حتى أكثر رجال السلطة في مدينته فتكًا، وإن كانوا الأسرع زوالًا، لسخريته.

ولقد كان ساخرًا متمكنًا.

قد يفسر البعض بقاءه خلال السنة التي تصاعد فيها الرعب بأنه تعاطف بحكم الواقع مع حكومة الثلاثين برعاية إسبرطة. أي مواطن لم ينضم إلى الديمقراطيين في المنفى بحلول عام 403 كان من الممكن أن يقال عنه لاحقًا إنه «بقي في المدينة» وهذا وحده يمكن أن يثير الشكوك في أنه كان واحدًا من الثلاثة آلاف، القلة التي سُمح لها بالاحتفاظ بالجنسية. لم تُعلن قائمة الثلاثة آلاف على الملأ، لذلك ما زلنا لا نعرف موقفه. أصبحت عبارة «بقيَ في المدينة»، في السنوات التي تلت التخلص من الثلاثين – معظمهم إلى قبورهم – رمزًا في المحاكم لكون المرء أحد رفاقهم الباقين. وعلى

الرغم من أن هذا الاقتراح بعينه لم يُقدم ضده في أيّة رواية وصلت إلينا، فلا يزال من الطبيعي أن نستنتج أنه كان يُشتبه في ميوله الإسبرطية، خاصة أنه قبل سنوات من عهد الثلاثين، كانت الشائعات حول ولاءاته المنقسمة قد انتشرت بالفعل، وعلى العلن في مسرحيات أريستوفانس.

من بين الشبان الأرستقراطيين الذين دخلوا وخرجوا من عباءة نفوذه، كان هناك بعض أصحاب الميول المناهضة للديمقراطية دون شك. كان الكاتب المسرحي الكوميدي الشهير قد ألمح على نطاق واسع إلى أنه متورط في سياسات تخريبية، فصاغ كلمتين ليوضح ما يقصده، الأولى تعني «أن تنبهر بإسبرطة»، والأخرى جاءت من اسمه.[290] عُرضت المسرحية في عام 414، خلال الفترة التي كان فيها ألسبيادس قد جعل نفسه مغنمًا لإسبرطة، وبعد أن عانت أثينا من كارثة صقلية. بالطبع، كانت إسبرطة مجرد مرحلة عابرة عند ألسبيادس الذي لا يمكن كبحه، والذي لا يخضع لأي حساب سوى حسابات طبيعته الطاغية. لكن الآخرين الذين تعلقوا بكلام الرجل كان انبهارهم بإسبرطة أطول أمدًا، بما في ذلك أسوأ الثلاثين سمعة، كريتياس. فماذا نقول إذًا عن الرجل الذي ارتبط اسمه بهم؟ ألم يكن هو الآخر منبهرًا بإسبرطة؟

لا، لم يكن كذلك. سخريته من الديمقراطية الأثينية لا تعني أنه كان متحمسًا للأوليغاركية. إن النظر لموقفه باعتباره سياسة تخريبية يعني إغفال الهدف مما كان يعنيه.[291] إن رؤية السياسات التخريبية تحوم حول موقفه يعني الانضمام إلى جمهور

---

(290) . كان أريستوفانيس قد صاغ كلمة لاكونومانين، وتعني "أن تنبهر بإسبرطة." لاكونيا، أو لاسيدامونيا، هي المنطقة في شبه الجزيرة البيلوبونيزية التي كانت إسبرطة عاصمتها الإدارية. كانت كلمته الجديدة الأخرى هي سوكراتين "أن تجعله سقراطيًا" تقول الأبيات: "لقد أصبح كل الرجال مجانين بإسبرطة / فأطالوا شعورهم، وجوعوا أنفسهم، ولم يغتسلوا، أصبحوا سقراطيين / بمسكون السكيتال بأيديهم." (الطيور 1281–83)

(291) . كان هذا، للأسف، صحيحًا بالنسبة لكتاب أ. ف. ستون محاكمة سقراط (نيويورك: Anchor Books، 1989). ربما ليس من المستغرب أن يفسر ستون، الذي كان توجهه الدائم سياسيًا، موت سقراط بمصطلحات سياسية بحتة. الاستنتاج الذي توصل إليه هو أن سقراط كان معاديًا للديمقراطية، رافضًا لإلهة الإقناع المدنية، بيثو، كما تفهمها طبيعة الديمقراطية الأثينية.

الأثينيين الذين لم يستوعبوا طبيعة أسئلته مطلقًا. ما كان يعنيه شيء أخطر على القيم الأثينية من مجرد سياسات حزبية.

صحيح أنه لم ينضم إلى الديمقراطيين في المنفى، ولم يتجشم الاحتجاج على انتهاكات الثلاثين، رغم أنه رفض عندما أمروه بالمشاركة في إحدى مهامهم الشريرة. تلك كانت طريقتهم، لمحاولة توريط أكبر عدد ممكن من الناس في أفعالهم القذرة (الدفاع 32a–d). أولئك الذين يشاركون في الذنب من غير المرجح أن ينددوا بالذنب. لذلك أبقى نفسه غير متلوث، رافضًا إحضار رجل بريء، ليون السلامي، لإعدامه بإجراءات موجزة. بدلًا من ذلك، أخذ نفسه إلى المنزل، وهو عمل من أعمال المقاومة السلبية الذي، على الرغم من كونه خطرًا في ظل هذه الظروف، ربما لم يكن كافيًا - وغير سياسي بما فيه الكفاية - لإقناع من يميلون إلى اعتباره موضع شك.

يمكن أن يثير موقفه اللاسياسي الواضح، رغم ذلك، شكوكًا في أن بعض الولاء السياسي الخفي الأعمق لا بد أن يكون كامنًا في الأسفل. كيف يمكن لشخص ذي وزن أن ينأى بنفسه عن السياسة المعاصرة؟ وفي مدينته على وجه الخصوص، التي نظرت إلى المشاركة في السياسة العامة كمقياس للتفوق الذي يمكن أن يحققه كل مواطن، بدا أنه يفتخر بشدة بعدم معرفته حتى كيف يصوت، عندما انتُخب لمجلس الخمسمائة (جورجياس 473e). أن تكون غير مبالٍ سياسيًا يعني أن تنأى بنفسك عن زمنك. لكن هذا بالضبط ما كان ينوي فعله: أن يخرج من زمنه. في ثقافة سياسية بشدة مثل ثقافته، بالكاد يمكنها أن تتصور الفضيلة إلا من منظور السياسة، كان موقفه أقرب إلى التناقض.

إذا كانت السياسة الأثينية التقليدية قد صدمته بأنها بعيدة عن فكرة آريت المراوغة التي كان يحاول دون توقف الإمساك بها، فإن سياسة الأوليغاركية كانت أقل من أن يزدريها. لم يتعاطف أبدًا مع الثلاثين، أكثر مما تعاطف مع الديمقراطيين، وفي الواقع، أقل بكثير.

أما بالنسبة للثلاثين، فقد أظهروا عداءهم المتزايد تجاهه. فصاغوا قانونًا يحظر

صراحة فن المناظرة، والذي كان، على الأرجح، موجهًا إليه تحديدًا (زينوفون، التذكارات 1.2.31). فن المناظرة يكاد لا يتوافق مع مزاج التخويف الذي تحتاجه حكومتهم غير الدستورية.

ثم أن كريتياس، كان يحمل له ضغينة منذ فترة طويلة، نتيجة إهانة لا بد أنها كانت تتقيح بداخله لسنوات، عندما تحدث، بأسلوبه الصريح غير المتواري، عن الاهتمام الجنسي غير اللائق الذي كان كريتياس يظهره للشاب الجميل يوثيديموس. فقارن سلوك الأوليغاركي المستقبلي بخنزير يفرك نفسه على الحجارة (المرجع نفسه). كريتياس، الذي كان رجلًا فخورًا للغاية، ذا أصل نبيل يعود إلى سولون المشرع وعقل مثقف جعل الرجل يعتبر نفسه فيلسوفًا وشاعرًا من الدرجة الأولى، من غير المرجح أن ينسى مثل هذه الإهانة.

ومن هم أسلاف هذا الرجل حتى يتحدث بمثل هذه الحرية مع العلية والأقوياء؟ كان والده، سوفرونيسكوس، بنّاءً. وكانت والدته، فيناريت، قابلة. في بعض الأحيان، على الأقل وفقًا لأفلاطون، كان يشبه مهنته بمهنتها، مشيرًا إلى أنه، أيضًا، يساعد الناس على الولادة، ولادة الأفكار وليس الأطفال، وإجهاض تلك التي لا تستحق التربية. استخدم المقارنة ليشير إلى افتقاره إلى استنتاجات محددة يتوصل إليها (ثياتيتوس 149a و210d). مثله مثل والدته، التي كبرت في السن فلا يمكنها أن تلد، ساعد هو الآخرين على ولادة أفكار حية، أما هو فلم يحبل بأفكاره. على الأقل يضع أفلاطون هذه الكلمات في فمه.

لقد أحب استخدام المقارنات المنزلية في حججه الفلسفية، وأخذ أمثلة من عمل النجارين وصانعي الأحذية وغيرهم ممن عملوا بأيديهم. كانت طريقة لإظهار تماهي الفلسفة مع الشؤون اليومية، كما كانت طريقته في ممارسة مهنته في شوارع أثينا وبين جميع أنواع الناس.

لكن إذا ادعى بلغته وأسلوبه الخطابي تضامنه مع الناس، فإن شعبويته الفلسفية لم تجعله ديمقراطيًا في تعاطفه السياسي، على الأقل ليس مع الديمقراطية الأثينية. لقد

سخر من وهم الأثينيين باستثنائيتهم التشاركية. وسخر من قدرة المتحدثين البارعين على التأثير على السذج بين الحشود.

إنهم يمدحوننا مدحًا رائعًا فيلقون تعاويذ على أرواحنا، وينسبون لكل فرد، باستخدام الزخارف اللفظية الأكثر تنوعًا وجمالًا، المديح الذي يستحقه أو المديح الذي لا يستحقه، ويمجدون المدينة بكل طريقة، ويثنون على قتلى الحرب، وكل أسلافنا من قبلنا، ونحن أنفسنا الأحياء. والنتيجة هي، يا مينكسينوس، أنني أصبح في وضع ذهني عالٍ عندما يمدحونني. في كل مرة، عندما أستمع إليهم وتُلقى عليّ تعاويذهم، أصبح رجلًا مختلفًا - فأقتنع بأنني أصبحت أطول وأنبل وأبدو فجأة أفضل. ويحدث كثيرًا أيضًا أنني ألهم المزيد من الرهبة في الأصدقاء من المدن أخرى الذين يرافقونني ويستمعون معي كل عام. لأنهم يتأثرون في نظرتهم لي ولبقية المدينة مثلي: يستحوذ عليهم المتحدث، فيعتقدون أن المدينة أكثر روعة مما كانوا يظنون. ويظل هذا الشعور القاهر معي أكثر من ثلاثة أيام. تغرق كلمات المتحدث وصوته في أذني وترن لدرجة أنني بصعوبة في اليوم الثالث أو الرابع أتعافى وأدرك أين أنا. وحتى ذلك الحين أتخيل أنني أسكن في جزر المباركين. إلى هذا الحد خطباؤنا بارعون. (مينكسينوس e-235c234)

البلاغة خطرة عندما تكون لدى المواطن العادي الصلاحية لاتخاذ القرارات، لأن المواطن العادي ليس في وضع يمكنه من مقاومة تلاعب الخطيب البليغ. اشتكى من أن السبيل للمضي في ديمقراطية أثينا هو أن تتملق وتداهن وتتجاوز الفكر إلى العواطف. أرادت الجماهير مسرحيات جيدة في الإيكليزيا والمسرح الجيد يتطلب عواطف كبيرة والعواطف كبيرة تغلب العقل.

ومع ذلك، لم يستطع إلا الاعتزاز بروح حرية التعبير التي احتفت بها مدينته. لا بد أنه كان يعتز بها، لأنه استفاد منها ببذخ، وأين الأمل في التوصل إلى إجماع حول أهم الأسئلة التي يمكن أن يسألها الشخص لنفسه، وأين الأمل في تدمير التحيزات التي تجعل كل شخص يرى العالم منحرفًا بشدة اعتمادًا على موقعه الفردي، إذا لم نكن سنجلب الكثير من الانحرافات إلى الحوار، بحيث يمكن أن يظهر من تصادمها بعضها شيء أكثر استقامة؟

هيرودوت، في استعراضه لقائمة المدن اليونانية، يذكر ما يمثل الاستثناء المميز في كل بوليس، يثني على مواطني أثينا لحديثهم الرائع. لقد أضفت الديمقراطية طابعًا رسميًا على امتياز أن يقول المرء ما يشاء، فضمنت قانونًا الإيسجوريا isegoria، حق جميع المواطنين في أن يقولوا كلمتهم أمام الإكليسيا.

ولكن بعيدًا عن الحق القانوني الرسمي، كانت هناك روح تسود ثقافة المدينة بشكل عام، تُعرف باسم الباريزيا parrhêsia، والتي تعني «التحدث بصراحة.» افتخر الأثينيون بالباريزيا، ولا بد أن الرجل، الذي كان رمزًا لها، قد حظي بتقدير كبير من أصدقاء الديمقراطية.

أو هكذا قد يظن المرء.

على أية حال، أنهت الأوليغاركية كل هذه الحرية الكلامية. وهكذا، وبقدر ما كان في كثير من الأحيان ساخرًا من ديمقراطية مدينته، فقد احتقر الأوليغاركية. لقد تحداهم في إحدى المرات عندما حاولوا توريطه في مخالفاتهم، وتحداهم، يوميًا ودون انقطاع، من خلال الاستمرار في فن المناظرة، وتجاهل القانون الذي ربما صيغ لأجله خصيصًا، خاصة أنه في زمن حكم الثلاثين، لم يعد السفسطائيون يزورون المدينة، وليس هناك حاجة لقول إن امتياز الباريزيا قد ألغي.

هو وحده ما زال يستخدم ذلك الامتياز. كانت حرية التعبير أحد جوانب الروح الديمقراطية التي لم يكن مستعدًا للتنازل عنها. مع تزايد الوفيات، قال ساخرًا مستخدمًا المقارنات المنزلية المفضلة عنده، أنه تمامًا مثلما على الراعي الذي يذبح من قطيعه بشكل عشوائي وتزيد حالته العامة سوءًا معه أن يعتبر نفسه راعيًا سيئًا، كذلك فإن الحاكم الذي يذبح شعبه ويزيد من سوء حالته يجب أن يعتبر نفسه حاكمًا سيئًا. تسببت هذه الطرفة في استدعاءه أمام اثنين من الطغاة، خاريكليس وكريتياس، اللذين ذكّراه بأن أنشطته الصباحية تضعه في انتهاك لقانون مناهضة المناظرة ثم منعاه من الدخول في أي حديث مع الشباب. فبدأ على الفور يستمتع بالسخرية من الاثنين، فناظرهما في معنى منع المناظرة. سقط خاريكليس في الفخ اللفظي، فأجاب على

الأسئلة متزايدة السخافة، حتى وضع كريتياس، الذي كان يستمع بصمت، حدًا للمهزلة، وهدده تهديدًا غير خاف أكده خاريكليس بعد ذلك بقوله: «وإن لم تمتنع، فستجد أن الراعي قد ذبح من القطيع واحدًا آخر» (زينوفون، التذكارات 2، 32–138).

ومع ذلك، ألا يمكننا أن نسأل عما إذا كان مجرد بقائه في المدينة في ظل هذه الظروف يشكل في حد ذاته تعاونًا ضمنيًا؟ هل كان من الممكن تجنب العدوى الأخلاقية التي تنتشر مثل الوباء، وتصيب أي شخص لا يقاوم مقاومة سياسية نشطة؟ ألا يمكن، على الأقل، أن يُتهم بالجبن الأخلاقي، هذا الرجل الذي جعل نفسه ظاهرًا جدًا باستجوابه الأخلاقي المستمر، والإيحاء المتعجرف بأنه وحده يعرف شيئًا يجهله الجميع؟

لكنه عد نفسه مقاومًا نشطًا. رفضه اتخاذ أي موقف سياسي كان بحد ذاته موقفًا ضد تسييس الفضيلة. كان رفضه المشاركة في أي أعمال سياسية هو الإجراء الوحيد المتوافق مع استفساراته التي طرحها يوميًا، محاولًا انتزاع فكرة آريت من سياسة الاستثنائية الأثينية. كان هذا الانتزاع هو الهدف من استفساراته.

كانت السياسة، فيما يعنيه، عملًا قذرًا، وكان هذا موقفًا راديكاليًا للغاية في مدينته لدرجة أنه يكاد يكون غير مفهوم. كانت البوليس مصدر المعيارية. بالتأكيد كان هذا صحيحًا في أثينا، حيث دمرت الإصلاحات السياسية للديمقراطية الناشئة الروابط القبلية القديمة، فلم تعد تتدخل في الولاء للمدينة. كانت التجارب الراديكالية لهذه المدينة بعينها مع الحكم الذاتي، وإيمانها بقدرة المواطن الأثيني العادي على المشاركة المباشرة في كل قرار، دليلًا على طبيعتها الاستثنائية، التي تأكدت بشكل كبير في أيام صعودها. وبالنظر إلى المسلمات التي تأسس عليها مجتمعه، فإن طلبه تعريف آريت تعريفًا مستقلًا عن الواجبات المدنية كان أشبه بمطالبة شخص ما بترجمة جملة إلى لغة لا يُعرف لها مفردات أو قواعد. كان أشبه بمطالبة شخص بتحديد الفائز في لعبة لم يحدد أحدٌ قواعدها.

ومع ذلك، كانت هذه بالضبط هي الأسئلة التي كان يطرحها: أخبرني ما هو الأهم في الحياة التي تستحق أن تعاش، بغض النظر عما إذا كانت في أثينا أو في أي مكان آخر، سواء وُلد المرء في ظروف جيدة أو في ظروف صعبة، سواء كان المرء مواطنًا حرًا أو عبدًا. يجب أن تكون الفضيلة شيئًا يستطيع الناس تحمل مسؤوليته بأنفسهم، وليس شيئًا يجعلهم رهينة للآلهة، أي رهينة ما هو خارج عن سيطرتهم. نحن رهائن في كل الأشياء الأخرى، لكن بالتأكيد ليس فيما إذا كنا نعيش بالفضيلة. هذا هدف يجب أن يحققه الناس بأنفسهم، الهدف الوحيد الذي يستحق تحقيقه. لكن إذا كان هذا هدفًا يجب أن نحققه لأنفسنا، فإن الإنجاز الجماعي للبوليس لن يستطيع أن يحققه لنا أفضل مما تستطيع الآلهة.

باستخدامه المميز للكلمة، تبدأ آريت في الانزلاق إلى ما نترجمه الآن إلى كلمة «فضيلة.» تحررت الكلمة من تشابكها المفاهيمي مع كليوس، وسقط الجانب الاجتماعي لها. بالنسبة له، لا تناقض في القول بأن الشخص قد حقق آريت حتى عندما يدينه غالبية أقرانه. لكن الإنجاز لا يزال يمثل الحياة التي تستحق أن تعاش. تتحدث التغييرات الطفيفة التي أدخلها على كلمة «آريت» عن الثورة التي يسعى إليها بأسئلته. نقرأ حوارات أفلاطون باللغة الإنجليزية، فنجد أن آريت مترجمة مباشرة الفضيلة، وفي هذه الترجمة المباشرة جرى كبت التحول المعياري الذي كان يسعى إليه.

لكن عند غالبية من سألهم، كانت أسئلته بالكاد مفهومة. ما جعل إزعاجه الذي لا ينقطع أكثر تناقضًا هو أنه هو نفسه أكد على عدم معرفته لإجابات أسئلته، وأنه في الحقيقة لا يعرف شيئًا سوى أنه لا يعرف شيئًا. ولكن إذا كان لا يعرف شيئًا، فبناءً على ماذا، حبًا بالله، رفض إجابات مجتمعه؟ لماذا استمر، يومًا بعد يوم، في تقديم نفسه كاستعراض من شخص واحد للارتباك المعياري؟

كيف يمكن للمرء أن يفهم أسئلته في حين أن القواعد والقيم المكونة هذا المجتمع تجعلها غير متسقة؟ لتفهم الصعوبات التي واجهها الأثينيون في أسئلته، فكر فيمن

يجدون صعوبة في يومنا هذا في تخيل كيف يمكن أن تكون هناك فضيلة مستقلة عن كلمة الله. حتى لو لم تكن مقتنعًا برد الفعل هذا، فما دمت قادرًا على تخيل نفسك فيه، تستطيع أيضًا أن تكون قادرًا على تخيل نفسك في مكان مواطني أثينا عندما واجهوا أسئلة هذا الرجل. ومحاولة تخيل طريق عودة المرء إلى حيرته تساعد على تكوين رؤية واضحة للتقدم الذي أُحرز.

كثفت أيديولوجية الهيمنة الأثينية تسبيس آريت. أن تحيا حياة تستحق أن تعاش هو أن تؤدي واجبك المدني، الذي يتضمن الواجب تجاه آلهة المدينة. كانت الأسئلة الدينية أيضًا مرتبطة بالسياسية، ودمجتا معًا في الافتراضات المعيارية الضمنية التي تمثل الحياة التي تعد الأفضل. ولكن حتى عندما لا تكون الواجبات الدينية والمدنية مرتبطة ببعضها، فهل سيكون من الغريب أن يُتهم بالإلحاد؟ يمثل الإلحاد أعمق الاضطرابات المعيارية، وهذا بالضبط ما كان يهدف إلى إثارته بصفاقته المعيارية.

وعندما بالغ في الضغط على مدينته - أو بالأحرى، عندما كانت مدينته مضغوطة كثيرًا بسبب الظروف التاريخية فلم تتسامح مع استخفافه لفترة أطول - حوكم بتهمة الإلحاد، وأيضًا إفساد الشباب، إذ بدا أن خُدعه لم تؤدّ إلا إلى إضعاف قيود آريت المسيسة، التي كبحت السلالات المناهضة الأكثر خطورة من روح الاستثنائي. وأن تساؤلاته قد انتهت إلى مأزق aporia لا يحسم شيئًا، ولم يعرض شيئًا ليحل محل المعايير التي قوضها. ألم يكن ألسيبادس دليلًا على الفراغ المعياري الذي خلقه؟ وماذا عن كريتياس؟ قدمت كلتا هاتين الشخصيتين مشهدًا من الفوضى الشريرة التي لم تشهدها الشؤون الداخلية لأثينا لفترة طويلة.

إنه يشبه إلى حد كبير من يجادلون اليوم بأن الفظائع التي شهدناها مؤخرًا - والتي ارتكبها أشرار مثل هتلر وستالين وبول بوت - كانت نتيجة أسئلة أزالت قيود الدين، الذي يمكنه وحده أن يسيطر على العنف والوحشية. كذلك، ربما اعتقد الأثيني أنه لا يوجد شيء يمكن أن يحل محل القيود الأخلاقية التي تفرضها مؤسسات البوليس.

وسرعان ما أصبح الطغاة الذين ناظروه حول فن المناظرة إما أمواتًا أو منفيين. أولئك من بين الثلاثين وأتباعهم المباشرين الذين لم يموتوا في القتال الذي دار لاستعادة المدينة - على عكس كريتياس وخارميدس، الذين لقوا حتفهم في المعركة في مايو 403 - فروا إلى إليوسيس المجاورة، وهي إحدى أقاليم أثينا التي أمّنها الطغاة كملاذ في حال لم تسر الأمور كما يريدون، بعد الاحتياط بذبح جميع سكانها أولًا بتهمة كاذبة هي أنهم مخربون ديمقراطيون. وعندما اشتبهت البوليس في أن هؤلاء الأوليغاركية كانوا يخططون، مرة أخرى، للهجوم على أثينا، ساروا هم أنفسهم إلى إليوسيس، وبدأوا آخر الثلاثين بالقتل. لكن بقيت أثينا مليئة بالمتواطئين، سواء النشطين أو الخاملين.

مع استعادة الديمقراطية، حدث شيء استثنائي. لم يقع حمام الدم المعتاد. في جميع المدن الأخرى التي شهدت ثورات وحروبًا أهلية، تمثل النمط في حلقة مفرغة من الانتقام والانتقام المضاد، لكن الحال لم تكن كذلك في أثينا. كُسرت هذه الحلقة بإعلان عفو عام عن الجميع باستثناء قلة سيئة السمعة ممن كانوا في القمة. «من كانوا في بيرايوس» و «من بقوا في المدينة» تخلوا عن راياتهم واجتمعوا معًا لإحياء المدينة، على الرغم من أنها لن تعود أبدًا الإمبراطورية التي كانتها.

كان العفو عملًا من أعمال البهاء السياسي، حيث عزز إحساسًا جديدًا بالتضامن، ومهد الطريق نحو فكرة خيالية مداوية مفادها أن جميع الأثينيين، باستثناء الثلاثين، كانوا ضحايا، وأن أيًا منهم لم يكن متواطئًا. لقد كان عملًا جماعيًا من النسيان المتعمد. في الواقع، أقسم المواطنون قسَمًا، me mnesikakein، أي «ألا يتذكروا أخطاء الماضي».

بالطبع، لا يمكن لقسم أو تشريع أن يمحو الذكريات، لا سيما ذكريات الفظائع التي ارتكبها الجيران الذين شهدوا زورًا بسبب الجبن أو ما هو أسوأ. لكن العفو أثبت نجاحه بشكل مدهش في استقرار المدينة، ولحم نسيجها الاجتماعي مرة أخرى - في الواقع كان ناجح جدًا، لدرجة أن أستاذ قانون بجامعة هارفارد نشر مؤخرًا

ورقة قدمها كدراسة حالة «لتصميم مؤسسات العدالة الانتقالية الحديثة.»[292] واستنتج: «تشير التجربة الأثينية إلى أن الانشغال الحالي بكشف الحقيقة قد يكون خاطئًا.» تمكن الأثينيون من تحقيق التوازن الدقيق المتمثل في النسيان والتذكر. لا يمكن مقاضاة أي جرائم ارتكبت بإيعاز من الثلاثين. لا يمكن لأحد أن يوجه اتهامًا لشخص ما بأنه كان متعاطفًا. بهذا المعنى، كان هذا نسيانًا متعمدًا. لكنهم سمحوا بالتذكر من خلال السماح للدعاوى القضائية بالاستشهاد بالسلوك السابق تحت حكم الثلاثين كدليل على صلاح الإنسان أو فساده. (كانت المحاكم الأثينية، التي افتقرت إلى المحامين المحترفين والقضاة المحترفين، أكثر حرية من الأنظمة القضائية التي نعرفها). وبهذه الطريقة، رفضت المدينة الانغماس في ملاحقات لا نهاية لها، لكنها أكدت أنه لا توجد حصانة تامة أيضًا. «تشير الحالة الأثينية إلى أنه في بعض الحالات على الأقل، قد لا يكون البحث عمن يتحمل المسؤولية الحقيقية عن الفظائع ضروريًا، أو حتى مرغوبًا، إذا كان الهدف الأساسي هو ضمان مصالحة دائمة وسلمية.»

والمصالحة الدائمة والسلمية هي بالضبط ما أنجزوه. انسحبت الحامية الإسبرطية، واستمر استقرار الديمقراطية المعاد تشكيلها حتى سقوط أثينا، مع المدن الأخرى، أمام الغزو الإمبراطوري لفيليب الثاني المقدوني. على الرغم من الفظائع، وعلى الرغم من التواطؤ الواسع في عهد الإرهاب، تمكنت البوليس من تقويم نفسها مرة أخرى، حيث شارك مواطنوها معًا في مؤسساتهم التي أعيد إقامتها، وممارسة الاعتدال والتسامح الحكيم الذي وضعهم مرة أخرى على الجانب الآخر من العادي..

لم يسبق أن شوهد شيء من هذا القبيل في العالم القديم، حرب أهلية دامية تنتهي بمثل هذه الحكمة والحصافة. ومرة أخرى، في تقويمهم للخطأ الفادح الذي حدث، كشف الأثينيون أنهم أفضل من رفاقهم اليونانيين، ما يعني أنهم أفضل من كل البشر،

(292) . Adriaan Lanni, "Transitional Justice in Ancient Athens: A Case Study," University of Pennsylvania Journal of International Law 32, no. 2 (2010): 551–594.

كما لم يضيعوا وقتًا في إخبار أنفسهم. «وجدير بالتذكر أيضًا أنه على الرغم من أن أجدادنا كانت لهم العديد من الأعمال المجيدة في الحرب، إلا أن معاهدات الصلح تلك كانت من أعظم أمجاد مدينتنا. لأنه إذ يمكن أن تكون هناك العديد من المدن التي شنت حروبًا مجيدة، إلا أنه في التعامل مع الصراع المدني، لا توجد مدينة كانت أكثر حكمة من مدينتنا. كذلك، يمكن أن تُعزى الغالبية العظمى من كل تلك الإنجازات التي تحققت في الحرب إلى الحظ؛ لكن اللين الذي أظهرناه تجاه بعضنا، لا يمكن لأحد أن يجد له أي سبب آخر غير رأينا الصائب. وبالتالي فليس من المناسب أن نثبت خطأ هذه السمعة المجيدة» (293). نعم، ربما قاتل آخرون، مثل إسبرطة، بنبل وبطولة، لكن أثينا تفوقت على مثل هذا النبل والبطولة، أو هكذا قال الأثينيون لأنفسهم. لقد فعلت أثينا، مرة أخرى، شيئًا لم يكن معروفًا من قبل. كان رد فعل أثينا على هزيمتها والأهوال التي أعقبت ذلك هو إظهار العقلانية والكرم واتساع العقل بشكل عام. شارك كل خطباء الديمقراطية المستعادة - سواء تحدثوا في المجلس أو أمام هيئات المحلفين - في صياغة قصة لم يكن فيها العفو بمثابة حل وسط في مواجهة الحقائق المروعة بقدر ما كان فرصة لإظهار نوع جديد من الاستثنائية. لقد كان سببًا للاحتفال، وكان الأثينيون مرة أخرى جديرين بكليوس. كتب الخطيب إيسخينيس: «يعتقد العالم كله أن مدينتنا حكيمة بشكل استثنائي.» لا أحد يستطيع أن يتعامل مع الهزيمة كما فعل الأثينيون.

تلقت الاستثنائية الأثينية ضربة قوية منذ أيام بريكليس المجيدة. لم يقتصر الأمر على هزيمتهم واحتلال إسبرطة لهم، وهدم جدرانهم التي تحميهم، والتخلي عن الجزء الأكبر من أسطولهم البحري؛ لكنهم هم أنفسهم قد غرقوا، تحت ضغوط الحرب، إلى مستوىً من اللاعقلانية والفساد القاسي الذين ربما رغبوا في نسيانهما من خلال تشريع يُصاغ في الإكليسيا، بالإضافة إلى قسمهم «ألا يتذكروا الماضي.»

---

(293) . Isocrates, "Against Callimachus," 31, www.perseus.tufts.edu/hopper/text ttp:// ?
doc=Perseus%3Atext%3A1999.01.0144%3Aspeech%3D18%3Asection%3D31, and
32(.http://www.perseus.tufts.edu/hopper/text?
oc=Perseus%3Atext%3A1999.01.0144%3Aspeech%3D18%3Asection%3D32.

كانوا قد حوَّلوا الحلف الذي صد ببسالة الغزو الفارسي لأوروبا إلى إمبريالية قاسية على حلفائهم اليونانيين السابقين، واستعبدوا وأبادوا الآلاف من رفاقهم اليونانيين. لقد ارتكبوا فظائع أثناء محاكمات الحرب، فظائع تجاوزت الواقعية السياسة تجاه المدن الأخرى. كانت هناك قسوة باردة محسوبة، كما حدث في تدمير ميلوس، المدينة التي قاومت الانضمام إلى حلف ديليان وخسرت جدالها مع أثينا بشكل مأساوي [294]. وكان هناك ما هو أسوأ، كما حدث في مذبحة ميكاليسوس، التي ارتكبها التراقيون الذين تعاقد معهم الأثينيون كمرتزقة للبعثة الصقلية ثم صرفوهم لأنهم لم يصلوا في الوقت المناسب. وقعت فظائع ميكاليسوس، التي يرويها ثوقيديدس، عندما كان الجنرال الأثيني ديتريفس يرافق التراقيين للعودة إلى تراقيا، لذلك شعر الأثينيون أنها حدثت تحت أعينهم. أسهب ثوقيديدس في وصف الرعب الذي حدث في ميكاليسوس، وهي بوليس صغيرة لم تنحز لأي من الجانبين في الحرب، وبالتالي لم تستعد لحماية نفسها، ولم تتوقع أبدًا أن يلاحظها أحد. ثوقيديدس – الذي لا يزال موقفه الخفي إما مؤيدًا أو معارضًا لسياسة أثينا مدينته السابقة موضع نقاش – يحكي عن المأساة والرعب في ميكاليسوس، عن ذبح الأولاد الصغار الذين كانوا في بداية عمر الدراسة، وينفصل عن حياده الذي التزم به بصرامة ليقول: «هذا ما حدث لميكاليسوس، الشيء الذي يستحق البكاء كأكثر ما يستحقه كل ما حدث

---

(294) . في الفصل السابع عشر من تاريخ الحرب البيلوبونيسية، يعرض ثوقيديدس الحوار - سواء شهده شخصيًا أو جمعه من روايات الآخرين - بين مبعوثي أثينا وحكام ميلوس. والمذبحة التي أعقبت القتال بين الخصوم تصبح أكثر فظاعة بسبب الحوار الذي دار قبلها. استخدم الأثينيون، بكياسة تامة، واقعيتهم السياسية، موضحين أن المفاوضات الحقيقية لا يمكن أن تتم إلا بين أطراف متساوية في القوة؛ خلاف ذلك، الأقوى سيفعلون ما يحلو لهم - بعبارة أخرى، هذه أفكار ثراسيماخوس لكن على المستوى السياسي. ذكرهم الميليون بالعدل ورحمة الآلهة، فأجاب الأثينيون: "عندما تتحدثون عن رحمة الآلهة، فإنا نرجوها تمامًا كما ترجونها؛ ولسنا في طموحاتنا ولا في سلوكنا مختلفين بأي شكل مع ما يظنه الناس في الآلهة، أو مع ما يمارسونه فيما بينهم. نحن نؤمن أن الآلهة، ونعرف أن البشر بقانون أساسي في طبيعتهم يحكمون أينما استطاعوا. وليس الأمر كما لو أننا أول من وضع هذا القانون، أو أول من عمل به عندما وُضع: لقد كان موجودًا قبلنا، وسوف نتركه موجودًا إلى الأبد بعدنا؛ كل ما نفعله هو استخدامه، ونحن نعلم أنكم وأي أحد آخر، يتمتع بنفس القوة التي نملكها، سيفعل كما نفعل. وبالتالي، فيما يتعلق بالآلهة، ليس لدينا خوف منها ولا سبب للخوف من أننا سنكون في وضع غير جيد".

في هذه الحرب، عندما ننظر إلى صغر حجم المدينة.» [295]

إذا كان خطر روح الاستثنائي هو الغطرسة الفردية، فإن الاستثنائية الأثينية قد ولدت غطرسة سياسية جماعية. والغطرسة السياسية، التي لا تختلف عن الغطرسة الفردية، ولدت المأساة. رفض الأثينيون معاهدة سلام كانت إسبرطة قد قدمتها في عام **410**، والتي بالنظر إلى الماضي كانت ستفيدهم. الآن في هزيمتهم، كانوا مدينين - بشكل سلبي، جبان - لأسبرطة المنتصرة لأنها لم تفعل بهم ما فعلوه بالمدن الأخرى – فلم تنهب المدينة، أو تذبح الذكور، ولم تغتصب وتستعبد الإناث. لقد نجوا بخزي بسبب تساهل إسبرطة. ثم كانت هناك فترة الثلاثين، التي كان من الأفضل نسيانها.

كان بريكليس قادرًا على مقارنة معاصريه بأبطال هوميروس، في الواقع أخبرهم أنهم تفوقوا على أبطال ملحمة هوميروس: «لسنا بحاجة إلى هوميروس ليغني ذكرنا»، قال، مستخدمًا مجازًا يستخدم في هذا النوع من خطب الجنائز (epitaphios logos)، أن أفعال الأثينيين في الوقت الحاضر تفوق أعمال الأبطال الأسطوريين التاريخيين. والآن، وبعد ما رأوه وما فعلوه، بالمقارنة مع ذواتهم السابقة، ناهيك عن أسلافهم الأسطوريين، كان الأمر مذلًا لدرجة العار. لكنهم بعفوهم، الذي يختلف كثيرًا عن أي شيء أُنجز من قبل، جنبًا إلى جنب مع رواية أنهم كانوا ضحايا التي ساعد هذا العفو في خلقها، استعادوا إحساسهم المخلّص بأنفسهم كمبدعين جريئين، وبراغماتيين لامعين قادرين على التكيف المذهل مع الظروف الجديدة. ربما دمر الغزاة جدرانهم الواقية، لكن كانت لا تزال هناك الحماية التي وفرتها الرواية التي صاغوها حول قسم ألا يتذكروا أخطاء الماضي me mnesikakein.

إلا هو – عنيد، مستفز، ساخر – لم يشارك في الوهم المستمر عن التفوق الدائم. كان هذا هو الهدف من تساؤلاته المزعجة التي لم يبدُ أنها ستصل إلى أي شيء ولكنها كانت تشير دائمًا لنفس النقطة: أنتم أيها الأثينيون تعيشون على أسطورة أنكم تحيون حياة تستحق أن يحكى عنها وتستحق جدًا أن تعاش. يا له من هراء، أسخف حتى

(295) . ثوقيديدس، تاريخ الحرب البيلوبونيسية، الفصل 17، الكتاب السابع، 30.

من القصص الغريبة التي يرويها الشعراء المجانين عن الآلهة. كونك أثيني لا يجعلك استثنائيًا بأي شكل. لم يحدث ذلك أبدًا، ولا حتى في أيام مجدك الذي ادعيته لنفسك، غطرستك الجماعية التي غذاها رجال دولتك الأشهر - ومن باب أولى ليس الآن. فلا تتسرعوا وتكللوا أنفسكم بالمجد.

ومن كان هو حتى يتكلم، حتى يسخر؟ ما هو الخير الذي فعله لشبانه على أية حال - أو بالأحرى، ما الخير الذي حققه شبانه للمدينة؟ فأسوأ نموذجين للجانبين السياسيين المتعارضين قد خرجا من دائرة نفوذه، ألسبيادس الديمقراطي المارق وكريتياس الأوليغاركي المارق. قد يبدوان مختلفين في الظاهر، لكن القاسم المشترك بينهما هو الفردية الهائجة التي تنفجر إلى غطرسة مخيفة - بعبارة أخرى، الأخطار التي كان يُفترض أن يمنعها تسييس آريت بالضبط. لقد أدت أسئلته فقط إلى إزالة القيود المفروضة على الطموح الذي كان دائمًا يمثل خطرًا في مجتمع يقدّر آريت التي كانت كليوس مقياسًا لها.

كان في الرواية الهشة عن عدم تواطئهم، والتي كانوا يحاولون فيها إحياء إحساسهم بالاستثنائية، قدرًا كبيرًا من الحكمة البراغماتية. كانوا يتكاتفون لإعادة تشكيل وحدة اجتماعية ممزقة. لم يكن ذلك هو الوقت المناسب لإعادة التفكير في المبادئ الأولى.

وكان ذلك بالضبط ما كان يطلبه منهم، هذا الرجل الذي لا يطاق، الذي كان يرميهم باستمرار بالأسئلة التي كان من المستحيل تقريبًا تمييز مغزاها، رافضًا كل ما حاولوا قوله ردًا على ذلك، هم الذين يتحدث عنهم العالم أجمع (على الأقل كما أحبوا أن يقولوا لأنفسهم) من أجل حكمتهم الإلهية في مصالحتهم، ولا تزال سمعتهم مجيدة.

«سامحني، أيها الرفيق الأكثر روعة»، أجاب الصبي الذي ضحك منه لأنه كان متحمسًا للغاية عند رؤية الجميز المنحني على جدول يقرقر. «أنا صديق التعلم. الريف والأشجار لا يريدون أن يعلموني أي شيء، لكن الناس في المدينة يفعلون

ذلك.»

هل كان يأمل عندها أن يعلمه الناس ما يريد أن يعرفه؟ كان يظهر الكثير من الاهتمام بتوقعه الحصول على الاستنارة من أولئك الذين استجوبهم باستمرار، لكن الاهتمام كان مصطنعًا. لقد كان غير صادقٍ في الحماس الذي استقبل به ردودهم الأولية الراضية، وكان غير صادقٍ في خيبة الأمل التي أظهرها عندما ظهر بطلان إجاباتهم في فرقعة صغيرة حزينة من التناقض الذاتي. كان مقتنعًا، حتى قبل أن يسمع تفاصيل إجاباتهم، أن من استجوبهم لا يعرفون ما الذي يتحدثون عنه، وأن استجوابهم كان يهدف إلى إقناعهم بذلك.

لماذا كان على يقين إلى هذا الحد من أن الإجابات التي سيسمعها لن تكون كافية؟ هل توصل إلى إجابات تتعارض مع إجابات الآخرين؟ لكنه كان مُصّرًا على إنكار أنه يملك الإجابات. لقد أنكر ذلك حتى النهاية، عندما كانت حياته نفسها على المحك.

لم يقدم إجابات في نهاية تدريبات التفنيد التي كان يجريها دائمًا، بعد أن يدمر الإجابات متزايدة الاضطراب من محاوريه. ما هي الظروف الأفضل التي كان ينتظرها ليبوح – مرحى! – باكتشافاته الخاصة للأسئلة التي فرضها على الآخرين. فهل صحيح أنه لم يعرف الإجابات؟ وإذا كانت لديه الإجابات، فلماذا لم يخرج ويشاركها مع مواطنيه، ويضع تفوقه في خدمة البوليس؟ وإذا لم يكن يملكها، فعلى أي أساس كان على يقين من أن جيرانه يفتقرون إليها؟ لماذا دائمًا التظاهر الذي يخفي اليقين المتعجرف بأنه لن يجد أي رضىً فيما يقوله رفاقه الأثينيين؟

أن يتسامحوا مع وقاحته عندما كانت الدنيا معهم فهذا شيء. كانوا قادرين على تحمل شخص أثينيّ صميم غريب الأطوار مثله في الأيام التي كانت فيها، كما وضح لهم بريكليس، جدارتهم واضحة للغاية بحيث لا يحتاجون إلى دعاية من أمثال هوميروس. ولكن الآن، وهم يتشبثون بإحساسهم بالاستثنائية الجماعية قدر المستطاع، أصبحت تحدياته المستمرة أكثر من اللازم ببساطة، لم يعد من الممكن

التسامح معها.

ولم يتسامحوا معها.

وهكذا وفي أول فرصة، بعد انسحاب القوات الإسبرطية واستعادة الحكومة الديمقراطية على أساس مستقر، قُدمت ضده دعوى في رواق أرشون باسيليوس، قدمها ميليتوس، ابن ميليتوس.

كان ميليتوس شاعرًا شابًا ومغمورًا. المتهم، الذي قضى أيامه يتجول في شوارع أثينا بحثًا عن محادثة ودُعي إلى أفضل الحفلات في المدينة، لم يسمع قط عن متهمِه، لا من سمعته ولا من التعامل معه شخصيًا. «أنا نفسي لا أعرفه حقًا، يا أوطيفرون. إنه على ما يبدو شاب وغير معروف»، كما يقول وهو ينتظر المثول أمام أرشون باسيليوس، مواصلًا سخريته المعهودة: «ليس بالأمر الهين أن يكون لدى الشاب معرفة بمثل هذا الموضوع المهم. يقول إنه يعرف كيف يَفسد شبابنا ومن يُفسدهم. لا شك أنه حكيم، فلما رأى جهلي يُفسد أترابه، ذهب يشكوني إلى المدينة كما يبكي الولد لأمه» (أوطيفرون c2). دائمًا يسخر.

اثنان آخران، أكثر بروزًا في البوليس، وقفا كمتحدثين داعمين لميليتوس، أو نصيرين synegoroi.

كان أحدهما رجلًا ثريًا، أنيتوس. وكان لديه مدبغة وابنٌ يعاني من مشاكل، أظهر حماسًا لباخوس وميلًا للرذيلة. كان المتهم قد حذر أنيتوس من أن سليله بحاجة إلى توجيه أفضل مما يمكن أن تقدمه له المدبغة التي سيرثها (زينوفون، الدفاع 1.31–4) الأمر الذي أساء إلى الأب بلا شك. مثل العديد من مواطني المدينة، كانت الولاءات السياسية لأنيتوس معقدة. دعم نظام الثلاثين حتى اعتبروه إما غير موثوق للغاية أو ثريًا للغاية ونفوه من المدينة، ثم استولوا على ممتلكاته. فأصبح جنرالًا للديمقراطيين المنفيين ثم أحد القادة في الديمقراطية المستعادة.

المؤيد الآخر للاتهام كان «ليكون»، أحد خطباء البوليس. كان لدى ليكون أيضًا ابن، أوتوليكوس، كان مرتبطًا بالمتهم. للأسف، أُعدم أوتوليكوس على يد

الثلاثين.[296] كان لدى ليكون، مثل أنيتوس، تاريخ معقد من الولاءات. فقد اتهم بخيانة مدينة نافباكتوس لصالح إسبرطة خلال الحرب البيلوبونيسية [297].

لكن ميليتوس هو الذي قدم الدعوى الرسمية، التي جلبت غريب أثينا الشهير إلى المحكمة، وهو الآن في السبعين من عمره:

هذه الدعوى (القضية) أقامها تحت القسم ميليتوس، ابن ميليتوس من بيثوس، ضد سقراط، ابن سوفرونيسكوس، من ألوبس. سقراط متهم بعدم إيمانه بالآلهة التي تؤمن بها المدينة، وبتقديم آلهة أخرى (دايمُن) وهو متهم بإفساد الشباب. العقوبة المقررة هي الإعدام. [298]

خلاف

قدم ميليتوس لائحة اتهامه الرسمية ضد سقراط في ربيع عام 399. حكم أرشون باسيليوس، المسؤول الذي كان يملك السلطة القضائية في قضايا القتل والإلحاد، بأن القضية بها ما يكفي من المبررات لتُنظر أمام المحكمة. وجرت المحاكمة بعد شهر أو شهرين في شهر ثارجليون (مايو / يونيو). وأقيمت في العراء لاستيعاب الحشد الكامل، ليس فقط أعضاء هيئة المحلفين البالغ عددهم 501،[299] لكن أيضًا الحشد الكبير من المتفرجين. وُضعت مساحات كبيرة من القماش كمظلات لحمايتهم من أشعة الشمس الحارقة. استغرقت المحاكمة الجزء الأكبر من اليوم، وحصل المدعون الثلاثة معًا على ثلاث ساعات لعرض قضيتهم، ومُنح المتهم ثلاث ساعات للدفاع.

(296) . في ندوة زينوفون، أوتوليكوس هو فتى صغير يتمتع بجمال مذهل، يجلس متواضعًا على الأرض بالقرب من المكان الذي يتكئ فيه والده على الأريكة. "بملاحظة المشهد المقدم، فإن أول فكرة تلفت انتباه أي شخص يجب أن تكون بالتأكيد أن الجمال بطبيعته فيه شيء ملكي؛ ويصبح ملكيًا أكثر، إذا تصادف أن اجتمع معه (كما هو الحال الآن في شخص أوتوليكوس) التواضع واحترام الذات."

(297) . Debra Nails, "The Trial and Death of Socrates," in A Companion to Socrates, ed. SaraAhbel-Rappe and Rachana Kamtekar (Oxford: Blackwell, 2006)

(298) . جاءتنا لائحة الاتهام هذه عن طريق ديوجين لارتيوس (القرن الثالث الميلادي)، الذي حصل عليها من فافورينوس (القرن الثاني الميلادي)، الذي قال إنه رآها في الأرشيف العام، المترون.

(299) . أصبح العدد 501 في وقت قريب من محاكمة سقراط. يضمن الرقم الفردي عدم وجود تعادل. كذلك يثبط العدد الكبير الرشوة.

قيس الوقت بساعة مائية. في اليوم السابق للمحاكمة، أرسل الأثينيون سفينة مهداة لأبولو إلى جزيرة ديلوس. كان هذا حدثًا سنويًا، إحياءً لذكرى الانتصار الأسطوري لثيسيوس على المينوتور، والذي احتفل به الأثينيون كجزء من تاريخهم. للحفاظ على نقاء الطقوس، حظر القانون الأثيني تنفيذ أي إعدامات حتى عودة السفينة (فيدون 58a-b). اختلفت مدة الرحلة باختلاف الظروف، ولكن في هذا العام استغرقت الرحلة واحدًا وثلاثين يومًا حتى يوم عودة السفينة (زينوفون، التذكارات 4.8.2)، ما يعني أن سقراط عاش ثلاثين يومًا بعد محاكمته، حتى شهر سكيروفوريون (يونيو يوليو).

من بين حوارات أفلاطون الستة والعشرين، وقعت الدراما الداخلية لسبعة منها في ربيع وصيف عام 399: ثياتيتوس، أوطيفرون، السوفسطائي، رجل الدولة، الدفاع، أقريطون، وفيدون. بغض النظر عن جدل الباحثين بشأن التسلسل الزمني للمحاورات، يبدو من الآمن القول إن هذه الحوارات السبعة قد كتبت على مدار حياة أفلاطون الطويلة. لم يكن خيال أفلاطون الفلسفي المستمر منظمًا فقط حول شخصية سقراط، ولكنه كان يعود دائمًا إلى تلك الأشهر في ربيع وصيف عام 399. حتى في السفسطائي ورجل الدولة، المحاورات المتأخرة التي انسحبت فيها شخصية سقراط من المركز الفلسفي إلى الهوامش، لا تزال الخلفية الزمنية تعطي أولوية مفردة لدراما موت سقراط.

تشير المحاورات الأخرى أيضًا، التي وقعت أحداثها قبل تلك الأشهر القليلة من عام 399، إلى دراما موت سقراط. على سبيل المثال، يدخل أنيتوس سريع الغضب في محاورة مينون في وقت متأخر، ويدخل في المحادثة التي يجريها سقراط مع الزائر القادم من ثيساليا وتحمل المحاورة اسمه حول موضوع ما إذا كان من الممكن تعليم آريت. يتفق الباحثون على أن أنيتوس هذا من المفترض أن يكون نفس الشخص الذي سيلعب دورًا في سقوط سقراط. عندما سأل سقراط أنيتوس عن أولئك الذين يمكنهم تعليم الفضيلة للزائر الثري مينون، أجاب أنيتوس بصبر نافذ، مثل شيرِل المرافقة الإعلامية في الفصل بيتا، أن أي مواطن أثيني لائق يقابله مينون

يمكنه أن يعلمه آريت (e92). وهذا معبر، مثلما غضب أنيتوس مهددًا، بعد أن سمع سقراط يقول بأن آريت لا يمكن تعليمها، بالنظر إلى فشل رجال مثل ثمستوكليس وبريكليس في تربية أبناء مثاليين. «أعتقد، يا سقراط، أنك تستسهل الحديث بالسوء عن الناس. أنصحك، إن كنت تقبل نصحي، أن تكون حريصًا» (e94). يقول سقراط، «أعتقد، يا مينون، أن أنيتوس غاضب وأنا لست متفاجئًا على الإطلاق. إنه يعتقد، أولًا، أنني أقدح في أولئك الرجال، ومن ثم يعتقد أنه واحد منهم. إذا أدرك يومًا ما هو القدح، فسوف يكف عن الغضب، لكنه لا يعرف ذلك الآن» (a95). ولأننا نعرف ما ينتظر سقراط في المستقبل، نقرأ هذه الفقرة ونسمع نغمة الشؤم الخفية فيها.[300]

كانت هناك أحداث تاريخية كبيرة تقع عندما كان أفلاطون يكتب. امتُصت المدن الأيونية، التي كانت سبب الحرب في الحروب الفارسية في القرن الماضي، مرة أخرى في بلاد فارس. كان فيليب المقدوني يزحف بثبات على اليونان. لا شيء من هذا يعطى مساحة في كتابات أفلاطون. بل، توقف الزمن تمامًا في الربع الأخير من القرن الخامس. الحياة كما كانت في تلك الفترة، أيام أوج سقراط، هي ما يعيد أفلاطون إنشاء الجزء الأكبر من الحوارات فيها قبل أن يولد أفلاطون أو عندما كان صبيًا.

أول المحاورات، وفقًا لزمنها الدرامي الداخلي، هي محاورة بارمينيدس، على الرغم من أنها ربما كتبت في وقت متأخر نسبيًا في حياة أفلاطون. تاريخها الداخلي صيف عام 450، وسقراط لا يزال شابًا. آخر المحاورات، وفقًا لزمنها الداخلي، هي محاورة فيدون، التي امتدت إلى لحظات قليلة بعد وفاة سقراط.

لكن الحوارات السبعة التي تزاحمت في ربيع وصيف 399 بالتحديد هي التي تكشف عن كيفية عمل دراما موت سقراط في المشروع الفلسفي المستمر لحياة أفلاطون. يقدم أفلاطون سقراط على أنه يحافظ دائمًا على مسافة معينة من الأزمة

(300) . وبالطبع، من الواضح أيضًا أنه بعد أن جادل في عدم قدرة رجال مثل بريكليس على نقل المعرفة بآريت حتى إلى الأبناء، وبالتالي، ضمنيًا، لمواطني أثينا، يذهب سقراط، في نفس الحوار، إلى إظهار أنه، بالطرق الصحيحة، يمكن استخلاص المعرفة بالرياضيات من عبد.

الشخصية التي يجد نفسه فيها. لن يسمح لخلاف مثل محاكمته على جريمة يعاقب عليها بالإعدام تعوق متابعته للموضوعات الفلسفية التي تهمه.[301] إن وضع الدراما الشخصية - الاتهام والإدانة والسجن والإعدام - بحيث تكون مجرد خلفية لمناقشات حول الأسئلة الخالدة مقصود بحد ذاته لإيصال درس أخلاقي. أن تتفكر في كيفية جعل الحياة جديرة بأن تعاش هو أن تنأى بنفسك عن ظروف تلك الحياة قدر الإمكان. أن ترى تلك الحياة في سياق منظور لا يأخذ عوارض تلك الحياة المعينة التي يتصادف أنك تعيشها على محمل الجد. أن تتفلسف هو أن تستعد للموت. أو، لكي تعيش حياتك بالجدية التي تتطلبها الفلسفة، فلا يمكنك أن تأخذ حياتك على محمل الجد. وهذا يعني معنى فلسفيًا جديدًا، مناقض بشكل مذهل، للفكرة اليونانية القديمة القائلة بأن البطل، مثل أخيل، مستعد لاختصار حياته من أجل أن تكون تلك الحياة شيئًا استثنائيًا، أن يحقق آريت.

أول المحاورات التي تدور حول دراما موت سقراط هي ثياتيتوس، وهي محاورة غالبًا ما تُجمع مع محاورات (بالنسبة إلى من يجمعون المحاورات) الفترة الوسطى العقدية القوية لأفلاطون، على الرغم من أنها تنتهي، مثل المحاورات المبكرة، بمأزق aporia. وهي تتعامل مع طبيعة المعرفة وكيف تختلف عن الاعتقاد حتى عندما يكون هذا الاعتقاد صحيحًا. تقع أحداث ثياتيتوس في اليوم الذي يرد فيه سقراط على استدعاء أرشون باسيليوس. قد يكون هذا وقتًا عصيبًا بالنسبة لشخص عادي، ولكن ليس بالنسبة لسقراط، على الأقل كما يقول أفلاطون. اتضح أنه يوم رائع بالنسبة لسقراط لأنه التقى بصبي ممتاز، ثياتيتوس،[302] التلميذ المميز لعالم

(301) . يقدم زينوفون أيضًا سقراط على أنه غير مبال بالخطر المميت الذي كان يواجهه. "والآن سوف أذكر المزيد من الأشياء التي سمعتها من هيرموجينيس، ابن هيبونيكوس، بشأنه. قال إنه حتى بعد أن وضع ميليتوس لائحة الاتهام، كان هو نفسه يسمع سقراط يتحدث ويناقش كل شيء بدلًا من الدعوى الوشيكة، وقد تجرأ ليقترح أنه يجب أن يفكر في خط دفاعه، والذي، في في البداية، أجاب السيد: "ألا يبدو لك أنني كنت أتدرب على ذلك طوال حياتي؟" وعند سؤاله: كيف؟ وأضاف في شرحه أنه قضى أيامه في شيء غير التمييز بين ما هو عادل وما هو غير عادل، وفي فعل الصواب، والامتناع عن الخطأ، وأي سلوك، وأضاف: "أعتبر أرق ممارسة ممكنة. لدفاعي" (التذكارات الثامن، 8-9).

(302) . كان بالفعل ممتازًا. سيصبح من بين علماء الرياضيات الذين استشهد بهم إقليدس في كتابه العناصر. المصادر الأخرى التي استشهد بها إقليدس هم ليون وثيوديوس، وكلاهما كانا رياضيين من

الرياضيات ثيودوروس. يخبر ثيودوروس سقراطَ أنه لا يخجل من مدح ثياتيتوس لأنه لن يشك أحد في أنه مغرم به، لأنه ليس وسيمًا «لكنه - واغفر لي قولي ذلك - يشبهك في أن أنفه أفطس وعيونه بارزة» (e143). يستخدم سقراط أساليبه التوليدية مع ثياتيتوس، لكن لم يكن أي منهما راضيًا تمامًا عن النتائج. (مصطلح «توليدي maieutic» مشتق من الكلمة اليونانية maieutikos، المتعلقة بالقبالة. التوليدية هي الطريقة التربوية التي تحاول استخلاص نتيجة من العقل حيث يقبع كامنًا. وكما يقول لاينتز عن هذه الطريقة فهي عبارة عن استخلاص استنتاجات صحيحة.)

الاستنتاج الذي استخلصه سقراط من ثياتيتوس - أن المعرفة هي اعتقاد حقيقي مدعم بتفسير لسبب صحته، لا يبدو مناسبًا تمامًا بالنسبة لهم. (علماء المعرفة المستقبليين الذين رأوا في محاورة ثياتيتوس لأفلاطون تحليلًا أساسيًا للمعرفة بوصفها «اعتقادًا حقيقيًا مبررًا»، سيقدرون ما حققته هذه المحاورة أكثر مما فعل مؤلفها.) لكن في النهاية، سقراط مستعد لرؤية الجمال في رياضي شاب. إليكم الكلمات الختامية للمحاورة، وهي، جنبًا إلى جنب مع الدراما المؤطرة للحوار، والتي تقول بأن ثياتيتوس، بعدما أصبح رياضيًا محترمًا، قد أصيب بجروح قاتلة في المعركة ثم يُحمل إلى مدينته ليموت، تضفي عاطفة على العمل المعرفي الذي أنجز في ثياتيتوس[303]:

وهكذا، يا ثياتيتوس، إذا حاولت في المستقبل أن تتصور أو نجحت في تصور نظريات أخرى، فستكون أفضل نتيجة لهذا التحقيق. وإذا بقيت عاقرًا، فسوف يجدك رفاقك ألطف وأقل إرهاقًا؛ ستكون متواضعًا ولن تعتقد أنك تعرف ما لا تعرفه. وهذا هو كل ما يمكن أن يحققه فني - لا شيء أكثر من ذلك. أنا لا أعرف أيًا من الأشياء التي يعرفها الرجال الآخرون - الرجال العظماء والملهمون اليوم والأمس. لكن فن القبالة هذا الذي جعله الله من نصيبي أنا

القرن الرابع وقضيا وقتًا في الأكاديمية؛ وأيضًا إيودوكسوس، الذي كان لأفلاطون أيضًا صلات مهمة معه. انظر بورنييت، "أفلاطون حول سبب كون الرياضيات مفيدة للروح."

(303) . تدور أحداث الدراما المؤطرة للحوار في عام 391 (انظر نيلز، شعب أفلاطون، ص 274–278) أي بعد ثماني سنوات من أحداث الدراما الداخلية. المعركة التي أصيب فيها ثياتيتوس بجروح قاتلة كانت خلال حرب كورنثوس. ووفقًا لحسابات نيلز فقد كان يبلغ أربعة وعشرين عامًا، وتشير إلى أن "ثياتيتوس ليس استثناءً للقاعدة القائلة أن علماء الرياضيات ينجزون معظم أعمالهم الإبداعية في سن مبكرة جدًا" (ص 277).

وأمي؛ هي تولد النساء، وأنا أولد الرجال الذين هم شبان كبار الروح؛ كل ما فيه جمال. والآن يجب أن أذهب إلى رواق الملك لأستجيب لدعوى ميليتوس ضدي؛ ولكن لنلتقي هنا مرة أخرى في الصباح، يا ثيودوروس. (b–210d209)

أوطيفرون، وهي إحدى محاورات أفلاطون الأولى وتتعامل مع العلاقة بين الإيمان والأخلاق - وهي قضية لا تزال شائكة بالنسبة لنا اليوم - تحدث في وقت لاحق من نفس اليوم، وهو تاريخ جلسة الاستماع الأولية، وتتكشف أحداثها عندما يكون سقراط في الرواق الملكي، في انتظار دوره للمثول أمام أرشون باسيليوس. غير راغب في إهدار أية فرصة لمناقشة هادفة، دخل في حوار مع كاهن عراف يدعى أوطيفرون، شخصية هزلية لا يمكن اختراق غرورها الكهنوتي. جاء أوطيفرون، الذي عد نفسه خبيرًا في كل الأمور المقدسة، إلى الرواق الملكي لإدانة والده بتهمة القتل لقتله بطريق الخطأ أجيرًا، قتل بدوره عاملًا آخر في نوبة غضب. اندهش سقراط من أن أوطيفرون واثق للغاية من يقينه الأخلاقي لدرجة أنه يتهم والده. (القواعد الأثينية القديمة من الولاء للعائلة تضع أفعال أوطيفرون محل تساؤل). يرد أوطيفرون بقناعة تشي بالمزكين أنفسهم. وعلى الفور يستغل سقراط الفرصة، فيلهو كعادته، ويعلن أن أوطيفرون وحده يمكنه أن ينقذه، في لحظة ضعفه هذه، بإرشاده إلى طبيعة التقوى أو القداسة حتى يتمكن من تقديم نفسه إلى ميليتوس كشخص قد تطهر، على الرغم من أن «ميليتوس، أنا أعتقد، كالبقية، يبدو أنه قد تجاهلك.» مع محاور أصم عن السخرية كصممه عن الدقة الفلسفية، يشرع سقراط أفلاطون في صياغة خط من التفكير سيثبت أنه ذو أهمية بالغة في تاريخ العلمانية، والذي سيلجأ إليه المفكرون الأحرار من سبينوزا إلى برتراند راسل وحتى من يسمون اليوم بالملحدين الجدد، فيجادل بشكل مقنع بأن الإيمان بالآلهة - أو الرب - لا يمكن أن يوفر الأساس الفلسفي للأخلاق.

يبدأ أفلاطون النقاش ببراءة كافية، فيسأل سقراط أوطيفرون، «هل ما هو مقدس



مقدس لأن الآلهة أجازته، أم أنهم أجازوه لأنه مقدس؟» (a10) [304]. يستخدم أفلاطون هذا السؤال لفصل فكرة أن الفعل جاء بأمر من الآلهة عن قيمته الأخلاقية. صيغت الحجة باستخدام مصطلح «الآلهة»، لكن يصلح، أن تستبدل كلمة «الآلهة» بكلمة «الله» دون أن تفقد شيئًا من قوتها. حجة أفلاطون، باختصار، هي: إذا أجاز الله فعلًا ما، فإما أنه أجازه اعتسافًا، لا لسبب على الإطلاق، بحيث تكون إجازته إياه وحدها هي ما يمنحه قيمة أخلاقية؛ أو أن هناك سببًا لإجازته، بحيث لا يكون مجرد نزوة تعسفية من الرب، بل لديه سبب لإجازته، وهذا السبب هو القيمة الأخلاقية المستقلة لما أجازه. إذا كانت الأولى هي الصواب، فكيف تضفي هذه النزوة التعسفية، حتى لو كانت نزوة تعسفية إلهية، قيمة أخلاقية؟ كيف يمكن لشيء ما أن يكون صالحًا لمجرد أن شخصًا ما هناك بالأعلى يجب أن يصفه بالصلاح، في حين أنه، لو كان ميالًا إلى شيء مختلف أو في مزاج مختلف، فيمكنه بسهولة وصف الفعل المعاكس بالصلاح؟ لكن إذا كانت الثانية هي الصواب، فهناك سبب للموقف المعياري الإلهي، وهذا السبب هو سبب الإجازة الإلهية وسبب القيمة الأخلاقية لما أجازه. هذا يجعل إجازة الرب، من الناحية المعيارية، حشوًا - فهو، كما نقول اليوم، ختم روتيني. في كلتا الحالتين - سواء كانت الإجازة تعسفية أم لا - لا تمثل الإجازة من القوى الخارقة أي فرق فيما إذا كان الفعل حقًا صحيحًا أم خاطئًا.

تظل ما يشار إليها باسم «معضلة أوطيفرون» أو«حجة أوطيفرون» إحدى الحجج الأكثر استخدامًا ضد الادعاء بأن الأخلاق لا يمكن إلا أن تقوم على الإيمان بالله، أن الإيمان بالله فقط هو ما يقف بيننا وبين الهاوية الأخلاقية للعدمية.[305] ربما

---

(304) . يدعى هذا بنظام ترقيم ستيفانوس لمحاورات أفلاطون. ويستخدم في الطبعات الحديثة. (المترجم)

(305) . لكلمة "العدمية nihilism " تاريخ مثير للاهتمام. وقد صاغها هاينريش جاكوبي، الذي صاغها في سياق هجومه على التنوير، وخصوصًا هجومه على جميع الفلاسفة لمحاولة تأسيس الحقائق الأخلاقية على المنطق وحده، دون النظر إلى الإيمان بالله. وضع جاكوبي سبينوزا (الذي كان قد مات منذ مائة عام بحلول ذلك الوقت) في مقدمة ومركز هجومه على التنوير. في الواقع، كانت رائعة سبينوزا، كتاب الأخلاق، واحدة من المحاولات الأولى، بعد الفترة الطويلة التي سيطر فيها الفكر المسيحي على أوروبا، للعودة إلى مشروع إقامة الأخلاق على أساس علماني راسخ. راجع "سبينوزا الأديب" في دليل أكسفورد عن سبينوزا، محرر. مايكل ديلا روكا (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، يصدر قريبًا).

يكون دوستويفسكي قد أعلن أنه «إذا لم يكن الرب موجودًا فكل شيء مباح»، لكن رد أفلاطون الاستباقي، الذي أرسل إلينا عبر آلاف السنين، هو أن أي فعل غير مباح أخلاقيًا في وجود الرب هو أيضًا غير مباحٍ أخلاقيًا بدونه، موضحًا مدى ضآلة المساعدة التي تقدمها إضافة الرب في توضيح الموقف الأخلاقي.

الحجة التي قالها أفلاطون على لسان سقراط في أوطيفرون هي واحدة من أهم الحجج في تاريخ الفلسفة الأخلاقية. وعندما توضع جنبا إلى جنب مع ادعاء آخر لأفلاطون، وهو أن عمل الإنسان يكون صالحًا فقط إذا أمكنه تقديم سبب لكونه كذلك، فإن حجة أوطيفرون توضح الحاجة إلى الفلسفة الأخلاقية. يجب علينا نحن البشر أن نستعمل العقل في طريقنا إلى الأخلاق وإلا فلن نصل إلى هناك على الإطلاق. الاعتماد على الأوامر، حتى لو جاءت من الأعلى، لن يسمح لنا بتحقيق فهم للفضيلة. إن أي تقدم في فهمنا الأخلاقي - التقدم الذي يأخذنا، بمرور الوقت، بعيدًا عن أثينا التي تمارس استغلال الرقيق، وذبح الأسرى، وإعدام الفلاسفة، وكراهية النساء، والتي اعتبرت نفسها معيار آريت، سيقوم على الحجة التي طرحها أفلاطون على لسان رجل ينتظر المحاكمة بتهمة الإلحاد وإفساد الشباب.

هذه اللحظة في حياة سقراط، كما وصفها أفلاطون، على درجة من الأهمية تستحق أن نبتعد عنها ونتأملها. وهي على صلة بالسؤال الذي يحوم دائمًا فوق هذا الكتاب، وهو يتتبع مصادر الفلسفة كما نعرفها، أي السؤال عن تقدم الفلسفة. إذا قيم المرء ما فعله الفلاسفة اليونانيون القدماء فقط قياسًا إلى طاليس وشركاه، فسيستنتج المرء بالطبع شيئًا من قبيل أن «الفلسفة كانت مجالًا ذا محتوى، ولكن بعد ذلك أصبحت 'الفلسفة الطبيعية' فيزياء، والفيزياء فقط هي التي واصلت تحقيق التقدم.» لكن هذا يعني أن نركز على نوع واحد فقط من الأسئلة التي طرحها الفلاسفة اليونانيون القدماء على التفكير ذاتي النقد، وهي الأسئلة العلمية الأولية التي انتظرت وصول العلوم كاملة التكوين. يعني أن نتجاهل أسئلة مثل تلك التي جعل أفلاطون سقراط يتحدث بها مع أوطيفرون في رواق أرشون باسيليوس. يعني أن نتجاهل حجة أفلاطون القائلة بأنه بما أن السلطة الدينية لا تستطيع الإجابة على

تلك الأسئلة، فمن الأفضل أن نعمل على صياغة الأسباب التي تجعل الأفعال الصحيحة صحيحة والأفعال الخاطئة خاطئة. يعني أن نتجاهل العمل الذي أُنجز منذ ذلك الحين، ليس فقط فيما يتعلق الأسئلة المعيارية للأخلاق ولكن أيضًا بشأن الأسئلة المعيارية لنظرية المعرفة، وهو العمل الضروري لنتمكن من الحديث عن العقلانية بأي شكل. يعني أن نتجاهل الاستنتاجات التي يلجأ إليها بكل حرية الساخرون من الفلسفة أنفسهم، وبخاصة عندما يتحدثون باسم العقلانية.

عندما يكون الساخرون من الفلسفة علماء، فإن سخريتهم غالبًا ما تكون من الدين والفلسفة. عادة، لا يفرقون بين الفلسفة واللاهوت. كل ما هو ليس علمًا هو فلسفة / لاهوت. لورنس كراوس، الذي ما زلت أذكره فقط لأنه صاغ بشكل ملائم وجهة نظر يشترك فيها العديد من العلماء، يجمع الفلاسفة وعلماء الدين معًا. يجب أن يتوقف هؤلاء الساخرون ويتأملوا في هذه اللحظة من محاورة أوطيفرون. يدعي أفلاطون بأن الأسئلة الأخلاقية لا يمكن الإجابة عنها إلا عن طريق الفكر البشري، دون مدخلات دينية، وهذا استنتاج يفصل الفلسفة عن اللاهوت بشكل جذري. إنه لمن المفارقات أن يجمع مفكرون أحرار مثل كراوس الفلسفة واللاهوت معًا. جاء التنوير عندما عاد فلاسفة مثل باروخ سبينوزا إلى مهمة تأسيس الأخلاق على التفكير العلماني البحت، وهو المشروع الذي قاطعته قرون من الأيديولوجية اللاهوتية. وضح سبينوزا هدفه عندما أطلق على أعظم إبداعاته عنوان الأخلاق. كان هذا لاستئناف العمل الذي بدأه سقراط أفلاطون، هناك في رواق أرشون باسيليوس.

بالتأكيد لم يؤد أفلاطون كل العمل المطلوب للإجابة عن الأسئلة التي طرحها. إنه يزعم فقط، على الأقل هنا في أوطيفرون، بأنها مهمة التفكير البشري وليس الآلهة. أرسطو، الذي طور الفلسفة الأخلاقية بشكل كبير، لم يؤد كل العمل أيضًا. لم يتوصلوا إلى إجابات نهائية لأسئلتهم مثلما لم يتوصل طاليس وشركاه لإجابات عن أسئلتهم في الفيزياء وعلم الكونيات. إحراز تقدم في أحد المجالين بنفس صعوبة التقدم في الآخر، وإن كان لأسباب مختلفة تمامًا. التقدم في الفلسفة صعب لنفس السبب الذي يجعل تقدم الفلسفة، بمجرد إحرازه، غير مرئي. المطلوب تغييره

لإحراز تقدم هو القناعات التي تشكل وجهات النظر. ومن الصعب اكتشاف هذه القناعات - لأنها مشمولة في وجهات نظرنا - وبمجرد أن نستوعب التغييرات، من الصعب رؤية أن أي شيء قد تغير. وبما أن التقدم في الفلسفة صعب مثل التقدم في العلوم، فمن غير المعقول أن نتوقع من رجل واحد - أو جيل واحد، أو ألفية واحدة - أن يؤدي كل المطلوب.

وبالطبع، بالرغم من حجة أوطيفرون، تمكنت السلطات الدينية من احتكار النقاش الأخلاقي لآلاف السنين، وقاطعت مؤقتًا العمل الذي كان أفلاطون يقول إنه يجب القيام به حتى نبدأ في اكتساب المعرفة التي نحتاجها. هذا لا يعني أن أفلاطون نفسه لا يحترم الدين، وخاصة قوته في إبقاء الجماهير غير المتفلسفة على الطريق القويم. يحتاج المرء فقط إلى قراءة الكتاب العاشر المخيف من محاورة القوانين، والذي يقترب فيه بشكل خطير من جعل التفكير الحر غير قانوني، ليعرف مدى أهمية الدين للاستقرار الاجتماعي في حكمه. لا يمكن أن نتوقع من الجماهير غير المتفلسفة أن تفهم المنطق الدقيق المطلوب، وبالنسبة لهم هناك الدين فقط، أو هكذا يبدو أنه استنتج في السنوات الأخيرة من حياته.

على الرغم من أن أفلاطون كان متفائلًا بإمكانية تحقيق الأخلاق على أساس المعرفة، إلا أنه لم يكن متفائلًا بشأن عدد من يمكنهم تحقيق ذلك. ولا عجب، لأن مفهومه عن التميز الأخلاقي – عن آريت التي تستحق أن نسعى لها – يتطلب في النهاية استيعاب تميز الكون في الذات، أن يصبح جزءًا من تكوين الفرد الأخلاقي والفكري. لكي يحيا المرء حياة تستحق أن يعيشها، يجب أن يكون قادرًا على فهم واستيعاب الخير الذي يجعل الكون مستحقًا للوجود. يجب على المرء أن يدمج التناسب الجميل لطبيعة الكون المادي في طبيعته الأخلاقية، وعندها، عندها فقط، سيرى المرء نفسه قياسًا إلى كل شيء آخر - وكل أحد آخر – من المنظور الصحيح، وتُصحح تشوهات الكهف. هذه ليست عملية متجردة. شدد أفلاطون دائمًا على مقدار الحب الذي تنطوي عليه هذه العملية. لكن حب من النوع غير الشخصي، وليس حب الأشخاص، هو ما يصلح كيان المرء الأخلاقي. كان أفلاطون سيوافق

على هذه الفقرة من كتاب الأخلاق لسبينوزا: «لذلك، بدون الذكاء، لا توجد حياة عقلانية: وتكون الأشياء جيدة فقط، بقدر ما تساعد الإنسان في التمتع بالحياة الفكرية، التي يحددها الذكاء. وعلى النقيض، فإن أي شيء يعوق إكمال الإنسان لعقله وقدرته على الاستمتاع بالحياة العقلانية، يسمى وحده شرًا» (الملحق، الجزء الرابع، V). عند هؤلاء الفلاسفة، تمر الأخلاق بالضرورة من خلال أعنف التضاريس الفكرية، وهذا طريق - لا أعتقد أنهم سعداء بذلك بشكل خاص - لا يستطيع إلا القليل اتباعه. أعتقد أن أفلاطون - وسبينوزا - كانا يتمنيان غير ذلك، لكن هذه هي الحال. لا يعمل الواقع وفق أمانينا. لكن بالنظر إلى رأيه في كيفية تحقيق المنظور الأخلاقي، فليس من المستغرب أن أفلاطون لم يكن متفائلًا بإحراز تقدم شامل في تحقيقه.

يقف أفلاطون في بداية عملية النقد الذاتي لاستخلاصنا قناعاتنا الأخلاقية. لقد بالغ في تقدير الدور الأحادي الجانب للمنطق الأخلاقي، وقلل من أهمية دور العواطف الأخلاقية، إحساسنا بالعدالة، وقدرتنا على التعاطف. لم يكن بإمكانه أن يعرف كيف يمكن للحجج الأخلاقية والعواطف الأخلاقية، جنبًا إلى جنب مع الحركات الاجتماعية والتحريض السياسي، أن تتحد معًا بطرق معقدة أوصلتنا ببطء وبغير نظام إلى ما وصلنا إليه اليوم، وهذه بالطبع ليس نهاية العملية. هناك، حيث كان يقف، في البداية، لم يكن بإمكانه توقع كيفية سير أحداث الحياة الأخلاقية للأجيال المتعاقبة، ولا كيفية سيرها المستمرة حتى الآن...

وهذه هي الطريقة التي يقدم بها أفلاطون سقراط وهو يسلي نفسه قبل الذهاب للقاء المدعي عليه. يقيم أفلاطون اثنتين من محاوراته المتأخرة، السفسطائي ورجل الدولة، في اليوم التالي مباشرة. كان سقراط قد افترق عن ثيودوروس وثياتيتوس في اليوم السابق، كما ورد في ثياتيتوس، على وعد أنهما سيلتقيان غدًا لمواصلة استكشافهما لطبيعة المعرفة (d210).

تبدأ محاورة السفسطائي بحضور ثيودوروس وثياتيتوس وسقراط إلى ذلك

الموعد (216a). إنه صباح اليوم التالي لما كان يمكن أن يصبح، بالنسبة لأي شخص آخر، إحباط المثول أمام أرشون باسيليوس، الذي حكم بأن القضية التي رفعها ميليتوس جديرة بالعرض على المحكمة. لكن لا يوجد أي ذكر للحدث. نحن، القراء، من نضيف المعلومات المفقودة لأننا نعرف ترتيب الدراما الداخلية لمحاورات ثياتيتوس وأوطيفرون والسفسطائي.

حتى مجادلٌ لا يعرف الكلل مثل سقراط قد يشعر بوطأة العمر بعد ما كان بلا شك استعراضًا محبطًا للوعظ الأخلاقي غير الصادق من جانب ميليتوس (الذي سيظهر، في الدفاع، كمثل هذا الواعظ بالضبط)، فوق الوعظ الذي يخلط بين الأخلاق واللاهوت من جانب أوطيفرون. هذا قدر كبير من الوعظ الأخلاقي السيئ يفوق قدرة شخص مثل سقراط على الاستيعاب، وربما تركه يشعر بعسر هضم فلسفي. أو ربما يكون هناك تفسير آخر للشيء الغريب الذي ذهب إليه أفلاطون في السفسطائي، وكرره في رجل الدولة، وهو جعل سقراط يخرج من النقاش الفلسفي لصالح رجل أصغر سنًا، وهو الموهوب في الرياضيات ثياتيتوس، الذي كان قد أعجبه كثيرًا في اليوم السابق، وفقًا للتسلسل الزمني الداخلي للحوارات. وهناك شخص آخر يُلقى في غمرة الأحداث الفلسفية أيضًا. أحضر ثيودوروس ضيفًا، يُشار إليه بالغريب، وهو مواطن من إيليا وأحد أتباع بارمينيدس، الميتافيزيقي العظيم الذي جعله أفلاطون، في محاورة بارمينيدس، يناقش سقراط الأصغر سنًا، والذي تفوق عليه فلسفيًا. لكن هنا يذهب أفلاطون إلى أبعد من ذلك في إبعاد سقراط الكواليس الفلسفية: «إذًا يمكنك اختيار أي رفيق تحب»، هكذا قال سقراط للغريب. «سيتبعونك كلهم ويردون عليك برفق. لكن إن أردت نصيحتي، فاختر أحد الرجال الأصغر سنًا – ثياتيتوس هنا أو أي شخص آخر قد تفضله». لذا فإن الغريب وثياتيتوس هما اللذان يبحثان مفاهيم الوجود والعدم، ومسألة الواحد والكثير، وفي النهاية يحاولان حل مشكلة كيف يمكننا أن نتحدث بوضوح عن شيء غير موجود. حدس أفلاطون يخبره أن هذه مشكلة فنية. وكان على حق. نقلت عن جوتلوب فريجه في الفصل ألفا α باعتباره منطقيًا ذا ميول أفلاطونية قوية. أدت

التطورات في المنطق الرياضي التي أنتجها إلى زيادة حدة المشكلات - والخلافات - التي لا تزال قائمة حول البناء المنطقي للعبارات التي تحتوي على مصطلحات غير مرجعية، مثل «القيصر الحالي لروسيا»، «أكبر عدد أولي»، أو «الأعضاء الليبراليون الحاليون في الحزب الجمهوري.»

لقد كانا يومان مزدحمان بالنسبة لسقراط أفلاطون، شملا لقاء رياضيٌّ شاب رائع وصياغة الأسئلة الأساسية لنظرية المعرفة معه، ومحاولة جعل كاهن عراف يرى كيف أنه لا يمكن أن تستند النظرية الأخلاقية إلى الاختيارات الإلهية المعتسفة؛ ومواجهة أولية مع من يتهمونه الإلحاد وإفساد الشباب؛ تلتها جولة طويلة من الميتافيزيقا الثقيلة وفلسفة اللغة. لكن أفلاطون لا يزال غير مستعد لجعل سقراط يستلقي ويسترخي. لا تزال هناك رجل الدولة.

يضيف أفلاطون إلى الجمع في محاورة السفسطائي غير سقراط، وثيودوروس، وثياتيتوس، والغريب الإيلي، شخصًا آخر للانضمام إلى مهمة التعريف الديالكتيكي لرجل الدولة. شاب لطيف ذا اسم مفاجئ، سقراط، يشار إليه طوال الحوار باسم سقراط الأصغر. (كان حاضرًا، وإن لم يتكلم، أثناء النقاش في كل من ثياتيتوس والسفسطائي).

المشكلة المنهجية التي تهم في كل من السفسطائي ورجل الدولة هي مشكلة تحديد الموضع الذي يجب عنده الفصل بين المفاهيم. لذلك، على الرغم من أن محاورة رجل الدولة تهتم في النهاية بنوع الشخص الأنسب للحكم، ونوع المعرفة المطلوب أن يمتلكها، فهي أيضًا مكرسة بوعي ذاتي للمنهجية. تحت إشراف الغريب، يواصل الشابان، ثياتيتوس وسقراط الأصغر، المناقشة الديالكتيكية، وقد سماهما سقراط بديلين جديرين مع ملاحظة غريبة وهي أن ثياتيتوس يشبه سقراط جسديًا وأن سقراط الأصغر يحمل اسمه (d257). ينجح الإعداد الزمني للمحاورة في الإبقاء على دراما موت سقراط في الإطار، حتى عندما يتقاعد سقراط فجأة كشخصية، فإن أضعف أوجه التشابه مع شخصه - قبحه، اسمه - تقدم كمبررات لجعل آخرين

يأخذون مكانه. هل يقترح أفلاطون، الذي يختبر تقنيات فلسفية مختلفة، أن بعضها مناسب لنوع معين من المشاكل، والبعض الآخر لمشاكل أخرى، لكن لا شيء إلزامي؟ هذا تفسير لتهميش سقراط اقترحه البعض. أم أن نوعًا آخر من الإلزامي هو ما ينكره أفلاطون هنا؟ لا أحد لا يمكن الاستغناء عنه في الفلسفة. لقد بدأت العملية، وستفوق وتتطور أبعد مما يستطيعه أي فيلسوف واحد، مهما كان استثنائيًا. العملية قبل الأشخاص. لا ينبغي أبدًا حصر حب الفلسفة في حب فيلسوف معين، لأن هذا الحب سيتدهور بعد ذلك إلى تأويلات العقيدة، ويصبح طريقة أخرى، وإن كانت معقدة، لكي يصبح تفكيرنا بلا تفكير، ثم نجد أنفسنا مرة أخرى داخل الكهف، مقيدين بالسلاسل مع زملائنا المتعلمين، نحدق في عروض باور بوينت بدلًا من ظلال الدمى في كهف أفلاطون. تقدم تقني، لكننا ما زلنا في الظلام. ولا يزال ثمة خطر بين الفلاسفة المحترفين أن بعض الذين كرسوا حياتهم للتنقيب عن أنماط بعض الشخصيات الثقيلة المختارة – مثل كانط، أو فتجنشتاين، أو هايدجر – لا يمكنهم تحمل أي إشارة إلى الشخص المختار لم يحقق، بمفرده، إتمام الفلسفة. ربما يحذرنا أفلاطون هنا من هذا الاتجاه، بإحالته للتقاعد دون حفاوة المفكر الذي أصبح مرتبطًا بالمحاورات الأفلاطونية لدرجة أنه من المستحيل الآن فصل سقراط أفلاطون عن سقراط التاريخي. هذه المرة كان أفلاطون، وليس الأثينيين، هو من حكم أن سقراط يجب أن يموت.

المحاورات الثلاث المتبقية من السبع المزدحمة في صيف عام 399 هي الدفاع، والتي تذكر دفاع سقراط في محاكمته؛ أقريطون، التي تعرض لنا سقراط في السجن، قبل يوم أو يومين من النهاية، حيث يزوره في منتصف الليل صديق طفولته، الذاهل، والأرِق، أقريطون، الذي رتب لهروب سقراط وكان عليه فقط إقناع سقراط بتحدي قوانين مدينته والفرار بجلده، وهو ما رفض فعله، على أساس حجة فلسفية بالطبع؛ وفيدون، التي تعطينا محادثة استمرت يومًا كاملًا في اليوم الأخير من حياة سقراط، بالإضافة إلى وصف موته.

تقدم فيدون سقراط في محادثة مع أصدقائه، معظمهم من الشباب، رغم وجود

أقريطون المخلص الحزين، وكذلك أبولودوروس، وهو شخصية أخرى مثيرة للاهتمام. كان أبولودوروس رجل أعمال ناجحًا لكنه ترك أعماله ليتبع سقراط في السنوات القليلة الأخيرة من حياة الفيلسوف. يصفه زينوفون بأنه أحد أولئك الذين لم يبرحوا جانب سقراط أبدًا، ويبدو أنه اشتهر بأنه غريب الأطوار. وهو راوي الندوة، حيث يروي روايته غير المباشرة عن الحفلة البعيدة - يذكر أنه في وقت الأحداث المذكورة كان مجرد صبي - لصديق لم يذكر اسمه، يشير عند نقطة ما إلى أبولودوروس بلقبه «المجنون». أبولودوروس شخص عاطفي بوضوح، كما يظهر في فيدون، غير قادر على التوقف عن البكاء طوال المحاورة بأكملها (d117).

وإذ يصل المريدون قبل الفجر إلى زنزانة سجن سقراط، تُطرد زوجته المنتحبة، وطفلها على ركبتها، من الغرفة. «نظر سقراط إلى أقريطون. ثم قال، أقريطون، من الأفضل أن يأخذها شخص ما إلى المنزل» (a60). كزوجة رجل سيموت قريبًا، كان الأنسب لها، حسب العادة، أن تقود المعزين، لكن سقراط لن يتوب في هذا التوقيت عن الأتوبيا، غرابته، بمعنى أن ما يناسب للآخرين لا يناسبه. (لكن هل أبعد سقراط حقًا زنتيب وابنه بهدوء شديد، أم أنها فكرة أفلاطون عن الكيفية التي ينظر بها الفيلسوف إلى المشاعر التقليدية للحياة الأسرية؟) والصواب طبعًا ألا يحرم سقراط من سعادته قبل أن يشرب كوب الشوكران - وهذه المتعة هي، بالطبع، مناقشة فلسفية، كما توقعت زنتيب، بصفتها زوجة مطّلعة، فقالت عندما جاء أصدقاؤه واحتشدوا أن هذه آخر فرصة ستتاح لهم ليناقشوا الفلسفة.

الموضوع الفلسفي، في تلك المناسبة، هو السؤال الذي جاء في حينه عن خلود الروح. هل هناك أسباب للاعتقاد بأن الإنسان يمكن أن ينجو بعد موته؟ «أعتقد أنه بالنسبة لمن سيغادر هذا العالم قريبًا، ليس هناك شاغل أكثر ملاءمة من السؤال عن وجهات نظرنا حول الحياة المستقبلية، ومحاولة تخيل شكلها. ما عسى المرء أن يفعل قبل الغروب؟» يجعل أفلاطون سقراط يتساءل في تورية شاعرية تحمل معنيين.

تصنف محاورتي الدفاع وأقريطون حسب التسلسل الزمني على أنهما قريبتان من

بداية مهنة أفلاطون في الكتابة، هذا عند من يؤيدون هذا التصنيف بأي شكل. في الواقع، غالبًا ما يُنظر إلى الدفاع على أنها أولى محاورات أفلاطون، ويزعم البعض أنها الأدق تاريخيًا بينها. حضر الكثيرون محاكمة سقراط في ذلك اليوم عام 399 وكانوا يعرفون بأنفسهم ما قاله سقراط في دفاعه غير المجدي، لذلك ربما لم يبتعد أفلاطون كثيرًا عن الوقائع التاريخية.[306]

في المقابل، كُتبت فيدون لاحقًا، والآراء والحجج التي قدمها أفلاطون على لسان سقراط حول موضوع خلود الروح لا تعتمد فقط على المواقف المزاجية التي تميز، ربما، أفلاطون أكثر من سقراط – على سبيل المثال، الكراهية الملحوظة للجسد – ولكن أيضًا على الأفكار الميتافيزيقية والمعرفية التي ربما استكشفها أفلاطون بمفرده، مثل نظرية المُثُل. لذلك، مثلًا، هناك حجة تناشد نظرية المُثُل ونظرية أفلاطون عن المعرفة كتذكر (anamnesis) لتلك المُثُل: نظرًا لأنه لا يمكن لأي من تجاربنا المجسدة في هذا العالم أن تزودنا بمعرفة المطلق التي تمنحنا إياها معرفة المُثُل؛ وبما أن كل شيء نختبره في هذه الحياة محكوم بأن يكون قاصرًا عن الكمال، الذي يجب علينا رغم ذلك أن نعرفه، حتى لو كان ذلك فقط لنحكم على كل الأشياء في هذا العالم بأنها قاصرة عن الكمال؛ فإن النتيجة هي أننا بالتأكيد قد عرفنا هذه المُثُل، والتي تعتبر تفاصيلها «نسخًا غير كاملة فقط» (b75)، في وجود سابق غير مجسد (c75). إذًا، إذا كان هناك وجود ذاتي قبل أن نولد في هذه الحياة المجسدة، ما يؤسس للاحتمال الميتافيزيقي للوجود غير المجسد، فما يمنع من الوجود الذاتي بعد خروجنا من هذه الحياة المجسدة؟ لا يزال هناك جدل حول مدى التزام أفلاطون بفرضية الخلود، على الرغم من أنها أصبحت حجر الزاوية للأفلاطونية المسيحية. وهذه هي المحاورة التي يستكشف فيها بأكبر قدر من الدقة أسباب قبول الفرضية، ولا يُنهي المحاورة بتأييد قاطعٍ لها. لكن لا يزال هناك جدل حول ما إذا كان أفلاطون يؤيد أية فرضيات

(306) . أو ربما ابتعد. يختلف وصف زينوفون لمحاكمة سقراط في العديد من النواحي المهمة عن وصف أفلاطون، ويبدو أنه كانت هناك روايات أخرى عن محاكمة سقراط قيد التداول. نظرًا لأن جزءًا من الأساس المنطقي لأدب الدفاع السقراطي كان الانشغال بتأثير الفكرة على المدى الطويل، وليس سجلًا صحفيًا لما حدث، فإن الدقة التاريخية لمحاورة الدفاع لأفلاطون هي مسألة جدال مستمر.

وجودية، أو حتى يؤيد تأييد الفرضيات. [307]

من الأمور ذات الصلة أيضًا في تمييز سقراط التاريخي من سقراط الذي يظهر في محاورة فيدون لأفلاطون، هي النبرة الفيثاغورية القوية التي استمرت طوال الحوار. جمعت الطائفة التي أحاطت بالعراف فيثاغورس (الذي توفي عام 495 قبل الميلاد) بين الرياضيات والروحانية الغيبية، بما في ذلك الإيمان بتناسخ الأرواح. بعد إعدام سقراط، ترك أفلاطون أثينا لعشر سنوات - ربما بسبب النفور من مدينته أو بدافع الشعور بالخطر - وقضى بعض الوقت في المجتمعات الفيثاغورية في جنوب إيطاليا. كانت نظرة الفيثاغورية إلى هذه الحياة الأرضية أنها فرصة لتطهير الروح حتى تتحرر من عجلة الولادة والبعث التي لا تكف عن الدوران، تمثل فيها الرياضيات - التي لا تزال تقدم للكثيرين إلماعات إلى الأبدية - الثقب الدودي للهروب. الفيثاغورية التي تعرض لها أفلاطون، في السنوات التي تلت وفاة سقراط، أبعدته أكثر عن سقراط. فتأثر بشكل عميق بالبديهة الفيثاغورية القائلة بأن الصيغة التي تجعل الواقع مفهومًا تأتي من النسب الرياضية، وأعطته في النهاية مفهومه عن الجديلة السامية والوسائل لإتمام بحث سقراط عن المعرفة التي هي أيضًا فضيلة.

هناك إشارات إلى فيثاغورس في مواضع كثيرة من فيدون. اثنان من أكثر المشاركين نشاطًا في المحاورة، وهما العاشقان سيمياس وسيبيس، تربطهما علاقات مع المجتمعات الفيثاغورية. كذلك يُذكر الميل نحو الفيثاغورية في القصة المؤطرة:

(307) . من المثير للاهتمام، أن روبي بلونديل، التي تجادل بقوة وإقناع كبيرين بأنه من "الخطأ المنهجي الأساسي" افتراض أو حتى الاستدلال على "التساوي بين أي من شخصيات أفلاطون وصوت المؤلف"، وبالتالي يجب أن نكون حذرين للغاية من نسبة أي مذهب لأفلاطون، ترى أنه من الصعب عدم الاعتقاد بأن أفلاطون نفسه كان يؤمن بخلود الروح "في شكل ما أو مثال". بلونديل، مسرحية الشخصيات في محاورات أفلاطون، ص. 18. أعترف أنني لا أجد صعوبة في التساؤل عما إذا كان أفلاطون يؤمن بخلود الروح. فكرة هويتنا الشخصية المتجذرة في "شيء" يمكنه أن ينجو من موت الجسد كانت عقيدة أتباع فيثاغورس، وقد تعاطف معها أفلاطون في مساحة من فيدون، فضلًا عن استخدامها كعنصر في العديد من "أساطيره." لكن هناك وجهة نظر مناقضة عن الهوية الشخصية - واحتمالات الخلود الذاتي (أو عدمها) - يمكن قراءتها عند أفلاطون، وهي وجهة نظر تجعله أقرب بكثير إلى روحه اليونانية منه إلى المسيحية التي ستأتي، أي أن بلوغنا الاستثنائي - بالنسبة لأفلاطون، عن طريق العقل - في هذه الحياة محتومة الفناء هو ما يسمح لنا بأي مشاركة ممكنة في الخلود. سأتناول هذه الفكرة في باقي الفصل.

مرت أسابيع أو شهور على إعدام سقراط. فيدون، أحد أتباع سقراط من الشباب، يروي قصة موت سقراط إلى أشكراتس من فيلوس، وهو فيثاغوري. كانت فليوس، التي تقع بين أثينا وإليا، أحد الملاجئ التي هرب إليها الرياضيون المتصوفون الفيثاغوريون بعد تدمير مستوطنتهم الأصلية في كروتون، حيث كانوا ناشطين سياسيًا. كان نشاطهم السياسي هو ما أثار المشكلات، مما تسبب في مقتل فيثاغورس العجوز والعديد من أتباعه.

لا يخبرنا أفلاطون بخلفية الشخصية التي تحمل اسم محاورة فيدون. وفقًا لديوجين، الذي سمع القصة من هيرونيموس الكاردي، كان فيدون أرستقراطيًا سابقًا من إليا، أُحضر إلى أثينا كأسير وبيع ليكون عبدًا في أحط أنواع العبودية، ليكون مأبونًا. وفقًا للمصدر نفسه، كان سقراط هو من ناشد أقريطون، الرجل الثري، لشراء حرية الصبي. استخلص الكتاب المسيحيون، اعتمادًا على ديوجين، دروسًا أخلاقية من إصلاح فيدون، ولكن من نافلة القول إن هناك جدلًا حول ما إذا كنا نستطيع الوثوق بكلام ديوجين عن فيدون.(308) أثناء الحوار، مسح سقراط وهو شارد الذهن على شعر فيدون (b89)، الذي يُفترض أنه كان يطيله على غرار الإسبرطيين.

يعطي فيدون أشكراتس الفيثاغوري سردًا كاملًا لساعات سقراط الأخيرة. يبدأ بدخول فيدون، مع مجموعة من المريدين الآخرين، إلى زنزانة السجن لرؤية سقراط وقد «تحرر للتو من قيوده» (e59)، يمهد هذا الطريق للتصوير المجازي للموت على أنه تحرير للروح من «أغلال الجسد» (d67). وهو مفهوم فيثاغوري للغاية. الانتقاص الشديد من الجسد، ووصفه بأنه «تلوث» (b66) والذي من أجله تصبح تنقية الروح أمرًا ضروريًا، هو جانب من جوانب الفيثاغورية التي استعرضها

(308) . في كتاب "فهدون وسقراط وزمن الحرب الإسبرطية مع إيليا." يقول إي. آي. مكوين وكريستوفر ج. رو أن القصة على الأقل – كما هو مختلف فيه – ممكنة. لأنه كانت هناك حرب بين إسبرطة وإيليا، ثم أصبحت أثينا طرفًا فيها. ربما كانت هزيمة إيليا هي المناسبة التي أصبح فيها فيدون أسيرًا وبيع إلى ماخور في أثينا. يذكر ديوجين أيضًا أن فيدون أسس مدرسة سقراطية للفلسفة في موطنه إيليا. ويستشهد بثمانية عناوين كتبها فيدون، إلا أن أيًا منها لم يبق.

أفلاطون في فيدون، والتي تمتلئ بالاشمئزاز من الجسد السابق للمسيحية. أفضل ما يمكن أن توفره هذه الحياة هو الانفصال عن الجسد. وهذا ما تمثله الفلسفة، أن تقوي صلاتنا بالمجرد وغير الشخصي (a64). في حين أنه في المحاورات الأخرى يمكن النظر إلى المجرد كجزء داخل في بنية هذا العالم، فهو حالٌ فيه وليس متسامٍ عليه - وهذا صحيح على الأخص في طيماوس، ويمكن قراءته في محاورات أخرى، بما في ذلك الجمهورية - يبدو أن فيدون تأخذ المجرد إلى مكان آخر، بعيدًا عن المكان والزمان، تستطيع فيه ذواتنا الأفضل بميلها للمجرد أن ترتاح، بعد أن يتحقق الانفصال النهائي عن أجسادنا. هذا هو مفهوم الخلود الذي استوعبته الرؤى المسيحية للسماء.

فيدون، العبد السابق والمأبون، هو الراوي المناسب للمحاورة التي تصور الموت على أنه عتق وتنقية. يلعب دور مريم المجدلية لسقراط الذي يمثل يسوع. يشير أفلاطون إلى أن فيدون يذكر أن أفلاطون لم يكن حاضرًا في هذه المحادثة الأخيرة (b59)، الأمر الذي قرأته دائمًا كخطوة من جانب أفلاطون لإبعاد نفسه عن الموقف الذي يجري بحثه، وعن جدال سقراط التجريبي في تأكيد الخلود.[309] بعبارة أخرى، أنا لا أعتقد أن أفلاطون كان ملتزمًا بخلود الروح بثقة من يقول إن الجنة هناك تنتظرنا. كان اقتراحًا آخر هو ما طرحه أفلاطون على الطاولة لبحثه، وكالعادة، أعد المشهد بعناية. سقراط بمرحه وموضوعيته،[310] يواجه تجربة تحدث مرة واحدة في العمر، وفي مزاج ليسير مع فرضية فيثاغورس بالحياة بعد الموت إلى آخر المدى، لكن في كلتا الحالتين – الحياة بعد الموت من عدمها – فقد وطن نفسه على النهاية. لكن الأفلاطونيين المسيحيين، بدءًا من القرن الرابع الميلادي، تمسّكوا بفيدون بوصفها وجهة نظر أفلاطون الصادقة تجاه الرب، ومن خلالهم مُنحت عقيدة خلود الروح

(309) . يستخدم أفلاطون هذه الرؤية لروح قادرة على النجاة من موت جسدها في العديد من أساطيره، بما في ذلك الأساطير التي أنهى بها محاورات الجمهورية وجورجياس.

(310) . مات صديقي المحبوب - عالم الرياضيات بوب أوسرمان - مؤخرًا. عندما اجتمعت عائلته وأصدقاؤه حوله، قال، "حسنًا، هذا أطرف شيء فعلته!" مات بوب بنفس الروح التي مات بها سقراط أفلاطون، بنفس النوع من الهدوء المبتهج.

حياة أُخروية طويلة.

في محاورات أخرى، وخاصة محاورة طيماوس، اقترح نوعًا أضعف من الخلود. بقدر ما نتمثل في أنفسنا، بمعرفة وحب، الحق والجمال والخير، بقدر ما نحقق نوعًا من الخلود. وهو خلود غير شخصي مثل المعرفة الحقيقية. في الواقع، إنه شيء لا أكثر ولا أقل من الحكمة، تلك الحالة من الوجود التي تدمج معًا معرفة وحب الوجود. إنه شكل غير شخصي من الخلود، بمعنى أنه لا يقدم أي وعد بأن شيئًا شخصيًا فريدًا - ذات المرء، التي تحمل ذكرياته ومواقفه - سوف ينجو بعد موت الجسد. في طيماوس ليس هناك التماس لروح بلا جسد كما هي الحال في فيدون.[311] أما هذا النوع من الخلود الذي يمكننا تحقيقه لا ينفي فناءنا. نحن خالدون فقط إلى الحد الذي نفقد فيه أنفسنا في معرفة الواقع، فنترك سموه يغمرنا. نحن خالدون فقط إلى الحد الذي نسمح فيه لأنفسنا بأن تجد مسوغاتها من خلال العقلانية الوجودية السامية، فنرتب عملياتنا في التفكير والرغبة والتصرف وفقًا للنسب المثالية المتحققة في الكون. عندها، وبينما نعيش في هذه الحياة، تحت هيئة الخلود sub specie aeternitatis، كما قال سبينوزا، فإننا نوسع محدوديتنا لتشمل أكبر قدر نستطيعه من اللامحدود. أو كما قال أفلاطون في طيماوس:

لذلك إذا انغمس الرجل في شهواته أو طموحاته وبذل جهدًا كبيرًا لإرضائها، فلا بد أن تصبح كل أفكاره مجرد أفكار فانية. ولأنه من السهل على الإنسان أن يصبح فانيًا تمامًا، فلا يسعه إلا أن ينجح في ذلك بالكامل، وبذلك يكون قد زرع فناءه طوال الطريق. من ناحية أخرى، إذا كان الرجل قد كرس نفسه بجدية لحب التعلم والحكمة الحقيقية، وإذا كان قد جعل هذه الجوانب من نفسه مقدمة على كل شيء، فلا يمكن بأي وسيلة على الإطلاق أن تفشل أفكاره في أن تكون خالدة، وبقدر ما هو متاح للإنسان أن يكون خالدًا فلا يمكنه أن يفشل بأي حال من الأحوال في تحقيق ذلك؛ وعندما يعتني دائمًا بالجزء الإلهي بداخله، ويحافظ على حسن تنظيم الروح المرشدة التي تعيش بداخله، فسيصبح بالتأكيد سعيدًا للغاية. وليس هناك سوى

(311) . تماشيًا مع رؤيتها "للخلود ضعيف"، تقترح محاورة طيماوس نظرة غير ثنائية للنفس البشرية. فتفكيرنا ليس ناتجًا من "النخاع" الموجود داخل رؤوسنا فحسب، لكن يمكن حتى أن تكون شخصياتنا الأخلاقية موجودة هناك (طيماوس 86d–c. انظر الفصل إيوتا I أدناه.)

طريقة واحدة للعناية بأي شيء، وهي توفير الغذاء والحركة المناسبة له. والحركات التي لها صلة بالجزء الإلهي بداخلنا هي فكر وثورات الكون. (90a–b)

فكرة الخلود الذي يمكن أن يتحقق خلال حياتنا الفانية (دون أمل) تختلف تمامًا عن الاحتمال الذي تبحثه محاورة فيدون. إنها أبعد عن المسيحية وأقرب إلى اليونان. تمامًا كما كانت روح الاستثنائي السابقة للفلسفة، ما نفعله في حياتنا في الوقت القصير الذي مُنحناه هو وحده ما يمكن أن يوسع حياتنا – ليس إلى الخارج في الزمن الأبدي ولكن إلى شيء استثنائي و «شبيه بالآلهة»، وهذا هو كل الخلود الذي يمكننا نحن الفانون أن نعرفه. إنها ليس من خلال «الشهرة السمعية» عندما تنتشر كليوس على نطاق واسع نصبح قادرين على تحقيق هذا الشكل من الخلود. بل من خلال اشباع حياتنا، بينما لا نزال نحياها، باللامحدود، محدوديتنا تصبح «لامحدودة» باتساع الجمال خارج أنفسنا، مما يسمح لحبنا إياه بتجاوز حتى حبنا لأنفسنا وإضعافه. الغرور المتضخم – حتى عندما يكون مرتبطًا بالعقول الضخمة – لا يتفق مع الحياة التي تستحق أن تعاش كما يتصورها أفلاطون.

يقول أفلاطون في طيماوس أن قلة قليلة فقط هي التي تستطيع تحقيق هذا النوع من الحياة. وبهذا، وطالما أن أفضل حياة تُفهم من خلال هذه الشروط، يُستبعد الكثيرون. «وعن الإيمان الحقيقي، يجب أن نقول إن جميع الرجال لهم منه نصيب، أما الفهم، فلا يملكه سوى الآلهة ومجموعة صغيرة من الناس.» يكمن الفهم في رؤية «السبب الأفضل»، وهو عنده رياضي في الأساس. باستخدام رياضيات عصره، حاول في طيماوس تقديم تلك الأسباب الفضلى، على الرغم من إدراكه التام أن نوعًا أفضل من الرياضيات، وبالتالي أسبابًا أفضل، تكمن على الأرجح في المستقبل. يقر أفلاطون بأنه سيكون سعيدًا بأن تتفوق عليه الأسباب المتفوقة التي سيقدمها المفكرون الرياضيون في المستقبل – وإلا فلماذا جمع أفضل علماء الرياضيات في عصره في أكاديميته؟ – واصفًا انتصارهم بأنه انتصار أصدقائه وليس أعدائه (طيماوس 54a). ومرة أخرى نتذكر كيف نُحي سقراط جانبًا في محاورتي السفسطائي ورجل الدولة حتى يتمكن المفكرون الأصغر سنًا من المضي قدمًا بالعملية.

لكن، هل الوصول للحياة الفاضلة حكر على الفيزيائيين الرياضيين؟ (يمكنني تخيل بعض الساخرين من الفلسفة وقد بدأوا يميلون إلى أفلاطون بشكل ملموس). هل هذه «المجموعة الصغيرة من الناس» حصرية إلى هذه الدرجة؟ ليس تمامًا. أي فرد منا يسمح لوجودنا الأرضي المحدود أن ينفتح على المجالات الواسعة والجميلة لكل ما هو ليس ذواتنا – بتعبير آخر «الواقع» - هو من بين المجموعة الصغيرة من الناس التي يقصدها أفلاطون. إن وسيلة الانفتاح على اللانهائي لا تأتي فقط في شكل دراسة – أو تقدير – الفيزياء الرياضية، ولا حتى عند لأفلاطون. يذكر، مثلًا، الموسيقى بوصفها تملك القدرة على تقوية تقاربنا مع الحق والجمال والخير وبالتالي إصلاحنا أخلاقيًا. «والانسجام، الذي تشبه حركاته مدارات أرواحنا، هو منحة من إلهات الإلهام، إذا كان تعاملنا معها يسترشد بالفهم، وليس من أجل المتعة غير المنطقية، التي يبدو أن الناس يلجأون إليها في الوقت الحاضر، ولكن من أجل أن تعمل كحليف في الكفاح من أجل تحقيق النظام في أي مدار من مدارات أرواحنا أصبح غير منسجم، وجعله متسقًا مع نفسه. الإيقاع أيضًا منحته إيانا إلهات الإلهام لنفس الغرض، لمساعدتنا. لأن الحالة بالنسبة لمعظمنا هي أننا فقدنا كل إحساس بالقياس، ونفتقر إلى الفضيلة» (طيماوس d–e47).

اللغة الجميلة، يقول في طيماوس، يمكنها أيضًا أن تحملنا من ذواتنا، وعندما يتناغم ترتيب الكلمات فيها مع تناغم الموسيقى، فهي تتناغم مع اللانهائي (47c–d). هذا الثناء، وإن كان مختصرًا، على القوة السامية للغة الموسيقية يفتح الطريق لعودة الشعر إلى مدينة العقل الأفلاطونية، وهي عودة اعترف أفلاطون بأنه يأمل أن تحدث (الجمهورية d607). ليس من قبيل الصدفة أن بيرسي بيش شيلي قد أنتج ترجمة مذهلة للندوة، ولا أن صديقه جون كيتس سيؤلف الأسطر الخالدة التي تعرِّف الجمال والحقيقة، ولا أن العديد من الشعراء شعروا بأن أفلاطون يخاطبهم مباشرة. الشعر الذي يصلنا بالاتساع الهائل البعيد عنا – الذي يشققنا فنصبح منفتحين لقبوله ويتسرب اللامحدود إلى داخلنا فيوسع حدودنا في المعرفة والحب – يحصل على ختم القبول الأفلاطوني. مثل الرياضيات والموسيقى وعلم الكونيات والفلسفة، يمكن

للشعر أيضًا أن يجعلنا «لامحدودين»، ويمنحنا الخلود المستطاع في هذه الحياة الفانية. وكل من يتحركون في انسجام مع اللغة التي تتحرك مع تناغم اللامحدود يحق لهم الدخول ضمن «المجموعة الصغيرة من الناس.»

نستطيع أن نقرأ في هذا المقطع تفسيرًا لماذا كتب أفلاطون بالطريقة التي كتب بها، فأغدق مواهبه الأدبية الفارهة على الكتابات الفلسفية التي تركها لنا، برغم شكوكه العميقة حول السحر اللغوي الذي يمكن أن يطغى على الدور الأهم للغة، وهو قول الحقيقة. بالنسبة لأفلاطون، يلعب الجمال دائمًا دورًا معرفيًا رائدًا في إرشادنا إلى الحقيقة وفي السماح للحقيقة بالتأثير علينا؛ والفلسفة، في محاولة فرض جمال اللامتناهي على كياننا، يجب أن تسعى لأن تكون أجمل ما يمكن. وهكذا كتب أفلاطون الأعمال الفنية التي كتبها، فسمح للشاعر بداخلة بالتحرر والتحليق. (لكن أفلاطون لا يستطيع التصالح مع الفن الموجه نحو الإنسان، مهما كان عظيمًا، والذي يعتصر الأسى والرعب من محدوديتنا المحتومة).

ولكن ماذا عن احتمالات سقراط في أن يكون «بلا حدود»؟ هل كان لديه، حسب أفلاطون، ما يتطلبه الأمر؟ ليس هناك ما يشير إلى أنه كان مشغوفًا بجمال الرياضيات أو الموسيقى أو علم الكونيات. وبالتأكيد لم يكن شاعرًا. في مرحلة ما من فيدون، يجعل أفلاطون سقراط يشرح - يسأل الكثير من الناس، كما يقول سيبس – لماذا بدأ فجأة يكتب الشعر في السجن، فيصوغ أساطير إيسوب شعرًا. يشرح سقراط كيف راوده، طوال حياته، حلم متكرر يُطلب منه فيه «ممارسة الفنون وتنميتها». لكنه افترض أن الحلم كان يشجعه فقط على الاستمرار في فعل ما كان يفعله، أي ممارسة فن الفلسفة، لكن الآن بعد أن أوشكت حياته على الانتهاء، أصبح يشعر بالقلق من أن الحلم ربما كان يحثه على «ممارسة هذا الفن الشعبي... وتأليف الشعر. اعتقدت أنه من الآمن ألا أغادر هنا حتى أرضي ضميري بكتابة الشعر انصياعًا للحلم» (60e–61b).

الآن من يدري ما إذا كان سقراط قد قام فعلًا بما يبدو أنه محاولة واهية للغاية لكي

يصبح شاعرًا في الشهر الأخير من حياته؟ أنا أم شاعر محترف، وأعرف ما الذي يحتاجه تكوين مثل هذا المخلوق. بنفس الطريقة قد تحاول أيضًا أن تصبح عالم رياضيات أو عالم كونيات في آخر ثلاثين يومٍ من حياتك. وأفلاطون، الذي كانت أجنحة الشاعر فيه توجه رحلة الفيلسوف، كان يعرف ذلك مثل أي أحد آخر.

لذلك لم يكن سقراط شاعرًا أيضًا. ومع ذلك، فقد كان ينتمي بلا شك، في نظر أفلاطون، إلى «المجموعة الصغيرة من الناس» الذين تجعلهم حياتهم منفتحين على اللامحدود، بأفكار، بغض النظر عن مدى ارتباطها بكائن فانٍ، لا يمكن أن «تفشل في أن تكون خالدة، وبقدر ما هو متاح للإنسان أن يكون خالدًا فلا يمكنه أن يفشل بأي حال من الأحوال في تحقيق ذلك؛ وعندما يعتني دائمًا بالجزء الإلهي بداخله، ويحافظ على حسن تنظيم الروح المرشدة التي تعيش بداخله، فسيصبح بالتأكيد سعيدًا للغاية.» كانت هذه هي الصورة التي قدمها سقراط، ليس فقط لأفلاطون ولكن أيضًا للعديد من معاصريه. قدم صورةً لرجلٍ، على الرغم من اعترافه المستمر بجهله، إلا أنه يبدو كما لو أنه عثر على معرفة غامضة عن كيف يحيا. الطريقة التي جمع بها سقراط بين يقينه الإلهي وارتباكه البشري كانت مفارقة ذات قوة عظيمة. وقف سقراط أمام أفلاطون، مكللا بالمضامين.

ولا شيء أقوى في إقناع أفلاطون بالقوة الضمنية لسقراط من الموقف الصارم الذي اتخذه في صيف 399 نيابة عن المشروع الفلسفي. كان هذا الموقف هو الذي جعل هيئة المحلفين الأثينية تتوصل إلى نتيجة مفادها أن: سقراط يجب أن يموت.

كان سقراط دائمًا مؤديًا، وربما قدم أفضل أداء له طوال حياته في ذلك اليوم. من السذاجة أن نظن أن أفلاطون، في دفاعه، سجل هذا الأداء كصحفي. لكن، حتى لو كان ما سنحصل عليه من الدفاع هو ما كان يعنيه موقف سقراط لأفلاطون، فهذا أكثر من كافٍ. أقنع أداء سقراط في ذلك اليوم أفلاطون بأن سقراط سيستمر في الأداء طالما أن هناك أناسًا يهتمون بالفلسفة. بالنسبة لأفلاطون، كان سقراط قد أصبح غير محدود.

ماذا كان أخيل سيفعل؟

نراه في كامل مجده المثير للغضب، وهو يحرج الشاعر الشاب المغمور ميليتوس، الذي أنزله بسهولة إلى منزلة السخافة، مستخدمًا التكتيك الديالكتيكي الذي أتقنه طوال حياته.

نعم، يؤكد ميليتوس، أن سقراط مذنب بالإلحاد، أي الإيمان بعدم وجود آلهة؛ ونعم، يؤكد ميليتوس أيضًا، أن سقراط مذنب بإدخال آلهة جديدة، لا تعترف بها الدولة. لذلك فهو يؤمن بعدم وجود آلهة بينما يؤمن في نفس الوقت بالآلهة. يشبه سقراط التناقض الصارخ باللعب كالأطفال (27a).

ونعم، يجيب ميليتوس، كل شخص في أثينا، وكل مواطن له حق التصويت، له تأثير صحي على شباب المدينة، ونعم، سقراط فقط هو الذي يؤذيهم، وهو وضع غير معقول لدرجة أن سقراط يسخر منه باعتباره «بركة عظيمة على شبابنا» (25b).[312]

يتخلص سقراط من ميليتوس بسهولة لأنه، كما يقول سقراط، ليس صادقًا في الأمور التي يدعي أنه يهتم بها؛ لقد أظهر هذا الرياء من خلال فشله في التفكير في الآثار المترتبة على تصريحاته. «الآن، ميليتوس، ترى أنك مقيد اللسان ولا تستطيع الإجابة. ألا تشعر أن هذا أمر مخزٍ، ودليل كاف بحد ذاته على ما قلته، أنه ليس لديك اهتمام بالموضوع؟»

بعبارة أخرى، يتهم سقراط ميليتوس، الشاعر المجهول، بأنه بالفعل فنان: فنان في الكلام الفارغ.

دخل مصطلح «الكلام الفارغ» في اللغة الفلسفية المهذبة من خلال عمل الفيلسوف الأمريكي المعاصر هاري فرانكفورت، الذي نشر مقالة فلسفية صغيرة بعنوان «عن الكلام الفارغ» في عام 2005. نُشر العمل لأول مرة كمقال في مجلة بحثية، مجلة راريتان، وهو الشكل الذي كنت لسنوات أكلف به طلابي في مقرر

(312) بقية كلامه: "لهي بركة عظيمة على شبابنا، إن كان رجل واحد يفسدهم والبقية يصلحونهم." (المترجم)

مدخل إلى الفلسفة، على أمل أن يتخلصوا سريعًا من التوقعات التي يدخل بها الكثيرون إلى الفصل الدراسي. أعيد نشر المقال بعد ذلك ضمن مجموعة مقالات لفرانكفورت بعنوان أهمية ما نهتم به: مقالات فلسفية. أخيرًا، أعيد نشره ككتاب صغير مستقل، حيث حقق، في تجسده الثالث، حالة مدهشة فأصبح أكثر الكتب مبيعًا، حتى أن الفيلسوف المرتبك إلى حد ما ظهر في برنامجThe Daily Show مع جون ستيوارت.

يبدأ كتاب فرانكفورت بهذه الملاحظة: «من أبرز سمات ثقافتنا أن هناك الكثير من الكلام الفارغ.» يذهب فرانكفورت لتقديم نظرية عن الكلام الفارغ، والتركيز على سماته الأساسية بالدقة التحليلية التي تميز الفلسفة الأنجلو أمريكية وتبرر الاحتفاء بها.

يجب أن يُفصل الكلام الفارغ عن المفاهيم ذات الصلة، مثل الدجل، والأهم من ذلك، الكذب. علاقة من يكذبون ومن يقولون الكلام الفارغ بالحقيقة إشكالية. يشوه كل من الكاذبين ومن يقولون الكلام الفارغ علاقتهم بالحقيقة، ولكن هناك اختلافات جوهرية بينهما. قد تنتهي الحال بالكذاب - لأنه هو نفسه مرتبك بشأن الحقيقة - بقول شيء حقيقي، لكن نيته أن يقول شيئًا غير حقيقي. نيته إحداث اعتقاد خاطئ لدى الشخص الذي يكذب عليه. الكذاب، إذًا، هو الشخص الذي يتعقب الحقيقة، أو يحاول على أية حال، بغرض الخداع.

من يقول كلامًا فارغًا أيضًا قد ينتهي به الحال إلى قول شيء حقيقي. لكن على عكس الكذاب، من يقول الكلام الفارغ لا يحاول تعقب الحقيقة. لا علاقة لموضع كلامه من الحقيقة، وعلاقته مع الحقائق التي يتوهم نقلها، بدوافعه لقول ما يقول. دافعه لقول ما يقول هو ليس إحداث اعتقاد خاطئ مثل الكاذب. هو لا ينتوي الخداع فيما يتعلق بالمحتوى الذي يؤكده. دافعه هو الخداع فيما يتعلق بنفسه الفارغة، وإبراز نفسه على أنه شخص يهتم بالحقيقة في حين أنه لا يهتم.

بعد مزيد من التوضيح لمفهوم الكلام الفارغ، يغامر فرانكفورت بالاستنتاج

المعياري بأن الكلام الفارغ أكثر ضررًا من الكذب. أفعال الكذب، عند الكاذب النموذجي (غير المرضي)، هي أحداث محلية؛ في حين أن الميل إلى قول الكلام الفارغ يؤثر على الشخص إجماليًا. يختتم فرانكفورت مقالته بهذا الحكم:

في الكذب وقول الحقيقة، يسترشد الناس بمعتقداتهم فيما يتعلق بواقع الأمور. وهذه ترشدهم وهم يحاولون إما وصف العالم وصفًا صحيح أو وصفه بطريقة خادعة. لهذا السبب، فإن الكذب لا يميل إلى جعل الشخص غير مؤهل لقول الحقيقة بقدر الكلام الفارغ... يتجاهل من يقول الكلام الفارغ هذه المطالب تمامًا. لا يرفض سلطة الحق ويعارضها كما يفعل الكذاب. إنه لا يوليها اهتمامًا على الإطلاق. ولهذا، فالكلام الفارغ هو عدوٌ للحقيقة أكبر من الكذب.

باستعراض تاريخ الفلسفة الغربية، فإن الانطباع هو أنه ليس كل الفلاسفة يشاركون فرانكفورت في اشمئزازه الأخلاقي من الكلام الفارغ. لكن لا يمكن إنكار أن الكثيرين فعلوا ذلك، وكان سقراط واحدًا منهم. في الواقع، من المدهش أن الفلاسفة قد تأخروا حتى الآن ليحللوا هذا المفهوم، نظرًا لأن رد الفعل المستاء على الكلام الفارغ ساعد في إخصاب الأرضية التي قام عليها المجال. كان سقراط، كما وُصف في الدفاع، سيحب مقال فرانكفورت، وصولًا إلى الاستنتاج المعياري بأن الكلام الفارغ هو إهانة للحقيقة أكبر من الكذب.

كان سيوافق أيضًا على العبارة الافتتاحية للمقال. يمكن للمرء أن يتخيل سقراط وهو يتجه إلى الحشد المجتمع في ذلك اليوم الصيفي من عام 399 ويعلن أنه، «من أبرز سمات ثقافتنا أن هناك الكثير من الكلام الفارغ.» كان من الممكن أن يتماشى ذلك تمامًا مع روح أداء سقراط في محاكمته، حيث بذل جهده للإساءة إلى الحساسيات المعيارية الأثينية، والتي كان جزء كبير منها مرتبطًا بإحساسها بالاستثنائية. تمثلت عبقرية بريكليس في تقوية ونشر شعور الأثينيين بأنفسهم بأنهم استثنائيون في مجموعهم. بدا سقراط عازمًا على بذل الجهد في محاولة أخيرة لتقويض مثل هذا الشعور.

كان المحلفون مواطنين جرى اختيارهم بالقرعة من كل شرائح المجتمع الأثينيّ.

يُحتمل أن معظمهم كانوا مزارعين أو أصحاب دكاكين - على أي حال ليسوا أرستقراطيين، لأن الطبقة الأرستقراطية كانت تشكل أصغر نسبة من المواطنين. لكن هذا لا يعني أن المحلفين، وكذلك الكثيرين الذين تجمعوا للمشاهدة، لن ينزعجوا من فكرة أنهم لن يحوزوا نصيبًا من التفوق لمجرد كونهم مواطنين أثينيين. في البلدان التي لا تزال الاستثنائية القومية تزدهر فيها حتى يومنا هذا، ليست الطبقات الأكثر امتيازًا بأي حال من الأحوال هي التي تشعر بقوة أن إحساسها بالقيمة المتفوقة ينبع من مواطنتها.

كان سقراط قادرًا على إسقاط ميليتوس الذي لم يستطع التعبير عن إحساسه بأن سقراط كان، بطريقة أو بأخرى، ملحدًا. لكن من المؤكد أن ميليتوس كان له ما يبرر كلامه - فقد قدم أداء سقراط نفسه في الدفاع الكثير من المبررات - أن سقراط كان يهاجم الإطار المعياري الأثيني - بناؤها القيمي - من أساسه. ليس أداء سقراط في محاكمته فحسب، بل أداؤه طوال حياته هو الذي أظهر انشقاقه عن نظام القيم الأثيني. فهل من الغريب أن يشعر ميليتوس بأن الإهانة المعيارية هي الإلحاد؟ «تذكر كيف يرتبط إحساس المجتمع اليوناني بهويته واستقراره ارتباطًا وثيقًا بطقوسه الدينية والأساطير التي تدعمها. إذا رفض سقراط دين المدينة، فإنه يهاجم المدينة. بالمقابل، إذا قال إن المدينة تعيش حياتها العامة والخاصة بشكل خاطئ، فإنه يهاجم دينها؛ لأن حياتها ودينها لا ينفصلان». [313]

ثم أن تغييرات هائلة حدثت في أثينا منذ أيام بريكليس، والتي من شأنها أن تضع الافتراضات التي تدخل في تكوين إحساسها بالهوية تحت تهديد شديد. يكمن ادعاء أثينا في الاستثنائية، خاصة الآن بعد أن اختفت إمبراطوريتها، وتبدد ثروتها العظيمة في تجاوز متغطرس، في ادعاءها المهارة، والعقلانية، كما يتضح من العفو، فضلًا عن استمرار شهرتها في الفنون الخطابية. لكن هنا كان أحد أشهر المتحدثين في أثينا،

---

(313) . M. F. Burnyeat, "The Impiety of Socrates," in The Trial and Execution of Socrates, ed.Thomas C. Brickhouse and Nicholas D. Smith (New York: Oxford University Press), p. 138.

وسيطٌ مبدع بلا حدود لطاقة الجدال، وقد كان عازمًا على تحويل موهبته في الحديث ضد إحساس المدينة بذاتها. طوال خطابه، كان حريصًا على صياغة ادعاءاته بلغة المحاكم الأثينية والقيم المدنية التي سادت هناك، وفي نفس الوقت يخربها ويبطلها، يتلاعب بالأعراف التي كان من المفترض أنها تحافظ على تماسك كل شيء.

لم يكن سقراط قلقًا للغاية في محاكمته بحيث يلاحق ميليتوس، وهو شخص تافه يحاول يقفز في الصف ليصبح حاشية على التاريخ. يستخدم سقراط براعته الديالكتيكية لإبعاد المدعي الرئيسي كما لو كان بعوضة مزعجة.

حسنًا، في الواقع، هو من يقارن نفسه بحشرة، يقول للمحلفين، قبل أن يصوتوا على مسألة براءته: «إذا قتلتموني فلن تجدوا بسهولة أخرى مثلي. لقد ربطني الإله بهذه المدينة – على الرغم من أنه يبدو أمرًا سخيفًا أن أقوله – كما لو أن حصانًا عظيمًا ونبيلًا كان بطيئًا إلى حد ما بسبب حجمه ويحتاج إلى أن تحركه نُعَرَة.... وأنا لم أتوقف أبدًا عن حث كل واحد منكم عن إقناعكم وعتابكم طوال اليوم وفي كل مكان أجد نفسي فيه معكم» (31a30 – e). بالكاد يبدو هذا وصفًا مبهرًا للذات ما يقدمه سقراط هنا، حشرة مزعجة تأز باستمرار حول المدينة. لكن الإهانة الحقيقية موجهة إلى مدينة أثينا، التي توصف بأنها حصان كسول عظيم، يغفو في بلادة أخلاقية راضية. يعرف سقراط جيدًا مدى الإزعاج العميق الذي يسببه، ويعرف أنه في بتحديه المفاهيم المعيارية المسبقة لمدينته، فإنه يثير غضب من هم على وشك التصويت على حياته من موته.

كان من غير الممكن أن ينكر بشكل أكثر وضوحًا الافتراضات الأساسية لتلك التحصينات المعيارية، أي تسييس آريت. تحتاج آريت، كما يفهمها سقراط، من الأفراد يفكروا بعمق وصدق في التعقيدات الأخلاقية، وتحمل المسؤولية عن معتقداتهم وأفعالهم، وليس أخذها جاهزة من مكان عام، مثل الفخار الذي يمكنك شراؤه من كشك في الأجورا. كان هذا النوع من التفكير هو ما كان يحاول طوال حياته استنفاره، وهو ما يعني تحطيم الافتراضات التي يبدو أنها تحسم مثل هذه

الأمور، وأن يجعل مواطنيه يفكرون مجددًا فيما يجعل حياتهم تستحق أن تعاش.

في الواقع، يقول بطريقة صادمة إن الانخراط في السياسة الأثينية - بغض النظر عما إذا كان تحت حكم الديمقراطيين أو الأوليغاركية - لا يتفق مع الفضيلة، يقول لهم: «بطل العدالة الحقيقي، إذا كان ينوي أن ينجو ولو لفترة قصيرة، يجب بالضرورة أن يحصر نفسه في الحياة الخاصة ويترك السياسة وشأنها» (Ie3). ومرة أخرى: «هل تظنون أنني كنت سأعيش إلى عمري هذا إذا كنت قد انتقلت إلى مجال الحياة العامة، أتعامل في هذا المجال كرجل شريف، أتمسك بقضية الحق، وأضع هذه الغاية فوق كل غاية أخرى استجابة لضميري؟ إطلاقًا، يا سادة؛ ولا أي رجل آخر يستطيع ذلك» (32e–33a).[314]

تجنب الحياة العامة لمدينة أثينا لكي تكون منصفًا؟ يختار سقراط كلماته بنفس الروح التي اختار بها الراحل كريستوفر هيتشنز عنوان كتابه «الله ليس عظيمًا: لماذا يسمم الدين كل شيء». إنها كلمات محرِّض محترف، والتحريض هو ما يفعله. حاولوا عدة مرات أن يسكتوه بصراخهم، بالحكم من طلب سقراط المتكرر من الجمهور بالسماح له بإكمال كلامه: «كما قلت من قبل، أيها السادة، رجاءً لا تقاطعوني» (a21)؛ «لا تخلقوا إزعاجًا، أيها السادة، ولكن التزموا بطلبي ألا تصرخوا على ما أقوله بل استمعوا، لأنني أعتقد أنه سيكون من مصلحتكم أن تستمعوا، وأنا على وشك أن أقول أشياء أخرى ربما ستجعلكم تصرخون. لكن لا تفعلوا ذلك بأي حال» (c30).

كثير من الذين نظروا إلى ذلك اليوم من عام 399، في محاولة لتفكيك الدراما التي حدثت فيه، فكروا أولًا وقبل كل شيء في السياسة. بالطبع، يجب أن تكون السياسة، وماذا غيرها يمكن أن يكون مهمًا جدًا لدرجة المطالبة بإنهاء حياة الرجل؟ دائمًا ما تكون المقاصد الجادة مقاصد السياسة، وهذا هو المكان الذي تبحث فيه العقول الذكية. سقراط مناهض للديمقراطية، ولهذا يجب أن يموت. سقراط متعاطف مع إسبرطة، ولهذا يجب أن يموت. هذا انتقام لما فعله ألسيبادس أو كريتياس أو كلاهما،

(314) ترجمة هذه الفقرة من الدفاع هي لهيو تريدينك من مطبعة جامعة برينستون، 1961.

ولهذا يجب أن يموت. المفارقة في هذه القراءات السياسية مؤلمة. في إعطاء الأولوية للسياسة، يجعل هؤلاء المفسرون أنفسهم جزءًا من الحشد الأثيني الذي يحاول سقراط يائسًا للمرة الأخيرة أن يوقظهم من خمولهم المعياري.

يواصل التأكيد على نفس الفكرة، ولا يجفل عن الاقتباس من عرافة دلفي، التي قالت إنه ليس هناك من هو أكثر حكمة من سقراط، وذكر أنه أيضًا كان متشككًا عندما سمع هذا الكلام لأول مرة، لأنه كان يدرك تمامًا جهله. ولهذا، وليثبت خطأ العرافة، ذهب إلى سؤال مواطني أثينا، بدءًا بالمواطنين الأبرز أولًا، السياسيين، والسفسطائيين، والشعراء. وكلهم استوفوا شروط المفهوم الذي سيحلله هاري فرانكفورت بعد ذلك بعدة آلاف من السنين. خلص سقراط إلى أن العرافة أغدقت عليه كلماتها اللطيفة لأنه وحده لم يتظاهر بمعرفة ما لا يعرفه. أو بعبارة فرانكفورت: اهتم سقراط، كما لم يفعل مواطنوه الأثينيون، بشروط صحة تصريحاته، حتى لو لم يتمكن، بالنسبة لعدد كبير من هذه التصريحات، من تحديد ما إذا كانت شروط الحقيقة تلك مستوفاة أم لا.

وبعد ذلك يخرج ببساطة ويقولها، في وقت حُكم عليه فيه بأنه مذنب ويُفترض أن يتفاوض بشأن عقوبة أخرى لتخفيف عقوبة الإعدام التي يطالب بها ميليتوس. المتوقع أن يعرض الذهاب إلى المنفى أو أن يدفع غرامة كبيرة. لكن هذه هي النقطة الفاصلة في المحاكمة التي يدلي فيها بأكثر التصريحات استفزازية من رجل في موقعه: الحياة التي يتوقف فيها عن التساؤل عن قيمة مجتمعه هي حياة لا تستحق أن تعاش، ما يعني ضمنًا أن الناس الذين هم على وشك أن يحكموا عليه يعيشون بالضبط مثل هذه الحياة. «إذا قلت إنه من المستحيل بالنسبة لي أن أسكت لأن هذا يعني عصيان الإله أبولو، إله عرافة دلفيك، فلن تصدقوني وستظنون أنني أسخر. من ناحية أخرى، إذا قلت إن أعظم خير للرجل هو أن يناقش آريت كل يوم وتلك الأشياء الأخرى التي تسمعونني أتحدث عنها وأختبر بها نفسي والآخرين، لأن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن يعيشها الرجال، فسوف لن تصدقوني ربما أكثر» (37a38 – e).

لا تستحق أن تعاش؟ أي كلمات أقسى كان يمكن أن يقولها لمن يمسكون بمصير حياته في أيديهم؟ أي إدانة أكثر رعبًا كان يمكن أن يقولها لمن يدينونه؟ لا تستحق أن تعاش؟ هذا يعني أن تقول ما لا يقال مباشرة على العلن، أن تنزع الضمادات عن جرح العار، مثل جرح فيلوكتيتيس الأسطوري المفتوح، اليوناني الذي تركه رفاقه في الجيش في جزيرة في طريقهم إلى طروادة بسبب جرح متقيِّح تفوح منه رائحة كريهة تصل إلى السماء العالية.

لكن ليس فيلوكتيتيس هو من الذي يذكر بالاسم خلال دفاع سقراط، بل أخيل (c-d28). هذا البطل هو من يقارن به سقراط نفسه. أتيحت الفرصة لأخيل لاختيار حياة طويلة عادية أو قصيرة غير عادية، فاختار الأخيرة. أخيل هو فتى الإعلان لروح الاستثنائي، النموذج الأمثل للبطل. وعلى الأقل شخص واحد ممن سمعوا سقراط في ذلك اليوم يقبل بتلك المقارنة تمامًا.

يمثل سقراط شكل البطل بالنسبة لأفلاطون، على الرغم من أنه لم يكن قد حقق المعرفة التي كانت تهدف إليها حياته التي قضاها في التساؤل. لا يعتقد أفلاطون أن سقراط قد حقق هذه المعرفة، لأن الإجابات بالنسبة له تحتاج إلى الإدراك الميتافيزيقي للحق - والجمال - والخير التي من خلالها يمكن صياغة الفضيلة الإنسانية. منهج أفلاطون في تناول مسألة آريت سيحتاج منه أن يرفع قارة الفلسفة المغمورة بأكملها. لكن الطريقة التي عاش بها سقراط - وبالتأكيد اختياره في ذلك اليوم من عام 399 - يرفع سقراط، بالنسبة لأفلاطون، إلى دائرة الاستثنائي.

بعد تصويت مواطنيه الأثينيين بأنه مذنب، يفكر سقراط في العقوبة التي يجب أن يطلبها. «أنا لم أعش عمدًا حياة هادئة - ouk hēsychian ēgo (36b)، ومن خلال نطق كلمة هادئة hēsychian، فإنه ينأى بنفسه عن النخبة الأثينية، التي حافظ الكثير منهم على تقليد التهدئة إما لأنهم كانوا يخشون أن يساء فهمهم أو لأنه كان لهم تعاطف حقيقي مع الأوليغاركية.[315]» لقد أهملت ما يشغل معظم الناس: الثروة،

(315) . L. B. Carter, The Quiet Athenian (Oxford: Oxford University Press, 1986).

شؤون المنزل، منصب الخطيب العام أو الشعبي أو المناصب الأخرى، النوادي والفصائل السياسية الموجودة في المدينة. أحسبني صادقًا للغاية حتى أنجو إذا انشغلت بهذه الأشياء. لا يستطيع التوقف عن قولها في وجوههم. كل الأنشطة السياسية والمؤامرات التي من خلالها يجعل الناس أنفسهم مهمين في المدينة تتعارض مع ضميره. وقد أفرد صفتين مميزتين للنخبة، وهما فصائلهم (staseis) والجمعيات السرية (sunōmosia). [316][317]

والآن ينتقل إلى استهزاء شائن آخر بمشاعر أثينا: «وما الذي أستحقه لكوني مثل هذا الرجل؟ يا رجال أثينا الطيبين، إذا كان عليّ حقًا تقييم جزائي وفقًا لما أسلفت، ويجب أن يكون شيئًا مناسبًا. ما هو المناسب لفاعل الخير الفقير (anēr penēs eurgetēs) الذي يحتاج إلى الفراغ ليعظكم؟» من خلال التأكيد على فقره ومع ذلك يدعي أنه فاعل، فإنه يناقض مرة أخرى توقعات الأثينيين حول فاعل الخير النموذجي، وهو عضو ثري من النخبة. ثم تأتي الضربة القاضية: «ليس هناك ما هو أنسب، أيها السادة، من إطعام مثل هذا الرجل في البريتانيوم، أنسب له من أي شخص منكم فاز في أوليمبيا بزوج أو فريق من الخيول. الفائز الأولمبي يجعلك تعتقد أنك سعيد. أنا أجعلك سعيدًا. إلى جانب أنه لا يحتاج إلى طعام، لكني أحتاجه. لذلك إذا كان لا بد لي من تقييم عادل لما أستحقه، فأنا أقدره كالتالي: وجبات مجانية في البريتانيوم» (e36). كما قال لي أحد الكلاسيكيين في مناقشة هذا المقطع، «أفلاطون / سقراط بارع جدًا في تلاعبه بالقيم الأثينية. هناك عملية إعادة تقييم دقيقة تحدث في كل جملة.»

في خضم عملية إعادة التقييم هذه، يظهر الشعار الأكثر شهرة في الفلسفة: الحياة

---

(316) . على سبيل المثال، كان المواطنون الذين تآمروا لتشويه النساك في الليلة التي سبقت إبحار الأسطول إلى صقلية ينتمون إلى الجمعيات السرية sunōmosia.

(317) . هناك مواضع أخرى جعل أفلاطون سقراط يتباهى فيها بعدم مشاركته في السياسة الأثينية، على سبيل المثال، في جورجياس، "أنا لست من السياسيين. في العام الماضي انتخبت لعضوية المجلس بالقرعة، وعندما كانت قبيلتنا تترأس وكان عليّ أن أدعو للتصويت، ضحكوا علي. لم أكن أعرف كيف أفعل ذلك... أعرف كيف أقدم شاهدًا واحدًا على كل ما أقوله، وهو الرجل الذي أجري مناقشة معه. أما الغالبية فأتجاهلهم" (e–474a473).

دون تساؤل لا تستحق أن تُعاش. قد ينزعج البعض - مثل شيرِل، المرافقة الإعلامية لأفلاطون في غوغلبلكس - غاضبين تجاه النخبوية المحسوسة. لكن تصريح سقراط يعد نخبويًا فقط إذا افترض المرء أن القلة فقط هم من يملكون في أنفسهم ما يؤهلهم للتساؤل عن حياتهم. تجسد الديمقراطية التي أصبحت مرة أخرى، في القرن الثامن عشر، التجربة السياسية الأكثر جرأة على وجه الأرض، الأمل في أن الكثيرين منا قد يكون لدينا يؤهلنا لذلك أيضًا.[318] بدلًا من توجيه الاتهام إلى تجربة مدينته الجريئة في الديمقراطية، يمكن قراءة بيان سقراط على أنه يضع الشرط الصارم الذي من شأنه وحده أن يسمح للديمقراطية بالازدهار. ربما توصل أفلاطون في النهاية إلى وجهة نظر استثنت الكثيرين من القدرة على التفكير في حياتهم في ضوء الحق - الجمال - الخير؛ لكن حياة سقراط بأكملها، بما في ذلك يوم محاكمته كما قدمها أفلاطون، دليل على حقيقة أن سقراط استمر في التمسك بالأمل فينا جميعًا. يقول إنه إذا كان لديه أكثر من يوم واحد تسمح به أثينا في مثل هذه القضايا، فإنه يعلم أنه كان بإمكانه أن ينجح في إقناع المحلفين برؤيته لحياة التساؤل.

الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تُعاش. ما المفروض أن يأتي بعد هذا؟ هل حياة التساؤل ضرورية فقط لحياة تستحق أن تعاش، أم أنها كافية أيضًا؟ وهل هي حقًا ضرورية؟ هل يمكن أن تعيش حياة تستحق أن تعاش، حياة آريت، عن طريق الصدفة - أي بدون أن تعيش حياة التساؤل؟ سقراط يقول لا. حياة التساؤل هي، على الأقل، شرط أساسي لعيش حياة جديرة. لا يمكن أن تحدث آريت عن طريق الصدفة السعيدة، أكثر مما تحدث المعرفة. آريت، مثل المعرفة، تتطلب مساءلة ومبدًا أوليًا logos. هذه ثيمة لها صدى في جميع حوارات أفلاطون. لا يوجد شيء قد يحدث هكذا فيجعل الأمور تستقيم - ليس عندما يتعلق الأمر بالمعتقدات وليس عندما يتعلق بالأفعال. أن يكون المرء محظوظًا فيولد أثينيًا، أو أي شيء عارض آخر - بما في

(318) . بالطبع، سوف يتطلب الأمر العديد من الثورات الاجتماعية والسياسية لتوسيع تلك "الكثيرين" بحيث تشمل مجموعات مثل النساء والفقراء. وحتى الآن مسألة كم بالضبط؟ لا زالت لم تحل تمامًا، حتى في الولايات المتحدة.

ذلك انتماء المرء الديني، كما يجادل أفلاطون بقوة في أوطيفرون - لا يمثل مساءلة أو مسوغًا أو سببًا أوليًا. وبدون مساءلة لا يمكن أن تكون هناك فضيلة أكثر كما لا يمكن أن تكون هناك معرفة. تلقين العقائد، حتى لو كانت العقائد صحيحة، لا يمكن أن ينتج الحياة التي تستحق أن تعاش.

في نهاية الجمهورية، يذكر أفلاطون أسطورة أخرى من ابتكاره، أسطورة عير. يجعل أفلاطون سقراط يروي الأسطورة لغلوكون، الذي أدت إعادة صياغته المعقدة لأريت المسيسة بمصطلحات نظرية اللعبة في الحوار السابق إلى تخريب صورته لكاليبوليس. الآن يروي قصة محارب، عير، الذي أعيد إحياؤه بعد اثني عشر يومًا من الموت الظاهر، وكان على وشك أن يحرق في محرقة الموتى، على الرغم من أن جثته لا تزال «طازجة تمامًا.» يذكر عير ما لاقاه أثناء وفاته الظاهرية، وهو يشبه إلى حد ما تجارب الاقتراب من الموت التي أصبحت مألوفة لنا من خلال تقنياتنا الطبية المتطورة القادرة على إنعاش مرضى الغيبوبة. يترك عير أي ذكر لضوء ساطع أو نفق أسود. لكن، يخبرنا عن «مكان رائع، حيث كان هناك فتحتان متجاورتان في الأرض، وفي مقابلهما وفوقهما طاقتان أخريان في السماء، وبينهما جلس القضاة. هؤلاء، بعد أن أصدروا حكمهم، أمروا العادلين بالصعود إلى السماء من خلال الباب الأيمن، ومعلق على صدورهم حكم نجاتهم، أما الظالمون فينزلون إلى الأسفل من خلال الفتحة اليسرى، يحملون أوزارهم على ظهورهم. عندما تقدم عير، أخبروه أنه سيكون رسولًا للبشر يخبرهم بالأشياء الموجودة، وأنه يجب أن يستمع وينظر إلى كل شيء في المكان» (b-d614).

الرحلة القصيرة للأعلى ولأسفل ليست سوى المرحلة الأولى. بعد أن تقضي أرواح الموتى الآلاف من السنين المخصصة لهم في الأماكن التي أرسلوا إليها، يعودون ويسافرون إلى مركز الكون. يتوقف أفلاطون لوصف هذا المركز السماوي الجميل للكون. هنا تصبح رياضيات التناسب والتناغم الكاملين، التي تكمن في جوهر الحق – والجمال - والخير، مسموعة في موسيقى المجالات السماوية الثمانية، تدور إحداها داخل الأخرى ويحركها مغزل الضرورة. «وفوق وعلى كل حافة من

حواف الدوائر وقفت جنية، تتحرك مع حركتها، وتنطق بصوت واحد، نغمة واحدة. ينتج انسجام النوتات الثمانية نغمًا واحدًا» (b617). في عام 1619، نشر يوهانس كيبلر، الذي ألهم مثل العديد من الفيزيائيين الجدد في القرن السابع عشر بأفلاطون، كتابه تناغم العالم Harmonices Mundi. اكتشف كبلر أن الفرق بين السرعات الزاويّة القصوى والدنيا لكوكب ما يقارب النسبة المتناغمة، وبهذا الاكتشاف حاول تقديم حقيقة فيزيائية لشعر أفلاطون عن «موسيقى المجالات السماوية.»

لكن في النهاية، يعود أفلاطون إلى مغزى الأسطورة. يظهر نبي وتختار جماعة من الأرواح حياتها الجديدة، بعد أن يسحب قرعة أولًا لتحديد ترتيب الاختيار. والنتيجة ليست كما قد يتوقع المرء بناءً على التجارب التي مرت بها هذه الأرواح في آلاف السنين التي قضتها في الأعلى أو في الأسفل. أول من يختار - من يملك أكبر مجموعة متنوعة من الخيارات - يختار،«بدافع حماقته وجشعه» (c619). حياة الطاغية.

لقد كان أحد أولئك الذين نزلوا من السماء، وعاش حياته السابقة في ظل دستور منظم، حيث شارك في الفضيلة بحكم العادة وبدون فلسفة. بشكل عام، في الواقع، كان معظم المخدوعين بهذه الطريقة أرواحًا نزلت من السماء ولم تتدرب على المشقة. (c619)

يقايضون الحياة الطيبة بالحياة السيئة. لا الحياة التي عاشوها ولا المكافآت أو العقوبات الخارقة للطبيعة التي تحملوها تجعلهم مستعدين لاتخاذ خيارات جيدة. يختار العديد ممن عانوا في حياتهم الأرضية تلقائيًا حياةً مختلفة تمامًا. أورفيوس، الذي يكره النساء بسبب الطريقة التي مات بها، يختار أن يكون بجعة حتى لا يولد من رحم امرأة (a620). أجاممنون، ردًا على حياته السابقة التي كره فيها كل الرجال، اختار أن يكون نسرًا (c620). وأوديسيوس، الذي كان آخر من يختار، ينفر من حياته السابقة، المليئة بما يكفي من المغامرات الجديرة بملء ملحمة أخرى من ملاحم هوميروس، ويبحث حوله حتى يجد حياة عادية تمامًا ويقول أنه حتى لو اختار أولًا، فهذه الحياة العادية هي ما كان سيختارها. بالكاد يؤيد أفلاطون الاعتيادية هنا؛ فلا

يوجد شيء عادي في نوع الحياة التي عانى لتصويرها طوال محاورة الجمهورية بأنها تلك التي تحقق آريت بالكامل. في الواقع، قبل تقديم أسطورة عير الختامية مباشرة، يصف شخصًا يعيش مثل هذه الحياة – يجري اختياره بسبب حماسه وذكائه وحبه للحقيقة، ثم يبتلى بشدة حتى يتمكن من استيعاب الحق - الجمال - الخير في نفسه – كشخص «يتشبه بصفات الإله بقدر ما يستطيع الإنسان» (613a). وهذا ليس عاديًا. يتخذ أوديسيوس، مثل جميع الآخرين الذين ذُكروا، قرارًا غير متدبر، فعل ميكانيكي يتمثل في النكوص عن ظروف حياته السابقة، وعير، وهو يراقب النفوس وهي تتخذ خياراتها، يقول إنه «منظر يستحق المشاهدة، لأنه كان بائسًا ومُضحكًا ومدهشًا» (620619–e).

كل الظروف التي تحدد اختيارات الروح هي، من وجهة نظر آريت القائمة على المبدأ الأول، مجرد حوادث عارضة، ولا يمكن أن تكون الشخصية الأخلاقية لأي إنسان مجرد مسألة مصادفة عارضة. وهذه نقطة طورها بقوة كبيرة إيمانويل كانط. لا يمكن أن يكون هناك شيء عارض في كون الشخص أخلاقيًا. ما إذا كان الناس أخلاقيين يجب أن يكون شيئًا ضمن قدرتهم - مسألة تتعلق بإرادتهم، هو التعبير الذي استخدمه كانط – وبالتالي فهي مسألة يملكون فيها اختيارًا ويمكن محاسبتهم عليها. ولكي يخضعوا للمساءلة، يجب أن يكونوا مستعدين لتقديم حساب عن سبب تصرفهم بالطريقة التي تصرفوا بها. وهذا هو معنى الإرادة الحرة الذي يهم. إذا كنت نموذجًا بشريًا محترمًا لأن الحظ الجيد حالفني فولدت في عائلة رفيعة، غرست فيّ عادات السلوك الحسن، فعندئذ، وعلى الرغم من حسن السلوك، فأنا لست ممثلًا للفضيلة الأخلاقية. غيّر ظروفي - ضعني في عائلة من الغشاشين والمستغلين - وشاهد كيف سأتغير. هكذا تتصرف الأرواح العائدة في أسطورة عير. إنهم رهائن أخلاقية لظروفهم وليسوا عناصر أخلاقية. ولا حتى آلاف السنين التي قضوها في الثواب أو في العقاب يمكن أن تحولهم إلى عناصر أخلاقية.

إذا كان هناك حقًا شيء من قبيل المساءلة الأخلاقية، كما يعتقد أفلاطون وكانط، فإن عادات المرء الشخصية (كلمة «أخلاق ethics» مشتقة من الكلمة اليونانية

ethōs، والتي، كما ذكرنا سابقًا، تعني «العادة») يجب أن تكون جزءًا حميًا من ذلك الشخص، يصل إليها عامدًا، يفكر فيها مليًا ويختارها، حتى تصبح المظهر المعتاد للشخصية الأخلاقية. يجب أن يكون المرء في وضع يسمح له بامتلاك أخلاقه. يزعم كانط بأن الشخص الذي يتخذ الخيارات الأخلاقية للأسباب الأخلاقية الصحيحة فقط يمكن اعتباره جديرًا أخلاقيًا، وهو ما يعني بالطبع أن هناك أسبابًا أخلاقية صحيحة، وأنه بمقدورنا فهم صحتها والتصرف وفقًا لها بسبب صحتها: أن ندع هذه الأسباب تصبح العامل الحاسم في تحديد سلوكنا.

يمكن قراءة كل هذه الادعاءات في أسطورة عير لأفلاطون. إنها نداء للتفكير في طريقة للخروج من الظروف العارضة في حياة المرء؛ حتى الظروف المفروضة من الآلهة تعتبر في هذه الأسطورة مجرد عوارض ولا تقدم شيئًا في الطريق إلى المعرفة التي نحتاجها لنعيش كما ينبغي – وهو رد مدوٍ على أولئك الذين ما زالوا يهددوننا، بأنه دون الخوف من الجنة والنار لن يتصرف أحد كما ينبغي. تعود أرواح أفلاطون بعد آلاف السنين التي قضوها سواء في الأعلى أو في الأسفل، ولم يصبحوا في وضع أفضل لاختيار الحياة التي يجب أن يعيشوها.

وهذا فيما يبدو، يا عزيزي جلوكون، الخطر الأكبر على الإنسان. ولهذا السبب، يجب على كل منا إهمال جميع العلوم الأخرى وأن يهتم أكثر بالبحث عن تلك التي ستمكنه من التمييز بين الحياة الجيدة والسيئة وأن يتعلمها حتى يتمكم من اتخاذ أفضل خيار ممكن دائمًا في كل موقف. ويجب أن يأخذ في الحسبان كل الأشياء التي ذكرناها وكيف أنها مجتمعة ومنفردة تحدد شكل الحياة الفاضلة. بهذه الطريقة سيعرف الآثار الجيدة والسيئة للجمال عندما يختلط بالثروة والفقر وحالة الروح في وقت معين. سيعرف آثار شرف النسب أو وضاعته، والحياة الخاصة أو الوظيفة العامة، قوة الجسد أو ضعفه، سرعة الفهم أو بلادته وجميع الأشياء التي هي طبيعية في الروح أو مكتسبة، وسيعرف ما تحققه عندما تختلط مع بعضها. ومن كل هذا سيكون قادرًا، من خلال تأمل طبيعة الروح، على تحديد أي الحياة جيدة وأيها سيئة والاختيار وفقًا لذلك، فيدعو الحياة التي تؤدي إلى أن تصبح الروح أكثر ظلمًا سيئة، ويدعو التي تؤدي إلى أن تصبح الروح أكثر عدلًا جيدة، ثم يتجاهل كل اعتبار آخر. ولقد رأينا أن هذا هو أفضل سبيل للاختيار، سواء في الحياة أو الموت. (c–e618)

يُفرغ لنا أفلاطون، في أسطورة عير، كل ما سمع صداه يتردد في ذلك اليوم من صرخة سقراط المحرضة للأثينيين بأن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تعاش؛ تمامًا كما سيفرغ لنا كانط لاحقًا مضامين أسطورة عير لأفلاطون، وكما سيفرغ لنا آخرون مضامين حتمية كانط القاطعة، في عملية كانت تراكمية ومستمرة، وإن كانت أيضًا متقطعة بشكل مؤلم، مع فترات كان فيها الاتجاه معكوسًا تمامًا.

كل من ينكر هذه العملية المستمرة، بحجة أن مثل هذه المخاوف المعيارية التي كان سقراط يلح عليها لا يمكن أن تحدث فرقًا، وبالتالي لم ينتج عنها أي نتائج في الطريقة التي استمرت بها الحياة على مر القرون، يشبهُ الأثينيين في ذلك اليوم الصيفي قبل أكثر من ألفي عام، الذين لم يكونوا مستعدين لإعطاء سقراط حقه، وكانوا يصيحون عليه ليسكتوه بينما كان يحاول إلى أن يرفع صوته أعلى من سخريتهم.

η (إتا)

أفلاطون في قناة الأخبار

روي مكوي: حسنًا، لقد أخبروني أنك شخصٌ مهم في الفلسفة يا أفلاطون. سأخبرك صراحة - لأنني هذا النوع من الرجال، صريح - أنا لا أؤمن كثيرًا بالفلاسفة.

أفلاطون: كثيرون لا يفعلون. يتسبب المصطلح في مجموعة واسعة من ردود الفعل، من الإعجاب إلى التندر إلى الغضب. يعتقد بعض الناس أن الفلاسفة لا قيمة لهم، والبعض الآخر يعتقدون أنهم أهم شيء في العالم. في بعض الأحيان يتخذون مظهر رجال الدولة، وأحيانًا مظهر السفسطائيين. وفي بعض الأحيان، قد يعطون انطباعًا بأنهم مجانين تمامًا (السفسطائي 216c-d).

مكوي، ضاحكًا: حسنًا، سأختار الأخيرة، فقط إذا أضفت أنه نوع الجنون الذي يجعل الأمريكيين ذوي التفكير الصحيح في جميع أنحاء العالم يريدون صفعك على رأسك.

أفلاطون: أحيانًا يصل الأمر إلى ردود فعلٍ أكثر عنفًا. صديقي، أفضل الرجال، اتُهم بجريمة عدم القيام بأي شيء أكثر من ممارسة الفلسفة كأفضل ما يعرف. ثم أدين وأعدم.

مكوي: أين كان ذلك، في تكساس؟

أفلاطون: لا، في اليونان، رغم أنه حدث منذ سنوات عديدة.

مكوي: آسف لسماع هذا عن محنة صديقك، لكن عليّ أن أطرح عليك سؤالًا:

ماذا فعل لينقم الناس عليه بهذا الشكل؟

أفلاطون: إنه سؤال جيد.

مكوي: نظرًا لأنك على ما يبدو لا تعرفني، فأنت لا تعرف أنني أطرح نوعًا واحدًا فقط من الأسئلة، وهي الأسئلة الجيدة. لذا ما لم يكن صديقك قد حوكم تحت المجلس العسكري الذي كان لديكم في اليونان في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات.

أفلاطون: لقد حوكم أيام الديمقراطية. وفي الواقع، كان التصويت الشعبي هو الذي قضى عليه بالموت، على الرغم من إعلان عرافة ديلفي أنه لا يوجد أحد أكثر حكمة منه.

مكوي: نعم، حسنًا، لدي ملاحظتين. اسمع، ليس ذلك قلة احترام لذكرى صديقك، ولكن يجب أن يكون في الحكاية أكثر مما قلته. أنت تراوغ، وأنا أريدك أن تجيب عن السؤال. نحن لم نسم هذا البرنامج لا للهراء «No Bull Bin» من فراغ. اسمع، الديمقراطيات لا تقتل الناس لمجرد كونهم مزعجين يعتقدون أنهم يعرفون أكثر من أي شخص آخر، وهو حسب ما أفهم، تخصصكم أنتم الفلاسفة. في الواقع، عليّ أن أقول، يا أفلاطون، أنا لم أتحدث معك سوى دقيقتين وقد بدأت بالفعل تضايقني. لكننا نعيش في ديمقراطية تحمي حق كل فرد في أن يكون مزعجًا.

أفلاطون: هذا تقدم.

مكوي: في هذا نظر.

أفلاطون: أنا معجب بالتقدم الذي أُحرز.

مكوي: إذًا ربما كانت توقعاتك الأولية منخفضة للغاية.

أفلاطون: ربما كانت كذلك.

مكوي: هل أنت متأكد أنك فيلسوف؟ تبدو مستعدًا أكثر من المتوقع لتغيير

قناعاتك. أم أنك ربما لا تملك شجاعة التمسك بقناعاتك.

أفلاطون: أفضل الشجاعة في طرح أسئلتي.

مكوي: حسنًا، بدأت أفهم الصورة. بدأت البكسلات تتكاثف. أقصى عدد من الأسئلة، أقل عدد من القناعات. لستُ مضطرًا لأن أسألك على أي جانب تقف من الانقسام السياسي. أنا سعيد لأننا اكتشفنا ذلك مبكرًا. لكن حقًا، ماذا كنتُ أنتظر؟ فلسفة. إنها إحدى تلك المقررات التي تقول ليس لدينا أي شيء نعلمه لكم، لذلك سنحاضركم مرارًا وتكرارًا عن تفوقنا الأخلاقي. وهكذا كانت الحال فيما يسمى بتعليمك العالي. كانت الإنسانيات في وادٍ والعلوم في وادٍ آخر.

أفلاطون: لا أستطيع أن أرى الأمر بهذه الطريقة. يجب أن يكون كلاهما في نفس الوادي، وإلا فلن تكون هناك معرفة على الإطلاق.

مكوي: إنه كما أقول. تقول الإنسانيات أنه ليس هناك إجابات على أي شيء، بينما تقول العلوم أن لديها إجابات لكل شيء. أتعرف ماذا أقول أنا؟ أنا أقول سحقًا لكليهما.

أفلاطون: إذا كان الأمر كما وصفته، فأنا أشاركك في إدانتك.

مكوي: نعم، حسنًا، الأمر كما وصفتُه. تقول الإنسانيات أنه لا يمكن لأحد أن يعرف أي شيء، ويقول العلماء أنهم يعرفون كل شيء. كان معي بعض العلماء هنا في برنامج لا للهراء عندما كانوا يروجون كتبهم الملحدة، وقد كان منظرهم سيئًا. لم أجد فيهم من يستطيع أن يشرح لي كيف يمكن أن يعمل المد والجزر دون أن يتدخل الإله ليحفظ استمرارهما.

أفلاطون: المد والجزر؟

مكوي: نعم، المد والجزر. لا بد أنك ترى المد والجزر كثيرًا في طريقك في اليونان. يرتفع المد وينحسر الجزر، ولا يستطيع العلماء تفسير ذلك. لا يوجد سوء تواصل على الإطلاق.

أفلاطون: سوء تواصل بين العلماء؟

مكوي: لا، بين المد والجزر. لم يستطع أحد العلماء الذين شاركوا في البرنامج أن يشرح لي كيف يبدو أنهما يعرفان كل شيء بمفردهما متى يرتفعان ومتى ينحسران. إنهما يفعلان ذلك يومًا بعد يوم.

أفلاطون: في الواقع، مرتين في اليوم، كل اثنتي عشرة ساعة تقريبًا.

مكوي: لا يوجد تقريبًا في الموضوع. إنهما مثل مشاة البحرية، عملية دقيقة دائمًا. لكن، على الأقل لديهم شيء يحفظون به ماء وجههم.

أفلاطون: المد والجزر؟ مشاة البحرية؟

مكوي: لا العلماء. من أين نبدأ، ماذا عن الهواتف الذكية وجميع الأشياء الأخرى التي تجعل من المستحيل عليّ أن أحفظ انتباه أي شخص في فريق العمل لدي لأكثر من دقيقتين؟ كلهم مصابون باضطراب تشتت الانتباه، لكن العلم يوفر العلاج لذلك أيضًا. ليس هناك حد للفوائد التي يأتي بها العلم، بينما لا أرى أنكم أيها الفلاسفة تطرحون أي سلع في السوق.

أفلاطون: وعندما نتحدث عن الباريرجا.[319]

مكوي: باريرجا؟ ما هذا؟ أحد الهواتف الذكية الجديدة؟

أفلاطون: قصدت فقط المنتجات الثانوية للعلم، والتي من بينها- دعنا لا ننسى- الحاسوب.

مكوي: نعم، لاحظت أنك تحمل حاسوبك حولك كأنه بطانيتك.

أفلاطون: والإنترنت وسحابة غوغل والكميات الهائلة من المعلومات التي تخزنها، على الرغم من عدم وجودها في مكان معين، والتي يمكننا استدعاؤها، استدعاء ما نحتاجه بالضبط، إلى أجهزتنا الشخصية بسبب خوارزمية قوية وسرية،

(319). المتاع أو الزخارف أو أشياء ثانوية. (المترجم)

لكنها من فيض عقول بشرية ألهبتها نار بروميثيوس.

مكوي: حسنًا، دعنا لا ننجر إلى أساليب شعرية هنا. لقد أثبتنا أن العلم لديه بعض الأشياء المفيدة ليدافع بها عن نفسه.

أفلاطون: التكنولوجيا عجيبة.

مكوي: إلا عندما تتعطل أو تتواصل على الهاتف لمدة ساعة ونصف مع شخص لغته الأولى ليست بالتأكيد الإنجليزية.

أفلاطون: لكن ليس بمثل هذه الفائدة يظهر العلم قيمته الحقيقية، بل في الاستجابة للقوة الروحية التي من طبيعتها أن تحب الحقيقة وتفعل كل شيء من أجلها (الجمهورية 527c-b؛ فيليبوس 58d- b).

مكوي، ضاحكًا: ماذا، هل تريد أن تمدح المعرفة غير المفيدة؟

أفلاطون: نعم.

مكوي: هل هذا هو عنوان الكتاب الذي تريد مني ترويجه؟ في مديح المعرفة غير المجدية؟

أفلاطون: لا.

مكوي: حسنًا، إنه عنوان جيد، ولو أن الفكرة غبية. لماذا يريد أي شخص المعرفة غير المجدية؟

أفلاطون: قصدت فقط أن المعرفة المرغوبة بشدة ليست مرغوبة بسبب قيمتها العملية في إنتاج أشياء ثانوية كتلك التي ذكرتها للتو.

مكوي: لم تتمكن من إنتاج شيء منها بنفسك.

أفلاطون: بل إن المعرفة المرغوبة بشدة مفيدة في البحث عن الجمال والخير. وإذا سعينا إليها لأي غرض آخر، تصبح عديمة الفائدة (الجمهورية 351c).

مكوي، يضحك: الجمال والخير؟ كيف وصلنا فجأة إلى الجمال والخير؟ منذ دقيقة

واحدة كنا نتحدث عن المد والجزر ارتفاعًا وانحسارًا، وفي الدقيقة التالية تعدو وتتحدث عن الجمال والخير.

أفلاطون: لأن السبب الذي سيسعدك كثيرًا، في بحثك عن أفضل تفسير للمد والجزر، هو نفس السبب الذي يسعد العالم نفسه. أنت والكون واحد.

مكوي: أنا متحد مع الكون؟

أفلاطون: في بحثك لفهمه.

مكوي، ضاحكًا: هناك مغفلون يتهمونني بأنني أمتلك أنا متضخمة، لكنني لن أذهب إلى مساواة نفسي بالكون بأكمله. أنا لست موهومًا إلى هذه الدرجة. هل أنت موهوم؟

أفلاطون: لم يكن هذا تأكيدًا على المساواة بينك وبين الكون، بل على التشابه.

مكوي: هل تقصد أن الكون يحبني؟ حسنًا، أتفق مع ذلك. هذا رأيي في الموضوع.

أفلاطون: هذا ما كان يدور في ذهني: أنت، في بحثك لفهم الكون، لا يرضيك إلا أجمل سبب؛ وكذلك الكون. ستجد أن أجمل سبب هو السبب الأكثر أناقة في إنصاف فكرتك عن المعقولية، وهو الشكل الذي لا تقدمه سوى الرياضيات؛ وكذلك الكون. بهذا المعنى، أنت والكون بينكما شبه، في إدراككما للجمال. لجأت قوة الخير إلى التحالف مع طبيعة الجمال. لأن القياس والنسبة يظهران في جميع المجالات على هيئة الجمال والفضيلة (فيليبوس e64).

مكوي: اسمع، لقد حذرتك مرة بالفعل من ذلك الكلام المنمق. هنا في هذه الشبكة نحن نقول الكلام دون لف ودوران. ولا أعرف حتى من أين أبدأ في مهاجمة كل الهراء الذي تحاول أن تمرره هنا. أولًا، آخر مكان سأبحث فيه عن سبب جميل هو الرياضيات. أنا أكره الرياضيات، إلا عندما يستخدمها المحاسب ليعطيني أخبارًا جيدة. ثانيًا، الكون لا يبحث عن أسبابه في الرياضيات أيضًا، لأن الكون لا يبحث

عن أي أسباب على الإطلاق. الكون لا يبحث، نحن من يبحث.

أفلاطون: بالطبع، الكون لا يبحث عن أي أسباب. لقد وجد الكون بالفعل أفضل سبب، وهو ما جعله ما هو عليه بالضبط. الكون مليء بالأسباب، وهي نفس الأسباب التي تبحث عنها. وبهذا المعنى فإن عبارة «كل الأشياء مملوءة بالآلهة» هي عبارة صحيحة وكافية تمامًا (القوانين 991d).

مكوي: مملوءة بالآلهة! يا للمفاجأة. معظم الأكاديميين الذين يأتون إلينا هنا ليسوا على استعداد للاعتراف بإله واحد. وأنت تحدثني عن كون كامل مليء بهم. هل يصعب عليكم أنتم كبار المفكرين أن تصلوا إلى الرقم الصحيح؟ إما أن يكون إلهًا واحدًا أو أنكم تجدفون.

أفلاطون: لم أقصد التجديف. في الواقع، يبدو لي الآن أنه عند الحديث عن الأشكال التي يصبح العالم من خلالها مفهومًا، سواء بالنسبة لنفسه أو لنا، فإننا نتحدث عن الأشياء التي يجب أن يتعلمها الشخص عن تقديس الآلهة وكيف يتعلمها. وعندما تسمع ما هو، ستجده غريبًا (القوانين 989e).

مكوي، بهدوء: لا شك.

أفلاطون: أقول إن اسمه علم الفلك (المرجع نفسه).

مكوي: اسمع، إذا كنت تعتقد بطريقة ما أن الخروج في ليلة مضاءة بالنجوم والتحديق في الدب الأكبر أفضل من النزول على ركبتيك والصلاة للرب، حسنًا، ماذا يمكنني أن أقول؟ يفعل الناس الكثير من الأشياء للتهرب من الذهاب إلى الكنيسة. لكن دعنا نوضح هذا الالتباس حول ما يسمى بالآلهة. إنه الله، مفرد، وليس جمع. ليس لأن شيئًا ما حسنًا يعني هذا أن تجعل الموقف أفضل بإدخال مضاعفات لهذا الشيء. لا يمكنك جعل الوضع أفضل من خلال مضاعفة الآلهة. هذا نوع من أكبر الممنوعات. هل أصبحت هذه النقطة واضحة؟

أفلاطون: أن تكون هناك وحدة تجمع جميع الأسباب الفضلى المتنوعة: من

يستطيع أن يختلف مع هذا؟ الشخص الذي يتعلم بالطريقة الصحيحة دائمًا ما يضع عينه، كما نقول، على الوحدة. كل رسم ونظام متراكب من الأرقام، وكل بنية متناغمة ونمط موحد لعمليات الطبيعة، هي في النهاية، شيء واحد ينطبق على كل هذه الظواهر. ومن يدرس هذه الموضوعات بهذه الطريقة، ستنكشف رابطة طبيعية واحدة تربطها جميعًا. ولكن يجب على أي شخص يدرس هذه الموضوعات بأي طريقة أخرى «طلب المساعدة من الحظ السعيد»، كما نقول أيضًا. فبدونها لن يصبح أحد في المدن سعيدًا. هذه هي الطريقة الصحيحة، هذه هي التربية، هذه هي الدراسات. سواء كانت صعبة، سواء كانت سهلة، فهذه هي الطريقة التي نتقدم بها (ملحق القوانين 991e). [320]

مكوي: يبدو لي وكأنك تريد أن يكون لك برنامج لا للهراء الخاص بك، يا رجل. لكنك لن تسمح بظهور سوى المهووسين بالرياضيات. أود أن أراهم يديرون مدننا وهم حتى لا يستطيعون ارتداء جوربين من لون واحد في الصباح. ماذا كانت تلك النظرية العظيمة عن كل شيء كنت تلفقها منذ لحظة.

أفلاطون: أن رؤية مثل تلك الوحدة توجه أولئك الذين يفكرون بشكل صحيح في هذه الموضوعات. يمكن للجمال الذي ننقاد إليه أن يكون واحدًا يوحد الجميع.

مكوي: نوع من الوصفة السحرية E = mc 2، لكن أقوى؟

أفلاطون: وحتى أكثر عمقًا وجمالًا، التعبير عن الأناقة التي يمنحها الكون نفسه كسببه ليكون بالشكل الذي هو عليه. بهذه الطريقة، يصبح العالم مفهومًا لنا عندما ندرك كيف يكون العالم مفهومًا لنفسه.

مكوي: نعم، هذا هو الفرق فقط يا صديق. يمكن أن يكون العالم مفهومًا بالنسبة

(320) . ملحق القوانين Epinomis، كما يوحي الاسم، هي إضافة على محاورة القوانين، التي تعني Nomoi في اليونانية. يظهر في ملحق القوانين نفس الرجال الثلاثة المسنين يجتمعون مرة أخرى في وقت غير محدد بعد محاورتهم الأولى في القوانين. الكلمات التي ينطق بها أفلاطون أعلاه، بداية من "كل رسم ونظام متراكب من الأرقام" حتى نهاية الفقرة، منقولة حرفيًا. ترجمة ريتشارد دي ماكبراهان جونيور، هاكيت 1997.

لي ولكن هذا لا يعني أنه مفهوم لنفسه، لأنني - وهنا تنبيه الأخبار العاجلة من الشبكة - أنا كائن ذكي ولهذا أعرف الكثير، لكن الكون لا يعرف شيئًا. هناك ذكاء وراءه، حسنًا، لكن ليس فيه. هل وصلتك الفكرة؟ وراء، وليس في. يبدو أنك رجل يعول كثيرًا على الرياضيات. هل انا على حق؟

أفلاطون: أنت على حق.

مكوي: حسنًا، إذا كان الكون ذكيًا جدًا، فكيف لا يعرف أية رياضيات؟ إنه لا يعرف حتى كيف يحسب!

أفلاطون: إنه يعرف أن الشيء ذاته الذي يعلمنا إياه والذي نتعلمه هو الأرقام وكيفية العد. إذا لم يكن تعرف هذا، فسيكون أقل شيء ذكاءً على الإطلاق. في الحقيقة لن «يعرف نفسه»، كما يقول المثل (القوانين 988b).

مكوي: لكن هذا بالضبط ما أحاول إخبارك به! إنه لا يعرف نفسه! إنه مجرد مادة غبية بليدة. ليس معنى أنه ضخم أنه ذكي. انظر إلى الحكومة الفيدرالية.

أفلاطون: هل لأن هذه العمليات الفيزيائية غير قابلة للتغيير يجعلك تنكر وجود الأسباب الواضحة فيها؟ هل ترى الذكاء في البشر.

مكوي: في القلائل غير المغفلين.

أفلاطون: لكن ليس في الكون لأن البشر لا يمكن التنبؤ بهم، في حين أن الكون ليس كذلك؟ لكن قابليتها للفهم هي التي تجعل حركات الكون غير قابلة للتغيير. ولا يمكن حتى لإصرار أن يثبت أنه أقوى أو أنه غير قابل للتغيير (القوانين 982c).

مكوي: هل حقًا قبلت إحدى مؤسسات التعليم العالي تمويلك لتلفق هذا الكلام؟

أفلاطون: لقد أسست الأكاديمية.

مكوي: هذا يفسر الكثير. حسنًا، دعني أرى ما إذا كنت فهمت كلامك بشكل

صحيح. أنت تقول أن الكون، الذي تقصد به أشياء مثل المد والجزر اللذان يرتفعان وينحسران بدقة عسكرية، والشمس التي تشرق وتغرب بدقة تمكنك من ضبط ساعتك على توقيتها، والمطر الذي يتحول إلى ثلج إذا انخفضت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر، وكل الظواهر الأخرى، أنت تقول إن هذه الأشياء، هذه الأشياء المادية الغبية، تعرف في الواقع ما تفعله؟ أنت تقول إنه بإمكاني أن أذهب إلى المد والجزر وأسألهما «كيف تفعلان ذلك؟» وسيكونان قادرين على إخباري؟

أفلاطون: أليس هذا ما كان يفعله رجال العلم ونساؤه دائمًا، يلحون بالسؤال على عمليات الطبيعة حتى تبوح بالأسباب التي تجعلها بالشاكلة التي هي عليها؟

مكوي: لكنها مجرد أشياء مادية غبية تتحرك في الأرجاء! وأنا لا أقصد العلماء فقط هنا، ولكن الأشياء التي يدرسها العلماء، المد والجزر وما إلى ذلك. والعلماء الذين يستنطقون المد والجزر ويعتقدون أنهما يردان عليهم يجب أن يخضعوا للعلاج.

أفلاطون: حركاتهما تتحدث لغة الرياضيات. (321)

مكوي: لا يا صديق، نحن نتحدث لغة الرياضيات. أو على الأقل البعض منا. البعض الآخر بحاجة لفحص القولون بالمنظار. المد والجزر لا يقولان شيئًا. إنهما يواصلان الارتفاع والانحسار، ولا ينقطع التواصل بينهما أبدًا، تمامًا كما أخبرتك أكثر من مرة.

أفلاطون: هذا صحيح تمامًا. لا يوجد سوء تواصل لأنهما يتحدثان لغة الرياضيات. ومن ثم فهما غير قابلين للتغيير. أنت بنفسك تستمر في تكرار الإجابة، بنفس تكرار المد والجزر.

---

(321) . كتب جاليليو الذي ألهمه أفلاطون (وعلى وجه الخصوص، طيماوس، المحاورة الوحيدة لأفلاطون التي كانت لا تزال تقرأ في قرون المدرسة السكولاستية): "الفلسفة الطبيعة مكتوبة في ذلك الكتاب العظيم الذي كان دائمًا أمام أعيننا - أعني الكون - لكن لا يمكننا فهمه إذا لم نتعلم أولًا اللغة ونفهم الرموز التي كُتبت بها. الكتاب مكتوب بلغة الرياضيات، والرموز عبارة عن مثلثات ودوائر وأشكال هندسية أخرى، بدون مساعدتها يستحيل فهم كلمة واحدة منه؛ الأمر الذي بدونه يهيم المرء عبثا في متاهة مظلمة."

مكوي: هل تحاول أن تخبرني أنه يمكنك بالفعل سماع المد والجزر يتحدثان إليك؟ وأنت بدأت هذه المحادثة تشكو من أن الناس يصفونك بالجنون؟

أفلاطون: لم أشتكي. أنا فقط ذكرت ذلك.

مكوي: حسنًا، وهل هذا شيء غريب؟ أعني، يذهب الباقون منا إلى الشاطئ ويسمعون صوت الأمواج، ولكنك تسمع... حسنًا، أنا لا أعرف بحق الجحيم ما الذي تدعي أنك تسمعه. نظرية فيثاغورس أو شيء آخر. سبليش، أ، سبلاش، ب، سبليش، يساوي، سبلاش ج.

أفلاطون: أ2 +ب2 =ج 2. في المثلث القائم الزاوية، مربع طول الوتر يساوي مجموع مربعي طولي الضلعين المحاذيين للزاوية القائمة. [322]

مكوي: استعراض.

أفلاطون: لكن نظرية فيثاغورس ليست الرياضيات ذات الصلة بالمد والجزر، بل مجال الجاذبية القمرية المتفاوت على سطح الأرض، هو السبب الرئيسي لانتفاخات المد متساوية الجهد التي تفسر المدين المرتفعين يوميًا.

مكوي: حسنًا، أخبرتك من قبل، يا صديق، أن هذا برنامج لا للهراء، وهذا يعني أن تتحدث بطريقة يفهمها الناس، لذا توقف عن ذلك، وإلا سأضطر إلى قطع الميكروفون عنك.

أفلاطون: لكن، بمعنى آخر، أنت محق جدًا بشأن فيثاغورس، صديق الأعداد، الذي اكتشف السر بحدسه منذ فترة طويلة وهو أن أصعب مهمة في التوفيق بين عالم المتغيرات وعالم الضرورات الأبدية لا يمكن أن تحدث إلا عن طريق الرياضيات، تجري بين المملكتين، كأنها هيرمِس مجنح. الأعداد والقياس هما اللذان يوفران هيكل كل ما يخرج إلى الوجود؛ بهذه الطريقة تصبح الاحتمالات اللامحدودة مفهومة من

(322) . يتكرر هذا في العديد من المحاورات، بما في ذلك الجمهورية: "كل نفس تسعى وراء الخير وتفعل ما تفعله من أجله" (e505).

خلال دقة الأعداد (فيليبوس 30c25 ,c–d؛ طيماوس، مواضع متفرقة).

مكوي: هل قلت إن فيثاغورس كان صديقًا لك؟ هذا الرجل ونظريته الغبية جعلا حياتي جحيمًا حيًا في الصف السابع. ويمكنك أن تخبره بذلك شخصيًا عندما تراه.

أفلاطون: سيحبط لسماع ذلك.

مكوي: جيد. دعه يحبط جراء كل المشاكل التي ألحقها عبر العصور بالأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة. يا للعجب، كنت تتحدث عن المعرفة غير المجدية. تعتقد أنه في كل السنوات التي تمكنت فيها من تحقيق كل هذا النجاح - ألفت أفضل الكتب مبيعًا وفُزت بجوائز التميز في الصحافة الإذاعية ولديّ أكبر جمهور على أةي شبكة قنوات – هل تعتقد أنني فكرت ولو لمرة واحدة في نظرية فيثاغورس؟ كان عليّ أن أعلم أنك ستكون صديقًا لقاتلِ البهجة ذاك.

أفلاطون: لم يقتل بهجتنا بل أنار لنا الطريق غير المؤلم إليها، الطريق الذي يتجنب الآلام التي لا يمكن تجنبها في البحث عن الملذات الأخرى، لأن ملذات التعلم لا يشوبها الألم (فيليبوس b52).

مكوي: ربما عندك يا صديق.

أفلاطون: إنها السعادة التي تسعى إليها بنفسك عندما تطلب من المد والجزر تقديم تفسيرات، وعندما تبحث عن أفضل الأسباب.

مكوي: تلك، بالطبع، تتمثل في النهاية في إرادة الإله الغامضة.

أفلاطون: ليست غامضةً على الإطلاق، ولكنه معبر عنه في أفضل الصيغ الرياضية، وهو في حد ذاته تعبير عن الذكاء.

مكوي: حسنًا، أنت محق في ذلك، إذا كان ما تقصده هو التصميم الذكي، فهذا هو التصـميم الإلهي.

أفلاطون: - لذلك أن ترى أن السبب الأكثر كمالًا يتحقق في هذه العمليات هو أن ترى أن العقل هو الحاكم على الكون إلى الأبد (فيليبوس 30d).

مكوي: إذا كان ما تقوله هو أن الإله هو الحاكم إلى الأبد على الكون، إذًا حسنًا، لقد قلت شيئًا صحيحًا أخيرًا. وإلا فأنت تضرب الهواء. هذه التفسيرات التي تبدو مفتونًا بها، كلها جاءتك بفضل من الرب الإله تعالى. وإذا كنت بارعًا جدًا لدرجة أنك تواجه مشكلة في لجم شعرك - الذي حذرتك منه مرتين بالفعل - فلتشكره، وحده، على ذلك. وهذا هو السبب في أنني عندما أنظر إلى المد يرتفع والجزر ينحسر، دون سوء تواصل بينهما، أذهل من الرهبة.

أفلاطون: من الجيد أن تصيبك الرهبة.

مكوي: أذهل من الرهبة.

أفلاطون: أي شخص سعيد بدأ منذ أذهلته الرهبة من هذا الكون وتولّد عنده شغف لتعلم كل ما يستطيع الإنسان الفاني أن يتعلمه، معتقدًا أن هذه هي الطريقة التي يعيش بها أفضل حياة وأوفرها حظًا وأنه عندما يموت سيذهب إلى مكان حيث تكون الفضيلة في أرضها (القوانين 986c–d).

مكوي: حسنًا، شكرًا لك، على ما أعتقد. إنه للطف منك أن تقول ذلك. آمل بالتأكيد أنني عندما أموت سأذهب إلى المكان الذي تجد الفضيلة فيه أرضها، لأن المكان الوحيد الذي توجد فيه الآن في أرضها هو هنا في برنامج لا للهراء، حيث أنا الشخص الذي يتحكم بكل شيء.

أفلاطون: علاوة على ذلك، بمجرد أن يبدأ حقًا وصدقًا ويحقق الوحدة الكاملة ونصيبًا من حكمة الكون، يستمر في بقية أيامه كمراقب لأجمل الأشياء التي يمكن أن يراها البصر (القوانين 986d).

مكوي: صحيح أنني كنت مراقبًا حريصًا طوال أيامي، ولهذا دخلت مجال الإذاعة، ولكن ليس كل ما أراه يمكن وصفه بالضبط بأنه «أجمل الأشياء التي يمكن

أن يراها البصر.» أعني، أنا أعيش بالفعل في العالم الواقعي.

أفلاطون: إذًا لا يسعك إلا أن تكون فاضلًا وسعيدًا.

مكوي: أحب أن أعتقد ذلك. إذا كانت لرؤية الحقيقة الصريحة علاقة بالفضيلة.

أفلاطون: أوه، إن لها كل العلاقة بالفضيلة.

مكوي: إذًا حسنًا، عليّ أن أقول إنني شخص فاضل. لماذا «سعيد»؟ أعني، سأعترف بذلك، أنا رجل سعيد. انا سعيد جدًا. لدي كل ما يلزم لأكون سعيدًا. المال والشهرة والسلطة. وكما قال أحدهم بتعبير حكيم ذات مرة، لا يكفي أن تنجح.

أفلاطون: هذا كلام حكيم بكل تأكيد.

مكوي: يجب أن يفشل الآخرون.

أفلاطون: لكن بما أنك تعيش في العالم الواقعي كما تقول فأنت تعلم أنه لا شيء هذه الأشياء التي ذكرتها للتو – المال، الشهرة، السلطة، ناهيك عن فشل الآخرين، سواء كانوا أصدقاء أو أعداء – له علاقة بكونك سعيدًا.

مكوي: حسنًا، لا أعرف أي نوع من العالم الواقعي الذي تتحدث عنه هنا يا صديق. يبدو لي وكأنه نوع من العالم الحقيقي الذي يحلم به الفاشلون. أنا أتحدث عن العالم الواقعي جدًا. وفي العالم الواقعي جدًا، على عكس نسخة الفاشلين، فإن المال والشهرة والسلطة ليست بهذا السوء.

أفلاطون: ربما، كما تقول، ليست بهذا السوء. لكن هذا يعني أنها لا تزال بعيدة عن الصلاح الكامل.

مكوي: مرة أخرى، سأذكرك أنه هنا في العالم الواقعي جدًا، لا يوجد شيء صالح بالكامل، باستثناء الإله، في صيغة المفرد؛ خلاف ذلك، كل الأشياء خليط من الصالح والطالح.

أفلاطون: نعم، أنت محقٌّ تمامًا في أن كل شيء تقريبًا في العالم خليط من أجزاء

كثيرة، لذلك هناك القليل من الأشياء الثمينة التي يمكننا أن نقول عنها: نعم، هذا يستحق دائمًا أن نختاره؛ اختيار كذا وكذا سيؤدي دائمًا إلى حياة أفضل. وأنت محق بالتأكيد في أن المال والشهرة والسلطة من هذا النوع المختلط، لأنه في كثير من الظروف يؤدي اختيارها إلى حياة أسوأ.

مكوي: ومع ذلك، إذا كان عليك قبول خليط ما، فما الذي يمكن أن يكون أفضل من خليط من المال والشهرة والسلطة؟

أفلاطون: لكن ربما يتعين علينا ألا نتنازل ونقبل؟ ألن يكون ذلك أفضل؟

مكوي: أفضل من المال والشهرة والسلطة؟ انس الأمر. أنا سأتنازل.

أفلاطون: حتى لو تمكنا من العثور على خير أكثر موثوقية، بحيث يؤدي اختياره إلى حياة أفضل بغض النظر عن أي شيء آخر؟

مكوي: شيء ما ضمن نسخة الفاشلين من العالم الواقعي الذي تروج له؟ لدي فكرة أفضل لعنوان كتابك التالي: المعرفة التي لا تنفع والخير الذي لا تريده.

أفلاطون: كل شيء يريد الخير. كل ما يملك فكرة عنه يبحث عنه ويرغب في التمسك به وحيازته لذاته، ولا يهتم لأي شيء آخر إلا ما يتصل باكتساب بعض الخير (فيليبوس 20d).

مكوي: أنت محق. لكن لا أحد يريد ما تعرضه. ومن ثم فإن ما تقدمه ليس خيرًا.

أفلاطون: كانت هذه حجة.

مكوي: هل تعتقد أنك الوحيد الذي يعرف القياس المنطقي؟ لقد تعلمت في مدرسة كاثوليكية. ولقد كان أولئك اليسوعيون يعرفون شيئًا أو شيئين عن المنطق الملتوي، بارك الله أرواحهم.

أفلاطون: لكن كيف تعرف أنك لا تريد الخير غير المختلط الذي يدور في ذهني إذا كنت لم تدعني حتى أخبرك بما أعتقده؟ وأعني هنا أن الخير غير المختلط ليس فقط

خيرًا ينتج عنه دائمًا حياة أفضل، ولكنه أيضًا - وهذان الشرطان مرتبطان - الذي يؤدي إلى سعادة لا يخالطها ألم.

مكوي: لست بحاجة لسماع ما يدور في ذهنك في العالم الحقيقي للفاشلين. مهما يكن، لا أريده. لا أريد أي شيء ليحل محل ما أملك.

أفلاطون: أموالك وشهرتك وسلطتك.

مكوي: وكلّ «البريرجا». أترى، لقد علمتني شيئًا.

أفلاطون: لكن هل توافق على أن المال والشهرة والسلطة تدفع الناس أحيانًا إلى فعل الشيء الخاطئ؟

مكوي: اسمع، لم أقل أبدًا أن هذه الأشياء ستجعلك بالضرورة شخصًا صالحًا بالطريقة التي أرادتها لنا الراهبات في المدرسة. قصدت أنها أشياء جيدة. تجعل الشخص سعيدًا. لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها تجعل الشخص صالحًا بالطريقة التي توافق عليها الراهبات. ربما يكون الشخص السعيد صالحًا، وربما لا يكون كذلك. يعتمد ذلك على كيفية حصوله على ذلك المال أو الشهرة أو السلطة وماذا سيفعل بها. أحيانًا يكون الفاضلون سعداء وأحيانًا لا يكونون كذلك. أحيانًا يكون الآثمون سعداء وأحيانًا لا يكونون كذلك. لهذا السبب نحن بحاجة إلى الجنة والنار لتصفية الحساب.

أفلاطون: وماذا لو أخبرتك أنني أعتقد أن كونك فاضلًا وسعيدًا لا يمكن فصلهما عن بعضهما؟ الشخص الذي يقترف الظلم غير سعيد، والشخص الذي يقترف الظلم الأكبر هو الأكثر تعاسة.

مكوي: نعم، بمجرد أن يكتُشف فعله. بمجرد أن يكون بيرني مادوف جالسًا في زنزانته في السجن، تداعت إمبراطوريته من حوله ويكرهه الجميع وأفراد أسرته يغيرون أسمائهم حتى لا يكرههم الناس أيضًا.

أفلاطون: إنه أسعد بكثير، إذًا، وهو جالس بمفرده في زنزانته في السجن، عما

كان عليه من قبل عندما لم يُعاقب (جورجياس، مواضع متفرقة).

مكوي: حسنًا، لقد أصبح هذا بصراحة سخيفًا. يتبقى أن تقول لي أنك تفضل أن تكون الرجل الذي سرقه بيرني مادوف بدلًا من بيرني مادوف عندما كان على قمة عالمه.

أفلاطون: أود أن أقول ذلك.

مكوي: إذًا أنت أحمق. هل تفضل أن تكون مظلومًا على أن تظلم وتُفلت من العقاب؟

أفلاطون: من جهتي، لا أريد أيًا منهما، ولكن إذا كان عليّ أن أحدهما، فسأختار معاناة الظلم على أن أظلم (جورجياس 469b–c).

مكوي: إذًا أنت لا تريد أن تكون طاغية إذا تمكنت من الإفلات من العقاب؟

أفلاطون: ولا بأي حال. هل تريد أنت؟

مكوي: بكل تأكيد. وكذلك سيفعل أي شخص لديه معدل ذكاء أعلى من دجاجة ولا يعيش في عالمك الوهمي.

أفلاطون: ومع ذلك لا أعتقد أنك تعتقد ذلك. لأنك لا ترغب في جلب التعاسة لنفسك.

مكوي: اسمع، لقد أصبح هذا أسخف من أن تعبر عنه الكلمات، ناهيك عن أنه غير مسيحي. ولا حتى الراهبات كن سيحاولن أقناعنا بفكرة مجنونة من قبيل أن كوننا صالحين سيجعلنا بالضرورة سعداء. في الواقع، لقد تحدثوا كثيرًا عن المعاناة كنوع من التعويض الأخلاقي. هل أنت مسيحي يا أفلاطون؟

أفلاطون: لا.

مكوي: لم أعتقد ذلك. أنت تفتقر إلى المعنى المسيحي للأشياء بالكامل، بما في ذلك المعاناة. انظر، هذا هو الموضوع في المجاهدة الأخلاقية. سبب المجاهدة هو أن

ما يجعلنا صالحين وما يجعلنا سعداء ليسا نفس الأشياء. الأشياء التي نريدها، والتي هي الأشياء التي أملكها تحديدًا.

أفلاطون: المال والشهرة والسلطة.

مكوي: وما يأتي معها من بريرجا، هي الأشياء التي تجعلنا سعداء، وهذا هو السبب في أنني رجل سعيد، ولا شيء يمكنك قوله سيقنعني بخلاف ذلك. ماذا، هل ستخبرني أنني لست سعيدًا حقًا، أنه يبدو لي فيقط أنني سعيد؟ حسنًا، أتعلم؟ سأكتفي بأن يبدو لي أنني سعيد، لأنني لا أرى أي فرق. ما الذي يهمني إذا كان المال والشهرة والسلطة أشياء مختلطة وأنه لن يكون كل من يسعى خلفها بالضرورة سعيدًا، ناهيك عن أن أكون فاضلًا؟ إنها ليست أشياء مختلطة بالنسبة لي. عندما تنظر إلى الإحصائيات، وتأخذ في الحسبان الرجل الذي يتفوق في كل الأرقام لأن حياته رائعة للغاية، سيكون ذلك الرجل أنا. في رأيي ربما أكون الثاني في ترتيب السلطة بعد الرجل الذي يشغل المكتب البيضاوي. هل تعرف كم هو رائع هذا الشعور؟ هل يمكنك أن تتخيل شعور أن يكون لديك هذا القدر من التأثير على ما يعتقده الناس؟

أفلاطون: أنا تقريبًا خائف من مجرد تخيل ذلك، يبدو لي شيئًا بائسًا.

مكوي: بائس؟ هل هذا ما قلته للتو يا صديق؟ هل تمزح معي؟ هل تعتقد أنه من البؤس أن يكون لديك سلطة كبيرة على عقول الناس؟ يصنف هذا كأغبى شيء سمعته في حياتي. أنت مستمر في التفوق على نفسك يا أفلاطون. الرجل الذي يتباهى بمدى ذكائه يقول شيئًا بهذا الغباء.

أفلاطون: لطالما اعتبرت القدرة على التأثير على آراء الآخرين من أعظم البلايا التي يمكن أن يصاب بها إنسان.

مكوي، ضاحكًا: هل سمعتم ما قاله هذا الرجل؟ حسنًا، لا بد أن تكون هذه نوعًا من الخدع لبيع الكتب. وبالمناسبة، إذا كنت تريد ألا يكون لك تأثير على الناس، فلماذا تؤلف كتبك؟

أفلاطون: أعتقد أن الكاتب لا يمكنه، في أفضل الأحوال، إلا أن يأمل في تذكير من يعرفون بالفعل (فايدروس a278).

مكوي: انتظر لحظة هنا. أنت رجل من الأكاديمية يعترف بالفعل أنه لم يتعلم أي شيء من كتاب؟ ما نوع المناهج التي تدرسها في صفوفك؟

أفلاطون: أنت تدرك أنني أتحدث عن المعرفة وليس المعلومات. لا يمكن أن تنتقل المعرفة من شخص إلى آخر كما يمكن للمعلومات.

مكوي: معرفة، معلومات. لا أرى فرقًا. ما هذا، دلالات ألفاظ؟ ألا تخجل، في سنك الطاعن، من المراوغة بالكلمات؟ (جورجياس b489). على أية حال، لا أعتقد أنك يجب أن تؤرق نفسك بشأن أي تأثير غير مستحق قد يكون لديك. لا أعتقد أنك ستواجه هذه المشكلة على الإطلاق.

أفلاطون: مع ذلك، دائمًا ما كان التأثير غير المستحق مصدر قلق بالنسبة لي. جعلني منصبي كرئيس للأكاديمية قلقًا من أن البعض هناك قد يتخذ منصبي ببساطة كسبب كاف للاتفاق معي، فيتخذونني حجة لتأسيس مواقفهم.

مكوي: بصراحة، لا أرى ذلك يحدث. لن يتأثر أحد يستمع الآن إلى هذا البرنامج – وعدد المستمعين ضخم، الأكبر على أي شبكة تلفزيونية – بأي شيء تقوله، بما في ذلك ادعائك أنه من سوء الحظ أن يكون لديك عدد كبير من المتابعين. يجب أنك غير محظوظ بالمرة!

أفلاطون: آمل ألا يكون الأمر كذلك، لأن أي أخطاء أرتكبها سوف تتضاعف عدة مرات، ما يفسد ليس فقط وجهة نظري ولكن وجهة نظر الآخرين المتأثرين بي. وإذا كان تأثيري كبيرًا جدًا، فلن يؤدي ذلك إلا إلى زيادة احتمالية خطأي في التفكير، لأنه سيخنق قدرتي وقدرات الآخرين على تقييم ما أقوله. سأكون مثل الشخص الذي يسافر في رحلة طويلة من أجل رؤية العالم ولكنه يسافر ونوافذ عربته مغطاة بصور للمنظر الذي يراه من نافذة غرفة نومه.

مكوي: عربة؟ لقد وصلنا إلى تقنيات عالية جدًا.

أفلاطون: قصدت فقط أن الشخص ذو التأثير الكبير يفتقر إلى وجهات النظر التي تتحدى آراءه.

مكوي: أوه، ليس هناك أي نقص في وجهات النظر التي تجعجع متحدية رأيي. هذا ما نسميه وجهات نظر المغفلين، ولحسن الحظ لا شيء يجبرني على الالتفات لها.

أفلاطون: باستثناء مصلحتك الشخصية.

مكوي، ضاحكًا: هذا الأمر يزداد جمالًا. يفترض بي أن ألتفت إلى المغفلين من منطلق مصلحتي الشخصية؟

أفلاطون: وإلا عليك أداء المهمة الشاقة المتمثلة في تحدي مواقفك بنفسك. أليس من الأفضل أن تحصل على بعض المساعدة في مهمة صعبة للغاية مثل هذه؟ ومن يساعدونك ألن تدعهم أصدقائك؟

مكوي: لماذا أتحدى مواقفي؟ هذا عمل أعدائي، وعملي أن أشوه سمعتهم.

أفلاطون: أنا أعتقد أنه عمل أصدقائك الأكثر قيمة.

مكوي: لا أستطيع أن أتبين ما إذا كنت تستخف بي أم لا. هل هذا مقلب مثل مقالب ألي ج. أو بورات تحاول أن توقعني فيه؟ فقط أجبني. هل تستخف بي؟ هل أخفق طاقمي الغبي مرة أخرى وسمحوا لشخص من شاكلة ساشا بارون كوهين بالدخول؟

أفلاطون: أنا صادق.

مكوي: إذًا من المفترض أن أصدق أنك تعتقد أن الأصدقاء هم الذين يحاولون تفنيد آرائك؟

أفلاطون: بالتأكيد، عندما يكون ما أقوله خطأ؛ ولا يمكنني التأكد من أنه ليس خطأ ما لم أسمع أفضل الحجج المعارضة له. وآمل أن أكون صديقًا جيدًا يرد الجميل.

مكوي: لكن من الواضح أنك تفضل أن تفنِّد الآراء على أن تُفنَّد آراؤك.

أفلاطون: لن أكون أقل سعادة إن فُنّدت آرائي. لأنني أحسب أن تفنيد آرائي خير أكبر، بقدر ما هو خير أكبر للإنسان أن ينجو من شيء سيء على أن ينقذ شخصًا آخر منه (جورجياس b458).

مكوي: حسنًا، دعني أصبح أفضل أصدقائك وأمزق كل ما قلته إلى أشلاء. أخشى أنك سوف تنزل على ركبة واحدة وتتقدم للزواج مني عندما أنتهي.

أفلاطون: أي من مواقفي تود تفنيده؟

مكوي: من أين أبدأ حتى؟ بالكاد أتذكر كل الأشياء المجنونة التي قلتها. إنها لا تعلق بالذهن لأنها لا تعقل. أولًا، جعلت المد والجزر يعرفان أشياء مثل نظرية فيثاغورس والكون بأكمله يعرف كيف يحسب، الشيء الذي يبدو أنك تعتقد أنه كافٍ لجعله يخرج إلى الوجود بمفرده، دون أي مساعدة من الإله - لاحظ صيغة المفرد - الذي ربما تكون قد أغضبته بقدر ما أغضبتني لأنك تهمشه تمامًا في مسؤوليات وظيفته الرئيسية، والتي تتمثل في إخراج الكون إلى الوجود - كتالوج «وقال الله ليكن...» الذي كنت ستعرفه لو كنت مسيحيا أو حتى مسلمًا أو يهوديًا، وأنا أفهم أنك لست كذلك.

أفلاطون: لا.

مكوي: تمام، إذًا، سأطلعك. لقد صنع الإله كل الأشياء ثم جعلها تعمل، المد يرتفع والجزر ينحسر وكل الأشياء الأخرى. ودعني أخبرك شيئًا عن نظرية صديقك فيثاغورس. قد تعتقد أنها جميلة مثل ابتسامة الموناليزا، لكن ابتسامة السيدة ليزا لم ترسم نفسها ونفس الشيء ينطبق على الكون. لا شيء يحدث، بما في ذلك نظرية صديقك، دون أن تأتي الكلمة من الأعلى. حسنًا، هذا هو رقم واحد في سلسلة أخطائك الكبيرة. هل يمكنك دعم ادعائك بأن العالم تحركه الرياضيات؟

أفلاطون: السبب الوحيد الذي يمكن أن ينصف المشهد الرائع الذي يعرضه

النظام الكوني للشمس والقمر والنجوم ومدارات السماء كلها هو أن العقل ينظمها كلها (فيليبوس e28).

مكوي: أنت تدور أسرع من تلك المدارات. ما طلبت منك أن تخبرني إياه بشكل مباشر هو ما إذا كان يمكنك دعم ادعائك.

أفلاطون: ربما في الوقت الذي زعمت فيه أول مرة أن المبدأ الأول للكون هو الرياضيات.

مكوي: حذارِ يا صديق. تحدث الإنجليزية.

أفلاطون: ربما، في البداية كان مجرد حدس قوي، ولكن في هذه المرحلة.

مكوي: سأوقفك هناك. كما ترى، على هذه الشبكة، يجب أن تكون قادرًا على دعم ما تسميه حدسًا. نحن نتمسك بالحقائق هنا. هذا النوع من الحديث الملتوي من شاكلة ثق بي فلدي حدس قوي قد يمر على شبكات أخرى، لكن ليس على هذه الشبكة. حسنًا، هذا هو خطؤك الرئيسي الأول. وقد اتبعت هذا الجزء من الهراء بجزء لطيف آخر من التجديف، مدعيًا أن علم الفلك هو عمل من أعمال التفاني الديني الذي من شأنه أن يمنح الشخص الفضيلة بطريقة ما. إذًا ها أنت ذا تهمش الإله - بصيغة المفرد - مرة ثانية، لكن هذه المرة فيما يتعلق بالفرق بين الصواب والخطأ، وهي ثاني مسؤولياته الكبيرة. لأن هذا هو الوضع يا صديق. حقيقة: يقرر الإله الصواب والخطأ، وهذا ليس له أي علاقة بمجرة درب التبانة أو الدب الأكبر أو أي شيء في أغنية توينكل توينكل ليتل ستار ولكنه يتعلق ببعض القواعد الصارمة جدًا، إحداها، بالمناسبة، يمنعك من النزول على ركبتك والتقدم للزواج مني عندما أنتهي من تفنيد كلامك، هذا للعلم. ثم لديك تلك الفكرة المجنونة بأن الفضيلة والسعادة تسيران ممسكتين بأيدي بعضهما في الممر، بحيث أنه حتى لو اعتقد شخص ما أنه سعيدٌ سعادة طبيب إجهاض في بيت دعارة، إذا لم يكن فاضلًا فهو ليس سعيدًا في الحقيقة. انظر، هذا من شأنه أن يجعل الفضيلة سهلة للغاية، لأن الجميع يريد أن يكون سعيدًا، لكن فكرة الفضيلة بالكامل هي أنها صعبة. يجب أن تتعارض مع ما تريده. أن تكون

فاضلًا يعني أن تتألم، بحيث يكون هناك صراع حقيقي في روحك ولن يتمكن سوى الأفضل منا من التغلب عليه. تمام، هذا شيء. ثم، وفوق كل ذلك، تأتي وتقول إن أفضل شيء بالنسبة لرجل مثلي هو أن يلاحقني المغفلون في محاولة لتفنيد وجهة نظري، بدلًا من أن تكون لدي قاعدة جماهيرية ضخمة من المتابعين المخلصين الذين يأخذون عني رأيي فيمن هم الأشرار ومن هم الأخيار. حسب كلامك، فإن المغفلون هم أصدقائي الحقيقيون ومعجبيّ ليسوا أصدقائي على الإطلاق، الأمر الذي يؤدي إلى نتيجة سخيفة تمامًا مفادها أنني لست صديقي، لأنني من أكبر المعجبين بي. لذا، لذا فهذا برهان خلف [323] يمكنك وضعه في غليونك وتدخينه، جنبًا إلى جنب مع أي أشياء غريبة أخرى تدخنها. حسنًا، أعتقد أن هذا يغطي كل الأشياء الغبية الكبرى التي تمكنت من قولها في الوقت القصير الذي عرفتك فيه. لقد تركت بعض الغباوات الصغيرة، مثل أنني يجب أن أتحمس بشده للرياضيات.

أفلاطون: ومن أين تريد أن تبدأ؟

مكوي: سؤال جيد. الكثير من الأخطاء، القليل من الوقت. لماذا لا نركز فقط على الشيء الأكثر إهانة لي شخصيًا.

أفلاطون: دعني أخمن: أنه من سوء حظك أن آرائك تؤثر على آراء الآخرين.

مكوي: ربما يكون هذا أغبى شيء سمعته على الإطلاق في تاريخي الطويل من سماع الأشياء الغبية. وأنا لا أعتقد للحظة أنك تصدق ذلك بنفسك. أنت مقنع بقدر دوكاكيس وهو على دبابة عسكرية. دعنا ننظر إلى الحقائق. أنت رجل أنشأ أكاديميته الخاصة، وأنت رجل ينشر الكتب، لذلك أعتقد أنك رجل يحاول بشدة التأثير على طريقة تفكير الآخرين. وبما أنك وصلت إلى الظهور في برنامجي، فقد حققت بعض النجاح في ذلك، لكن لا تسألني كيف. أظن أن السبب هو الصدمة مما تقوله. رجل متعلم يحمل درجات علمية رائعة يقول أشياء غبية جدًا يعرف أي شخص عادي أنها

(323) . برهان الخلف هو برهان يقوم على إثبات صحة المطلوب بإبطال نقيضه أو بطلان المطلوب بإثبات صحة نقيضه. (المترجم)

لا يمكن أن تكون صحيحةً، وهكذا يحك الناس رؤوسهم ويقولون لا بد أن هناك معنىً أعمق لما يقوله، لأنه إما هذا أو إنه أغبى من دجاجة.

أفلاطون: وربما يكون الأمر أن الحقيقة تدخل أذهاننا في البداية كشيء غريب ومقلق، ثم تتصالح عقولنا ببطء مع غرابتها وتعيد تشكيل نفسها بحيث يتغير الشعور بالغرابة نفسه.

مكوي: إعادة التشكيل التي تحتاج، على ما أعتقد، إقامة مطولة في أكاديميتك الخاصة، حتى إذا حان وقت تخرج الطلاب المخدوعين يكونون مقتنعين بأنهم يستطيعون سماع المد والجزر يهمسان في آذانهم بنظريات جميلة وأنهم يرون الآلهة تمرح في درب التبانة. هذا ليس إلا هراءً نخبويًا. وربما هو السبب في عدم رغبتك في التأثير على عدد كبير من الناس، لأنه عند ذلك لن يعود الأمر مقصورًا على النخبة القليلة فقط. سيفقد بريقه عندما يتواجد في العديد من الرؤوس، وسيتعين عليك الإتيان ببعض الكلام الغريب تمامًا لتمييزك عن الجماهير. يشبه الأمر ما حدث عندما بدأت أمهات[324] كرة القدم في وشم أجسادهن، فذهبت نساء الهيبيز لإزالة وشومهن بالليزر.

أفلاطون: كلما زاد عدد الأشخاص الذين أعادت الحقيقة تشكيل عقولهم، كان ذلك أفضل لنا جميعًا.

مكوي: إذًا أنت تريد التأثير على الناس. أنت تريد تغيير رأيهم. أنت تناقض نفسك!

أفلاطون: أود أن أفرق بين التأثير والإقناع.

مكوي: مثلما فرقت بين المعلومات والمعرفة. المزيد من اللف والدوران الأكاديمي.

---

(324) مصطلح أمريكي ظهر في التسعينات يشير إلى شريحة من المجتمع تتمثل في أمهات الطبقة المتوسطة اللاتي يقضين الكثير من الوقت في توصيل أولادهن للأحداث الرياضية وغيرها من الأنشطة. (المترجم)

أفلاطون: الفروقات، بين المعلومات والمعرفة، من ناحية، والتأثير والإقناع، من ناحية أخرى، ليست منفصلة.

مكوي: دون شك. إنها مرتبطة بدلالات الألفاظ الفارغة.

أفلاطون: أعتقد أنه يمكنني شرح الفرق بين التأثير والإقناع بشكل أفضل من خلال الحديث عن الإغواء.

مكوي: تقصد مثل الإغواء الجنسي؟

أفلاطون: نعم.

مكوي، ضاحكًا: أهلًا بك. لقد ارتفع تقييمي للتو.

أفلاطون: هناك فرق، يمكنك إدراكه، بين شخص يأخذ الآخرين بالقوة، فيعتلي الآخرين مثل حيوان ثم يزرع بذرته (فايدروس 251a).

مكوي: تمهل، يا صديق. قد تكون هذه شبكة كابل لكن ليس كل شيء يمر.

أفلاطون: - وشخص يغوي بصدق. من يتصرف بالطريقة الأولى يتخذ الغطرسة رفيقًا له، ولا يغوي الآخر، بل ينتهكه، الآخر المغلوب والمحروم من أي فرصة في إبداء الموافقة أو الرفض. في الواقع، لا يكون التعامل مع المغلوب على أساس أنه إنسان على الإطلاق، لأن إرادة هذا الإنسان تصبح معطلة. لكن ما نسميه الإغواء لا يسحب السلطة من الشخص الذي يجري إغواؤه، بل يمكّنه أو يمكّنها من الاستسلام بإرادته أو بإرادتها.

مكوي، ضاحكًا: هو، هي. هو، هي. شخص ما بالتأكيد قد شكلته فرشاة الصوابية السياسية.

أفلاطون: لا، لم أتشكل بل اقتنعت. وهي النقطة التي أقصدها. عندما قالت شيرل، مرافقتي الإعلامية في غوغلبلكس، أن لغتي متحيزة جنسيًا، فكرت في الحجة التي قدمتها ورأيت أنها كانت سليمة، كان لدي القدرة على دحضها أو قبولها، ولذا

فإن الإغواء والإقناع متشابهان.[325] كلاهما فيه استسلام، لكنه ليس استسلامًا لشخص آخر، فلا كرامة في ذلك. لكن، عندما أُغوى أستسلم للحب، وعندما أقتنع أستسلم للحقيقة.

مكوي: هذه خطبة جميلة، يا أفلاطون، أنت خطيب أيضًا، لكنني أعتقد أنك تلعب بالكلمات مرة أخرى. قد تقول إنك لا تحاول شخصيًا التأثير على أي أحد، وأنك تحاول فقط حمله على «الاستسلام للحقيقة»، لكن في الواقع هما نفس الشيء. سواء كنت تريد إنكار رغبتك في النفوذ أم لا، فأنت لا تزال تسعى إلى الإجماع، وتحاول أن تسحق وجهات النظر المختلفة باسم حقيقتك الوحيدة. لقد قلتها بنفسك قبل فترة وجيزة: طريقتي وإلا فلا.

أفلاطون: أنا قلت ذلك؟

مكوي: لقد سجلنا ما قلته ويمكن أن نعيد تشغيله لك إذا أنكرته. «هذه هي الطريقة الصحيحة، هذه هي التربية، هذه هي الدراسات». إذا كان لديك برنامج لا للهراء مثلي، حيث يمكنني أن أقرر متى يتلاعب الناس بالحقيقة، وإذا لزم الأمر، أخبرهم أن يصمتوا أو سأقطع الميكروفون عنهم، فستستغل فرصة كهذه.

أفلاطون: فقط إذا أردت لنفسي أكبر ضرر. لا يسعني إلا الشعور ببعض الحزن على أرسطو، وهو تلميذ موهوب لدي، عانى في وقت معين من سوء الحظ الذي جعله صاحب السلطة في مؤسسة قوية، اعتاد أعضاؤها ببساطة الإشارة إليه بأنه «الفيلسوف»، كما لو أنه لم يأت قبله ولن يأتي بعده فلاسفة، وحولوا كل آرائه إلى عقيدة.

---

(325) في محاورة فايدروس، قام أفلاطون بما يبدو أنه تحول مفاجئ نوعًا ما من الحديث عن الإغواء إلى الحديث عن البلاغة (257c). السبب الظاهري هو أن الخطب الثلاثة التي تُقارن ببعضها كان إيروس موضوعًا لها جميعًا، لكن هناك أسبابًا أعمق لدمج مناقشة الطريقة الصحيحة للإغواء والطريقة الصحيحة للإقناع في محاورة واحدة. من يقعون في الحب ومن يقتنعون بالحقيقة يسمحون لأنفسهم بأن يغلبهم شيء أكبر من أنفسهم. في طيماوس (51e) يقول أفلاطون إن الشخص المنفتح على العقل فقط هو المنفتح على الاقتناع. الخطيب الذي يريد ببساطة أن يفرض كلامه يشبه المحب الذي يريد ببساطة أن يفرض نفسه.

مكوي: أعرف كل شيء عن أرسطو من المدرسة الثانوية. كان الوثني المختار. أحبه توماس الأكويني، وأحببنا توماس الأكويني. أتخبرني أنك لا تشعر بالمرارة لأن تلميذك تفوق عليك لدرجة أنه أصبح يُدعى «الفيلسوف» كما لو أنك غير موجود؟ لقد غطى على شمسك تمامًا، وأنت تخبرني أنك لم تكره ذلك؟ أتخبرني أنك لا ترغب في أن يكون لديك النفوذ الذي كان لديه أو لدي الآن مع كل المعجبين بي؟

أفلاطون: من ناحيتي، أعتقد أنه من الأفضل أن تكون قيثارتي أو جوقة أقودها نشازًا ومتنافرة، وأن أجعل الغالبية العظمى تختلف معي وتناقضني، على أن أكون متناقضًا مع نفسي، على الرغم من أنني فرد واحد (جورجياس 482a).

مكوي: مرة أخرى خطب منمقة! انظر، يا صديق، أنا لست متناقضًا مع نفسي لمجرد أنني في وئام تام مع المعجبين بي.

أفلاطون: أنت تتحدث إلى الأشخاص الذين يشبهونك في الشخصية، وبالتالي تقول لهم ما يسعدهم سماعه.

مكوي: دون شك. ولدي تقييمات لإثبات ذلك.

أفلاطون: أنتم ترضون بعضكم. ما تقوله يمتعهم، ومتعتهم بك تمتعك.

مكوي: حسنًا، يمكنك أن تقول ذلك، رغم أنه تعبير مقزز بعض الشيء.

أفلاطون: كل مجموعة من الناس تبتهج بالخطب التي تُلقى بلغتها وتكره تلك التي تُلقى بطريقة غريبة (جورجياس 513c).

مكوي: حسنًا، هذا واضح. لهذا السبب أخبر المغفلين أن يخرسوا، وجمهوري يحبني لذلك. إنها فقط الطريقة التي يريدون أن يعاملَ بها المغفلون.

أفلاطون: لذلك عندما تقول، أنت من تتحدث لغة جمهورك، ما يودون قوله بأنفسهم، فإنك ترضيهم. أنت ترضيهم كثيرًا لدرجة أنهم لن يذهبوا أبدًا للاستماع إلى أي شخص يقدم أسبابًا للتشكيك فيما يريدون أن يقولوه. إن متعة الاستماع إليك عظيمة جدًا لأن الانسجام رائع جدًا.

مكوي: أنا مستمتع لمجرد سماعك تصف الموقف.

أفلاطون: الخطباء الذين يكسبون الكثير من خلال إرضاء الناس سيكونون حذرين فيما يقولون، ويعاملون الناس مثل الأطفال، ولا يقولون لهم شيئًا يسبب لهم ألم الشك. إذا كان هناك شيء يحتاج الناس إلى سماعه من أجل الحصول على الصورة الكاملة ولكنه قد يسبب لهم الألم، فإن هؤلاء الخطباء يختارون تجاهله، حتى لو كانت العدالة تتطلب قوله. إنهم يفعلون بالعدالة ما يفعله صناع الحلويات بالصحة (جورجياس 465c).

مكوي: صناع الحلويات! هل سمعتك للتو تقول «صناع الحلويات»؟ أم راكبو العجلات كما في المثل في التأني السلامة وفي العجلة الندامة؟ أم أنك تتحدث عن الطوابع التي تضعها راقصات التعري؟ كما تعلم، كل شيء متوقع معك.

أفلاطون: لقد كنت أتحدث عن صناع الحلويات. من الذي يمكنه أن يخبرك بما يفيد جسدك بشكل أفضل، صانع الحلويات أو الطبيب؟

مكوي: أي نوع من الأسئلة الغبية هذا؟ أنت لا تجرؤ على التقليل من شأني.

أفلاطون: لأنه من الواضح جدًا أن الطبيب يمكنه علاج الجسم بشكل أفضل، ويفهم كيف تتحسن صحته، في حين أن صانع الحلويات يبهج الجسم ببساطة، ويعرف كيف يمنحه المتعة دون التفكير في الأفضل له. إذا وضع صانع الحلويات قناع الطب، وتظاهر بمعرفة الأطعمة الأفضل للجسم، بحيث يكون على صانع الحلويات والطبيب التنافس أمام جمهور من الأطفال، أو أمام أشخاص في عقلية الأطفال، يحددون أيهما، الطبيب أو صانع الحلويات، لديه معرفة الخبير بالطعام الجيد والسيئ، سيموت الطبيب من الجوع. ولذا فإن الخطيب مثل صانع الحلويات، كلاهما يعرف جيدًا موهبة الإشباع. وما هذه الموهبة؟ بإدناء الشيء العاجل الأكثر متعة، فإنه يتعرف على الحماقة ويخدعها، بحيث يعطي الانطباع بأنه الأكثر استحقاقًا. أسمي هذا إطراءً، وأقول إن مثل هذا الشيء مخجل لأنه يبحث عما هو ممتع دون اعتبار لما هو أفضل (جورجياس 464d-645a، ليس بنفس الترتيب).

مكوي: نعم، لكن هناك عدالة في الموقف تجعله غير مخزٍ على الإطلاق. فالرجال على الجانب الآخر يفعلون نفس الشيء بالضبط. لديهم جماهيرهم الذين يرضونهم من خلال تقديم الحلويات التي يجدها جمهورهم لذيذة جدًا. هكذا تسير الأمور، لديك صانعو حلويات على كلا الجانبين، مع وآكلو حلويات على كلا الجانبين يلتهمونها ثم يربتون على بطونهم بكل سرور. لذا ربما يحب بعض الناس السينابون وآخرون يحبون الموس أو التيراميسو. هذا بلد حر وأنت حر في الحصول على الحلوى من أيٍّ كان. ونعم، كل هذا يعمل في الغالب بسبب نظام السوق الحرة، الذي يسير جنبًا إلى جنب مع الديمقراطية. يسير الاثنان في الممر معًا بشكل طبيعي أكثر مما تفعل فضيلتك وسعادتك، الشيء غير الطبيعي بالمرة. لذلك نعم، هناك أرباح يمكنك جنيها من إرضاء جمهورك – أنا أعيش بالطريقة التي أعيش بها لأنني أرضي حب حلويات بعينها عند مجموعة كبيرة من الناس – لكن هذا مقبول لأن كلا الجانبين يفعل ذلك، وكل شيء متاح في المتجر الأمريكي الكبير الرائع، سينابون وتيراميسو، وفطائر الكريمة وفطائر الوبي، ويستطيع الناس أن يرضوا أنفسهم كيفما يحبون. هذه هي الديمقراطية، يا صديق، الديمقراطية التي علمنا حبها للعالم.

أفلاطون: لكن حتى لو كان كل شيء متاحًا في المتجر الكبير، سيذهب الناس فقط إلى الأكشاك التي تبيع ما يفضلون. الشخص الذي يحب السينابون سيذهب إلى السينابون، والذي يحب التيراميسو سيذهب إلى التيراميسو.

مكوي: كما قلت، إنه بلد حر. وبالمناسبة، ينطبق الأمر نفسه على الإنترنت الذي تحبه كثيرًا.

أفلاطون: أنا حزين جدًا لمعرفة ذلك. كنت آمل أن كل هذه المعلومات المتاحة بمثابة رغبة كبيرة ليس فقط في المعلومات ولكن ربما حتى في المعرفة.

مكوي: مجرد وجود كل هذه المعلومات لا يعني أن أي شخص سيصل إليها جميعًا. أعني كيف يمكنهم ذلك؟ إنها كمية هائلة. لذا فهناك النوع الذي لا يرى شيئًا أفضل من فطيرة التفاح يزورون موقعنا أو موقع دردج ريبورت، ومحبي فطائر الفرو

فرو بالكراميل يذهبون إلى موف أون وهافنجتون بوست

أفلاطون: لذا فقد أصبحت معركة لجذب الانتباه.

مكوي: بالضبط. الاهتمام هو المورد الذي يبحث عنه الجميع، وفي بعض الأحيان تكون هناك أموال ضخمة مرتبطة بهذا الاهتمام.

أفلاطون: لكن حتى في حالة عدم وجود مبالغ ضخمة، الاهتمام وحده دافع كافٍ.

مكوي: أنت على حق. الاهتمام هو القوة. لديك كل أنواع صانعي الحلويات على الإنترنت، يصنعون طوفان منها. أي شخص يملك مدونة هو صانع حلويات.

أفلاطون: أنا حزين لسماع ذلك.

مكوي: لا مشكلة في وضع المزيد من صانعي الحلويات هناك، كلهم يحسّنون حلواهم. كما قلت، هذه هي الديمقراطية. لديك مشكلة مع ذلك، إذًا لديك مشكلة مع الديمقراطية.

أفلاطون: بالنسبة لي، يبدو الوضع عكس ذلك تمامًا، لأنه إذا كان الوضع كما تصفه، أتساءل كيف يمكن أن تستمر ديمقراطيتكم في العمل.

مكوي: ماذا، هل تريد أن تدس اللوائح الحكومية أنوفها الكبيرة بحيث لا تبيح لنا إلا الحلويات سيئة الطعم والمفيدة للصحة سواء كنا نريدها ام لا؟ أم أنك مع حرماننا من كل الأشياء اللذيذة بالكامل؟ أو ربما تكون فكرتك هي أن تدع الجماهير تأكل حتى تلمع أعينهم لرؤية دنكن دونتس بينما أنت وأشباهك تديرون العرض. أيهما يا أفلاطون؟

أفلاطون: لا شيء منهما. لأننا إذا منعنا صانعي الحلويات من تقرير الأنسب لنا، فإننا لا نحرم أنفسنا بالضرورة من المتعة.

مكوي: حسنًا، ما هو نوع المتعة سيئة الطعم التي ستحاول بيعي إياها؟ واحدة

من تلك الأجبان الفرنسية ذات الرائحة الكريهة التي تثبت أن لديك ذوقًا رفيعًا؟

أفلاطون: إنه نوع من المتعة التي لا يمكن أن يحصل عليها المرء إلا إذا لم يكن يسعى وراء المتعة في المقام الأول. فهذه واحدة من أكبر مفارقات المتعة[326] : إذا كانت المتعة هي هدف المرء، فسوف تراوغك، مثل ريشة لامعة تطاردها، الريح التي تولدها في مطاردتك تجعل الجائزة تفلت من بين يديك. فقط عندما تتوقف عن مطاردتها قد تتهادى الريشة إلى أسفل وتستقر في حجرك.

مكوي: وهل لتلك المتعة الثمينة التي لا يمكنك ملاحقتها علاقة بتلك المعرفة الثمينة التي لا يمكنك استخدامها؟[327]

أفلاطون: كل العلاقة. نظرًا لأنها تتعلق أيضًا بالمتعة غير المختلطة التي كنت متأكدًا من أنك لا تريدها.

مكوي: وما زلت متأكدًا من أنني لا أريدها. والأكثر من ذلك، أنا متأكد من أنك لا تريدني أن أحصل عليه أيضًا.

أفلاطون: أوه، لا، أنت مخطئ تمامًا. أتمنى، لو كان ذلك ممكنًا، أن يحصل عليها الجميع. كما أتمناها لك، بتأثيرك الكبير، أكثر من أي شيء آخر.

مكوي: صدقني، إذا بدأت في السعي وراء معرفتك غير المجدية فلن يظل معي

---

(326) . في أولى محاضراتها في سلسلة وايتهيد، "المتعة والمعرفة والخير في محاورة فيليبوس لأفلاطون"، التي ألقتها في جامعة هارفارد في ربيع عام 2013، ربطت فيريتي هارت آراء أفلاطون حول "ملذات الخمول" "بمعضلة المتعة " التي تنسبها إلى سيدجويك، مستشهدة بهذا المقطع من مناهج الأخلاق: "هنا يظهر ما يمكن أن نسميه بمعضلة المتعة الأساسية، وهو أن الدافع نحو المتعة، إذا كان قويًا للغاية، يهزم هدفه الخاص. هذا التأثير غير مرئي، أو نادرًا ما يكون مرئيًا في حالة المتعة الحسية السلبية. ولكن فيما يتعلق بالمتع النشطة بشكل عام، سواء كانت الأنشطة التي تأتي منها تُصنف على أنها "جسدية" أو "فكرية" (بالإضافة إلى العديد من المتع العاطفية)، فمن المؤكد أننا لا نستطيع تحقيقها، على الأقل في صورتها الأعلى، طالما أننا نبقي تركيزنا الواعي الرئيسي عليهم" (مناهج الأخلاق، 1-4، ص 48-49). قارن أيضًا الاقتباس التالي المنسوب إلى س. ب. سنو: "السعي وراء السعادة هو أكثر العبارات سخافة؛ إذا سعيت وراء السعادة فلن تجدها أبدًا ".

(327) . في محاضراتها الثانية في سلسلة وايتهيد، واصلت هارت ربط فكرة أفلاطون عن "الملذات الخاملة" و "المعرفة غير المجدية".

تأثيري الكبير.

أفلاطون: وبالتالي أنت لا تريدها.

مكوي: لكن وبينما هو معي. أريدها وأملكها، وسأستخدمها الآن لأقول إنني قد لا أرغب في تناول حلوياتك سيئة الطعم، يا أفلاطون، أو مطاردة ريش طائرك، لكن عليك أن تعترف لي بالفضل لأنني لم أقطع عنك الميكروفون. لقد كانت تجربة حقيقية - بالنسبة لي وآمل أنها كانت كذلك بالنسبة إليكم مشاهدي مكوي الحقيقي.[328]

---

(328)The Real McCoy . : تعبير اصطلاحي بمعنى الحقيقة أو الشيء الأصلي غير المتكلف. (المترجم)

θ (ثيتا)

دع الشمس تدخل

علمنيها الدايمُن

لقد تحدثت كثيرًا عن أداء سقراط أمام الحشد المكتظ عام 399 قبل الميلاد لابد أنه كان هناك أداءً كبيرًا، نظرًا لتأثيره على أفلاطون (وكذلك على العديد من الآخرين الذين كتبوا المحاورات السقراطية.) لسنا بحاجة إلى الاعتماد على صحة رسالة أفلاطون السابعة لندرك أن العنف الذي عانى منه سقراط قد غير أفلاطون.(329) علينا ببساطة أن ننظر إلى نتاج حياته.

في الندوة، جعل أفلاطون ألسبيادس يلمح، بشكل غامض إلى حد ما، إلى المرة التي رأى فيها سقراط، الذي كانت «حياته كلها لعبة واحدة كبيرة – لعبة السخرية» (e216)، مجردًا من سخريته. يا له من مشهد أن تراه بصدقه غير المتواري، مشهد، يعترف ألسبيادس أنه جعله يشعر بالعار دائمًا (لكن من الواضح أنه لم يكن شعورًا

---

(329) . "ذات مرة في شبابي كنت قد راودني مثل كثيرين أمل الدخول في مهنة سياسية بمجرد بلوغ سن الرشد. لكن، اتضح أن الأحداث السياسية أخذت المسار التالي. كان هناك الكثيرين ممن راكموا الانتهاكات في شكل الحكومة المتغلبة آنذاك، ثم حدثت ثورة" (b–c324). ثم تنتقل الرسالة لوصف تجربة أفلاطون مع الأوليغاركية. "تصادف أن يكون بعض هؤلاء أقارب ومعارف لي، وبالتالي دعوني على الفور للانضمام إليهم، بافتراض لياقتي للمهمة. لا عجب في أنني، وأنا صغير السن، كنت أعتقد أنهم سيقودون المدينة من حياة غير عادلة. كما كانت في ذلك الوقت، إلى عادات العدالة و "أن يديروها". على حد تعبيرهم، لذلك كنت مهتمًا بشدة برؤية ما سيحدث. بالطبع، رأيت في وقت قصير أن هؤلاء الرجال جعلوا الحكومة السابقة تبدو وكأنها عصر ذهبي." تصف الرسالة خيبة أمله من الأوليغاركية. وعلى الأخص رعبه عندما حاولوا جعل سقراط متواطئًا في أحد أفعالهم المخزية. "عندما رأيت كل هذا - وبعض الأمور المهمة الأخرى المشابهة - انسحبت في اشمئزاز من الانتهاكات التي حدثت في تلك الأيام. لم يمض وقت طويل حتى سقط نظام الثلاثين وسقط نظام الحكم برمته. مرة أخرى، بطيش أقل هذه المرة، لكن بثبات، تأثرت بالرغبة في المشاركة في الحياة العامة وفي السياسة" (a325). ثم ينتقل ليصف خيبة أمله النهائية، إعدام سقراط، الذي أقنعه بالتخلي عن أي أفكار لدخول الحياة السياسية لمدينته وأن يكرس نفسه بدلًا من ذلك للفلسفة.

قويًا بما يكفي). «لا أعرف ما إذا كان أي منكم قد رآه وهو جاد حقًا. لكنني رأيته ذات مرة عندما كان مكشوفًا مثل تماثيل سيلينوس، ورأيت لمحة من جوانب شخصيته التي يخفيها وقد كانت شبيهة بالإله - كانت مشرقة جدًا وجميلة، ومدهشة تمامًا - فلم يعد لدي خيار - كان عليّ فقط أن أنفذ ما قاله لي» (216a-217e).

مهما كانت المناسبة التي جعل أفلاطون ألسبيادس يلمح لها في الندوة – وما يجعلها أكثر غموضًا أن ألسبيادس السكران يفترض أنه يقول كل شيء، دون رقيب أو حسيب، معترفًا بأكثر التفاصيل حميمية وخطرًا على الذات في علاقاته مع سقراط، إلا أننا نعرف مناسبة واحدة رأى فيها مؤلف الندوة سقراط وهو جاد وصريح، كاشفًا عن نفسه التي تشبه الإله للشاب ذو الأصول الأرستقراطية العريقة. انبثق من تلك الرؤية مفهوم جديد تمامًا عن الجمال البشري. سقراط القبيح صاحب المشية الغريبة، الذي دائمًا ما يدسُّ أنفه في أخبار من ينام مع من، يدعي لنفسه عظمة تجعل كل من سواه يبدو قزمًا. ربما يكون ذلك الكشف قد حدث في أكثر المشاهد ازدحامًا، محاكمة أمام الأثينيين الصاخبين الذين يحاولون إسكات الرجل العجوز بصراخهم. لكن ذلك لم يجعل التجربة أقل حميمية بالنسبة لأفلاطون ولا أقل أهمية في تحوله.

طوال مراحل تطوره الفكري ذاتي النقد بشكل مكثف، سوف ينظر أفلاطون إلى سقراط كأنه معجزة من نوع ما. الطريقة التي جمع بها سقراط بين سلطته مع غرابته، يقينه الإلهي مع ارتباكه البشري، هي الرؤيا التي سيحاول أفلاطون إبقاءها على قيد الحياة حتى نهاية حياته تقريبًا. فأمامه كل شيء ليتعلمه من تناقضات الرجل.

إذا كان من الممكن الوثوق تاريخيًا بالمحاورات السقراطية «المبكرة» (وهي فرضية مثير للجدل)، فإن استخلاص التناقضات في معتقدات الناس ربما كانت استراتيجية سقراط المفضلة. طريقته التفنيدية elenctic لا تخبر الشخص بالخطأ الذي وقع فيه، فقط أنه أو أنها ارتكب خطأ، لأن المقدمات تمخضت عن تناقض.

إذا عدنا واستمعنا مرة أخرى إلى دفاع سقراط أمام الأثينيين، فقد يبدو أن الطريقة التفنيدية يمكن قلبها ضد سقراط نفسه. إذ يبدو أن هناك تناقض يمكن استخلاصه.

يؤكد سقراط، في إعلانه أن الحياة دون تساؤل لا تستحق أن تعاش، أن:

1. لا أحد يستطيع أن يعيش حياة فاضلة دون معرفة ما هي الفضيلة.

أو كما أعاد أفلاطون صياغتها في **أسطورة عير**، تتطلب الفضيلة «القدرة والمعرفة لتمييز الحياة الجيدة من تلك السيئة». الشخص الذي يتصادف أنه يعيش حياة تتجنب الإثم هو شخص محظوظ، لكنه لم يحقق الفضيلة. فحياته الفاضلة نعمة حلت به كالشعر الجميل أو اعتماد مالي، لكنه لم يحققها.

يؤكد سقراط أيضًا أن:

2. سقراط فاضل.

كان صريحًا تمامًا، أثناء دفاعه، بشأن فضيلته. المقاطع المقتبسة، التي يشرح فيها سبب عدم مشاركته في سياسة أثينا – والتفسير هو أن فضيلته تمنعه – توضح اعتزازه بذاته، من الناحية الأخلاقية. لا يتظاهر سقراط وهو في قفص الاتهام بأي شيء زائف، بما في ذلك التواضع الزائف بشأن وضع فضيلته.

لكن ماذا عن وضع معرفته؟ يقرن سقراط إيمانه المؤكد بفضيلته بالاعتراف بجهله. تظهر اعترافات سقراط بجهله كثيرا في المحاورات، لكنها غالبًا ما يحيطها الشك بوجود السخرية. كلمة «سخرية Irony» مشتقة من اليونانية بمعنى «التظاهر بالجهل» وهي ترتبط بشكل طبيعي بسقراط. لكني أنطلق من افتراض أنه إذا حدث أن ظهر سقراط بدون سخريته المميزة، فقد كان ذلك في ذلك اليوم من عام 399، عندما أتيحت له الفرصة الأخيرة لمحاولة إقناع مواطنيه الأثينيين بأنهم ينبغي أن يتأثروا من أعماقهم بما كان سيقوله. وقد كان تأكيدًا قويًا جدًا على جهله ذلك الذي قدمه أثناء سرد قصته عن عرافة دلفي، وشكوكه عندما سمع ما قالته بأنه لا يوجد أحد أكثر حكمة منه.[330] لقد دفعته الإجابة إلى البحث المنهجي – بين السياسيين

(330) . كان صديقه شريفون هو من سافر إلى دلفي وطرح السؤال، وليس سقراط نفسه (الدفاع a21).

والشعراء والحرفيين - لإيجاد مثال مضاد:

نتيجة لهذا التحقيق، يا رجال أثينا، اكتسبت الكثير من الكره، من النوع الذي يصعب التعامل معه وهو عبء ثقيل؛ أتتني العديد من الافتراءات من هؤلاء الناس وأيضًا سمعة الحكمة، ففي كل مرة ظن المتفرجون أنني أملك الحكمة التي أثبتت أن محاوري لا يملكها. الاحتمال الأقرب، أيها السادة، هو في الواقع أن الإله حكيم وأن كلام عرافته يعني أن الحكمة البشرية لا تساوي إلا قليلًا أو لا تساوي شيئًا وأنه عندما يقول هذا الرجل، سقراط، فإنه يستخدم اسمي كمثال، كما لو كان يقول: «أكثركم حكمة، أيها البشر، هم أمثال سقراط، يفهم أن حكمته لا قيمة لها.» (23a–b)

يعطينا هذا آخر معتقدات سقراط، والتي، بالاقتران مع 1 و 2، يبدو أنها تولد تناقضًا.

3. يفتقر سقراط إلى معرفة ما هي الفضيلة.

كيف يمكننا التوفيق بين التبجح الأخلاقي الواضح لسقراط وبين تواضعه المعرفي الواضح، بالنظر إلى الاعتقاد الإضافي بأن الفضيلة تتطلب المعرفة؟ هناك تمييز جاءت به فلسفة القرن العشرين وقد يمنحنا بعض المساعدة: التميز بين «معرفة أن» و«معرفة كيف».

«معرفة أن» تتبعها قضية [331]، تأكيد إما أن يكون صحيحًا أو خاطئًا (على الرغم من أنها إذا كانت معروفة حقًا، فيجب أن تكون القضية صحيحةً). لذا، على سبيل المثال، أنا أعرف أن التمييز بين «معرفة أن» و «معرفة كيف» قدمه لأول مرة في بداية القرن العشرين الفيلسوف جيلبرت رايل. أعرف أن رايل كان متأثرًا بلودفيج فيتجنشتاين. أعرف أنه في ظل تأثير فتجنشتاين، اعتقد العديد من الفلاسفة أن وظيفة الفلسفة هي تفسير ظهور المشكلات الفلسفية عن طريق تحليل اللغة، وأنا أعرف أنه في محاولة مثل هذه قدم جيلبرت رايل التميز المفيد بين «معرفة أن» و«معرفة كيف». لاحظ كيف أن كل مثال من أمثلتي عن «معرفة أن» تتبعه قضية.

(331) . القضية في الفلسفة هي قول قد يكون صحيحًا أو خاطئًا. (المترجم)

عندما أقول إنني «أعرف كيف»، في المقابل، لا أتبع هذه الكلمات بقضية، بل بالإشارة إلى الأفعال. أعرف كيف أخبز الخبز، وأعرف كيف أركب الدراجة، وأعرف كيف أتحدث الإنجليزية.

ربما في حالة معرفة كيفية خبز الخبز يمكنني ترجمة معرفتي إلى عدد قليل على الأقل من القضايا، تتكون من إحدى الوصفات التي أستخدمها. لكن هذه القضايا لن تستنفذ ما أعرف كيفية فعله في معرفة كيفية خبز الخبز. أعرف، على سبيل المثال، كيفية التعامل مع الارتفاعات المختلفة [332] والاختلافات في الرطوبة من خلال ملمس العجين في يدي، ناهيك عن قول أي شيء عن معرفة كيفية إخراج الدقيق من الكيس إلى الوعاء، أو كيفية تحريك ذراعيّ ويديّ بالطريقة الصحيحة التي تعد «عجنًا». وفي حالة معرفتي بكيفية التحدث باللغة الإنجليزية وكيفية ركوب الدراجة، لا يمكن تحويل «معرفة الكيف» إلى مجموعة من القضايا. إن معرفة كيفية فعل هذه الأشياء لا ترقى إلى معرفة القضايا. قد أعرف كيفية ركوب الدراجة، على سبيل المثال، دون معرفة أي شيء عن فيزياء موازنة الدراجات. وعلى النقيض، قد أعرف فيزياء موازنة الدراجات، لكن عندما تضعني على ذلك الجهاز المتقلقل لأول مرة، فلن أعرف كيف أمنعه من السقوط. أنا أعرف كيفية إنشاء الجمل الإنجليزية نحويًا، ووضع الكلمات معًا في جمل ذات معنى (عادة)، لكنني لا أستطيع ترجمة كل معرفتي بكيفية القيام بذلك إلى مجموعة من القضايا. هناك عدد قليل من القواعد التي أعرفها ويمكنني أن أذكرها، لكن هذه القواعد مجتمعة لا تفسر معرفتي بكيفية التحدث باللغة الإنجليزية. ربما أعرف نفس القدر من قواعد الفرنسية، ومع ذلك لا أعرف كيف أتحدث الفرنسية.

عرف سقراط – في رأيه ورأي أفلاطون – كيف يعيش حياة فاضلة، لكنه لم يكن قادرًا على تقديم تلك المعرفة كمجموعة من القضايا. بعبارة أخرى، عندما يتعلق الأمر بالحياة الفاضلة، اعتقد سقراط أنه يعرف كيف، حتى لو كان يعرف أنه لا

(332) . يتخمر العجين بدرجات مختلفة على ارتفاعات مختلفة من سطح البحر. (المترجم)

يعرف ذلك. كيف تغلب على هذا الفخ؟ من خلال الاتجاه إلى الخوارق. بين «معرفة كيف» و «معرفة أن»، كانت هناك فجوة، ولسد هذه الفجوة كان هناك عرافه الخصوصي، الدايمُن الذي ذكره كثيرًا، يحذره بصمت كلما كان على وشك أن يفعل شيئًا خاطئًا.

هناك إلماعات متناثرة إلى الدايمُن في محاورات أفلاطون.[333] في محاورة فايدروس، التي تتحدث عن سقراط في الريف مع الصبي الجميل فايدروس، توقف سقراط فجأة، بعد أن ألقى خطابًا جيد الصياغة ضد المحب الذي جننه إيروس:

صديقي، عندما كنت على وشك عبور النهر، جاءتني العلامة الإلهية المألوفة والتي، كلما ظهرت، منعتني من شيء أنا على وشك القيام به. ظننت أنني سمعت صوتًا قادمًا من هذه البقعة بالذات، يمنعني من المغادرة حتى أكفر عن بعض الإساءات في حق الآلهة. في الواقع، كما ترى، أنا عراف، وعلى الرغم من أنني لست جيدًا بشكل خاص في ذلك، لكنني - مثل من يستطيعون بالكاد القراءة والكتابة - جيد بما يكفي لتحقيق أغراضي الخاصة. أنا أرى آثامي بوضوح الآن. في الواقع، الروح أيضًا، يا صديقي، هي بذاتها عرافة من نوع ما؛ لهذا السبب، منذ بداية حديثي تقريبًا، أزعجني شعور غير مريح للغاية. (242b–c)

في أوطيفرون، وهي نفس المحاورة التي عبر فيها أفلاطون عن عدم كفاية الأسس الدينية للمعرفة الأخلاقية، فإن الخبير الديني الذي تحمل المحاورة اسمه والغافل تمامًا عن التفكير الفلسفي لسقراط متأكد من أن تهمة الإلحاد الموجهة لسقراط سببها استنجاد سقراط بالدايمُن: «أنا أتفهم، يا سقراط. هذا لأنك تقول إن العلامة الإلهية تستمر في المجيء إليك. لذلك فقد كتب هذه الدعوى ضدك بصفتك شخصًا مبتدعًا في الأمور الدينية، ثم أتى إلى المحكمة ليشهر بك، وهو يعلم أن مثل هذه الأشياء يسهل على تحريفها عند الجمهور» (3b).

مناشدة ذلك الصوت، التي يتعذر على أي شخص آخر سماعه، ترفع أعلامًا معرفية: كيف يمكن للمرء أن يعرف ما إذا كان ذلك الصوت الخاص، كما يظهر آمرًا

(333) . بالإضافة إلى ال المذكورة أدناه، انظر أيضًا الدفاع 31c–d والجمهورية 496c ويوثيديموس 272e.

في الغرف الداخلية لعقل سقراط، يمكن الاعتماد عليه؟ سقراط يشعر بأنه يمكن الاعتماد عليه، لكن كذلك دائمًا مع تلك الأصوات الداخلية الآمرة. لا يقبل سقراط صوت أوطيفرون الداخلي الآمر، فلماذا إذًا نقبل صوت سقراط؟ هل يمكن قبول الأسباب من هذا النوع - الذاتية، والخاصة، وغير القابلة للتعميم، وغير المتاحة للتدقيق والتقييم الموضوعي من قبل الآخرين - هل يمكن قبولها كأساس للمعرفة؟

العَلم المعرفي مرفوع في ذهن أفلاطون، وربما يكون الدافع وراءه لغز يقين سقراط. في الواقع، مجال المعرفة بالكامل مرفوع في عقل أفلاطون. في ثياتيتوس، سيجعل سقراط المحاور يذكر السؤال المعرفي الأساسي، أي كيف نعرف المعرفة في المقام الأول: «حسنًا، كما قلت الآن، هل تظن أن اكتشاف طبيعة المعرفة مسألة صغيرة؟ أليس من أصعب الأسئلة؟» (c148).

لا يضع أفلاطون السؤال على الطاولة فحسب، بل يفتح الشقوق الأولى الحاسمة، ويميز المعرفة عن مجرد الاعتقاد الصحيح الذي لا يرقى إلى منزلة المعرفة. هناك شيء عشوائي في مجرد الاعتقاد أو الرأي الصحيح لا يمكن لمفهوم المعرفة تحمله. كما في مثال الساعة المعطوبة التي يكون توقيتها صحيحًا مرتين في اليوم، يمكن أن يحدث الاعتقاد الصحيح من خلال أساليب غير مشروعة، الأساليب التي من المحتمل أن تنتج آراءً خاطئة بقدر ما تنتج آراءً صحيحة.[334] في ثياتيتوس، يذهب أفلاطون (وإن بحركة متقطعة) نحو تعريف المعرفة على أنها «اعتقاد صحيح قائم على مبدأ»، أي له أسبابه. تلك كانت المقاربة الأولى لتعريف سيستقر الفلاسفة في النهاية على أنه: المعرفة هي اعتقاد صحيح مبرر.[335] ذات القضية الصحيحة التي

(334) . يوضح أفلاطون الأساليب غير المشروعة من خلال مثال الخطيب الذي يقنع المحلفين بالتلاعب بمشاعرهم أو اللجوء للإشاعات. "وعندما يقتنع المحلفون اقتناعًا صحيحًا بوقائع لم يكن ليعرفها إلا شاهد عيان، فهم يحكمون احتكامًا إلى إشاعات ويقبلون اعتقادًا صحيحًا، يحكمون دون معرفة، على الرغم من أنهم إن حكموا بالحكم الصحيح، فإن اقتناعهم صحيح" (المرجع نفسه b–c201).

(335) . يتعطل تقدم المحاورة بسبب سقراط الذي يبدو وكأنه يفتح ثغرات في فكرة السبب، لكن الثغرات في الحقيقة ليست خطيرة كما يراها أفلاطون. فشل أفلاطون في تقديم بعض الفروق المفيدة في هذه المحاولة الأولى لكن سينجح في ذلك الفلاسفة المستقبليون، والتي تفرد المعرفة الخبرية (معرفة أن بعض القضايا صحيحة) باعتبارها الشكل النموذجي للمعرفة. ولأنه لا يفعل ذلك، فإن تعريف المعرفة الذي

هي اعتقاد فقط عند شخص ما يمكن أن تكون معرفة حقيقة عند شخص آخر، ويكمن الاختلاف في أسباب اعتقاد المؤمن.[336] يجب أن تكون الأسباب جيدة، تقدم مبررًا لاعتقاده، مما يجعله اعتقادًا عقلانيًا. هذه كلها مفاهيم تقييمية. يفرض تعريف المعرفة سؤالًا آخر: ما هي الأسباب الجيدة؟ كل هذه أسئلة تشكل مجال نظرية المعرفة، وهي أسئلة أثارها أفلاطون.

لا يوجد دليل على أن الاهتمامات المعرفية التي شغلت أفلاطون، والتي ربما كانت مدفوعة بشخصية سقراط المحيرة معرفيًا، قد شغلت سقراط نفسه.[337] لا يظهر سقراط أبدًا متسائلًا عما إذا كان همس الدايمُن سببًا كافيًا للاعتقاد. في الدفاع، التي نواجه فيها سقراط كأصدق ما يكون، يُستحضر الدايمُن ليظهر لمرة أخيرة مهيبة. بعد أن يوجه بعض الإدانة لمن أدانوه، يقول هذا الكلام لمن صوتوا ببراءته:

حدث لي شيء مدهش، أيها المحلفون – أنتم من أسميكم بحق محلفين– في كل الأوقات السابقة، عارضتني كثيرًا قوتي النبوئية المألوفة، تجليّ الروحي، حتى في الأمور الصغيرة، عندما كنت على وشك أن أفعل شيئًا خاطئًا، ولكن الآن، كما ترون بأنفسكم، وأنا أواجه ما قد يعتقد المرء، وما يُعتقد عمومًا أنه أسوأ الشرور، فإن الإشارة الإلهية لم تعارضني، سواء عندما غادرت المنزل عند الفجر، أو عندما أتيت إلى المحكمة، أو عندما أردت أن أقول أي شيء خلال خطابي. ومع ذلك، في كلام آخر، غالبًا ما أعاقتني في منتصف حديثي، لكنها الآن لم تعارض أي كلمة أو فعل. ما هو سبب ذلك في اعتقادي؟ سأخبركم. قد يكون ما حدث لي شيئًا جيدًا، ومن

يقدمه في ثياتيتوس – أن المعرفة هي اعتقاد صحيح له ما يبرره - لا يبدو له مبشرًا كما هو في الواقع. لقد نجح أفلاطون في ثياتيتوس أكثر مما ظنه بنفسه، تنتهي المحاورة بمأزق. النقد الذاتي عند أفلاطون جدير بالثناء، حتى لو أدى به في بعض الأحيان إلى الحكم على مقترحاته المهمة جدًا بقسوة شديدة.

(336) . المعرفة هي، على الأقل، اعتقاد صحيح مبرر. تمت إضافة "على الأقل" لأنه من الممكن أن نتخيل بعض الحالات المفتعلة للغاية (التي تنطوي دائمًا على الإدراك) والتي يعتقد فيها الشخص أن شيئًا ما صحيحًا، ويكون لديه ما يبرر الاعتقاد بأنه صحيح، ولكن أسبابه (الجيدة) للاعتقاد غير مرتبطة بصحة القضية، لذلك فهو لا يحقق المعرفة. لا يزال هناك شيء عشوائي في مصادفة إدراكه الصحيح. تُعرف هذه الحالات الملفقة باسم "أمثلة غيتييه المضادة". وهي تشير إلى أنه على الرغم من أن الاعتقاد الصحيح المبرر ضروري للمعرفة، فقد لا يكون كافيًا، على الأقل في بعض المواقف المصطنعة للغاية.

(337) . حتى في ثياتيتوس، يلمح سقراط بإيجاز إلى الدايمُن الخاص به، والذي يحذره أحيانًا من السماح لبعض الشباب الذين ضلوا الطريق بالعودة إلى صداقته المرشدة (e150)، ربما في إشارة إلى ألسبيادس. قد يكون الوغد الذي لا يقاوم قد استغل سحرة للعودة إلى صداقة الآخرين. لكن بالنسبة لسقراط، فقد طفح الكيل. (أو أن سقراط، قرر ألا يلدغ من نفس الجحر مرتين).

يعتقدون منا أن الموت شر مخطئون بالتأكيد. لدي دليل مقنع على ذلك، لأنه من المستحيل ألا تعارضني الإشارة المألوفة إذا لم أكن على وشك فعل الصواب. (40c–b)

يُقدم سقراط هنا على أنه يأخذ «إشارته الإلهية» على محمل الجد، ويخاطر بتكهنات ميتافيزيقية قائمة على لا شيء أكثر من صمت الدايمُن، ما يجعله يبدو غير مبالٍ معرفيًا. في المقابل، لم يكن أفلاطون غير مبالٍ معرفيًا. ماذا يفهم من مناشدة سقراط للدايمُن؟ لم يستطع سقراط تقديم أي سبب يبرر للآخرين صحة معتقداته. ما تعنيه مناشدة الدايمُن هو عدم وجود مبرر. أنا فقط أسمعه، أنا فقط أراه، أنا فقط أعرفه. هناك ضمير يعود على شيء، وهذا كل ما يمكن أن يقال عن هذا الشيء.

إذا كنا نرغب في تخليص مناشدة سقراط للدايمُن من فكرة الماورائيات، فيمكننا اعتبارها طريقة خيالية للحديث عن ظاهرة تحظى بالكثير الرواج اليوم، في كل من علم النفس والفلسفة، تحت اسم «الحدس». الحدس هو تلك الدوافع الداخلية الذاتية التي لا يمكن للمرء أن يقول شيئًا عنها لإقناع الآخرين الذين لا يشاركون نفس الحدس. لا يمكن لأحد أن يقدم له تبريرًا غير ندائه الآمر. بعض الحدس يكون مشتركًا على نطاق واسع، وعندما يكون هذا صحيحًا، تمثل المشاركة حقيقة تستدعي تفسيرًا. لكن تقديم مبرر لمشاركة الحدس لا يتشابه مع تقديم مبرر للحدس نفسه، وهو مبرر يمثل الحجة المنطقية لكون الحدس عقلانيًا للاعتقاد، يصبح معرفة وليس مجرد اعتقاد، يوجد سبب وراءه يمكن للمرء أن يقدمه لمن يفتقرون إلى الحدس لإقناعهم بضرورة تبنيه. بالطبع، بمجرد أن تتمكن من فعل ذلك، فلن يعود لديك حدس ولكن بالأحرى قضية يمكن الدفاع عنها. (وحتى الحدس المشترك على نطاق كبير يفتقر إلى التبرير؛ لكن من الصعب تحديد هذا الافتقار عندما يتفق الجميع عليه).

بدا أن سقراط، الذي اعتبر أفلاطون حياته جميلةً، يعرف كيف يعيش. بطريقةٍ ما، قاده حدسه إلى أن يعيش حياة مثالية، لكن حدس الآخرين، الذي يحمل نفس القوة، يمكن أن يؤدي إلى حياة مروعة. هل هناك أي طريقة، داخلية، لمعرفة الحدس الذي يمكن الاعتماد عليه والحدس الذي لا يمكن الاعتماد عليه، ميزة داخلية للشعور؟ وإذا لم تكن هناك مثل هذه العلامة الداخلية التي تشير إلى الحدس الجيد من السيئ،

فهل نعتمد فقط على الحدس الذي يقبله غالبية من حولنا؟ لم يكن هذا ما فعله سقراط، ولا ما فعلته العديد من الشخصيات الأخلاقية التي نقدرها كثيرًا - مثل الثوار الأخلاقيين مثل ويليام لويد جاريسون، وفريدريك دوغلاس، وبيرثا فون سوتنر، والمهاتما غاندي، ومارتن لوثر كينغ جونيور. لقد تحدوا حدس مجتمعاتهم، وفي النهاية، غيروا تلك المجتمعات بحيث تغير الحدس نفسه. لكن إذا لم تكن هناك طريقة لمعرفة الحدس الذي يمكن الوثوق به، سواء من الداخل أو الخارج، فلماذا يجب أن نثق بالحدس على الإطلاق؟ لكن هل نستطيع حقًا التخلص منه؟ ألسنا، عند نقطة معينة من تفكيرنا، بما في ذلك تفكيرنا الأخلاقي، مطالبين بالرجوع إلى الحدس؟

كل هذه الأسئلة ربما اقترحتها على أفلاطون شخصية سقراط المحيرة، الذي بدا أنه يعرف تمامًا كيف يعيش بينما أنكر، حتى النهاية، حكمة البشرية بأكملها.

نداء الغريب

لم يقسم روح أفلاطون شيء مثل ما قسمتها مناشدة سقراط للدايمُن. تلك التجليات متعددة، وكلها تنطوي على تجارب خاصة، آمرة، ربما مَرضية، وربما ملهمة، ويبدو أنها تحمل إشارات إلى الحقيقة - لكن أيضًا، ربما لا تفعل. ربما هذه التجارب الفردية ليست أكثر من أبخرة عائمة من الهلوسة، فيض عقول مريضة، حتى لو أدت في بعض الأحيان إلى رؤى من الجمال، أو حتى، كما كانت الحال مع سقراط، إلى حياة من الجمال. في رأي أفلاطون، يمارس هذا الجمال درجة من القوة المعرفية. إذا كان شيء ما جميلًا، فبالنسبة لأفلاطون، يجب أن يكون هناك شيء ما، بطريقة ما، واقعي أو حقيقي أو أصيل فيه. الجمال متغلغل في بنية الواقع بالنسبة لأفلاطون. وواقعيته الجمالية هي الدعامة الأساسية لواقعيته، إذ تربط بين واقعيته الرياضية والميتافيزيقية والأخلاقية. أي تلميح للجمال هو ما يجعل أفلاطون يعود وينظر، ثم يعود وينظر مرة أخرى، إلى قناعات لا يمكن أن تخضع للتدقيق

الموضوعي ولا أن يتأملها أكثر من رأي واحد، الشيء الذي يسمح بظهور مكامن الخلل الخاصة فيها ثم التخلص منها. يدرك أفلاطون تمامًا مثل هذه الخلل، وعلى الرغم من أنه يعتبر معظمه خبيثًا، إلا أنه يشك أيضًا في وجود حقائق لا يمكن الوصول إليها إلا من طريق هذه الغرابة.

لقد وصلتنا روح أفلاطون المنقسمة عبر آلاف السنين، حيث تميزت أجزائها إلى معسكرين متعارضين، يحدق كل منهما في الآخر بشك متبادل. نراهما في تشكيلين في ساحة المعركة المعاصرة التي تضع العلم في مواجهة الدين.

هناك، من ناحية، أولئك الذين قد نسميهم «عقليون» (ذهب مصطلح «العقلانيون» إلى فئة أخرى في تاريخ الفلسفة. [338]) يعتبر العقليون المعرفة – بالضرورة – خيرًا متساوي الفرص. المبرر الذي يُعتد به، الذي يحول الاعتقاد الصحيح إلى معرفة، هو، من حيث المبدأ، في متناول الجميع، ما يعني أنه يجب أن يكون قادرًا على الوصول بشروط يمكن تكرارها إلى آراء أخرى، فيجعل نفسه متاحًا أمام العقول الأخرى لتفحصه. ليس هناك امتيازات معرفية. البراهين الرياضية، على سبيل المثال، متاحة للعديد من الآراء (يمكن تجاهل الاختلافات في القدرات). وكذلك البيانات التجريبية. العثور على الحقيقة لعبة يمكن لأي شخص أن يلعبها. إذا كان من الممكن معرفة شيء ما، فيجب أن يكون من الممكن البرهنة عليه.

ثم هناك أولئك الذين يمكن أن نسميهم «لا عقليين»، وشعارهم صرخة عالم الرياضيات بليز باسكال في القرن السابع عشر: للقلب أسبابه التي لا يدركها العقل. Le coeur a ses raisons que la raison ne connaît point. لم يكن بليز باسكال

(338) . ما يعرف الآن بالعقلانية بلغ ذروته في القرن السابع عشر، لا سيما في شخصيات ديكارت وسبينوزا وليبنتز. أفضل طريقة لفهم العقلانية هي مقارنتها مع التجريبية. يعتقد التجريبيون أن معرفة العالم - ما هو موجود وخصائص الأشياء الموجودة - تتطلب الاتصال بالعالم عبر أعضاء الحس. مجرد التفكير لن يعطينا أي معرفة عن ماهية عالمنا. يعتقد العقلانيون أن هناك على الأقل بعض الأشياء التي يمكننا معرفتها عن العالم من خلال التفكير الخالص. مثل الجدل بين العقليين واللاعقليين، فإن الخلاف بين العقلانيين والتجريبيين هو خلاف معرفي - عن كيفية معرفتنا للأشياء، وكيف نصل إلى التبرير الذي يميز المعرفة عن مجرد الاعتقاد. ورغم أن العقلانيين والتجريبيين عاشوا واختلفوا مع بعضهم لوقت طويل، إلا أنه في القرن التاسع عشر فقط اتضحت الفروقات وتحددت شروط الخلاف.

عالم رياضيات مهمًا فحسب، وضع أسس نظرية الاحتمالات، بل كان باحثًا روحيًا كتب سردًا دقيقًا لتجربة غامضة خاضها ثم خاط ما كتب في بطانة معطفه، الذي اكتشف بعد وفاته. اللاعقليون على استعداد لوضع ختم «معروف» على ادعاءات معينة لا يمكن أن تقدم أي مبرر لنفسها بمصطلحات موضوعية وقابلة للتعميم. لكن لا يمكن للمرء أن يفصل مثل هذا الاستبصار من آنية التجربة الفردية ويبقى حيًا، مثلما لا يمكن فصل العين من الكائن الحي وأن يبقى بصرها.

الخلاف بين العقليين واللاعقليين خلاف معرفي، خلاف حول كيف يمكننا أن نعرف. ما يجعل الخلاف غير قابل للحل هو أنه لا يمكن لأي من الجانبين، بشكل غير دائري، طرح عنصر معرفي يحل المشكلة المعرفية الأساسية. ولأن أيًا من الجانبين لا يتعمق بما فيه الكفاية في الجدل المعرفي الأساسي - الذي سيطر على كلا جانبي تفكير أفلاطون - فإن الخصمين، في كثير من الأحيان، يتحدثان عن أشياء مختلفة. يقول العقليون، سأصدق فقط أنه يمكنك معرفة شيء لا يحتاج إلى برهان إذا كان بإمكانك أن تبرهن لي على ذلك. يقول اللاعقليون، من الواضح أنه يمكنك معرفة الأشياء دون الحاجة إلى البرهان - أنا فقط أعرف ذلك!

ليس الدين فقط هو الذي يضع العقليين في مواجهة اللاعقليين، ولكن أيضًا التجارب الأخرى، بما في ذلك، وفقًا لأفلاطون، الإلهام الشعري والحب الإيروسي. في فايدروس، حيث أفلاطون في مزاجه الأكثر انحيازًا للامعقول (لدرجة أننا قد نشك، مع مارثا نوسباوم، أنه كان في حالة حب[339])، يربط صراحةً المجالات الثلاثة الممسوسة بالدايمُن: الدين، والحب الرومانسي والشعر. الاهتداء الديني والحب الرومانسي والإلهام الفني، بالنسبة لأفلاطون، هي أشياء آسرة ومثيرة للشك

(339) كما ذكرنا سابقًا، لا تقدم نوسباوم فحسب حجة مقنعة لحالة الشغف التي كان فيها أفلاطون في الوقت الذي كتب فيه فايدروس، بل تحلل لغتها ببراعة لتخاطر بتخمين هوية محبوبه: لا أحد غير ديون، عم طاغية سرقوسة الشاب. "لهذا الحوار طابع رسالة الحب، تعبير عن العاطفة، والدهشة، والامتنان... وهذا بالطبع لا يعني أن المقصود ببساطة هو أن الحب جعل أفلاطون يغير رأيه. لأن تجربته في الحب تشكلت بالتأكيد أيضًا بفكره النامي. لقد استكشف الحوار مثل هذه العلاقات المتبادلة بتعقيد أكبر من أن يسمح بقصة حب مفرطة في البساطة؛ لكنها تطلب منا الاعتراف بالتجربة كأحد العوامل المهمة" (هشاشة الخير، ص 229 - 230).

في آن واحد. يبدو للواقعين في قبضة هذه التجارب، الذين لا يستطيعون تقديم أي مبرر لأنفسهم بمعزل عن التجربة - التي لا يمكن مشاركتها ولا تتزعزع - أنهم مطلعون على معرفة خاصة، وكثيرًا ما تكون من القوة بحيث تؤدي إلى انقطاع كبير في حياتهم، فينظر الأصدقاء والأقارب إليهم بحزن وهم يهزون رؤوسهم ويقولون إنهم أصيبوا بالجنون. في مثل هذه الحالات لا يملك الناس الحقيقة، بل تتملكهم. «ممسوس» قد تعني الجنون، وفي الواقع يستخدم أفلاطون كلمة manikēs أو «مجنون» لوصف هذه المعرفة - هذا إذا كانت معرفة.[340] هذا هو السؤال. هذا هو السؤال الذي جعل أفلاطون يوقف سقراط تمامًا مباشرة بعد أن ألقى خطابه الأول جيد الصياغة لفايدروس مؤيدًا الحب العاقل غير المندفع الذي لا يفقد السيطرة على نفسه أبدًا، وجهة النظر التي جعل أفلاطون سقراط يتراجع عنها في خطابه الثاني، الذي كان مفعمًا بجنون الشعر الجامح. وهو أيضًا السؤال ذاته الذي أعاد أفلاطون مرارًا وتكرارًا إلى مسألة الإلهام الشعري، فكان ينتقدهم كثيرًا، ومرة يلفظهم، وأحيانًا يستسلم لسحر فنهم، فيطلق لموهبته الشعرية غير العادية كامل الحرية.

العبقرية الإيروسية، والعبقرية الشعرية، والعبقرية الدينية، والعبقرية الأخلاقية من النوع الذي نسبه أفلاطون لسقراط.[341] كل هذه تؤدي إلى ادعاءات غير قابلة للعقلنة عن معرفة المشكوك فيها، المعرفة التي لا يمكن أن تقدم أي تفسير لنفسها. هذه الأنواع من العبقرية مستوحاة من تجربة فريدة تسمح بمعرفة كيف - كيف تحب، كيف تنتج فنًا عظيمًا، كيف تعيش حياة فاضلة - دون أن تكون قادرة على تفسير كيف عرفت ذلك. هذه المعرفة غير الخاضعة للمساءلة تحدد بعض الآراء باعتبارها خاصة في جوهرها. أولئك الذين يعرفون (إذا كانوا يعرفون) لا يمكنهم تقديم مبرراتهم

---

(340) . أفلاطون، الذي يحب اللعب الاشتقاقي، يلاحظ الصلة بين manikēs (مجنون) وmantikēs (نبوئي). "تجدر الإشارة إلى أن القدماء الذين أعطوا الأشياء أسماءها كانوا يعتقدون أيضًا أن الجنون ليس خزيًا ولا سببًا للوم؛ وإلا لما ربطوا الكلمة نفسها بأرفع الفنون، فن معرفة المستقبل." (فايدروس244b). كلمات "manic" مجنون و "mantic" نبوئي التي نستخدمها مشتقة من اليونانية.

(341) . كنت أعرف شخصًا يمكنني وصفه بأنه عبقري أخلاقي. توفي عندما كنت في نفس عمر أفلاطون عندما توفي سقراط. دائمًا ما أدى سؤاله الأسئلة التي يطرحها الفيلسوف دائمًا إلى إجابات مخيبة. لكن رؤيته وهو يفعل ما يعرف فعله كانت ملهمة. بدا وكأنه لا يخطئ أبدًا.

للمعرفة بحيث يمكن وضع غير العارفين في نفس الموقف المعرفي الذي هم فيه. الفجوة بين معرفتهم «كيف» ومعرفتهم «أن» لا يمكن أن يملأها، إذا جاز التعبير، إلا الآلهة، وهي طريقة مجازية لقول إنها غامضة تمامًا. «لقد ميزنا أربعة أقسام من الجنون، المرتبطة بأربعة آلهة: النبوي وينسب إلى إلهام أبولو، وجنون الأسرار المقدسة وينسب إلى ديونيسوس، والجنون الشعري ينسب بدوره إلى إلهات الإلهام، والرابع، الجنون الإيروسي الذي قلنا إنه الأفضل وينسب لأفروديت وإيروس. وصفنا العاطفة الإيروسية، لا أعلم، بطريقة مجازية نوعًا ما، ربما تلامس شيئًا من الحقيقة ولكن أيضًا ربما تضل في نقاط أخرى» (فايدروس b–c265).

لاحظ التردد – «لا أعلم، طريقة مجازية نوعًا ما» – الذي يتناغم مع الشهادة على الانقسام الذي أشار إليه بالفعل الخطابان المتناقضان اللذان جعل أفلاطون سقراط يلقيهما في وقت سابق من الحوار، حيث يتصادمان ليس فقط في جوهرهما ولكن في أسلوبهما - أحدهم فاتر، مليء بالتكرار، وحذر، والآخر جانح بتهور غاضب إلى شعر شديد الانتشاء ينقل صوره من الأسرار المقدسة. كان لأثينا عبادتها الخاصة الخاصة، أسرار إليوسيس، وكان الهدف من هذه الطقوس الجماعية تجربة فريدة – منتشية، فوق الوصف، واستثنائية.

أفلاطون، حتى في مزاجه الأكثر انحيازًا للامعقول، حيث نجده في فايدروس، مدفوعًا، فيما نعلم، بنشوة العاطفة المثيرة، لا يستطيع أن يرخي قبضته تمامًا على تحفظاته في جانب المعقول. في النهاية، هناك مس جيد، يأتي من أشياء خارجنا، يطلق عليها أفلاطون اسم «الآلهة» ويؤدي إلى الحقيقة، ثم هناك مس سيئ، وهو ليس سوى أوهام عقولنا وهي تسيطر علينا. وهذا ما في الأمر: عندما نكون تحت تأثير المس، لا نملك وسيلة للتمييز بين المس الجيد والسيئ، ونكون في حالة تجعلنا نرفض أي شخص ليس مأخوذًا بالمثل، ما يعني، بالنظر إلى تفرد التجربة، أي شخص لا يشبهنا تمامًا. لا يوجد سوى «سلطة» واحدة ممكنة عندما يأتي الأمر إلى هذا النوع من «المعرفة» غير الخاضعة للمساءلة، وهذه السلطة، التي تملكتها تجربة المس، ليس لديها طريقة لمعرفة ما إذا كان المس من النوع الجيد أم السيئ. هذا هو المأزق الذي يلفت

أفلاطون انتباهنا إليه. وهو لا يزال مأزقًا.

إذا كان مسموحًا لنا أن نقول إن أفلاطون يؤمن بأي شيء على الإطلاق - على الرغم من انتقاداته المستمرة لذاته - فأعتقد أنه يمكننا القول إن أفلاطون يؤمن، بعمق، أن الواقع متاح، نفس الشيء بالنسبة لنا جميعًا. هذه هي العقيدة الوحيدة التي أراهن بكل مالي على إيمان أفلاطون بها، وليس أي عقائد محددة تفصل ما هو الواقع. لكن، ألا يُظهر التأكيد على موضوعية الواقع أن العقليون، حسنًا، عقلاء في تأكيدهم على أن الحقيقة خير متساوي الفرص؟ تقنيات الوصول إلى الواقع متاحة للجميع ليدرسوها ويتقنوها. إذا سمحنا لمحتويات عقولنا بأن تتحدد وفقًا لمحتويات الواقع الموضوعي، كما تأكدنا بالتقنيات التي يمكن للجميع إتقانها، تحت إرشاد الآخرين وبالخضوع للتصويب، عندها يمكننا التوصل إلى اتفاق. وبناءً على سلطة هذا الاتفاق، يمكننا استبعاد الخلل في اللاعقلي، الذي يتمسك بالمحتويات التجريبية لوجهة نظر واحدة، ويعطي مصداقية للأصوات الغامضة التي تهمس في أذنه وحده. كل ما يمكن أن يعرفه شخص واحد يمكن، من حيث المبدأ، أن يعرفه الجميع، طالما أنهم أتقنوا تقنيات المعرفة الأنسب للمجال. إذا كان من غير الممكن أن يعرفه الجميع، إذا كان كامنًا بشكل غير قابل للاختزال في وجهة نظر فردية ومفردة، فلن يكون لدينا سبب وجيه لقبوله. هذه هي نظرية المعرفة التي يتبناها العقليون، وهي جانب واحد من روح أفلاطون المنقسمة ولم ينشأ منها فحسب معظم الفلسفة (مع بعض الاستثناءات الغريبة مثل هايدجر ربما) ولكن كل العلوم. لا يدرك الساخرون من الفلسفة الذين يجادلون من وجهة نظر العلم أنهم حلفاء معرفيون لمعظم الفلاسفة، ويعتمدون على نظرية معرفة المعقول التي صاغها الفلاسفة لأجل مصلحتهم.

من ناحية أخرى، يشك أفلاطون في وجود إشارات للواقع، مهما كانت غامضة، تأتي من رؤى النشوة التي يعاينها قلة فقط ويمكنها الوصول إلى جوانب من الواقع لا تستطيع التقنيات المشتركة الوصول إليها. ربما ترفض بعض الحقائق بعناد أن تنصاع للمصطلحات الموضوعية، بمعنى المصطلحات التي يمكن للعديد من العقول الوصول إليها، دون ارتباط بأي وجهة نظر فردية. هذه هي الاحتمالية التي

يأخذها أفلاطون على محمل الجد في محاورة فايدروس. هل تشير موضوعية الواقع ضمنيًا - بمعنى الواقع المتاح، الذي يبقى بعناد كما هو بغض النظر عما يفكر فيه أي منا - تشير ضمنيًا إلى أن الحقيقة هي خير متساوي الفرص؟ هذان المفهومان عن الموضوعية - أحدهما وجودي والآخر نظري معرفي - متميزان في النهاية. قد يكون شيء ما متاحًا، بشكل مستقل عن أي منا، وهو نفس الشيء بالنسبة لنا جميعًا، لكن قد لا تكون لدينا طريقة مشتركة لمعرفته. كان ويليام جيمس في حالة ذهنية تشبه محاورة فايدروس عندما قال في تنويعات التجربة الدينية، «إذا كان هناك شيء من قبيل الإلهام من عالم أعلى، فمن المحتمل أن تكون الحالة العصبية هي الشرط الرئيسي للقابلية المطلوبة.» مرة أخرى، نداء الغريب.

في نظرية النسبية الخاصة، الادعاء بعدم وجود وجهات نظر مميزة له معنى خاص للغاية: أن قوانين الطبيعة يجب أن تكون نفسها بغض النظر عن الإطار المرجعي الذي تُوصف من خلاله (حيث تختلف الأطر المرجعية عن بعضها لأنها تتحرك بسرعات ثابتة مختلفة بالنسبة لبعضها). هل ينبغي ترقية حظر وجهات النظر المميزة في نظرية النسبية الخاصة إلى قانون عام للمعرفة؟ هل يجب أن نستبعد من اعتباراتنا المعرفية أي شيء يكون منطقيًا فقط ضمن أطر مرجعية معينة، خاصة تلك التي تميزها سمات ذاتية معينة لا يمكنها إقامة الحجة على من تفتقر وجهات نظرهم إلى هذه الميزات؟ هل يجب أن ننسف تجارب الأشخاص الذين يتمتعون بمشاعر فريدة، مثلًا، أو برؤىً فردية، أو من يسمعون رسائل خاصة؟ هل ينبغي أن نرفض الاحتمال بوجود معدات إدراكية إضافية، مثل الحس الإلهي sensus divinitatis، العضو المعرفي المسؤول عن استشعار الله، الذي زعم جون كالفن أنه موجود لدى الناس مكتملي القدرات، والذي سعى فيلسوف واحد معاصر على الأقل، وهو ألفين بلانتينجا إلى إعادته للحياة؟[342] أم ينبغي أن نتساهل معهم ومع مزاعمهم وادعاءاتهم بالامتياز المعرفي؟ الهدف من ادعاء وجهات النظر المميزة هو منح تصريح

(342) . انظر:

Alvin Plantinga, Warranted Christian Belief (Oxford: Oxford University Press, 2000).

مرور مجاني لما يُفترض أنه أُلهم هناك. يرتفع عبء الإثبات عنها، بل إن وجهات النظر التي تفتقر إلى هذه الميزات الخاصة التي لا تقاوم هي التي تعتبر معطوبة وتصبح في موضع الدفاع عن نفسها.

هناك أسباب قوية - أوه، قوية جدًا - لتأكيد أنه نعم، يجب علينا استبعاد وجهات النظر المميزة أثناء سعينا لمعرفة العالم. لا ينبغي أن يُسمح لأي ادعاء بالمعرفة بالمرور مجانًا، والاستمرار دون تقديم تفسير لنفسه، أو مبرر، يمكنه أن يصل لكل من يوقع على مشروع العقل، بغض النظر عن السمات الخاصة لوجهات نظرهم الذاتية. ليست موضوعية الواقع فقط هي التي تدفع إلى المطالبة بموضوعية المعرفة. إذ إن أسبابًا أكثر إقناعًا بكثير تنشأ من المخاطر الواضحة للذاتية، التي هي أرض خصبة للتحيز والخرافات وتعظيم الذاتي الأناني. نحن ميالون للغاية إلى تفضيل خصوصيتنا، وإذا كنا موهوبين بما يكفي، فيمكننا أن نبتكر أيديولوجية مقنعة ماكرة يمكنها تشكيل العالم كله ليلائم أبعادنا الخاصة. إنه لخطأ فادح أن نسمح للذاتية بأن تتبختر بما تفعله بمثل هذه البلطجة المتعجرفة. إن كشف معتقداتنا الأحب إلينا على المعالجة الخشنة من وجهات النظر المتعددة - كل منها يميل لرؤية العالم بعين مصلحتها - هو أملنا الوحيد في التغلب على مخاطر الذاتية التي تخدم صاحبها - الراضية عن نفسها في أحسن الأحوال، والواثقة بشكل قاتل في أسوأ الأحوال. وهكذا فإن الفلسفة - كما تصورها أفلاطون بنصف روحه المنقسمة - كانت تقول عادةً نعم لاستبعاد وجهات النظر المميزة منذ أن وضع أفلاطون نفسه ربما أقوى صورة في تاريخ الفكر، أسطورة الكهف، أحد المعالم البارزة في جمهورية أفلاطون. أسطورة الكهف هي تأييد قوي للمعرفة المعقولة كأقوى ما يمكن العثور عليه في الفلسفة.

اخرج من هذا الكهف

ظهرت أسطورة الكهف عدة مرات في هذا الكتاب. ماركوس في غوغلبلكس والدكتورة مونيتز في شارع nd Y92 كلاهما حكاها بطريقته. أنا أقدم تفسيرًا بناءً على

القصة التي حاولت سردها عن الكيفية التي أخرج بها أفلاطون الفلسفة من الروح التي كانت محسوسة في دول المدن اليونانية - والأهم من ذلك كله في أثينا.

إنها قصة مجتمع استثنائي يؤمن بأنه استثنائي، ويمجد الأفراد الاستثنائيين بينما يخلق في نفس الوقت إحساسًا بالاستثنائية التشاركية التي يمكن بواسطتها نشر الأشياء غير العادية. كانت الأيديولوجية الأثينية ردًا على مأزق وجودي ظهر بشكل دراماتيكي خلال العصر المحوري: ما هو الشيء - إن كان هناك شيء - الذي يجعل حياة الإنسان الفردية ذات قيمة؟ ما الذي يجب أن يكونه المرء أو يفعله ليحقق حياة ذات قيمة؟ لا يقل صدى المأزق الوجودي في عصرنا عما كان عليه خلال العصر المحوري. فهل من الغريب أن التقاليد الدينية القوية التي نشأت تحت قوة المأزق الوجودي لا تزال تلقى صدى لدى الكثيرين حتى يومنا هذا؟

لكن الإغريق اتخذوا نهجًا مختلفًا. على الرغم من أن العبادات والطقوس الدينية غطت كل جانب من جوانب حياتهم تقريبًا، إلا إن مقاربتهم للمأزق الوجودي كانت بمصطلحات علمانية. أهم هذه المصطلحات هو مفهوم آريت المعقد المرتبط بكليوس. لا يزال هذا النهج أيضًا يلقى صدىً حتى اليوم، ويثير طموحات التميز عن الحشد العظيم الهائل من البشر، بطريقة أو بأخرى، وسواءً فرديًا أو جماعيًا.

ربما تكون الروح الأثينية قد غذت المتطلبات الأساسية للفلسفة الأخلاقية من خلال تناول المعضلة الوجودية بمصطلحات بشرية، وليس إلهية. ومع ذلك، كان لابد من تحدي بنية القيم للأيديولوجية الأثينية حتى تظهر الفلسفة الأخلاقية. كان هذا مشروع سقراط، وقد سعى إليه مع مواطنيه الأثينيين أينما وجدهم: في الأجورا والصالة الرياضية، وفي حفلات العشاء وعند محاكمته. وغالبًا ما وجدوا أن أسئلته غير مفهومة، ولا عجب في ذلك. لقد كان يدفع بمفهوم آريت إلى خارج سياقها المألوف، ويأخذها بعيدًا عن كليوس ويقربها من المفهوم الذي سماه مترجمو المحاورات إلى الإنجليزية مباشرة «فضيلة». محاولات تعريف هذه الفضيلة أو تلك تنظم العديد من المحاورات. تدور الجمهورية حول فضيلة العدل.

يُفتتح الحوار مع سقراط، الراوي الأول للجمهورية، مُهيئًا المشهد. لقد ذهب في اليوم السابق، مع جلوكون، شقيق أفلاطون، إلى بيرايوس، ميناء أثينا، لحضور مهرجان ديني عن إلهة جرى تدشينها حديثًا، والتي قال الباحثون إنها الإلهة التراقية بنديس. كان حريصًا على رؤية المهرجان لأنه، كما يذكر عرضًا، لأول مرة يُحتفل به في بيرايوس (a327). ربما هذا يشير التفصيل إلى الانفتاح اللاهوتي للأثينيين، ما يؤكد خواء الاتهام ضد سقراط بأنه قدم آلهة جديدة؟ على أية حال، في طريق عودتهم، التقوا بصديق، بوليمارخوس، الذي أخبرهم أنه يجب عليهم البقاء في بيرايوس حيث المزيد من الاحتفالات في ذلك المساء، اقتنع سقراط وجلوكون بالذهاب إلى منزل بوليمارخوس. الذي اجتمع فيه حشد من البارزين، بما في ذلك العديد من السفسطائيين والخطباء المشهورين. يعرب سقراط أولًا عن احترامه لوالد بوليمارخوس، سيفالوس، منتهزًا الفرصة ليسأله كيف هو شعور أن تكون كبيرًا في السن. يجيب سيفالوس أنه يمكن للمرء أن يتحمل الشيخوخة طالما أنه يعيش حياة عادلة. الثروة مهمة فقط لأن ضرورات الفقر قد تغري المرء بأن يكون غير عادل، ما يجعل مواجهة الموت صعبة. يؤدي هذا بطبيعة الحال إلى مناقشة كيفية تعريف العدالة لكل من الفرد والبوليس.

المناقشة طويلة ومعقدة. ويمكننا أن نكون متأكدين تمامًا من أن سقراط وجلوكون لم يلحقا أبدًا باحتفالات المساء. ليس فقط النظرية السياسية، ولكن علم النفس الأخلاقي والفلسفة الأخلاقية والميتافيزيقا ونظرية المعرفة كلها داخلة في الإجابة التي ستذكر في النهاية فيما يتعلق بطبيعة العدالة، السياسية والفردية. كلاهما مسألة سلامة هيكلية. تتكون المدينة العادلة من ثلاثة أجزاء – الأوصياء، والجيش، والمنتجون – حيث يؤدي كل جزء الوظيفة التي تناسبه بشكل أفضل، من حيث طبيعته وتدريبه. تتكون روح الإنسان أيضًا من ثلاثة أجزاء – العقل logistikon، الذي يعقل؛ والنفس thumos التي تشاء. والرغبة epithumia التي تشتهي. في الشخص العادل، يؤدي كل جزء الوظيفة التي تناسبه بشكل أفضل. الشخص العادل، مثل البوليس العادلة، لديه الترتيب الداخلي الصحيح.

تنقسم الجمهورية إلى عشرة كتب، تظهر أسطورة الكهف في بداية الكتاب السابع. وهكذا يجري تقديمها (المجيب هو جلوكون):

تخيل بشرًا يعيشون في مسكن تحت الأرض، يشبه الكهف، له مدخل بالأعلى، مفتوح للضوء وبعرض الكهف نفسه. كانوا فيه منذ طفولتهم، مسمرين في نفس المكان، وأعناقهم وأرجلهم مقيدة، ولا يستطيعون النظر إلا أمامهم، لأن قيودهم تمنعهم من تحويل رؤوسهم. والضوء يأتيهم من نار تشتعل فوقهم وخلفهم. وخلفهم أيضًا، ولكن على أرض مرتفعة، هناك ممر يمتد بينهم وبين النار. تخيل أن جدارًا منخفضًا بني على طول هذا الممر، مثل الستارة التي تكون أمام محركي الدمى ومن فوقها يحركون دماهم.

أنا أتخيل ذلك.

ثم تخيل أيضًا أن هناك أشخاصًا على طول الجدار، يحملون جميع أنواع القطع التي تظهر فوقه – تماثيل لأشخاص وحيوانات أخرى، مصنوعة من الحجر والخشب ومن كل مادة. وكما تتوقع، فإن بعض هؤلاء يتحدثون، وبعضهم صامت.

إنك تصف صورة غريبة، وسجناء مستغربين.

إنهم مثلنا. (a–515a514)

أولئك السجناء متكومون معًا، وحالتهم الذهنية هي الإيكاسيا، وهي أدنى مستوى من الوعي، مخدوع ولا أساس له. محتويات العقل في قبضة الإيكاسيا غير مرتبطة بأي شيء له وجود مستقل. إنه عالم مظلم وقاتم ومصطنع، وكل شيء مجهز بحيث لا يستطيع السجناء اكتشاف طبيعة ما ينظرون إليه. هذا ما يمكن أن نسميه الآن الواقع المشيد اجتماعيًا. (إذا كان هناك أي مفكرين لا يزالون متمسكين بوجهة النظر التي كانت رائجة في السابق (من السبعينيات إلى التسعينيات تقريبًا) بأن كل شيء مشيد اجتماعيًا، فسوف يتوقفون عن اتباع أفلاطون بداية من هذه النقطة.) هناك دعائم مفصلة يقوم عليها، وأشخاص يعتنون بهذه الدعائم. مراقبو الظلال المقيّدون هم سجناء الأيديولوجيا، رغم أنهم يفضلون عدم معرفة ذلك. في الواقع، سيفعلون أي شيء حتى لا يعرفوا ذلك. هناك إجابات لكل أسئلتهم، والأسئلة التي لا تستحق أن تُطرح لا تأتي على بالهم. معتقداتهم الخاطئة تؤيد بعضها، لكن إجماعهم

لا يعني شيئًا عندما يتعلق الأمر بالحقيقة. يعيشون معا في الظلام. لاحقًا في الأسطورة، يصف أفلاطون «التكريم أو الثناء أو التقدير للأكثر دقة من بينهم في تحديد الظلال أثناء مرورها وأيهم أفضل في تذكر أيها يأتي أولًا، وأيها يأتي لاحقًا، وأيها يأتي مع أي، وأيهم أفضل في رؤية المستقبل» (516c–d). احتفالاتهم ببعضهم مثيرة للشفقة، إذ لا أحد ينجح في تحقيق أي شيء يستحق الفوز به. لا ترفع كليوس أيًا منهم فوق الآخر، على الرغم مما قد يظنونه. (لكن مرة أخرى، إذا كنت مفكرًا ملتزمًا بعدم وجود أي شيء سوى الصور المشيدة اجتماعيًا على جدار الكهف، فلن تتعرف أيضًا على معايير أعلى من كليوس في مجتمعك: «الدليل الوحيد على العضوية هو الرفقة، إيماءة اعتراف من شخص ما في نفس المجتمع، شخص يقول لك ما لا يستطيع أي منا إثباته لطرف ثالث: 'نحن نعلم.' أقول لك الآن، وأنا أعلم جيدًا أنك ستتفق معي... فقط إذا كنت تتفق معي بالفعل.»)

لا يخبرنا أفلاطون كيف حدث الأمر، لكن أحد السجناء يتحرر من أغلاله. من الغريب كيف أن العملية التي يصفها لا إرادية، خاصة في مرحلتها الأولى، كما لو أن المرء على طريق المعرفة يشبه مراهقًا مستاءً يُجر إلى نزهة عائلية وهو مصمم على عدم الاستمتاع.

عندما يتحرر أحدهم ويضطر فجأة للوقوف، وإدارة رأسه، والمشي، والنظر إلى الأعلى نحو الضوء، سوف يتألم وينبهر ويصبح غير قادر على رؤية الأشياء التي كان قد رأى ظلالها من قبل. ماذا تعتقد أنه سيقول، إذا أخبرناه أن ما رآه من قبل لا أهمية له، لكنه الآن – لأنه أصبح أقرب قليلًا إلى حقيقة الأشياء ويتجه نحو الأشياء الأكثر واقعية – يرى المزيد من الأشياء بشكل صحيح؟ أو، بعبارة أخرى، إذا أشرنا إلى كل واحد من الأشياء المارة، وسألناه عن ماهية كل منها، وأجبرناه على الإجابة، ألا تعتقد أنه سيكون في حيرة وأنه قد يعتقد أن الأشياء التي رآها في وقت سابق كانت أقرب للحقيقة مما يراه الآن؟

بلى، أقرب كثيرًا إلى الحقيقة

وإذا أجبره أحد على النظر إلى الضوء نفسه، ألن يؤذي عينيه، ألن يستدير ويهرب نحو الأشياء التي يمكنه رؤيتها، معتقدًا أنها أكثر وضوحًا حقًا من تلك التي تُعرض عليه؟

سيفعل.

وإذا جره شخص ما إلى الأعلى بالقوة، على الطريق الوعرة شديدة الانحدار، ولم يفلته حتى يجره إلى ضوء الشمس، ألن يتألم ويستاء من هذه المعاملة؟ وعندما يأتي إلى النور، والشمس تملأ عينيه، ألن يكون غير قادر على رؤية شيء واحد من الأشياء التي يُقال الآن أنها حقيقية؟

لن يتمكن من رؤيتها، على الأقل في البداية. (c – 516a515)

كلمة جلوكون «على الأقل في البداية» شرط ضروري، لأن السجين المحرر سيتمكن تدريجيًا من الرؤية خارج الكهف، ولكن ببطء وبدرجات. التعافي من الأيديولوجيا - إلغاء البرمجة كما نسميه الآن - يستغرق وقتًا. لا تستطيع عيناه استيعاب كل شيء دفعة واحدة، لأنهما مضطرتان للتكيف مع الضوء. أولًا، سوف ينظر ببساطة إلى الصور والظلال والانعكاسات في الماء. بعد ذلك سيكون قادرًا على النظر إلى «الأشياء نفسها» (a516). تدريجيًا يرفع عينيه إلى أعلى، ويتأمل سماء الليل. أخيرًا، ستكون عيناه قد تكيفتا بما يكفي ليرى «الشمس نفسها، في موضعها، ويكون قادرًا على تأملها.»

تمثل المراحل المختلفة، سواء داخل الكهف أو خارجه، مستويات الوجود في ميتافيزيقا أفلاطون.[343] هذه المستويات مرتبة حسب علاقات التفسير والأسباب والمبادئ. يصعد المرء إلى مستوىً أعلى من خلال تفسير المستوى الذي نجح فيه. هذه

(343). قدم أفلاطون، قبل تقديم أسطورة الكهف مباشرة، الخط المقسم الشهير، الذي يفصل العالم إلى مستويات ميتافيزيقية مختلفة، والتي هي أيضًا مستويات معرفية. الانقسام الرئيسي هو بين العالم غير المفهوم، المقدم إلينا بشكل سلبي، والعالم المفهوم، الذي ندركه بشكل إيجابي من خلال العقل، وهذا يوازي التمييز بين الرأي والمعرفة. تسير مستويات الخط المقسم من المتخيل، إلى المدرك (كلاهما يقعان تحت القسم الرئيسي)، إلى الرياضي (البوابة إلى المفهوم)، إلى المثل، التجريدات التي تكمن وراء المصطلحات الكونية. يذكر سقراط (b517) أنه يجب استخدام الخط المنقسم لفهم المراحل التي لا بد أن يمر بها السجين في أسطورة الكهف. لكن تلك الأسطورة تضيف تأكيدًا معياريًا لمعنى الخط المنقسم. صعود السجين يستلزم تغييرات في القيم. وهذا ما يفسر استجابة سقراط الغريبة لجلوكون، فيما يتعلق بالمستوى الأدنى، إيكاسيا، "إنهم مثلنا". قارن إم. إف. بورنييت، "أفلاطون في سبب أن الرياضيات مفيدة للروح": "يرشدنا سقراط إلى تطبيق رحلة السجين صعودًا على صعود الروح إلى منطقة المفهوم من الخط المقسم.... لكن السرد المصاحب، عن رحلة العودة إلى الكهف، يشير إلى حل مختلف. لأن الأمثلة المذكورة في القصة هي القيم."

هي الطريقة التي تتقدم بها عملية المعرفة، من خلال ما يسميه الفلاسفة بالمنطق الاحتمالي، أو الاستدلال على التفسير الأفضل. اكتشاف أفضل تفسير هو الوصف الوظيفي للمنطق الذي يستكشف الواقع. إنها الطريقة التي يمكن بها توسيع علم الوجود. وسواء تم توظيفه في الفيزياء النظرية[344] أو في التفكير الفلسفي، فإنه عن طريق المنطق الاحتمالي يمكن للمرء أن يعرف الواقع الذي لم يصلنا بشكل سلبي، سواء بالخيال أو الإدراك، سواء كان هذا الواقع مكون من مجالات كمومية أو، كما يرى أفلاطون، واقعًا مشبعًا بالقيم، قائم على التقاء الحق – والجمال – والخير. العارف الخبير، سواء كان عالم كونيات أو ميتافيزيقا، يكتشف الحقيقة الموضوعية من خلال البحث عن أفضل تفسير (وكما يشير أفلاطون في طيماوس 44d29 ;c–d، فإن هذا الشكل من المعرفة احتمالي في أحسن الأحوال، ومستعد دائمًا لإفساح المجال لتفسير أفضل).

ما يدفعنا إلى الصعود إلى مستوىً آخر هي الأسئلة المطروحة في المستوى الذي نحن فيه. فنعرف المكان الذي كنا فيه بعد أن نتركه. سعينا وراء التفسير هو ما يدفعنا إلى الأعلى. في المستوى الأول من الكهف، نفهم أننا كنا ننظر إلى ظلال فقط عندما نرى عملية إنتاج الظلال التي تجري داخل الكهف، وطرق تزوير كل شيء هناك تزويرًا مطلقًا لخلق الأوهام التي ظنناها حقيقة. يفهم المرء فقط أن المرء كان يعيش في كهف تحت الأرض عندما يخرج منه، تاركًا وراءه القيم التي أنشأها مجتمع سجين أيديولوجيته بكل حيله المصممة لمنع السجين من الاتصال بما هو في الخارج – أي بالواقع. إن الصعود والخروج من الكهف هو خروج عن الأيديولوجيا، مرعب ومؤلم في البداية، لكنه مخلّص وطبيعي في النهاية، بحيث تصبح فكرة العودة إلى الأيديولوجية المهجورة أمرًا لا يمكن تصوره. «أفترض أنه يفضل أن يقاسي أي شيء على أن يعيش تلك الحياة» (e516). الخروج من الكهف الأيديولوجي، حيث كل الأسئلة لها إجابات وحيث يتفق معنا كل شخص نعرفه –«أقول لك الآن، وأنا أعلم جيدًا أنك ستتفق معي... فقط إذا كنت تتفق معي بالفعل.» – هو الأصعب وأهم

(344) . في طيماوس، يقدم أفلاطون المنطق الاحتمالي كضرورة للتفكير العلمي.

خطوة يمكننا اتخاذها. لكن إذا لم نتخذ هذه الخطوة، فلن نترك هذه الحياة ونحن أقرب إلى الحقيقة مما كنا عليه عندما دخلناها. وهذا بالضبط ما يعنيه أن تحيا حياة لا تستحق أن تعاش، حتى لو كانت أكثر أنواع الوجود بهجة.

ومع ذلك، لا تزال هناك العديد من المستويات التي يتعين الوصول إليها خارج الكهف. يعدد أفلاطون المستويات خارج الكهف: الصور والانعكاسات، الأشياء نفسها، الشمس. إلام تشير تلك المستويات؟ تشبيه الخط المقسم (d – 513e509) هو المفتاح. تمثل الصور والانعكاسات الرياضيات، التي يقضي أوصياء جمهورية أفلاطون عدة عقود في إتقانها. الأشياء نفسها هي المثل، تلك الكيانات النظرية المجردة التي يعتقد أفلاطون، على الأقل في تلك المرحلة من تفكيره الفلسفي، أنها ضرورية لتفسير هويات التفاصيل الملموسة.

لكن مسار التفسيرات لا يصل إلى طريق مسدود، ولا حتى هنا، في هذا النطاق النظري من التجريدات البعيد عن الحس العام. حتى المثل المعقولة ليست بغير حاجة إلى تفسير. هناك بنية لهذا النطاق المجرد – ليست كل المثل الممكنة موجودة، وبعضها يستلزم البعض الآخر، والبعض يستبعد البعض الآخر. هناك بنية معقدة مفروضة فوق هذا النطاق المجرد. المثل المجردة وعلاقاتها مع بعضها تعطي للواقع شكله. لكن لماذا هذا الشكل وليس شكلًا آخر؟ لماذا أي شيء على الإطلاق؟

المزيد من الصعود مطلوب، إلى شكل الخير الأسمى. في أسطورة الكهف، يصل السجين السابق، الذي أصبح مستنيرًا الآن، إلى هذا الصعود الأخير، عندما يرفع عينيه إلى السماء ويرى مصدر الضوء نفسه، الشمس، وتصبح اللغة ملتهبة لتجاري الموقف. «في عالم المعلوم، شكل الخير الأسمى هو آخر شيء يمكن رؤيته، ولا يصل المرء إليه إلا بصعوبة. ومع ذلك، بمجرد أن يراه المرء، يستنتج أنه سبب كل صحيح وجميل في كل شيء، وأنه منتج الضوء ومصدره في العالم المرئي، وأنه المتحكم في الحقيقة ومصدرها في عالم المعلوم. وأن أي أحد يتصرف بحكمة سرًا أو علنًا يجب أن يراه» (b517).

يقف أفلاطون، في الجمهورية، بحزم إلى جانب العقليين. كل ما نحتاج إلى معرفته - فكريًا وأخلاقيًا - متاح، والطريقة التي نرى بها ما هو متاح ليست خصوصية ولا هي حكر أكثر من الواقع نفسه. يتقدم المرء عن طريق العقل، من خلال تقديم أفضل التفسيرات للأسئلة التي يأتي بها كل مستوىً. ثمة عارف مجازي مجهول يمثل أيًا منا، لذا اسمحوا لي بتغيير جنس الضمير. هذه العارفة لا تأتي ومعها أية معدات معرفية من نوع خاص تجعلها مطلعة على الرسائل الخاصة من خارج الكهف. بل بفضل تفكيرها، تحقق رؤية الشمس. هذا المسار ليس فقط، من حيث المبدأ، متاحًا لأي أحد، ولكنه مسار يحتاج إلى التعاون، لأن معرفة أفضل تفسير هو نشاط يصبح أفضل في وجود الآخرين، كما آمن الرجل الذي أسس الأكاديمية، وجمع إليه أفضل المفكرين في يومه هناك. تحررت السجينة أول مرة وسحبها إلى الأعلى في المحطة الأولى من رحلتها شخص آخر، لكن فور أن ترى الشمس تتذكر السجناء الذين ما زالوا مقيدين في الكهف وتشفق عليهم، وتعود لمساعدتهم ليصعدوا كما صعدت. (لا ينتهي الأمر بالضرورة بصورة حسنة. فسجناء الأيديولوجيا لا يرحبون دائمًا بالتحرير).[345]

شكل الخير الأسمى، أجاثون، هو المكان الذي تتوقف فيه كل التفسيرات. إنه مستوى المفسر نفسه بنفسه. يجب أن يكون هناك مثل هذا المستوى من التفسير الذاتي، إذا كان الواقع، كما افترض أفلاطون، مفهومًا تمامًا. لا توجد حقائق عمياء، حقائق هي حقائق ليس لسبب آخر سوى أنها حقائق. يجب أن تخترق التفسيرات كل ما هو موجود. الفكرة ليست سلاحف إلى مالانهاية[346]، بل أسباب، logoi، إلى مالانهاية. هذه هي البديهة الأساسية عند العقلاني. التي عاد إليها في القرن السابع عشر العقلانيون المتشددون مثل سبينوزا وليبنيز. أطلق عليها لايبنيز مبدأ العلة الكافية.

(345) . ألن يُقال عنه إنه قد عاد من رحلته إلى الأعلى وبصره خرب وأن محاولة الصعود إلى أعلى لا تستحق حتى بذل الجهد؟ وأنهم إذا تمكنوا بطريقة ما من وضع أيديهم على الشخص الذي يحاول تحريرهم وأخذهم إلى الأعلى، ألن يقتلوه؟" (a517).

(346) . تُستخدم هذه العبارة للتعبير عن مشكلة التسلسل اللانهائي. في بعض الأساطير، العالم محمول على ظهر سلحفاة، حسنًا، وماذا يحمل السلحفاة؟ إنها سلاحف إلى مالانهاية. (المترجم)

ومثلهم، طالب أفلاطون بأن يفسر الواقع نفسه تمامًا، في كل خطوة على الطريق، وهذا يستلزم أنه يجب أن يكون هناك مستوى من التفسير الذاتي. الطريقة التي نرتقي بها إلى المستوى التالي في كل مرة هي إيجاد (بأفضل ما نستطيع) أفضل تفسير. يقودنا، في كل خطوة على الطريق، حدسنا بأن أفضل تفسير - الأجمل والأكثر أناقة - هو التفسير الصحيح. الخير هو ببساطة أن يتأكد هذا الحدس. الواقع هو ما هو لأنه يدرك أفضل التفسيرات الممكنة. وهي الجديلة السامية -- الحقيقة، والجمال والخير - بنية العالم مشبعة بسامية على قدر من السمو جعله يجب ببساطة أن يوجد. الواقع موجود لأنه أيضًا يسعى لتحقيق وجود يستحق أن يوجد. الكون بحد ذاته فائق الإنجاز، والوجود هو الجائزة.

طرح أفلاطون ضمنيًا، في ارتقاءه بالتفسير، السؤال الأساسي للميتافيزيقا: لماذا يوجد شيء وليس لا شيء؟ يُنسب إلى لايبنتز عادةً أنه أول من صاغ السؤال صراحةً، وبهذه المصطلحات ذاتها، لكن مرة أخرى، وصل أفلاطون إلى هناك أولًا (وبالتأكيد سبق سبينوزا لايبنتز أيضًا).[347] طرح أفلاطون السؤال ضمنيًا من خلال اقتراح إجابته صراحة. فيخبرنا في الجمهورية أن الخير هو ما يهب الوجود. يربط أجاثون بنية الواقع - مهما كان ذلك الواقع في النهاية. (في طيماوس، يعرب عن شكوكه في أنه يمكننا أن ندركه بالكامل. كون الواقع مفهومًا لا يستلزم أن يكون مفهومًا لنا.) وأفلاطون منفتح على فكرة أن يكون الواقع مختلفًا تمامًا عن الطريقة التي تصورناه بها عند أي نقطة في مغامرتنا المشتركة لفهمه. فاستجواب الذات هو جوهر العملية العقلانية. ولكن ما يتمسك به هو أنه مهما كان الواقع، فهو كذلك لأن أفضل الأسباب جعلته كذلك، ونحن نصل إلى تلك الأسباب الفضلى من خلال إحساسنا بالجمال المعظم للوضوح: «المعرفة والحقيقة شيئان جميلان، ولكن الخير شيء آخر

---

(347) . لإلقاء نظرة على المفكرين المعاصرين - الفيزيائيين والفلاسفة وحتى الروائيين - الذين تأملوا هذا السؤال، انظر جيم هولت، لماذا يوجد العالم: قصة تحري وجودية (نيويورك: ليفرلايت 2012). اثنان ممن أجرى هولت مقابلات معهم يصفان أنفسهما بأنهما أفلاطونيان في مقاربتهما للسؤال الذي يطرحه عليهم هولت: الفيزيائي روجر بنروز، الذي يركز على الأفلاطونية الرياضية كإجابة على مشكلة الميتافيزيقية النهائية وهي سبب وجود أي شيء، والفيلسوف جون ليزلي، الذي يطور ما يسمى "بقاعدة القيم المتطرفة extreme axiarchism".

وأجمل منهما» (e508).

تبعد أسطورة الكهف أي شيء لا يستطيع أن يقدم مبررًا عن نفسه - بما في الصوت الهامس المميز في أذن المرء من عرافه الخاص - إلى داخل الكهف المظلم. إنها، في النهاية، عدوة اللاعقليين، الذين لا يزالون عند مستوى الإيكاسيا، سجناء الأيديولوجيا، غير القادرين على تقديم أسباب logoi. توضع الأدلة على أفضل تفسير على طاولة البحث، بحيث يمكن للجميع تقييمها - ليس فقط في الفلسفة ولكن في جميع المجالات النظرية (باستثناء الرياضيات، التي يمكن فيها تقديم البراهين القاطعة). الاستدلال على أفضل تفسير يمثل ما يعنيه التنظير.

كلمة «أفضل» كلمة تقييمية بوضوح. ليس هناك هروب من التقييم، لا في تقرير ما يعد الاعتقاد به عقلانيًا ولا في تحديد ما يعد القيام به أخلاقيًا. حقيقة أن التقييم متضمن - قد يختلف الأشخاص المختلفون حول ما يشكل أفضل التفسيرات المتاحة - يجعل من الضروري تعريض منطق المرء إلى وجهات نظر متعددة. عندما جعلت أفلاطون يقول لروي مكوي إنه يفضل أن تفنَّد آراؤه على أن يفند آراء غيره، كنت أقتبس منه حرفيًا.

لكن ما هي المعايير التي يجب استخدامها في تقييم أفضل التفسيرات؟ وهنا أيضًا تندلع الخلافات. قد نسأل: هل يُقدم التفسير الذي يزيد من إحساس الغموض في العالم على التفسير الذي يقلل الغموض، أم العكس؟ هناك أسباب ممتازة، مدعومة بالحجج ومقبولة بشكل عام، لتبني البديل الأخير. في الواقع، وتحديدًا، لأن التفسير الذي يقلل الغموض يُنظر إليه على أنه التفسير الأفضل، فقد أُبعد تفسير أفلاطون الخاص للكونيات بالمثل المجردة لصالح تفسيرات أخرى. خلقت ما تعرف بنظرية المثل ألغازًا أكثر مما حلت. هناك دليل على أنه توصل إلى ذات الاستنتاج كنتيجة لسلسلة الانتقادات التي وجهها للنظرية في بارمينيدس. في طيماوس والقوانين، تم تصور المثل الأكثر وضوحًا - وبالتالي جمالًا - من حيث البنى الرياضية، في حين أُسقطت المثل الأخرى.

خلق الديميرج الذي يظهر في أسطورة الخلق التي قدمها في طيماوس الكون المادي ككائن حي، ومنحه روحًا ونفخ فيه من الأبدية بقدر ما يحتمل كيان يعيش في الزمن. يحدث هذا النفخ عن طريق جعل الزمن نفسه صورة للأبدية. على عكس الأبدي حقًا، فإن الكون في حالة حركة، لكن حركته تخضع لقانون العدد، ما يعني أنه يشارك، بأفضل ما يستطيع، في الأبدية. والحركات الرياضية داخل الكون هي بحد ذاتها التي تولد الوقت، صورة الخلود. (348)

لذلك، ونظرًا لأن ذلك النموذج كان بحد ذاته شيئًا حيًا أبديًا، فقد شرع في إنشاء هذا الكون بطريقة تجعله أيضًا يتمتع بهذه السمة إلى الحد الذي كان ممكنًا. ورغم أنه كان من طبيعة الشيء الحي أن يكون أبديًا، إلا إنه ليس من الممكن إضفاء الأبدية بالكامل على أي شيء مُحدث. وهكذا بدأ يفكر في إنشاء صورة متحركة للأبدية: في نفس الوقت الذي جلب فيه النظام إلى الكون، كان يصنع صورة أبدية، تتحرك وفقًا للعدد، صورة من الأبدية القابعة في وحدتها. هذا العدد، بالطبع، هو ما نسميه الآن «الوقت». لأنه قبل أن تكون السماوات، لم تكن هناك أيام ولا ليال، ولا شهور ولا سنوات... هذه كلها أجزاء من الزمن، وكان وسيكون هي أشكال من الزمن الذي جاء إلى الوجود. نحن نطبق هذه المفاهيم دون تفكير ولكن بشكل غير صحيح على الوجود الأبدي. لأننا نقول إنه كان ويكون وسيكون، ولكن في الحقيقية يكون فقط هي ما ينطبق عليه. وفي المجمل، لا تناسبه أي من الخصائص التي منحها الوجود للأشياء التي تتحرك في عالم الإدراك. تلك، بالأحرى، هي أشكال الزمن التي خرجت إلى الوجود، الزمن الذي يقلد الأبدية ويدور وفقًا للعدد. (37c–38b)

الرياضيات المنقوشة في حركات السماء، والتي تمنحنا الوقت، أيضًا في طيماوس، تولد بنية المادة. الكون مشبع بالمنطق في شكل رياضيات، الأمر الذي لا يسمح فقط لعالم كان ويكون وسيكون بأن يشارك في الأبدية، ولكنه أيضًا يجعل الكون في متناول منطقنا الرياضي. فضيلتنا المخلصة هي أن منطقنا البشري يمكنه أن يخترق منطق الكون:

وعندما يعمل العقل مع الحقيقة المساوية سواء كانت في دائرة المتنوع أو من نفس الشيء –

(348) . إن إنكار طيماوس أن الوقت مطلق، ما يجعله دالة للحركة، يتنبأ بأفكار ستؤتي ثمارها في نظرية النسبية الخاصة.

في صمت لا صوت له يقود تقدمها إلى الأمام في مجال الحركة الذاتية - عندما أقول إن العقل يحوم حول العالم المعقول وعندما تضفي دائرة المتنوع التي تتحرك بصدق أيضًا إشارات الحس إلى الروح بأكملها، عندئذٍ تنشأ آراء ومعتقدات واثقة مؤكدة. لكن عندما ينشغل العقل بالعقلاني، وتعلنه دائرة المتحرك بسلاسة، عندئذٍ يتحقق الذكاء والمعرفة بالضرورة. (طيماوس 37b–c، ترجمة بنيامين جويت)

لا عجب أن جاليليو وكبلر كانا أفلاطونيين متحمسين، منذ زمن توما الأكويني، فضلت الكنيسة أرسطو. ومن تفضله الكنيسة يصبح تحديه هرطقة. لكن أفلاطون، ولا سيما أفلاطون في طيماوس، هو الذي حمل روح التمرد التي ظهرت في القرنين السادس عشر والسابع عشر ضد الغائية الأرسطية المتعصبة. في طريق عودتهم إلى أفلاطون، تمسك الفيزيائيون الجدد بالرياضيات باعتبارها روح التفسير - وكلما كانت الرياضيات أجمل، زادت قيمتها التفسيرية. إذا كانت مركزية الأرض الأرسطية / البطلمية قد رُفضت، فلم يكن ذلك على أساس الملاحظة وحدها - يمكن أن تستوعب أفلاك التدوير جميع الحركات المرصودة للكواكب - ولكن لأن أفلاك التدوير قبيحة رياضيًا. اجعل الشمس هي نقطة الأصل التي تدور حولها الأرض والكواكب فتصبح الرياضيات جميلة. أثرت الواقعية الجمالية لأفلاطون بشكل عميق على الرجال الذين ابتكروا الفيزياء الحديثة، وكثيرًا ما يذكر كل من جاليليو وكبلر «أفلاطون الرائع»، مستخدمين معايير أفلاطون للحكم على أفضل التفسيرات كمعايير لهم.

الاستدلال على التفسير الأفضل عامر بلا شك بالقيمة، ولكن، في نظرة أفلاطون للأشياء، الواقع أيضًا. وضع أجاثون على قمة رؤية السجين يعني أن هناك شيئًا متفوقًا بطبيعته في الواقع كما هو يقول إن هذا هو الواقع الذي يجب أن يكون. يستلزم أجاثون أن الحقيقة يمكنها في النهاية أن تفسر وجودها، وهذا لا يعني أننا، مجرد البشر، سنكون قادرين على الوصول إلى ذلك التفسير النهائي. لكن من وجهة نظر أفلاطون، يجب أن نكون واثقين في وجود ذلك التفسير. يمكن اعتبار الثقة في وجوده جزءًا من ميتافيزيقا الفيزياء، والتي على أساسها نوقشت التوسعات الهائلة في علم

الوجود، والتي لا يمكن أن يكون من بينها ما هو أكثر اتساعًا - أليس كذلك؟ - من فكرة الأكوان المتعددة المثيرة للجدل. كتب الفيزيائي براين جرين مقالًا في مجلة The Daily Beast، يشرح التفكير الحالي (الذي هو معجب به) والذي يقول إن كوننا ليس سوى واحد من عدد هائل من الأكوان، التي تتكون من جسيمات مختلفة وتحكمها قوىً مختلفة. هائل إلى أي حد؟ وفقًا لنظرية الأوتار، «يبلغ عدد الأكوان المحتملة تقريبًا 10500 وهو رقم يصعب تخيله، رقم كبير لدرجة أنه يتحدى تشبيهه بشيء.» السماح للأناقة الرياضية بحملنا قدمًا أخذنا بعيدًا عن الكهف. ومن يعرف؟ ربما سنكون قادرين في يوم من الأيام على الإجابة عن سبب وجوب أن يكون كوننا - سواء أكان متعددًا أم لا - بالحالة التي هو عليها. وإذا نجحنا في ذلك، فالفضل لحدس أفلاطون، أنه عندما يتعلق الأمر بالكون، فإنها أسباب إلى مالانهاية، وهو الشيء الرائع للغاية في الأمر. والسبب في أن أجاثون هو صاحب السيادة.

لا تتأثر سيادة الخير بالإشارة إلى جميع الطرق التي يمكن من خلالها تحسين الواقع. هذه النظرة لا تتأثر بأهوال مثل سرطان الدم في الأطفال، أو الصفائح التكتونية المتحركة، أو الحرائق الهائلة. هذه المآسي تبدو ضخمة في نظر الإنسان. لكن الواقع لا يتبنى وجهة نظر الإنسان، ولا يمكن أن يُتوقع منه ذلك. إن السمو الذي كان لابد أن ينفجر إلى الوجود لا يشغل نفسه بنا تحديدًا. مثل ذلك الخير المقيَّد بالبشر لا يستطيع أن يتحمل الهياج الوجودي المطلوب لإحداث الوجود. يشير بنديكت سبينوزا إلى عدم أهمية وجهة نظر الإنسان على النطاق الميتافيزيقي الكبير، فيقول إن «كمال الأشياء لا يُحسب إلا من خلال طبيعتها وقوتها؛ الأشياء ليست أكثر كمالًا أو أقل، من حيث أنها تبهج أو تسيء إلى الحس البشري، أو من حيث أنها مقبولة أو ممقوتة عند البشر» (الأخلاق الكتاب الأول، الملحق).[349] يقدم أفلاطون حجة

(349) . يكمل سبينوزا: "إلى أولئك الذين يسألون لماذا لم يخلق الله كل البشر على نفس الشاكلة، يحكمهم العقل فقط، فأنا لا أقول إلا هذا: لأنه لم تكن تعوزه المادة لخلق كل درجة من الكمال من الأعلى إلى الأدنى أو، تحديدًا، لأن قوانين طبيعته واسعة جدًا بحيث تكفي لإنتاج كل شيء يمكن تصوره بذكاء غير محدود، كما أوضحت في الاقتراح 16" (ملحق الكتاب الأول، الأخلاق). بعبارة أخرى، بالنسبة لسبينوزا، الخصوبة الوجودية اللانهائية، التي هي بحد ذاتها مقياس على كمالها، تتسرب إلى واقع ذي جوانب ممتعة ومؤلمة لمخلوقات واعية مثلنا. وكوننا تلك المخلوقات الخاصة يجعلنا نبالغ في تقدير أهمية

شبيهة في الكتاب العاشر من القوانين. (c903)

إن فكرة الواقع المعقول الذي لا يظهر أي ميل نحو رفاهية الإنسان تبدو للكثيرين باردة وغير إنسانية. حسنًا، هو بارد وغير إنساني. ما قصدته هو أن الفكرة تثير اشمئزاز الكثيرين نتيجة كونها غير إنسانية. ولا عجب أنه عندما التقت الأفلاطونية مع التوحيد - المتمثل في المفكر اليهودي فيلو والمفكر المسيحي أوغسطين - حدث تعديل في مستأجر الأدوار العليا من مستويات التفسير جعله قريب من المستخدم، خرج الخير، ودخل الرب. اشتهر المستأجر الجديد باهتمامه بنا بقدر اهتمامنا بنا. من وجهة نظر أفلاطون (أو سبينوزا)، هذا الاستبدال على المستوى الأعلى يعيدنا في اتجاه الكهف وأيديولوجيته المتعجرفة. من وجهة نظر أفلاطون أو سبينوزا، فإن المبالغة في تقدير وجهة النظر الإنسانية هي في حد ذاتها أيديولوجية.

أما أنت فعد إلى الكهف

لكن حتى الآن، كانت فكرة أجاثون التي تحدثنا عنها من النوع الذي يروق جدًا للفيزيائي أكثر بكثير من عالم الأخلاق. كيف يمكن أن يكون لهذا الأجاثون النظري للغاية أي آثار على الطريقة التي من المفترض أن نتصرف بها؟ لن يطلب أفلاطون منا - أخلاقيًا - أن نصبح جميعًا علماء كونيات، أليس كذلك؟

ليس بالضبط، لكن تقريبًا. فالخير الذي يشكل الواقع له تبعات معيارية محددة. وهذا، أيضًا، تشير له أسطورة الكهف. فقط لأن السجين السابقة قد واجهت الخير وفهمت دوره التفسيري الأسمى في الوجود، فهي تتذكر السجناء الذين تركتهم وراءها. هي لا تريد العودة إلى الكهف لتعتني بهم. تفضل كثيرًا أن تحسب المعادلات الجميلة التي تصف حركة المادة. لكن جمال تلك المعادلات قد انطبع في كيانها، وبسبب هذا الانطباع، فإنها تشعر بالمسؤولية تجاه أولئك الذين ما زالوا يحدقون

هذه الجوانب الممتعة والمؤلمة بالنسبة لنا. تشير هذه المبالغة في التقدير إلى أننا لم نبتعد مسافة كافية عن الكهف.

بؤس في الصور التي ولدتها الأيديولوجية، ويكافئون بعضهم بجوائز لا معنى لها.

في الأسطورة، هؤلاء السجناء، المقيدين بالأغلال والمشتتين، لا يمثلون أي تهديد لها طالما بقيت خارج الكهف. في الأسطورة، يمكنها فقط تجاهلهم والمضي في استكشافاتها المثيرة. في الأسطورة، ليست مصلحتها الشخصية هي التي تجبرها على العودة إلى الكهف بل نوع من الإيثار. لكن في عالم البوليس الواقعي، القصة مختلفة. في عالم بوليس الواقعي، من مصلحة أولئك الذين يرغبون في أن يسمح لهم باكتشاف الواقع أن يحاولوا القضاء على أي أيديولوجية، دينية أو علمانية، من شأنها أن تمنع استفساراتهم الحرة. في العالم الحقيقي، ينتهي سقراط بالتشكيك في الأيديولوجية ويتسبب ذلك في مقتله. لذلك فمن المصلحة الذاتية للمفكرة محاولة تغيير البوليس للأفضل، محاولة جعل العالم مكانًا آمنًا لتفكيرها.

لكن أفلاطون لا يقدم بهذه الطريقة في الأسطورة. تنصف الأسطورة واقع القيم الكامل الذي وجده أفلاطون خارج الكهف، وأن واقع القيم يتضمن مسؤوليات تجاه الآخرين.

تتسبب الطبيعة المحملة بالقيمة للواقع اللاشخصي في حدوث تحول في نفسية الفرد الأخلاقية، يهبط الانسجام والتناسب اللذان ينبيان الواقع على الواقع النفسي للفرد ويحولانه إلى الأصلح.[350] وهذا هو ما يمثله الشخص العادل: شخص تتطابق حقيقته الداخلية مع الواقع الخارجي. لهذا جعل أفلاطون أوصياءه على الجمهورية يدرسون الرياضيات لعدة عقود استعدادًا لحكم الدولة. فقط الأشخاص الذين سمحوا لأنفسهم بأن يُصلحهم الواقع هم من يملكون القدرة على محاولة إصلاح البوليس للأفضل.

(350) . والحركات التي لها صلة بالجزء الإلهي فينا هي أفكار وحركات الكون. هذه، بالتأكيد، هي التي يجب أن يتبعها كل واحد منا. يجب أن نعيد في رؤوسنا توجيه الثورات التي خرجت عن مسارها عند ولادتنا، من خلال تعلم تناغم وحركات الكون، وبالتالي يحدث التوافق بين قدرتنا على الفهم وموضوع المفهوم، كما كانت في حالتها الأصلية. وعندما يكتمل هذا التوافق، سنكون قد حققنا هدفنا: أفضل حياة تمنحها الآلهة للبشرية، الآن وإلى الأبد" (طيماوس 90d).

لكن لماذا يجب عليهم أن يطلبوا ذلك؟ هذا هو السؤال. لماذا لا تبقى السجينة السابقة بعيدًا عن الأيديولوجيين بقدر ما تستطيع وأن تمضي في تفكيرها، الذي هو صعب بما فيه الكفاية؟ (لكن من الواضح - وليس من المستغرب - أنه ليس صعبًا على أفلاطون. بالنسبة له، على الأقل، فالأمر كله «متعة غير مختلطة»، كما يقول في فيليبوس.) لماذا يجب أن تخاطر بالتعرض للسخرية والغضب اللذين ينتظرانها عندما تنزل مرة أخرى إلى الظلام - غضب يصفه أفلاطون بأنه ليس أقل من قاتل؟ (a517)

أجاثون، بقدر ما هو لاشخصي ونظري، له آثاره على آريت، الامتياز البشري الذي يجعل الحياة تستحق أن تعاش. لا يمكن أن تعني آريت أن تهتم لسلامة بنيانك فقط دون التفكير في صالح الآخرين. تلك العارفة المجهولة في الأسطورة هي نفسها في البداية جرها «على الطريق الوعر شديد الانحدار»، شخص آخر لم يتركها حتى وجهها صوب ضوء الشمس. بالنظر إلى الوراء، يبدو هذا الجانب من الأسطورة مهمًا. فقد غامر شخص ما قد بلغ الحياة خارج الكهف بالعودة لمساعدة شخص آخر.

أجاثون الذي يتأمله أفلاطون، مع تعمق حياته الفلسفية، لا يهتم لصالحنا الفاني. إنه لا يبالي بنا أكثر حتى من الآلهة اليونانية القديمة. ومع ذلك، فإننا نتحسن أخلاقيًا من خلال تأمله كما أن تحسننا الأخلاقي يحولنا إلى مواطنين أفضل في البوليس. الراديكالية الموضوعية، المطهرة من هموم الإنسان، هي أفضل ترياق لضآلة الطبيعة البشرية. إن مجرد تحقيق هذه الرؤية الموضوعية يحتاج منا التغلب على تشوهات طبائعنا، والتمييز المفرط لهوياتنا ووجهات نظرنا. إنها تطلب منا تفكيك أية أيديولوجية تسجننا، لأنها دائمًا تقريبًا تتملق إحساسنا بأهمية الذات. الوقوع في حب الجمال اللاشخصي للموضوعية، والذي لا يبادلنا الحب، هو إنجاز أخلاقي في حد ذاته.

وبمجرد تحقيق هذه الرؤية، تتبعها عواقب أخرى فاضلة. تثير الرؤية شعورًا بالرهبة التي تضع اهتماماتنا الدائرة حول الذات في أوسع منظور ممكن، وتكون

النتيجة إزالة تلك الاهتمامات من أمام أنظارنا. إن الإحساس بالاتساق الصحيح الذي يستقر في حياتنا الداخلية لا يسمح فقط بضبط النفس والاختيارات الحكيمة، أي «لا تسرف» التي احتفى بها الإغريق المسرفون. بل يؤدي أيضًا إلى الإحساس بالاتساق الصحيح بيننا وبين الآخرين. بمجرد تصحيح التشوهات في منظورنا، نصبح أمام «المساواة المتسقة» التي يجب أن تسود في عالم الناس كما تسود في الكون نفسه. في جورجياس، يجعل أفلاطون سقراط يجادل كاليكليس، الذي يرى أن ما يريده أي منا هو الحصول على ما يريده في كل شيء، وهذا بالضبط ما سنفعله جميعًا إذا تمكنا من الإفلات من العقاب. يعيش الطغاة أسعد حياة من بين الجميع. في سياق المناقشة، يقول سقراط، «نعم، كاليكليس، يدعي الحكماء أن الشراكة والصداقة، والنظام، وضبط النفس، والعدالة تجمع بين السماء والأرض والآلهة والبشر، ولهذا السبب يطلقون على هذا الكون نظام عالمي، يا صديقي، وليس اضطراب عالمي غير منضبط. أعتقد أنك لا تولي اهتمامًا لهذه الحقائق، رغم أنك رجل حكيم في هذه الأمور. لقد فشلت في ملاحظة أن المساواة المتسقة لها قوة عظيمة بين الآلهة والرجال على حدٍ سواء، وأنت ترى أنه يجب على المرء أن يتمرن على الحصول على النصيب الأكبر. هذا لأنك تهمل الهندسة» (e–508a507). لا يمكن لأي شخص لديه تقدير صحيح للاتساق أن يفشل في تقدير أن الذات لا ينبغي أن تكون غير متسقة مع أي شخص آخر. إن جمال الاتساق الذي حمل المرء قدمًا، لأن المرء يحبه، من شأنه أن يجعل المرء يمقت موقفًا من شأنه أن يجعل المرء غير متسق مع أي شخص آخر. هناك نظرية أخلاقية كاملة في هذه الفقرة.

«وأنت ترى أنه يجب على المرء أن يتمرن على الحصول على النصيب الأكبر.» الكثير من الأيديولوجيات تتلخص، في النهاية، في طرق تبرير إحساسنا بأنه يجب علينا الحصول على النصيب الأكبر. وبالتالي فإن الأشخاص الذين تمكنوا من إخراج أنفسهم من الكهف، وحققوا حياة تستحق أن تعاش، يجب ألا تكون لديهم أوهام بأنهم يستحقون هذه الحياة أكثر من أي شخص آخر. إذا كانوا سيفرحون بإنجازاتهم الشخصية، فهم لم يحققوا أي شيء يستحق الإنجاز. وإذا حققوا، فلن يكون لديهم

خيار سوى جعل مكاسبهم هبة للجميع، ومحاولة تحسين البوليس، على الرغم من أن ذلك قد يصدمهم كشيء مقيت.

واستنادًا إلى محاورة القوانين، وجد أفلاطون أن المهمة مقيتة فعلًا، وهي ليست متعة بل التزام. القوانين هو كتابه الأخير، الذي كتبه عندما كان رجلًا عجوزًا. ذهب سقراط تمامًا، وجاء ثلاثة شيوخ - أحدهم إسبرطي، والآخر كريتي، وأثيني مجهول - يسيرون في نزهتهم الصباحية معًا، ويتحدثون، على طول الطريق، عن السياسة والقانون. يخرج الأثيني المجهول في محاورة القوانين عن الموضوع ولا يستطيع إلا بقوة الإرادة أن يبتعد عن التأمل المبهج للكمال الرياضي في الكون المنظم ليعود إلى التفكير في العمل الكئيب المتمثل في أفضل السبل لإدارة شؤون البشر، الذين يشبههم بالدمى. عندما يستخدم الأثيني التشبيه غير الملائم للمرة الثانية وينهره الإسبرطي، يعتذر الأثيني ويقول إنه كان يفكر في الآلهة. ثم، وكما لو أنهم قد اتخذوا وجهات نظر الآلهة نفسها - الآلهة التي، سواء وصفها هوميروس بالطيش أو بكل رصانة الجمال الرياضي كما فعل أفلاطون، لا تضع الإنسان أبدًا في مركز اهتمامها - يقر الأثيني، «لكن، إذا كان الأمر كذلك، فإن الجنس البشري ليس شيئًا وضيعًا، بل يستحق الاهتمام الجاد.» (b804)، وبتنهيدة تسليم لا يصعب تخيلها، يعود للعمل على تصميم قوانين لبوليس يكون الضرر الذي نسببه لبعضنا فيها أقل ما يمكن.

نستطيع أن نحقق الحياة التي تستحق أن تعاش من خلال فهم كيف حقق الكون وجودًا يستحق أن يوجد. هذا هو مفهوم آريت الذي وصل إليه. السمو اللاشخصي تستوعبه الفضيلة الشخصية. «لكننا الآن نلاحظ أن قوة الخير لجأت إلى التحالف مع طبيعة الجمال. لأن القياس والاتساق يظهران في جميع المجالات على هيئة الجمال والفضيلة» (فيليبوس e64). المطلوب هو أن يجعلنا إحساسنا المصقول بالجمال منفتحين على «أفضل الأسباب» التي تحدد شكل الواقع، وأن تغلب علينا غيرية الواقع وجماله. بالنسبة له، هكذا يكون تبجيل الآلهة، ولهذا السبب يطلق على علم الفلك نوعًا من التجربة الدينية في طيماوس. لكن علم الفلك ليس الطريقة الوحيدة التي «يتجلى فيها القياس والاتساق» ليغمرانا. وكما ذكرنا في الفصل زيتا ζ، فهو يقول

إن الموسيقى (من النوع الصحيح) والشعر (من النوع الصحيح) يمكن أن يؤديا الغرض أيضًا، طالما أننا نعتبرهما إشارات إلى التسامي الذي يخبرنا بحجمنا الحقيقي في العالم، حجمنا الذي هو - مثل كل الأشياء المحدودة عندما تقاس على مقياس السمو - صغير بلا حد. (كان لايبنتز هو من أدخل مصطلح «متناهي الصغر». كان أفلاطون سيحب حساب التفاضل والتكامل.) هذه هي المقاييس القادرة على تغييرنا أخلاقيًا. بمجرد أن تتبدد عظمتنا - تبددها صدمة الغيرية والجمال في الواقع - يمكننا أن نحيا حياة ليست مجرد نسيج من الأكاذيب المهينة والأوهام المضحكة.

لا يريد الجميع هذه الحياة الأفضل كما يصفها أفلاطون. وربما من يريدها هم الوحيدون القادرون على تحقيقها. ولعل أفضل مقياس للقدرة على بلوغها هو الرغبة فيها. وهذا من شأنه أن يجعل القيود أكثر عدلًا بدرجة ما. لأنها مقيدة بالفعل. الفيلسوف الذي يحتاج تصوره لأفضل حياة كل هذا القدر من القوة الفكرية المطلقة ليس مساواتيًا. الاعتراف بأن لا أحد منا يستحق أكثر من غيره حياة تستحق أن تعاش لا يعني أن كل واحد منا لديه القدرة على تحقيق تلك الحياة. إنه يحمل فقط الالتزام بأن أولئك الذين حققوا تلك الحياة سيفعلون ما في وسعهم لمساعدة الآخرين على تحقيقها، بأفضل ما في وسعهم. بقدر ما رغب الديميرج في محاورة طيماوس في أن يصمم العالم المخلوق على صورة الأبدية، كان عليه أن يتصالح مع جموح الطبيعة المادية (e-48a47)؛ ومن يحققون آريت أفلاطون، بقدر ما يرغبون في مساعدة الآخرين على تحقيقها، عليهم أن يتصالحوا مع جموح الطبيعة البشرية.

كان أفلاطون ذا طبيعة جعلته يعتقد أن مفهوم آريت الذي وصل إليه، من طريق أجاثون، لن يؤدي إلى حياة الفضيلة فحسب، بل أيضًا حياة من المتعة النادرة. «يمكننا القول إذًا إن ملذات التعلم لا تختلط بالألم ولا تنتمي إلى الجموع، بل إلى قلة قليلة منهم فقط» (b52). إنها متعة غير مختلطة تحققت تحديدًا لأن المرء لم يكن يبحث عن متعته الخاصة مطلقًا، الشيء الذي لا يسع تلك «الجموع» إلا أن تفعله دون شك.

لا يمكن إنكار النزعة الأبوية.[351] إنها نزعة انغمس فيها البعض، متماهيًا منتصرًا مع «القلة القليلة». إحساسي أن أفلاطون لم ينغمس فيها على الإطلاق. أعتقد أن الأمر قد أحزنه وكان يود لو كان خلاف ذلك، لكنه مع ذلك كان يعتقد أن الأبوية ضرورية. كيف يمكن ألا تكون ضرورية عند رجل وصف حاسة البصر بأنها أكثر الإحساسات قيمة لدينا لأنها تتيح لنا معرفة الدورات الفلكية؟ «أبدع الله البصر وأعطانا إياه حتى نتمكن من مراقبة مدارات الذكاء في الكون وتطبيقها على مدارات فهمنا. فثمة قرابة بينهما، حتى وإن كانت مداراتنا مضطربة، في حين أن المدارات الكونية غير مضطربة. لذلك بمجرد معرفتنا لها والمشاركة في القدرة على إجراء حسابات صحيحة وفقًا للطبيعة، نستطيع أن نوازن المدارات المنحرفة داخل أنفسنا من خلال تقليد مدارات الإله الثابتة تمامًا» (طيماوس 47c–b).

لم يخفف أفلاطون بالضبط من مطلب أن نسعى جاهدين لنكون استثنائيين، أليس كذلك؟ لذلك آمل أن يعجبه بعض التقدم الذي حققناه بشكل جماعي. في النهاية، من بين المعتقدات التي أرى أنه يمكننا أن ننسبها إلى أفلاطون كان الإيمان بقدرة الفلسفة على الإقناع.

نسخ عديدة من أفلاطون

على مر العصور، كان هناك نسخ عديدة من الأفلاطون، ولا تزال.

كان هناك أفلاطون المتدينين، الذين وجدوا أنه من الضروري استبدال فكرته عن الخير، المبدأ المنظم الحالّ في الكون، بإله أسمى من الكون – وهو مفهوم توصلت إليه

(351) . قارن: "هؤلاء (الأشخاص ذوو الطبيعة الأفضل) لا يأتون بسهولة، ولكن عندما يولدون وتتم تربيتهم وتدريبهم بالطريقة الصحيحة، فمن المناسب تمامًا لمثل هؤلاء الأشخاص أن يكونوا قادرين على السيطرة على الأغلبية الأحط بإخضاعهم من خلال التفكير والعمل والقول بكل ما يتعلق بالآلهة بالطرق الصحيحة وفي الأوقات المناسبة، وليس النفاق في أداء التضحيات وطقوس التطهير للانتهاكات ضد الآلهة والبشر، بل بتكريم الفضيلة. في الواقع، تكريم الفضيلة هو أهم شيء للمدينة بأكملها. ونحن نعتقد أن هذه الشريحة من السكان هي بطبيعتها الأنسب للسلطة والأقدر على تعلم أنبل وأرق الدراسات، إذا علمهم أحد (ملحق القوانين 989d-c).

أولًا قبيلة صغيرة غامضة تعيش على الجانب المقابل للإغريق من البحر الأبيض المتوسط في أيام أفلاطون. كانت تلك القبيلة تفتقر إلى إحساس واضح بالحياة الآخرة. لكن أفكار أفلاطون في محاورة فيدون وجدت طريقها إلى توحيدهم الذي انتشر في العالم اليوناني، وخاصة على أيدي أتباع يسوع، أثبت الزواج بين التوحيد الإبراهيمي وأفلاطون فيدون قوته لجميع أبناء إبراهيم، اليهود والمسيحيين والمسلمين. أصبحت الآخرة بعد ذلك واحدة من أعز مكونات الديانات الإبراهيمية.

كان هناك أفلاطون الرياضيين، الذين يعدون عوالم البنى الرياضية اللانهائية أكثر واقعية بكثير من السبورات التي يكتبون عليها معادلاتهم، والذين يصفون أنفسهم بالأفلاطونيين تبعًا لذلك؛ وكان هناك أفلاطون الفيزيائيين وعلماء الكونيات، الذين يعودون إلى جاليليو، والذين وجدوا في جماليات أفلاطون الرياضية شكلًا من التفسير لإسقاط العلم الأرسطي الراسخ في ذلك الوقت، والذين لا يزالون مستعدين للسير خلف إحساسهم بالجمال الرياضي إلى أي مكان يقودهم، فيأخذوننا مسافات شاسعة بعيدًا عن مستوى الواقع الذي تكشفه لنا حواسنا، وربما وصولًا إلى الأكوان المتعددة.

كان هناك أفلاطون المنظرين السياسيين، المثير للجدل جدًا. قرأ بعضهم أفلاطون على أنه طوباوي، بينما يجادل آخرون بأنه كان معاديًا بشدة للطوباوية لدرجة أن تحليله للعدالة يجب أن يُقرأ في الواقع كدليل على أنه لا توجد عدالة ممكنة على الإطلاق، وأن المثالية السياسية هي في حد ذاتها سراب. ثم هناك بالطبع أبويته، التي يجادل البعض أنها كانت مجرد نتيجة لأثينا في عصره، والتي كان يحاول إصلاحها، والتي تبناها آخرون بكل إخلاص، مؤيدين عدالة «الأرستقراطية الطبيعية».

كان هناك أفلاطون الشعراء، المستعدين للتغاضي عن إهاناته العرضية لفنهم لأجل سمو لغته ورؤاه، وحبه للجمال وإيمانه بقدراته المخلّصة.

وبين الفلاسفة، كان هناك عدد كبير جدًا من نسخ أفلاطون يستعصي على

الإحصاء.

كل ما يمكنني فعله هو محاولة إعطائك نسختي. نسختي من أفلاطون هي عالم رياضيات شغوف وشاعر حذر وعالم أخلاقي صارم ومنظر سياسي متردد. وهو، فوق كل شيء، رجل يدرك تمامًا الطريقة التي تنزلق بها الافتراضات والتحيزات إلى وجهات نظرنا وتمر دون أن يلاحظها أحد، وقد ابتكر مجالًا مخصصًا لمحاولة كشف هذه الافتراضات والتحيزات والتخلص من أيها يتعارض مع الالتزامات التي يجب أن نقدمها من أجل جعل العالم وحياتنا متسقة إلى أقصى حد. ولأنه أنشأ هذا المجال، يمكننا أن نعود إلى أفلاطون ونرى أين قادته افتراضاته وانحيازاته في بعض الأحيان إلى الخطأ. وإذا لم نتمكن من ذلك، فإن المجال الذي أنشأه كان سيثبت أنه خيبة أمل هائلة له، وأن الإيمان الذي وضعه في منطق النقد الذاتي لا أساس له.

فوق كل شيء، أفلاطون هو الفيلسوف الذي يعلمنا أنه لا ينبغي لنا أبدًا أن نطمئن إلى أن وجهة نظرنا، مهما كانت مدعومة بالحجج والمنطق، تمثل الكلمة الأخيرة في أي مسألة. وهذا يشمل رأينا في أفلاطون.

ι (إيوتا)

أفلاطون في جهاز الرنين المغناطيسي

لكنّ صانعينا، وهم يفكرون فيما إذا كان ينبغي عليهم صنع جنس طويل العمر وهو الأسوأ، أو جنس أقصر عمرًا والذي كان أفضل، وتوصلوا إلى استنتاج مفاده أنه على كل أحد أن يفضل الحياة الأقصر والتي كانت أفضل، من الحياة الأطول. التي هي أسوأ. ولذلك غطوا الرأس بعظم رقيق، لكن ليس باللحم والأوتار... وهكذا وُضعت الحكمة والإحساس بالرأس أكثر من باقي الجسد، لكنه أيضًا في كل إنسان أضعف بكثير. (352)

– طيماوس.

الشخصيات:

الدكتور ديفيد شوكيت: شاغل كرسي يوجين ويونيس كوانت لعلم الأعصاب بجامعة أوليمبيا؛ وباحث بمعهد هوارد هيوز الطبي؛ وزميل الأكاديمية الوطنية للعلوم. زميل برنامج أبحاث علم الأعصاب.

أجاثا فاين: طالبة دراسات عليا في السنة الثالثة في تخصص العلوم الإدراكية في الجامعة. تعمل أجاثا مع الدكتور شوكيت لتعلم أدوات علم الأعصاب الإدراكي الحديث.

---

(352) . في محاورة طيماوس، حدد أفلاطون مكان عمليات التفكير في المخ. قال إن المخ نوع من النخاع، المرتبط بنخاع مغطى بالعظام يمتد في جميع أنحاء الجسم. ولأنه لم يعرف الأعصاب، فقد رأى أن هذا النخاع الضام هو وسيلة التواصل بين المخ وبقية الجسم. يتعارض المفهوم المادي للعقل الوارد في طيماوس مع الثنائية الواردة في فيدون، التي عُرف بها أفلاطون في العادة. اختلف معه تلميذه أرسطو وحدد مكان عمليات التفكير في القلب، فأوكل للرأس فقط مهمة تبريد الدم، الذي يصبح ساخنًا أثناء عملية التفكير. بنى أرسطو استنتاجه الخاطئ على الملاحظة. فقد لاحظ أن جميع الحيوانات لديها أحاسيس ومع ذلك الفقاريات ورأسيات الأرجل فقط لديها أدمغة، في حين أن جميع الحيوانات لديها قلوب أو أعضاء تشبه القلب. وأشار إلى أن المخ نسبيًا لا يحتوي على الدم، وإذا ما كُشف يمكن قطعه دون ألم، بينما القلب هو مصدر الدم ومليء بالإحساس.

يدخل شوكيت إلى غرفة اجتماعات بلا نوافذ. تجلس أجاثا إلى طاولة مستديرة صغيرة، تملأ بعض الأوراق. (353)

شوكيت: أجاثا! تبدين متألقة بوضوح اليوم.

أجاثا: شكرًا لك. المشارك في الفحص هو ذكر قوقازي، عالي التعليم، ولد في اليونان ولكنه يجيد اللغة الإنجليزية، يبلغ من العمر 2400 عام، ولا توجد علامات يمكن اكتشافها على الخرف.

شوكيت: هناك شيء مختلف. هل هذه سترة مختبر جديدة؟

أجاثا، وهي تنظر شاردة إلى أسفل: لا. لقد شرحت له المهام التي سنطلب منه أداءها أثناء الفحص. وقد فهمها بسرعة.

شوكيت: إذًا ليس واحدًا من الطلاب الجامعيين المعتادين الذين نراهم هنا. ناهيكِ عن المجرمين الأشرار ومدمني المخدرات والعينات الأخرى المحترمة من البشر.

يضحك شوكيت، وتبتسم أجاثا ابتسامة سطحية. ضحكة شوكيت عالية ومميزة، تذكرنا بنداء التزاوج عند فقمة الفيل.

بحثُ شوكيت الحالي هو في الاختلافات في مسار الدوبامين الوسطي الطرفي mesolimbic pathway المسؤول في الأفراد الذين يعانون من درجة عالية من الاندفاعية. وفرضيته الأولية في بحثه هي أن الأفراد المندفعين للغاية، مثل من ينتهي بهم الأمر كمدمنين ومجرمين، يُعرفون بنقص المستقبلات الذاتية في المخ الأوسط midbrain، والتي تحفز إفراز الدوبامين في مسارات المكافأة reward pathway عندما يتعرض المخ لمنبهات جديدة أو بارزة أو مثيرة للشهية. يتعرض الأفراد

(353) . سيلاحظ القارئ المنتبه أن ديفيد شوكيت يُشار إليه باسم عائلته، بينما يُشار إلى أجاثا فاين باسمها الأول. المقصود بهذا الاختلاف ألا يعكس فقط التفاوت في مكانة كل منهما، ولا سيما في مختبر شوكيت، ولكن أيضًا حقيقة أنني أحب تسمية أحدهما "شوكيت" والأخرى "أجاثا". آمل ألا يتهمني القارئ المنتبه بأية تحيزات جنسية.

المندفعين للغاية إلى الإغراق بالدوبامين، ما يعني أنهم يعانون من الرغبة المُلحة، بينما تظل قشرة الفص الجبهي prefrontal cortex، وهي مقر العمليات العقلية العليا، بما في ذلك ضبط النفس، في أقل درجات نشاطها.

شوكيت: هل قلت إن هذا الرجل عمره 2400 عام؟ يُصفر متأملًا. هل هو واعٍ بما يكفي حتى نستفيد من فحصه؟

أجاثا: إنه واعٍ جدًا. لقد أعطيته 5 من 5 في حدة الذهن.

شوكيت: سأتحدث معه لبعض الوقت قبل أن نضعه في المغناطيس،[354] فقط للتحقق مرة أخرى من أنه سليم عقليًا. لا أريد أن يأتي إلينا البلطجية القساة من لجنة العناصر البشرية ويدخلوا مختبري بالخطوة العسكرية ليغلقوه.

يضحك شوكيت بصوت عال، وتبتسم أجاثا ابتسامة سطحية.

أجاثا: لقد وقع المُشارك بالفعل على وثائق القبول.

شوكيت: هل كان يعرف علام يوقّع؟

أجاثا: سترى بنفسك. أراهن أن عقله أسلم من عقلي.

شوكيت: آه أوه. هل عليّ أن أقلق عليكِ؟

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا.

أجاثا: إنه أفلاطون، الفيلسوف الشهير، قرأته في الكلية. ولا بد أنك قرأته أنت أيضًا في وقت ما.

شوكيت: هل سيكون قادرًا على اتباع التعليمات؟

أجاثا: جهاز الكروم بوك ذاك ملكه. وقد بحث عن الموضوع وهو حريص على معرفة المزيد. وكما قلت، فهو فيلسوف مشهور.

---

(354)غالبًا ما يشير علماء الأعصاب، فيما بنيهم، إلى المعدات المستخدمة في التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (f MRI) باسم مرح وهو "المغناطيس".

شوكيت: تقصدين أنه لا يزال فيلسوفًا؟

أجاثا: على حد علمي. لا أعتقد أنه شيء يمكن لأي شخص التوقف عن أن يكونه.

شوكيت: مثل أن تكون يهوديًا!

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا.

شوكيت: لم أكن أعرف حتى أنه لا يزال هناك فلاسفة بيننا. هل يوظفونهم في الكلية هنا؟

أجاثا: بالطبع.

شوكيت يُصفّر متأملًا: عش تتعلم. هل يضعونهم في نفس المبنى مع المنجمين والخيميائيين؟

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا.

أجاثا: لدينا فلاسفة عقل في مركز العلوم الإدراكية. يتعاونون معنا.

شوكيت: وما الهدف؟

أجاثا: يمكنك أن تسأل أفلاطون.

شوكيت: صحيح. سأطلب من رجل يبلغ من العمر ألفي عام أن يخبرني بشيء لا أعرفه. الأمر أشبه بكوميديا ميل بروكس وكارل راينر القديمة. «هل كنت موجودًا عندما أعدوا الصليب ليسوع؟»، «نعم، كان صنعه أسهل بكثير من نجمة داود.»

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا.

شوكيت: أنت لا تعرفين حتى عن أي شيء أتحدث، أليس كذلك؟

أجاثا تهز رأسها.

شوكيت: أنتم الأطفال! ماذا تعرفون عن الفكاهة؟ كل ما يمكنني قوله هو أنه

من الجيد أنك اخترتِ مختبري. هذا يظهر رجاحة عقلك.

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا.

أجاثا: إنه يغير الآن ملابسه. كان يعلم أن هناك خطرًا من أن تسخن المعادن في الماسح، لذلك وصل مرتديًا شيتان.

شوكيت: ما هذا؟

أجاثا: نوع من التوجا.

شوكيت: نوع من التوجا؟ ما هذه مزحة؟ هل أنت من تلعبين دور الشخص غير الصائب سياسيًا الآن؟

أجاثا: كان اختيارًا منطقيًا. لا سحابات، أو كباسات، أو أزرار معدنية. لكني أخبرته أن تغيير الملابس إجراء قياسي، فقط في حالة وجود أي خيوط معدنية غير مرئية منسوجة في القماش.

شوكيت: وكنت على حق. لا نريد أي احتراق تلقائي للكائنات البشرية. لن يبدو جيدًا في تقارير مِنح مؤسسة العلوم الوطنية.

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا. ويدخل أفلاطون مرتديًا بذلة زرقاء. أجاثا، التي تتمثل مهمتها في التعامل مع عناصر الفحص، تتولى الزمام.

أجاثا، مبتسمةً: دكتور شوكيت، هذا أفلاطون!

شوكيت: نعم، أنا الدكتور شوكيت. اجلس رجاءً. شرحت لك أجاثا ما سنطلبه منك بينما نلتقط صور الرنين المغناطيسي الوظيفية لمخك، لكن إذا كانت لديك أي أسئلة أخرى، فلا تتردد في طرحها عليّ الآن.

أفلاطون: إنه لشرف كبير أن ألتقي بك، دكتور شوكيت، وأن يُسمح لي بمشاركة، ولو كانت صغيرة، في بحثك.

شوكيت: لكن أنت تدرك أنك مجرد عنصر اختبار بشري اليوم. لسنا زملاء! هذا

ليس مركز العلوم الإدراكية! يضحك.

أجاثا، على عجل: شكرًا جزيلًا على موافقتك على ارتداء البذلة. أدرك أنها ليست فخمة جدًا. لكنها مريحة، أليس كذلك؟

أفلاطون: مريحة جدًا بالفعل. ربما يمكنني شراء زوجٍ منها لنفسي؟

أجاثا: أوه، أعتقد أنه يمكننا السماح لك بالحصول على هذه كتذكار بسيط لزيارتك مختبر شوكيت. أليس كذلك يا دكتور شوكيت؟

شوكيت مبتسمًا: حسنًا، قد نضطر إلى خصمها من راتبك يا أجاثا. يضحك. نعم، بالطبع، البذلة ملكك.

أفلاطون: أنا ممتن.

أجاثا: إنه لشرف كبير أن تكون هنا. إنه أقل ما يمكننا فعله، أن ندعك تخرج بشيء ما - بصرف النظر عن القليل من المال الذي أخبرتك أنه يمكنك الفوز به - بناءً على كيفية قيامك بإحدى المهام التي سنطلب منك تنفيذها.

أفلاطون: المهمة التي عليّ أن أقرر فيها ما إذا كنت سأراهن بمبالغ صغيرة على أنماط متكررة مختلفة، والاستدلال من النتائج ما إذا كان الرهان على أنماط معينة يسمح لي بخسارة القليل من المال، أو ربح القليل من المال، أو خسارة الكثير من المال، أو ربح الكثير المال، أو أنه لا فرق.

أجاثا، مبتسمةً: بالضبط. آمل ألا تشعر أن أيًا من هذا أقل من قدرك. آمل أن تجده ممتعًا.

أفلاطون: أنا متأكد من أنني سأجده كذلك. كنت أرغب في إجراء مسح لمخي منذ أن عرفت لأول مرة عن العملية من الإنترنت. في الواقع، لا أعرف ما إذا كان هذا سؤالًا غير مناسب.

شوكيت: كما قلت، لا تتردد في طرح أي سؤال عليّ.

أفلاطون: كنت أتساءل إذا كان مسموحًا لي أن أرى صورة لمخي. هل هذا ممكن؟

شوكيت: لا، أخشى أنه لا. نحن لسنا أطباء، أنت تفهم ذلك. إذا كانت ثمة مشكلة في مخك، أو كنت قلقًا من وجودها، فنحن لسنا الأشخاص المناسبين لتستشيرهم. لا يعرف الكثير من الناس الفرق بين علماء الأعصاب، الذين هم نحن، وأطباء الأعصاب، وهم أطباء، وهم ما ليس نحن.

أفلاطون: فهمت. لقد كان طلبًا غير مناسب وأنا أعتذر.

شوكيت: إذا سمحنا للناس بالخروج بصور لأدمغتهم واتضح أن لديهم ورمًا أو تمددًا في الشرايين يعتقدون أنه كان علينا إخبارهم به، فلن يلبثوا حتى يعودوا إلينا بمحامييهم.

أجاثا، على عجل: ولكن فيما يتعلق بالتواجد داخل جهاز الفحص، فلا يوجد ما يدعو للقلق على الإطلاق. حتى أن بعض الناس يجدونه مريحًا. أنا منهم!

أفلاطون: هل تطوعت أنت بنفسك كموضوع للفحص؟

أجاثا: كثيرًا. وأنا أفهم تمامًا رغبتك في رؤية مخك. لا أعرف السبب تمامًا، لكنني أشعر بقليل من الإثارة كلما رأيت صورة لمخي. تخيل معي، هناك نخاعي المستطيل والمهاد والقنطرة. توجد لوزتي العصبية على طرف الحُصين حيث يجب أن تكون. يبدو تمامًا مثل أيّ مخ آخر، ومثل الرسومات الموجودة في الكتب. أعني، المفترض أن يكون كذلك! لكن بطريقة ما الأمر لا يشبه رؤية رئتيك أو زائدتك الدودية. إنه أمر ممتع على نحوٍ غريب.

أفلاطون، بهدوء: نعم، هكذا تخيلت أن يكون الأمر. مخُّ المرء يحدق في صورةٍ لمخه، ويفكر في الأفكار التي حفزتها رؤية صورة لمخه وهو يفكر في الأفكار التي لم يعد يفكر فيها الآن ولكنه يتذكرها.

يضحك شوكيت، وهو يحاول لفت انتباه أجاثا، بصوت أعلى من اللازم.

أجاثا: على أية حال، بالنظر إلى ما تشعر به، أعتقد أنك قد تشعر بالإثارة، نأمل

ذلك، بمعرفة أن عقلك يصور أثناء عمله. سنكون في الغرفة المجاورة مباشرةً، توجد نافذة تطل على غرفة التصوير، وعلى الرغم من أنك ستكون بعيدًا عن أنظارنا أثناء وجودك هناك، فستتمكن من التواصل معنا طوال الوقت من خلال نظام الاتصال الداخلي. وهناك زر إنذار للذعر تحسبًا لأي شيء قد يجعلك غير مرتاح. أدنى قدر من القلق أو الانزعاج، جسديًا أو غير ذلك، ما عليك سوى الضغط على الزر، وسنكون عندك في ثوانٍ. الشيء الوحيد الذي يشكو منه الناس أحيانًا هو الضوضاء العالية التي تشبه صوت المطرقة الهوائية، سنوفر لك سدادات أذن لتساعدك. لكن من المفيد أيضًا أن تتوقع هذه الضوضاء وتدرك أن الجهاز الغريب ليس على وشك الانهيار فوقك!

أفلاطون: هل يمكنني أن أسأل ما الذي يسبب الضوضاء؟

أجاثا: الدكتور شوكيت يستطيع الإجابة عن هذا السؤال أفضل مني.

شوكيت: الضوضاء ناتجة عن قوى لورنتز التي تعمل في الملفات المتدرجة وتنتج عن تغير اتجاه التيار بسرعة في المجال الساكن. هل تفهم؟

أفلاطون: ليس تمامًا.

شوكيت، مبتسمًا: سأبسط الكلام. سنُدخلك إلى آلةٍ هي في الأساس مغناطيس قوي جدًا. سيعطينا بيانات حول أي أجزاء مخك يصبح نشطًا أثناء قيامك بالمهام التي نطلب منك تنفيذها. ويفعل ذلك من خلال إظهار مكان الدم المؤكسج. عندما تنشط أجزاء مختلفة من مخك، فإنها تحتاج إلى الأكسجين، وهذا الأكسجين يحمله الهيموجلوبين. عندما يكون الهيموجلوبين خاليًا من الأكسجين، يمكن مغنطته، وعندما يكون غنيًا بالأكسجين لا يمكن ذلك، وذلك لأن الهيموجلوبين يحتوي على الحديد، وهو معدن. ذرات الهيدروجين في جزيئات الماء في دمك، والتي تصطف كلها في نفس الاتجاه في المجال المغناطيسي القوي، تتشوش بعد ذلك بنبضات راديو قوية. وعندما تتأرجح عائدة إلى اصطفافها، فإنها تصدر موجات كهرومغناطيسية صغيرة، تختلف اعتمادًا على ما إذا كان جزيء الماء بجوار جزيء هيموجلوبين

مؤكسج أو غير مؤكسج. يكتشف الجهاز تلك الموجات ويرسم صورة لمكان تركيز جزيئات الهيموجلوبين المؤكسج في المخ.

أفلاطون: إذًا من خلال تتبع التغيرات في الدم، يمكنك الحصول على صورة ديناميكية آنية للمخ أثناء عمله؟

شوكيت: هذا تقريبًا صحيح.

أفلاطون: فقط هي ليست آنية، لأن التغيرات في تدفق الدم أبطأ بكثير من التغيرات في نشاط المخ نفسه. لذلك عندما تنظر إلى الإشارة، فأنت تنظر إلى متوسط مستوى النشاط خلال أكثر من ثانيتين. ونظرًا لأن العمليات الإدراكية تحدث في حدود جزء من مائة من الثانية، فإن مدة ثانيتين هي قدر كبير من التشوش.

شوكيت مندهشًا بوضوح: يبدو أنك تفهم شيئًا من العلم.

أفلاطون: أحاول. علمكم يثير اهتمامي كثيرًا. الأوراق البحثية التي خرجت من هذا المختبر تمس المشاكل التي تهمني.

شوكيت: هل قرأت أوراقي؟

أفلاطون: قرأت أولًا «لوزتي العصبية جعلتني أفعلها: كيف يلغي علم الأعصاب فكرة الصواب والخطأ.» ثم قرأت «الدماغ فارغ: كيف يقضي علم الأعصاب على النفس.»

شوكيت: إنهما من أفضل ما كتبت.

أفلاطون: قرأتهما باهتمام كبير. لكن في كل ورقة، شعرت أن هناك شيئًا أساسيًا كنت أفتقده. لم أستطع أن أفهم كيف انتقلت من البيانات العلمية إلى الاستنتاجات الفلسفية التي توصلت إليها.

شوكيت: الكاتب يستطيع الكتابة فقط. لا يستطيع أن يجعل القارئ يفهم ما هو مكتوب.

أفلاطون: هذا صحيح جدًا. لقد تأملت طويلًا في الطريقة التي دائمًا ما تخذل بها الكتابة الكاتب والقارئ معًا. تبدو الكتابات وكأنها تمتلك ذكاءً، لكن إذا استنطقتها بنية تعلم شيء ما مما تقوله، فإنها تستمر في تكرار نفس الإجابة. كل حجة، بمجرد كتابتها، تصبح متاحة في كل مكان، يلوكها من يفهمونا ومن لا يستحقونها (فايدروس 275d).

شوكيت: من المضحك أن تقول ذلك. عندما جُمعت أوراقي ونُشرت في كتاب، جاؤوا بمعتوه لينتقدها في إحدى الصحف الكبرى. كان شخصًا لا علاقة له حتى بمجال كتابي. لم يفهم أي شيء كنت أقوله. لم يكن حتى عالمًا حقيقيًا.

أفلاطون: الكلمة المكتوبة لا تعرف إلى من تتحدث وإلى من لا تتحدث. عندما تُساء معاملتها وتُظلم، فإنها تحتاج دائمًا إلى والدها ليساعدها، لأنها غير قادرة على الدفاع عن نفسها بنفسها (المرجع نفسه).

شوكيت: أنت محق في ذلك أيضًا. ثم يُعتبر نوعًا من سوء الأدب إذا اعترض أحد المؤلفين عندما ينتقد كتبه شخص معتوه لا علاقة له حتى بقراءة كتابه. يُفترض أن يتقبل المؤلف الموضوع دون أن يفعل شيئًا، ويسمح للأبله بقول الكلمة الأخيرة.

أفلاطون: نعم، الكتابة تحتاج إلى والدها. ولهذا أتيت إليك، أيها الأب، لمساعدتي في فهم ما فاتني.

شوكيت: هذا كلام صادق. هكذا يجب أن تسير الأمور. أنت لست عالمًا لذا لا يمكنك فهم كل ما أقوله، لكنك تقر بخبرتي. إذا أدرك الناس خبرة الخبير، ستكون مشكلات العالم أقل بكثير.

أفلاطون: أوافقك.

أجاثا: لكن أفلاطون هو الخبير في الفلسفة. لذلك ربما تكون خبرته هي المهمة هنا؟

شوكيت: لكن البيانات التي قدمتُها كانت علمية وليست فلسفية. تعبير

«البيانات الفلسفية» هو تناقض لفظي مثل «المخابرات العسكرية» أو «طعام رحلات الطيران.» يضحك.

أجاثا: لكن تعبير «الاستنتاجات الفلسفية» ليس تناقضًا لفظيًا، والاستنتاجات التي توصلت إليها كانت فلسفية. واستدلالك مختلط: نصفه في الخبرة العلمية والنصف الآخر في الخبرة الفلسفية.

شوكيت، ضاحكًا: يبدو هذا كلامًا يعلمونك أن تقوليه في مركز العلوم الإدراكية. لست متأكدًا من أنني حتى أدرك معنى عبارة «الخبرة الفلسفية.» إنها ليست تحديدًا تناقضًا لفظيًا، كما هي عبارة «البيانات الفلسفية»، لكني ما زلت لا أفهمها.

أفلاطون: أنا أفهمها.

شوكيت: حسنًا، أفترض أنك ستدعي أنك تفهمها. وإلا كيف يمكنك أن تبرر نفسك؟

أفلاطون: هذا صحيح.

شوكيت: سأخبرك بالطريقة التي أرى بها الأمر، وبعد ذلك يمكنك أن تخبرني أين تختلف معي، بصفتك الخبير الفلسفي في هذه الغرفة. دافع الفلاسفة عن القلعة حتى وصول الفرسان وهم العلماء. وهذا شيء مفيد وربما بطولي، أي الاحتفاظ بالقلعة، لكن لا يحدث أي تقدم حتى يصل الفرسان. بمجرد وصول العلماء يبدأ العمل. لأنه قبل ذلك، ولنكن واقعيين، كان كل ذلك هراءً. آمل ألا تستاء من استخدامي لتلك الكلمة؟

أفلاطون: هراء؟ إنه مصطلح فلسفي مفيد. كان لي صديق كان سيحبه.

شوكيت: إنه مصطلح فلسفي مفيد لدرجة أنك قد تجعله مرادفًا للفلسفة، ما يوحي بتشبيه آخر. العلم يشبه محطة معالجة الصرف الصحي. يأخذ العلماء الهراء الفلسفي ويعيدون معالجته إلى معرفه.

أفلاطون: هذا التشبيه لا يقدم الفلاسفة في صورة رائعة مثل الصورة السابقة.

شوكيت: حسنًا، دعنا نواجه الأمر. أنتم الفلاسفة كانت لديكم السلطة في الكثير من الأسئلة، لأن أيًا من الإجابات لم تكن في مرمى البصر. لذلك إذا كان لدى شخص سؤال، كان يذهب إلى الفيلسوف في بلده. يسأله الناس: هل نملك أرواحًا، وإذا كان كيف تتفاعل مع أجسادنا؟ يسألونه ما مصدر الأخلاق، وكيف نعرف ما إذا كانت أخلاقنا هي الأخلاق الصحيحة؟ وماذا عن الجمال؟ هل هو في عين الناظر أم أنه شيء موجود بالفعل؟ وما المعاني؟ هل هي شيء موجود أيضًا، وكيف ترتبط بالكلمات؟ أوه، وبالمناسبة، هل يمكن أن تخبرنا ما إذا كان لحياتنا أي معنىً، وإذا كان كذلك، فكيف نجعل لحياتنا قدرًا من المعنى؟ أراهن أن الناس قد سألوك هذه الأسئلة.

أفلاطون: نعم سألوني.

شوكيت: وأراهن أنك عانيت في الإجابة عليهم.

أفلاطون: عانيت. وأعاني.

شوكيت: بالطبع عانيت. لم يكن أي شخص يملك البيانات العلمية التي يحتاجها للإجابة عن هذه الأسئلة. لا أحد كان يملك التكنولوجيا لاستخلاص البيانات. لذلك كان الخيار الافتراضي هو الذهاب إلى الشخص الذي يطلق الكلام كالعاصفة، والذي لا يحتاج إلى أي شيء يشبه الأدلة ولو من بعيد ليشق طريقه بالكلام إلى استنتاج يبدو جيدًا، حتى ولو كان الفيلسوف الذي يبعد عنه بضعة قرىً يطلق عاصفة من الكلام في دعم استنتاج مختلف تمامًا.

أفلاطون: والآن أنت امتلكت الدليل الذي سيضع حدًا لعواصف الكلام في الفلسفة.

شوكيت: حسنًا، لا، ليس بعد، ليس كل الأدلة على جميع الأسئلة، لكننا في طريقنا. نحن قريبون جدًا لدرجة أن وصولنا إلى هناك نتيجة مفروغ منها، طالما استمر عدد كافٍ من الأشخاص الأذكياء في دراسة علم الأعصاب واستمر التمويل. لكن الاتجاه واضح. يمكنك رؤيته يتشكل على مر القرون، ويصبح أسرع

في العقود القليلة الماضية، خاصة مع تقدم علوم المخ.

أفلاطون: إذًا، أنتم علماء المخ المسؤولون الأكبر عن إجباري على التقاعد المبكر.

شوكيت مبتسمًا: بالنظر إلى عمرك، بالكاد أسميه تقاعدًا مبكرًا. لن يدعوك أحد بالكسول إذا تركت العمل بعد 2400 عام. لكن إجابةً على سؤالك، لا يقتصر الأمر على علوم المخ فقط. الفيزياء وعلم الكونيات يقتربان من حل المشكلة القديمة المتمثلة في سبب وجود شيء بدلًا من لا شيء، السؤال الذي كنتم أنتم الفلاسفة، ناهيك عن علماء اللاهوت، تلوكونه لفترة طويلة. وبعد أن نفسر نحن علماء الأعصاب الوعي والإرادة الحرة والأخلاق، ما الذي بقي ليتأمله الفلاسفة؟

أفلاطون: ربما خداع الذات؟

شوكيت: نحن نسميه تخريفًا[355] confabulation، وقد بحثنا ذلك أيضًا. وعرفنا كيف يعمل التخريف منذ الستينيات، من التجارب على مرضى المخ المشقوق. كان مرضى الصرع يعالجون بجراحة تشق الجسم الجاسئ corpus callosum، وهو حزمة من الألياف العصبية التي تربط نصفي المخ الأيمن والأيسر. تمنع الجراحة العاصفة الكهربائية التي تسبب الصرع من التردد في جميع أنحاء المخ، وقد كانت ولا تزال الملاذ الأخير كعلاج. لكنها أثبتت أنها منجم ذهب لعلم الأعصاب. كنا نعلم بالفعل أن النصف المخي الأيسر يتحكم في الجانب الأيمن من الجسم، وأن النصف المخي الأيمن يتحكم في الجانب الأيسر، وكنا نعرف بالفعل أن النصف المخي الأيسر يتحكم في اللغة. ما علمتنا إياه عملية الشق هو أن ما يسمى بالجزء العقلاني من المخ الذي يتحكم في اللغة هو في الواقع خبير في التخريف - ويختلق قصصًا معقولة ولكنها خاطئة. عندما عُرضت على النصف المخي الأيمن صور لا يستطيع النصف المخي الأيسر رؤيتها ونتج عن رؤيتها سلوك معين، فإن الجانب الأيسر، على الرغم من أنه لا فكرة لديه عما أثار هذا السلوك، لا تعوزه أبدًا الكلمات في «تفسير» فِعل ما فَعل. اعرض على الجانب الأيمن صور فتاة سيئة وسيحاول الجانب الأيسر بكل

(355) التخريف في علم الأعصاب هو اختلاق ذكريات غير صحيحة أو مشوهة. (المترجم)

صدق تلفيق تفسير زائف لسلوك احمرار الوجه والضحك الناتج، مثل درجة حرارة غرفة الاختبار، وكيف أن إجراء الاختبارات يجعله متوترًا، وكم هو مضحك أنه يمكن للعلماء كسب لقمة العيش من إجراء الاختبارات على أمثاله، هذا هو التخريف. وهو ما يعد «تفسيرًا» في غياب البيانات.

أفلاطون: إذًا لا يمكنك فقط تفسير خداع الذات، بل يمكنك تفسير خداع الذات عند من يحاول تقديم تفسيرات غير علمية.

شوكيت: أصبت كبد الحقيقة. أراهن أنك تتمنى الآن أنك عرفتني قبل 2400 سنة. كان بإمكاني توفير الكثير من الجهد الضائع عليك.

أفلاطون: لم تكن لديك أي من علومك الرائعة في ذلك الوقت.

شوكيت: هذا صحيح. يجب أن تكون سعيدًا لأنك عشت لتراها.

أفلاطون: أنا سعيد. لكن حتى لو كان لديك هذا العلم في ذلك الوقت، لما استطعت أن تبعدني عن الحياة التي اخترتها، عن الأسئلة التي شكلتها. لم أكن سأرغب في أن أعيش حياتي بأي طريقة أخرى.

شوكيت: هذا لطيف، لكنني فحصت أدمغة المجرمين الذين سيقولون نفس الشيء بالضبط. إن اندفاع الدوبامين الذي يحدث لهم عندما يفكرون في بعض الاحتمالات الممتعة يعني أنهم لا يستطيعون حتى التفكير في عيش حياتهم بأي طريقة أخرى.

أفلاطون: أوه، يمكنني أن أؤكد لك أنني كنت دائمًا قادرًا على التفكير في عيش حياتي بطرق أخرى. عندما قلت إنني لم أكن أرغب في عيش حياة أخرى، لم أقصد أنني لا أستطيع تخيل حياة أخرى لنفسي، أو التفكير فيها بجدية. لقد كان قرارًا واعيًا ولم يكن على الإطلاق يشبه قرار الأدمغة التي يحركها الدوبامين التي تحدثت عنها للتو. يمكنني تبرير قراري، وعلى الرغم من أن أسبابي قد لا تقنعك باتخاذ قرار مماثل، إلا أنها يجب أن تسمح لك بفهم لماذا اخترت هذا الاختيار.

شوكيت: يبدو أنك تدعي نوعًا من الإرادة الحرة. آمل أنك لا تتذرع بفكرة الروح الغامضة غير المادية، روح الجسد[356]. اعتقدت أنه حتى الفلاسفة وصلتهم فكرة أن الروح قد فاضت روحها. يضحك.

أفلاطون، مبتسمًا: أنا أكثر من راغب - سواء بحرية أم لا - في الاعتراف بأن كل عمليات التفكير هي عمليات مخية. إن مخي هو الذي يمكنه بناء نموذج عقلي للمستقبل والتفكير في كيفية تغير الأشياء في هذا النموذج استجابةً لفعلي شيئًا ما مقابل فعل شيء آخر. ومخي هو الذي يتخذ قراره، بعد تحليل العواقب المحتملة للأفعال في نموذجي العقلي. سمها حرة أو غير حرة، لكن هذه العملية مختلفة تمامًا عن عمليات الدوبامين في المسار الوسطي الطرفي التي تتجاوز اتخاذ القرار.

أجاثا، إلى أفلاطون: الفكرة تشبه تمامًا صورة العجلة ذات الحصانين التي استخدمتها أنت لتمثيل النفس البشرية. لقد فكرت كثيرًا كيف أن أبحاث الدكتور شوكيت تثبت صحة تشبيهك. يشير علماء الأعصاب مجازًا إلى قشرة الفص الجبهي على أنها النظام التنفيذي للمخ، والتي تشبه ما أسميته قائد العجلة. أما مسار الدوبامين الوسطي الطرفي فيشبه الحصان الأصم ذي العين المحتقنة، والذي بالكاد يستجيب للسوط والمهماز. وعندما تصف كيف يجر «الحصان السيئ» صاحبه في اتجاه الغواية، وكيف يأخذ الشكيمة في فمه حتى يضطر سائق العربة إلى المقاومة بقوة، حسنًا، هذه المقاومة هي ما نحاول تصويره في عمليات فحص المخ هنا حيث نطلب من المشاركين تخيل سيناريوهات مختلفة وكيف سيكون رد فعلهم. ما وجدناه هو أن هناك بعض الأفراد الذين يسحبهم حصان الدوبامين بقوة لدرجة أن قائد العجلة في الفص الجبهي لا يجهد حتى نفسه بالمحاولة. يبدو الأمر كما لو أن السائق يترك الزمام ويدع الحصان السيئ يفعل ما يشاء. لكن هذا يصف شريحة واحدة فقط من المجتمع، ونحن نعرف أين نجدهم، غالبًا في السجون ذات الحراسة المشددة.

أفلاطون: هذا يثير التساؤل حول ما إذا كانت هذه العربات التي تخلى عنها القائد

(356) أو روح الآلة: هو تعبير صاغه رينيه ديكارت للتعبير عن ثنائية الروح غير المادية والجسد المادي.

يمكن أن تخضع للمساءلة الأخلاقية. أساس المساءلة الأخلاقية هو قدرات قائد العجلة. هناك القدرة على تصور المستقبل، والقدرة على تدبر النتائج المحتملة للأفعال، والقدرة على ربط القيم بالنتائج المختلفة، والقدرة على وضع الأحكام موضع التنفيذ. أولئك الذين تمنع تشوهات مخهم قائد عجلتهم من ممارسة قدراته أستطيع أن أفهم حجة إبراءهم من المسؤولية الأخلاقية. من المستحيل تمامًا أن يتمكنوا من التدبر في ظل تعطل فسيولوجيا الأعصاب عندهم. وبما أن الذات المتدبرة هي التي يمكن أن تُحاسب، فأنا أقول أنه يمكن محاسبة هؤلاء التعساء. يجب اعتبارهم مرضى وليسوا أشرارًا (طيماوس 86e–c). لكن لا يمكنني أن أفهم توسيع نطاق هذه التبرئة لتشمل من يحملون في رؤوسهم قائد عربة مؤثر، كما استنتجت في مقالتك «لوزتي العصبية جعلتني أفعلها» كانت هناك فجوة بين بياناتك واستنتاجاتك لم أتمكن من فهمها.

أجاثا: حتى أننا نعلم أين يحدث ذلك النوع من التفكير الذي تتحدث عنه. إنه يحدث في شبكة الوضع الافتراضي، والتي تضم أجزاءً من الفص الأمامي والفص الجداري، ونستخدمها لتصور المستقبل.

شوكيت: نعم، ونستخدم أيضًا شبكة الوضع الافتراضي لأشياء أخرى، مثل الخيالات وأحلام اليقظة، ألأشياء التي أشبه بما تصفه لي. أما القصة التي حكيتها للتو عن كيفية توصلنا إلى قراراتنا؟ لا تحدث الأمور بهذه الطريقة. هذا خيال أو حلم يقظة، عملية اتخاذ القرار الجميلة المتدبرة التي وصفتها. ربما تبدو لك الأمور بهذا الشكل عند الاستبطان[357]، لكنها مجرد جزء من قصة التخريف. لقد عرفنا منذ عقود أنه عند النقطة التي يبدو لك فيها أنك تتخذ قرارًا بشأن مسار معين للفعل، فإن الآلية العصبية التي أدت إلى ذلك الفعل كانت تعمل منذ فترة طويلة. إحساسك بالتفكير المطول في قراراتك ومن ثمّ العمل بناءً عليها هو خدعة معقدة تلعبها شبكاتك العصبية عليك، قصةٌ تخبرها لنفسك وللآخرين عن سبب فعلك لما فعلته

---

(357) تأمل الإنسان لأفكاره وشعوره.

في غياب أي وصول إلى الآلية السببية الحقيقية التي تعمل بين نقاط الاتصال العصبي لديك. قصة اتخاذ القرار التي ترويها تشبه تمامًا أصحاب عمليات شق المخ، يضحكون على الصور البذيئة ويتحدثون عن كيف يستحق العلماء الذي يدرسونهم أن يضحكوا عليهم.

أجاثا: هل تتحدث عن ليبت هنا عندما تقول إننا نعرف منذ عقود أن اتخاذ القرار يتم بعد الفعل؟

شوكيت: بالطبع.

أجاثا، متحدثةً إلى أفلاطون: هل أنت على دراية بأبحاث بنيامين ليبت؟

أفلاطون: لا، أخشى ذلك.

أجاثا: كان هذا في الثمانينيات. استخدم ليبت تخطيط كهربية المخ، أو EEG، لتسجيل نشاط المخ عند الأشخاص الذين طُلب منهم القيام ببعض الحركات التلقائية، مثل تحريك معصمهم متى شعروا بذلك. كانوا أيضًا يشاهدون مؤقتًا دقيقًا وقيل لهم أن يتذكروا الوقت الذي أصبحوا فيه على دراية بقرارهم أو نيتهم التحرك. وجد ليبت أن هناك تأخيرًا قدره 200 مللي ثانية، خُمس ثانية، في المتوسط، بين تجربة قرار التحرك والحركة نفسها. لكن كشف مخطط كهربية المخ (EEG) عن إشارة ظهرت في المخ في وقت مبكر حتى قبل ذلك - 550 مللي ثانية، في المتوسط، أكثر قليلًا من نصف ثانية - قبل الحركة. وأطلق على هذا اسم جهد الاستعداد، أو RP، وقال إنه في وقت حدوث جهد الاستعداد، تكون تروس المخ في مكانها ما يؤدي إلى القيام بالحركة، ما يعني أنه في الوقت الذي يبلّغ فيه الشخص عن اتخاذ القرار، يكون الفعل قيد التنفيذ، دون أن يعرف الشخص ذلك. ما ظن الشخص أنه كان يفعله في اتخاذه القرار كان بعد الفعل. لذلك، في الواقع، لا توجد عملية اتخاذ قرار مستقلة.

شوكيت: هذا صحيح. لقد فقد قائد عربتك السيطرة، والمغزى هو أن الاستبطان يأخذك إلى الخطأ، سواء كان ذلك الاستبطان استبطان المشاركين في تجربة ليبت عندما يلاحظون متى اتخذوا القرار أو استبطان الفيلسوف الذي يتكهن بكيفية اتخاذ الناس

للقرارات. الاستبطان هو تحريف في غياب البيانات حول العمليات السببية الفعلية.

أجاثا: لقد سمعت الكثير من الانتقادات لعمل ليبت في مركز العلوم الإدراكية. ليس الجميع هناك مقتنعين بأن نتائج التجربة، حتى لو كانت قوية، تظهر أن عملية اتخاذ القرار وهم.[358]

شوكيت: لا أريد أن أدوس على أصابع قدمِ أي أحد، لكن هل كان الفلاسفة هناك هم من عارضوا ليبت؟

أجاثا: حسنًا، نعم الفلاسفة، لكن ليس الفلاسفة فقط. إحدى النقاط التي سمعتها هي أن نتائج ليبت هي بالضبط ما يتوقعه المرء إذا كان العقل يتكون من نشاط عصبي. مهما كان ما نفعله، بما في ذلك التوصل إلى قرار، فلا بد أن تكون هناك عمليات عصبية كامنة وراء ما نقوم به. الشيء المتوقع هو تراكم العمليات العصبية التي تمثل اتخاذ القرار، وبالتالي تتوقع وجود بعض الإشارات العصبية مثل جهد الاستعداد قبل نصف ثانية من اتخاذ القرار. الشيء الذي سيمثل مفاجأة هو إذا كان الحدث العصبي المعقد الذي ينتهي باتخاذ قرار يخرج فجأة من العدم بطريقة ما، على الفور، مع عدم قيام المخ بأي شيء قبله. وهناك نقطة أخرى سمعتها وهي أن ليبت طلب من المشاركين الإبلاغ عندما يدركون قرارهم. لكن التوصل إلى قرار وإدراك القرار حدثان مختلفان، لذلك تتوقع فجوة زمنية بينهما، مما يضيف إلى الفاصل الزمني بين جهد الاستعداد والوقت الذي يبلغ فيه الشخص.

(358) . بعض أفضل التحليلات للمضامين الفلسفية لعلم الأعصاب جاءت من أدينا روسكيز، الفيلسوفة الحاصلة على درجة الدكتوراه في علم الأعصاب. انظر:

A. L. Roskies, "NeuroscientiJc Challenges to Free Will and Responsibility," Trends in Cognitive Sciences 10 (2006): 419–423.

هناك نتائج تجريبية أحدث استخلصت منها نتائج فلسفية، خاصة تلك التي جاءت من مختبر جون ديلان هينز، الذي استخدم التحليل المتقدم لبيانات التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي وادعى وجود فجوة تصل من 7 إلى 10 ثوانٍ بين النشاط العصبي التنبئي لفعل ما والوقت الذي يقول فيه الشخص إنه اتخذ قرارًا بشأن الفعل. هنا أيضًا، تم تحدّي المضامين الفلسفية، وكانت روسكيز الصوت الرائد. انظر:

"Neuroscience vs. Philosophy: Taking Aim at Free Will," Nature 477 (2011): 23–25.

شوكيت: أعتقد أن هذا النوع من تصيد الأخطاء لا يرى الصورة الأكبر، وهي أنه: لا توجد «نوايا» ولا «قرارات»، لأنه لا يوجد شيء مثل ذلك على مستوى ما يحدث بالفعل. عندما تصل إلى ذلك المستوى، فلا توجد حتى شخصية. هناك مخ، يتكون من مائة مليار خلية عصبية، متصلة بمئات التريليونات من نقاط الاتصال العصبي، وهذا المخ ليس لديه أية فكرة عما يحدث في تلك المئات من التريليونات من نقاط الاتصال العصبي. هذه الأشياء تحدث فقط، لأنها تخضع لقوانين الفيزياء. كل الأشياء التي يلفقها المخ ليخبر نفسه بما يحدث، من النوايا والقرارات والدوافع والميول والتفضيلات والصراعات، هي كلها خيالات أنشأها من أجل أن يفهم ما يجد أنه يفعله.

أجاثا: لكن هل تصدق ذلك حقًا؟

شوكيت: هذا ما يخبرني به العلم.

أجاثا: لكن ما قلته الآن لا ينصف كل ما تعرفه. أنت تعرف أكثر من ذلك بكثير.

شوكيت، إلى أفلاطون: هذه هي المرة الأولى التي أسمعها تقول فيها إنني أعرف أكثر مما أعتقد. إنها عادة تجادلني بأنني أعرف أقل.

يضحك شوكيت. يبتسم أفلاطون. تبتسم أجاثا.

أجاثا: حسنًا، أنت تعرف كيف تكون إنسانًا.

شوكيت: ماذا تقصدين، أنني أعرف كيف أكون إنسانًا؟ هل تقولين إنني رجل جيد - في هذه الحالة، أقبل الإطراء، وأقول، وأنا أعرف كيف أكون رجلًا جيدًا، شكرًا جزيلًا لك.

أجاثا: أقول إنك تعرف كيف تفعل كل الأشياء التي يجب على الإنسان القيام بها ليكون إنسانًا. أنت تعرف كيف تشعر بالفخر لبعض الأشياء التي قمت بها وتخجل من أشياء أخرى، أن تغيّر رأيك عنها قبل وبعد فعلها. أنت تعرف كيفية تقديم تفسيرات لما فعلته والدفاع عنها، وتعرف كيفية فهم التفسيرات والدفاعات التي

يقدمها الآخرون لما فعلوه. أنت تعرف كيف يكون لديك أهداف وكيفية تقييمها ووضعها موضع التنفيذ، وتعرف كيف تشعر بالرضا عندما تتحقق أهدافك وتشعر بالإحباط والاستياء والسخط عندما لا تتحقق، وتعرف كيف تلوم الآخرين على ما كان حقًا خطأك. أنت تعرف كيف تهتم بنفسك بطريقة تختلف عن الطريقة التي تهتم بها بأي شيء آخر لأنك تحمل سهمًا في الحياة التي تعرف أنها حياتك. هذا بعض ما أعنيه بقولي إنك تعرف كيف تعيش حياة يمكن تمييزها بأنها حياة إنسان، وإذا كانت الدلافين أو الأفيال أو المريخيون يعرفون كيف يفعلون ما تعرف كيفية فعله، فهم أشخاص أيضًا.

شوكيت، إلى أفلاطون: هل فهمت ما قالته؟

أفلاطون: نعم، أعتقد ذلك.

شوكيت: حسنًا، أنا لم أفهم.

أفلاطون: الخلاف بينكما يذكرني بحجة سمعتها منذ زمن طويل.

شوكيت: حسنًا، إذا كانت منذ زمن طويل، فلا أرى صلةً لها بما نتحدث عنه. نحن نتحدث عن حالة معرفتنا الآن، وليس منذ زمن طويل.

أفلاطون: نعم، نحن نتحدث دائمًا عن حالة معرفتنا الآن، في أي وقت نتحدث فيه، لكن ما زلت أعتقد أن هذه الحجة القديمة مناسبة. هل أستطيع أن أذكرها لك؟

أجاثا: أعتقد أنني أعرف الحجة التي تقصدها. هل كان سقراط أول من اقترحها، أم أنه أنت المتحدث دائمًا؟

أفلاطون: من يستطيع أن يتذكر، بعد كل تلك السنوات والعديد من الروايات؟ أنا أعرف فقط أنني أسمعها دائمًا بصوته، ذلك الذي كان يستخدمه عندما يكون مستعدًا للتوقف عن التهريج والتحدث بجدية هادئة. إلى شوكيت: كنت ستحبه. كان مازحًا يحب الضحك مثلك. لذلك كنا نتعجب عندما يتخلى عنه الضحك ويظهر أمامنا جادًا، كما أظن أنه ظهر في ذلك اليوم، عندما قضى ساعاته الأخيرة على

سريره في زنزانته، وأصدقاؤه المقربون مجتمعون حوله.

شوكيت: لماذا كان في السجن؟

أفلاطون: كان ذلك هو الموقف ذاته الذي استخدمه ليخرج بالحجة التي تدور في ذهني. لماذا كان في السجن؟ ماذا فعل لينهي حياته بهذه الطريقة ولماذا فعل ذلك؟ تخيل أن سقراط كان سيقول لك ما يلي، يا دكتور شوكيت، ردًا على سؤالك عن سبب وجوده في السجن:

«سبب وجودي هنا، يا دكتور شوكيت، جالسًا على سرير في زنزانة، وعلى وشك الموت، هو أن جسدي يتكون من عظام وأوتار، والعظام صلبة ومنفصلة عند المفاصل، لكن الأوتار قادرة على الانقباض والارتخاء وتمثل غلافًا للعظام بمساعدة اللحم والجلد، وهذا الأخير يضمهم جميعًا معًا، وبما أن العظام تتحرك بحرية عند مفاصلها، فإن الأوتار عن طريق الارتخاء والانقباض تمكنني من ثني أطرافي لذلك أصبحت في الوضع الذي تجدني فيه».

«هل تشعر أن ردي قد أنصف سؤالك، يا دكتور شوكيت، عندما لم أتطرق مطلقًا لذكر الأسباب الحقيقية، وهي أن أثينا اعتقدت أنه من الأفضل إدانتي، لذلك من جانبي فكرت في أنه من الأفضل لي الجلوس هنا، وأن الأصوب هو البقاء والخضوع لأية عقوبة تأمر بها. لأنني، بحقّ الكلب[359]، أتخيل أن هذه الأوتار والعظام كان بوسعها أن تذهب إلى ميجارا أو بيوتيا منذ فترة طويلة – يدفعها اقتناعي بالتصرف الأصوب! – إذا لم أكن أعتقد أنه كان من الأصوب والأشرف أن أخضع للعقوبة التي تأمر بها بلدي بدلًا من أن أفر وأهرب. لكن تسمية أشياء من هذا القبيل أسبابًا شيء سخيف للغاية. إذا قيل إنه بدون هذه العظام والأوتار وكل الأشياء الأخرى فلن أكون قادرًا على فعل ما أعتقد أنه صحيح، فسيكون ذلك صحيحًا. لكن القول إنني أفعل ما أفعل بسببها، وليس من خلال اختيار ما هو أفضل – على الرغم من أن أفعالي يتحكم فيها عقلي – سيكون شكلًا متساهلًا وغير دقيق للغاية

(359) كلب هاديس الذي يحرس بوابات العالم السفلي.

من التعبير. تخيل عدم القدرة على التميز بين سبب الشيء والشرط الذي بدونه لا يمكن أن يكون سببًا (فيدون 98b99-c).

أجاثا: هذا مذهل. هل قالها حقا بهذه الطريقة؟ هل كنت هناك؟

أفلاطون: لم أكن هناك. كنتُ مريضًا ولم أستطع الذهاب (المرجع نفسه 59b)

شوكيت: أنا آسف، لا بد أنه فاتني شيء ما هنا. كل هذه التلميحات الطنّانة لا أفهم عم تدور. لكن الأهم، أنا لا أفهم لماذا يُفترض أن أكون مندهشًا من حجة صديقك. صديقك على صواب تافه في أن الحديث عن العظام والمفاصل وانقباضات العضلات لا يجعل العقل - وأقصد المخ - يدخل في التفسير. على أقل تقدير، كان يجب عليه أن يضيف أن تفسير سبب عدم فراره كان لأن قشرة مخه الحركية لم تنشط البرامج الحركية التي تحرك عضلاته وعظامه وفق مسار ترشده الخرائط المعرفية في الحُصين.

أجاثا: هذا صحيح. لا يمكنك تفسير فعل ما إذا لم تستحضر العقل في التفسير.

أفلاطون: نعم، كانت هذه في الواقع فكرته، وهي أنه يجب على المرء أن يستحضر العقل لشرح تصرفاته. وكان يعتقد أن طريقة استحضار العقل في شرح تصرفاته هي الإشارة إلى الهدف «الأصوب والأشرف» الذي كان يعتقد أنه سيحققه من خلال عمله. لكن هذه كانت الطريقة القديمة للحديث عن العقل، قبل الاطلاع على علوم المخ، ويجب أن نستبدلها بحالة المعرفة لدينا الآن. إذًا ما أراد صديقي أن يقوله هو شيء على غرار ما يلي: السبب في أنني مستلقٍ هنا على سرير السجن هذا هو أن شبكة الوضع الافتراضي لدي، والتي تتفاعل مع الذكريات المخزنة في الحُصين والفص الصدغي الإنسي، تولد أنماطًا من النشاط تتوافق مع مختلف السيناريوهات المستقبلية، بما في ذلك الهروب والبقاء. يولد البقاء في السجن إشارة تعارُض في القشرة الحزامية الأمامية anterior cingulate cortex، لأن القشرة الحزامية الأمامية تتلقى أيضًا استجابة مسبقة من الدوائر الحوفية limbic في المخ الأوسط التي تجعل الكائن الحي يكافح للهروب من الحبس. ثم تنتقل الإشارة إلى قشرة الفص الجبهي

الظهريdorsolateral prefrontal cortex، والتي تشارك في معالجة المعلومات لحل التعارض. ترسل قشرة الفص الجبهي الظهري وتستقبل إشارات من قشرة الفص الجبهي البطني، والتي تحتوي على معلومات حول أهدافي طويلة المدى، وتتصل أيضًا بمناطق في التلم الصدغي العلوي الأيمن superior temporal sulcus الذي يسمح لي بمحاكاة تصرفات الآخرين. تتسبب المعلومات الموجودة في هذه الشبكة في قيام قشرة الفص الجبهي الظهري بحل التعارض عن طريق إرسال إشارات إلى المناطق ما قبل الحركية والحركية، مما يتسبب في أن تتركني عضلات جسدي في زنزانة السجن.

شوكيت: حسنًا، أنا الآن مندهش رسميًا. ماذا كنت تفعل، تحضر فصول المراجعة؟

أفلاطون: الدورات الضخمة المفتوحة على الإنترنت MOOCs.

شوكيت: تمام، لكني ما زلت لا أرى إلام ترمي حجة صديقك، حتى بعد تطعيمها بتفسير من علم الأعصاب.

أفلاطون: ألا ترى ما الذي لا يزال مفقودًا في تفسير تصرف صديقي؟ لا يمكننا أن نشرح سبب قيام صديقي بما فعله ما لم نفهم ما يعنيه هذا الفعل بالنسبة له وللآخرين، وكيف رآه وما هي القيمة التي حددها له وكيف رأى كيف سيراه الآخرون وما هي القيم التي حددوها له، سواء في أيامه أو ما بعدها، وهكذا جيئة وذهابًا في حلقات متصاعدة من القيم والمعاني.

أجاثا: الطريقة التي سيعبر بها الفلاسفة في مركز العلوم الإدراكية عن الفكرة هي أنه لا يمكنك تفسير تصرفه ما لم تنظر إليه في سياق القيمة والمعنى المتضمن فيهما سلوكه.

شوكيت: حسنًا. ليس لدي مشكلة في ذلك، طالما أنك تُبقي سياق المعاني والقيم هذا في النشاط القشري للعقول حيث ينتمي. لنفترض أن صديقك قرر إنقاذ حياته والهرب من السجن. فلا بد أن تكون أنماط قوة الاتصال العصبية في الشبكات

العصبية في أجزاء مختلفة من مخه مختلفة، لأن أي اختلاف في السلوك يجب أن يكون قد نشأ عن بعض الاختلافات في المخ.

أفلاطون: وهل ستتمكن من رؤية هذه الاختلافات من خلال التقنيات التي ستستخدمها قريبًا لتصوير عقلي؟

شوكيت: نراها من خلال التصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي؟ حسنًا، لا. ستكون هناك اختلافات على مستوى الدوائر الدقيقة، والتي من الواضح أننا لا نستطيع رؤيتها بالتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي الذي تبلغ دقته مليمتر واحد. في النهاية، هناك مائة ألف خلية عصبية وما يصل إلى مليار نقطة اتصال عصبي في كل ملليمتر مكعب من القشرة المخية. وحتى مع وجود أفضل التقنيات اليوم، لا يمكننا التسجيل من أكثر من بضع عشرات منها في وقت واحد. لكن هذه فقط حدود تقنيتنا. لا يحدث أي فرق بالنسبة للاختلافات العصبية التي كان يمكن أن تكون موجودة بالفعل لو اختار سقراط اختيارًا مختلفًا.

أجاثا، لأفلاطون: أليس هذا ما تسميه فرقًا بين علم الوجود ونظرية المعرفة؟ الفرق بين ما هو موجود مقابل كيف يمكننا معرفة ما هو موجود؟

أفلاطون: بلى، هو كذلك. لذلك دعونا نسد الفجوة بين علم الوجود ونظرية المعرفة من خلال تخيل تقنية جيدة بقدر ما نريد من التقنية. تخيل تقنية في المستقبل يمكنها تسجيل النشاط الفردي لجميع الخلايا العصبية في المخ التي يبلغ عددها مئات المليارات وفي وقت واحد. ولنفترض أيضًا أن مشروع الشبكة العصبية البشرية، الذي يوضح كيفية ارتباط جميع الأجزاء المختلفة من المخ خلية بخلية واتصالًا باتصال قد اكتمل. ولنفترض أنه يمكنك ربط نشاط الخلايا العصبية بمحاكاة حاسوبية ضخمة تمثل مخطط الاتصالات العصبية في المخ. يبدو هذا مذهلًا، لكنه ليس أقل إثارةً من التقنيات التي رأيتها تتطور على مدى 2400 عام. هل ستتمكن بعد ذلك من شرح سبب بقاء سقراط في السجن من خلال تقديم تفسير على مستوى نشاطه القشري؟

شوكيت: حسنًا، سيكون الاختلاف في أنماط النشاط العصبي معقدًا للغاية، إذ يتكون من مليارات الاختلافات الصغيرة في أوزان مواضع الاتصال العصبية، مما يؤدي إلى اختلافات في أنماط النشاط في مئات الملايين من الخلايا العصبية. سيكون الأمر معقدًا للغاية ليتتبعه أي أحد بعين عقله. لكن الاختلافات يجب أن تكون موجودة هناك في مكان ما - يمكننا تفعيل المحاكاة، وستخبرنا ما إذا كان سقراط قد قرر الفرار أو البقاء. لا توجد حقائق فوق ذلك، لذلك نعم، من حيث المبدأ، هذا هو المكان الذي سنجد فيه التفسير.

أفلاطون: ولكن كيف لنا أن نفسر سبب انتهاء المحاكاة الحاسوبية بالحالة التي بقي فيها سقراط بدلًا من الحالة التي فر فيها سقراط، إذا كان التفسير في كلتا الحالتين يتألف من الاستشهاد بمليارات الأرقام التي لا يمكن لأحد أن يفهمها؟ أين في تلك الكتلة من الأرقام يمكننا استخراج أي شيء يقترب مما كان صديقي قادرًا على قوله بكل بساطة وقبل سنوات عديدة، فجعل حجته مفهومة لمعاصريه وحتى الآن بالنسبة لكم أنتم من تعيشون حياةً مختلفة تمامًا، من خلال تقديم حقيقة نفسه كشخص، أي مخلوق مستعد ليقول شيئًا عندما يُسأل عن سبب تصرفه بالطريقة التي يتصرف بها، ويقدم أسبابه إلى مجتمع من الذين يعرفون كيفية تفسير ما يقوله، والذين قد لا يجدون أسبابه مقنعة لكنهم يعرفون على الأقل كيف يستجيبون عندما تقدم لهم أسباب، كيف يفكرون فيها ويقيمونها؟ وحتى لو تمكنا من وضع أيدينا - أو بالأحرى عقولنا، وهذا يعني أمخاخنا - على تلك الكتل من الأرقام، فهل يمكن أن تمتص كتل المعنى والأهمية، معايير التفكير والتصرف التي نُخضع لها أنفسنا من أجل أن نعيش حياة ليست متسقة مع أنفسنا فحسب، بل متسقة مع حيوات الآخرين - ومتسقين مع أنفسنا، في جزء كبير منها على الأقل، لأنها، أو لأننا نعرف كيف نجعلها متسقة مع الآخرين، كل هذا وأكثر يدخل في تكوين العالم المشترك الذي نعيش فيه، والذي بدونه لا توجد حياة يمكن القول إنها حياة. كان هذا هو ما أكدته أجاثا، والذي طلبتَ مني أن أشرحه لك.

شوكيت: لكننا عدنا إلى التخريف مرة أخرى. أنت تقول أننا نصبح متسقين مع

أنفسنا وتجاه بعضنا من خلال إخبار أنفسنا والآخرين قصصًا، حول ما فعلناه ولماذا فعلناه. ولكن كيف يختلف ذلك عن أصحاب عمليات المخ المشقوق الذين كانوا يضحكون؟ وإذا كانت هناك طريقة لرواية قصة ما، إذًا فهناك دائمًا الكثير من الروايات غيرها، ومن سيحدد أيها الصحيح، هذا يعني بالنسبة لي أنه ليس من بينها أية واحدة صحيحة. مثلًا صديقك. يروي أسباب وجوده في ذلك السجن، مستلقيًا هناك بدلًا من الفرار، وربما حتى هو يصدق قصته، لأنها بالتأكيد تخدم ذاته. ولكن ربما زوجته، هل كانت له زوجة؟

أفلاطون: نعم.

شوكيت: حسنًا، إذًا، ربما تقول زوجته إنه تصرف بالطريقة التي تصرّفَ بها لأنه كان مغرورًا للغاية فلم يستطع مواجهة التقدم في السن والعجز. ربما يقول بعض أعدائه السياسيين، هل كان له أعداء سياسيون؟

أفلاطون: نعم.

شوكيت: ربما يقول أعداؤه السياسيون إنه أراد أن يجعل من نفسه شهيدًا لخدمة أجندته السياسية. ربما يخبرنا طبيب نفساني أنه كانت لديه ميول انتحارية لكن لم تكن لديه الشجاعة لفعل ذلك بمفرده، لذا توصل إلى طريقة جعل فيها الدولة تقوم بذلك نيابة عنه. ربما يقول أحد علماء نظرية الألعاب أنه كان يلعب لعبة الدجاجة[360] مع الدولة، ويراهن على أنهم سيتراجعون ويطلقون سراحه وأنه سيعود بطلًا، لكنه خسر اللعبة. من الذي يحدد؟ ليس صديقك. لا يوجد سبب لإعطاء الأولوية لروايته، أليس كذلك؟ أنت أول من ذكر خداع الذات.

أفلاطون: نعم، فعلت.

شوكيت: هناك دائمًا طريقة لرواية القصة بشكل مختلف، وطرق لا نهاية لها يمكن أن تنتهي بها القصة. هناك درجات كثيرة جدًا من الحرية في الموضوع بحيث لا يمكن

(360) . من يتراجع أولًا يكون الخاسر الجبان أو الدجاجة. (المترجم)

تفسير أي شيء على الإطلاق بهذه الطريقة. أجرِ تجارب العلم، أعطني صورًا أفضل وأفضل للمخ، واسمح لي أن أرى المعلومات الفعلية الموجودة هناك. على الأقل، ليس هناك طرق لا حصر لها ينتهي بها الموضوع، حتى لو لم أتمكن من الحصول على قصة خيالية تبدأ بكان ياما كان من النوع الذي يبدو أن كلاكما يعتقد أنه وحده يوفر الاتساق للإنسان.

أفلاطون: أنت محق في أنه إن وُجِدت قصة واحدة، وُجِد المزيد، كل منها تنافس الأخريات كطرق لتوفير الاتساق. ولكن يبدو لي أن هذا أفضل من الخروج بدون أي اتساق بالمرة.

أجاثا: إنه اختيار بين الحيرة بين الكثير من التفسيرات وعدم الاتساق الناتج من عدم وجود تفسيرات على الإطلاق.

شوكيت إلى أجاثا: لا تقلقي. سنجد طريقة للحصول على الاتساق والحتمية. ما زلنا في الأيام الأولى. وكل ما يمثل الشخص موجود في مخه، فلماذا لا يمكننا في النهاية الحصول على كل شيء من خلال معرفة المخ؟

أفلاطون: ربما. ربما ستصل إلى كل من الحتمية والاتساق. وإذا فعلت، آمل أن أكون موجودًا لأرى ذلك.

شوكيت: حسنًا، سيكون ذلك هو الوقت المناسب لتتقاعد أخيرًا.

أفلاطون، مبتسمًا: دعنا ننتظر ونتأكد أنكم فعلتموها أولًا.

شوكيت: وحتى نفعل ذلك، ستظلون أنتم الفلاسفة تقولون أننا لم نفعلها بعد.

أجاثا: وسيبقون مسؤولين عن الاتساق الذي يحتاجه الجميع، بما في ذلك العلماء.

أفلاطون: هذا أملي، لأنني أعتقد أنه يعني أنه ستكون هناك دائمًا حاجة للفلاسفة.

يضحك شوكيت. يبتسم أفلاطون. تبتسم أجاثا.

أجاثا، إلى شوكيت: وإلى أن تصل إلى الاتساق، فمن السابق لأوانه أن تدور

في الأرجاء وتنفي وجود أشياء مثل الإنسان، وقصديته التي تأتي معه - تدبره وتأمله، قراره وشكه، تصرفه وندمه - لمجرد أنك لا تستطيع العثور على كل ذلك هناك بين الوصلات العصبية.

شوكيت: تدبره وتأمله، قراره وشكّه، تصرفه وندمه؟ وصلاتي العصبية لا تعرف مثل هذه الأشياء!

أجاثا: لكنك تعرف.

شوكيت: ربما أظن أنني أعرف.

أجاثا: وهل يمكنك أن تجد ظنك أنك تعرف هذا هناك بين الوصلات العصبية؟

شوكيت: يمكنني أن أجد أنماطًا ترتبط بالتخريف والعقلنة في القشرة الجبهية الحجاجية orbitofrontal والبطنية الإنسية ventromedial.

أجاثا: وماذا عن الذات التي تخرف وتعقلن؟

شوكيت: لا يوجد شيء من هذا القبيل.

أجاثا: إذًا يوجد تخريف لكن لا يوجد مخرف؟ توجد عقلنة لكن لا يوجد من يعقلن؟

شوكيت: لقد فهمتِ ما أقصد.

أجاثا: من الذي فهم؟ لا يوجد أحد هنا غيرنا نحن الوصلات العصبية!

شوكيت يضحك ويقول لأفلاطون: إن لك بالتأكيد تأثيرًا سلبيًا عليها. إنها معركة بيننا للفوز بروحها - وعندما أقول روح، فأنا أسارع إلى إضافة أنني أتحدث مجازيًا فقط! وهو ما نفعله جميعًا معظم الوقت، عندما نستحضر أشياء مثل فكرة النفس الرائعة، كل نفس نجمة في قصتها الخاصة. إنها طريقة لإخبار أنفسنا بقصص لا تعني أي شيء على الإطلاق على مستوى الخلايا العصبية، حيث نتحدث عما هو موجود - حيث نتحدث عن كل ما هو موجود.

أجاثا: قصص البطولة الذاتية التي لا يمكننا الاستغناء عنها، بشكل أو بآخر، وتحتفظ بأي مظهر من مظاهر الاتساق.

شوكيت: اسمعي، ستقودك طريقة التفكير هذه عدم الاتساق الكامل. أنت تفتحين الأبواب لما يعتقد الناس أنهم بحاجة إليه من أجل فهم كل شيء، وما ستحصلين عليه هو كل أنواع «المشيجوس».

أفلاطون: مشيجوس؟

شوكيت: تعني الجنون. يدعي الناس أنهم بحاجة إلى كل أنواع التشازراي[361] باسم الاتساق.

أفلاطون: تشازراي؟

شوكيت: أشياء تحب تناولها ولكن لا ينبغي عليك تناولها، يوجد صنف من الناس يحبون الفطائر الهشة الرقيقة مع حشوة الأعشاب الإلهية المرة، والتي بقيت فترة طويلة بعد انتهاء صلاحيتها، فتجد نفسك تتساءل كيف يمكنهم ابتلاعها. ثم هناك المجموعة الأخف وزنًا، النباتيون الروحيون، الذين يتناولون بسكويت مجالات الطاقة الكمومي، المقدم مع بعض شرائح هلاوس الهالة أو مسحة من الدهشة. ما الفرق عندما تتحدث عما يحتاجه الناس من أجل الاتساق؟ سيكون مهرجانًا ميتافيزيقيًا. وعند تأمل الأمر، هذا بالضبط هو الوضع الآن، على الأقل خارج جدران مختبر شوكيت.

أجاثا: لا أعتقد ذلك. هناك مختبرات أخرى في هذا الحرم الجامعي، وهي علمية بقدر مختبر شوكيت، على الرغم من أنهم يستخدمون مفاهيم نفسية لا يمكننا الاستفادة منها على المستوى الذي نبحثه.

شوكيت: كيف تكون علمية وهي تتحدث عن أشياء غير موجودة؟

أجاثا: إنك تتهرب من المشكلة عندما تقول إنها غير موجودة لمجرد أنها لا تمثل

(361) . ميشجوس وتشازراي كلمات بيدشية. (المترجم)

أهمية في مختبر شوكيت. هذه الأشياء علمية لأن لها قوانين عامة قابلة للاختبار. هذا هو المعيار العلمي، وليس ما إذا كانت قد بُحثت في مختبر شوكيت أم لا. تخيل لو أن الكيميائيين ساروا جميعًا في مظاهرة إلى قسم الجيولوجيا وطالبوا الجيولوجيين بالكف عن اكتشاف القوانين المتعلقة بالأنهار - لنقل مثلًا كيف تؤثر الأنهار على الضفاف الخارجية أكثر من الضفاف الداخلية - لأن الكيميائيين لا يرون أي شيء على الإطلاق يشبه الأنهار على مستوى جزيئات الماء، التي هي، يعلن الكيميائيون بصوت واحد، كل ما يمثله الماء، ولذا فإنهم ينكرون أي قوانين علمية مزعومة اكتشفها الجيولوجيون عن الأنهار. لا يمكننا التخلي عن الأنهار وكل ما نعرفه عنها دون أن نقلص رقعة الاتساق، ولا يمكننا التخلي عن صناعة المعنى وقصص بطولة الذات وكل ما نعرفه عنها دون أن نقلص رقعة الاتساق.

شوكيت: نعم، حسنًا، إن أقررت لك الآن بالنفس، يا أجاثا،فلن تلبثي أن تطالبيني بإقرار الإرادة حرة. وهذا ببساطة شيء لا يمكننا فعله. تتعارض الإرادة الحرة مع ما اكتشفناه في هذا المعمل.

أجاثا: سأتخلى بحرية عن الإرادة الحرة، على الأقل كما تُفهم عادة، وأستبدلها بالمسؤولية.

شوكيت يضحك: المسؤولية؟ ما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟

أجاثا: من المفترض أن يعني هذا. هذا بالضبط.

شوكيت: ماذا، ما هذا؟

أجاثا: هذا الذي نفعله. نقدم مبرراتنا لبعضنا، ونقيمها، ونقبلها أو نرفضها ونعيد النظر فيها وربما حتى نغير آراءنا. أن نكون مسؤولين يعني أن نكون مستعدين لتقديم مبررات للأشياء التي نقولها والأشياء التي نفعلها. أنا أظهر المسؤولية الآن من خلال إعطائك مبررًا للمساءلة. أنا على استعداد لتقديم السبب الذي يجعلنا نقدم الأسباب دائمًا. أنا على استعداد لتقديم سبب لضرورة تقديم الأسباب.

شوكيت يضحك: يبدو وكأنه نوع من تناقض المرجعية الذاتية هذا الذي تتلاعبين به هنا. يزداد قلقي عليك في كل دقيقة يا أجاثا. لقد جعلك التسكع مع أولئك الفلاسفة في مركز العلوم الإدراكية تميلين بشكل خطير للتناقض.

أجاثا: وبقولك ما قلته للتو، فأنت تقدم لي سببًا يفسر اعتقادك بأنه يمكننا المضي دون تقديم أسباب؟ أود أن أقول إن هذا تناقض أكبر!

شوكيت، يضحك ويهز رأسه، ويقول لأفلاطون: أنا أعدّك مسؤولًا عن هذا الوضع.

أفلاطون، مبتسمًا: أنا أقبل المسؤولية بكل سرور.

شوكيت: إنها لك. مهما يفترض بهذه المسؤولية الغامضة أن تكون، وأينما يُفترض بها أن تكون، فهي مسؤوليتك يا أفلاطون. وبما أنها ملكك، يجب أن أتمكن من رؤيتها هناك في عقلك. بالحديث عن ذلك، حان الوقت لبدأ هذا العرض. لذا، هل أنتِ مستعدة يا نورما ديزموند لجلسة التصوير؟

يضحك شوكيت. تبتسم أجاثا. يبتسم أفلاطون.

شوكيت: أنتما الاثنان لا فكرة لديكما عن أي شيء أتحدث، أليس كذلك؟

أجاثا وأفلاطون يهزان رأسيهما. شوكيت يتنهد تنهيدة مبالغة.

شوكيت: اسمك أفلاطون، أليس كذلك؟

أفلاطون: بلى، هو كذلك.

شوكيت: وأنت حريص على إلقاء نظرة على مخك هذا؟

أفلاطون: أنا حريص نعم. الأمر كما وصفته أجاثا. لا أستطيع أن أقول لماذا مخ المرء مهم للغاية لمجرد أنه مخه، لكنه كذلك. لا يمكن إنكار ذلك.

شوكيت: إذًا، قد تسأل أيضًا عن سبب أهمية نفسك لنفسك لمجرد أنها نفسك.

أفلاطون: هذا صحيح. قد يتساءل المرء عن كذلك.

شوكيت: وهذا يعني أنك تعتقد أن السؤال عن سبب أهمية نفسك هو أيضًا سؤال يستحق الطرح.

أفلاطون: أوه، إنه سؤال يستحق الطرح. أنا نفسي لم أتوقف عن سؤاله من البداية حتى هذه اللحظة.

شوكيت يبدو للحظة وكأنه سيضحك، لكنه لا يضحك، وهو في حيرة من أمره لا يعرف لماذا. ينتقلون إلى الغرفة التي يوجد بها جهاز فحص المخ، تضع أجاثا أفلاطون على طاولة الفحص. وتغطيته برفق ببطانية وتعطيه بعض تعليمات اللحظة الأخيرة. يرقد هناك بهدوء، سدادات الأذن في أذنيه وزر إنذار الذعر في يده.

أجاثا، بهدوء لشوكيت: ألا تعتقد أننا يجب أن نعطي أفلاطون ما طلبه منا؟ لقد انتظر زمنًا طويلًا.

شوكيت بهدوء: بالطبع نستطيع. طبعًا سنفعل.

وبذلك يدفعون بالفيلسوف إلى داخل المغناطيس.

الملحق أ

المصادر السقراطية

كتب أرسطو في كتابه فن الشعر عن نوع راسخ من الأدب السقراطي، المحاورات السقراطية Sōkratikoi logoi، وكلها كُتبت بعد وفاة سقراط في عام 399 قبل الميلاد. في جزء باقٍ من محاورته المفقودة، الشعراء، يقال إن أرسطو ذكر أليكسامينوس من تيوس أو ستيرا بصفته من بدأ هذا النوع، ولكن لم يبق شيء مما كتبه أليكسامينوس. لدينا أجزاء من أربعة كتاب سقراطيين آخرين: أنتيستنيس وإيسخينيس وفيدون وإقليدس. وهناك أدلة قولية على وجود كاتب سقراطي خامس، أريستيبوس. كان كل من فيدون وإقليدس وأريستيبوس من غير الأثينيين. وفي السنوات التي أعقبت وفاة سقراط مباشرة، ربما كان أنتيستنيس يعتبر أهم كتاب سقراط.

الكاتبان اللذان نجا أدبهما السقراطي سليمًا هما زينوفون، وأفلاطون بالطبع. غادر زينوفون أثينا عام 401 متجهًا إلى بلاد فارس لمساعدة قورش في إزاحة الملك العظيم أرتحششتا. كتابه الأناباسيس[362] يمثل روايته عن الخمسة عشر شهرًا التي قضاها في المغامرة. في نهاية تلك الفترة، وُضع تحت القيادة الإسبرطية - ما أدى إلى نفيه من أثينا. مساهماته في الأدب السقراطي هي الدفاع، والتذكارات، والاقتصاد، والندوة. يقدم دفاعه، مثل دفاع أفلاطون، سردًا لما قاله سقراط بالفعل في محاكمته، على الرغم من أن زينوفون كان بعيدًا عن أثينا في ذلك الوقت. تختلف روايته عن رواية

(362) . أو حملة العشرة آلاف فارس. (المترجم)

أفلاطون، وربما كان الاختلاف الأهم هو التأكيد على أن سقراط ربما أراد أن تُعدمه الدولة، لأنه لم يبق له سوى الشيخوخة وضعف قوته ينتظرانه. وسيفتقده الأثينيون أكثر إذا مات وقواه العقلية سليمة. (كان الأثينيون قد ابتكروا شراب الشوكران الذي لم يكن الموت به شنيعًا جدًا[363].) تضم التذكارات العديد من الحكايات عن سقراط، وتهدف إلى توضيح أن حياة سقراط تدحض بكل شكل ممكن التهمتين الموجهتين إليه وهما الإلحاد وإفساد الشباب. محاورة زينوفون، الندوة، من نوع مختلف تمامًا، مرحة للغاية وحتى شقية. تقدم سقراط في حفل عشاء، لكن بدلًا من الخطب الطويلة، هناك ردود ذكية وملاحظات بارعة. يصف كل ضيف أكثر ما يقدّره في نفسه، آريت الأعز عليه. كان رد سقراط هو أنه يقدر فن القوادة أكثر من غيره. كما يحاجج بأنه أجمل من الضيف الذي خص الجمال الجسدي بأنه آريت التي تميزه، لأن عيون سقراط بارزة للغاية فيمكنها رؤية المزيد وبالتالي هي أكثر جمالًا، كما تستطيع فتحات أنفه الأفطس الواسعة أن تستوعب المزيد من الروائح، والقبلات من شفاهه السميكة تصبح أنعم. الاقتصاد هي محاورة سقراطية حول إدارة الأسرة والزراعة، يظهر فيها سقراط، وهو يدعي الجهل في هذه الأمور، ويستشهد بما سمعه من

---

(363). الموت الذي وصفه أفلاطون في محاورة فيدون كان هادئًا وكريمًا، وظل عقله صافيًا حتى النهاية. ومع ذلك، فقد ادعى الكثيرون أن الشوكران كان سيؤدي إلى موت أكثر معاناة، يتميز بنوبات تشنجات عنيفة. إذًا هل كان حقًا شوكران؟ يذكر أفلاطون فقط to pharmakon، "العقار"، دون تحديد الشوكران، kôneion. أم أن أفلاطون حرف موت سقراط لأسباب درامية أو فلسفية كما ادعى البعض؟ هكذا يقول كريستوفر جيل في "موت سقراط"، كلاسيكال كوارترلي 23 (1973): 25-28؛ وويليام أوبر في "هل مات سقراط من تسمم الشوكران؟" مجلة ولاية نيويورك للطب 77، رقم 1 (فبراير 1977): 254-258؛ وبونيتا جريفز وآخرون، في "التسمم بالشوكران: نظرة علمية في القرن العشرين على موت سقراط،" في فلسفة سقراط، تحرير ك. ج. بودوريس، ص 156–168 (أثينا: المركز الدولي للفلسفة والثقافة اليونانية، 1991). تقوم إنيد بلوخ ببعض التحريات الرائعة في "تسمم الشوكران وموت سقراط: هل قال أفلاطون الحقيقة؟" في كتاب محاكمة وإعدام سقراط، تحرير توماس سي بريكهاوس ونيكولاس د. سميث (نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد، 2001). واستنتاجها: "في النهاية تمكنتُ من التوفيق التام بين وصف أفلاطون والفهم الطبي الحديث. عانى سقراط من اعتلال الأعصاب الطرفية، وهي حالة ناتجة عن التسمم تشبه متلازمة جيليان باريه، سببها ألكلويدات موجودة في Conium maculatum، وهو نبات الشوكران السام. أثبت أفلاطون أنه كان دقيقًا تمامًا في كل التفاصيل الإكلينيكية، بينما أخطأ جيل وأوبر وجريفز في تخيلهم موتًا عنيفًا لسقراط ".

إسخوماخوس. [364]

لسنوات عديدة، كان يُنظر إلى زينوفون على أنه أكثر موثوقية من أفلاطون فيما يتعلق بسقراط التاريخي، تحديدًا لأنه عُد ضحلًا، لا يملك عبقرية أفلاطون الإبداعية التي أعادت تشكيل شخصية سقراط وفقًا للمتطلبات الفلسفية والأدبية. على سبيل المثال، يقول برتراند راسل: «لنبدأ بزينوفون، وهو رجل عسكري، لم يُمنح من قدرات العقل الكثير.» (تاريخ الفلسفة الغربية ص 102). انتُقد هذا الموقف في الدراسات الحديثة. ومن يدافعون عن دقة زينوفون التاريخية أصبحوا يفعلون ذلك على أساس إسهاماته الجوهرية في التأريخ. يبدأ كتابه هللينيكا من حيث توقف تاريخ ثوقيديدس. تقول فيفيان جراي، «يرسم زينوفون صورة متسقة لسقراط ليست أكثر أو أقل في دقتها التاريخية من تلك التي رسمها غيره ممن كتبوا عن سقراط.» [365]

---

(364) . لميشيل فوكو فصل، "منزل إسخوماخوس"، يستخدم وصف زينوفون للطريقة التي يجري بها تدريب الزوجات والعبيد كنموذج لدراسة الأيديولوجية اليونانية القديمة للسلطة.

The History of Sexuality, volume II, The Use of Pleasure (New York: Vintage Books Edition, 1990), pp. 152–165.

(365))Vivienne Gray, *The Framing of Socrates: The Literary Interpretation of Xenophon's Memorabilia* (Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 1998).

الملحق ب

خطبتا بريكليس من كتاب ثوقيديدس

تاريخ الحرب البيلوبونيسية

وُلِد ثوقيديدس في أثينا وكان في وقت من الأوقات جنرالًا مهمًا في الحرب البيلوبونيسية. لكن بعد فشل الحملة العسكرية التي شارك فيها، نُفي، وكرس نفسه بعد ذلك لتسجيل أحداث الحرب الطويلة بموضوعية فرضها على نفسه. كان يتحدث دائمًا عن الأثينيين بصيغة الغائب.

لا يزال موقف ثوقيديدس تجاه بريكليس محل خلاف. ليس هناك شك في أن ثوقيديدس أعجب بذكاء بريكليس ومهاراته السياسية. لكن هل اعتقد أن أهداف بريكليس الإمبريالية كانت ستؤدي حتمًا إلى سقوط أثينا؟ أم كان رأيه أنه لو لم يمت بريكليس قبل الأوان، لكان قاد أثينا إلى النصر؟ هل أيد ثوقيديدس بريكليس أو لم يؤيده؟ لا يزال الأكاديميون مختلفين. [366]

في الكتاب الثاني، هناك خطبتان هامتان لبريكليس. سلطتا معًا الضوء على كيف حولت أثينا الكلاسيكية روح هوميروس إلى أيديولوجية الاستثنائية الأثينية.

---

(366) . في كتاب ثوقيديدس وبريكليس وإمبريالية بريكليس (كامبريدج: مطبعة جامعة كامبريدج، 2010)، تنحاز إديث فوستر إلى جانب عدم التأييد. إذ تقول نص ثوقيديدس يحيط خطب بريكليس بسرد للأحداث التي تشير إلى الهلاك القادم مع إمبرياليته. روايته في الكتاب الثاني تقوض "النظرة المثالية والمراوغة في نفس الوقت للسلطة الإمبريالية الأثينية التي صورها بريكليس في خطبه". (ص 183)

الخطبة الأولى هي خطبة التأبين الشهيرة التي ألقاها بريكليس بعد السنة الأولى من الحرب التي ستمتد لسبعة وعشرين عامًا. كان ذلك في إحياء ذكرى قتلى الحرب، احتفال مليئ بالأبهة والبذخ، أقيم على النفقة العامة، «كما كانت عادة أسلافهم». يبدأ بريكليس بالإشارة إلى حقيقة مزعومة عن أثينا ذكرها هيرودوت أيضًا في سياق الاعتراف بالاستثنائية الأثينية. أنهم وحدهم، من بين جميع المدن، اشتهروا بأنهم أصليون: «لأنهم عاشوا دائمًا في هذه الأرض، وسلموها دائمًا حرة بفضل شجاعتهم إلى الأجيال المتعاقبة حتى الآن.» في الجزء الأكبر من الخطبة، يمجد بريكليس التفوق الأثيني، مؤكدًا أنه تفوق تشاركي لكل مواطنيها نصيب فيه. شخصية الأثيني ذاتها، سماته النفسية وميوله، هي في جوهرها متفوقة – حر وفي نفس الوقت ملتزم بالقانون، ومنفتح الذهن، وكريم، ومنتج، وأنيق، ومتسامح، ومبتكر، ورجل، ومسؤول، ومكتفٍ ذاتيًا، وشجاع، متمدن العقلية وصادق وجريء ومنصف وفريد. متواضع أيضًا. هذه السمات الشخصية مستمدة من البوليس التي حالف الأثينيين الحظ أنهم ولدوا بها. إن تفوق البوليس هو نتيجة للتفوق الفطري في مواطنيها، لكنه أيضًا يعزز استثنائيتهم، خاصة وأن شكل الحكومة يتطلب منهم المشاركة بنشاط في حياة البوليس. لذلك، فأثينا، أكثر من أي دولة أخرى، هي انعكاس حقيقي لصفات مواطنيها، ويمكنهم أن يدّعوا استثنائيتها لأنفسهم.

لكن قبل أن أنتقل إلى تمجيد الموتى، سأتحدث عن المبادئ التي أوصلتنا إلى هذه النقطة، شكل الحكومة وطريقة الحياة التي جعلت مدينتنا عظيمة. أعتقد أن هذه الموضوعات مناسبة تمامًا لهذا الاحتفال، وسيستفيد الجمع بأكمله من المواطنين والضيوف من سماع مناقشتها.

لدينا شكل من أشكال الحكم لا يحاول تقليد قوانين الدول المجاورة. نحن قدوة للآخرين أكثر مما هم لنا. يعرف هذا الشكل بالديمقراطية، لأنه لا يديرها القلة من الناس، بل الأغلبية. لكن، وعلى الرغم من أننا هنا نضمن المساواة للجميع أمام القانون في النزاعات الخاصة، فإننا لا نسمح لنظامنا الخاص بتناوب المناصب العامة بتقويض حكمنا على فضيلة المرشح؛ ولا أحد يمنعه فقره أو أنه غير معروف طالما أنه سيخدم مدينته بما يفيدها. نحن أحرار وكرماء ليس فقط في أنشطتنا العامة كمواطنين، ولكن أيضًا في حياتنا اليومية: لا نعرف الشك في تعاملاتنا فيما بيننا، ولا نغضب من جارنا إن فعل ما يحب. نحن لا ننظر لأي أحد نظرات النقد التي – على

الرغم من أنها ليست عقوبة - إلا إنها مؤلمة. نحن نعيش سويًا دون أن نستاء من الحرية في الأمور الخاصة؛ أما فيما يتعلق بالشؤون العامة، فنحن نحترم القانون جدًا ونخشى انتهاكه، لأننا مطيعون لمن يشغل المنصب في أي وقت، وكذلك للقانون - خاصة القوانين التي وُضعت لمساعدة المظلومين والقوانين غير المكتوبة التي تجلب العار على مخالفيها بموافقة الجميع.

فوق ذلك، لدينا العديد من الوسائل لمنح أذهاننا الراحة بعد العمل: فأنشأنا مسابقات وتضحيات منتظمة على مدار العام، بينما تمنحنا منازلنا وأثاثها بهجة يومية وتطرد الحزن. لقد كانت عظمة مدينتنا سببًا في جعل كل الخيرات من جميع أنحاء الأرض تصب إلينا هنا، حتى نتمتع بما تنتجه الأمم الأخرى مثلما نتمتع بما ننتجه هنا.

ثم نحن نختلف أيضًا عن أعدائنا في الاستعداد للحرب: نترك مدينتنا مفتوحة للجميع؛ ولم نطرد أبدًا غريبًا من أجل منعه من تعلم أو رؤية الأشياء التي، إذا انكشف سرها، قد تعطي ميزة للعدو. نحن لا نعتمد على الاستعدادات السرية والخداع بقدر ما نعتمد على شجاعتنا في القتال. أما عن التدريب، فيتدرب أعداؤنا على أن يكونوا رجالًا منذ صباهم بتمارين صارمة، بينما نعيش حياة أكثر استرخاءً وما زلنا قادرين على مواجهة الخطر مثلما يواجهون...

نحن عشاق النبل بلا حد وعشاق الحكمة بلا ضعف.[367] نحن نستخدم الثروة وسيلةً، لا لنزهو بها. وأما الفقر فلا نرى عيبًا في الاعتراف به. الخزي هو عدم فعل شيء للهروب منه. وفوق ذلك، الرجال الذين يعتنون بالشؤون العامة يعتنون بشؤونهم في ذات الوقت؛ وحتى الذين يكرسون أنفسهم لأعمالهم الخاصة يعرفون ما يكفي عن شؤون المدينة. لأننا وحدنا نعتقد أن الرجل الذي لا يشارك في الشؤون العامة لا يصلح لشيء، بينما يقول الآخرون فقط إنه «يهتم بشؤونه الخاصة». نحن من نضع السياسة، أو على الأقل نقرر ما يجب القيام به؛ لأننا نؤمن أن ما يفسد الفعل ليس النقاش، بل الإقبال على الفعل دون أن تسبقه المعرفة التي يأتي بها

---

(367) . يضيف بول وودروف، الذي أستخدم ترجمته هنا، هذه الحاشية المفيدة: "نحن عشاق النبل بلا حد وعشاق الحكمة بلا ضعف" (philokaloumen te gar met′ euteleias kai philsophoumen aneu malakias) الجملة الأكثر شهرة لثوقيديدس. ومثل العديد من جمل ثوقيديدس التي لا تنسى، فهي تقبل مجموعة متنوعة من التفسيرات. وقد ترجمت kalon هنا بالنبل، أي نبل الشخصية، ولكن يجب تحذير القارئ من أنها قد تعني الجمال أيضًا. قد تعني كلمة Met′ eutelaia "بدون إنفاق مبالغ فيه"، لكنها تبدو ترجمة غير مناسبة. إذا كان بريكليس يعني أن أثينا ليست مسرفة، فإن ادعاءه غير معقول في ضوء برنامجه لبناء الصروح العظيمة. كلمة philosophoumen تترجم إلى "عشاق الحكمة"، التي تشترك في الأصل مع يتفلسف philosophize لكن لها معنىً أوسع بكثير". ثوقيديدس: في العدالة، والسلطة، والطبيعة البشرية، ص. 42، س. 103. وتذكر، أيضًا، أنه حينما كتب وودروف "الفضيلة"، فإن الكلمة المترجمة هي "آريت".

النقاش. وفي هذا أيضًا نتفوق على الآخرين: شجاعتنا هي شجاعة قوم يفكرون مليًا فيما هم مقبلون عليه ويناقشونه باستفاضة؛ والحال مع الرجال الآخرين هي أن الجهل يجعلهم شجعان والتفكير يجعلهم جبناء. لكن من يستحقون أن يوصفوا بصلابة العقل هم الذين يعرفون بالضبط ما ينتظرهم من ألم أو لذة، ثم لا يجفلون عن ركوب الخطر بعد هذه المعرفة. ومرة أخرى، نحن نختلف عن معظم الرجال في أمور الفضيلة: فنحن نكسب أصدقائنا بالإحسان إليهم، وليس بقبول الإحسان منهم. الذي يفعل الخير صديق أوفى؛ فحسن نيته تجاه المتلقي يحفظ شعوره بأن عليه فعل المزيد؛ أما صداقة الذي عليه أن يرد المعروف مملة وفاسدة، لأنه يعلم أنه يؤدي دينًا فقط - بدلًا من تقديم الإحسان - عندما يظهر فضيلته في المقابل. ونحن وحدنا نحسن للآخرين ليس بعد حساب مصلحتنا، لكن دون خوفٍ وثقةً في حريتنا.

باختصار، أقول إن أثينا هي مدرسة اليونان، وأن كل واحد منا يقدم نفسه كفرد مكتفٍ ذاتيًا، مستعد لتكييف نفسه مع أكثر أشكال العمل تنوعًا وبأقصى قدر من البراعة والامتياز. ليس هذا مجرد تفاخر بالكلمات في هذه المناسبة، بل الحقيقة والواقع، كما تشهد قوة هذه المدينة، التي حزناها بفضل هذه الشخصية.

أثينا هي القوة الوحيدة الآن التي تفوق قوتها شهرتها في ساعة المحنة. فقط أثينا، هي التي لا يسخط أعداؤها أبدًا من نوعية الذين يهزمونهم عندما يغزونهم؛ فقط في إمبراطوريتنا لا يمكن للدول الخاضعة أن تشكو أبدًا من أننا الذين نحكمهم لسنا أهلًا لحكمهم. نحن نثبت قوتنا بأدلة دامغة، ولسنا دون شهود: سنكون أعجوبة هذا الزمن والأزمان التالية. لسنا بحاجة إلى هوميروس، أو أي أحد آخر، ليمدح قوتنا بكلمات تجلب البهجة للحظة، ثم لا يصمد كلامه أمام ضوء الحقيقة. لأننا أخضعنا كل البحار وكل الأراضي لكي نفتح طريقًا لبسالتنا؛ وأقمنا صروحًا أبدية من جميع الأرجاء، لنكساتنا وكذلك لإنجازاتنا.

هذه هي المدينة التي حارب هؤلاء الرجال ببسالة وماتوا من أجلها، إيمانًا راسخًا منهم بأنه لا ينبغي لها أبدًا أن تسقط، والتي لأجلها يجب أن يكون كل رجل منا نحن الأحياء على استعداد لتحمل الصعاب.

لهذا السبب تحدثت بإسهاب عن المدينة بشكل عام، لأظهر لكم أننا نطمح إلى أهداف أعلى لا يستطيعها العدو - لأن مدينتهم ليست مثل مدينتنا بأي شكل من الأشكال - ولأثبت بالدليل البين فضل هؤلاء الرجال الذين أحيي ذكراهم الآن. وفيما قلته عن المدينة أسمى مدح لهم، لأن فضائلهم، وفضائل الرجال أمثالهم، هي التي أنتجت كل جميل أشدت به في المدينة.

ليس في اليونانيين كثير ممن تضارع أفعالهم سمعتهم، لكن هؤلاء الرجال كانوا كذلك. وهذه النهاية التي لقيها هؤلاء الرجال هي إما أنها الإشارة الأولى أو الدليل النهائي على حياة من الفضيلة. لأنه حتى الذين كانوا أقل شأنًا في نواحٍ أخرى يستحقون أن تتوارى أخطائهم بسبب موتهم الشجاع في الحرب من أجل وطنهم. لقد قضت أفعالهم الصالحة على ذكرى أي خطأ ارتكبوه. وقد نفعوا البلاد أكثر مما ضروها. لم يجبن أي منهم لأنه أراد أن يتمتع بالثروة التي كان يملكها؛ لم يتهرب أي منهم من يوم موته الرهيب على أمل أن يتغلب على فقره ويحقق الثروة. كان توقهم إلى معاقبة أعدائهم أقوى من كل ذلك، ولأنهم آمنوا أن هذا هو أنبل أنواع الموت، فقد اختاروا معاقبة أعدائهم رغم هذا الخطر، وترك كل شيء آخر يمضي. عدم اليقين في النجاح كانوا يعهدون به إلى الأمل، أما في الموت الذي كان أمام أعينهم فقد قرروا الاعتماد على أنفسهم. كانوا يؤمنون أن هذا الخيار يستلزم المقاومة والمعاناة وليس الاستسلام والأمان. فروا من كلمة العار أما في المعركة فوقفوا ثابتين وبذلوا حياتهم. وهكذا، في لحظة، في ذروة نصيبهم يرحلون، نصيبهم من المجد وليس الخوف.(368)

خطاب بريكليس الثاني يلقيه في ظروف أكثر كآبة. لقد دخلنا الآن السنة الثانية من الحرب، والمدينة المكتظة يدمرها الطاعون.

ماذا كان ذلك المرض بالتحديد؟ هل كان الطاعون الدبلي أم حمى الإيبولا النزفية أم الرعام أم التيفوس؟ اقتُرِح كل ذلك، لكن التحليل الأخير الذي أجري على كسَر الأسنان الموجودة في المقبرة الجماعية المكتشفة في قطاع كيراميكوس من أثينا وجد آثارًا لبكتيريا السالمونيلا Salmonella enterica serovar Typhi، أو حمى التيفود.

وصف ثوقيديدس، الذي كان أحد القلائل الذين أصيبوا بالمرض وتعافوا، وصف بتفاصيل بشعة ليس فقط الأعراض مبرحة الألم - البثور وشعور الاحتراق من الداخل والظمأ الذي لا يُطفأ الذي جعل المعذبين يستلقون في قنوات المطر، وبعضهم يموتون فيها وهم يحاولون إرواء أنفسهم - لكن أيضًا مشاهد الملعونين التي تبدو كما لو أنها جاءت من خيال صانع أفلام سادي دنيء. «تفاقمت المحنة الحالية بسبب احتشاد سكان الريف في المدينة، الأمر الذي كان أبشع على من دخلوا.

(368) . وودروف، ثوقيديدس الكتاب الثاني، ص 36-42. لم أقتبس خطبة التأبين بأكملها كما قدمها ثوقيديدس، والتي تشغل الصفحات 35-46.

لم يكن لديهم منازل، ولأنهم كانوا يعيشون في ملاجئ خانقة في الصيف، كانت وفياتهم خارج السيطرة. الموتى والمحتضرون يرقدون فوق بعضهم في الشوارع، وعند كل نافورة مياه كان الرجال ملقين نصف ميتين من العطش. وكانت المعابد حيث نصبوا خيامهم مليئة بأجساد الذين ماتوا فيها، لأن الناس أصبحوا مهملين تجاه المقدس والدنس على حد سواء، لأن بطش المصيبة قد أرهقهم ولم يعودوا يعرفون ماذا يفعلون.[369] » تغلبت الفوضى والانحرافات على الناس وهم محاصرون داخل أسوار المدينة دون مفر من العدوى المستعرة. لذلك كانت الحال هي أن الأثينيين، الذين بدا أنهم يعيشون حياة مثالية تستحق أن تعاش إلى درجة جعلتهم غير محتاجين لأمثال هوميروس حتى يتغنوا بمدحهم، صاروا في غضون بضع سنوات قليلة، إلى مثل هذه الشدة البائسة. هذا التبدل السريع في الحال يشبه دراما يونانية تعرض التداعيات المميتة للغطرسة، الاختلاف أن المدينة تحل محل الفرد.

أمام هؤلاء الأثينيين، المنهكين والمحبطين، يتقدم بريكليس لمخاطبة الإكليسيا. إنه يعلم أن المجتمعين هناك على البنيكس في حالة مزاجية تجعلهم راغبين في إلقاء اللوم عليه ويفتتح بإقرار صريح بمزاج الرجال الذين يواجههم. «توقعت أن تغضبوا مني، وأستطيع أن أفهم سبب ذلك. لقد دعوت إلى هذا الاجتماع لأذكركم بنقاط معينة ولألومكم على غضبكم مني الذي كان في غير محله وعلى استسلامكم بسهولة شديدة للمحنة».[370] لكن بدلًا من تقديم مشهد التبرير الذاتي الطويل البائس، يصعد بالنغمة بسرعة إلى نطاق مختلف ومرتفع وملهم. يتحرك بيانه أولًا لتحويل الحزن

(369) الكتاب الثاني: 52.

(370) . في جورجياس، جعل أفلاطون سقراط يلوم بريكليس للومه الأثينيين. يفترض برجل الدولة الجيد أن يجعل المواطنين أفضل وأفضل، وعليه من المفترض أن يكون بريكليس قد جعل المواطنين أفضل؛ ولكن لماذا انتهوا الى رفضه؟ "في البداية كان بريكليس يتمتع بسمعة طيبة، ولما كان الأثينيون سيئين، لم يصوتوا أبدًا لإدانته وخلعه في خزي. لكن بعد أن حولهم إلى أشخاص 'رائعين ومستقيمين'، قرب نهاية حياته، صوّتوا لإدانة بريكليس بالاختلاس وكادوا أن يحكموا عليه بالموت، لأنهم اعتقدوا أنه رجل شرير بشكل واضح.... الرجل الذي يرعى الحمير أو الخيول أو الماشية سيبدو على الأقل سيئًا إذا ظهرت هذه الحيوانات وهي ترفسه وتضربه وتعضه بسبب وحشيتها، بينما لم تكن تفعل أيًا من هذه الأشياء عندما تولى أمرها" (e–516a515). كان أفلاطون يحتقر باستمرار آريت التشاركية التي كان بريكليس متحدثًا بليغًا باسمها.

الشخصي إلى حزن جماعي، ثم تحويل الحزن الجماعي إلى عظمة جماعية:

أعتقد أنه إذا كانت المدينة سليمة ككل، فإن هذا أفضل للمواطنين الأفراد أكثر مما لو كان الأفراد في ازدهار بينما تتعثر المدينة كوحدة جماعية. لن ينفع الرجل أن يزدهر كفرد: وبلاده مدمرة، لأنه سيضيع معها؛ لكن إن واجهته محنة، وهو في مدينة مزدهرة فسيكون أكثر أمانًا مما لو كان في غيرها....

أما من ناحيتي فأنا لا زلت الرجل الذي كنته. لم أغير موقفي. أنتم من تغير: اقتنعتم بالحرب لما كنتم لا تزالون سالمين، لكن الآن بعد أن تبدلت الحال لأسوء، غيرتم رأيكم؛ وأدنتم موقفي من موقفكم الضعيف. هذا لأنكم تشعرون بالألم الذي أصابكم كأفراد، بينما لم تتضح لكم بعد المنفعة التي تعود علينا جميعًا؛ والآن بعد أن جاءك هذا الانقلاب العظيم في وقت قصير جدًا، أصبحتم واهني العزيمة فلم تثبتوا على قراركم، لأن المرء يصبح ضعيفًا في تفكيره كعبد عندما يحدث فجأة شيء غير متوقع عكس ما كان يدبره. هذا ما حدث لكم أساسًا بسبب الطاعون فوق كل شيء آخر.

لكنكم لا زلتم تعيشون في مدينة عظيمة وقد نشأتم في أسلوب حياة يتناسب مع عظمتها؛ لذلك يجب أن تكونوا على استعداد للوقوف في وجه أكبر الكوارث بدلًا من تحطيم سمعتكم. (لأن الناس يعتقدون أنه من الصواب، أن تلوم الشخص الذي ضيع سمعته المجيدة بجبنه مثلما هو من الصواب أن تحتقر الشخص الذي يملك الوقاحة لادعاء سمعة لا ينبغي أن تكون له).

لذا نحوا جانبًا الحزن الذي تشعرون به على خسائركم الفردية، وفكروا بدلًا من ذلك في سبب سلامتنا المشتركة.

أما عن خوفكم من أننا سنواجه قدرًا كبيرًا من المتاعب في هذه الحرب وأننا رغم ذلك لن نقترب من النصر، فقد قلت قبل ذلك شيئًا يجب أن يكون كافيًا بالنسبة لكم: لقد أثبتم مرات عديدة أنكم كنتم مخطئين في ارتيابكم من النتيجة. لكنني سأقول لكم هذا، عن عظمة إمبراطوريتكم - الشيء الذي لا يبدو أنكم تفكرون فيه أبدًا، والذي لم أذكره في خطاباتي السابقة. إنه ادعاء مباهٍ إلى حد ما، ولم أكن لأتطرق إليه الآن إذا لم أكن قد رأيت أنكم محبطون فوق ما ينبغي. تعتقدون أن إمبراطوريتكم لا تمتد إلا إلى حلفائكم، لكنني أقول لكم إنكم سادة أحد الجزأين اللذين يمكن استخدامهما من العالم - الأرض والبحر. من البحر، أنتم تحكمون بقدر ما تستخدمون الآن، وأكثر إذا أردتم. عندما تبحرون بأسطولكم باستعداده الحالي، لا

يوجد من يمكنه إيقافكم - لا ملك فارس ولا أية دولة في الوجود. لا يمكن مقارنة هذه القوة أمام انتفاعكم بأرضكم ومنازلكم، رغم أنك تعتقدون أن الحرمان منها خسارة كبيرة. ليس من المعقول اعتبار تلك الأشياء على هذا القدر من الأهمية؛ يجب أن تنظر لأرضك على أنها حديقة مطبخ صغيرة، ومنزلك على أنه حلية رجل ثري لا تساوي شيئًا مقارنة بهذه القوة. ضعوا في اعتباركم أيضًا أننا إذا تمسّكنا بحريتنا وحافظنا عليها، فسنستعيد أرضنا ومنازلنا بسهولة؛ لكن الشعب الذي يخضع لسيطرة الأجنبي سيفقد ما كان يملكه بالفعل. لا تكونوا أقل مرتين من أسلافكم الذين حازوا الإمبراطورية - لم يرثوها من الآخرين - وفوق ذلك، حافظوها على سلامتها ونقلوها إليكم. لا، ما يجب عليكم فعله هو أن تتذكروا أنه من الخزي أن تفقدوا ما لديكم على أن تفشلوا في محاولة للحصول على المزيد. يجب أن تلقوا العدو من قريب، ولا تذهبوا إليه بفخر فحسب، بل بازدراء. لأنه حتى الجبان يمكنه أن ينتفخ بالفخر، إذا كان محظوظًا وجاهلًا؛ لكن لا يمكنكم احتقار العدو ما لم تكن ثقتكم مبنية على استراتيجية للتغلب عليه - وهذا هو وضعكم بالضبط. حتى لو كانت فرصتك في النصر مثل فرصة عدوك، إذا كنت مدركًا لتفوقك، فمن الآمن أن تكون جريئًا، لأنك في هذه الحالة لا تعتمد على الأمل (الذي هو حصن من لا يملك شيئًا) بل على استراتيجية تستند إلى الواقع، وتمثل تنبؤًا أكثر دقة بالنتيجة.

لديكم سبب آخر وهو الحفاظ على الكرامة التي تستمدها مدينتنا من إمبراطوريتها، والتي تفتخرون بها جميعًا؛ يجب ألا ترفضوا متاعب الإمبراطورية، إلا إذا تخليتم عن السعي لهذا الشرف. ولا تظنوا أن الشيء الوحيد الذي نحارب من أجله هو حريتنا من الاستعباد: أنتم في خطر فقدان الإمبراطورية، وإذا فعلتم ذلك، فإن غضب الشعوب التي حكمتموها سيزيد من مخاطر أخرى.[371] لستم في وضع يسمح لكم بالتخلي عن إمبراطوريتكم، على الرغم من أن البعض قد يقترحون فعل ذلك خوفًا من الوضع الحالي، ويلعبون دور الفضيلة لأنهم لا يريدون الانخراط في الشؤون العامة. فكما ترون، إمبراطوريتكم في الحقيقة تشبه الاستبداد - ربما كان الاستيلاء عليها ظلمًا، لكن التخلي عنها خطر.[372] من يقنعون المدينة بفعل شيء كهذا سيدمرونها بسرعة، وإذا أقاموا حكومتهم فسوف يدمرونها أيضًا. لأن من يبقون أنفسهم بعيدًا

(371) . هذا الاعتراف باستياء "الحلفاء" الأثينيين يتناقض بشكل ملحوظ مع ادعاء بريكليس في خطبة التأبين بمدى امتنان حتى أعداء أثينا بخضوعهم لقوة متفوقة جدًا.

(372) . يقدم ثوقيديدس ألسبيادس وهو يقول بحجة مفادها أن الإمبراطورية يجب أن تنمو إذا كان لها أن تبقى على قيد الحياة.

عن الشؤون العامة، يعيشون فقط بمساعدة الآخرين الذين يتخذون القرار؛ وهم لا يفيدون مدينة تحكم إمبراطورية، رغم أنهم قد يخدمون بأمان في مدينة خاضعة...

ضعوا في حسبانكم: أن مدينتنا تشتهر في كل مكان بعظمتها في عدم الرضوخ للشدائد وتقبلها الكثير من الضحايا والكثير من الشدائد في الحرب؛ وفوق ذلك، فقد امتلكت قوة عظيمة حتى الآن، القوة التي سوف يتذكرها من سيأتون من بعدنا إلى الأبد، حتى لو تراجعت قليلًا الآن (لأن طبيعة الأمور أن كل شيء يتراجع): ورغم أننا يونانيون، فقد أخضعنا معظم اليونانيين، وصمدنا في حروب كبيرة ضدهم، مجتمعين أو مدينة واحدة في كل مرة، ومدينتنا صاحبة أكبر ثروة من كل نوع، وهي الأعظم. ومع ذلك تجد المتقاعس يشتكي من كل هذا! لا يهم، لأن رجل الفعل سيرغب في أن يكون مثلنا، ومن لا ينجح سيحسدنا. أن تكون مكروهًا وأن تسبب الألم هو، الآن، حقيقة عند كل من يتولى حكم الآخرين، وكل من يجعل نفسه مكروهًا لأجل أمور ذات نتائج عظيمة قد اتخذ القرار الصحيح؛ لأن الكراهية لا تدوم طويلًا، لكن الألق اللحظي للأعمال العظيمة يخلد مجدًا يبقى في الذاكرة إلى الأبد.

أما أنتم، فانشغلوا بالمستقبل الرائع الذي تعرفون أنه سيكون لكم، وبالعار الذي عليكم تجنبه في هذه اللحظة. كونوا مليئين بالحماس في كلا الأمرين. لا ترسلوا رسلًا آخرين إلى اللاسيدامونيين، ولا تجعلوهم يعلموا بثقل مشاكلكم في الوقت الحالي. أقوى المدن والأفراد هم أصحاب العقول الأقل حساسية للكارثة والأكثر ثباتًا في أفعالهم لمقاومتها.[373]

هذا ما يعد إنعاشًا سياسيًا فمويًا. ينفخ بريكليس الحياة في روح المدينة من خلال التعبير عن إحساسهم الجماعي بأن حياتهم تستحق أن تعاش - وبالتالي تستحق أن يموتوا في سبيلها. لقد حققتموها، كما يقول لمواطنيه الأثينيين الذين خدرهم الحزن والقلق، عظمة سيتحدث عنها الرجال في كل الأزمان القادمة. أنتم جديرون بالأغاني مثل منتصر مكلل ألفت على شرفه قصيدة ملحمية. وها هي قصيدتكم. وهأنا، بريكليس ابن زانثيبوس، أغنيها الآن لكم.

كان هذا آخر خطاب لبريكليس أمام الأثينيين. في غضون العام، مات هو نفسه من الطاعون.

(373) الكتاب الثاني: 60-64.

قائمة المصطلحات

أجاثون agathon: الخير

أجورا agora: مركز دولة-مدينة اليونانية القديمة، حيث تقع المباني التجارية والمدنية

أكراسيا akrasia: بلا قوة، ضعف الإرادة

المعرفة كتذكر anamnesis: النظرية القائلة بأن التعلم هو تذكر

أبوريا aporia: طريق مسدود. حجة تنتهي بلا حل

أرشون باسيليوس archon basileus: قاضي السيادة؛ أشرف على الطقوس الدينية

آريت aretē: التميز والفضيلة

aristos: المعنى الحرفي هو «الأفضل»، ويشير أيضًا إلى الأرستقراطي

Asebeia: الإلحاد، المعصية

أتيكا Attica: منطقة اليونان التي تقع فيها مدينة-دولة أثينا

axiarchism: قاعدة القيمة

bima: منصة المتحدثين

boulē: مجلس من 500 عضو في أثينا، يدير الشؤون اليومية؛ يتم اختيارهم سنويًا بالقرعة من كل من القبائل العشر

مأبون catamite: عبد ذكر يستغل في الجنس

شيتان chitōn: قطعة من الملابس الشبيهة بالسترة، غالبًا ما تكون مربوطة بحزام عند الخصر وأكمام مخيطة

دايمن daimōn: روح، ليس في منزلة الإله

ديم deme: تقسيم فرعي لأثينا، بما في ذلك المناطق النائية؛ في ظل إصلاحات كليسثينس، الذي ألغى القبائل القديمة، استندت المواطنة إلى قائمة مواطني الديم؛ قُسمت أتيكا إلى 139 ديم.

ديميرج demiurge: في محاورة طيماوس لأفلاطون، الإله الذي يُخرج النظام من الفوضى.

ديونيزيا Dionysia: مهرجان المسرح في أثينا

إيكاسيا eikasia: أدنى مرحلة من المعرفة وفقًا لتشبيه الخط المنقسم لأفلاطون؛ حالة الأسرى في أسطورة الكهف؛ لا أساس لها في الواقع

الإكليسيا ekklêsia: التجمع الرئيسي للديمقراطية الأثينية

epimeleia heautou: العناية بالنفس

epitaphios logos: خطبة التأبين أو الجنازة

epithumia: جزء الرغبة من الروح في نظرية الروح الثلاثية لأفلاطون

المحب erastês: ذكر أكبر سنًا عاشق لذكر أصغر سنًا؛ نصف الزوج erastês وerômenos

المحبوب erômenos: ذكر أصغر معشوق الذكر الأكبر سنًا؛ نصف الزوج erastês و erômenos

euergesia: المنفعة العامة أو الخدمة

euergetes: الشخص الذي يقدم منفعة عامة

gnôthi seautón: اعرف نفسك؛ منقوشة على معبد أبولو في دلفي

صالة للألعاب الرياضية gymnasium: مكان للتدرب على ألعاب القوى؛ من gymnōs بمعنى «عاري»

الهدوئية hesychia: التزام الصمت

himation: عباءة

الإيسجوريا isegoria: المساواة في الكلام أمام الإكليسيا

الإيسينوميا isenomia: المساواة أمام القانون

كاليبوليس kallipolis: تعني «المدينة الجميلة»، وكان الاسم الذي أطلقه أفلاطون على مدينته الفاضلة في محاورة الجمهورية

كليوس kleos: المجد، الشهرة؛ المجد الذي ينتقل بالسماع؛ «شهرة صوتية»

نهر ليثي Lethe: أحد الأنهار الخمسة في هاديس، العالم السفلي؛ الكلمة تعني «النسيان» أو «الاندثار» وهو ما يحدث عندما يرتشف الظل منه.

لوجوس logos: كلمة أو فكرة؛ في الفلسفة اليونانية القديمة، مبدأ النظام والمعرفة؛ تفسير او مبرر

توليدي maieutic: مشتق من الكلمة اليونانية التي تعني القابلة؛ الأسلوب السقراطي في طرح الأسئلة لاستنباط المعرفة الكامنة في عقل المحاور؛ التعليم

mēdèn ágan: لا شيء أكثر من اللازم، (لا تسرف) ؛ منقوشة على معبد أبولو في دلفي

me mnesikakein: عدم تذكر أخطاء الماضي؛ عفو

metic: مقيم أجنبي؛ غير مواطن في أثينا

nous: العقل. الجزء الفكري من الروح في نظرية الروح الثلاثية لأفلاطون

الأوليغاركية oligarchy: حكم الأقلية، في كثير من الأحيان الأثرياء أو أبناء عدد قليل من العائلات المختارة

Ompholos: السرة. وفقًا للأسطورة، أرسل زيوس حمامتين للقاء في سرة العالم؛ تنتشر أحجار أومفولوس، التي تدل على هذه البقعة، حول البحر الأبيض المتوسط ، وأشهرها في دلفي

أوستراكا ostraka: قطع فخار مكسورة كانت تنقش عليها أسماء أولئك الذين جرى التصويت لنبذهم – نفيهم لمدة عشر سنوات من أثينا

اللواط paiderastia: القواعد والأعراف التي تحكم العلاقات الجنسية بين الذكور الأكبر سنًا والأصغر

باريزيا parrhesia: حرفيًا تعني «قول كل شيء» وتفسيرًا تعني «التحدث بحرية» أو «التحدث بجرأة» أو «الجرأة»

فرونيسيس phronēsis: الحكمة العملية

بنيكس Pnyx: تل في وسط أثينا حيث اجتمع المجلس في الهواء الطلق

بوليس polis: دولة-مدينة يونانية قديمة؛ الجمع poleis

البريتانيوم prytaneum: قاعة دولة المدينة اليونانية، تضم رئيس القضاة والمذبح المشترك

السفسطائي sophist: معلم البلاغة المتجول

sunōmosia: عهد مشترك؛ مؤامرة

synegoroi: المتحدثين المساعدين في البلاط الأثيني

الحشو tautology: من اليونانية القديمة التي تعني «نفس الكلمة»؛ اقتراح يعتبر، في ضوء معناه، صحيحًا لكنه تافه. على سبيل المثال، «إما أن تفهم هذا التعريف للحشو، أو أنك لن تفهم هذا التعريف للحشو».

ثومازين thaumazein: عجب وجودي

thētes: الفقراء العاملين ؛ أدنى فئة من المواطنين في أثينا

ثولوس tholos: مبنى دائري

ثيموس thumos وكثيرًا ما تكتب أيضًا thymos: الحيوية؛ تعبر أيضًا عن رغبة الإنسان في الشعور بالتميز؛ في روح أفلاطون الثلاثية، هذا هو الجزء المليء بالحيوية لدينا. اليوم في اليونان thymos تعني ببساطة «الغضب».

to on: أن توجد، الوجود





تقدِّمُ ريبيكا غولدشتاين في هذا الكتاب تصوُّرًا مختلفًا للفلسفة يقومُ على استدعاءِ الموروثِ الفلسفي إلى زمننا الحاضرِ ووضعهِ تحتَ مجهرِ الحداثةِ والثَّورة المعلوماتيَّة ومجتمع الأرقام الذي حوَّلَ العالم إلى شبكة رقميَّةٍ واحدةٍ. في هذا الكتاب ينبعثُ أفلاطون من جديد ليخوضَ تجربة مغايرة مع شركةِ غوغل، فيعاينُ على أرضِ الواقعِ أفكارهُ الفلسفيَّة ومدينتهُ الفاضلة وقيمهُ وطرائق تفكيرهِ في زمننا الحاضر.

من خلالِ هذه التَّجربة، استطاعت ريبيكا غولدشتاين أن تُجمعَ بينَ الحداثةِ والأصالةِ الفلسفيَّة كما استطاعت أن تزجَّ بالفلسفة القديمة في حروبٍ معرفيَّة معاصرةٍ، منها العلاقات الإنسانيَّة ومنها الثَّورة التكنولوجيَّة وإنسانيَّة الإنسان إضافة إلى ما بعد الإنسانويَّة التي قطعت شوطًا طويلًا في تفكيكِ هويَّة الإنسانِ وجعلهِ مجرَّدَ رقمٍ في مصفوفةٍ أغرقت الإنسان في بحرٍ من المعلومات حتَّى تحوَّل هذا البحرُ إلى لغزٍ مثلهُ مثلَ كلِّ بحرٍ آخر.

النَّاشر


WWW.PAGE-7.COM
ISBN 978-603-91551-2-6
9 786039 155126
Designed by Safa Nabil

